س

الجزء السابع

T. C.
MİLLİ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KİTAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 163/7

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
إلى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب
١١٧٥

٢٢٩

سورة مريم مكية تسعون وثماني آيات

بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص قد سبق القول فيه
ذكر رحمة ربك خبر محذوف اي هذا ذكر رحمة ربك
او خبره محذوف اي فيما يتلى عليك ذكر رحمة ربك
وقرئ ذكّر مشددا على الماضي من التذكير ونصب رحمة
اي هذا المتلو ذكر رحمة ربك • وذكّر على الامر • وهذا
صريح في عدم اتصاله بما قبله • فالمواجه ان يعرب الباقون
موافقا لهذا لان الاصل في القراءات التوافق عبده
مفعول الرحمة او الذكر على ان الرحمة فاعله على الاتساع
كقولك ذكرني جود زيد زكريا بدل منه او عطف
بيان له اذ ظرف للرحمة للدلالة على ان وقت ندائه
هو وقت رحمة ربه لم يتخلف عنه نادى ربه النداء قد
يستعمل في مطلق الخطاب كما في قوله فناداها من تحتها
فلا تنافي قوله نداء خفيا بين الصفة والموصوف
اي دعاه دعاء سرا لان الاسرار والجهر عنده
سيان • وعند نا الاسرار ابعد عن الريا • واقرب
الى الصفاء • او اخفاه لئلا يلام على طلب الولد في اوان
الكبر فانه كان متجاوزا الى حد الهرم على ما دل عليه
قوله وقد بلغت من الكبر عتيا انتهى ابن الكمال

سورة مريم ثمان او تسع وتسعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص امال ابو عمرو الهاء لان الفات اسماء
التهجي ياآت • وابن عامر وحمزة الياء • والكسائي
وابو بكر كليهما • ونافع بين بين • ونافع وابن كثير
يظهرون دال الهجاء عند الذال • والباقون
يدغمون ذكر رحمة ربك خبر ما قبله ان اول
السورة او القرآن فانه مشتمل عليه • او خبر
محذوف اي هذا المتلو ذكر رحمة ربك • او مبتدأ
حذف خبره اي فيما يتلى عليك ذكرها • وقرئ ذكّر
رحمة على الماضي • وذكّر على الامر عبده مفعول الرحمة
او الذكر على ان الرحمة فاعله على الاتساع كقولك ذكرني
جود زيد زكريا بدل او عطف بيان له اذ نادى
ربه نداء خفيا لان الاخفاء والجهر عند الله سيان
والاخفاء اشد اخباتا واخلاصا • او لئلا يلام على
طلب الولد في ايام الكبر • او لئلا يطلع عليه مواليه
الذين خافهم • او لان ضعف الهرم اخفى صوته •
واختلف في سنه حينئذ فقيل ستون وقيل سبعون
وخمس وسبعون وخمس وثمانون انتهى البيضاوي

بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص بامالة الهاء والياء
واظهار الدال • وقرئ بفتح الهاء وامالة الياء وبتفخيمها
وباخفاء النون قبل الصاد لتقاربهما وقد سلف ان ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة ولا موازنة لمفرد
فطريق التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة الاعجاز على الوقف سواء جعلت اسماء للسور او مسرودة على نمط
التعديد وان لزمها التقاء الساكنين لكونه مغتفرا في باب الوقف قطعا • فحق هذه الفاتحة الكريمة ان يوقف
عليها جريا على الاصل • وقرئ بادغام الدال فيما بعدها لتقاربهما في المخرج • فان جعلت اسما للسورة على
ما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع اما على انه خبر لمبتدأ محذوف • والتقدير هذا كهيعص اي مسمى به وانما
صحت الاشارة اليه مع عدم جريان ذكره لانه باعتبار كونه على جناح الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد
كما يقال هذا ما اشترى فلان • او على انه مبتدأ خبره ذكر رحمة ربك اي المسمى به ذكر رحمة الخ فانه ذكرها لما كان
مطلع السورة الكريمة ومعظم ما انطوت هي عليه جعلت كانها نفس ذكرها والاول هو الاولى لان ما يجعل
عنوانا للموضوع حقه ان يكون معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا علم بالتسمية من قبل فحقها الاخبار
بها كما في الوجه الاول • وان جعلت مسرودة على نمط التعديد حسبما جنح اليه اهل التحقيق فذكر الخ خبر لمبتدأ
محذوف هو ما ينبئ عنه تعديد الحروف كانه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف المبسوطة مرادا به السورة
ذكر رحمة الخ • او اسم اشارة اشير به اليه تنزيلا لحضور المادة منزلة حضور المؤلف منها اي هذا ذكر رحمة الخ
وقيل هو مبتدأ حذف خبره اي فيما يتلى عليك ذكرها • وقرئ ذكّر رحمة ربك على صيغة الماضي من التذكير
اي هذا المتلو ذكرها • وقرئ ذكّر على صيغة الامر • والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال
مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للايذان بان تنزيل السورة عليه عليه السلام تكميل له عليه السلام وقوله تعالى عبده
مفعول لرحمة ربك على انها مفعول لما اضيف اليها وقيل للذكر على انه مصدر اضيف الى فاعله على الاتساع

ومعنى ذكر الرحمة بلوغها واصابتها كما يقال ذكرني معروف فلان اي بلغني وقوله تعالى زكريا بدل منه او عطف بيان له
اذ نادى ربه نداء خفيا ظرف لرحمة ربك • وقيل لذكر على انه مضاف الى فاعله اتساعا على الوجه الاول
لفساد المعنى • وقيل هو بدل اشتمال من زكريا كما في قوله واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت ولقد
راعى عليه السلام حسن الادب في اخفاء دعائه فانه مع كونه بالنسبة اليه تعالى كالجهر ادخل في الاخلاص
وابعد من الرياء واقرب الى الخلاص عن لائمة الناس على طلب الولد لتوقفه على مبادي لا يليق به
تعاطيها في اوان الكبر والشيخوخة • وعن غائلة مواليه الذين كان يخافهم • وقيل كان ذلك منه عليه السلام
لضعف الهرم • قالوا كان سنه حينئذ ستين • وقيل خمسا وستين • وقيل سبعين • وقيل خمسا وسبعين
وقيل ثمانين • وقيل اكثر منها كما مر في سورة آل عمران انتهى ابو السعود

سورة مريم مكية سوى سجدتها

بسم الله الرحمن الرحيم قوله كهيعص قسم اقسم الله تعالى به • او هو اسم من اسمائه الحسنى • او هو اسم السورة
والمعنى اقرا كهيعص • او انه مركب من حروف تشير كل منها الى صفة من صفاته العظمى • قال ابن عباس
رضي الله عنهما معناه يا من هو الكافي الهادي الباسط اليد بالرزق العالم الصادق في وعده ووعيده
قرئ بفتح الهاء والياء وبكسرهما • وبفتح الهاء وكسر الياء • وبالعكس • وبين الكسر والفتح • وباظهار دال صاد
او ادغامه في ذال ذكر خبر مبتدأ محذوف اي هذا المتلو ذكر رحمة ربك عبده اي ذكر ربك عبده زكريا
بالرحمة ثم اضيف ذكر الى رحمة فاعلا اتساعا تقديره ان ذكرت رحمة ربك عبده وزكريا بدل من عبده اذ نادى
ظرف للذكر اي دعا ربه ان يرزقه ولدا من صلبه صالحا يقتدى به في احياء الدين نداء خفيا اي سرا
لكونه اسرع للاجابة وابعد من الرياء وادخل في الاخلاص وقيل اخفاه لئلا يلام على طلب الولد في سن الكبر
انتهى العيون

الجسد

قال رب إني وهن العظم مني جملة مفسرة لنادى لا محل لها من الاعراب واسناد الوهن الى العظم لما انه عماد البدن ودعام فاذا اصابه الضعف والرخاوة اصاب كله او لانه اشد اجزائه صلابة وقواما واقلها تاثرا من العلل فاذا وهن كان ما وراءه اوهن وافراده للقصد الى الجنس المنبئ عن شمول الوهن لكل فرد من افراده ومني متعلق بمحذوف هو حال من العظم وقرئ وهن بكسر الهاء وبضمها ايضا وتاكيد الجملة لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمونها واشتعل الرأس شيبا شبه عليه السلام الشيب في البياض والانارة بشواظ النار وانتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل ماخذ باشتعالها ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى محل الشعر ومنبته واخرجه مخرج التمييز واطلق الرأس اكتفاء بما قيد به العظم وفيه من فنون البلاغة وكمال الجزالة ما لا يخفى حيث كان الاصل اشتعل شيب رأسي فاسند الاشتعال الى الرأس كما ذكر لافادة شموله لكلها فان وزانه بالنسبة الى الاصل وزان اشتعل بيته نارا بالنسبة الى اشتعل النار في بيته ولزيادة تقريره بالاجمال اولا والتفصيل ثانيا ولمزيد تفخيمه بالتنكير وقرئ بادغام السين في الشين ولم أكن بدعائك رب شقيا اي لم اكن بدعائي اياك خائبا في وقت من اوقات هذا العمر الطويل بل كلما دعوتك استجبت لي والجملة معطوفة على ما قبلها او حال من ضمير المتكلم اذ المعنى واشتعل رأسي شيبا وهذا توسل منه عليه السلام بما سلف منه من الاستجابة عند كل دعوة اثر تمهيد ما يستدعي الرحمة ويستجلب الرأفة من كبر السن وضعف الحال فانه تعالى بعدما عود عبده بالاجابة دهرا طويلا لا يكاد يخيبه ابدا لا سيما عند اضطراره وشدة افتقاره والتعرض في الموضعين لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لا سيما توسيطه بين كان وخبرها لتحريك سلسلة الاجابة بالمبالغة في التضرع ولذلك قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له دعاؤه فليدع الله تعالى بما يناسبه من اسمائه وصفاته وإني خفت الموالي عطف على قوله تعالى إني وهن مترتب مضمونه على مضمونه فان ضعف القوى وكبر السن من مبادي خوفه عليه السلام من يلي امره بعد موته ومواليه بنو عمه وكانوا اشرار بني اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته في امته ويبدلوا عليهم دينهم وقوله من ورائي اي بعد موتي متعلق بمحذوف ينساق اليه الذهن اي فعل الموالي من بعدي او جور الموالي وقد قرئ كذلك او بما في الموالي من معنى الولاية اي خفت الذين يلون الامر من ورائي لا بخفت لفساد المعنى وقرئ وراي بالقصر وفتح الياء وقرئ خفت الموالي من ورائي اي قلوا وعجزوا عن القيام بامور الدين بعدي او خفت الموالي القادرون على اقامة مراسم الملة ومصالح الامة من خف القوم اي ارتحلوا مسرعين اي درجوا قدامي ولم يبق منهم من به تقو واعتضاد فالظرف حينئذ متعلق بخفت وكانت امرأتي عاقرا اي لا تلد من حين شبابها انتهى ابو السعود رحمه الله

قال رب اي يا مالكي إني وهن العظم مني اي ضعف عظمي مع صلابته فما سواه اولى بالضعف وانما وحده قصدا للجنسية ان الملة على كل الافراد ولو جمع لخرج بعض العظام عن الوهن واشتعل الرأس شيبا اي شاب شعر رأسه شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وانتشاره في الشعر ثم نسب الاشتعال الى مكان الشعر وهو الرأس وجعل الشيب نصبا على التمييز رفعا للابهام في نسبة الاشتعال الى الرأس ولم يضف الرأس اليه اكتفاء بعلم المخاطب انه رأس زكريا تقديره اشتعل شيب رأسي ولم أكن بدعائك رب شقيا اي خائبا هذا توسل منه الى ربه بما مضى له معه من استجابة دعائه قبل فالمعنى يا رب قد عودتني الاجابة فيما مضى فاجب هذا الدعاء مني ايضا ولا تخيبني فيه وإني خفت الموالي جور من يلي امر الخلافة من ورائي بفتح الياء وسكونها مع المد والهمزة فيهما اي بعد موتي وهم الورثة وقيل عصبته اخوته وبنو عمه وعصبته اخوته وكانوا اشرار بني اسرائيل فخافهم على الدين ان يغيروه وان لا يحسنوا الخلافة على امته وكانت امرأتي عاقرا اي عقيما لم تلد لعجزها عن الولادة انتهى العيون رحمه الله

قال رب إني وهن العظم مني تفسير للنداء و
الوهن الضعف وتخصيص العظم لأنه دعامة
البدن وأصل بنائه ولأنه أصلب ما فيه فإذا
وهن كان ما وراءه أوهن وتوحيده لأن المراد
به الجنس وقرئ وهن بالضم والكسر ونظيره
كمل في الحركات الثلث واشتعل الرأس شيبا
شبه الشيب في بياضه وإنارته بشواظ النار
وانتشاره وفشوه في الشعر باشتعالها ثم أخرج
مخرج الاستعارة وأسند الاشتعال إلى الرأس الذي
هو مكان الشيب مبالغة وجعله مميزا إيضاحا
للمقصود واكتفى باللام عن الإضافة للدلالة
على أن علم المخاطب بتعين المراد يغني عن التقييد
ولم أكن بدعائك رب شقيا بل كلما دعوتك استجبت
لي وهو توسل بما سلف منه من الاستجابة وتنبيه
على أن المدعو له وإن لم يكن معتادا فإجابته معتادة
وأنه تعالى عوده بالإجابة وأطمعه فيها ومن حق الكريم
أن لا يخيب من أطمعه وإني خفت الموالي يعني بني عمه
لأنهم كانوا أشرار بني إسرائيل فخاف أن لا يحسنوا
خلافته على أمته ويبدلوا عليهم دينهم من ورائي
بعد موتي وعن ابن كثير بالمد والقصر بفتح الياء و
هو متعلق بمحذوف أو بمعنى الولاية في الموالي أي
خفت فعل الموالي من ورائي أو الذين يلون الأمر
من ورائي وقرئ خفت الموالي من ورائي أي
قلوا وعجزوا عن إقامة الدين بعدي أو خفوا و
درجوا قدامي فعلى هذا كان الظرف متعلقا
بخفت وكانت امرأتي عاقرا لا تلد انتهى

قال رب إني استئناف لتفسير النداء وهن العظم الوهن
الضعف وقرئ بالحركات الثلث وتخصيص العظم لأنه
دعامة البدن وأصل بنائه فتطرق الضعف إليه موجب
لتطرقه إلى كل البدن ولأنه أصلب ما فيه فإذا وهن
كان ما وراءه أوهن وتوحيده لأن المراد به الجنس
ولو جمع لكان قصدا إلى معنى آخر وهو أنه لم يهن منه بعض
عظامه ولكن كلها وذلك ليس مقصودا بحسب السياق
وما زاد على المقصود يعد لكنة وفضولا ولما اقتضى
المقام تعريف الحقيقة في العظم دون الرأس احتيج إلى
زيادة قوله مني هنا دون قوله واشتعل الرأس شيبا
أي استولى الضعف على الباطن والظاهر وذكر هذا يزيد
الدعاء توكيدا لما فيه من الاتكال على حول الله تعالى وقوته
والتبرء عن الأسباب الظاهرة شبه الشيب بشواظ
النار لا في بياضه وإنارته فقط بل فيهما وفي أن النار
كما يشتعل في الجسم ويسري فيه حتى يحيله إلى غير لونه الأول
وشبه انتشاره في الشعر وفشوه فيه وأخذه منه
كل مأخذ باشتعال النار في سرعة التهابه وتعذر تلافيه
ولا بد في التشبيه الثاني من اعتبار معنى السرعة في
وجه الشبه إذ به يعلم كون الشيب في وقته فيتم الكناية
عن المعنى المراد وهو الدخول في سن الشيخوخة فإن
الشيب قديما أخذ من الرأس كل مأخذ قبل ذلك إلا أنه
يكون على تدريج ومهل ثم أخرج الأول مخرج الاستعارة
المكنية والثاني مخرج الاستعارة التصريحية وأصل الكلام
اشتعل الشيب في الرأس لا اشتعل شيب الشعر في الرأس
لأن الشيب مخالطة شعر الأبيض بالأسود فترك تلك
المرتبة إلى ما هو أبلغ منها من جهات أحدها إسناد الاشتعال
إلى الرأس لإفادة شمول الاشتعال وثانيها الإجمال و
التفصيل في طريق التمييز وثالثها تنكير شيبا لإفادة
التعظيم واكتفى باللام عن الإضافة لاعتمادا على علم المخاطب
وإلا لما ذكر مني فيما سبق بل اعتمادا على أن المتبادر من
العطف على المقيد اعتبار القيد فيه ولم أكن بدعائك
رب شقيا أي كنت مستجاب الدعوة قبل اليوم سعيدا
غير شقي فيه يقال سعد فلان بحاجته إذا ظفر بها وشقي إذا خاب ولم ينلها يعني أنه تعالى عودني بالإجابة وأطمعني فيها
ومن حق الكريم أن لا يخيب من أطمعه فما ذكر تذكير لعادات تفضله تعالى في إجابة أدعيته وتوسل به وذلك يعم
الوسيلة وتحسين الطمع بالإجابة فإن له تأثيرا في كل حال قال تعالى أنا عند ظن عبدي بي وإني خفت الموالي المولى ابن العم
والعصبة وجمعه الموالي من ورائي قال أبو عبيدة أي من جهة الموت الذي هو قدامي قال ابن عباس أرجو تنوا آخر وأكل
سعيي وطاعتي وقومي تميم والغلالة ورائي كأنه لم ير فيهم من الخلال ما يصلحون به للقيام مقامه في الدين وقرئ
خفت وتعلق الظرف به ظاهر يعني أنهم خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقوى واعتضاد وكانت
امرأتي عاقرا العاقر التي لا تلد لكبر سنها وفي عبارة كانت دلالة على أنها استمرت مدة تلك الحالة والظاهر
من تقديم هذا القول أنه أراد الولد منها وقد قرر وجه ذلك في سورة آل عمران وينا سب هذا أن يكون المراد من يعقوب
أباها انتهى به كما

فهب لي من لدنك اختراعا منك بلا سبب لاني وامراتي
لا تصلح للولادة وليا ابنا يلي امرك بعدي يرثني ويرث
قرئ برفعهما صفة لوليا اي هب ولدا وارثا مني العلم
ومن آل يعقوب النبوة ومعنى وراثة النبوة انه
يصلح لان يوحى اليه ولم يرد ان نفس النبوة تورث
وبجزمهما على انه جواب للدعاء • ورد ابو عبيدة قراءة
الجزم وقال لان معناه ان وهبت ورث وكيف
تخبر الله تعالى بهذا وهو اعلم به من آل يعقوب بن ماثان
اخو عمران ابو مريم • وقرئ ايرثني وارث آل يعقوب
على الحال من احد الضميرين • او يرث بالتصغير لا لصغره
لانه لا يناسب المقام بل للمدح كقول حباب بن المنذر
انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب ووارث من آل
يعقوب على انه فاعل يرثني وهذا يسمى التجريد لانه
جرد عن المذكور اولا مع انه المراد واجعله رب رضيا
مرضيا في اخلاقه وافعاله او راضيا عنك وبحكمك
يا زكريا اي فاستجبنا دعاءه وقلنا يا زكريا ودل
على ذلك قوله في سورة الانبياء فاستجبنا له ووهبنا له
يحيى انا نبشرك كان البشارة بواسطة الملك على ما
نص عليه في سورة آل عمران بغلام فيه بشارة بثلاثة
امور الولد وكونه ذكرا وبلوغه الحلم • واختلف في
تعاقبه بعد ابيه والظاهر من قوله فاستجبنا له انه بقي بعده
اسمه يحيى تولى الله تعالى تسميته تشريفا له لم نجعل له من
قبل سميا لم يسم بيحيى احد قبله وفيه دلالة على ان في
التخصيص باسم مستحسن نوع تشريف للمسمى
وقد سبق معنى يحيى وبيان اشتقاقه انتهى ابن كمال

فهب لي من لدنك فان مثله لا يرجى الا من فضلك
وكمال قدرتك فاني وامراتي لا تصلح للولادة
وليا من صلبي يرثني ويرث من آل يعقوب
صفتان له وجزمهما ابو عمرو والكسائي على انهما
جواب الدعاء • والمراد وراثة الشرع والعلم فان
الانبياء لا يورثون المال • وقيل يرثني الحبورة
فانه كان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك
وهو يعقوب بن اسحق عليهما السلام • وقيل كان
يعقوب اخا زكريا او اخا عمران بن ماثان
من نسل سليمان • وقرئ يرثني وارث آل يعقوب
على الحال من احد الضميرين • واويرث بالتصغير
لصغره • ووارث من آل يعقوب على انه فاعل
يرثني • وهذا يسمى التجريد في علم البيان لانه جرد
عن المذكور اولا مع انه المراد واجعله رب رضيا
ترضاه قولا وعملا يا زكريا انا نبشرك بغلام
اسمه يحيى جواب لندائه ووعد باجابة دعائه
وانما تولى تسميته تشريفا له لم نجعل له من قبل
سميا لم يسم احد بيحيى قبله وهو شاهد بان
التسمية بالاسامي الغريبة تنويه للمسمى
وقيل سميا شبيها كقوله تعالى هل تعلم له سميا
لان المتماثلين يتشاركان في الاسم والاظهر انه
اعجمي وان كان عربيا فمنقول عن فعل كيعيش
ويعمر • قيل سمي به لانه حيي به رحم امه • او لان دين الله
حيي بدعوته انتهى البيضاوي

فهب لي من لدنك كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف
معنييهما فاللام صلة له • ومن لابتداء الغاية مجازا • وتقديم
الاول لكون مدلوله اهم عنده • ويجوز تعلق الثاني بمحذوف وقع حالا من المفعول • ولدن في الاصل ظرف بمعنى اول غاية
او مكان او غيرهما من الذوات • وقد مر تفصيله في اوائل سورة آل عمران • اي اعطني من محض فضلك الواسع
وقدرتك الباهرة بطريق الاختراع لا بواسطة الاسباب العادية وليا اي ولدا من صلبي وتاخيره عن الجارين
لاظهار كمال الاعتناء بكون الهبة له على ذلك الوجه البديع مع ما فيه من التشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم
اذا اخر تبقى النفس مستشرفة له فعند وروده لها يتمكن عندها فضل تمكن • ولان فيه نوع طول بما بعده من الوصف
فتاخيرهما عن الكل او توسيطهما بين الموصوف والصفة مما لا يليق بجزالة النظم الكريم • والفاء لترتيب ما بعدها
على ما قبلها فان ذكره عليه السلام من كبر السن وضعف القوى وعقر المراة موجب لانقطاع رجائه عليه السلام
عن حصول الولد بتوسط الاسباب العادية واستيهابه على الوجه الخارق للعادة ولا يقدح في ذلك ان يكون
هناك داع آخر الى الاقبال على الدعاء المذكور من مشاهدته عليه السلام للخوارق الظاهرة في حق مريم كما يعرب
عنه قوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه الآية • وعدم ذكره ههنا للتعويل على ذكره هناك كما ان عدم ذكر مقدمة
الدعاء هناك للاكتفاء بذكرها ههنا فان الاكتفاء بما ذكر في موطن عما ترك في موطن آخر من النكت التنزيلية
وقوله تعالى يرثني صفة لوليا • وقرئ هو وما عطف عليه بالجزم جوابا للدعاء اي يرثني من حيث العلم والدين
والنبوة

فان الانبياء عليهم السلام لا يورثون المال • قال عليه السلام نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة • وقيل
يرثني الحبورة وكان عليه السلام حبرا • ويرث من آل يعقوب • يقال ورثه وورث منه لغتان وآل الرجل
خاصته الذين يؤول اليه امرهم للقرابة او الصحبة او الموافقة في الدين وكانت زوجة زكريا اخت ام مريم اى ويرث
منهم الملك • قيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام • وقال الكلبي ومقاتل هو يعقوب بن ماثان
اخو عمران بن ماثان من نسل سليمان عليه السلام وكان آل يعقوب اخوال يحيى بن زكريا قال الكلبي كان
بنو ماثان رؤس بني اسرائيل وملوكهم • وكان زكريا رئيس الاحبار يومئذ فاراد ان يرثه ولده
حبورته ويرث من بني ماثان ملكهم • وقرئ ويرث وارث آل يعقوب على انه حال من المستكن في يرث
وقرئ اويرث آل يعقوب بالتصغير لصغره اي الى وراثته عليه السلام لما يرثه في حالة صغره • وقرئ وارث
من آل يعقوب على انه فاعل يرثني على طريقة التجريد اى يرثني به وارث • وقيل من للتبعيض اذ لم يكن
كل آل يعقوب عليه السلام انبياء ولا علماء • واجعله رب رضيا مرضيا عندك قولا وفعلا • وتوسيط رب
بين مفعولي الجعل للمبالغة في الاعتناء بشأن ما يستدعيه • يا زكريا على ارادة القول اى قال تعالى
يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لكن لا بان يخاطبه عليه السلام بذلك بالذات بل بواسطة الملك
على ان يحكي له عليه السلام هذه العبارة عنه عز وجل على نهج قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا الآية • وقد مر تحقيقه
في سورة آل عمران • وهذا جواب لندائه عليه السلام ووعد باجابة دعائه لكن لا كلا كما هو المتبادر من قوله تعالى
فاستجبنا له ووهبنا له يحيى الخ بل بعضا حسبما يقتضيه المشيئة الالهية المبنية على الحكم البالغة فان الانبياء
عليهم السلام وان كانوا مستجابي الدعوة لكنهم ليسوا كذلك في جميع الدعوات • الا يرى الى دعوة ابراهيم
عليه السلام في حق ابيه والى دعوة النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال وسألته ان لا يذيق بعضهم بأس بعض
فمنعنيها وقد كان من قضائه عز وعلا ان يهبه يحيى نبيا مرضيا ولا يرثه فاستجيب دعاؤه في الاول دون
الثاني حيث قتل قبل موت ابيه عليهما السلام على ما هو المشهور • وقيل بقي بعده برهة فلا اشكال حينئذ
وفي تعيين اسمه عليه السلام تأكيد للوعد وتشريف له عليه السلام وفي تخصيصه به حسبما يعرب عنه قوله تعالى
لم نجعل له من قبل سميا اى شريكا في الاسم حيث لم يتسم احد قبله بيحيى مزيد تشريف وتفخيم له عليه السلام فان
التسمية بالاسامي البديعة الممتازة عن اسماء سائر الناس تنويه بالمسمى لا محالة • وقيل سميا شبيها
في الفضل والكمال كما في قوله تعالى هل تعلم له سميا فان المتشاركين في الوصف بمنزلة المتشاركين في الاسم
قالوا لم يكن له عليه السلام مثل في انه لم يعص الله تعالى ولم يهم بمعصية قط وانه ولد من شيخ فان وعجوز عاقر
وانه كان حصورا فيكون هذا اجمالا لما نزل بعده من قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا
من الصالحين والاظهر انه اسم اعجمي وان كان عربيا فهو منقول عن الفعل كيعمر ويعيش قيل سمي به لانه حيي
رحم امه او حيي دين الله تعالى بدعوته انتهى ابو السعود رحمه الله

ويرث من آل يعقوب
فهب لي من لدنك اى من عندك وفضلك صادرا عنك وليا اى ولدا صالحا يرثني بان يبقى بعدي ويرث من آل يعقوب
وكان زكريا عليه السلام من نسل يعقوب بن اسحق عليهما السلام • والمراد من الارث ارث الشرع والعلم لان الانبياء
عليهم السلام لا يورث المال • والفعلان مجزومان جوابا للطلب • او مرفوعان صفة لوليا اى ولدا وارثا مني
العلم ووارثا من آل يعقوب النبوة لئلا يضيع الدين بالتغير • ومن للتبعيض لا للتعدية لان آل يعقوب
لم يكونوا كلهم انبياء • وقيل الاولى ان تحمل الرفع على الاستئناف لا على الوصف لئلا يلزم كون النبي غير مستجاب
الدعوة لهلاك يحيى عليه السلام قبل زكريا عليه السلام ولا يلزم ورود الكذب في اخبار زكريا على تقدير
الاستئناف بعني ما ذكر لكونه غرضا في جواب سؤال وهو لم تطلب الولد • وعدم ترتيب الغرض من فعل
النبي عليه السلام اهون من كونه غير مستجاب الدعوة ثم قال واجعله اى الولد الموهوب يا رب رضيا
اى مرضيا تقيا فاوحى الله تعالى اليه بخبر جبرئيل السلام مناديا له وهو قائم يصلي في المحراب يا زكريا انا
نبشرك بضم النون من التبشير وبفتحها مع التخفيف اى نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل
اى من قبله سميا اى لم يسم احد بيحيى وانما سمي به لانه حيي بالعلم والحكمة التي اوتيها وقيل لانه ولد بين شيخ فان
وعجوز عاقر وقيل لم نجعل له نظيرا وشبيها في انه لم يعص ولم يهم بمعصية انتهى العيون رحمه الله

مع كونه في نفسه من الامور المستحيلة عادة لا استبعادا له وقيل انما قاله ليجاب بما اجيب به فيزداد
المؤمنون ايقانا ويرتدع المبطلون وقيل كان ذلك منه عليه السلام استفهاما عن كيفية حدوثه وقيل
بل كان ذلك بطريق الاستبعاد حيث كان بين الدعاء والبشارة ستون سنة وكان قد نسي دعاءه
وهو بعيد قال استيناف كما مر مبني على سؤال نشأ مما سلف والكاف في قوله تعالى كذلك قال
ربك مقحمة كما في مثلك لا يبخل ومحلها اما النصب على انه مصدر تشبيهي لقال الثاني وذلك
اشارة الى المصدر الذي هو عبارة عن الوعد السابق لا الى قول آخر اي نعت لمصدر مؤكد له اي قال
شبه هذا به وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا قولا كائنا مثل ذلك القول
وقوله تعالى هو علي هين جملة مقررة للوعد المذكور دالة على انجازه داخلة في حيز قال الاول كانه قيل
قال الله تعالى مثل ذلك القول البديع قلت اي مثل ذلك الوعد الخارق للعادة وعدت هو علي خاصة
هين وان كان في العادة مستحيلا وقرئ وهو علي هين فالجملة حينئذ حال من ربك واياما كان عبارة
عن ضميره كاستعرفه او اعتراض وعلى كل حال فهي مؤكدة ومقررة لما قبلها ثم اخرج القول الثاني مخرج
الالتفات جريا على سنن الكبرياء لتربية المهابة وادخال الروعة كقول الخلفاء امير المؤمنين يرسم
لك مكان انا ارسم ثم اسند الى اسم الرب المضاف الى ضميره عليه السلام تشريفا له واشعارا بعلة
الحكم فان تذكير جريان احكام ربوبيته تعالى عليه عليه السلام من ايجاده من العدم وتصريفه في
اطوار الخلق من حال الى حال شيئا فشيئا الى ان يبلغ كماله اللائق به مما يقلع اساس استبعاده عم
لحصول الموعود ويورثه عم الاطمينان بانجازه لا محالة ثم التفت من ضمير الغائب العائد الى
الرب الى ياء العظمة ايذانا بان مدار كونه هينا عليه سبحانه هو القدرة الذاتية لا ربوبيته تعالى
له عم خاصة وتمهيدا لما يعقبه وقيل ذلك اشارة الى مبهم يفسره قوله تعالى هو علي هين على طريقة
قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ولا يخرج هذا الوجه على القراءة بالواو
لانها لا تدخل بين المفسر والمفسر واما الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وذلك اشارة الى ما تقدم من وعده تعالى
اي قال عز وعلا الامر كما وعدت وهو واقع لا محالة وقوله تعالى قال ربك هو علي هين استيناف مقرر
لمضمونه والجملة المحكية على القراءة الثانية معطوفة على المحكية الاولى او حال من المستكن في الجار والمجرور
وايا ما كان فتوسيط قال بينهما مشعر بمزيد الاعتناء بكل منهما والكلام في اسناد القول الى الرب
ثم الالتفات الى التكلم كالذي مر آنفا وقيل ذلك اشارة الى ما قاله زكريا عليه السلام اي قال تعالى الامر
كما قلت تصديقا له فيما حكاه من الحالة المباينة للولادة في نفسه وفي امراته وقوله تعالى قال ربك هو
علي هين استيناف مسوق لازالة استبعاده بعد تقريره اي قال تعالى هو مع بعده في نفسه
علي هين والقراءة الثانية ادخل في افادة هذا المعنى على ان الواو للعطف واما جعلها للحال فمخل
بسداد المعنى لان مآله تقرير صعوبته حال سهولته عليه تعالى مع ان المقصود بيان سهولته عليه
سبحانه مع صعوبته في نفسه وقوله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا جملة مستانفة مقررة
لما قبلها والمراد به ابتداء خلق البشر اذ هو الواقع اثر العدم المحض لا ما كان بعد ذلك بطريق التوالد
المعتاد وانما لم ينسب ذلك الى آدم عليه السلام وهو المخلوق من العدم حقيقة بان يقال وقد خلقت
اباك آدم من قبل ولم يك شيئا مع كفايته في ازالة الاستبعاد بقياس حال ما بشر به على حاله عم
لتأكيد الاحتجاج وتوضيح منهاج القياس حيث نبه على ان كل فرد من افراد البشر له حظ من انشائه عليه السلام
من العدم اذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر آحاد
الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان ابداعه عليه السلام على ذلك الوجه
ابداعا للكل احد من فروعه كذلك ولما كان خلقه عليه السلام على هذا النمط الساري الى جميع افراد ذريته
ابدع من ان يكون ذلك مقصورا على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور اليه وادل على عظم قدرته تعالى
وكمال علمه وحكمته وكان عدم زكريا حينئذ اظهر عنده واجلى وكان حاله اولى بان يكون معيارا لحال ما بشر به
نسب الخلق المذكور اليه كما نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين في قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم
توفية لمقام الامتنان حقه فكانه قيل وقد خلقتك من قبل في تضاعيف خلق آدم عم ولم تك اذ ذاك شيئا
اصلا بل عدما بحتا ونفيا صرفا هذا واما حمل الشيء على المعتد به اي ولم تك شيئا معتدا به فيأباه المقام ويرده
نظم الكلام وقرئ خلقناك انتهى ابو السعود افندي رحمه الله

قال زكريا يا رب اي يا سيدي قاله لجبريل انى يكون لي غلام اي من اين يكون لي ولد وكانت امرأتي
عاقرا من الولد وقد بلغت من الكبر عتيا بكسر العين وضمها اي يبسا يعني نهاية اليبس يقال لكل شيء
انتهى قد عتى قيل زكريا لم يكن شاكا في بشارة الله تعالى ولكنه احب ان يعلمه من اي جهة يكون مع
هاتين الصفتين العقر والعتي وروي الحركات الثلث في العين لغة قال كذلك اي قال جبريل
عليه السلام الامر كما قلت لك او تصديق لزكريا اي كما قلت انك بلغت من الكبر عتيا قال ربك هو
علي هين اي خلق يحيى من كبيرين يسير علي وقد خلقتك مفردا او خلقناك جمعا للتعظيم من قبل
اي قبل يحيى ولم تك شيئا اي كنت معدوما او لم تك شيئا يعتد به انتهى العيون

قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا جساوة وقحولا في المفاصل والعظام • وأصله عتوو كقعود فاستثقلوا توالي الضمتين والواوين فكسروا التاء فانقلبت الواو الأولى ياء ثم قلبت الثانية وأدغمت • وقرأ حمزة والكسائي وحفص عتيا بالكسر • وإنما استعجب الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافا بأن المؤثر فيه كمال قدرته وأن الوسائط عند التحقيق ملغاة ولذلك قال أي الله تعالى أو الملك المبلغ للبشارة تصديقا له كذلك الأمر كذلك • ويجوز أن يكون الكاف منصوبة بقال في قال ربك وذلك إشارة إلى مبهم يفسره هو علي هين ويؤيد الأول قراءة من قرأ وهو علي هين أي الأمر كما قلت • أو كما وعدت وهو على ذلك يهون علي • أو كما وعدت وهو علي هين لا أحتاج فيما أريد أن أفعله إلى الأسباب ومفعول قال الثاني محذوف وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا بل كنت معدوما صرفا وفيه دليل على أن المعدوم ليس بشيء وقرأ حمزة والكسائي وقد خلقناك انتهى

قال زكريا رب أنى يكون لي غلام استفهام تعجبي يدل على التصديق بوقوع المخبر به والاعتراف بكمال قدرته عليه لأن التعجب إنما ينشأ من استغراب مقارن للتصديق يتضمن الإخبار بأنه يولد لهما على هذه الحالة أو بعد الإحالة فاندفع ما قيل لم استبعده واستعجب وأجيب بأنه ليجاب بما أجيب به فيزداد المؤمنون إيقانا ويرتدع المبطلون • وليت شعري من المراد من المؤمنين والمبطلين • وقد كان دعاؤه مخفيا عن الغير • ثم إنه عليه السلام فهم من البشارة المذكورة أنه يرى بلوغ يحيى عليه السلام أوان الحلم فازداد به التعجب • ولهذا قال أنى يكون لي غلام ولم [يقل] أنى يكون لي ولد وأنه يولد من امرأته التي طلب الولد منها ولهذا قال وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا هو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام كالعود اليابس من أجل الكبر والطعن في السن العالية قال الملك المبلغ للبشارة تصديقا له كذلك الأمر كذلك قال ربك هو علي هين أي بأن أرد عليك قوة الجماع وأفتق رحم امرأتك للعلوق • وقرئ وهو علي هين على العطف على محذوف • أي أفعله وهو علي هين وقد خلقتك أراد خلق مادته لا خلق صورته لأنه من شيء فلا يناسب السياق واللحاق ولهذا قال من قبل أي من قبل خلقك بشرا ولم تك شيئا بل كنت لا شيئا صرفا وليس فيه تعريض للخلافية المشهورة انتهى ابن كمال

قوله عاقرا عقيما من الولد كرماني

قال استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال عليه السلام حينئذ فقيل قال رب ناداه تعالى بالذات مع وصول خطابه تعالى إليه بتوسط الملك للمبالغة في التضرع والمناجاة والجد في التبتل إليه تعالى والاحتراز عما عسى يتوهم خطابه للملك من توهم أن علمه تعالى بما يصدر عنه متوقف على توسطه كما أن علم البشر بما يصدر عنه سبحانه متوقف على ذلك في عامة الأوقات أنى يكون لي غلام كلمة أنى بمعنى كيف أو من أين • وكان إما تامة وأنى واللام متعلقتان بها • وتقديم الجار على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق إلى ما أخر أي كيف أو من أين يحدث لي غلام • ويجوز أن يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من غلام إذ لو تأخر لكان صفة له أي أنى يحدث كائنا لي غلام • أو ناقصة اسمها ظاهر وخبرها إما أنى • ولي متعلق بمحذوف كما مر • أو هو الخبر وأنى نصب على الظرفية وقوله تعالى وكانت امرأتي عاقرا حال من ضمير المتكلم بتقدير قد وكذا قوله تعالى وقد بلغت من الكبر عتيا حال منه مؤكدة للاستبعاد إثر تأكيد أي كانت امرأتي عاقرا لم تلد في شبابها وشبابي فكيف وهي الآن عجوز وقد بلغت أنا من أجل كبر السن جساوة وقحولا في المفاصل والعظام • أو بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا من عتا يعتو وأصله عتوو كقعود فاستثقل توالي الضمتين والواوين فكسرت التاء فانقلبت الأولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثم قلبت الثانية أيضا لاجتماع الواو والياء وسبق إحداهما بالسكون وكسرت العين اتباعا لها لما بعدها • وقرئ بفتحها ولعل البداءة ههنا بذكر حال امرأته على عكس ما في سورة آل عمران لما أنه قد ذكر حاله في تضاعيف دعائه وإنما المذكور ههنا بلوغه أقصى مراتب الكبر تتمة لما ذكر قبل • وأما هنالك فلم يسبق في الدعاء ذكر حاله فلذلك قدمه على ذكر حال امرأته لما أن المسارعة إلى بيان قصور شأنه أنسب • وإنما قاله عليه السلام مع سبق دعائه بذلك وقوة يقينه بقدرة الله تعالى لا استبعادا لمشاهدته للشواهد المذكورة في سورة آل عمران استعظاما لقدرة الله تعالى وتعجبا منها واعتدادا بنعمته تعالى عليه في ذلك بإظهار أنه من محض لطف الله تعالى وفضله ٥

قال رب اجعل لي آية علامة اعلم بها انه علق لازيد في الشكر ودعاء السلامة قال آيتك ان لا تكلم الناس علامتك ان تمنع من كلام الناس دون ذكر الله ثلث ليال دل ذكر الليالي هنا والايام في سورة ال عمران على ان المنع من كلام الناس استمر ثلثة ايام ولياليهن للتجرد للذكر والشكر سويا حال كونك سوي الخلق سليم الجوارح ما بك خرس ولا بكم فخرج مشرفا على قومه من المحراب اي المسجد وكانوا ينتظرون فتحه ليصلوا فيه بامره على العادة فاوحى فاشار اليهم لقوله الا رمزا ان سبحوا صلوا وان هي المفسرة بكرة وعشيا طرفي النهار يا يحيى على تقدير القول خذ الكتاب التورية بقوة بجد قبوله وكون اخذه بقوة العمل به كما هو حقه واتيناه الحكم يعني الحكمة وفهم التورية صبيا قيل دعاه الصبيان الى اللعب فقال ما للعب خلقنا انتهى ابو الحيان

قال رب اجعل لي آية علامة اعلم بها وقوع ما بشرتني به قال آيتك الا تكلم الناس ثلث ليال سويا سوي الخلق ما بك من خرس ولا بكم وانما ذكر الليالي ههنا والايام في ال عمران للدلالة على انه استمر عليه المنع من كلام الناس والتجرد للذكر والشكر ثلثة ايام ولياليهن اي حال كونك سوي الاعضاء واللسان يعني علامتك ان تمنع الكلام فلا تطيقه وانت سليم الجوارح ما بك خرس وما بكم فخرج على قومه من المحراب من المصلى او من الغرفة فاوحى اليهم فاوحى اليهم لقوله الا رمزا وقيل كتب لهم على الارض ان سبحوا صلوا او نزهوا ربكم بكرة وعشيا طرفي النهار ولعله كان مامورا بان يسبح ويامر قومه بان يوافقوه وان يحتمل ان يكون مصدرية وان تكون مفسرة يا يحيى على تقدير القول خذ الكتاب التورية بقوة بجد واستظهار بالتوفيق واتيناه الحكم صبيا يعني الحكمة وفهم التورية وقيل النبوة احكم الله تعالى عقله في صباه واستنباه انتهى

قال رب اجعل لي آية اي علامة تدلني على تحقق المسئول ووقوع الحبل ولم يكن هذا السؤال منه عليه السلام لتاكيد البشارة وتحقيقها كما قيل فان ذلك مما لا يليق بمنصب الرسالة وانما كان ذلك لتعريف وقت العلوق حيث كانت البشارة مطلقة عن تعيينه وهو امر خفي لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله تعالى عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة بالشكر من حين حدوثها ولا يؤخره الى ان تظهر ظهورا معتادا وقد مرت الاشارة في تفسير سورة ال عمران الى ان هذا السؤال ينبغي ان يكون بعد ما مضى بعد البشارة برهة من الزمان لما يروى ان يحيى كان اكبر من عيسى عليهما السلام بستة اشهر او بثلث سنين ولا ريب في ان دعاء زكريا عم كان في صغر مريم لقوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه وهي انما ولدت عيسى عم وهي بنت عشر سنين او بنت ثلث عشرة سنة والجعل ابداعي واللام متعلقة به وتقديمها على المفعول به لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف وقع حالا من آية اذ لو تاخر لكان صفة لها وقيل بمعنى التصيير المستدعي لمفعولين اولهما آية وثانيهما الظرف وتقديمه لانه لا مسوغ لكون آية مبتدأ عند انحلال الجملة الى مبتدأ وخبر سوى تقديم الظرف فلا يتغير حالهما بعد ورود الناسخ قال آيتك ان لا تكلم الناس اي ان لا تقدر على ان تكلم بكلام الناس مع القدرة على الذكر والتسبيح ثلث ليال مع ايامهن للتصريح بها في سورة ال عمران سويا حال من فاعل تكلم مفيد لكون انتفاء التكلم بطريق الاضطرار دون الاختيار اي تمنع الكلام فلا تطيق به حال كونك سوي الخلق سليم الجوارح ما بك شائبة بكم ولا خرس فخرج على قومه من المحراب اي من المصلى او من الغرفة وكانوا من وراء المحراب ينتظرون ان يفتح لهم الباب فيدخلوه ويصلوا اذ خرج عليهم متغيرا لونه فانكروه وقالوا ما لك فاوحى اليهم اي اومى اليهم لقوله تعالى الا رمزا وقيل كتب على الارض ولن في قوله تعالى ان سبحوا اما مفسرة لاوحى او مصدرية والمعنى اي صلوا او بان صلوا بكرة وعشيا هما ظرفا زمان للتسبيح عن ابي العالية ان المراد بهما صلوة الفجر وصلوة العصر او نزهوا ربكم طرفي النهار ولعله كان مامورا بان يسبح شكرا ويامر قومه بذلك يا يحيى استئناف طوي قبله جمل كثيرة مسارعة الى الانباء بانجاز الوعد الكريم اي قلنا يا يحيى خذ الكتاب اي التورية بقوة اي بجد واستظهار بالتوفيق واتيناه الحكم صبيا قال ابن عباس رضي الله عنهما الحكم النبوة استنباه وهو ابن ثلث سنين وقيل الحكم الحكمة وفهم التورية والفقه في الدين روي انه دعاه الصبيان الى اللعب فقال ما للعب خلقنا انتهى ابو السعود رحمه الله

قال رب اجعل لي آية اي علامة على حمل امراتي قال له حين جاء والشيطان وقال ان هذا النداء لك ليس من الله تعالى انما هو من الشيطان ولو كان من الله تعالى لاوحي اليك كما كان يوحي اليك بظهور جبرئيل لك قال آيتك الا تكلم الناس ثلث ليال سويا اي صحيح الخلق من غير خرس ولا مرض فسويا حال من ضمير زكريا في تكلم وذكر الليالي هنا والايام في ال عمران يدل على ان المنع من الكلام استمر به ثلثة ايام ولياليهن ورجع تلك الليلة الى امراته فقربها ووقع الولد في رحمها فلما اصبح اعتقل لسانه عن كلام الناس فاذا اراد ذكر الله تعالى انطلق لسانه وكان قومه ينتظرونه ليخرج الى الصلوة فخرج على قومه من المحراب اي خرج صبيحة حمل امراته من مسجده متغيرا لونه وحاله فانكروه وكان من عادته ان يامرهم بالصلوة فقالوا ما لك يا زكريا فاوحى اليهم اي اشار باصبعه وقيل كتب على الارض ان سبحوا اي صلوا لله تعالى بكرة اي غدوة وعشيا وقيل هو حقيقة التسبيح فعرف بذلك انه آية الولد ثم اخبر تعالى انه وهب له يحيى وقال يا يحيى خذ الكتاب اي اوحى اليه ان يا يحيى خذ التورية بقوة اي باجتهاد ومواظبة واتيناه الحكم اي اجرينا على لسانه في صغره الحكم وهو الفهم للتورية والفقه في الدين وقيل اعطيناه النبوة صبيا اي في حال الصبا وهو ابن ثلث او سبع سنين فقرا التورية وهو صغير يحكم بها قيل دعاه الصبيان الى اللعب فقال ما خلقنا للعب وهو ابن ثلث سنين واتيناه حنانا الاية

انتهى العيون

وحناناً من لدنا عطف على الحكم وتنوينه للتفخيم وهو التحنن والاشتياق ومن متعلقة بمحذوف
وقع صفة له مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي واتيناه رحمة عظيمة
عليه كائنة من جنابنا او رحمة في قلبه وشفقة على ابويه او وفقناه للتصدق على الناس وكان تقيا
مطيعا متجنبا عن المعاصي وبرا بوالديه عطف على تقيا اي بارا بهما لطيفا بهما محسنا اليهما ولم يكن جبارا عصيا
متكبرا عاقا لهما او عاصيا لربه وسلام عليه من الله عز وجل يوم ولد من ان يناله الشيطان بما ينال به بني ادم ويوم يموت
من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من هول القيمة وعذاب النار واذكر في الكتاب كلام مستانف خوطب به النبي
صلى الله عليه وسلم وامر بذكر قصة مريم اثر قصة زكريا لما بينهما من كمال الاشتباك والمراد بالكتاب السورة
الكريمة لا القران اذ هي التي صدرت بقصة زكريا المستتبعة لذكر قصتها وقصص الانبياء المذكورين فيها
اي واذكر للناس مريم اي نباها فان الذكر لا يتعلق بالاعيان وقوله اذ انتبذت ظرف لذلك المضاف
لكن لا على ان يكون المامور به ذكر نباها عند انتباذها فقط بل كل ما عطف عليه وحكي بعده بطريق الاستيناف
داخل في حيز الظرف متمم للنبا وقيل بدل اشتمال من مريم على ان المراد بالظرف ما وقع فيه وقيل اذ
بمعنى ان المصدرية كما في قولك اكرمتك اذ لم تكرمني اي لان لم تكرمني فهو بدل اشتمال لا محالة وقوله تعالى
من اهلها متعلق بانتبذت وقوله مكانا شرقيا مفعول له باعتبار ما في ضمنه من معنى الاتيان المترتب
وجودا واعتبارا على اصل معناه العامل في الجار والمجرور وهو السر في تاخيره عنه اي اعتزلت
وانفردت منهم واتت مكانا شرقيا من بيت المقدس او من دارها لتتخلى هنالك للعبادة وقيل
قعدت في مشرقة لتغتسل من الحيض محتجبة بحائط او بشيء يسترها وذلك قوله تعالى فاتخذت
من دونهم حجابا وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها واذا طهرت عادت الى المسجد فبينا هي
في مغتسلها اتاها الملك عليه السلام في صورة ادمي شاب امرد وضي الوجه جعد الشعر وذلك قوله تعالى
فارسلنا اليها روحنا اي جبرئيل عليه السلام عبر عنه بذلك توفية للمقام حقه وقرئ بفتح الراء لكونه سببا لما فيه روح
العباد الذي هو عدة المقربين في قوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان فتمثل لها بشرا سويا سوي الخلق هو عدة سالة
كامل البنية لم يفقد من حسان نعوت الادمية شيئا وقيل تمثل في صورة ترب لها اسمه يوسف
من خدم بيت القدس وذلك لتستانس بكلامه وتتلقى منه ما يلقي اليها من كلماته تعالى اذ لو بدا لها على
الصورة الملكية لنفرت منه ولم تستطع مفاوضته واما ما قيل من ان ذلك لتهييج شهوتها فتنحدر
نطفتها الى رحمها فمع مخالفته لمقام بيان اثار القدرة الخارقة للعادة يكذبه قوله تعالى قالت اني اعوذ بالرحمن منك
فانه شاهد عدل بانه لم يخطر ببالها شائبة ميل ما اليه فضلا عما ذكر من الحالة المترتبة على اقصى مراتب الميل
والشهوة نعم كان تمثله على ذلك الحسن الفائق والجمال الرائق لابتلائها وسبر عفتها ولقد ظهر منها الورع والعفاف
ما لا غاية وراءه وذكره تعالى بعنوان الرحمانية للمبالغة في العياذ به تعالى واستجلاب اثار الرحمة الخاصة التي هي
العصمة مما دهمها وقوله تعالى ان كنت تقيا تتقي الله تعالى وتبالي بالاستعاذة به وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة
السياق عليه اي فاني عائذة به او فتتعوذ بتعوذي او فلا تتعرض لي
انتهى ابو السعود رحمه الله
قوله وحنانا من لدنا اي واتيناه رحمة لابويه وغيرهما واصله الرقة والاشفاق وزكوة اي واتيناه صدقة منا على ابويه
واهل زمانه وكان تقيا اي مطيعا لربه ومعرضا عما سواه وبرا بوالديه اي محسنا اليهما غير عاص لربه ولم يكن جبارا
اي قتالا عند الغضب ولا متكبرا عصيا اي لم يكن عاصيا لربه وسلام اي السلامة منا عليه يوم ولد من طعن
الشيطان ويوم يموت من الشرك ويوم يبعث حيا من هول القيمة المراد به انه منعم بالسلامة منا في هذه الاحوال
العظام الولادة والموت والبعث اي بعث الموقف فانها اوحش الحالات ثم امر الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم
بان يقرأ عليهم ما انزل عليه جبرئيل عليه السلام من خبر مريم موافقا لعلمهم ليؤمنوا به وبالقران فقال واذكر في الكتاب
اي القران مريم اي خبرها اذ انتبذت اي حين اعتزلت من اهلها اذ بدل من مريم بدل اشتمال لان الاحيان
مشتملة على ما فيها مكانا شرقيا اي في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس او من دارها يعني تخلت للعبادة نحو المشرق
معتزلة عن الناس وقيل قعدت في مشرقة الشمس في دار اهلها وكان الوقت شتاء تفلي ثيابها او تغتسل
من حيضها وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها زوجة زكريا عليه السلام واذا طهرت عادت الى المسجد
فاتخذت من دونهم حجابا اي ارخت من ادنى مكان اهلها سترا استترت به منهم فارسلنا اليها روحنا اي جبرئيل

فتمثل اي تشبه لها بشرا سويا يعني اتاها الملك في صورة ادمي شاب امرد حسن الوجه
سوي الخلق اي لم ينتقص من الصورة البشرية شيئا لتستانس بكلامه ولا تنفر عنه
فكان تمثله كذلك ابتلاء لها وسبر العفتها قيل قام جبرئيل عم بين يديها في صورة
ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس قالت اني اعوذ بالرحمن منك يا شاب
ان كنت تقيا اي ممن يتقي الله ويخشاه ويطيعه فلا تقربني وانما قالت
ذلك لان التقي يتعظ بالله تعالى ويخاف والفاسق يخوف بالسلطان
والمنافق يخوف بالناس انتهى
العيونه
دبيراتخ

وحنانا من لدنا ورحمة منا عليه او رحمة وتعطفا
في قلبه على ابويه وغيرهما عطفا على الحكم وزكوة
وطهارة من الذنوب او صدقة اي تصدق الله به
على ابويه او مكنه ووفقه للتصدق على الناس
وكان تقيا مطيعا متجنبا عن المعاصي وبرا بوالديه
ولم يكن جبارا عصيا عاقا او عاصيا ربه وسلام
عليه من الله يوم ولد من ان يناله الشيطان
بما ينال به بني آدم ويوم يموت من عذاب القبر
ويوم يبعث حيا من عذاب النار وهول القيمة
واذكر في الكتاب في القرآن مريم يعني قصتها اذ انتبذت
اعتزلت بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان
مشتملة على ما فيها او بدل الكل لان المراد بمريم
قصتها وبالظرف الامر الواقع فيه وهما واحد
او ظرف لمضاف مقدر وقيل اذ بمعنى ان المصدرية
كقولك لا اكرمك اذ لم تكرمني فيكون بدلا لا محالة
من اهلها مكانا شرقيا شرقي بيت المقدس
او شرقي دارها ولذلك اتخذ النصارى
المشرق قبلة ومكانا ظرف او مفعول لان
انتبذت متضمنة معنى اتت فاتخذت من
دونهم حجابا سترا فارسلنا اليها روحنا فتمثل
لها بشرا سويا قيل قعدت في مشرقة للاغتسال
من الحيض محتجبة بشيء يسترها وكانت
تتحول من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت
وتعود اليه اذا طهرت فبينما هي في مغتسلها
اتاها جبرئيل عم متمثلا بصورة شاب امرد
سوي الخلق لتأنس بكلامه ولعله ليهيج شهوتها
فتنحدر نطفتها الى رحمها قالت اني اعوذ بالرحمن
منك من غاية عفافها ان كنت تقيا تتقي الله
وتحتفل بالاستعاذة وجواب الشرط محذوف
دل عليه ما قبله اي فاني عائذة منك او فتعوذ
بتعوذي او فلا تتعرض لي ويجوز ان يكون للمبالغة
اي ان كنت تقيا متورعا فاني اعوذ منك فكيف
اذا لم تكن كذلك

وحنانا شفقة ورحمة للناس وانا قال من لدنا مع ان الكل
من عند الله تعالى للدلالة على ان شفقته عم كانت زائدة
عليها في جبلة الناس خارجة عن العادة وزكوة وطهارة
من الذنوب فلم يعمد بذنب وكان تقيا مستمرا على
الطاعة والتجنب عن المعاصي وبرا بوالديه ومحسنا
اليهما في الغاية ولم يكن جبارا عصيا الجبار الذي يعاقب
على غضب نفسه لا على استحقاق الجاني قال الله تعالى واذا
بطشتم بطشتم جبارين والعصي المبالغ في العصيان
وهو مخالفة الامر كان الظاهر المبالغة في النفي دون
المنفي والعدول عنه للاشعار بان شان النفوس
القوية البلوغ الى الغاية في كل صفة تتصف بها محمودة
كانت او مذمومة والسلام عليه تحية من الله تعالى
يوم ولد اتي هنا بصيغة الماضي وفي قوله ويوم يموت
بصيغة المضارع لان مساق الكلام بعد ولادته و
قبل موته ويوم يبعث مطلق البعث يعم ما في القبر
الا انه ح لا يطلق عليه الحي فقوله حيا لتعيين بعث
الاخرة او حشر ما يكون الخلق في ثلثة مواطن يوم ولد
ويوم يموت ويوم يبعث هذه فجاءات ثلث لا فجاءة
اعظم منها وحيي عليه السلام يحيى بالسلام في هذه
المواطن العظام واذكر في الكتاب اي القرآن مريم يعني
قصتها اذ ظرف لمضاف مقدر وقيل اذ بمعنى ان المصدرية
وتقديره واذكر مريم انتباذها على ان انتباذها بدل
من مريم واما ما قيل بدل من قصة مريم بدل الاشتمال
لان الاحيان مشتملة على ما فيها او بدل الكل لان المراد
من الظرف الامر الواقع فيه فلا يرد عليه ان الزمان
انما لم يكن خبرا عن الجثة ولا حالا منها ولا وصفا لها لا يكون
بدلا منها انتبذت انفردت وتقربت نبذة اي ناحية
وهذا اذا جلس قريبا منك حتى لو نبذت اليه شيئا
وصل اليه ولذلك احتاجت الى ضرب الستر بينها وبينهم
ويرشد الى هذا قوله من دونهم من اهلها مكانا انتصابه
على تضمن الانتباذ معنى الاتيان او على الاتساع شرقيا
شرقي بيت المقدس او شرقي دارها ولذلك اتخذ النصارى
المشرق قبلة فاتخذت من دونهم حجابا سترا يسترها عن الخلق
بدلالة قوله من دونهم قيل قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض
فاحتجبت بشيء يسترها فارسلنا اليها روحنا اي جبرائيل عم
والاضافة للتشريف فتمثل لها اي تصور لمريم بشرا سويا
معتدل الخلق حسن الصورة وانما تمثل كذلك لتأنس بكلامه
وتهييج شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها اذ ح لا يكون مثله كمثل
آدم عليه السلام في الخلق بلا واسطة نطفة او لئلا تنفر عنه ولتسمع كلامه وتبتلى به
فتظهر عفتها وامارات رجلا قد دخل عليها فجاءة في الخلوة ظنت انه يريدها بسوء فعلمت انها لا تقدر على دفع ذلك فاستغاثت
فاستعاذت بالله قالت اني اعوذ بالرحمن منك استيناف على تقدير سؤال وفي ذكر الرحمن تذكير ليوم الجزاء فانه رحيم الدنيا
والرحمن الاخرة ان كنت تقيا تتقي الله وتخشاه فلا تتعرض بحذف الجزاء لدلالة الحال عليه

قال عكرمة ان يحيى وعيسى عليهما السلام التقيا يوما وهما ابنا خالة وكان اسم ام يحيى
اشوع وكانت ام عيسى مريم فقال عيسى ليحيى انت افضل مني فقال يحيى لعيسى بل
انت افضل مني قال يحيى لم قال عيسى لان الله تعالى سلم عليك يعني اختارك
فقال وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا وانا سلمت على نفسي
والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا
نيسابوري

قال جبرئيل انما انا رسول ربك في عبارة الرسول
اشارة الى ان توسطه في الخبر دون الاثر • واتى بالرب
مضافا اليها لنوع من الدلالة في اول الكلام على ان الرسالة
لايصال النعمة والاحسان الخاص بها من بين العباد • و
ولما كان في مفهوم الخبر باعتبار هذا المعنى مظنة الاستبعاد
اكده بانما لاهب لك حكاية لقول الله تعالى دل على
ذلك قراءة ليهب بالياء • ويناسبه وصف الرسالة •
وفي عبارة الهبة اشارة الى ان ما اعطى لها يصل اليها
بسهولة غلاما قد مر ما فيه من وجوه البشارة زكيا
طاهرا من الادناس او ناميا على الخير والبركة قالت
انى كيف يكون لي غلام ولد ولم يمسسني بشر
جعل المس هنا بقرينة المقابلة عبارة عن النكاح الحلال
ولم اك بغيا فاجرة تبغي الرجال اي تطلب الشهوة من
اي رجل كان ولا يكون الولد عادة الا من احد هذين
والبغي فعول فقلبت الواو ياء وادغمت وكسرت
الغين اتباعا ولذا لم تلحق تاء التانيث او فعيل ولم تلحقها
الهاء لانها بمعنى مفعولة وان كانت بمعنى فاعلة فهو قد
يشبه به نحو ملحفة جديد قال كذلك الامر كذلك من خلق
غلام منك بغير اب قال ربك هو علي هين اي اعطاء
الولد بلا اب علي سهل ولنجعله تعليل معلله محذوف
اي وجعلنا ذلك لنجعله آية للناس علامة لهم و
برهانا على كمال قدرتنا ورحمة منا على العباد يهتدون
بارشاده وكان خلقه امرا مقضيا تعلق به قضاء الله
تعالى في الازل فلما اطمانت الى قوله دنا منها فنفخ
في جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها انتهى ابن الكمال

قال انما انا رسول ربك الذي استعذت به لاهب لك
غلاما لاكون سببا في هبته بالنفخ في الدرع
ويجوز ان يكون حكاية لقول الله تعالى ويؤيده
قراءة ابي عمرو والاكثر عن نافع ويعقوب
بالياء زكيا طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير
اي مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح
قالت انى كيف يكون لي غلام ابن ولم يمسسني بشر
زوج بالنكاح ولم اك بغيا فاجرة تبغي الرجال
اي تطلب الشهوة من اي رجل كان ولا يكون
الولد عادة الا من احد هذين • والبغي فعول
عند المبرد بغوي قلبت الواو ياء وادغمت
وكسرت الغين اتباعا • ولذا لم تلحق علامة التانيث
كما لم تلحق في امرأة صبور وشكور • وعند غيره
فعيل ولم تلحقها الهاء لانها بمعنى مفعولة
وان كانت بمعنى فاعلة فهو يشبه به مثل ان
رحمة الله قريب من المحسنين قال جبرئيل
كذلك اي الامر كما قلت لم يمسسك رجل نكاحا
او سفاحا قال ربك هو علي هين اي اعطاء
الولد علي سهل ولنجعله اي فعلنا ذلك لنجعله
آية للناس او لنبين به قدرتنا ولنجعله آية
للناس اي عبرة وبرهانا على قدرتنا ورحمة
منا لمن آمن به وكان خلق عيسى امرا مقضيا
مقدرا مسطورا في اللوح انتهى

قال انما انا رسول ربك يريد عليه السلام اني لست ممن يتوقع
منه ما توهمت من الشر وانما انا رسول ربك الذي استعذت
به لاهب لك غلاما اي لاكون سببا في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز ان يكون ذلك حكاية لقوله تعالى ويؤيده القراءة
بالياء • والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرها لتشريفها وتسليتها والاشعار بعلة الحكم فان هبة
الغلام لها من احكام تربيتها • وفي بعض المصاحف امرني ان اهب لك غلاما زكيا طاهرا من الذنوب او ناميا
على الخير اي مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح قالت انى يكون لي غلام كما وصفت ولم يمسسني بشر اي والحال
انه لم يباشرني بالنكاح رجل • وانما قيل بشر مبالغة في بيان تنزهها من مبادي الولادة ولم اك بغيا عطف على لم يمسسني
داخل معه في حكم الحالية مفصح عن كون المساس عبارة عن المباشرة بالنكاح اي ولم اكن فاجرة تبغي الرجال وهي
فعول بمعنى الفاعل اصلها بغوي • فادغمت الواو بعد قلبها ياء في الياء • وكسرت الغين للياء • وقيل هي فعيل
بمعنى الفاعل والا لقيل بغوة كما يقال فلان نهو عن المنكر • وانما لم تلحقه التاء لانها من باب النسب كطالق
او بمعنى المفعول اي يبغيها الرجال للفجور بها قال اي الملك تقريرا للمقالة وتحقيقا لها كذلك اي الامر كما قلت
لك وقوله تعالى قال ربك الخ استئناف مقرر له اي قال ربك الذي ارسلني اليك هو اي ما ذكرت
لك من هبة الغلام من غير ان يمسك بشر اصلا علي خاصة هين وان كان مستحيلا عادة لما اني لا احتاج
الى الاسباب والوسائط وقوله تعالى ولنجعله آية للناس اما علة لمعلل محذوف اي ولنجعل وهب الغلام آية لهم

آية لهم وبرهانا يستدلون به على كمال قدرتنا نفعل ذلك • او معطوف على علة اخرى مضمرة اي لنبين به
عظم قدرتنا ولنجعله آية الخ والواو على الاول اعتراضية • والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال الجلالة
ورحمة عظيمة كائنة منا عليهم يهتدون بهدايته ويسترشدون بارشاده • وكان ذلك امرا مقضيا محكما
قد تعلق به قضاؤنا الازلي او قدر وسطر في اللوح لابد من جريانه عليك البتة او كان امرا حقيقا بان يقضى
ويفعل لتضمنه حكما بالغة انتهى ابو السعود

قال جبرئيل عليه السلام انما انا رسول ربك لاهب لك بامره وقرئ ليهب اي الله لك غلاما زكيا اي ولدا طاهرا الا يعاقب
ذنبا مدة حيوته قالت مريم لجبريل انى اي من اين يكون لي غلام اي ولد والحال انه لم يمسسني بشر اي
لم يقربني زوج • يقال في النكاح مس وفي السفاح زنى او فجر او خبث ولم اك بغيا اي فاجرة تبغي اي تطلب
الرجال • ولم تقل بغية لانه وصف غالب على المؤنث كحايض قال جبرئيل الامر كذلك اي كما قلت لك او كما قلت انت
قال ربك هو اي خلقه بلا فحل علي هين اي يسير لنبين به قدرتنا ولنجعله آية اي علامة على قدرتنا وعبرة للناس
ورحمة منا اي نعمة على الخلق ممن آمن به • وكان خلق عيسى عليه السلام امرا مقضيا اي محكوما بوقوعه لا محالة قيل انه
نفخ في جيب درعها او في كمها وقيل نفخ من بعيد فوصل النفخ الى بطنها انتهى العيون

فحملته بان نفخ جبرئيل ع م في درعها فدخلت النفخة في جوفها قيل انه عليه السلام رفع درعها فنفخ في جيبه فحملت
وقيل نفخ عن بعد فوصل الريح اليها فحملت في الحال وقيل نفخ عن بعد فوصل الريح اليها فحملت في الحال وقيل ان النفخة
كانت في فمها وكانت مدة حملها سبعة اشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية اشهر غيره و
قيل تسعة اشهر وقيل ثلث ساعات وقيل ساعة كما حملت وضعته وسنها حينئذ ثلث عشرة سنة وقيل تسع ساعات
وقيل ساعة كما حملت وضعته وسنها حينئذ ثلث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين **فانتبذت به**
اي فاعتزلت وهو في بطنها كما في قوله تدوس بنا الجماجم والتريبا فالجار والمجرور في حيز النصب على الحالية
اي فانتبذت ملتبسة به **مكانا قصيا** بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار وهو الانسب بقصر مدة الحمل
فاجاءها المخاض اي فالجأها وهو في الاصل منقول من جاء لكنه لم يستعمل في غيره الولد في بطنها للخروج **الى جذع**
النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا راس لها
ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثمة غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس
ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها من آياتها ما يسكن روعتها ويطعمها الرطب الذي خرسة النفساء الموافقة لها
قالت يا ليتني مت بكسر الميم من مات يمات كخفت وقرئ بضمها من مات يموت **قبل هذا** اي الوقت الذي
لقيت فيه ما لقيت وانما قالته مع انها كانت تعلم ما جرى بينها وبين جبرئيل عليه السلام من الوعد الكريم استحياء
من الناس وخوفا من لائمتهم او حذرا من وقوع الناس في المعصية بما تكلموا فيها او جريا على سنن الصالحين
عند اشتداد الامر عليهم كما روي عن عمر رضي الله عنه انه اخذ تبنة من الارض فقال يا ليتني هذه التبنة
ولم اكن شيئا وعن بلال انه قال ليت بلالا لم تلده امه **وكنت نسيا** اي شيئا تافها شانه ان ينسى
ولا يعتد به اصلا وقرئ بالكسر قيل هما لغتان في ذلك كالوتر والوتر وقيل هو بالكسر اسم لما ينسى
كالنقض اسم لما ينقض وبالفتح مصدر سمي به المفعول مبالغة وقرئ بهما مهموزا من نسأت اللبن اذا
صببت عليه الماء فصار مستهلكا فيه وقرئ نسا كعصا **منسيا** لا يخطر ببال احد من الناس وهو نعت
للمبالغة وقرئ بكسر الميم اتباعا له بالسين **فناداها** اي جبرئيل عليه السلام **من تحتها** قيل انه كان يقبل الولد
وقيل من تحتها اي من مكان اسفل منها تحت الاكمة وقيل من تحت النخلة وقيل ناداها عيسى ع م
وقرئ فخاطبها من تحتها بفتح الميم **ان لا تحزني** اي لا تحزني على ان ان مفسرة او بان لا تحزني على انها مصدرية
قد حذف عنها الجار **قد جعل ربك تحتك** اي بمكان اسفل منك وقيل تحت امرك ان امرت بالجري
جرى وان امرت بالامساك امسك **سريا** اي نهرا صغيرا حكاه ذوي مرفوعا قال ابن عباس رضي الله عنهما
ان جبرئيل ع م ضرب برجله الارض فظهرت عين ماء عذب فجرى جدولا وقيل فعله عيسى عليه السلام
وقيل كان هناك نهر يابس اجرى الله عز وجل فيه الماء حينئذ كما فعل مثله بالنخلة فانها كانت نخلة يابسة
لا راس لها ولا ورق فضلا عن الثمر وكان الوقت شتاء فجعل الله لها اذ ذاك راسا وخوصا وثمرا
وقيل كان هناك ماء جار والاول هو الموافق لمقام بيان ظهور الخوارق والمتبادر من النظم الكريم وقيل
سريا اي سيدا نبيا رفيع الشان جليلا وهو عيسى عليه السلام فالتنوين للتفخيم والجملة تعليل لانتفاء الحزن
المفهوم من النهي عنه والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرها لتشريفها وتاكيد التعليل وتكميل التسلية
انتهى ابو السعود

فحملته اي حملت عيسى في بطنها عقيب النفخ يدل عليه فاء التعقيب ويشهد عليه ما روي ان مدة حمله كانت ساعة
اي كما حملته وضعته وقيل ثلث ساعات وقيل غير ذلك منها **فانتبذت به** اي انفردت بما هو في بطنها من الحمل **مكانا قصيا**
اي بعيدا من اهلها وراء الجبل او وراء الدار وانما بعدت لئلا تعير بولادتها من غير زوج قيل كانت بنت عشر سنين
وقد حاضت قبل ذلك حيضتين **فاجاءها** تعدية جاء بالهمزة اي الجاءها **المخاض** وهو وجع الولادة يقال مخضت
الحامل اذا تحرك الولد في بطنها للخروج قوله **الى جذع النخلة** متعلق باجاء لانتقاله الى معنى الالجاء بالاستعمال
اي الى اصل النخلة اليابسة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة اذ لم يكن لها قابلة تعينها **قالت يا ليتني مت قبل هذا**
اي هذا الذي انا فيه من الشدة قالته من فرط الحياء والخجالة من الناس على حكم عادة البشرية لا كراهة لحكم الله تعالى
وكنت نسيا بفتح النون وكسرها هو الشيء الحقير الذي ينسى لحقارته **منسيا** اي متروكا لم اذكر وقيل النسي هو الحيضة
اي خرقة الحائض **فناداها** اي خاطبها حين سمع جزعها بالولادة **من تحتها** بفتح الميم اي جبرئيل لانه كان في مكان اسفل عنها
وقيل عيسى عليه السلام حين خرج من بطن امه يعني من تحت ذيلها وبكسر الميم فالمنادي عيسى او جبرئيل عليهما السلام والهاء للنخ[لة]
الا تحزني

فحملته بان نفخ في درعها فدخلت النفخة في جوفها فحملت به
وكانت مدة حملها سبعة اشهر وقيل ستة وقيل ثمانية
ولم يعش مولود وضع لثمانية غيره وقيل ساعة
كما حملته نبذته وسنها ثلاث عشرة سنة وقيل
عشر سنين وقد حاضت حيضتين فانتبذت به
فاعتزلت وهو في بطنها كقوله تدوس بنا الجماجم
والتريبا والجار والمجرور في موضع الحال مكانا قصيا
بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار فاجاءها
المخاض فالجاءها المخاض وهو في الاصل منقول من جاء
لكنه خص في الاستعمال كاتى في اعطى وقرئ المخاض
بالكسر وكلاهما مصدر مخضت المراة اذا تحركت الولد في
بطنها للخروج الى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه
عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت
نخلة يابسة لا راس لها ولا خضرة وكانت الوقت
شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن
ثمة غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى
الهمها ذلك ليريها من آياتها ما يسكن روعتها
ويطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء
الموافقة لها قالت يا ليتني مت قبل هذا استحياء
من الناس ومخافة لومهم وقرا ابن كثير وابو عمرو
وابن عامر وابو بكر مت من مات يموت وكنت
نسيا ما من شانه ان ينسى ولا يطلب ونظيره
الذبح لما يذبح وقرا حفص وحمزة بالفتح وهو لغة
فيه او مصدر سمي به وقرئ به وبالهمز وهو الحليب
المخلوط بالماء ينسؤه اهله لقلته منسيا منسي الذكر
بحيث لا يخطر ببالهم وقرئ بكسر الميم على الاتباع
فناداها من تحتها عيسى وقيل جبريل كان يقبل
الولد وقيل تحتها اسفل من مكانها وقرا نافع
وحمزة والكسائي وحفص ومن تحتها بالكسر
والجر على ان في نادى ضمير احدهما وقيل الضمير في
تحتها للنخلة الا تحزني اي لا تحزني او بان لا تحزني
قد جعل ربك تحتك سريا جدولا هكذا روي
مرفوعا وقيل سيدا من السرو وهو عيسى اسمى

فحملته اي الموهوب فانتبذت به اي فاعتزلت به
وهو في بطنها والجار والمجرور في موضع الحال مكانا قصيا
بعيدا من اهلها فاجاءها جاء بها ذكره الجوهري وقيل
الجاءها وهو منقول من جاء الا ان استعماله قد تغير
بعد النقل الى معنى الالجاء ونظيره اتى حيث لم يستعمل
الا في معنى الاعطاء وفيه نظر قال الجوهري واتاه اي
اتى به ومنه قوله تعالى آتنا غداءنا اي ائتنا به المخاض
وقرئ بالكسر وكلاهما مصدر مخضت المراة اذا تحرك
الولد في بطنها للخروج الى جذع النخلة كانها طلبت شيئا
تستند اليه وتتعلق به كما تتعلق الحامل لشدة
وجع الطلق والجذع ساق النخلة اليابسة الذي
لا سقف عليه ولا غصن لعله تعالى الهمها ذلك
ليريها من آياتها ما تسكن روعتها ويطعمها الرطب
الذي هو طعام النفساء والتعريف للجنس ولا مساغ
للعهد لان شرطه ان يكون معروفا عند المخاطب
وهو مفقود ههنا قالت يا ليتني مت قبل هذا
ليس تمني الموت لما عرضتها من شدة وجع الطلاق
اذ لا حاجة حينئذ الى قوله وكنت نسيا منسيا بل لانها
خافت ان يقع قومها بسببها في البهتان والنسبة
الى الزنا وتمني الموت من جهة الرب جائز وقرئ نسيا
بالفتح وهما لغتان كالوتر والوتر وهو الشيء المتروك
لا يذكر كانه منسي وقيل ما شانه ان ينسى ولا يطلب
كالذبح لما يذبح وقيل هو بالفتح مصدر وبالكسر
اسم للمنسي المتروك كالنفس والنفس فناداها
كانت الملائكة مخاطبة لها يعضده قراءة فخاطبها
من تحتها وهو جبريل لانه كان من تحت ذيلها
وقرئ بالكسر والفاعل مضمر وهو عيسى او جبريل عليهما السلام
على ان الهاء في تحتها للنخلة الا تحزني اي لا تحزني
او بان لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا جدولا
هكذا روي مرفوعا قال ابن عباس رضي الله عنهما كان ذلك
نهرا قد انقطع ماؤه فاجراه الله تعالى لمريم والنهر يسمى
سريا لان الماء يسري فيه فان قلت ما تقول في قول
الحسن سيدا من السرو يعني عيسى قلت ليس بقول
حسن لانه مخالف للتفسير المرفوع وفي الكشاف اذا جاء
نهر الله بطل نهر معقل
قال القاضي لا راس لها ولا خضرة صوابه ولا غصن اذ لا احتمال للخضرة في النخلة
الا تحزني بولادة عيسى عليه السلام وبكاء التخطئة
وبشارتها لها ما هو معجزة تظهر به براءتها لشدة ما لقيت
وان فيه مفسرة للنداء قد جعل ربك تحتك سريا اي نهرا
صغيرا يعني جعله تحت قدمك او جعله تحت امرك ان امرته تفقه وقيل ضرب عيسى عليه السلام بعقبه الارض
فظهر عين ماء عذب مجرى النهر اليابس فاخضرت النخلة اليابسة واثمرت واينعت ثمرها فقيل لها وهزي اليك الآية
انتهى العيون

فعتان

وهزي اليك الهز تحريك مخصوص تتبعه الحركتان الممتدا
الي الجهتين المتقابلتين • وتعديته بالي لتضمنه معنى المد •
وفائدته التوطية لما قصد بقوله عليك فان الهز اذا
لم يكن بالمد لا يكون سقوط الثمر على الهاز • والباء في
قوله بجذع النخلة متعلق بالبطش الكاتب اقتضاء
تساقط عليك في تساقط تسع قراءات • تساقط
بادغام التاء • وتتساقط بالفك • وتسقط بطرح
الثانية • ويساقط بالياء وادغام التاء • وتسقط
وتسقط بالتاء والياء من اسقط • وتسقط من سقط
بالتاء للنخلة والياء للجذع او للهز رطبا تمييزا ومفعول
جنيا اي مجنيا وهو الطري بعبادة البالغ نهاية النضج فكلي
من الجني واشربي من السري وقري عينا بالولد المرضي
وعينا تمييز اي طيبي نفسا بعيسى عليه السلام وارفضي
عنك ما احزنك • وقري قري بالكسر وهو لغة نجد و
اشتقاقه من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة
الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين وسخنتها للمحبوب
والمكروه او من القرار فان العين اذا رأت ما تسر
النفس سكنت اليه من النظر الى غيره فاما اصله ان ما
ضمت ان الشرطية الى ما وادغمت فيها ترين من البشر
احدا اي فان رأيت آدميا يسألك عن حالك فقولي
اني نذرت للرحمن صوما وامساكا عن الكلام اي صمتا
وقد قرئ به وكانوا يصومون عن الطعام الصوم في
الاصل هو الامساك عن الفعل مطعما كان او كلاما
او مشيا ذكره الفرغاني في شرح التائية فقوله تعالى
فلن اكلم اليوم تفسير لما تقدم لا تفريع عليه لان التقييد
بقوله انسيا يأباه كما لا يخفى • وقيل صياما حقيقة وكان
صومهم فيه الصمت • وانما امرت به لان عيسى عليه السلام
يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها ولئلا تجادل السفهاء
وانما اخبرتهم بانها نذرت الصوم بالاشارة وتسمى الاشارة
كلاما وقولا • ويجوز ان يكون اخبارها به بقوله فلن اكلم اليوم
انسيا قبيل دخول اليوم اي لا اكلم آدميا وانما اكلم الملائكة
وذلك ان العدول من احدا الى انسيا ليفيد بدلالة المفهوم
هذه الدقيقة ويدرج فيه معنى كراهة اخرى وهي رفعة منزلتها
انتهى

وهزي اليك بجذع النخلة واميليه اليك • والباء
مزيدة للتاكيد • او افعلي الهز والامالة به • او هزي
الثمرة بهزه • والهز تحريك بجذب ودفع تساقط
عليك تتساقط فادغمت التاء الثانية في السين
وحذفها حمزة • وقرأ يعقوب بالياء وحفص
تساقط من ساقطت بمعنى اسقطت • وقرئ
تتساقط ويسقط وتسقط • فالتاء للنخلة
والياء للجذع رطبا جنيا تمييز او مفعول • روي
انها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمر
وكان الوقت شتاء فهزتها فجعل الله تعالى لها رأسا
وخوصا ورطبا • وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات
الدالة على براءة ساحتها فان مثلها لا يتصور
لمن يرتكب الفواحش والمنبهة لمن رآها
على ان من قدر على ان يثمر النخلة اليابسة
في الشتاء قدر ان يحبلها من غير فحل وانه ليس
ببدع من شأنها مع ما فيه من الطعام والشراب
ولذا رتب عليه الامرين فقال فكلي واشربي اي
من الرطب وماء السري او من الرطب وعصيره
وقري عينا وطيبي نفسك وارفضي عنك ما احزنك
وقرئ قري بالكسر وهي لغة نجد واشتقاقه من
القرار فان العين اذا رأت ما يسر النفس
سكنت اليه من النظر الى غيره • او من القر فان
دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة
ولذلك قرة العيون وسخنتها للمحبوب والمكروه
فاما ترين من البشر احدا فان ترى آدميا
وقرئ ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج لتآخ
بين الهمزة وحرف اللين فقولي اني نذرت
للرحمن صوما صمتا وقد قرئ به او صياما وكانوا
لا يتكلمون في صيامهم فلن اكلم اليوم انسيا بعد
ان اخبرتكم بنذري وانما اكلم الملائكة واناجي ربي
وقيل اخبرتهم بنذرها بالاشارة وامرها بذلك
لكراهة المجادلة والاكتفاء بكلام عيسى فانه قاطع
في قطع الطاعن انتهى

وهزّي هز الشي تحريكه الى الجهات المتقابلة تحريكا عنيفا متداركا والمراد هٰهنا ما كان منه بطريق الجذب
والدفع لقوله تعالى اليك اي الى جهتك والباء في قوله تعالى بجذع النخلة صلة للتاكيد كما في قوله تعالى ولا تلقوا
بايديكم الى قال الفراء تقول العرب هزه وهز به واخذ الخطام واخذ بالخطام او لالصاق الفعل بمدخولها
اي افعلي الهز بجذعها او هزي الثمرة بهزه وقيل هي متعلقة بمحذوف وقع حالا من مفعول الهز اي
هزي اليك الرطب كائنا بجذعها تساقط اي تسقط النخلة عليك اسقاطا متواترا حسب تواتر
الهز وقرئ تسقط ويسقط من الاسقاط بالتاء والياء وتتساقط باظهار التائين وتساقط
بطرح الثانية ويساقط بادغامها في السين ويساقط بالياء كذلك وتسقط ويسقط من السقوط
على ان التاء في الكل للنخلة والياء للجذع وقوله تعالى رطبا على القراءات الثلث الاول مفعول وعلى الست البواقي
تمييز وقوله تعالى جنيا صفة له وهو ما قطع قبل يبسه فعيل بمعنى مفعول اي رطبا مجنيا اي صالحا للاجتناء
وقيل بمعنى فاعل اي طريا طيبا وقرئ جنيا بكسر الجيم للاتباع فكلي واشربي اي ذلك الرطب وماء السري
او من الرطب وعصيره وقري عينا وطيبي نفسا وارفضي عنها ما احزنك واهمك فانه تعالى قد نزه
ساحتك عما اختلج في صدور المتقيدين بالاحكام العادية بان اظهر لهم من البسائط العنصرية والمركبات
النباتية ما يخرق العادات التكوينية ويرشدهم الى الوقوف على سريرة العين اذا رات ما يسر النفس
سكنت اليه من النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك
يقال قرة العين وسخنة العين للمحبوب والمكروه فاما ترين من البشر احدا اي آدميا كائنا من كان وقرئ
ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج لما بين الهمزة والياء من التآخي فقولي له ان استنطقك اني نذرت للرحمن صوما
اي صمتا وقد قرئ كذلك او صياما وكان صيامهم بالسكوت فلن اكلم اليوم انسيا اي بعد ان اخبرتكم بنذري
وانما اكلم الملائكة واناجي ربي وقيل امرت بان تخبر بنذرها بالاشارة وهو الاظهر قال الفراء العرب تسمي
كل ما وصل الى الانسان كلاما باي طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر فاذا اكد لم يكن الا حقيقة الكلام وانما امرت
بذلك لكراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم والاكتفاء بكلام عيسى عم فانه نص قاطع في قطع الطعن ابو السعود رحمه الله

وهزي اي حركي اصل النخلة ومدي اليك بجذع النخلة تساقط عليك بضم التاء وكسر القاف وبفتح التاء والقاف
مع التخفيف والتشديد اي النخلة رطبا جنيا اي مجنيا او طريا قيل وانه لانه كان في الشتاء فوضعت يدها
على النخلة فسقط رطبها فكلي من الرطب واشربي من ماء النهر وقري عينا بابنك عيسى عليه السلام وبانتفاء التهمة عنك
بجري النهر اليابس وباخضرار النخلة اليابسة واثمارها قبل وقتها لانهم اذا راوا ذلك لم يستبعدوا ولادة ولد
بلا فحل سلاها بالسري والرطب من حيث انهما معجزتان تريان الناس انها من اهل العصمة والبعد من الريبة لا من
حيث انهما طعام وشراب ثم قال فاما ترين اي ان رايت من البشر احدا فسالك عن ولدك فقولي اني نذرت
للرحمن صوما اي صمتا يعني قولي ذلك بالاشارة لا باللفظ وكان ذلك الصوم من الكلام جائزا في شريعتهم
لا في شريعتنا وقيل انما امرت ان تنذر السكوت لان عيسى عليه السلام يكفيها الكلام مع السفهاء لتبرئة ساحتها
وقيل سوغ لها ذلك القدر بالنطق فلن اكلم اليوم انسيا اي آدميا فاقامت في غار حفنا مدة نفاسها اربعين يوما
بعيسى تكلم الملائكة دون الانس ثم حملته فاتت به قومها تحمله الا
انتهى العيون

واقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره واشار بسبابته فقال ما قال الخ وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى
بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان آتاني الكتاب اي الانجيل وجعلني نبيا مع ذلك مباركا نفاعا معلما للخير والتعبير
بلفظ الماضي في الافعال الثلثة اما باعتبار ما سبق في القضاء المحتوم او بجعل ما في شرف الوقوع لا محالة وجعلني
واقعا وقيل اكمل الله عقلا واستنباه طفلا اينما كنت اي حيثما كنت واوصاني بالصلوة اي امرني
امرا مؤكدا والزكوة زكوة المال ان ملكته او بتطهير النفس عن الرذائل ما دمت حيا في الدنيا ابو السعود

فاتت به قومها وكان قومها اهل بيت الصالحين وكلمها عيسى عليه السلام في الطريق ان يا اماه ابشري فاني عبد الله
ومسيحه قوله تحمله حال من مريم فلما رأوه معها بكوا وحزنوا قالوا يا مريم لقد جئت اي فعلت شيئا فريا
اي عملا بديعا ومنكرا عظيما لا يعرف منك ولا من اهل بيتك قوله يا اخت هرون توبيخ لها وهو اخوها
من ابيها لا من امها وقيل اخو موسى النبي عليه السلام شبهوها به في الصلوة والصلاح لانها كانت من نسله
وقيل شتموها بتشبيهها برجل طالح في زمانها اسمه هرون وعيروها به فقالوا ما كان ابوك
امرأ سوء اي زانيا عنوا به عمران وما كانت امك بغيا اي فاجرة قيل هموا برجمها فاشارت اليه
اي الى عيسى بان كلموه ليكون كلامه حجة لها قالوا كيف نكلم من كان اي وجد في المهد صبيا اي رضيعا ونصبه
حال فانطق الله تعالى عيسى عليه السلام وهو ابن اربعين يوما قاله وهب فتكلم وتركوا الرضع وكان عيسى عم
يرضع فاقبل بوجهه اليهم وقال اني عبد الله فاول كلامه رد على النصارى لانه اعترف بانه عبد الله تعالى
آتاني الكتاب اي علمنيه في بطن امي وهو التورية او اوتي الانجيل وهو طفل يعقل عقل الرجال وجعلني
نبيا اي اكرمني بالنبوة يعني اذا وضعته امه لزم الخلف اتباعه وكان نبيا ولم يوح اليه الا بعد الثلثين
وقيل هو اخبار بما يكون لا محالة بصيغة الماضي وجعلني مباركا اي معلما الخير للخلق او نفاعا لمن آمن بي
واتبعني اين ما كنت اي حيث ما كنت واوصاني بالصلوة والزكوة اي باتمامها ما دمت حيا انتهى العيون

فأتت به مع ولدها قومها راجعة اليهم بعدما طهرت
من النفاس تحمله حاملة اياه قالوا يا مريم لقد جئت
شيئا فريا بديعا منكرا من فري الجلد يا اخت هرون
يعنون هرون النبي وكانت من اعقاب من كان
معه في طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله
وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او
طالح كان في زمنهم شبهوها به تهكما او لما رأوا
قبل من صلاحها او شتموها به ما كان ابوك امرأ سوء
وما كانت امك بغيا تقرير لان ما جاءت به
فري وتنبيه على ان الفواحش من اولاد الصالحين
افحش فاشارت اليه الى عيسى اي كلموه ليجيبكم
قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ولم نعهد صبيا
في المهد كلمه عاقل وكان زائدة والظرف صلة من
وصبيا حال من المستكن فيه او تامة او دائمة كقوله
وكان الله عليما حكيما او بمعنى صار قال اني عبد الله
انطقه الله به اولا لانه اول المقامات وللرد
على من يزعم ربوبيته آتاني الكتاب الانجيل
وجعلني نبيا وجعلني مباركا نفاعا معلما للخير
اينما كنت حيث كنت والتعبير بلفظ الماضي
اما باعتبار ما سبق في قضائه او بجعل المحقق
وقوعه كالواقع وقيل اكمل الله عقله واستنبأه
طفلا واوصاني امرني بالصلوة والزكوة زكاة
المال ان ملكته او تطهير النفس عن الرذائل
ما دمت حيا انتهى

فأتت به بعيسى عليه السلام الباء للتعدية كما في ذهب به
لا بمعنى مع قومها بعد ما طهرت من نفاسها تحمله حال منها
فلما رأوه معها قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا بعد بها منكرا
والفري القطع كانه يقطع العادة يا اخت هارون
كان اخاها من ابيها ومن افضل بني اسرائيل ما كان ابوك
عمران امرأ سوء زانيا وما كانت امك حنة بغيا
زانية تقرير لان ما جاءت به فري وتنبيه على ان الفواحش
من بيت الصلحاء افحش فاشارت اليه الى عيسى اي كلموه
ليجيبكم قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا حال معناه
انه كان من اهل المهد وان لم يكن في تلك الحالة
في المهد كما يقال صبي يرتضع وان كان لا يرتضع حالة الاخبار
ولهذا زيدت لفظ كان للتاكيد قال اني عبد الله لما اسكتت
بامر الله تعالى لسانه الناطق انطقه الله تعالى الآن ان كنت
آتاني الكتاب الانجيل وجعلني نبيا عن الحسن انه كان
في المهد نبيا ومعجزته كلامه وقيل معناه ان ذلك سبق
في قضائه او جعل الآتي لا محالة كانه وجد وجعلني مباركا
اينما كنت نفاعا حيث كنت او معلما للخير واوصاني
بالصلوة والزكوة لما كان الامر بهما موجلا عبر عنه
بالتوصية فان الوصية التقدم في الامر الذي يكون بعد
ما وقت له ما دمت حيا اي مدة حيوتي انتهى

فأتت به قومها اي جاءتهم مع ولدها راجعة اليهم عند ما طهرت
من نفاسها تحمله اي حاملة له قالوا موبخة لها يا مريم لقد جئت
اي فعلت شيئا فريا اي عظيما بديعا منكرا من فري الجلد اي قطعه
او جئت مجيئا عجيبا عبر عنه بالشيء تحقيقا للاستغراب
يا اخت هرون استيناف لتجديد التعيير وتاكيد التوبيخ
عنوا به هرون النبي عليه السلام وكانت من اعقاب من كان
معه في طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان
بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح كان في زمانهم شبهوها به اي كنت عندنا مثله في الصلاح
او شتموها به ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا تقرير لكون ما جاءت به فريا منكرا وتنبيه على ان ارتكاب
الفواحش من اولاد الصالحين افحش فاشارت اليه اي الى عيسى عم ان كلموه والظاهر انها بينت حينئذ نذرها
بالاشارة لا بالعبارة والجمع بينهما مما لا عهد به وانما نهيت عن محاورة الانس حسبما امرت ففيه دلالة على ان المامور به بيان
قالوا منكرين لجوابها كيف نكلم من كان في المهد صبيا ولم نعهد فيما سلف صبيا يكلمه عاقل وقيل كان لايقاع
مضمون الجملة في زمان ماض مبهم صالح لقريبه وبعيده وهو ههنا لقريبه خاصة بدليل انه مسوق للتعجب
وقيل هي زائدة والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن فيه او هي تامة او دائمة كما في قوله تعالى
وكان الله عليما حكيما قال استيناف مبني على سؤال نشا من سياق النظم الكريم كانه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل
قال عيسى عم اني عبد الله انطقه الله عز وجل بذلك اولا تحقيقا للحق وردا على من يزعم ربوبيته
قيل كان المستنطق لعيسى زكريا عليهما السلام وعن السدي رضي الله عنه لما اشارت اليه غضبوا وقالوا ٨
لسخريتها بنا اشد علينا مما فعلت وروي انه عليه السلام كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه

وبرا بوالدتي اي بارا بها وقرئ بالكسر على انه مصدر وصف به او منصوب بفعل دل عليه اوصاني اي وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلوة ولم يجعلني جبارا قد سبق تفسيره شقيا عاصيا والسلام علي التعريف للجنس وفيه تعريض بلعنة على اعدائه كقوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا قد سبق بيانه ذلك اي الذي تقدم نعته فهو عيسى لا ما يصفه النصارى او اليهود وهو تكذيب للفريقين فيما يصفانه على الوجه الابلغ والطريق البرهاني حيث جعل موصوفا باضداد ما يصفانه به ثم عكس الحكم ابن مريم نعت او خبر ثان اي لا نسبة فيه من جهة الاب ففيه رد لليهود في زعمهم انه ابن يوسف النجار قول الحق صفة عيسى او بدله او خبر اخر ومعناه كلمة الله لا نفسه ولا ابنه ولا ناكثه ففيه رد لفرق النصارى وقد سبق وجه كونه كلمة الله في سورة آل عمران وقيل خبر محذوف المبتدا اي هو قول الحق الذي لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق وقرئ بالنصب على المدح او على المصدر اي اقول قول الحق وقرئ قال الحق وهو بمعنى القول الذي فيه يمترون في امره يختلفون من المرا فقالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ما سيأتي تفصيله وقرئ بالتاء على الخطاب ما كان لله ان يتخذ من ولد اي ليس من شانه من مزيدة لتاكيد النفي سبحانه نزه ذاته عن اتخاذ الولد اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون تبكيت للنصارى بعد تكذيبهم بان من اذا اراد شيئا اوجده بكن كان منزها من شبه الخلق والحاجة في اتخاذ الولد باحبال الاناث وقرئ فيكون بالنصب على الجواب وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم سبق تفسيره في سورة آل عمران وقرئ بالفتح على ولان او على العطف على الصلوة انتهى

وبرا بوالدتي عطف على مباركا اي جعلني بارا بها وقرئ بالكسر على انه مصدر وصف به مبالغة او منصوب بمضمر دل عليه اوصاني اي وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلوة والزكوة والتنكير للتفخيم ولم يجعلني جبارا شقيا عند الله لفرط تكبره والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا كما هو على يحيى على ان التعريف للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه فان اثبات جنس السلام لنفسه تعريض باثبات ضده لاضداده كما في قوله تعالى والسلام على من اتبع فانه تعريض

وبرا بوالدتي وبارا بها عطفا على مباركا وقرئ بالكسر على انه مصدر وصف به او منصوب بفعل دل عليه اوصاني اي وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلوة ولم يجعلني جبارا شقيا عند الله من فرط تكبره والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا كما هو على يحيى والتعريف للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض اي باللعن على اعدائه فانه لما جعل جنس السلام على نفسه عرض بان ضده اي اللعن على عيسى عليهم كقوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى ذلك عيسى بن مريم اي الذي تقدم نعته هو عيسى بن مريم لا ما يصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه الابلغ والطريق البرهاني حيث جعله موصوفا باضداد ما يصفونه ثم عكس الحكم قول الحق خبر محذوف اي هو قول الحق الذي لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام القصة وقيل صفة عيسى او بدله او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرا عاصم وابن عامر ويعقوب قول بالنصب على انه مصدر مؤكد و قرئ قال الحق وهو بمعنى القول الذي فيه يمترون في امره يشكون او يتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ بالتاء على الخطاب ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى وتنزيه لله تعالى عما بهتوه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون تبكيت لهم بان من اذا اراد شيئا اوجده بكن كان منزها عن شبه الخلق والحاجة في اتخاذ الولد باحبال الاناث وقرا ابن عامر فيكون بالنصب على الجواب وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم سبق تفسيره في سورة آل عمران وقرا الحجازيان والبصريان ان بالفتح على ولان وقيل انه معطوف على الصلوة انتهى

تعريض بأن العذاب على من كذب وتولى ذلك اشارة الى من فصلت نعوته الجليلة وما فيه من معنى البعد
للدلالة على علو رتبته وبعد منزلته وامتيازه بتلك المناقب الحميدة عن غيره ونزوله منزلة المشاهد المحسوس
عيسى بن مريم لا ما يصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يزعمونه على الوجه الأبلغ والمنهاج البرهاني حيث
جعله موصوفا بأضداد ما يصفونه قول الحق بالنصب على انه مصدر مؤكد لقال اني عبد الله الخ وقوله تعالى
ذلك عيسى بن مريم اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو قول الحق الذي
لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام القصة وقيل صفة عيسى او بدل او خبر ثان
ومعناه كلمة الله وقرئ قال الحق وقول الحق فان القول والقول والقال في معنى واحد الذي فيه يمترون
اي يشكون او يتنازعون فيقول اليهود ساحر والنصارى ابن الله سبحانه وقرئ بتاء الخطاب ما كان لله
اي وما صح وما استقام له تعالى ان يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى وتنزيه له تعالى عما بهتوه وقوله تعالى
اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون تبكيت لهم ببيان ان شأنه تعالى اذا قضى امرا من الامور ان يتعلق به
ارادته فيكون حينئذ بلا تأخير فمن هذا شأنه كيف يتوهم ان يكون له ولد وقرئ فيكون بالنصب على الجواب
وقوله تعالى وان الله ربي وربكم فاعبدوه من تمام كلام عيسى وقيل هو عطف على قوله اني عبد الله داخل
تحت القول وقد قرئ بفتح الهمزة على حذف اللام اي ولانه تعالى ربي وربكم فاعبدوه كقوله تعالى
وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وقيل معطوف على الصلوة هذا اي الذي ذكر من التوحيد
صراط مستقيم لا يضل سالكه والفاء في قوله تعالى فاختلف الاحزاب الخ
ابو السعود رحمه الله

وبرا اي وجعلني محسنا رحيما بوالدتي وهي اشارة الى انه بلا فحل ولم يجعلني جبارا شقيا اي لم يخذلني بمخالفته قبل الحق
من يذنب ولا يتوب والسلام اللام فيه للجنس اي جنس السلام علي خاصة وهي تعريض باللعنة على من اتهم والدته مريم
يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا يعني السلامة من الله لي وجبت الي كما وجبت الى يحيى في هذه الاحوال الثلث
العظام فلما كلمهم عيسى عليه السلام بهذا الكلام ايقنوا براءة امه ولم يتكلم بعد حتى بلغ سن الكلام ثم قال تعالى ذلك عيسى بن مريم
مبتدأ وخبر اي الذي قال اني عبد الله الى آخر كلامه هو عيسى بن مريم لا مثل ما يقول النصارى انه اله او ابنه قوله
قول الحق بالرفع خبر ثان اي هو كلمة الله فالقول بمعنى الكلمة والحق هو الله تعالى يعني قال لعيسى عليه السلام كن فكان وبالنصب
مصدر اي اقول قول الحق الذي فيه يمترون بالياء والتاء اي يشكون في عيسى عليه السلام ويختلفون فيقولون
بعضهم هو الله والبعض ولده والبعض شريكه والبعض ساحر كذاب فاكذبهم الله تعالى به وبقوله ما كان لله
ان يتخذ من ولد اي ما كان من نعته اتخاذ الولد يعني عيسى وغيره وجاء بمن لتأكيد النفي العام سبحانه اي نزه
تنزيها عن صفات المخلوقين ثم بين استحالته ذلك بقوله اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون بسرعة يعني انه من اذا
اراد ان يحدث شيئا من كل الاجناس اوجده بكن كعيسى عليه السلام كان منزها عن شبه الحيوان الوالد الذي يتأتى
منه الولد لانه خلاف المعقول وهو الله تعالى قوله وان الله ربي وربكم بالكسر استيناف من عيسى او عطف على مقول
القول قبله وبالفتح عطف على بالصلوة اي اوصاني بقول ذلك فاعبدوه اي وحدوه واطيعوه هذا صراط مستقيم
اي الذي اوصاني ربي لنا به دين صحيح وهو الاسلام فاتبعوه لصحته واستقامته دون غيره انتهى العيون

والفاء في قوله تعالى **فاختلف الاحزاب من بينهم** لترتيب ما بعدها على ما قبلها تنبيهاً على سوء صنيعهم بجعلهم ما يوجب الاتفاق منشاء للاختلاف فان ما حكي من مقالات عيسى عليه السلام مع كونها نصوصاً قاطعة في كونه عبده تعالى ورسوله قد اختلف اليهود والنصارى بالتفريط والافراط • او فرق النصارى النسطورية هو عبد الله • وقالت اليعقوبية هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء تعالى عن ذلك علواً كبيراً • وقالت الملكانية هو عبد الله ونبيه **فويل للذين كفروا** وهم المختلفون عبّر عنهم بالموصول ايذاناً بكفرهم جميعاً واشعاراً بعلة الحكم **من مشهد يوم عظيم** اي من شهود يوم عظيم الهول والحساب والجزاء وهو يوم القيمة • او من وقت شهوده • او من مكان الشهود فيه • او من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان يشهد عليهم الملائكة والانبياء عليهم السلام والسنتهم وآذانهم وايديهم وارجلهم وسائر آرائهم بالكفر والفسوق • او من وقت الشهادة • او من مكانها • وقيل هو ما شهدوا به في حق عيسى وامه **اسمع بهم وابصر** تعجب من حدة سمعهم وابصارهم يومئذ ومعناه ان اسماعهم وابصارهم **يوم يأتوننا** للحساب والجزاء اي يوم القيمة جدير بان يتعجب منهما بعد ان كانوا في الدنيا صماً عمياً • او تهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ • وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه • والجار والمجرور على الاول في موقع الرفع وعلى الثاني في حيز النصب **لكن الظالمون اليوم** اي في الدنيا **في ضلال مبين** لا يدرك غايته حيث اغفلوا الاستماع والنظر بالكلية • ووضع الظالمين موضع الضمير للايذان بانهم في ذلك ظالمون لانفسهم **وانذرهم يوم الحسرة** اي يوم يتحسر الناس قاطبة اما المسيء فعلى اساءته واما المحسن فعلى قلة احسانه **اذ قضي الامر** اي فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار • وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال حين يجاء بالموت على صورة كبش املح فيذبح والفريقان ينظرون فينادي المنادي يا اهل الجنة خلود فلا موت • ويا اهل النار خلود فلا موت فيزداد اهل الجنة فرحاً الى فرح واهل النار غماً الى غم • واذ بدل من يوم الحسرة او ظرف للحسرة فان المصدر المعرف باللام يعمل في المفعول الصريح عند بعضهم فكيف بالظرف **وهم في غفلة** اي عما يفعل بهم في الآخرة **وهم لا يؤمنون** وهما جملتان حاليتان من الضمير المستتر في قوله تعالى في ضلال مبين اي مستقرون في ذلك وهم في تينك الحالتين وما بينهما اعتراض او من مفعول انذرهم اي انذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالاً متضمنة معنى التعليل

انتهى ابو السعود

فاختلف الاحزاب اي فلولادة مريم عيسى عليه السلام بلا فحل وقع الاختلاف في عيسى عليه السلام نزل حين سئلت الاحزاب عن عيسى عليه السلام وهم اليهود والنصارى فقالت اليهود ولد الزنا • وقالت النصارى هو الاله الخالق • وقيل هم النصارى الذي تحزبوا ثلث فرق نسطورية • ويعقوبية • وملكانية • حين سئلوا عنه فقالت النسطورية هو ابن الله اظهره ثم رفعه وقالت يعقوبية بل هو الله هبط في الارض ثم صعد وقالت ملكانية هو عبد الله تعالى ومخلوقه ونبيه فاختلفوا في امره **من بينهم** اي من بين الناس **فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم** اي من شهودهم هول الحساب والجزاء يوم القيمة او من وقت الشهود او من مكان الشهود هو الموقف او من شهادة ذلك اليوم عليهم او شهادة الانبياء والملائكة عليهم او شهادة اعضائهم بالكفر وسوء الاعمال ثم هددهم مخبراً بلفظ الامر الموضوع للتعجب او لتعجيب الخلق من حالهم بقوله **اسمع بهم وابصر** اي ما اسمعهم وما ابصرهم يعني ما ايقنهم يوم القيمة اي عيسى لم يكن بولد الله تعالى ولا اله ولا شريك له وقيل معناه لا احد اسمع وابصر منهم يوم القيمة حيث يقول الله تعالى لعيسى عليه السلام أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله الآية يعني سيسمعون وسيبصرون ما يسوءهم ويصدع قلوبهم او المراد ان اسماعهم و ابصارهم جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صماً وعمياً في الدنيا **يوم يأتوننا** ظرف للفعلين **لكن الظالمون** اي لكنهم **اليوم في ضلال مبين** في خطأ بين في اغفال النظر والاستماع او وقع الظاهر اعني الظالمون موقع الضمير اشعاراً بانه لا ظلم اشد من ظلمهم حيث اغفلوا النظر والاستماع وقت النفع والاسعاد **وانذرهم** الواو للاستيناف اي خوفهم يا محمد صلى الله عليه وسلم **يوم الحسرة** اي يوم الندامة على ما فات منهم وهو يوم القيمة قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل احد الجنة الا اري مقعده من النار لو اساء ليزداد شكراً ولا يدخل النار احد الا اري مقعده من الجنة لو احسن ليكون عليه حسرة **اذ قضي الامر** بدل من يوم الحسرة اي اذا فرغ من الحسنات واستقر كل فريق في مقره من الجنة والنار وذبح الموت فيقال يا اهل الجنة خلود لا موت ويا اهل النار خلود لا موت **وهم في غفلة** عما يفعل بهم في الآخرة او عن الاهتمام لذلك المقام بالايمان والعمل الصالح والجملة حال متعلق بقوله وانذرهم وكذا قوله **وهم لا يؤمنون** اي انذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين بالآخرة

انتهى العيون رحمه الله

فاختلف الاحزاب من بينهم اليهود والنصارى • او فرق النصارى نسطورية قالوا انه ابن الله • ويعقوبية قالوا هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء • و ملكانية قالوا هو عبد الله ونبيه **فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم** من شهود يوم عظيم هوله وحسابه وجزاؤه وهو يوم القيمة • او من وقت الشهود او مكانه فيه • او من شهادة ذلك اليوم عليهم • وهو ان تشهد عليهم الملائكة والانبياء والسنتهم • و آرائهم بالكفر والفسوق • او من وقت الشهادة اي من مكانها • وقيل هو ما شهدوا به في عيسى وامه **اسمع بهم وابصر** تعجب • معناه ان اسماعهم وابصارهم **يوم يأتوننا** اي يوم القيمة جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صماً عمياً في الدنيا • او التهديد بما سيسمعون ويبصرونه يومئذ • وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه • والجار والمجرور على الاول في موضع الرفع وعلى الثاني في موضع النصب **لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين** اوقع الظالمين موقع الضمير اشعاراً بانهم ظلموا انفسهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم وسجل على اغفالهم بانه ضلال بين **وانذرهم يوم الحسرة** يوم يتحسر الناس المسيء على اساءته والمحسن على قلة احسانه **اذ قضي الامر** فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار • واذ بدل من اليوم • او ظرف للحسرة **وهم في غفلة وهم لا يؤمنون** حال متعلقة بقوله في ضلال مبين • و ما بينهما اعتراض • او بانذرهم اي انذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالاً متضمنة للتعليل انتهى •

○ الجمهور على ان لفظة اسمع وابصر امر ومعناه التعجب والله تعالى لا يوصف بالتعجب ولكن المراد ان اسماعهم وابصارهم جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صماً وعمياً في الدنيا قال قتادة انهم عموا وصموا عن الحق في الدنيا فما اسمعهم وما ابصرهم بالهدى يوم لا ينفعهم وبهم مرفوع المحل على الفاعلية كاكرم بزيد فمعناه كرم زيد جداً ح

فاختلف الاحزاب الحزب الفرقة المنفردة برأيها وهم اربع فرق نسطورية • ويعقوبية • واسرائيلية • وملكائية **من بينهم** من بين اصحاب عيسى عليه السلام حين رفع ثم اتفقوا على ان يرجعوا الى قول اربعة كانوا عندهم اعلم زمانهم وهم يعقوب ونسطور واسرائيل وملكا • فقال يعقوب هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء • وقال نسطور كان ابن الله اظهره ما شاء ثم رفعه اليه • وقال اسرائيل الله اله وهو اله وامه اله وهم الاسرائيلية ملوك النصارى • وقال الرابع كذبوا كان عبداً مخلوقاً نبياً فتبع كل واحد منهم قوم **فويل للذين كفروا** من الاحزاب اذ الواحد منهم على الحق **من مشهد يوم عظيم** اي من شهود هول القيمة على ان المراد من اليوم الواقعة **اسمع بهم وابصر** الجمهور على ان لفظه الامر ومعناه التعجب والله لا يوصف به ولكن المراد اسماعهم وابصارهم جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صماً وعمياً في الدنيا • وبهم مرفوع المحل على الفاعلية كاكرم بزيد معناه كرم زيد جداً **يوم يأتوننا** اي يوم القيمة **لكن الظالمون** اقيم الظاهر مقام الضمير اشعاراً بانهم ظلموا انفسهم حيث تركوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم **اليوم** في الدنيا **في ضلال مبين** تسجيل على تركهم ذلك بانه ضلال بين **وانذرهم يوم الحسرة** يوم القيمة لانه يتحسر الناس فيه المسيء على اساءته والمحسن على قلة احسانه **اذ** بدل من يوم الحسرة او ظرف للحسرة وهو مصدر **قضي الامر** فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار **وهم في غفلة** هنا عن الاهتمام لذلك المقام **وهم لا يؤمنون** لا يصدقون به متعلق بقوله في ضلال مبين وما بينهما اعتراض او بانذرهم اي انذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالاً متضمنة للتعليل انتهى

في ضلال عن الحق **مبين** ظاهر وهو اعتقادهم عيسى الهاً معبوداً مع ظهور آثار الحدث فيه واقيم الظاهر موقع الضمير اي لكنهم اليوم في الدنيا اشعاراً بان لا ظلم اشد من ظلمهم مدارك

قوله وحسابه يشير الى ان عظيم صفة جارية على غير من هي له **قوله من وقت الشهود** وقت شهود بعض من يوم القيمة فيجوز الاضافة **قوله او من مكانه** هو الموقف **وقوله فيه** يشير الى ان الاضافة هنا وفيما قبله بمعنى في **وقوله هو ان تشهد** اشارة الى ان نسبة الشهادة الى اليوم مجازية من قبيل نهاره صائم وتذكير ضمير الشهادة باعتبار الخبر **وقوله او التهديد** يجوز عطفه على تعجب وعلى ان اسماعهم سعدي

انا نحن نرث الارض ومن عليها اي نتفرد بالملك والبقاء عند تعميم الهلاك والفناء • وذكر من لتغليب العقلاء وهذا يدل على فناء الارض ايضا قوله نحن نرث مبتداء وخبر والجملة في محل الرفع خبر ان ولا يجوز ان يكون نحن فصيلا لان نرث نكرة والفصل لا يقع الا بين معرفتين او قريبتين من المعرفة واليناء يرجعون اي يردون فيجازون جزاء وفاقا في محل الرفع بالعطف على نرث او على الجملة الاسمية •

قيل الملك بالضم هو التصرف في المملكة بالامر والنهي والملك بالكسر اختصاص رقبة العين بالانسان بحيث يستقل في منافعها ويتمكن من التصرف فيها سعدي افندي

• واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا ملازما للصدق كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالى واياته ويجوز ان يكون التصديق المبالغة من جهة الكيف نبيا استنباه الله تعالى انتهى ابن الكمال

• وقد يطلق الصديق للمبالغة في التصديق كاطلاقه على ابي بكر رضي الله عنه • او معناه اي البليغ الصدق في جميع اقواله وافعاله واحواله او الكثير الصدق في تصديقه غيوب الله واياته وكتبه ورسله قيل الصادق المستقيم في الافعال والصديق المستقيم في الاحوال سعدي • والصديق من ابنية المبالغة ونظيره الضحيك والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق من غيوب الله تعالى واياته وكتبه ورسله اي كان مصدقا لجميع الانبياء وكتبهم وكان نبيا في نفسه اي كان جامعا لخصائص الانبياء •

والمراد بذكر الرسول اياه وقصته في الكتاب الصديقين و ان يتلو ذلك على الناس وتبلغه اياهم والا فالله سبحانه وتعالى ذاكره وموزه في تنزيله ذاكره

انا نحن نرث الارض ومن عليها لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك او نتوفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفي الوارث لارثه واليناء يرجعون اي يردون للجزاء لا الي غيرنا استقلالا او اشتراكا واذكر عطف على انذرهم في الكتاب اي في السورة او في القران ابراهيم اي اتل على الناس قصته وبلغها اياهم كقوله تعالى واتل عليهم نبأ ابراهيم فانهم ينتمون اليه عليه السلام فعساهم باستماع قصته يقلعون عما هم فيه من القبائح انه كان صديقا ملازما للصدق في كل ما ياتي ويذر او كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله واياته ورسله • والجملة استيناف مسوق لتعليل موجب الامر فان وصفه عليه السلام بذلك من دواعي ذكره نبيا خبر اخر لكان مقيد للاول مخصص له كما ينبئ عنه قوله تعالى من النبيين والصديقين الاية اي كان جامعا بين الصديقية بالنبوة ولعل هذا الترتيب للمبالغة في الاحتراز عن توهم تخصيص الصديقية بالنبوة فان كل نبي صديق انتهى ابو السعود

لا يبقى

انا نحن نرث الارض ومن عليها لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك • او نتوفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفي الوارث لارثه واليناء يرجعون يردون للجزاء واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا ملازما للصدق او كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله واياته وكتبه ورسله نبيا استنباه الله تعالى انتهى وقيل من صدق الله في وحدانيته وصدق انبياءه ورسله وصدق بالبعث وقام بالاوامر فعمل بها فهو الصديق والنبي العالي في الرتبة بارسال الله تعالى اياه • فاللازم على العبد ان يصدق بكل ما يسمعه من الايات القرانية والاحاديث النبوية ويعمل بموجبها حتى يكتب من جملة الصديقين قال الله تعالى في كتابه القديم ومن يطع الله ورسوله فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين كافاضل صحابة الانبيا والصديق المبالغ في صدق ظاهره بالمعاملة وباطنه بالمراقبة او الذي يصدق قوله بفعله والشهداء والذين استشهدوا في سبيل الله تعالى والصالحين ومن صلحت احوالهم وحسنت اعمالهم وحسن اولئك رفيقا اي وما احسن اولئك رفيقا ويستوي فيه الواحد والجمع ذلك الفضل من الله او الفضل صفته ومن الله خبره والمعنى ان ما اعطي المطيعون من الاجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله تعالى لانه تفضل به عليهم وكفى بالله عليما بعباده ومن هو اهل الفضل ودلت الاية على ان ما يفعل الله بعباده فهو فضل منه تعالى بجلاله يقول الله

انا نحن نرث اي نملك الارض ومن عليها بان نهلك سكانها ذكر من تغليبا للعقلاء واليناء يرجعون في الاخرة فنجازيهم واذكر لهم في الكتاب اي القران ابراهيم اي خبره انه كان صديقا اي مبالغا في الصدق بجميع ما صدر من الله تعالى فيه ... ومصدقا بكل الانبياء نبيا في نفسه كقوله تعالى بل جاء بالحق وصدق المرسلين انتهى العيون

عن محجة الرشاد حيث طلب منه علة عبادته لما يستخف به عقل كل عاقل من عالم وجاهل ويابى الركون اليه
فضلا عن عبادته التي هي الغاية القاصية من التعظيم مع انها لا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام
الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب ونبه على ان العاقل يجب ان يفعل كل ما يفعل لداعية
صحيحة وغرض صحيح وان الشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا قادرا على النفع والضر مطيقا بايصال الخير والشر
لكن كان ممكنا لاستنكف العقل السليم عن عبادته وان كان اشرف الخلائق لما يراه مثله في الحاجة و
الانقياد للقدرة القاهرة الواجبية فما ظنك بجماد مصنوع من حجر وشجر ليس له من اوصاف الاحياء
عين ولا اثر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الى الحق المبين لما انه لم يكن محظوظا من العلم الالهي مستقلا
بالنظر السوي مصدرا لدعوته بما مر من الاستمالة والاستعطاف حيث قال يا ابت اني قد جاءني من العلم
ما لم يأتك ولم يسم اباه بالجهل المفرط وان كان في اقصاه ولا نفسه بالعلم الفائق وان كان كذلك بل ابرز
نفسه في صورة رفيق له اعرف باحوال ما سلكاه من الطريق فاستماله برفق حيث قال فاتبعني
اهدك صراطا سويا اي مستقيما موصلا الى اسنى المطالب منجيا عن الضلال المؤدي الى مهاوي الردى و
المعاطب ثم ثبطه لما كان عليه بتصويره بصورة يستنكرها كل عاقل ببيان انه مع عرائه عن النفع بالمرة
مستجلب لضر عظيم فانه في الحقيقة عبادة الشيطان لما انه الآمر به فقال يا ابت لا تعبد الشيطان الاية

قوله اذ قال ظرف لصديقا وقيل بدل من ابراهيم والجملة بينهما اعتراض اي واذكر وقت قوله لابيه آزر من تاريخ يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني اي ينفع عنك شيئا فيه توبيخ وتنبيه على ضلالته بعبادة جامد لا ينفعه شيئا
في الدنيا ولا في الاخرة قرئ يا ابت بفتح التاء وكسرها والمعنى انه خاطب اباه اولا عند دعوته الى الاسلام مع طلب
علة منه في خطابه بالتنبيه عليه بقوله يا ابت لم تعبد ما ليس بحي مميز سميع بصير مقتدر على الثواب والعقاب
نافع ضار وشيء ليس اهلا للربوبية والعبودية اذ العبادة هي غاية التعظيم لا تحق الا لمن له غاية الانعام وهو
الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب فاذا وجهت العبادة الى غيره لم يكن الا ظلما وغيا وكفرا ثم ثنى
دعوته الى الحق بالتلطف والترفق به فقال يا ابت اني قد جاءني من العلم شيء ليس معك وهو ما لم يأتك
من الله تعالى يعني علم الدلالة على علم الطريق السوي فاتبعني ولا يستنكف عن التعلم مني انجك من طريق
الضلالة اهدك صراطا سويا اي مستقيما ثم ثلث دعوته الى الحق بقوله يا ابت لا تعبد الشيطان الاية من العيون

اذ قال بدل من ابرهيم وما بينهما اعتراض او متعلق بكان او بصديقا نبيا لابيه يا ابت التاء معوضة من ياء الاضافة ولذلك لا يقال يا ابتي ويقال يا ابتا وانما يذكر للاستعطاف ولذلك كررها لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويرى خضوعك ولا يغني عنك شيئا في جلب نفع ودفع ضر دعاه الى الهدى وبين ضلاله واحتج عليه ابلغ احتجاج وارشده برفق وحسن ادب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي تدعوه الى عبادة ما يستخف به العقل الصريح ويابى الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي غاية التعظيم ولا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب المثيب ونبه على ان العاقل ينبغي ان يفعل ما يفعل لغرض صحيح وان الشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضر ولكن ممكنا لاستنكف العقل القويم عن عبادته وان كان اشرف الخلق كالملائكة والنبيين لما يرى مثله في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظا من العلم الالهي مستقلا بالنظر السوي فقال يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا ولم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون اعرف بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بانه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر فانه في الحقيقة عبادة الشيطان من حيث انه الآمر به فقال يا ابت لا تعبد الشيطان الاية

اذ قال بدل من ابراهيم وما بينهما اعتراض او متعلق بكان او بصديقا نبيا والمراد بذكر الرسول اياه وقصته في الكتاب ان يتلو ذلك على الناس ويبلغه اياهم لقوله تعالى واتل عليهم نبأ ابراهيم والا فالله عز وجل هو ذاكره ومورده في تنزيله لابيه يا ابت التاء عوض من ياء الاضافة ولذلك لا يقال يا ابتي وانما يذكر للاستعطاف ولذلك كررها لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر المفعول فيهما منسي غير منوي ولا يغني عنك شيئا يحتمل ان يكون شيئا في موضع المصدر اي شيئا من الاغناء وان يكون مفعولا من قولك اغن عني وجهك اي بعد دعاه الى الهدى وبين ضلاله واحتج عليه ابلغ احتجاج وارشده برفق وحسن ادب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي تدعوه الى عبادة ما يستخف به العقل الصريح ويابى الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي غاية التعظيم ولا يحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام ونبه على ان العاقل ينبغي ان يفعل ما يفعله لغرض صحيح والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضر ولكن ممكن لاستنكف العقل القويم عن عبادته وان كان اشرف الخلق لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظا من العلم الالهي مستقلا بالنظر السوي فقال يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا ولم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون اعرف بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بانه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر لانه في الحقيقة عبادة الشيطان من حيث انه الآمر به فقال يا ابت لا تعبد الشيطان الاية ابن كمال

صدر كل نصيحة بقوله يا ابت توسلا اليه واستعطافا واشعارا بوجوب احترام الاب وان كان كافرا انتهى المدارك

اذ قال بدل اشتمال من ابراهيم وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله او متعلق بكان او بنبيا وتعليق الذكر بالاوقات مع ان المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث قد مر سره مرارا اي كان جامعا بين الامرين حين قال لابيه آزر متلطفا في الدعوة مستميلا له يا ابت اي يا ابي فان التاء عوض من ياء الاضافة ولذلك لا يجتمعان وقد قال يا ابتا لكون الالف بدلا من الياء لم تعبد ما لا يسمع ثناءك عليه عند عبادتك وجؤارك اليه ولا يبصر خضوعك وخشوعك بين يديه او لا يسمع ولا يبصر شيئا من المسموعات والمبصرات فيدخل في ذلك ما ذكر دخولا اوليا ولا يغني اي لا يقدر على ان يغني عنك شيئا في جلب نفع او دفع ضر ولقد سلك عليه السلام في دعوته احسن منهاج واقوم سبيل واحتج عليه ابدع احتجاج بحسن ادب وخلق جميل لئلا يركب متن المكابرة والعناد ولا ينكب بالكلية عن محجة الرشاد

فقال يا ابت لا تعبد الشيطان استهجن ذلك وبين وجه
الفرقية بان الشيطان مستعص على ربك المولى للنعم
كلها بقوله ان الشيطان كان للرحمن عصيا ومعلوم ان
المطاوع للعاصي عاص وكل عاص حقيق بان يسترد
منه النعم وينتقم ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته
وما يجره اليه فقال يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب
من الرحمن فتكون للشيطان وليا قرينا في جهنم لان
الولييين لا يكاد ان يفترقان في محبوب او مكروه
فجعل وليا في هذه الحالة لما قلنا وان كانا متباغضين
يومئذ كما قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض
عدو الا المتقين وانما قال يمسك دون يصيبك
ليعلم ان العذاب جسماني والتنكير للتعظيم وقصد التقليل
من عبارة التي لا يناسب المقام ولا يساعده الكلام اما
الاول فلان المقام مقام التخويف فلا يناسبه التخفيف
واما الثاني فلان المس مما يقصد به المبالغة في الاصابة
كما في قوله تعالى قد مسني الكبر وذلك لان المس اتصال
الشيء بالبشرة بحيث يتاثر الحاسة وانما قال من الرحمن
لان العذاب من مظنة الرحمة افظع واشنع وانما قال
اخاف رعاية لمقتضى شفقة النبوة قال اراغب
الرغبة اجتلاب الشيء لما فيه من المنفعة وتعديته بفي و
اذا تعدى بعن يفيد ضده انت عن الهتي يا ابراهيم
قابل استعطافه ولطفه في الارشاد بالفظاظة و
غلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل بيا ابت بيا بني
ولا تاثير فيه لتاخيره بل لو قدم لكان اشنع واوقع لان
المقام مقام العنف دون اللطف وقدم الخبر على المبتدا
لانه كان اهم عنده وصدره بالهمزة لانكار نفس الرغبة
على ضرب من التعجب كانه مما لا يرغب عنه عاقل ثم هدده
فقال لئن لم تنته عن مقالتك فيها لارجمنك لاقتلنك
بالرجام او لاضربنك بما صحى تباعد او لاشتمنك
واهجرني عطف على محذوف يدل عليه لارجمنك بتقديره
فاحذرني واهجرني مليا زمانا طويلا من الملاوة او مليا
بالذهاب عني انتهى ابن كمال

يا ابت لا تعبد الشيطان واستهجن ذلك وبين
وجه الفرق فيه بان الشيطان مستعص على ربك
المولي للنعم كلها بقوله ان الشيطان كان للرحمن
عصيا ومعلوم ان المطاوع للعاصي عاص وكل عاص
حقيق بان يسترد منه النعم وينتقم ولذلك
عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجره اليه
فقال يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من
الرحمن فتكون للشيطان وليا قرينا في اللعن
او العذاب تليه ويليك او ثابتا في موالاته
فانه اكبر من العقاب كما ان رضوان الله اكبر من
الثواب وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب
اما للمجاملة او لخفاء العاقبة ولعل اقتصاره
على عصيان الشيطان من جناياته لارتقاء همته
في الربانية اولانه ملاكها اولانه من حيث نتيجة
معاداته لآدم وذريته فنبه عليها قال
اراغب انت عن الهتي يا ابراهيم قابل استعطافه
ولطفه في الارشاد بالفظاظة وغلظة العناد
فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت يا بني واخره
وقدم الخبر على المبتدا وصدره بالهمزة لانكار نفس
الرغبة على ضرب من التعجب كانها مما لا يرغب عنها
عاقل ثم هدده فقال لئن لم تنته عن مقالتك
فيها او الرغبة عنها لارجمنك بلسانك يعني الشتم
والذم او بالحجارة حتى تموت او تبعد مني
واهجرني عطف على ما دل عليه لارجمنك اي
فاحذرني واهجرني مليا زمانا طويلا من
الملاوة او مليا بالذهاب عني قوله لئن لم تنته
عن شتم الاصنام لارجمنك لاقتلنك بالرجام اي الحجارة
العظيمة واهجرني مليا ظرف اي زمانا طويلا من الملاوة
انتهى

ثم نبهه عما كان عليه بتصويره بصورة يستنكرها كل عاقل ببيان انه مع عرائه عن النفع بالمرة مستجلب
لضرر عظيم فانه في الحقيقة عبادة الشيطان لما انه الآمر به فقال يا ابت لا تعبد الشيطان فان عبادتك للاصنام عبادة له
اذ هو الذي يسولها لك ويغريك عليها وقوله ان الشيطان كان للرحمن عصيا تعليل لموجب النهي وتاكيد له ببيان انه
انه مستعص على ربك الذي انعم عليك بفنون النعم ولا ريب في ان المطيع للعاصي عاص وكل من هو عاص حقيق
بان يسترد منه النعم وينتقم منه والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاقتصار على ذكر عصيانه من بين سائر
جناياته لانه ملاكها او لانه نتيجة معاداته لآدم عم وذريته فتذكيره داع لابيه الى الاحتراز عن موالاته وطاعته
والتعرض لعنوان الرحمانية لاظهار كمال شناعة عصيانه وقوله يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن تحذير من سوء عاقبة

من سوء عاقبته ما كان عليه من عبادة الشيطان وهو ابتلاؤه بما ابتلي به معبوده من العذاب الفظيع وكلمة من متعلقة
بمضمر وقع صفة للعذاب مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية واظهار الرحمن للاشعار
بان وصف الرحمانية لا يدفع حلول العذاب كما في قوله عز وجل ما غرك بربك الكريم فتكون للشيطان وليا اي قرينا له
في اللعن المخلد وذكر الخوف للمجاملة وايراد الاعتناء بامره قال استيناف مبني على سؤال نشا من
صدر الكلام كانه قيل فماذا قال ابوه عند ما سمع منه عليه السلام هذه النصائح الواجبة القبول
فقيل قال مصرا على عبادة اراغب انت عن الهتي يا ابراهيم اي امعرض ومنصرف انت عنها بتوجيه
الانكار الى نفس الرغبة مع ضرب من التعجب كان الرغبة عنها مما لا يصدر عن العاقل فضلا عن ترغيب الغير
عنها وقوله تعالى لئن لم تنته لارجمنك تهديد وتحذير عما كان عليه من العظة والتذكير اي والله لئن لم تنته
عما كنت عليه من النهي عن عبادتها لارجمنك بالحجارة وقيل باللسان واهجرني اي فاحذرني واتركني مليا
اي زمانا طويلا او مليا بالذهاب مطيقا به انتهى ابو السعود

يا ابت لا تعبد الشيطان لانك اذا عبدت الصنم فقد عبدت الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا اي استعصى
على ربك الرحمن الذي جميع النعم من عنده وهو عدوك الذي لا يريد بك الا كل خزي وهلاك وهو الذي
اغوى آدم عليه السلام وذريته اباك وابنا جنسك فانك ان حققت النظر فانت عابد الشيطان ثم ربع
دعوته بتخويفه سوء العاقبة بقوله يا ابت اني اخاف اي اعلم ان يمسك عذاب قليل من الرحمن اي اقمت على الكفر
فتكون للشيطان وليا اي قرينا وربنا في النار وجعل ولاية الشيطان اكبر من العذاب كما ان رضوان تعالى اكبر
من الثواب قال اي ابوه آزر توبيخا لابراهيم عليه السلام اراغب انت عن الهتي اي اصارف
قلبي عن عبادة الاصنام يا ابراهيم قدم الخبر على المبتدا للاهتمام والاولى كونه مبتدا وانت فاعل سد مسد الخبر
لئلا يلزم بين الصفة وما يتعلق بها وهو عن الهتي لئن لم تنته عن مقالتك هذه وسب الهتنا لارجمنك اي
لاقتلنك بالحجارة او لا يعذبنك من عندي فاحذرني واهجرني مليا اي فارقني زمانا طويلا اساكنني ولا تكلمني
انتهى العيون

صلا

لعدم تبيّن أمره لقوله تعالى فلما تبيّن له أنه عدوّ لله تبرّأ منه كما مرّ في تفسير سورة التوبة • واستثناؤه عما يؤتسى به في قوله تعالى إلا قول ابراهيم لابيه لاستغفرنّ لك لا يقدح في جوازه لكن لا لأن ذلك كان قبل ورود النهي او لموعدة وعدها اياه كما قيل لما أن النهي انما ورد في شأن الاستغفار بعد تبيّن الأمر وقد كان استغفاره عليه السلام قبل التبيين فلم يتناوله النهي أصلاً وأن الوعد بالمحظور لا يرفع خطره بل لأن المراد بما يؤتسى به ما يجب الائتساء به حتما لورود الوعيد على الإعراض عنه بقوله تعالى لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فاستثناؤه عن ذلك انما يفيد عدم وجوب استدعاء الإيمان للكافر المرجو ايمانه لا سيما وقد انقطع ذلك عند ورود الاستثناء وذلك مما لا يتردد فيه احد من العقلاء • وأما عدم جوازه قبل تبيّن الأمر فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا • وتوجيه الاستثناء الى العدة بالاستغفار لا الى نفس الاستغفار بقوله واغفر لابي الآية لأنها كانت هي الحاملة له عليه السلام • وتخصيص تلك العدة بالذكر دون ما وقع ههنا لورودها على نهج التأكيد القسمي وأما جعل الاستغفار دائراً عليها وترتيب التبري على تبيّن الأمر فقد مرّ تحقيقه في تفسير سورة التوبة وقوله تعالى انه كان بي حفيا اي بليغا في البر والالطاف تعليل لمضمون ما قبله وأعتزلكم اي اتباعد عنك وعن قومك وما تدعون من دون الله بالمهاجرة بديني حيث لم يؤثر فيكم نصائحي وأدعو ربي أعبده وحده وقد جوّز أن يراد به دعاؤه المذكور في سورة الشعراء ولا يبعد أن يراد به استدعاء الولد ايضا بقوله رب هب لي من الصالحين حسبما يساعده السياق والسباق عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا اي خائبا ضايع السعي • وفيه تعريض بشقائهم في عبادة آلهتهم • وفي تصدير الكلام بعسى من اظهار التواضع ومراعاة حسن الأدب والتنبيه على حقيقة الحق من أن الاجابة والاثابة بطريق التفضل منه عز وجل لا بطريق الوجوب وأن العبرة بالخاتمة وذلك من الغيوب المختصة بالعليم الخبير ما لا يخفى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بالمهاجرة الى الشام وهبنا له اسحق ويعقوب بدل من فارقهم من أقربائه الكفرة لكن لا عقيب المهاجرة فان المشهور أن الموهوب حينئذ اسمعيل عليه السلام لقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم اثر دعائه بقوله رب هب لي من الصالحين • ولعل ترتيب هبتهما على اعتزاله ههنا لبيان كمال عظم النعم التي أعطاها الله له بمقابلة من اعتزلهم من الأهل والأقرباء • فانهما شجرتا الأنبياء لهما أولاد وأحفاد أولو شأن خطير وذوو عدد كثير هذا • وقد روي أنه عليه السلام لما قصد الشام أتى أولا حران وتزوج بسارة وولدت له اسحق وولد لاسحق يعقوب والأول هو الأظهر وكلا اي كل واحد منهما او منهم وهو مفعول أول لقوله تعالى جعلنا نبيا قدّم عليه للتخصيص لكن لا بالنسبة الى من عداهم بل بالنسبة الى بعضهم اي كل واحد منهم جعلنا نبيا لا بعضهم دون بعض ووهبنا لهم من رحمتنا هي النبوة وذكرها بعد ذكر جعلهم نبيا للايذان بأنها من باب الرحمة • وقيل هي المال والأولاد وما بسط لهم من سعة الرزق • وقيل هو الكتاب والأظهر أنها عامة لكل خير ديني ودنيوي أوتوه مما لم يؤت أحد من العالمين وجعلنا لهم لسان صدق عليا يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته بقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان ما يوجد من الكلام ولسان العرب لغتهم • واضافته الى الصدق ووصفه بالعلو للدلالة على أنهم أحقاء بما يثنون عليهم وأن محامدهم لا تخفى على تباعد الأعصار وتبدل الدول وتحول الملل والنحل انتهى ابو السعود رحمه الله

قال مجيبا له سلام عليك سلام مفارقة لا سلام لطف واحسان لانه ليس بدعاء له كقوله سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين سأستغفر لك ربي اي بشرط التوبة والايمان او كان وعده بالاستغفار له ما دام حيا وقيل انما استغفر له بقوله واغفر لابي انه كان من الضالين لانه وعده أن يؤمن وقيل جاز ذلك قبل ورود السمع لأن العقل لا يأبى بدليل قوله الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك انه اي ان ربي كان بي حفيا اي بليغا في البر واللطف وعوّدني الاجابة لدعائي واعتزلكم اي اترككم وما تدعون اي الذي تعبدونه من دون الله من الأصنام واراد بالاعتزال المهاجرة الى الشام فارتحل من كوثى الى الأرض المقدسة ثم قال تواضعا وكسرا للنفس وأدعو اي أعبد ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا

خائبا ضايع السعي مثلكم في دعاء آلهتكم اي لا يجيبني اذا دعوته وفيه تعريض بشقاوتهم بعبادة غيره تعالى فلما اعتزلهم اي تركهم وما يعبدون اي معبوديهم من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب اي عوضناه أولاداً يأنس بهم بدل المشركين ويعقوب ولد الولد وكلا اي كل واحد من ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم السلام جعلنا نبيا اي أكرمناهم بالنبوة قيل من هاجر في طلب رضاء الله تعالى أكرمه الله تعالى في الدنيا والآخرة ووهبنا لهم من رحمتنا اي من نعمتنا المال والولد والحكم وحذف المفعول ليعم كل خير ديني ودنيوي وجعلنا لهم لسان صدق عليا اي ذكراً حسنا في أهل الأديان كلهم يعني هم يحبون ابراهيم عم وأولاده ويعتقدون دينه بزعمهم انتهى العيون

قال سلام عليك توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة اى لا اصيبك بمكروه ولا اقول لك بعد ما يؤذيك ولكن سأستغفر لك ربي لعله يوفقك للتوبة والايمان فان حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته وقد مر تقريره في سورة التوبة انه كان بي حفيا بليغا في البر والالطاف واعتزلكم وما تدعون من دون الله بالمهاجرة بديني وادعو ربي واعبده وحده عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا خائبا ضائع السعي مثلكم في دعاء آلهتكم وفي تصدير الكلام بعسى التواضع وهضم النفس والتنبيه على ان الاجابة والاثابة تفضل من الله تعالى غير واجب وان ملاك الامر خاتمته وهو غيب اراد بالاعتزال المهاجرة من ارض بابل الى الشام وما تدعون من دون الله اى ما تعبدونه من اصنامكم وادعو واعبد ربي ثم قال تواضعا وهضما للنفس ومعرضا بشقاوتهم بدعاء آلهتهم عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا اى كما شقيتم انتم بعبادة الاصنام فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله فلما اعتزل الكفار ومعبودهم وهبنا له اسحق ولدا ويعقوب ليستأنس بهما وكلا اى كل واحد منهما جعلنا نبيا اى لما ترك الكفار الفجار عوضه اولادا مؤمنين انبياء ووهبنا لهم من رحمتنا في المال والولد وجعلنا لهم لسان صدق ثناء حسنا وهو الصلوة على ابراهيم وآل ابراهيم في الصلوات وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهي العطية عليا رفيعا مشهورا انتهى

قال سلام عليك سلام توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة اى لا اصيبك بمكروه ولا اقول لك بعد ما يؤذيك ولكن سأستغفر لك ربي وعده بطلب المغفرة له من الله تعالى قيل لعله يوفقك للتوبة والايمان فان حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب الغفران وهو الايمان ويرد عليه انه لو كان كذلك لما كان وعده هذا مستثنى عن القدوة الحسنة لقوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك انه كان بي حفيا بليغا في البر واللطف واعتزلكم اراد بالاعتزال المهاجرة وما تدعون من دون الله اى وما تعبدون من اصنامكم وادعو ربي واعبده وحده ثم قال تواضعا وهضما للنفس وتنبيها على ان الاجابة والاثابة تفضل غير واجب وان ملاك الامر خاتمته وهو غيب وتعريضا بشقاوتهم بدعاء آلهتهم عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا خائبا ضائع السعي مثلكم في دعاء آلهتكم فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بالهجرة الى الشام وهبنا له اسحق ولدا ويعقوب اول ما وهب له اسمعيل عم على ما مر في تفسير قوله تعالى الحمد لله الذى وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق وانما خص اسحاق بالذكر لانه شجرة الانبياء عليهم السلام او لانه اراد ان يذكر اسمعيل بفضل على الانفراد وكلا اى كل واحد منهما جعلنا نبيا اى لما ترك الكفار الفجار لوجهه عوضه اولادا ابرارا ووهبنا لهم من رحمتنا النبوة والاولاد والاموال وجعلنا لهم لسان صدق ثناء حسنا وهو الصلوات على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في الصلوة الى قيام الساعة استجابة لدعوته واجعل لي لسان صدق في الآخرين عبر باللسان عما يوجد به كما عبر باليد عما يطلق بها وهو العطية ووصفه بالصدق لانه ثناء حسن لا كذب فيه عليا رفيعا مشهورا انتهى

قال استيناف كما سلف سلام عليك توديع ومتاركة على طريقة مقابلة السيئة بالحسنة اى لا اصيبك بمكروه بعد ولا اشافهك بما يؤذيك ولكن سأستغفر لك ربي اى استدعيه ان يغفر لك بان يوفقك للتوبة ويهديك الى الايمان كما يلوح به تعليل قوله تعالى واغفر لابي بقوله تعالى انه كان من الضالين والاستغفار بهذا المعنى للكافر قبل تبين انه يموت على الكفر مما لا ريب في جوازه وانما المحظور استدعاء المغفرة له مع بقائه على الكفر فانه مما لا مساغ له عقلا ولا نقلا واما الاستغفار له بعد موته على الكفر فلا تأباه قضية العقل وانما الذى يمنعه السمع الا يرى الى انه عليه السلام قال لعمه ابي طالب لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزل قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الآية ولا اشتباه في ان هذا الوعد من ابراهيم عليه السلام وكذا قوله لاستغفرن لك وما ترتب عليهما من قوله تعالى واغفر لابي الآية انما كان قبل انقطاع رجائه عن ايمانه صح

واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا قرئ بالفتح اي اخلصه الله تعالى
واصطفاه وبالكسر اي اخلص هو للعبادة لله فهو مخلص
بالرمن السعادة باصل الفطرة ومخلص فيما عليه من العبادة
بصدق الهمة وكان رسولا نبيا ارسله الله تعالى الى الخلق
فانباهم عنه ولذلك قدم رسولا مع انه اخص واعلى
وناديناه من جانب الطور هو جبل بين مصر ومدين
الايمن من ناحيته اليمنى من اليمين والمعنى انه حين اقبل
من مدين يريد مصر نودي من الشجرة وكانت في جانب
الجبل على يمين موسى عم بان تمثل له الكلام من تلك
الجهة او من جانبه الميمون من اليمن وقربناه تقريب منزلة
ومكانة دون منزل ومكان نجيا مناجيا كنديم بمعنى
منادم حال من احد الضميرين وقيل مرتفعا من النجو
وهو الارتفاع لما روي انه رفع فوق السموات حتى
سمع صرير القلم ووهبنا له من رحمتنا من اجل رحمتنا
اخاه مفعول هارون عطف بيان او بدل نبيا
حال منه هي المقصودة بالهبة اي وهبنا له نبوة اخيه
والا فهارون كان اكبر منه انتهى ابن كمال

واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا موحدا
اخلص عبادته عن الشرك والرياء او اسلم وجهه لله
واخلص نفسه عما سواه وقرا الكوفيون
بالفتح على ان الله اخلصه وكان رسولا نبيا
ارسله الله تعالى الى الخلق فانباهم عنه تعالى
ولذلك قدم رسولا مع انه اخص واعلى و
ناديناه من جانب الطور الايمن من ناحيته
اليمنى وهي التي تلي يمين موسى او من جانبه
الميمون من اليمن بان تمثل له الكلام من تلك
الجهة وقربناه تقريب تشريف شبهه بمن قربه
الملك لمناجاته نجيا مناجيا حال من احد الضميرين
وقيل مرتفعا من النجو وهو الارتفاع لما روي
انه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم ووهبنا له
من رحمتنا من اجل رحمتنا او بعض رحمتنا اخاه
معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته و
اجعل لي وزيرا من اهلي فانه كان اسن من موسى
وهو مفعول او بدل على ان يكون من للتبعيض
هرون عطف بيان له نبيا حال منه انتهى القاضي

واذكر في الكتاب موسى قدم ذكره على ذكر اسمعيل لئلا ينفصل
عن ذكر يعقوب عليهم السلام انه كان مخلصا موحدا اخلص
عبادته عن الشرك والرياء او اسلم وجهه لله تعالى
واخلص نفسه عما سواه وقرئ مخلصا على ان الله تعالى
اخلصه وكان رسولا نبيا ارسله الله تعالى الى الخلق
فانباهم عنه ولذلك قدم رسولا مع كونه اخص واعلى وناديناه من جانب الطور الايمن الطور جبل بين مصر
ومدين والايمن صفة للجانب اي ناديناه من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى عليه السلام
او من جانبه الميمون من اليمن ومعنى ندائه منه انه تمثل له الكلام من تلك الجهة وقربناه نجيا تقريب تشريف
مثل حاله عليه السلام بحال من قربه الملك لمناجاته واصطفاه لمصاحبته ونجيا حال من احد الضميرين في ناديناه
او قربناه وقيل مرتفعا لما روي انه رفع فوق السموات حتى سمع صريف القلم ووهبنا له من رحمتنا اي من اجل
رحمتنا ورافتنا له او بعض رحمتنا اخاه اي معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته بقوله واجعل لي وزيرا من اهلي هرون
اخي لا نفسه لانه كان اكبر منه عليهما السلام وهو على الاول مفعول وعلى الثاني بدل وقوله تعالى هرون عطف بيان وقوله تعالى
نبيا حال منه انتهى

ثم قال تعالى واذكر يا محمد عليه الصلوة والسلام لهم في الكتاب موسى انه كان مخلصا بفتح اللام اي معصوما
من الكفر والمعاصي لانه اختاره الله تعالى لمحبته وعبادته وكسر اللام اي اخلص العبادة لله تعالى عن الشرك والرياء
واسلم وجهه له وكان رسولا نبيا الى بني اسرائيل يخبرهم بكتاب من الله تعالى وبغير كتاب وناديناه من جانب الطور الايمن
من موسى لا من الجبل اذ لا يمين له ولا شمال وقربناه نجيا مناجيا بلا وحي فمعنى التقريب اسماعه كلامه وقيل قربه حتى سمع
صريف القلم الذي كتبت التورية في اللوح المنزل ووهبنا له اي لموسى عليه السلام من رحمتنا اي من اجل رحمتنا له اخاه
هرون عطف بيان ونبيا حال منه ليكون معه وزيرا معينا انتهى ابو السعود

ابو السعود رحمه الله

حاشية

واذكر في الكتاب اسمعيل هو ابن ابرهيم عليهما السلام انه كان صادق الوعد لانه اذا وعد انجز قيل انه وعد رجلا
ان يقيم مكانه حتى يرجع اليه فاقام مكانه ثلثة وقيل سنة وذكره بصدق الوعد وان وجد في غيره من الانبيا
تشريفا له ولشهرته به من خصاله وكان رسولا الى قومه نبيا يخبر عن الله تعالى وكان يامر اهله اى اهل دينه وقومه
بالصلوة والزكوة اى باتمامهما وكان عند ربه مرضيا اى صالحا بطاعة الله تعالى زكيا عن معصية واذكر في الكتاب
ادريس اى خبره انه كان صديقا نبيا اى صادقا باخباره عن الله تعالى سمى به لكثرة درسه من كتاب الله تعالى
والسنن واسمه اخنوخ ورفعناه مكانا عليا اى الجنة حيا وقيل هو شرف النبوة وقيل رفع الى السما
السابعة روى انه اذيق الموت ساعة ثم احيى وادخل الجنة وقيل صعد به الملك الى السما ومات
بين جناحيه ثم احيى وهو اول من حمل السلاح وقاتل الكفار واول من نظر في علم الحساب واول من
خط بالقلم وهو اول من لبس ثوب القطن ومن خاط بالثياب وكانوا يلبسون الجلود قبل ذلك
انتهى العيون

واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد
ذكره بذلك لانه المشهود به والموصوف باشياء في
هذا الباب لم تعهد من غيره وناهيك انه وعد الصبر على
الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين فوفى
وكان رسولا نبيا يدل على ان الرسول لا يلزم ان يكون
صاحب شريعة فان اولاد ابرهيم كانوا على شريعته
وكان يامر اهله بالصلوة والزكوة اشتغالا بالاهم
وهو ان يقبل الرجل على نفسه ومن هو اقرب
الناس اليه بالتكميل قال تعالى وانذر عشيرتك الاقربين
وامر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا
وقيل اهله امته فان الانبياء آباء الامم وكان عند ربه
مرضيا لاستقامة اقواله وافعاله واذكر في الكتاب
ادريس وهو سبط شيث وجد ابي نوح واسمه اخنوخ
واشتقاق ادريس من الدرس يرده منع صرفه
نعم لا يبعد ان يكون معناه في تلك اللغة قريبا من
ذلك فلقب به لكثرة درسه اذ روى انه تعالى
انزل عليه ثلثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم
ونظر في علم النجوم والحساب انه كان صديقا نبيا
ورفعناه مكانا عليا يعني شرف النبوة والزلفى
عند الله تعالى وقيل الجنة وقيل السماء السادسة
او الرابعة انتهى

واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد ذكره
بذلك لشهرته به واتصافه باشيا من هذا الباب لم تعهد
من غيره وكان رسولا نبيا بشرع ابيه الى قوم دون قوم ابيه
وهم جرهم فكان صاحب شريعة بالنظر اليهم لاختصاص
شرع ابيه بحسب دعوته لقومه وكان يامر اهله اشتغالا
بالاهم وهو ان يقبل الرجل على نفسه ومن هو اقرب الناس اليه
بالتكميل وقيل اهله امته فان الاهل يطلق على القوم كما في
قوله فانتبذت من اهلها بالصلوة والزكوة انما خصتا
لانهما اما العبادات البدنية والمالية وكان عند ربه
مرضيا لاستقامة اقواله وافعاله واذكر في الكتاب
ادريس هو اخنوخ اول مرسل بعد آدم عم واول من
خط بالقلم وخاط اللباس ونظر في علم النجوم والحساب
واتخذ الموازين والمكاييل والاسلحة وقاتل بني
قابيل واشتقاقه من الدرس يرده منع صرفه
نعم لا يبعد ان يكون معناه في تلك اللغة قريبا
من ذلك فلقب به لكثرة درسه اذ روى انه تعالى
انزل عليه ثلثين صحيفة انه كان صديقا نبيا ورفعناه
مكانا عليا هو شرف النبوة والزلفى عند الله تعالى
وقيل معناه رفعته الملائكة الى السماء الرابعة او السادسة
وعن الحسن الى الجنة انتهى ابو ...

واذكر في الكتاب اسمعيل فصل ذكره عن ذكر ابيه واخيه لابراز كمال
الاعتناء بامره بايراده مستقلا وقوله تعالى انه كان صادق
الوعد تعليل لموجب الامر وايراده عليه السلام بهذا الوصف
لكمال شهرته به وناهيك انه وعد الصبر على الذبح بقوله
ستجدني ان شاء الله صابرا فوفى وكان رسولا نبيا فيه دلالة على ان الرسول لا يجب صاحب شريعة فان اولاد ابراهيم
كانوا على شريعته وكان يامر اهله بالصلوة والزكوة اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل بالتكميل على نفسه ومن هو اقرب
الناس اليه قال الله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وامر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا وقصدا الى تكميل الكل
بتكميلهم لانهم قدوة يؤتسى بهم وقيل اهله امته فان الانبياء عليهم السلام آباء الامم وكان عند ربه مرضيا لاتصافه
بالنعوت الجليلة التي من جملتها ما ذكر من خصاله الحميدة واذكر في الكتاب ادريس هو سبط شيث وجد ابي نوح بن لمك
بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليهم السلام واشتقاقه من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون
معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة دراسته روى انه تعالى انزل عليه ثلثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم
ونظر في علم النجوم والحساب انه كان صديقا ملازما للصدق في جميع احواله نبيا خبر آخر لكان مخصص للاول اذ ليس كل صديق
نبيا ورفعناه مكانا عليا هو شرف النبوة والزلفى عند الله عز وجل وقيل علو الرتبة بالذكر الجميل في الدنيا كما في قوله تعالى
ورفعنا لك ذكرك وقيل الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة روى عن كعب وغيره في سبب رفع ادريس عليه السلام
انه سار ذات يوم في حاجة فاصابه وهج الشمس فقال يا رب اني قد مشيت فيها يوما وقد اصابني منها ما اصابني
فكيف من يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها
ما لا يعرف فقال يا رب ما الذي قضيت فيه قال ان عبدي ادريس سألني ان اخفف عنك حملها وحرها فاجبته قال رب
اجعل بيني وبينه خلة فاذن الله تعالى له فرفعه الى السماء انتهى ابو السعود رحمه الله

اولئك اشارة الى المذكورين في السورة من زكريا الى ادريس الذين انعم الله عليهم بانواع النعم الدينية والدنياوية من النبيين من للتبعيض لان المذكورين ليسوا مطلق المنعم عليهم بل الذين وقعوا خبرا عن اولئك وهم بعض الانبيا من ذرية آدم بدل منه باعادة الجار ومن حملنا مع نوح اي ومن ذرية من حملنا مع نوح خصوصا وهم من عدا ادريس ع م فان ابراهيم ع م كان من ذرية من حمل مع نوح ع م والا لقيل ومن نوح ومن ذرية ابراهيم الباقون واسرائيل اي ومن ذرية اسرائيل ع وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى على ان اولاد البنات من الذرية وممن هدينا ومن جملة من هديناه الى الحق واجتبينا من الانام للنبوة والكرامة اذا تتلى عليهم آيات الرحمن اي اذا تليت عليهم كتب الله المنزلة وهو كلام مستانف ان جعلت الذين خبر الاولئك لبيان خشيتهم من الله تعالى واخباتهم له مع ما لهم من علو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله تعالى وان جعلته صفة له كان خبرا وقرئ يتلى بالياء لوجود الفاصل مع ان التانيث غير حقيقي خروا سجدا سقطوا على وجوههم ساجدين رغبة وبكيا باكين رهبة جمع باك كسجود وقعود في جمع ساجد وقاعد

انتهى بيضاوي

اولئك الذين انعم الله عليهم بانواع النعم الدينية والدنياوية من النبيين بيان للموصول من ذرية آدم بدل منه باعادة الجار ويجوز ان تكون من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية وممن حملنا مع نوح اي ومن ذرية من حملنا خصوصا وهم من عدا ادريس فان ابراهيم كان من ذرية سام بن نوح ومن ذرية ابراهيم الباقون واسرائيل عطف على ابراهيم اي ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية وممن هدينا ومن جملة من هديناه الى الحق واجتبينا للنبوة والكرامة اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا خبر لاولئك ان جعلت الموصول صفة واستيناف ان جعلته خبره لبيان خشيتهم من الله تعالى واخباتهم له مع ما لهم من علو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله تعالى وعن النبي صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود في جمع ساجد وقرئ يتلى بالياء لان التانيث غير حقيقي وقرئ بكيا بكسر الباء وعن صالح المري قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فاين البكاء فيقول في سجود التلاوة سبحان ربي الاعلى ثلثا وهو الاصح انتهى وفي قاضيخان اربعة عشر سبعة منها فريضة وثلث منها واجب واربعة منها سنة فرض في الاعراف والرعد والنحل وبني اسرائيل ومريم واول الحج وص وواجب في القراءة الم تنزيل وسجدة حم وسنة في النمل والنجم واذا السماء انشقت

انتهى

قوله في اول الحج احترازا عن الثانية وهي قوله تعالى واركعوا واسجدوا فانه لا سجدة عندنا خلافا للشافعي صدر

اولئك اشارة الى المذكورين في السورة الكريمة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدا وقوله تعالى الذين انعم الله عليهم صفته اي انعم عليهم بفنون النعم الدينية والدنيوية حسبما اشير اليه مجملا وقوله تعالى من النبيين بيان للموصول وقوله من ذرية آدم بدل منه باعادة الجار ويجوز ان يكون كلمة من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية وممن حملنا مع نوح اي ومن ذرية من حملنا معه خصوصا وهم ما عدا ادريس عم فان ابراهيم ع م كان من ذرية سام بن نوح ومن ذرية ابراهيم وهم الباقون واسرائيل عطف على ابرهيم اي ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية وممن هدينا واجتبينا اي ومن جملة من هديناهم الى الحق واجتبيناهم للنبوة والكرامة وقوله تعالى اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا خبر لاولئك ويجوز ان يكون الخبر هو الموصول وهذا استئناف مسوق لبيان خشيتهم من الله تعالى واخباتهم له مع ما لهم من علو الرتبة وسمو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله عز سلطانه وسجدا وبكيا حالان من ضمير خروا اي ساجدين باكين عن النبي صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود جمع ساجد واصله بكوي فاجتمع الواو والياء وسبقت احدهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء وحركت الكاف بالكسر المجانس للياء وقرئ يتلى بالياء التحتانية لان التانيث غير حقيقي وقرئ بكيا بكسر الباء للاتباع قالوا ينبغي ان يدعو الساجد في سجدته بما يليق بآيتها فهنا يقول اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك وفي آية الاسراء يقول اللهم اجعلني من الباكين الخاشعين لك وفي آية تنزيل السجدة يقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك من ان اكون من المستكبرين عن امرك

انتهى ابو السعود رحمه الله

قوله اولئك اشارة الى المذكورين في السورة من زكريا الى ادريس مبتدا وخبره الذين انعم الله عليهم من النبيين هو بيان ومن ذرية آدم تبعيض وبدل من النبيين قوله وممن حملنا مع نوح عطف عليه وكذا ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وكان ادريس عليه السلام من ذرية آدم عليه السلام لانه قريب منه وروي انه جد ابي نوح عليه السلام وابراهيم عليه السلام من ذرية من حمل مع نوح عليه السلام في السفينة لانه من ولد سام بن نوح واسمعيل واسحق ويعقوب عليهم السلام من ذرية ابراهيم عليه السلام وموسى وهرون وزكريا ويحيى عليهم السلام من ذرية اسرائيل وهو يعقوب عليه السلام وكذا عيسى عليه السلام لان مريم من ذريته قوله وممن هدينا يجوز ان يعطف على من الاولى او الثانية ويجوز ان يكون استيناف ويتعلق بقوله اذا تتلى الآية تقديره وممن هدينا اي اكرمنا بالاسلام واجتبينا اي اصطفينا بالقربة من عندنا بعد هولاء قوم وهم عبد الله بن سلام واصحابه اذا تتلى عليهم اي تقرأ على هولاء آيات الرحمن اي القرآن خروا اي سقطوا على الارض سجدا اي ساجدين وبكيا اي باكين من خوف الله تعالى وهما حالان مقدرتان من ضمير خروا ويحتمل ان يكون اولئك مبتدا والذين الى قوله اذا تتلى وصفا له وجملة اذا خبره والمعنى ان الانبياء عليهم السلام قبلكم كانوا يسجدون ويبكون لسماع آيات الله تعالى فكونوا مثلهم قال صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا اي ان لم تبك اعينكم فلتبك قلوبكم يعني تحزنوا عند سماع القرآن تغفروا به فان القرآن نزل بحزن على المخزونين

انتهى العيون

٥ يدخلون الجنة بموجب الوعد المحتوم • وقرئ يُدخَلون على البناء للمفعول ولا يظلمون شيئا اي لا ينقصون من جزاء اعمالهم
شيئا او لا ينقصون شيئا من النقص • وفيه تنبيه على ان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم جنات عدن
بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها وما بينهما اعتراض • او نصب على المدح • وقرئ بالرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف
اي هي او تلك جنات الخ او مبتدأ خبره التي وعد الخ • وقرئ جنة عدن نصبا ورفعا • وعدن علم بمعنى العدن
وهو الاقامة كما ان فينة وسحر وامس فيمن لم يصرفها اعلام لمعانيها الغنية وهي الساعة التي انت فيها والسحر
والامس فجرى لذلك مجرى العدن او هو علم لارض الجنة بلا وصف عند النحويين ولا وصفه بقوله تعالى
التي وعد الرحمن عباده وجعله بدلا منه خلاف الظاهر فان الموصول في حكم المشتق وقد نصوا على ان — اي وصف ما اضيف اليه
البدل بالمشتق ضعيف والتعرض لعنوان الرحمة للايذان بان وعدها وانجازه لكمال سعة رحمته تعالى والباء
في قوله بالغيب متعلقة بمضمر هو حال من المضمر العائد الى الجنات او من عباده اي وعدها اياهم ملتبسة او ملتبسين
بالغيب اي غائبة عنهم غير حاضرة او غائبين عنها لا يرونها وانما امنوا بها بمجرد الاخبار • او بمضمر هو سبب للوعد اي وعدها
اياهم بسبب ايمانهم انه كان وعده اي موعوده كائنا ما كان فيدخل فيه الجنات الموعودة دخولا اوليا ولما كانت هي
مثابة يرجع اليها قيل مأتيا اي يأتيه من وعد له لا محالة بغير خلف • وقيل هو مفعول بمعنى فاعل وقيل مأتيا اي
مفعولا منجزا من اتى اليه احسانا اي فعله لا يسمعون الخ
انتهى ابو السعود

فخلف من بعدهم اي بقي من بعد الانبياء عليهم السلام خلف بسكون اللام بقية السوء وبالفتح بقية الخير • والمراد من الخلف
اليهود والنصارى وقيل هم من هذه الامة اضاعوا الصلوة المفروضة عن وقتها وتركوها وقيل اضاعتها ان لا يصلي
الظهر حتى يأتي العصر ولا يصلي حتى تغرب الشمس واتبعوا الشهوات اي اللذات المحرمة من شرب الخمر والزنا او
استحلال نكاح الاخت من الاب فسوف يلقون غيا اي هلاكا وضلالا عن طريق الجنة وقيل هو واد في جهنم
تستعيذ منه اودية من حره • اعد للزانين وشاربي الخمر واكل الربوا وشاهد الزور ولاهل العقوق وتارك
الصلوة قوله الا من تاب استثناء من فاعل يلقون اي الا من رجع من الفسق والكفر وآمن وعمل صالحا بعد
التوبة فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا اي ينقصون من ثواب اعمالهم التي كانت في حال غير الكفر
نقصا تاما لان تقدم الكفر لا يضرهم اذا تابوا قوله جنات عدن بدل من الجنة لاشتمالها على جنات عدن • والعدن
علم لمعنى الاقامة او علم لارض الجنة ووصفها بقوله التي وعد الرحمن عباده بالغيب وهو ما غاب عن العباد
اي وعدها لهم ولم يروها وقيل بتصديق الغيب انه كان وعده اي ان الشأن كان وعد الله مأتيا مفعول
من الاتيان بمعنى الفاعل اي جائيا البتة معناه كان وعده مفعولا منجزا من قولك اتى به اي فعله انتهى العيون

عطف تفسير لعقبهم

فخلف من بعدهم خلف فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء
يقال خلف صدق بالفتح وخلف سوء بالسكون
اضاعوا الصلوة تركوها او اخروها عن وقتها
واتبعوا الشهوات كشرب الخمر واستحلال نكاح
الاخت من الاب والانهماك في المعاصي • وعن علي رضي الله
عنه • واتبعوا الشهوات من بنى الشديد وركب
المنظور ولبس المشهور فسوف يلقون غيا
شرا كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس امره • ومن
يغو لا يعدم على الغي لائما • او جزاء غي كقوله تعالى
يلق اثاما او غيا عن طريق الجنة وقيل غي واد في
جهنم يستعيذ منه اوديتها الا من تاب وآمن
وعمل صالحا يدل على ان الآية في الكفرة فاولئك يدخلون
الجنة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر ويعقوب
على البناء على البناء للمفعول من ادخل ولا يظلمون
شيئا ولا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم • ويجوز
ان ينتصب شيئا على المصدر • وفيه تنبيه على ان كفرهم
السابق لا يضرهم ولا ينقص شيئا من اجورهم
جنات عدن بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها
او منصوب على المدح • وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف
وعدن علم لانه المضاف اليه في العلم او علم للعدن
بمعنى الاقامة كبرة ولذلك صح وصف ما اضيف
اليه بقوله التي وعد الرحمن عباده بالغيب اي
وعدها اياهم وهي غائبة عنهم او وهم غائبون عنها
او وعدهم بايمانهم بالغيب انه اي الله كان وعده
الذي هو الجنة مأتيا يأتيها اهلها الموعود لهم لا محالة
وقيل هو من اتى اليه احسانا اي مفعولا منجزا انتهى القاضي

الدال على التحقيق والاثبات والتأبيد بان اعلم
وصيغة بكان الدال على الحصول في الكال المفعول

فخلف من بعدهم خلف فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء
يقال خلف صدق بفتح اللام وخلف سوء بسكونها
اضاعوا الصلوة بتركها وقيل بتأخيرها ولا يناسبه
الا من تاب وآمن لانه صريح في انه حق الكفار واتبعوا
الشهوات ملاذ النفوس • وعن علي رضي الله عنه من بنى
الشديد وركب المنظور ولبس المشهور فسوف يلقون
غيا شرا لكل شر عند العرب غي وكل خير رشاد الا من تاب
رجع عن الكفر وآمن وعمل صالحا بعد ايمانه فاولئك يدخلون
الجنة وقرئ على البناء للمفعول من ادخل • دخول الجنة
غير مشروط بالعمل الصالح وانما ذكر ذلك لقوله ولا يظلمون
اي ولا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ولا يمنعونه بل
يضاعف لهم • ويجوز ان ينتصب شيئا على المصدر
وفيه بيان ان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم
جنات بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها او
او منصوب على المدح • وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف
عدن معرفة لانه علم لمعنى العدن وهو الاقامة او هو
علم لارض الجنة لكونها مكان اقامة ولذلك صح وصف ما
اضيف اليه بقوله التي وعد الرحمن عباده اي عباده
التائبين المؤمنين الذين يعملون الصالحات لما سبق
ذكرهم ولانه اضافهم اليه وهو للاختصاص وهؤلاء
اهل الاختصاص بالغيب بالوحي الى نبيه او وعدها
وهي غائبة عنهم او هم غائبون عنها انه ضمير الشأن او ضمير
الرحمن كان وعده اي موعوده وهو الجنة مأتيا يأتيها اهلها
يأتونها انتهى ابن الكمال

ذكره صاحب الكشاف في سورة البقرة ا ه
جنات بدل من الجنة لان الجنة تشتمل على جنات عدن
لانها جنس لارض الجنة عدن معرفة لانها علم بمعنى العدن وهو
الاقامة او علم لارض الجنة لكونها مكان اقامة — من المدارك لكن الجنس
يعني ان المنكر علم للمعرف باللام كثيرة لانها اسم للمبرة المعرف بلام
مصدر سمي بمعنى البر
ولما كان انه ليس بعلم بل بمعنى الاقامة
ان يقول ليس الموصول بصفة بل بدل ا ه سعد كاه
اي موعوده اي الجنة ا ه قوله او هم غائبون عنها اشارة الى ان عباده سعد كاه
الى ان قوله بالغيب حال والباء للملابسة والغيب بمعنى الغيبة
وذو الحال اما ضمير المفعول العائد الى الموصول او المفعول الظاهر

فخلف من بعدهم خلف تعالى
العقب الخير خلف بفتح اللام والعقب
الشر خلف بالسكون اي فعقبهم وجاء بعدهم
عقب سوء اضاعوا الصلوة وقرئ الصلوات
اي تركوها او اخروها عن وقتها واتبعوا الشهوات من شرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك في فنون المعاصي
وعن علي رضي الله عنه هم من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور فسوف يلقون غيا اي شرا فان كل عند العرب غي وكل خير رشاد
كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس امره • ومن يغو لا يعدم على الغي لائما • وعن الضحاك جزاء غي كقوله تعالى يلق اثاما اي جزاء اثام
او غيا عن طريق الجنة وقيل غي واد في جهنم يستعيذ منه اوديتها قوله تعالى الا من تاب وآمن وعمل صالحا يدل على ان الآية في
حق الكفرة فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا اي فاولئك
المنعوتون بالتوبة والايمان والعمل الصالح يدخلون الجنة ٥

تلك الجنة التي نورث من الميراث اى نعطي بغير اختيار الوارث من عبادنا من كان تقيا اى مطيعا لله تعالى
كما يرث الوارث المال من المتوفى ويبقى له وقيل اورثوا منازل اهل النار من الجنة لو اطاعوا ربهم انتهى العيون

لا يسمعون فيها لغوا اللغو الشئ الساقط الذي لا يعتد به
من الكلام وغيره ولذلك قيل لما لا يعتد به في الدية من
اولاد الابل لغو وللساقط الذي لا يعتد به من الايمان
اليمين اللغو الا سلاما اى ولكن يسمعون سلاما من
الملائكة او من بعضهم على بعض او لا يسمعون فيها الا
قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة فهو استثناء
منقطع عند الجمهور وقيل متصل على تنزيل غير المحتمل
منزلة المحتمل مبالغة في نفي اللغو يعني مظنة سماع اللغو
في حقهم على تقدير ان يكون السلام لغوا وذلك محال والتعليق
على المحال محال كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول
من قراع الكتائب ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا لما كان
اعدل احوال الطاعم وابعدها من الضرر هو الغداء و
العشاء عرفهم جل جلاله اعتدال احوال اهل الجنة في
مآكلهم وضرب لهم البكرة والعشي مثلا لذلك والا فلا
بكرة ولا عشي ثمة ويجوز ان يراد معنى اكلها دائم اي
لهم ذلك غير منقطع وهذا كما يقول الرجل انا اصبح وامسي
في ذكرك وفي خلاه يغدو الي ويروح اى لا ينقطع
تلك الجنة التي نورث من عبادنا اى نجعلها ميراث
اعمالهم يعني ثمرتها وعاقبتها او نبقي الجنة على المتقي كما يبقى
مال الموروث على الوارث على استعارة الايراث
في الابقاء فان الوراثة اقوى سبب للتمليك والاستحقاق
من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد ولا اسقاط وقيل يرثون زيادة في كرامتهم المساكن التي
كانت لاهل النار لو آمنوا لان الكفر موت حكما من كان تقيا عن الكفر انتهى

لا يسمعون فيها لغوا فضول كلام الا سلاما ولكن
يسمعون قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة
او الا تسليم الملائكة عليهم او تسليم بعضهم على بعض
على الاستثناء المنقطع او على معنى ان التسليم
ان كان لغوا فلا يسمعون لغوا سواه كقوله
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع
الكتائب او على ان معناه الدعاء بالسلامة و
اهلها اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما
فائدته الاكرام ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا
على عادة المتنعمين والتوسط بين الزهادة و
الرغابة وقيل المراد دوام الرزق ودروره او كثرته
تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا
نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما نبقي على الوارث
مال مورثه والوراثة اقوى لفظ يستعمل في
التمليك والاستحقاق من حيث انها لا تعقب بفسخ
ولا استرجاع ولا تبطل برد واسقاط و
قيل يورث المتقون من الجنة المساكن التي
كانت لاهل النار لو اطاعوا زيادة في كرامتهم
وعن يعقوب نورث بالتشديد انتهى قاضي

لا يسمعون فيها لغوا اى فضول كلام لا طائل تحته وهو كناية عن عدم صدور اللغو عن اهلها وفيه تنبيه على ان اللغو مما ينبغي
ان يجتنب عنه في هذه الدار ما امكن الا سلاما استثناء منقطع اى لكن يسمعون تسليم الملائكة عليهم او تسليم بعضهم
على بعض او متصل بطريق التعليق بالمحال اى لا يسمعون لغوا الا سلاما فحيث استحال كون السلام لغوا استحال
سماعهم له بالكلية كما في قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب او على ان معناه
الدعاء بالسلامة وهم اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام وقوله ولهم رزقهم فيها بكرة
وعشيا وارد على عادة المتنعمين في هذه الدار وقيل المراد دوام رزقهم ودروره والا فليس ثمة بكرة ولا عشي
تلك الجنة مبتدا وخبر جيء به لتعظيم شان الجنة وتعيين اهلها فان ما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان
ببعد منزلتها وعلو رتبتها التي نورث اى نعطيها من عبادنا من كان تقيا اى نبقيها عليهم بتقواهم ونمتعهم بها
كما نبقي على الوارث مال مورثه ونمتعه به والوراثة اقوى ما يستعمل في التمليك والاستحقاق من الالفاظ
من حيث انها لا يعقب بفسخ ولا استرجاع ولا ابطال وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت
لاهل النار لو آمنوا واطاعوا زيادة في كرامتهم وقرئ نورث بالتشديد انتهى ابو السعود

لا يسمعون فيها لغوا او فحشا او كذبا او باطلا الا سلاما اى لكنهم يسمعون سلاما عليهم من الملائكة او تسليم بعضهم على بعض
ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قيل المراد منه دوام الرزق لا الوقتان المعلومان كما يقال انا عند فلان صباحا ومساء
يراد الدوام منه وقيل يؤتى طعامهم على مقدار البكرة والعشي اذ لا نهار ثمة ولا ليل بل هم في نور ابدا وانما وصف الله
الجنة بذلك لان العرب لا تعرف من العيش افضل من الرزق بالبكرة والعشي

والتغير للوحي **له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك** وهو ما نحن فيه من الاماكن والازمنة ولا ننتقل من مكان
الى مكان ولا ننزل في زمان دون زمان الا بامره ومشيئته **وما كان ربك نسيا** اي تاركا لك يعني ان عدم النزول
لم يكن الا لعدم الامر به لحكمة بالغة فيه ولم يكن لتركه تعالى لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وفي اعادة
اسم الرب المعرب عن التبليغ الى الكمال اللائق مضافا الى ضميره عليه السلام من تشريفه والاشعار بعلة الحكم ما لا يخفى
وقيل اول الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة مخاطبا بعضهم بعضا بطريق التبجح والابتهاج والمعنى وما ننزل
الجنة الا بامر الله تعالى ولطفه وهو مالك الامور كلها سالفها ومترقبها وحاضرها فما وجدناه وما نجده من لطفه
وفضله وقوله تعالى **وما كان ربك نسيا** تقرير لقولهم من جهة الله تعالى اي وما كان ناسيا لاعمال العاملين وما وعد
من الثواب عليها وقوله تعالى **رب السموات والارض وما بينهما** بيان لاستحالة النسيان عليه تعالى فان من بيده ملكوت
السموات والارض وما بينهما كيف يتصور ان يحوم حول ساحته سبحانه الغفلة والنسيان وهو خبر مبتدا محذوف
او بدل من ربك والفاء في قوله تعالى **فاعبده واصطبر لعبادته** لترتيب ما بعدها من موجب الامرين على ما قبلها
من كونه تعالى رب السموات والارض وما بينهما وقيل من كونه تعالى غير تارك له عليه السلام او غير ناس
لاعمال العاملين والمعنى فحين عرفته تعالى بما ذكر من الربوبية الكاملة فاعبده الخ فان ايجاب معرفته تعالى كذلك
لعبادته مما لا ريب فيه او حين عرفت انه تعالى لا ينساك او لا ينسى اعمال العاملين كائنا من كان فاقبل
على عبادته واصطبر على مشاقها ولا تحزن بابطاء الوحي وهزء الكفرة فانه يراقبك ويراعيك ويلطف
بك في الدنيا والآخرة وتعدية الاصطبار باللام لا بعلى الاستعلاء كما في قوله تعالى واصطبر عليها لتضمنه
معنى الثبات للعبادة فيما تورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمبارز اصطبر لقرنك اي اثبت
فيما يورد عليك من شداته **هل تعلم له سميا** السمي هو الشريك في الاسم والظاهر ان يراد به هٰهنا الشريك في
اسم خاص قد عبر عنه تعالى بذلك وهو رب السموات والارض وما بينهما والمراد بانكار العلم ونفيه انكار
المعلوم ونفيه على ابلغ وجه وآكده فالجملة تقرير لما افاده الفاء من علية ربوبيته العامة لوجوب عبادته
بل لوجوب تخصيصها به تعالى ببيان استقلاله عز وجل بذلك الاسم وانتفاء اطلاقه على الغير بالكلية حقا
او باطلا وقيل المراد هو الشريك في الاسم الجليل فان المشركين مع غلوهم في المكابرة لم يسموا الصنم بالجلالة
اصلا وقيل هو الشريك في اسم الاله والمراد بالتسمية التسمية على الحق فالمعنى هل تعلم شيئا يسمى
بالاستحقاق الها واما التسمية على الباطل فهي كلا تسمية فتقرير الجملة لوجوب العبادة باعتبار ما في
الاسمين الكريمين من الاشعار باستحقاق العبادة فتدبر
انتهى ابو السعود رحمه الله

وما نتنزل الا بامر ربك وقيل هو قول اهل الجنة الذين يرثون المنازل فيها اي يقولون لا ننزل منزلا من الجنة الا باذن ربنا
وقيل نزل حين انقطع الوحي في مدته واستبطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم جبرئيل عليه السلام عند سؤال مكة عن ذي القرنين
واصحاب الكهف وامر الروح ولم يدر كيف يجيب ورجا الوحي اليه فتاخر فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال الكفار
ودعه ربه وقلاه قيل انه احتبس اربعين يوما وقيل خمسة عشر يوما فلما نزل جبرئيل قال له النبي صلى الله عليه وسلم
ابطات علي حتى ساء ظني وكنت مشتاقا اليك فقال اني كنت اشوق ولكني عبد مامور لا افعل شيئا
الا باذنه تعالى فقال وما نتنزل الا اي قال الله تعالى قل لمحمد صلى الله عليه وسلم وما نتنزل الا بامر ربك **له** اي لله تعالى
بالاختصاص **ما بين ايدينا** من امر الآخرة **وما خلفنا** من امر الدنيا **وما بين ذلك** اي بين النفختين وبينهما اربعون سنة
وقيل له ما قدامنا وما خلفنا من الجهات والاماكن فلا نتملك ان ننتقل من جهة الى جهة ومن مكان الى مكان
الا بامر ربنا ومشيئته وهو العالم الحافظ بكل حركة وسكون وما يحدث من الاحوال لا يجوز عليه الغفلة والنسيان
فلا نتقلب في ملكوته الا اذا راى فيه مصلحة وحكمة واطلق الاذن لنا فيه وهو معنى قوله **وما كان ربك نسيا**
اي ناسيا الشيء ما فانه عالم بكل ما كان وما يكون وما هو كائن حافظ له وقيل معناه ما كان ربك تاركا لك
وان تاخر عنك الوحي لمصلحة **رب السموات والارض** اي مالك ملكوتهما وما بينهما من الخلق فكيف يجوز عليه النسيان
فلو جاز ذلك لما جاز ان يكون ربا فنسيانه مستحيل **فاعبده** اي اثبت على عبادته **واصطبر لعبادته** اي على اتهن
ولا تضق صدرك عن احتباس الوحي مدة وعن شماتة الاعداء بك يعني اعبده كما امرك ينبئك كما اثاب غيرك
من المتقين ○

○ وانما قال لعبادته باللام دون على نحو واصطبر عليها لان العبادة جعلت كالقرن
للمحارب لشدتها فانه يقال للمحارب اصطبر لقرنك فيما يورد عليك من الشدائد
وقيل يجوز ان يكون المعنى اصطبر على الشدائد لاجل عبادته اي لتتمكن لك
الاتيان بها **هل تعلم له سميا** اي لم يسم شيء بالله قط وقيل سميا اي مثلا وشبيها
يعني اذا صح ان لا معبود توجه اليه العبادة الا هو وحده لم يكن لك بد من
عبادته والاصطبار على مشاق العبادة
انتهى العيون

ما منعك ان تزورنا فنزلنا اكثر مما تزورنا

وما نتنزل الا بامر ربك والتنزل على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الاطلاق والاول اليق هنا يعني ان نزولنا في الاحايين وقتا غب وقت ليس الا بامر الله له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا اي له ما قدامنا وما خلفنا من الاماكن وما نحن فيها فلا نتمالك ان ننتقل من مكان الى مكان الا بامر الله تعالى ومشيته وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون وما يحدث من الاحوال لا يجوز عليه الغفلة والنسيان فانى لنا ان نتقلب في ملكوته الا اذا اذن لنا فيه رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك او خبر مبتدا محذوف اي هو رب السموات والارض ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرفت انه متصف بهذه الصفات فاعبده فاثبت على عبادته واصطبر لعبادته اي اصطبر على مكافاة الحسود لعبادة المعبود او اصطبر على المشاق لاجل عبادة الخلاق اي لتتمكن من الاتيان بها هل تعلم له سميا شبيها ومثلا او هل يسمى احد باسم الله غيره لانه مخصوص بالمعبود بالحق اي اذا صح ان لا معبود يوجه اليه العباد العبادة الا هو وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها انتهى كلام الذاكر

وما نتنزل الا بامر ربك حكاية قول جبريل عليه السلام حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تاخر الوحي اياما فقال المشركون لعل ربك نسيك يا جبريل ما منعك ان تزورنا اكثر مما تزورنا فنزلت والتنزل على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الاطلاق والاول اليق هنا يعني ان نزولنا في الاحايين وقتا غب وقت ليس الا بامر الله تعالى وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحي له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما نحن فيه من الاماكن او الاحايين لا ننتقل من مكان الى مكان او لا ننزل في زمان دون زمان الا باذنه وما كان ربك نسيا اي ناسيا لك وانما كان ذلك لحكمة رآها فيه وقد مر وجه ايثار صيغة المبالغة في تفسير قوله عصيا رب السموات والارض وما بينهما بيان لامتناع النسيان عليه وهو خبر محذوف او بدل من ربك فاعبده واصطبر لعبادته خطاب للرسول عليه السلام مرتب على ما تقدم اي لما عرفت ربك بانه لا ينبغي له ان ينساك فاثبت لاجل عبادته واصبر على مشاقها ولا تضطرب بابطاء الوحي وهزء الكفرة وانما عدي باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك فالعبادة ما اصطبر لها لا ما اصطبر عليها هل تعلم له سميا والاستفهام على سبيل الانكار وذلك كناية عن نفي استحقاق الغير بالعبادة وهو تقرير للامر اي اذا صح ان لا احد غيره يستحق العبادة لم يكن بد من التسليم لامره والاشتغال بعبادته والاصطبار على مشاقها انتهى ابو السعود

(بالياء في) (رد لقوله ربك)

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل ما يمنعك ان تزورنا اكثر مما تزورنا فنزلت وما نتنزل الا بامر ربك قال كان هذا الجواب لمحمد صلى الله عليه وسلم وقال عكرمة والضحاك وقتادة ومقاتل والكلبي احتبس جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله قومه عن اصحاب الكهف وذي القرنين والروح فقال اخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله حتى شق على النبي صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد ايام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني كنت اشوق ولكني عبد مامور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فانزل الله تعالى وما نتنزل الا بامر ربك وانزل والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى له ما بين ايدينا اي علم ما بين ايدينا اي من امر الآخرة والثواب والعقاب وما خلفنا ما مضى من الدنيا وما بين ذلك ما يكون من هذا الوقت الى قيام الساعة وقيل وما بين ذلك اي بين النفختين وبينهما اربعون سنة وقيل ما بين ايدينا ما بقي من الدنيا وما خلفنا ما مضى منها وما بين ذلك مدة حياتنا وقيل ما بين ايدينا الارض اذا اردنا النزول اليها وما خلفنا السماء اذا نزلنا منها وما بين ذلك الهواء يريد ان ذلك كله لله عز وجل فلا نقدر على شيء الا بامره انتهى من تفسير الشيخ الامام ... داود زاده

وما نتنزل الا بامر ربك حكاية لقول جبريل عليه السلام حين استبطاه رسول الله عليهما السلام لما سئل عن اصحاب الكهف وذي القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا ان يوحي اليه فيه فابطا عليه اربعين يوما او خمسة عشر فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك وانزل الله تعالى هذه الآية وسورة والضحى والتنزل النزول على مهل والمعنى وما ننزل وقتا غب وقت الا بامر الله تعالى على ما تقتضيه حكمته وقد قرئ وما يتنزل بالياء

ويقول الانسان يعني ابي بن خلف فانه فت عظما فقال
انبعث بعد ان صرنا كذا فنزل ولا وجه لارادة الجنس
باسره اذ لا يحسن اسناد قول او فعل صدر عن بعض
الى الكل الا اذا صدر عنه بمظاهرتهم او برضى منهم
كما في قول الفرزدق فسيف بني عبس وقد ضربوا
به نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد ائذا ما مت
لسوف اخرج حيا من الارض وتقديم الظرف و
ايلاؤه حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت
هو وقت كون الحيوة منكرة ومنه جاء انكارهم وانتصابه
بفعل دل عليه اخرج لا به لان ما بعد لام الابتداء لا يعمل
فيما قبلها وهذه اللام اذ دخلت على المضارع تعطي معنى الحال
وتؤكد مضمون الجملة فلما جامعت حرف الاستقبال خلصت
للتوكيد واضمحل معنى الحال وما في اذا ما للتوكيد ايضا
فكأنه قال أحق انا سنخرج من القبور احياء حين يتمكن
فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد
او لا يذكر الانسان عطف على محذوف تقديره اينكر
قدرتنا على الاعادة ولا يذكر وانما اظهر الفاعل اشعارا
بالمنشأ لعدم تذكره فان النسيان كاللازم للانسان
قيل اول الناس اول الناسي او على يقول وتوسيط
الهمزة مع ان الاصل ان يتقدمهما للانكار اي الجمع
بين هذين الامرين الغريبين وللاشعار بان المنكر
بالذات هو المعطوف وان المعطوف عليه انما نشأ
منه فانه لو تذكر وتأمل انا خلقناه اراد خلق مادته
ولذلك قال من قبل اي خلقنا مادته قبل خلق صورته
ولم يك شيئا بل كان عدما صرفا لم يقل ذلك فانه
اعجب من جمع المواد بعد التفريق وايجاد مثل ما كان فيها
من الاعراض وقرئ يذكر من الذكر الذي يراد به التفكر وقرئ يتذكر على الاصل انتهى ابن كمال

ويقول الانسان المراد الجنس باسره فان المقول مقول
فيما بينهم وان لم يقل كلهم كقولك بنو فلان قتلوا فلانا
والقاتل واحد منهم او بعضهم المعهود وهم الكفرة او
ابي بن خلف فانه اخذ عظاما بالية ففتها وقال
يزعم محمد انا نبعث بعد ما نموت ائذا ما مت
لسوف اخرج حيا من الارض او من حال الموت و
تقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لان المنكر
كون ما بعد الموت وقت الحيوة وانتصابه بفعل
دل عليه اخرج لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما
قبلها وهي مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال
كما خلصت الهمزة واللام في يا الله للتعويض فساغ
اقترانها بحرف الاستقبال وروي عن ذكوان
اذا ما مت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر او لا يذكر
الانسان عطف على يقول وتوسيط همزة الانكار
بينه وبين العاطف مع ان الاصل ان تتقدمهما
للدلالة على ان المنكر بالذات هو المعطوف وان
المعطوف عليه انما نشأ منه فانه لو تذكر وتأمل انا
خلقناه من قبل ولم يك شيئا بل كان عدما صرفا
لم يقل ذلك فانه اعجب من جمع المواد بعد التفريق
وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض و
قرأ نافع وعاصم وابن عامر وقالون عن يعقوب
يذكر من الذكر الذي يراد به التفكر وقرئ يتذكر على الاصل
انتهى

ان الهمزة اذا توسطت المعطوفين يكون لانكار الجمع الا انه قد يكون الانكار للتنافي بينهما وتنـ... لقوة القرابة عند اجتماعهما وما نحن فيه من قبيل ...

ويقول الانسان المراد به اما الجنس باسره واسناد القول الى الكل لوجود
القول فيما بينهم وان لم يقله الجميع كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم واما البعض المعهود
منهم وهم الكفرة او ابي بن خلف فانه اخذ عظاما بالية ففتها فقال يزعم محمد انا نبعث بعد ما نموت ونصير الى
هذه الحال اي يقول بطريق الانكار والاستبعاد ائذا ما مت لسوف اخرج حيا اي ابعث من الارض
او من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لما ان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحيوة وانتصابه
بفعل دل عليه اخرج لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي هنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال
كما خلصت الهمزة واللام للتعويض في يا الله فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وقرئ اذا ما مت بهمزة واحدة
مكسورة على الخبر او لا يذكر الانسان من الذكر الذي يراد به التفكر والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار
بان الانسانية من دواعي التفكر فيما جرى عليه من شؤون التكوين المنجية بالقلع على القول المذكور وهو السر
في اسناده الى الجنس او الى الفرد بذلك العنوان والهمزة للانكار التوبيخي والواو لعطف الجملة المنفية على
مقدر يدل عليه يقول اي ايقول ذلك ولا يذكر انا خلقناه من قبل اي من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه

ولم يك شيئا اي والحال انه لم يكن حينئذ شيئا اصلا فحيث خلقناه وهو في تلك الحالة المنافية للخلق بالكلية مع كونه
ابعد من الوقوع فلأن نبعثه بجمع المواد المتفرقة وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض اولى واظهر فما له لا يذكره
فيقع فيما يقع فيه من النكير وقرئ يذكر ويتذكر على الاصل انتهى ابو السعود رحمه الله

ويقول الانسان منكر البعث ائذا ما مت لسوف اخرج حيا نزل حين فت ابي بن خلف عظما فقال انبعث بعد ما صرنا كذا
فالمراد من الانسان المخصوص وقيل المراد الجنس وانما جاز اسناد القول الى جنس الناس لوجود هذا القول في هذا
الجنس فهو من قبيل قولهم قتل بنو فلان فلانا وانما القاتل واحد منهم فالعامل في اذا فعل مضمر يدل عليه المذكور
وهو اخرج لا اخرج بعد قوله لسوف لاجل اللام وانما جامع حرف الاستقبال لانه اخلصت هنا للتأكيد
وان اقتضت الحال اي يؤكد معنى همزة الانكار في ائذا ثم قال تعالى او لا يذكر الانسان بسكون الذال مع التخفيف
وبفتحها مع التشديد اي ايقول ذلك الانسان ولا يتفكر ولا يعتبر انا اي بانا خلقناه من قبل اي قبل هذه
الحالة ولم يك شيئا موجودا فاوجدناه من العدم والمعنى ان يتذكر الانسان النشأة حتى لا ينكر النشأة الاخرى
فان تلك اعجب واغرب وادل على قدرة الخالق اذ هي اهون عليه من ذلك ثم اقسم بنفسه فقال فوربك الاية
انتهى العيون

فوربك أقسامه باسمه عزت اسمائه مضافاً الى ضميره عليه السلام لتحقيق الامر بالاشعار بعلته وتفخيم شانه عليه السلام
ورفع منزلته لنحشرنهم لنجمعن القائلين بالسوق الى المحشر بعدما اخرجناهم من الارض احياء ففيه اثبات للبعث
بالطريق البرهاني على ابلغ وجه واكده كانه امر واضح غني عن التصريح به وانما المحتاج الى البيان ما بعد ذلك
من الاهوال والشياطين معطوف على الضمير المنصوب او مفعول معه روي ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم
من الشياطين التي كانت تغويهم كل منهم مع شيطانه في سلسلة وهذا وان كان مختصاً بهم لكن ساغ
نسبته الى الجنس باعتبار انهم لما حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا معهم جميعاً كما ساغ
نسبة القول المحكي اليه مع كون القائل بعض افراده ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً ليرى السعداء ما نجاهم
الله منه فيزدادوا غبطة وسروراً وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظاً من رجوع
السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم بهم والجثي جمع جاث من جثا اذا قعد على ركبته واصله
جثوو بواوين فاستثقل اجتماعهما بعد ضمتين فكسرت الثاء للتخفيف فانقلبت الواو الاولى ياء
لسكونها وانكسار ما قبلها فاجتمعت واو وياء وسبقت احدٰهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت
في الياء الاولى وكسرت الجيم اتباعاً لها لما بعدها وقرئ بضمها ونصبه على الحالية من الضمير البارز اي لنحضرنهم
حول جهنم جاثين ثم على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع او لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل
الى الثواب والعقاب فان اهل الموقف جاثون كما ينطق به قوله تعالى وترى كل امة جاثية على ما هو المعتاد
في مواقف التقاول وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون من الموقف الى شاطئ جهنم جثاة
اهانة بهم او لعجزهم عن القيام لما اعتراهم من الشدة ثم لننزعن من كل شيعة اي من كل امة شاعت دينا من
الاديان ايهم اشد على الرحمن عتياً اي من كان منهم اعصى واعتى فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى
يعفو عن بعض من اهل العصيان وعلى تقدير تفسير الانسان بالكفرة فالمعنى انا نميز من كل طائفة منهم اعصاهم
فاعصاهم واعتاهم فاعتاهم فنطرحهم في النار على الترتيب او ندخل كلاً منهم طبقتها اللائقة به وايهم مبني على
الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب حملاً على كل وبعض للزوم الاضافة
واذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه ومنصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوباً ومرفوع
عند غيره بالابتداء على انه استفهامي وخبره اشد والجملة محكية والتقدير لننزعن من كل شيعة الذين يقال
للعلم او مستانفة والفعل واقع على كل شيعة على زيادة من او على معنى لننزعن بعض كل شيعة كقوله تعالى
ووهبنا لهم من رحمتنا وعلى للبيان فيتعلق بمحذوف كان سائلاً قال على من عتوا فقيل على الرحمن او متعلق
بافعل وكذا الباء في قوله تعالى ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صلياً اي هم اولى بصليها او صليهم اولى بالنار
وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وبأشدهم عتياً رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم
واضلالهم والصلي كالعتي صيغة واعلالاً وقرئ بضم الصاد انتهى ابو السعود رحمه الله
توجيه على تقدير كون المراد بالانسان الجنس
الجنس ثم

فوربك لنحشرنهم اي الكفار والشياطين معهم وهم الذين اغووهم اذ كل كافر يحشر مع شيطانه في سلسلة ثم
لنحضرنهم اي لنجمعنهم حول جهنم اي فيها جثياً عن الزجاج اصله بضم الجيم جمع جاث وقرئ بالكسر اتباعاً لما بعده اي
جاثين على الركب لهول ذلك اليوم لا يقدرون على القيام وقيل ذلك قبل دخولهم جهنم وهو مصدر في الاصل
وقع حالا هنا ثم لننزعن اي لنخرجن من كل شيعة اي فرقة يعني من اهل دين وهم الذين تبعوا غاوياً من الغواة
يقال شاعت اذا اتبعت قوله ايهم موصول عند سيبويه مبني على الاصل لكونه بمعنى الذي واعرب حملاً على بعض
فان اضيف الى جملة تامة بقي على اعرابه وان حذف العائد عليه عاد الى بنائه الاصلي ومحله نصب بننزع اي لننزعن
الذين هم اشد على الرحمن عتياً اي جرأة تمام الآية وعند الخليل استفهام معرب مبتدأ خبره اشد وفيه على الحكاية
اي لننزعن الذين يقال لهم اشد على الرحمن عتياً ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها اي احق بها اي بالنار صلياً بضم الصاد و
كسرها اي دخولاً فعلي والباء يتعلقان بافعل او هما مع مجرورهما للبيان لا للتفصيل لان عتياً وصلياً مصدران لا يتقدم
صلتهما عليهما فكانه قيل على من عتياً فقيل عتياً على الرحمن وباي مكان صلياً فقيل صلياً بالنار قيل هم القادة في الكفر و
الفساد اي يعني نبدأ بهم من طوايف الغي والفساد فيقدم اعصاهم فاعصاهم واولاهم بالعذاب فاولاهم به على قدر
ذنوبهم فيطرحون في النار على الترتيب ودركاتهم اسفل وعذابهم اشد ثم خاطب الناس جميعاً بقوله وان منكم الا

فوربك أقسام باسمه تعالى لنحشرنهم مضافاً الى
نبيه تحقيقاً للامر وتفخيماً لشان الرسول صلى الله عليه وسلم
والشياطين عطف او مفعول معه لما روي ان
الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين
اغووهم كل مع شيطانه في سلسلة ثم لنحضرنهم
حول جهنم ليرى السعداء ما نجاهم الله منه
فيزدادوا غبطة وسروراً وينال الاشقياء
ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظاً
من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب و
شماتتهم عليهم جثياً على ركبهم لما يدهمهم من
هول المطلع او لانه من توابع التواقف للحساب
قبل التواصل الى الثواب والعقاب واهل الموقف
جاثون لقوله تعالى وترى كل امة جاثية على
المعتاد في مواقف التقاول وان كان المراد
بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من
الموقف الى شاطئ جهنم اهانة بهم او لعجزهم
عن القيام لما عراهم من الشدة وقرأ حفص و
حمزة والكسائي جثياً بكسر الجيم ثم لننزعن من كل شيعة
طائفة شاعت اي تبعت غاوياً من الغواة ايهم
اشد على الرحمن عتياً جرأة او فجوراً اي لنخرجن
من كل طائفة من طوائف الغي اعتاهم فاعتاهم
فاذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب نقدم
اولاهم بالعذاب فاولاهم وقيل المراد باشدهم
عتياً الرؤساء لتضاعف جرمهم بكونهم ضلالاً
ومضلين وعلى يتعلق بافعل اي عتوهم اشد
على الرحمن عتياً ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها
صلياً تمييز اي دخولاً والباء تتعلق باولى انتهى
المدارك

فوربك اقسم باسمه تعالى مضافاً الى نبيه عليه السلام تحقيقاً
للامر وتفخيماً لشان الرسول لنحشرنهم اي المنكرين للبعث
لا بد من هذا التخصيص لان لحاق الكلام لا يتحمل التعميم
والشياطين مفعول معه لما روي على وفق قوله تعالى
ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين
انهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم
كل كافر مع شيطانه في سلسلة ثم لنحضرنهم حول جهنم
جثياً جمع الجاثي وهو الذي برك على ركبتيه يعني انهم
يساقون جثاة من الموقف الى شاطئ جهنم فقوله جثياً
حال مما تضمنه نحضرن من معنى السوق ثم لننزعن النزع
اخراج الشيء مما كان متصلاً به او ملابساً له من كل شيعة
الشيعة الجماعة المتعاونون على امر من الامور ايهم اشد
على الرحمن عتياً تمييز اصله العتو جراءة او تمرداً اي نبدأ
بالاكبر جرماً فالاكبر وايهم مبني على الضم عند سيبويه لان حقه
ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب حملاً على كل وبعض
للزوم الاضافة واذا حذف صدر صلته زاد نقصه
فعاد الى حقه منصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ
منصوباً واشد خبر مبتدأ محذوف ومرفوع عند غيره
اما بالابتداء على انه استفهامي وخبره اشد والجملة
محكية وتقدير الكلام لننزعن من كل شيعة الذين يقال فيهم
ايهم اشد او معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم
للعلم او مستانفة والفعل واقع على كل شيعة على زيادة
من او على معنى لننزعن بعض كل شيعة واما بشيعة
لانها بمعنى تشيع وعلى للبيان او متعلق بافعل وكذا الباء
في قوله ثم لنحن اعلم بالذين كنى بالعلم عن ايقاع المعلوم
اي نحن نبدأ بتعذيب الاحق فالاحق وضمن هذه
الكناية الدلالة على انه تعالى في ذلك النزع لا يضع شيئاً
في غير موضعه هم اولى بها احق بالنار صلياً تمييز اي دخولاً
والباء يتعلق باولى اي الذين هم اولى بالصلي او صليهم اولى
بالنار ويجوز ان يراد بهم وباشدهم عتياً رؤساء الشيع
فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم انتهى ابن كمال

بعد زدي يحشر
بالزيادة وبالقرآن لا يتحمل كالنحو على ما ترى تامل

فليس حالا مقدرة لما توهم

وان منكم وما منكم تلوين للكلام من الغيبة الى الخطاب للانتقال من احوال الخاصة الى احوال العامة الا واردها اى وان منكم احد الا داخلها • الورود في اللغة الوصول الا ان المراد هنا الدخول بطريق الكناية كما في قوله تعالى فاوردهم النار وقوله لو كان هؤلاء الهة ما وردوها لقوله عليه السلام الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم وتقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فان نورك اطفأ لهبي • وهو الظاهر من قوله ونذر الظالمين فيها حيث قال نذر ولم يقل وندخل ولا ينافيه قوله تعالى ان الذين سبقت الاية لان معناه مبعدون عن النار لا عن موضعها وهم كذلك فانهم يمرون والنار خامدة على ما ورد في الخبر ولذلك لا يسمعون حسيسها وفائدة ادخالهم النار تشديد الحسرة على الكفار كان ورودهم على ربك حتما مقضيا الحتم القطع بالامر وذلك كحكم الله قاطع والمقضي الذي قضى بانه يكون ولما كان المتبادر الى الوهم من قوله كان على ربك حتما الوجوب على الله زيد قوله مقضيا دفعا لذلك الوهم بما فيه من الدلالة على ان ما ذكر اثر قضائه تعالى فيكون الكلام المذكور مستعارا لمعنى اللزوم الناشئ عن القضاء المبرم فلا وجوب ولا ايجاب لا من ذاته ولا من غيره ثم ننجي الذين اتقوا الكفر فيساقون الى الجنة ونذر الظالمين ونذع الكافرين فيها جثيا جاثين على الركب للتخاصم كما قال ان ذلك لحق تخاصم اهل النار • وقال واذ يتحاجون في النار فلا دلالة فيه على ان المراد بالورود الجثو حواليها انتهى ابن كمال

وان منكم احد الا واردها داخلها • والمراد النار والورود الدخول عند علي وابن عباس رضي الله عنهم • وعليه جمهور اهل السنة لقوله تعالى فاوردهم النار ولقوله تعالى لو كان هؤلاء الهة ما وردوها • ولقوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا اذ النجاة انما تكون بعد الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم • وتقول النار جز يا مؤمن فان نورك اطفأ لهبي • وقيل المراد بالورود الدخول لكنه يختص بالكفار لقراءة ابن عباس وان منهم • وتحمل القراءة المشهورة على الالتفات • وعن عبد الله الورود الحضور لقوله تعالى ولما ورد ماء مدين • وقوله تعالى اولئك عنها مبعدون واجيب عنه بان المراد عن عذابها وعن الحسن وقتادة الورود المرور على الصراط لان الصراط ممدود عليها فيسلم اهل الجنة ويتقاذف اهل النار • وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله صلى الله عليه وسلم الحمى حظ كل مؤمن من النار كان على ربك حتما مقضيا اى كان ورودهم واجبا كائنا محكوما والحتم مصدر حتم الامر اذا اوجبه فسمي به الموجب كقولهم ضرب الامير ثم ننجي الذين اتقوا عن الشرك وهم المؤمنون ونذر الظالمين فيها جثيا فيه دليل على دخول الكل لانه قال ونذر ولم يقل وندخل والمذهب ان صاحب الكبيرة قد يعاقب بقدر ذنبه ثم ينجي لا محالة انتهى المدارك

احوالها

وان منكم التفات لاظهار مزيد الاعتناء بمضمون الكلام وقيل هو خطاب للناس من غير التفات الى المذكور • ويؤيد الاول انه قرئ وان منهم اى ما منكم ايها الانس الا واردها اى واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه عليه السلام سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد به الابعاد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط الممدود عليها كان اى ورودهم اياها على ربك حتما مقضيا اى امرا محتوما اوجبه الله على ذاته وقضى انه لا بد من وقوعه البتة وقيل اقسم عليه ثم ننجي الذين اتقوا الكفر والمعاصي مما كانوا عليه من حال الجثو على الركب على الوجه الذي سلف فيساقون الى الجنة • وقرئ ننجي بالتخفيف وينجي وينجى على البناء للمفعول • وقرئ ثمة ننجي بفتح الثاء اى هناك ننجيهم ونذر الظالمين بالكفر والمعاصي فيها جثيا منهارا بهم كما كانوا قيل فيه دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الفجرة بعد تجاثيهم حولها ويلقى الفجرة فيها على هيئاتهم انتهى ابو السعود رحمه الله

ثم خاطب الناس جميعا بقوله وان منكم الا واردها اى ما منكم احد الا وارد النار قال ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت هذه الاية حزن لها الناس حزنا شديدا فانشأوا يبكون فمكثوا عليه ثلثة ايام وقيل سنتين ثم نزل الاية المنجية ففرح المسلمون قال جابر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول كلها يكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم • وعلى الكافرين نارا • وروى ان اهل الجنة يقولون الم يعدنا ربنا ان نرد النار فيقال بلى ولكنكم مررتم بها وهي خامدة • وقيل الورود الحضور والقرب للقيمة او للنار • قال ابن عباس رضي الله عنهما قد يرد الشيء الشيء ولم يدخله كما يقال وردت القافلة البلد وان لم تدخله ولكن قربت منه • وقيل هو الجواز على الصراط لان الصراط ممدود عليها وقيل المراد من الاية الكفار فالمعنى بين ولو كانت الاية عامة فيشكل بقوله اولئك عنها مبعدون فاجيب عنه بان المراد عن عذابها ويدل على كون المراد الدخول العام اية الانجاء في قوله كان على ربك حتما مصدر بمعنى الايجاب ثم سمي به الموجب اى كان ورودهم كلهم من البر والفاجر واجبا على الله بايجابه مقضيا قضى به يعني حكم ان لا يكون غيره ثم ننجي بالتخفيف والتشديد الذين اتقوا من الشرك اى نخرج المتقين منها ونذر الظالمين اى نترك المشركين فيها جثيا على الركب حيث قال ونذر ولم يقل وندخل وقيل معنى ننجي اى نسوق المتقين بعد ورود الكفار فيها الى الجنة لانهم يردونها ثم يتخلصون انتهى العيون

واذا تتلى عليهم اياتنا اى القران بينات ظاهرات
الاعجاز وبراهين حال موكدة كقوله تعالى وهو الحق
مصدقا اذ ايات الله لا تكون الا واضحة وحججا
وقال الذين كفروا اى مشركوا قريش وقد رجلوا
شعورهم وتكلفوا في زيهم للذين امنوا للفقراء
ورؤسهم شعثة وثيابهم خشنة اي
الفريقين نحن ام انتم خير مقاما بالفتح وهو
موضع القيام والمراد المكان والمسكن و
بالضم مكي وهو موضع الاقامة والمنزل و
احسن نديا مجلسا يجتمع القوم فيه للمشاورة
ومعنى الاية ان الله تعالى يقول اذا انزلنا
اية فيه دلايل وبراهين اعرضوا عن التدبر
فيها الى الافتخار بالثروة والمال وحسن المنزل
والحال فقال الله تعالى وكم اهلكنا قبلهم من قرن
فكم مفعول اهلكنا ومن تبيين لابهامها
اى كثيرا من القرون اهلكنا وكل اهل عصر
قرن لمن بعدهم هم احسن في محل النصب
صفة لكم الا ترى انك لو تركت هم كان
احسن نصبا على الوصفية اثاثا هو متاع
البيت او ما جد من الفرش ورئيا منظرا
وهيئة فعل بمعنى مفعول من رايت وريا
بغير همز مشددا نافع وابن عامر على قلب الهمزة
ياء او من الري الذي هو النعمة انتهى

واذا تتلى عليهم ايانا بينات مرتلات الالفاظ مبينات
المعاني في نفسها او ببيان الرسول او واضحات الاعجاز
قال الذين كفروا للذين امنوا لاجلهم او معهم اى الفريقين
نحن وانتم خير مقاما بالفتح موضع القيام والمراد المكان
والمسكن وبالضم وهو موضع الاقامة والمنزل واحسن نديا
مجلسا يجتمع القوم فيه للمشاورة ومعنى الاية ان الله تعالى
يقول اذا انزلنا اية فيها دلائل وبراهين اعرضوا عن
التدبر فيها الى الافتخار بالثروة والمال وحسن المنزل
والحال غافلين عن وخامة المال فقال الله تعالى منبها على
ذلك وكم اهلكنا قبلهم من قرن كم مفعول اهلكنا
ومن تبيين لابهامها اى كثيرا من القرون اهلكنا وكل اهل
عصر قرن لما بعدهم هم احسن في موضع الصفة لقرن
وجمع اعتبار المعنى وقيل في محل النصب صفة لكم
الا ترى انك لو تركت هم كان احسنا نصبا على
الوصفية ويرد عليه انهم نصوا على ان كم الخبرية و
الاستفهامية لا توصف ولا يوصف بها اثاثا تمييز
للنسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد من
الفرش والخرثي ما رث ورئيا منظرا وهيئة
فعل بمعنى مفعول من رايت بالطحن وقرئ وريا
بغير همزة مشددا على قلب الهمزة واو غاطها او على انه
من الري الذي هو النعمة وقرئ ريئا على القلب
وريا بحذف الهمزة وزيا من الزي قال المطرزي
والزي الهيئة فعل من زوى اذا جمع لانه لا يقال للغلاف
ذي حسن الا ان يجمع ما يستحسن من لبسه حسنة
وهيئة مستحسنة لما كان كلامهم اى الفريقين خير مقاما
كلام المفحم المغلوب المنقطع الذي لا يجد ما يصلح
للجواب فينتقل الى امر اخر يدعي به الفضل والغلبة
ردهم ونقض كلامهم مهددا بقوله وكم اهلكنا الخ ثم
بين ان تمتيعهم في الدنيا استدراج ليس بدليل على
الفضل والرفعة وانا الفضل والسعادة في الاخرة بقوله

وقوله تعالى واذا تتلى عليهم الاية الى اخرها حكاية لما قالوا عند سماع الايات
الناعية عليهم فظاعة وخامة مالهم اي واذا تتلى على المشركين
اياتنا التي من جملتها هاتيك الايات الناطقة بحسن حال المؤمنين
وسوء حال الكفرة وقوله تعالى بينات اى مرتلات الالفاظ مبينات
المعاني بنفسها او ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم او بينات الاعجاز حال موكدة من اياتنا قال الذين كفروا اى قالوا
ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على انهم قالوا ما قالوا كافرين بما يتلى عليهم رادين له او قال الذين مردوا منهم على الكفرة
ومرنوا على العتو والعناد وهم النضر بن الحرث واتباعه الفجرة واللام في قوله تعالى للذين امنوا للتبليغ كما في مثل قوله تعالى وقال لهم
نبيهم وقيل لام الاجل كما في قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اي قالوا لاجلهم وفي حقهم والاول هو
الاولى لان قولهم ليس في حق المؤمنين فقط كما ينطق به قوله تعالى اى الفريقين اى المؤمنين والكافرين كانهم قالوا اينا خير نحن وانتم
مقاما اي مكانا وقرئ بضم الميم اي موضع اقامة ومنزل واحسن نديا اى مجلسا ومجتمعا يروى انهم كانوا يرجلون شعورهم
ويدهنونها ويتطيبون ويتزينون بالزي الفاخرة ثم يقولون ذلك لفقراء المؤمنين يريدون بذلك ان خيريتهم حالا
واحسنيتهم منالا مما لا يقبل الانكار وان ذلك لكرامتهم على الله سبحانه وزلفاهم عنده اذ هو العيار على الفضل والنقصان
والرفعة والضعة وان من ضرورته هوان المؤمنين عليه تعالى لقصور حظهم العاجل وما هذا القياس العقيم والراي السقيم الا لكونهم
جهلة لا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم فرد عليهم ذلك من جهته تعالى بقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن

قل من كان في الضلالة
انتهى ابن كمال

ابن كثير

وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا اى كثيرا من القرون التي كانوا افضل منهم فيما يفتخرون به من الحظوظ الدنيوية
كعاد وثمود واضرابهم من الامم العاتية قبل هؤلاء اهلكناهم بفنون العذاب ولو كان ما اتيناهم لكرامتهم علينا لما فعلنا
بهم ما فعلنا وفيه من التهديد والوعيد ما لا يخفى كانه قيل فلينتظر هؤلاء ايضا مثل ذلك فكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيان
لابهامها واهل كل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم ماخوذ من قرن الدابة وهو مقدمها وقوله تعالى هم احسن
في حيز النصب على انه صفة لكم واثاثا تمييز النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد منه والخرثي ما لبس منه
ورث والرئي المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن لما يطحن وقرئ ريا على قلب الهمزة ياء وادغامها او على انه
من الري وهو النعمة والترفه وقرئ ريئا على القلب وريا بحذف الهمزة وزيا بالزاء المعجمة من الزي وهو
الجمع فانه عبارة عن المحاسن المجموعة انتهى ابو السعود

واذا تتلى عليهم اياتنا بينات اي موضحات للاحكام من الحلال والحرام او مرتلات الالفاظ مبينات المعاني او حججا وبراهين
وهو حال مؤكدة لان الايات لا تكون الا واضحة وحججا قال الذين كفروا اي اهل مكة كالنضر بن الحارث واصحابه لاختصاص
عليهم بالحيوة الدنيا جهلا للذين امنوا اي لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الفريقين خير مقاما بضم الميم وفتحها اي اهل اي دينين خير
منزلا واحسن نديا اي مجلسا يجتمع فيه للمشاورة وذلك انهم لبسوا الثياب الفاخرة وادهنوا الرؤس وتطيبوا بالطيب وجاؤا
متحرسين بالزينة الفاخرة من الثياب فقالوا ذلك احتقارا بالمؤمنين وقصدهم بذلك ان يصرفوهم عن دينهم فقال تعالى
وكم اهلكنا قبلهم من قرن كم مفعول اهلكنا ومن بيان له اى كثيرا من القرون الماضية اهلكناهم قيل قرن لان الثاني اعلاه وكل اهل عصر
قرن لمن بعدهم لتقدمهم عليهم قوله هم احسن اثاثا ورئيا في محل النصب صفة لكم والاثاث متاع البيت والمراد الاموال واللباس
والرئي بالهمزة وتخفيف اليا المنظر والهيئة وبتشديد اليا بغير همزة الشراب اذا التنعم والتزين وهو من الري الذي
هو ضد العطش اى هم اكثر اموالا واحسن منظرا وزينة من هؤلاء الكفرة فلم يغن ذلك عنهم من عذاب الله تعالى شيئا انتهى
العيني

قل من كان في الضلالة وهو تسجيل على القائلين ذلك القول بالضلالة وتتميم وبيان أن ما دعاهم إلى ذلك القول هو غاية التعمق في الضلالة والحيرة والاستقرار فيها فليمدد له الرحمن مدا جواب من لأنها شرطية وهذا الأمر بمعنى الخبر أي من كفر يمد له الرحمن يعني يمهله ويملي له في العمر ليزداد طغيانا وضلالا كقوله إنما نملي لهم ليزدادوا إثما وإنما أخرج على لفظ الأمر إيذانا بأن إمهاله مما ينبغي أن يفعل كالمأمور به استدراجا وقطعا لمعاذيره حتى إذا رأوا ما يوعدون هي متصلة بقوله خير مقاما وما بينهما اعتراض أي لا يزالون يقولون هذا القول إلى أن يشاهدوا الموعود رأي عين إما العذاب في الدنيا وهو تعذيب المسلمين إياهم بالقتل والأسر وإما الساعة أي القيمة والمراد ما ينالهم من الخزي والنكال فيها فهما بدلان مما يوعدون فسيعلمون من هو شر مكانا من الفريقين وأضعف جندا أعوانا وأنصارا أي فحينئذ يعلمون قطعا أن الأمر على عكس ما قدروه وأنهم شر مكانا وأضعف جندا لا خير مقاما وأحسن نديا وأن المؤمنين على خلاف صفاتهم وهو جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى وجاز أن يتصل بما يليها والمعنى أن الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم لا ينفكون عنها إلى أن يعاينوا نصرة الله المؤمنين أو يشاهدوا الساعة ويزيد الله الذين اهتدوا هدى عطف على فليمدد لأنه في معنى الخبر كأنه قيل من كان في الضلال يزيد الله في ضلالته ويزيد المهتدين أي المؤمنين أي المؤمنين ثباتا على الاهتداء أو على الشرطية المحكية بعد القول كأنه لما بين أن إمهال الكافر وتمتيعه بالحيوة الدنيا ليس لفضله أراد أن يبين أن قصور حظ المؤمن فيها ليس لنقصه بل لأنه تعالى أراد به ما هو خير وعوضه منه والباقيات الصالحات الطاعات التي تبقى عائدتها أبد الآباد وكل القيد في جوف الفرا خير عند ربك ثوابا عائدة من النعم الفانية التي يفتخرون بها كيف وما لها النعيم المقيم وما لهذه الحسرة والعذاب الدائم كما أشار إليه بقوله وخير مردا مرجعا وعاقبة وفي التفصيل تهكم بالكفار لأنهم قالوا للمؤمنين أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ابن الملك

ثم بيّن أن تمتيعهم استدراج وليس بإكرام وإنما العيار على الفضل والنقص ما يكون في الآخرة بقوله قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا فيمده ويمهله بطول العمر والتمتع به وإنما أخرج على لفظ الأمر إيذانا بأن إمهاله مما ينبغي أن يفعله استدراجا وقطعا لمعاذيره كقوله إنما نملي لهم ليزدادوا إثما وكقوله أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر حتى إذا رأوا ما يوعدون غاية المد وقيل غاية قول الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة تفصيل للموعود فإنه إما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم إياهم قتلا وأسرا وإما يوم القيمة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال فسيعلمون من هو شر مكانا من الفريقين بأن عاينوا الأمر على عكس ما قدروه وعاد ما متعوا به خذلانا ووبالا عليهم وهو جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى وأضعف جندا أي فئة وأنصارا ويزيد الله الذين اهتدوا هدى عطف على الشرطية المحكية بعد القول كأنه لما بين أن إمهال الكافر وتمتيعه بالحيوة الدنيا ليس لفضله أراد أن يبين أن قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لأن الله عز وجل أراد أن يبين أن قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لأن الله عز وجل أراد به ما هو خير وعوضه منه وقيل عطف على فليمدد لأنه في معنى الخبر كأنه قيل من كان في الضلالة يزيد الله في ضلاله ويزيد المقابل له هدايته والباقيات الصالحات الطاعات التي تبقى عائدتها أبد الآباد ويدخل فيها ما قيل من الصلوات الخمس وقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خير عند ربك ثوابا عائدة مما متع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التي يفتخرون بها سيما وما لها النعيم المقيم وما لهذه الحسرة والعذاب الدائم كما أشار إليه بقوله وخير مردا والخير هنا إما لمجرد الزيادة أو على طريقة قولهم الصيف أحر من الشتاء أي أبلغ في حره منه في برده انتهى

قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا لما بين عاقبة أمر الأمم المهلكة مع ما كان لهم من التمتع بفنون الحظوظ العاجلة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يجيب هؤلاء المفتخرين بما لهم من الحظوظ ببيان مآل أمر الفريقين إما على وجه كلي متناول لهم ولغيرهم من المنهمكين في اللذة الفانية المبتهجين بها على أن من على عمومها وإما على وجه خاص بهم على أنها عبارة عنهم ووصفهم بالتمكن لذمهم والإشعار بعلة الحكم أي من كان مستقرا في الضلالة مغمورا بالجهل والغفلة عن عواقب الأمور فليمدد له الرحمن أي يمد له ويمهله بطول العمر وإعطاء المال

والتمكين من التصرفات وإخراجه على صيغة الأمر للإيذان بأن ذلك مما ينبغي أن يفعل بموجب الحكمة لقطع المعاذير كما ينبئ عنه قوله عز وجل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر أو للاستدراج كما ينطق عنه قوله عز وجل إنما نملي لهم ليزدادوا إثما وقيل المراد به الدعاء بالمد والتنفيس واعتبار الاستقرار في الضلالة لما أن المد لا يكون إلا للمصرين عليها إذ رب ضال يهديه الله عز وجل والتعرض لعنوان الرحمانية لما أن المد من أحكام الرحمة الدنيوية وقوله تعالى حتى إذا رأوا ما يوعدون غاية للمد الممتد لا لقول المفتخرين كما قيل إذ ليس فيه امتداد بحسب الذات وهو ظاهر ولا استمرار بحسب التكرار لوقوعه في حيز جواب إذا وجمع الضمير في الفعل باعتبار معنى من كما أن الإفراد في الضميرين الأولين باعتبار لفظها وقوله تعالى إما العذاب وإما الساعة تفصيل للموعود بدل منه على سبيل البدل فإنه إما العذاب الدنيوي بغلبة المسلمين واستيلائهم عليهم وتعذيبهم إياهم قتلا وأسرا وإما يوم القيمة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال على طريقة منع الخلو دون منع الجمع فإن العذاب الأخروي لا ينفك عنهم بحال وقوله تعالى فسيعلمون جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى أي حتى إذا عاينوا ما يوعدون من العذاب الدنيوي أو الأخروي فقط فسيعلمون حينئذ من هو شر مكانا من الفريقين بأن يشاهدوا الأمر على عكس ما كانوا يقدرونه فيعلمون أنهم شر مكانا لا خير مقاما وأضعف جندا أي فئة وأنصارا لا أحسن نديا كما كانوا يدعونه وليس المراد أن له ثمة جندا ضعفاء كلا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا وإنما ذكر ذلك ردا لما كانوا يزعمون أن لهم أعوانا من الأعيان وأنصارا من الأخيار ويفتخرون بذلك في الأندية والمحافل ويزيد الله الذين اهتدوا هدى كلام مستأنف سيق لبيان حال المهتدين إثر بيان حال الضالين وقيل عطف على فليمدد لأنه في معنى الخبر حسبما عرفته كأنه قيل من كان في الضلالة يمده الله ويزيد المهتدين هداية كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وقيل عطف على الشرطية المحكية بعد القول كأنه لما بين أن إمهال الكافر وتمتيعه بالحيوة ليس لفضله عقب ذلك ببيان أن قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لأنه تعالى أراد به ما هو خير من ذلك وقوله تعالى والباقيات الصالحات خير على تقديري الاستئناف والعطف كلام مستأنف وارد من جهته تعالى لبيان فضل أعمال المهتدين غير داخل في حيز الكلام الملقن لقوله تعالى عند ربك أي الطاعات التي تبقى فوائدها وتدوم عوائدها ومن جملتها ما قيل من الصلوات الخمس وما قيل من قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خير عند الله تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره للتشريف صلى الله عليه وسلم ثوابا أي عائدة مما يتمتع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التي يفتخرون بها لا سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة السرمدية والعذاب الأليم كما أشير إليه بقوله تعالى وخير مردا أي مرجعا وعاقبة وتكرير الخير لمزيد الاعتناء ببيان الخيرية وتأكيد لها وفي التفضيل مع أن ما للكفرة بمعزل من أن يكون له خيرية في العاقبة تهكم بهم انتهى أبو السعود

قل يا محمد عليه السلام من كان في الضلالة أي في الكفر فليمدد له الرحمن مدا أمر بمعنى الخبر أي يزيد له مالا وولدا وعمرا ليكون ذلك جزاء ضلالته في الدنيا ويجوز أن يكون فليمدد له الرحمن في معنى الدعاء بأن يمهله الله تعالى وينفس في مدة حيوته ويمده في طغيانه إلى موته قوله حتى إذا رأوا زيادة تهديدهم وغاية لقولهم للمؤمنين ما قالوا يعني هم لا يزالون يقولون هذا القول أعني أي الفريقين الآية حتى إذا عاينوا ما يوعدون يعني إما العذاب في الدنيا أي القتل والأسر وإما الساعة أي عذابهم فيها وبعضهم جعل حتى إذا رأوا الآية متصلة بما يليها والمعنى أن الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم لا ينفكون عنها إلى أن يعاينوا نصرة الله تعالى للمؤمنين أو يشاهدوا الساعة وعذابها وحتى هي التي تحكي بعدها الجملة ولذا وقع بعدها الجملة الشرطية وجواب الشرط فسيعلمون من هو شر مكانا أي منزلا في مقابلة قولهم خير مقاما وأضعف جندا أي أعوانا يعني أهم أم المسلمون في مقابلة أحسن نديا قوله ويزيد الله عطف على محل فليمدد لأنه خبر في المعنى أي ويزيد الله الذين اهتدوا أي آمنوا هدى أي هداية بتوفيقه تعالى يعني يزيدهم يقينا وبصيرة بإيمانهم والباقيات الصالحات أي أعمال الآخرة كلها خير عند ربك ثوابا من مفاخرة الكافرين وخير مردا أي مرجعا وعاقبة من قولهم وفخرهم بما عندهم لأنه يورثهم النار ففي قوله تعالى خير ثوابا تعريض للكفار بأن ثوابهم النار وهو ضرب من التهكم الذي هو أغلظ من قول القائل عقابهم النار انتهى العيون

أطلع الغيب رد لكلمة الشنعاء وإظهار لبطلانها إثر ما أشير إليه بالتعجب منها أي أقد بلغ من عظمة الشأن إلى أن ارتقى إلى علم الغيب الذي استأثر به العليم الخبير حتى ادعى أن يؤتى في الآخرة مالا وولدا وأقسم عليه أم اتخذ عند الرحمن عهدا بذلك فإنه لا يتوصل إلى العلم به إلا بأحد هذين الطريقين والتعرض لعنوان الرحمانية للإشعار بعلية الرحمة لإيتاء ما يدعيه وقيل العهد كلمة الشهادة وقيل العمل الصالح فإن وعده تعالى بالثواب عليهما كالعهد وهذا إجراءه مع التعليق بحسب منطوق مقاله كما أن كلامه مع خباب كان كذلك وقوله كلا ردع له عن التفوه بتلك العظيمة وتنبيه على خطائه سنكتب ما يقول أي سنظهر أنا كتبنا قوله كقوله إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة أي يتبين أنه لم تلدني لئيمة أو سننتقم منه انتقام من كتب جريمة الجاني وحفظها عليه فإن نفس الكتبة لا تكاد تتأخر عن القول لقوله عز وعلا ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد فمبنى الأول تنزيل إظهار الشيء الخفي منزلة إحداث الأمر المعدوم بجامع أن كلا منهما إخراج من الكمون إلى البروز فيكون استعارة تبعية مبنية على تشبيه إظهار الكتابة على رؤس الأشهاد بإحداثها ومدار الثاني تسمية الشيء باسم سببه فإن كتابة جريمة المجرم سبب لعقوبته قطعا ونمد له من العذاب مدا مكان ما يدعيه لنفسه من الإمداد بالمال والولد أي نطول له من العذاب ما يستحقه أو نزيد عذابه ونضاعف له لكفره وافترائه على الله سبحانه واستهزائه بآياته العظام ولذلك أكد بالمصدر دلالة على فرط الغضب ونرثه بموته ما يقول أي مسمى ما يقول ومصداقه وهو ما أوتيه في الدنيا من المال والولد وفيه إيذان بأنه ليس لما يقول مصداق موجود سوى ما ذكر أي ننزع عنه ما آتيناه ويأتينا يوم القيامة فردا لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا أن يؤتى ثمة زائدا وقيل نزوي عنه ما زعم أنه يناله في الآخرة ونعطيه من يستحقه ويأتينا معنى الإرث وقيل المراد بما يقول نفس القول المذكور لا مسماه والمعنى إنما يقول هذا القول ما دام حيا فإذا قبضناه حلنا بينه وبين أن يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه وأنت خبير بأن ذلك مبني على أن صدور القول المذكور عنه بطريق الاعتقاد وأنه مستمر على التفوه به راج لوقوع مضمونه ولا ريب في أن ذلك مستحيل ممن كفر بالبعث وإنما قاله ما قاله بطريق الاستهزاء وتعليق أداء دينه بالمحال انتهى أبو السعود

أفرأيت الذي كفر الآية نزل فيمن سخر بالبعث وهو عاص بن وائل حين عمل له خباب بن الأرت من الصحابة حليا وكان صائغا فسأله أجره لعمله فقال له العاص إنكم تزعمون أن القيمة حق فإذا كان يوم القيمة سأوتين مالا وولدا فأعطيك منه فقال الله تعالى أفرأيت الذي كفر بآياتنا أي بالقرآن ومحمد عليه السلام وقال سخرية لأوتين مالا وولدا أي في الجنة إن بعثت وقرئ الولد بفتح الواو واللام مفردا وبضم الواو وسكون اللام جمعا للولد كأسد وأسد وقيل هو جماعة أهل الرجل أي أخبرني عنه أطلع الغيب همزة استفهام أي انظر في اللوح أو أعلم الغيب فعلم أنه يدخل الجنة أم اتخذ عند الرحمن عهدا أي عقدا يدخل به الجنة وهو قول لا إله إلا الله أو تقديم عمل مرضي عنده بسببه يدخل الجنة كلا ردع للكافر أي لم يطلع على علم الغيب ولم يتخذ عند الرحمن عهدا أو نفي لما تقدم وقيل كلا بمعنى حقا حرف يقوم مقام القسم وجوابه سنكتب أي سنحفظ عليه أو سنظهر أنا كتبنا عليه ما يقول من الكذب فنجازيه به أو قاله على سبيل الانتقام في المستقبل من غير صارف ونمد له من العذاب مدا أي عذابا فوق العذاب أي ونزيده من العذاب أو نخفف ما يقول حتى نجازيه به أو نورث ما يقول إنه له في الجنة غيره من المؤمنين ونعطيه غير ما يقول في النار والمراد بما يقول مسماه وهو المال والولد لا نفس القول ونرثه ما يقول ما بدل من هاء نرثه بدل اشتمال أي نهلكه ونورث ماله وولده غيره ويأتينا فردا أي وحيدا غدا بلا مال ولا ولد انتهى السعود

أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا لما كانت رؤية الأشياء طريقا إلى العلم بها وصحة الخبر عنها استعمل أرأيت في معنى أخبر والفاء للتعقيب كأنه قال أخبر أيضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث أولئك وقوله لأوتين جواب قسم مضمر نزلت في العاص بن وائل كان لخباب عليه مال فتقاضاه فقال له لا حتى تكفر بمحمد قال لا والله لا أكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فإني إذا مت بعثت قلت نعم قال وإذا بعثت جئتني فيكون لي ثم مال وولد فأعطيك أطلع الغيب همزة أطلع همزة استفهام حذفت معها همزة الوصل أي أنظر في اللوح المحفوظ فرأى منيته أم اتخذ عند الرحمن عهدا أي موثقا أن يؤتيه ذلك والعهد كلمة الشهادة كلا ردع وتنبيه على الخطأ وهو مخطئ فيما تصوره لنفسه فليرتدع عنه سنكتب ما يقول أي قوله والمراد سنظهر له ونعلمه أنا كتبنا قوله لأنه كما قال كتب من غير تأخير قال الله تعالى ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ونمد له من العذاب نزيده من العذاب كما يزيد في الافتراء والاجتراء من المدد يقال مده وأمده بمعنى مدا أكد بالمصدر لغضبه تعالى ونرثه ما يقول يعني المال والولد ويأتينا فردا حال أي بلا مال ولا ولد لقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم فما يجدي عليه تمنيه وتأليه انتهى

أفرأيت الذي كفر بآياتنا لما كانت رؤية الأشياء طريقا إلى العلم بها وصحة الخبر عنها استعملوا أرأيت في معنى أخبر والفاء للتعقيب والمعنى أخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث أولئك وقوله لأوتين جواب قسم مضمر مالا وولدا وقرئ ولدا وهو جمع ولد كأسد في أسد أو بمعنى الولد كالعرب في العرب أطلع الغيب من قولهم اطلع الجبل إذا ارتقى إلى أعلاه الهمزة للاستفهام وهمزة الوصل محذوفة أي أنظر في اللوح المحفوظ فرأى فيه منيته أم اتخذ عند الرحمن عهدا أو موثقا أن يأتيه ذلك روي أن خباب بن الأرت صاغ للعاص بن وائل حليا فاقتضاه الأجر فقال إنكم تزعمون أنكم تبعثون وأن في الجنة ذهبا وفضة فأنا أقضيك ثمة فإني أوتى مالا وولدا حينئذ وفيه أن قوله وولدا لا يناسب المقام وسياق الكلام حينئذ كلا ردع وتنبيه على الخطأ أي هو مخطئ فيما تصوره لنفسه فليرتدع عنه سنكتب ما يقول سنظهر له أنا كتبنا قوله على طريقة قوله إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة أي تبين أني لم تلدني لئيمة لأن نفس الكتبة لا تتأخر عن القول لقوله تعالى ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد وقيل هذا على طريقة قول المتوعد للجاني سوف أنتقم منك يعني أنه لا يخل بالانتصار وإن تطاول به الزمان إلا أن حرف التنفيس جرد هنا للوعيد ونمد له من العذاب نزيده من العذاب كما يزيد في الاجتراء والاجتراء من المدد يقال مده وأمده بمعنى مدا أكد بالمصدر لفرط غضبه تعالى ونرثه بموته ما يقول يعني المال والولد بدل اشتمال من الهاء في نرثه ويأتينا يوم القيمة فردا لا يصحبه ماله ولا ولده في الدنيا فضلا أن يؤتى له زائدا ابن كمال

أفرأيت الذي كفر بآياتنا أي بآياتنا التي من جملتها آيات البعث نزلت في العاص بن وائل كان لخباب بن الأرت عليه مال فاقتضاه فقال لا حتى تكفر بمحمد قال لا والله لا أكفر به حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فإذا بعثت جئني فيكون ثمة مال وولد فأعطيك وفي رواية قال لا أكفر به حتى يميتك ثم تبعث فقال إني لميت ثم مبعوث قال نعم قال دعني حتى أموت وأبعث فأوتى مالا وولدا فأقضيك فنزلت فالهمزة للتعجب من حاله والإيذان بأنها من الغرابة والشناعة بحيث يجب أن ترى ويقضى منها العجب ومن فرق بين ألم تر وأرأيت بعد بيان اشتراكهما في الاستعمال لقصد التعجب بأن الأول يعلق بنفس المتعجب منه فيقال ألم تر إلى الذي صنع كذا بمعنى انظر إليه فتعجب من حاله والثاني يعلق بمثل المتعجب منه فيقال أرأيت مثل الذي صنع كذا بمعنى أنه من الغرابة بحيث لا يرى له مثل فقد حفظ شيئا وغابت عنه أشياء وكأنه ذهب عليه قوله عز وجل أرأيت الذي يكذب بالدين والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أنظرت فرأيت الذي كفر بآياتنا الباهرة التي حقها أن يؤمن بها كل من يشاهدها وقال مستهزئا بها مصدرا لكلامه باليمين الفاجرة والله لأوتين في الآخرة مالا وولدا أي انظر إليه فتعجب من حالته البديعة وجراءته الشنيعة هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم وقد قيل إن أرأيت بمعنى أخبر والفاء على أصلها والمعنى أخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث أولئك الذين قالوا أي الفريقين خير مقاما الآية وأنت خبير بأن المشهور استعمال أرأيت في معنى أخبرني بطريق الاستفهام جاريا على أصله أو مخرجا إلى ما يناسبه من المعاني لا بطريق الأمر بالإخبار لغيره وقرئ ولدا على أنه جمع ولد كأسد جمع أسد أو على أنه لغة فيه كالعرب والعرب وقوله تعالى

أطلع الغيب الخ

واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا ليتعززوا بهم
بان يكونوا لهم شفعاء عند الله ووحد عزا لانه بمعنى المصدر
كلا اي ليس الامر كما ظنوا سيكفرون بعبادتهم الضمير للآلهة
سيجحدون عبادتهم ويقولون والله ما عبدتمونا لقوله
تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا او للمشركين اي ينكرون ان
يكونوا قد عبدوها كقوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين ويكونون
عليهم ضدا خصما لان الله تعالى ينطقهم فيقولون يا رب
عذب هؤلاء الذين عبدونا من دونك والضد يقع
على الواحد والجمع وهو في مقابلة لهم عزا او المراد ضد العز
وهو الذل والهوان اي يكونون عليهم ضدا لما قصدوه
من العز على معنى انها يكون معونة في عذابهم بان يوقد بها
نيرانهم او جعل الواو للكفرة اي ويكونون كافرين لهم بعد
ان كانوا يعبدونها وتوحيده لوحدة المعنى الذي
به مضادتهم فانهم بذلك كالشيء الواحد ونظيره قوله
عليه السلام وهم يد واحدة على من سواهم وقرئ كلا بالتنوين
على قلب الالف نونا في الوقف او على معنى كل هذا
الرأي كلا وكلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اي سيجحدون
كلا سيكفرون بعبادتهم الم تر انا ارسلنا الشياطين
على الكافرين الارسال التخلية وتعديته بعلى لتضمين معنى
التسليط اي خليناهم مسلطين عليهم بالاغراء
وذلك حين قال لابليس واستفزز من استطعت
منهم بصوتك تؤزهم ازا اغراء بالتهييج واصل الاز
الحركة مع صوت متصل من ازيز القدر وغليانها والمعنى تزعجهم الشياطين وتسوقهم الى المعاصي بسرعة وسياق الكلام
ظاهر في الارسال استدراجا ولذلك اتى باداة التفريع في قوله فلا تعجل اي لا تطلب العذاب قبل حينه ولذلك قال
عليهم ولما كان قوله انما نعد لهم اي انفاسهم ليستوفوا آجالهم في مقام التعليل لما ذكر كان المناسب ان يكون المراد
انا نمهلهم لا نعاجلهم وما قيل اي لا تعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة بعيد عن مساق
الكلام وسياق المقام عدا فلا يزدادون عليها ولا ينقصون منها ابن الكمال

واتخذوا من دون الله آلهة اتخذ هؤلاء المشركين
اصناما يعبدونها ليكونوا لهم عزا ليتعززوا بآلهتهم
ويكونوا لهم شفعاء وانصارا ينقذونهم من العذاب
كلا ردع لهم عما ظنوا سيكفرون بعبادتهم اي الآلهة
اي سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون
والله ما عبدتمونا وانتم كاذبون او المشركون
اي ينكرون ان يكونوا قد عبدوها كقوله تعالى والله
ربنا ما كنا مشركين ويكونون اي المعبودون عليهم
اي المشركين ضدا خصما فان الله تعالى ينطقهم فيقولون
يا رب عذب هؤلاء الذين عبدونا من دونك والضد
يقع على الواحد والجمع وفي مقابلة لهم عزا لهم الاعزاء
او يكونون عليهم ضدا اي كفرة بهم بعد ان كانوا
يعبدونها الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين
خليناهم واياهم من ارسلت البعير اطلقته او
سلطناهم عليهم بالاغواء تؤزهم ازا تغريهم على
المعاصي اغراء فالاز والهز اخوان معناهما التهييج
وشدة الازعاج فلا تعجل عليهم بالعذاب انما نعد لهم
عدا اي اعمالهم للجزاء او انفاسهم للفناء وقرأها
ابن السماك عند المأمون فقال اذا كانت الانفاس
بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع ما ينفد انتهى

واتخذوا من دون الله آلهة حكاية لجناية عامة للكل مستتبعة لضد ما يرجون ترتبه عليها اثر حكاية مقالة الكافر
المعهود واستتباعها لنقيض مضمونها اي اتخذوا الاصنام آلهة متجاوزين الله تعالى ليكونوا لهم عزا اي ليتعززوا
بهم بان يكونوا لهم وصلة اليه عز وجل وشفعاء عنده كلا ردع لهم عن ذلك الاعتقاد الباطل وانكار لوقوع ما علقوا به اطماعهم
الفارغة سيكفرون بعبادتهم اي ستجحد الآلهة بعبادتهم لها بان ينطقها الله تعالى وتقول ما عبدتمونا او سينكر الكفرة
حين شاهدوا سوء عاقبة كفرهم عبادتهم لها كما في قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين وقوله تعالى ويكونون عليهم ضدا
على الاول تكون الآلهة التي كانوا يرجون ان تكون لهم عزا ضدا للعز اي ذلا وهوانا او تكون عونا عليهم وآلة لعذابهم
حيث تجعل وقود النار وحصب جهنم او حيث كانت عبادتهم لها سببا لعذابهم واطلاق الضد على العون لما
ان عون الرجل يضاد عدوه وينافيه باعانته له عليه وعلى الثاني يكون الكفرة ضدا واعداء للآلهة كافرين بها بعد
ان كانوا يحبونها كحب الله ويعبدونها وتوحيد الضد لوحدة المعنى الذي عليه يدور مضادتهم فانهم بذلك كشيء واحد
كما في قوله صلى الله عليه وسلم وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بفتح الكاف والتنوين على قلب الالف نونا في الوقف قلب
الف الاطلاق في قوله اقلي اللوم عاذل والعتابن وقولي ان اصبت لقد اصابن او على معنى كل هذا الرأي كلا
وقرئ كلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اي سيجحدون كلا سيكفرون الخ الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين

الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما نطقت به الآيات الكريمة السالفة وحكته عن هؤلاء
الكفرة الغواة والمردة العتاة من فنون القبائح من الاقاويل والافاعيل والتمادي في الغي والانهماك في الضلال
والافراط في العناد والتصميم على الكفر من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم والاجماع على مدافعة الحق
بعد اتضاحه وانتفاء الشك عنه بالكلية وتنبيه على ان جميع ذلك منهم باضلال الشياطين واغوائهم لا لان له
مسوغا ما في الجملة ومعنى ارسال الشياطين عليهم اما تسليطهم عليهم وتمكينهم من اضلالهم واما تقييضهم لهم وليس
المراد تعجيبه عليه السلام من ارسالهم عليهم كما يوهمه تعليق الرؤية به بل مما ذكر من احوال الكفرة من حيث كونها من
آثار اغواء الشياطين كما ينبئ عنه قوله تعالى تؤزهم ازا فانه اما حال مقدرة من الشياطين او استئناف وقع
جوابا عما نشأ من صدر الكلام كانه قيل ماذا تفعل الشياطين بهم حينئذ فقيل تؤزهم اي تغريهم وتهيجهم على المعاصي
تهييجا شديدا بانواع الوساوس والتسويلات فان الاز والهز والاستفزاز اخوات معناها شدة الازعاج
فلا تعجل عليهم اي بان يهلكوا حسبما تقتضيه جناياتهم ويبيدوا عن آخرهم وتطهر الارض من فساداتهم والفاء للاشعار
بكون ما قبلها مظنة لوقوع المنهي عنه محوجة الى النهي كما في قوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة
وقوله تعالى انما نعد لهم عدا تعليل لموجب النهي ببيان اقتراب هلاكهم اي لا تستعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام وانفاس
نعدها عدا انتهى
ابو السعود

واتخذوا من دون الله آلهة اي منعة في الآخرة ليكونوا لهم عزا اي ليتعززوا بهم ويكونوا لهم شفعاء ثمة
وانصارا ينجون بهم من عذاب الله تعالى وهم الاصنام التي يعبدونها قوله كلا رد عليهم بمعنى لا منعة لهم ثمة
سيكفرون بعبادتهم اي سيجحدونها ويكونون اي المعبودون عليهم اي المشركين ضدا اي اعداء يلعنونهم واعوانا عليهم
في العذاب قال صلى الله عليه وسلم من يطلب رضا المخلوق في معصية الخالق عاد الحامد له ذاما ووحد الضد لانه من قبيل قوله عليه السلام
وهم يد على من سواهم لاتفاق كلمتهم فانهم كالشيء الواحد لفرط تضامنهم الم تر انا ارسلنا اي الم تخبر في القرآن انا سلطنا
الشياطين على الكافرين مجازاة لكفرهم اي لم نعصمهم تؤزهم ازا اي تزعجهم ازعاجا وتغريهم اغراء وتسوقهم الى
المعاصي بسرعة في الدنيا وهو تعجيب للنبي عليه السلام منهم نزل في المستهزئين في القرآن وهم خمسة نفر والاز في الاصل
هو الحركة مع صوت متصل من ازيز القدر اي غليانه قوله فلا تعجل عليهم تسلية للنبي عليه السلام اي لا تعجل يا محمد لطلب
العذاب قبل وقته انما نعد لهم انفاسهم واعمارهم واعمالهم ليستوفوا آجالهم عدا فلا يزدادون عليها ولا ينقصون منها
ثم يهلكون فتستريح انت والمؤمنون من شرورهم
انتهى العيون

وفدا

يوم نحشر المتقين الى الرحمن ركبانا على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت ونسوق المجرمين الكافرين سوق الانعام لانهم كانوا اضل من الانعام الى جهنم وردا عطاشا لان من يرد الماء لا يرده الا لعطش • وحقيقة الورد المسير الى الماء فسمي به الوارد دونه • الوفد جمع وافد كركب وراكب • والورد جمع وارد • ونصب يوم بمضمر اي يوم نسوق نفعل بالفريقين ما لا يوصف اي اذكر يوم نحشر لا يملكون الشفاعة حال والواو ان جعل ضميرا فهي للعباد ويجوز ان يكون علامة للجمع كالتي في اكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ • ومحل من اتخذ رفع على البدل من واو يملكون • او على الفاعلية او نصب على تقدير المضاف اي الا شفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون ان يشفع لهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا بان امن • في الحديث من قال لا اله الا الله كان له عند الله عهد • وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك • قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك باني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك • وان محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلني الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير • واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عهدا توفينيه يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد • فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش • فاذا كان يوم القيمة نادى مناد اين الذين كان لهم عند الله عهد فيدخلون الجنة • او يكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به اي لا يشفع الا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها • انتهى

يوم نحشر المتقين الحشر الجمع من جهات متعددة • ونصب يوم بلا يملكون • او بمضمر اي يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يوصف الى الرحمن لاختيار هذا الاسم في هذه السورة شان • ولعله لان مساق الكلام فيها لتعداد نعم الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها وفدا الوفد جمع وافد كركب وراكب حال من المتقين ونسوق المجرمين الكافرين سوق الانعام لانهم كانوا اضل منها الى جهنم وردا عطاشا لان من يرد الماء لا يرده الا لعطش وحقيقة الورد المسير الى الماء فسمي به الواردون ذكر المتقون بانهم يجمعون الى ربهم الذي غمرهم برحمته كما يفد الوفود على الملوك تبجيلا لهم والكافرون بانهم يساقون الى النار كانهم نعم عطاش يساقون الى الماء استخفافا بهم لا يملكون الشفاعة الضمير فيه للعباد المدلول عليهم بذكر المجرمين والمتقين لانحصارهم فيهما الا من اتخذ عند الرحمن عهدا اذ ما في لقوله تعالى لا ينفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به • ومحله الرفع على البدل من ضمير يملكون • او النصب على تقدير المضاف اي الا شفاعة من اتخذ • او على الاستثناء • وقيل الضمير للمؤمنين اي لا يملكون ان يشفع لهم الا من اتخذ عند الله عهدا بالاسلام ليستعد به ان يشفع له • انتهى

يوم نحشر المتقين منصوب على الظرفية بفعل مؤخر قد حذف للاشعار بضيق العبارة عن حصره وشرحه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة التامة والدواهي العامة كانه قيل يوم نحشر المتقين اي نجمعهم الى الرحمن الى ربهم الذي يغمرهم برحمته الواسعة وفدا وافدين عليه كما يفد الوفود على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم ونسوق المجرمين كما تساق البهائم الى جهنم وردا عطاشا فان من يرد الماء لا يورده الا العطش او كالدواب التي ترد الماء نفعل بالفريقين من الافعال ما لا يفي ببيانه نطاق المقال وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم اي اذكر لهم بطريق الترغيب والترهيب يوم نحشر الخ وقيل على الظرفية لقوله لا يملكون الشفاعة والذي يقتضيه مقام التهويل ويستدعيه جزالة التنزيل ان ينتصب باحد الوجهين الاولين ويكون هذا استئنافا مبينا لبعض ما فيه من الامور الدالة على هوله وضميره عائد الى العباد المدلول عليهم بذكر الفريقين لانحصارهم فيهما وقيل الى المتقين خاصة وقيل الى المجرمين من الكفرة واهل الاسلام والشفاعة على الاولين مصدر من المبني للفاعل وعلى الثالث ينبغي ان يكون مصدرا من المبني للمفعول وقوله الا من اتخذ عند الرحمن عهدا على الاول استثناء متصل من لا يملكون ومحل المستثنى اما الرفع على البدل او النصب على اصل الاستثناء والمعنى لا يملك العباد ان يشفعوا لغيرهم الا من استعد له بالتحلي بالايمان والتقوى او من امر بذلك من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به فيكون ترغيبا للناس في تحصيل الايمان عـ

عـ والتقوى المؤدي الى نيل هذه الرتبة وعلى الثاني استثناء من الشفاعة على حذف المضاف والمستثنى منصوب على البدل او على اصل الاستثناء اي لا يملك المتقون الشفاعة الا شفاعة من اتخذ العهد بالاسلام فيكون ترغيبا في الاسلام وعلى الثالث استثناء من لا يملكون ايضا والمستثنى مرفوع على البدل او منصوب على الاصل والمعنى لا يملك المجرمون ان يشفع لهم الا من كان منهم مسلما • انتهى ابو السعود رحمه الله

يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا اي اذكر يوم نجمع المتقين الله بطاعته في الدنيا من قبورهم او بعد الحساب الى الجنة يعني ركبانا على النوق رحالها الذهب والنجائب سروجها ياقوت • والوفد جمع وافد كركب وراكب • والوافد من ياتي بالخير • والمعنى ان الرحمن يجازيهم وينعمهم بفضله واحسانه ونسوق المجرمين اي العاصين الى جهنم وردا جمع وارد فيساقون الى النار رجالة عطاشا قد تقطعت اعناقهم من العطش • واصل الوارد من الورود الى الماء والوارد على الماء يكون عطشانا قوله لا يملكون الشفاعة اي المؤمنون والمجرمون كلهم • نصب على الحال الا من اتخذ في الدنيا عند الرحمن عهدا اي عقدا موثقا بان امن وعمل صالحا فيستحق به دخول الجنة • وقيل معناه شهادة ان • وقيل من عهد الامير بكذا الى فلان اذا امر به اي لا ينفع الا المامور بالشفاعة من اهل الايمان • ومحل من اتخذ رفع بدل من واو يملكون انتهى العيون

وقالوا اتخذ الرحمن ولدا اي النصارى واليهود ومن زعم ان الملائكة بنات الله ولا وجه لاسناد هذا القول الى الكل مع الانكار عن بعضهم لكونه مقولا فيما بينهم ووقوع المشاجرة فيه فيما بينهم على ان في هذا الاسناد نوع شيني للمسلمين وهم براء عنه لقد جئتم شيئا ادا على الالتفات للمبالغة في الذم والتسجيل عليهم بالجراة على الله والتعرض لسخطه والتنبيه على عظم ما قالوا والاد بالكسر والفتح العجب وقيل العظيم المنكر من الادة وهي الشدة تكاد السموات تقرب يتفطرن وبالنون الانفطار من فطره اذا شققه مرة بعد اخرى فهذا ابلغ منه من عظم هذا القول وتنشق الارض وتخر الجبال وتسقط هدا اي مهدودة او تهد هدا او مفعول له اي لانها تهد والهد الهدم بشدة صوت وهو تقرير لكونه ادا اي بلغت هذه الكلمة من فظاعتها وعظمها وهدمها للاركان التي وقواعده مبلغا لو تصور تاثيرها بصورية محسوسة لم يحتمل مثله هذه الاجرام العظيمة التي هي قوام العالم وتفتت من شدتها او كانت هذه الاجرام تتفتت وتخرب العالم لشدة غضب الله تعالى على من تفوه بها قهرا له وهدما لاركان العالم عليه استعظاما لها وتهويلا من فظاعتها على ان دعوا للرحمن ولدا اما منصوب بتقدير حذف اللام وافضاء الفعل اليه لتعليل الكيدودة او الهد اي هدا لان دعوا علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن او مجرور بدل من الضمير في منه اي من ان دعوا او على اضمار لام التعليل او مرفوع على انه فاعل هدا اي هدها دعاء الولد او خبر مبتدأ محذوف اي سبب ذلك ان دعوا وهو من دعى بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين او من دعا بمعنى نسب ادعى الذي مطاوعه بمعنى انتسب وما ينبغي ما يتاتى للرحمن ان يتخذ ولدا قيل لا يليق به اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب مثلا لانه مستحيل ورد عليه ان المحال قد يستلزم المحال فيجوز ان يتطلب على تقدير تحقق الطلب المحال فالتعليل المذكور لا يتم التقريب

وقالوا اتخذ الرحمن ولدا اي النصارى واليهود و من زعم ان الملائكة بنات الله لقد جئتم شيئا ادا خوطب به التفاتا او امر النبي عليه السلام بان يقول لهم ذلك والاد العجب او العظيم المنكر والادة الشدة تكاد تقرب السموات يتفطرن ينفطرن من فطره الى شقه منه من عظم هذا القول وتنشق الارض تخسف وتنفصل اجزاؤها وتخر تسقط الجبال هدا كسرا او قطعا او هدما والهدة صوت الصاعقة من السماء وهو مصدر اي تهد هدا من سماع قولهم او مفعول له او حال اي مهدودة ان دعوا للرحمن ولدا لان سموا ومحله جر بدل من الهاء في منه او نصب مفعول له علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن الغني المطلق عن البنين والبنات وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا انبغى مطاوع بغى اذا طلب اي ما يتاتى له اتخاذ الولد وما يتطلب لو طلب مثلا لانه محال غير داخل تحت القدرة وهذا لان اتخاذ الولد لحاجة ومجانسة وهو منزه عنهما وفي اختصاص الرحمن وتكريره مرات بيان انه الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره لان اصول النعم وفروعها منه تعالى فلينكشف عن بصرك غطاؤه فانت وجميع ما عندك عطاؤه فمن اضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه واخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن انتهى

قرة بعد اخرى انه اسم مختص بالواجب بالذات باعتبار افاضة الوجود واصول النعم واصول النعم على الكل كما قيل فلينكشف عن بصرك غطاؤه فانت وجميع ما عندك عطاؤه فكل ما عداه نعمة او منعم عليه فلا يجانس من هو مبدئ النعم والولد يجب ان يجانس الوالد فلا يمكن له ولد فمن نسب اليه الولد فقد شبهه بخلقه واخرجه عن استحقاق اسم الرحمن ولهذا اقتصر على المفعول الثاني على تفسير دعوا بمعنى سموا للدلالة على العموم والاحاطة بكل ما جعل ولدا لاستحالة مناسبة شيء ما من خلقه له

انتهى ابن كمال

وقالوا اتخذ الرحمن ولدا اي اليهود والنصارى لقد جئتم شيئا ادا اي منكرا واصله بالكسر والفتح العجب يعني قل لهم يا محمد لقد قلتم قولا عظيما منكرا وقيل كذبا وزورا بقولكم اتخذ الله ولدا تكاد بالتاء والياء اي تقرب السموات يتفطرن منه اي ينشق منه اي من قولهم قرئ بالتاء وبالنون من تفطر ومن انفطر وتنشق الارض اي تتصدع اجزاؤها او تنخسف وتخر الجبال اي تسقط او تنطبق عليهم هدا اي كسرا قوله ان دعوا مفعول له اي لان سموا للرحمن ولدا فالدعاء بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف الثاني ليعلم بكل ما دعي له ولدا او من دعا بمعنى نسب اي لاجل ان نسبوا له ولدا وقيل ان دعوا فاعل هدا اي هدها دعاؤهم للرحمن ولدا ثم نفى نفيه الولد فقال وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا انبغى مطاوع بغى اذا طلب اي لا يستقيم له تعالى اتخاذ الولد لعدم حاجته اليه وعدم مجانسته لشيء ما انتهى العيون

وقالوا اتخذ الرحمن ولدا حكاية لجناية اليهود والنصارى ومن يزعم من العرب ان الملائكة بنات الله سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا اثر حكاية جناية عبدة الاصنام بطريق عطف القصة على القصة وقوله تعالى لقد جئتم شيئا ادا رد لمقالاتهم الباطلة وتهويل لامرها بطريق الالتفات المنبئ عن كمال السخط وشدة الغضب المفصح عن غاية التشنيع والتقبيح وتسجيل عليهم بغاية الوقاحة والجهل والجراة والاد بالكسر والفتح العظيم المنكر والادة الشدة واد الامر واده اثقله وعظم عليه اي فعلتم امرا منكرا شديدا لا يقادر قدره فان جاء واتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته وقوله تعالى تكاد السموات صفة لادا او استئناف لبيان عظم شانه في الشدة والهول وقرئ يكاد بالتذكير يتفطرن منه يتشققن مرة بعد اخرى من عظم ذلك الامر وقرئ ينفطرن والاول ابلغ لان التفعل مطاوع فعل والانفعال مطاوع فعل ولان اصل التفعل التكلف وتنشق الارض اي وتكاد تنشق الارض وتخر الجبال اي تسقط وتتهدم وقوله تعالى هدا مصدر مؤكد لمحذوف هو حال من الجبال اي تهد هدا او مصدر من المبني للمفعول مؤكد لتخر على غير المصدر لانه حينئذ بمعنى التهدم والخرور كانه قيل وتخر الجبال خرورا او مصدر بمعنى المفعول منصوب على الحالية اي مهدودة او مفعول له اي لانها تهد وهذا تقرير لكونه ادا والمعنى ان هول تلك الكلمة الشنعاء وعظمها بحيث لو تصورت بصورة محسوسة لم تطق بها تلك الاجرام العظام وتفتت من شدتها او ان فظاعتها في استجلاب الغضب واستيجاب السخط بحيث لولا حلمه تعالى لخرب العالم وبدد قوائمه غضبا على من تفوه بها ان دعوا للرحمن ولدا منصوب على حذف اللام المتعلقة بتهد وقيل الجملة بدل من الضمير المجرور في منه كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم وقيل خبر مبتدا محذوف اي الموجب لذلك ان دعوا الخ وقيل فاعل هدا اي هدها دعاء الولد والاولى هو الاول ودعوا من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين وقد اقتصر على ثانيهما ليتناول كل ما دعي له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى الى فلان اي انتسب اليه وقوله تعالى وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا حال من فاعل قالوا او دعوا مقررة لبطلان مقالتهم واستحالة تحقق مضمونها اي قالوا اتخذ الرحمن ولدا او ان دعوا للرحمن ولدا والحال انه ما يليق به تعالى اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب مثلا لاستحالته في نفسه ووضع الرحمن موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم بالتنبيه على ان كل ما سواه تعالى اما نعمة او منعم عليه فكيف يتسنى ان يجانس من هو مبدا النعم ومولي اصولها وفروعها حتى يتوهم ان يتخذه ولدا وقد صرح به قوله عز قائلا ان كل من في السموات

انتهى ابو السعود رحمه الله

ثم يوضع له المحبة في الارض والسنين لان السورة مكية وكانوا اذ ذاك ممقوتين بين الكفرة فوعدهم ذلك ثم انجزه حين جا الاسلام اولان الموعود في القيمة حين تعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع ما في صدورهم من الغل الذي كان لهم في الدنيا ولعل افراد هذا بالوعد من بين ما سيؤتونه يوم القيمة من الكرامات السنية لما ان الكفرة سيقع بينهم يومئذ تباغض وتضاد وتقاطع وتلاعن **فانما يسرناه** اى القران **بلسانك** بان انزلناه على لغتك والبا بمعنى على وقيل ضمن التيسير معنى الانزال اى يسرنا القران منزلين له بلغتك والفا لتعليل امر ينساق اليه النظم الكريم كانه قيل بلغ هذا المنزل او بشر به وانذر فانما يسرناه بلسانك العربي المبين **لتبشر به المتقين** اى الصائرين الى التقوى بامتثال ما فيه من الامر والنهي **وتنذر به قوما لدا** لا يؤمنون به لجاجا وعنادا واللد جمع الالد وهو الشديد الخصومة اللجوج المعاند وقوله تعالى **وكم اهلكنا قبلهم من قرن** وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ضمن وعيد الكفرة بالاهلاك وحث له عليه السلام على الانذار اى قرنا كثيرا اهلكنا قبل هؤلاء المعاندين وقوله تعالى **هل تحس منهم من احد** استيناف مقرر لمضمون ما قبله اي هل تشعر باحد منهم وترى **او تسمع لهم ركزا** اى صوتا خفيا واصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون المخفي والمعنى اهلكناهم بالكلية واستاصلناهم بحيث لا يرى منهم احد ولا يسمع منهم صوت خفي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وساير الانبيا المذكورين فيها وبعدد من دعا الله تعالى في الدنيا ومن لم يدع الله تعالى والله اعلم انتهى ابو السعود رحمه الله

ان كل من في السموات والارض اى ما كل من فيهما **الا اتي الرحمن عبدا** فانه بمعنى النفي كما وكل مبتدا خبره آتي ومن نكرة موصوفة لوقوعه بعد كل والمعنى سياتي جميع الخلايق يوم القيمة الى الرحمن خاضعا ذليلا مقرا بالعبودية كالملائكة وعيسى وعزير عليهم السلام وغيرهم يعني يلتجئون الى ربوبيته منقادين كما يفعل العبيد للملوك فلا يليق به اتخاذ الولد منهم **لقد احصيهم وعدهم عدا** اى لقد ضبط عليهم اعمالهم وعلم عددها وحفظ اخبرهم وسرهم لا يفوته شي من احوالهم ليجازيهم بما استحقوا من الجزا **وكلهم اتيه** اى كل واحد منهم ياتيه **يوم القيمة فردا** اى منفردا ليس معه مال ولا ولد ولا احد من المشركين وهو بري منهم **ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل** اى سيحدث **لهم الرحمن ودا** اى مودة في القلوب لا بسبب من الاسباب يكتسب بها الناس مودة في قلوبهم كقرابة وعطا وصدقة وغير ذلك بل هو اختراع من الله ابتداء اختصاصا منه لاوليائه بكرامة خاصة قيل معناه يحبهم الله تعالى ويحببهم الى عباده في الدنيا وقيل يوم القيمة يحببهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم في كتبهم روي انه صلى الله عليه وسلم قال يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل في صدور المؤمنين مودة فانزل الله تعالى هذه الاية وقيل ما اقبل عبد بقلبه الى الله تعالى الا اقبل الله تعالى بقلوب اهل الايمان اليه حتى يرزقه مودتهم **فانما يسرناه** اى سهلنا القران **بلسانك** اي بلغتك وهو اللسان العربي **لتبشر به المتقين** اى الموحدين الخائفين الراجين **وتنذر به قوما لدا** اى شديد الخصومة جمع الالد كصم واصم قال مجاهد الالد الظالم الذي لا يستقيم وقيل هو الذي لا يقبل الحق ويدعي الباطل **وكم اهلكنا قبلهم من قرن** اي قبل قريش **هل تحس منهم** اى هل تجد **من احد** او ترى **او تسمع لهم ركزا** اى صوتا خفيا والركز هو الصوت الخفي الذي لا يفهم ومنه الركاز وهو المال المدفون والاستفهام فيه بمعنى النفي اي لا تحس ولا تسمع بل هلكوا جميعا وهو تخويف لاهل مكة بهلاك من قبلهم بالعذاب بسوء اعمالهم وترك التوحيد انتهى البغوي

ويدعو

ان كل من نكرة موصوفة صفتها **في السموات والارض** وخبر كل **الا اتي الرحمن** وحد اتي واتيه حملا على لفظ كل وهو اسم فاعل من اتى وهو مستقبل اي ياتيه **عبدا** حال اى خاضعا ذليلا منقادا والمعنى ما كل من في السموات والارض من الملائكة والناس الا وهو ياتي الله يوم القيمة مقرا بالعبودية والعبودية والنبوة تنافيان حتى لو ملك الاب ابنه يعتق عليه ونسبة الجميع اليه نسبة العبد الى المولى فكيف يكون البعض ولدا والبعض عبدا **لقد احصاهم وعدهم عدا** اي حصرهم بعلمه واحاط بهم **وكلهم اتيه يوم القيمة فردا** اى كل واحد منهم يوم القيمة منفردا بلا مال ولا ولد وبلا معين ولا ناصر **ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا** مودة في قلوب العباد وقال الربيع يحبهم الله ويحببهم الى الناس وفي الحديث يعطي المؤمن ثقة في صدور الابرار ومهابة في قلوب الفجار وعن قتادة وهرم ما اقبل العبد الى الله الا اقبل الله تعالى بقلوب العباد اليه وعن كعب ما يستقر لعبد ثناء في الارض حتى يستقر له في السماء **فانما يسرناه** سهلنا القران **بلسانك** بلغتك حال **لتبشر به المتقين** المؤمنين **وتنذر به قوما لدا** اشداء في الخصومة بالباطل اى الذين ياخذون في كل لديد اى شق من المراء والجدال جمع الد **وكم اهلكنا قبلهم من قرن** تخويف لهم وانذار **هل تحس منهم من احد** اى هل تجد او ترى او تعلم والاحساس الادراك بالحاسة **او تسمع لهم ركزا** صوتا خفيا ومنه الركاز اي لما اتيهم عذابنا لم يبق شخص يرى ولا صوت يسمع يعني هلكوا كلهم فكذا هؤلاء ان اعرضوا عن تدبر ما انزل عليك فعاقبتهم الهلاك فليهن عليك امرهم والله اعلم واحكم

ان كل من نكرة موصوفة صفتها **في السموات والارض** وخبر كل **اتي الرحمن** ووحد اتي واتيه حملا على لفظ كل وهو اسم فاعل من اتى وهو مستقبل اي ياتيه ويلتجي اليه **عبدا** حال اي خاضعا ذليلا منقادا والمعنى ما كل من في العالم من الثقلين والملك الا وهو ياتي الله تعالى يوم القيمة مقرا بالعبودية وهي والنبوة متنافيان حتى لو ملك الاب ابنه يعتق عليه وهذا تقرير لما علم مما تقدم التزاما **لقد احصاهم** الاحصاء الحصر والضبط اي احاط بهم علمه **وعدهم عدا** اى علم تفاصيلهم واعدادهم فكانه عدهم باشخاصهم فرادى والله منزه عن الحاجة الى العد **وكلهم اتيه يوم القيمة فردا** منفردا سواء العابد والمعبود ليس مع المعبود ممن يعبده احد يخدمه وينفعه ولا مع العابد احد يشفع له وينفعه ويقربه **ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا** سيحدث في قلوب الناس مودة من غير ان يتعرضوا للاسباب التي يكتسب بها مودة بل اصطناعا من الله تعالى لعباده الخاصة قال قتادة ما اقبل العبد الى الله تعالى الا اقبل الله تعالى بقلوب العباد اليه وللفظ الرحمن ههنا خصوصية تظهر بالتامل في قوله عليه السلام ان قلوب بني ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء والسين اما لان السورة مكية وكانوا ممقوتين حينئذ بين الكفرة فوعدهم الله ذلك اذا وجا الاسلام او لان الموعود في القيمة حين يعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع من الغل **فانما يسرناه** سهلناه منزلا **بلسانك** اى بلغتك وهو اللسان العربي المبين والفا للتعقيب لان ما قبلها دلت على ان مقت الكفرة اياهم لا يغرهم وسيحدث بدله الحب فقال لا تخف وبلغ ما انزل اليك مبشرا ونذيرا **لتبشر به المتقين** الصائرين الى التقوى **وتنذر به قوما لدا** اللد جمع الالد وهو الشديد الخصومة في الباطل الاخذ في كل لديد اى شق وجانب لفرط اللجاج والمراء **وكم اهلكنا قبلهم من قرن** تخويف لهم وانذار وتجسير للرسول عليه السلام على انذارهم **هل تحس** من حسه اذا شعر به ومنه الحس والمحسوس **منهم من احد** اى هل ترى منهم احدا **او تسمع لهم ركزا** الركز الصوت الخفي واصل التركيب الخفا ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون اى قد ذهبوا وبادوا فلا عين لهم ولا اثر فكذا هؤلاء ان اعرضوا عن تدبر ما انزل اليك فعاقبتهم الهلاك فليهن عليك امرهم انتهى من الكواشي

ان كل من في السموات والارض اى ما منهم احد من الملائكة والثقلين **الا اتي الرحمن عبدا** الا وهو مملوك له ياوي اليه بالعبودية والانقياد وقري آت الرحمن على الاصل **لقد احصاهم** اى حصرهم واحاطهم بحيث لا يكاد يخرج منهم احد من حيطة علمه وقبضة قدرته وملكوته **وعدهم عدا** اي عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم وكل شي عنده بمقدار **وكلهم اتيه يوم القيمة فردا** اى كل واحد منهم آت اياه منفردا من الاتباع والانصار وفي صيغة الفاعل من الدلالة على اتيانهم كذلك البتة ما ليس في صيغة المضارع لو قيل ياتيه فاذا كان شانه تعالى وشانهم كما ذكر فانى يتوهم احتمال ان يتخذ شيئا منهم ولدا **ان الذين امنوا وعملوا الصالحات** لما فصلت قبائح احوال الكفرة عقب ذلك بذكر محاسن احوال المؤمنين **سيجعل لهم الرحمن ودا** اى سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها سوى ما لهم من الايمان والعمل الصالح والتعرض لعنوان الرحمانية لما ان الموعود من اثارها وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا يقول لجبرئيل عليه السلام احببت فلانا فاحبه فيحبه جبرئيل ثم ينادي في اهل السماء ان الله تعالى احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء

سورة طه مكية مائة وثلثون وخمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم طه روي عن مجاهد والحسن والضحاك
وعطا وغيرهم ان معناه يا رجل فان صح فظاهر والا فالحق
هنا هو المذكور في سورة البقرة وقرئ طه على انه امر للرسول
عليه السلام بان يطأ الارض بقدميه فانه كان يقوم في تهجده
على احدى رجليه وان اصله طأ فقلبت همزته الفا وعلى هذا
يحتمل ان يكون اصل طه طاها والالف مبدلة عن الهمزة و
ها كناية عن الارض ويمنع هذا الوجه والتفسير بيا هذا كتبتها
على صورة الحروف الا ان يقال انه اكتفى بشطري الكلمتين
وعبر عنهما بالاسمين ما انزلنا عليك القرآن ان جعلت طه
تعديدا لاسماء الحروف فهذا ابتداء كلام وان جعلتها اسما للسورة
او القرآن احتمل ان يكون خبرا عنها وهي في موضع المبتدأ والقرآن
ظاهر اوقع موقع المضمر وان يكون جوابا لها وهي قسم وان جعلتها
نداء فهو منادى وان جعلتها جملة فعلية او اسمية باضمار مبتدأ
او طائفة من الحروف محكية فهو استئناف لتشقى لتتعب
بفرط تأسفك على كفر قومك وتحسرك على ان يؤمنوا
عليك ان لا يؤمنوا او لم تفرط في اداء الرسالة او بكثرة تهجدك
وطول قيامك اي ما بعثت لتنهك نفسك وتذيقها المشقة
الفادحة فان لها حقا عليك وانما بعثت بالحنيفية السمحة
والشقاء شائع في معنى التعب ومنه اشقى من رائض المهر وسيد
القوم اشقاهم وفيه اشعار بان القرآن انما انزل عليك
لتسعد وهو الوسيلة الى نيل كل فوز وسعادة فلا تجعلها
موجب الشقاوة وقيل رد وتكذيب لكفرة فانهم لما
رأوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى لترك ديننا
وان القرآن انزل عليك لتشقى به الا تذكرة نصب على
الاستثناء المنقطع اي لكن ليكون تذكرة او على الحال اي الا
مذكرين او على المفعول له اي الا للتذكر

سورة طه مائة وخمسة وثلثون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

طه يا ايها الطاهر عن ذنوب البقية والهادي لكافة البرية
ما انزلنا عليك القرآن لتشقى لتتعب بفرط التأسف
على كفر قريش او بالرياضة وكثرة التهجد و
الشقاء شائع في معنى التعب يقال سيد القوم
اشقاهم الا تذكرة استثناء منقطع اي لكن انزلناه
تذكرة لمن يخشى لمن في قلبه خشية ورقة يتأثر
بالانذار وخص من علم الله انه يخاف بالتخويف تنزيلا
بدل من تذكرة او جعل حالا اي منصوبا بنزل
المقدر او على المدح او بيخشى اي انزله الله
تذكرة لمن يخشى تنزيل الله ممن خلق الارض و
السموات صلة لتنزيلا العلى جمع العليا تأنيث
الاعلى الرحمن رفع على المدح اي هو الرحمن على العرش
خبر مبتدأ محذوف استوى استولى عن الزجاج
ونبه بذكر العرش الذي هو اعظم المخلوقات على غيره
وقيل لما كان الاستواء على العرش وهو سرير
الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك
فقالوا استوى فلان على العرش اي ملك و
ان لم يقعد على السرير البتة والمذهب قول علي
رضي الله عنه الاستواء غير مجهول والتكييف
غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه
بدعة لانه كان ولا مكان فهو على ما كان قبل خلق
المكان لم يتغير عما كان انتهى المدارك

وانما جي باللام في لتشقى لانه ليس لفاعل الفعل المعلل فانتفى شرط انتصابه وانتصب تذكرة
لوجود الشرط لا على البدل من محل لتشقى لاختلاف الجنسين الا ان يجعل التذكر نوعا من الشقاء اي ما انزلناه لتفرط في
الرياضة والتهجد او تتعب بالتأسف والتحسر على اباهم انما انزلناه لتتحمل متاعب التبليغ ومتاعب التذكر ومقاولة العتاة
الجاحدين ومقاتلة اعداء الدين وسائر تكاليف النبوة لمن يخشى لمن يصير الى الخشية ويلين قلبه ويرق ويعلم الله انه
ينتفع به تنزيلا بدل من تذكرة اذا جعلت حالا لا مفعولا له لفظا ومعنى اذ الشيء لا يعلل بنفسه ولا بنوعه او نصب على المعنى
باضمار نزل او بانزلنا لان معنى ما انزلناه الا تذكرة انزلناه تذكرة او على المدح والاختصاص او على انه مفعول به ليخشى
اي تذكرة لمن يخشى تنزيلا من الله وقرئ بالرفع اي هو تنزيل ممن خلق الارض والسموات العلى صلة لتنزيلا او صفة
له والعلى جمع العليا تأنيث الاعلى وفخم شأن المنزل اولا باسناد الانزال الى الواحد المتعالي ثم بتنكير
تنزيلا للتعظيم والابهام والتوضيح حيث لم يصف ثم بالالتفات من التكلم الى الغيبة لايقاظ السامع والتنبيه على عظمة شأن
يتفنن الكلام ثم باجراء الصفات العظام العجيبة على منزله وايراد الموصول ذريعة الى ذلك ثم بوصف السموات بالعلى
للدلالة على علو قدر خالقها ثم باجراء صفات العظمة والتمجيد فاكد الفخامة بوجوه كثيرة وطرق مختلفة ورتب صفاته
ترتيبا انيقا فبدأ اولا بايجاده لاصول العالم وقدم الارض لانها اقرب الى الحس واظهر نفعا واحتياجا اليها ثم ان
الى وجه احداث الكائنات وتدبير امرها بذكر استوائه على العرش واجراء الاحكام وانزال الاسباب منه على الترتيب
الذي اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته فقال الرحمن رفع على المدح اي هو الرحمن او بدل من فاعل خلق على العرش خبر مبتدأ
محذوف وعلى الاول يجوز ان يكون خبرا بعد خبر استوى كناية عن الملك لان العرش سرير الملك ومكان التمكن من ملكه
فاجريت هذه العبارة مجرى ملكه واستعملت في موضعه واشتهر كالمترادفين المتساويين في افادة المعنى المراد

سورة طه مكية وهي مائة وثلثون واربع آيات بسم الله الرحمن الرحيم طه فخمها قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب
على الاصل والطاء وفخمه ابو عمرو وورش لاستعلائه وامالهما الباقون وهو من الفواتح التي يصدر بها السور الكريمة
وعليه جمهور المتقنين وقيل معناه يا رجل وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير
وقتادة وعكرمة والكلبي الا انه عند سعيد على اللغة النبطية وعند قتادة على السريانية وعند عكرمة على الحبشية
وعند الكلبي على لغة عك وقيل عكل وهي لغة يمانية قالوا ان صح فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بقلب الياء طاء وحذف ذا
من هذا ومما استشهد به من قول الشاعر ان السفاهة طه في خلائقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين ليس بنص
في ذلك لجواز كونه قسما كما في حم لا ينصرون وقد جوزوا ان يكون الاصل طاها بصيغة الامر من الوطء فقلبت الهمزة في يطأ
الفا لانفتاح ما قبلها كما في قول من قال لا هناك المرتع وها ضمير الارض على انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يطأ
الارض بقدميه لما كان يقوم في تهجده على احدى رجليه مبالغة في المجاهدة ولكن يأباه كتابتهما على صورة الحرف كما يأبى
التفسير بيا رجل فان الكتابة على صورة الحرف مع كون التلفظ بخلافه من خصائص حروف المعجم وقرئ طه اما على
ان اصله طأ فقلبت همزته هاء كما في امثال هرقت او قلبت الهمزة في يطأ الفا كما مر ثم بني منه الامر والحق به هاء السكت
واما على انه اكتفى في التلفظ بشطري الاسمين واقيما مقامهما في الدلالة على المسميين فكأنهما اسماهما الدالان عليهما وعلى هذا
ينبغي ان يحمل قول من قال او اكتفى بشطري الكلمتين وعبر عنهما باسمهما وان الشطرين لم يذكرا من حيث انهما مسميان لاسميهما
ليقعا معبرا عنهما بل من حيث انهما جزآن لهما قد اكتفى بذكرهما عن ذكرهما ولذلك وقع التلفظ بانفسهما لا باسميهما بان يراد
بعد التثنية في الموضعين الشطران من حيث هما مسميان لا من حيث هما جزآن للاسمين ويراد باسمهما الشطران من حيث
هما قائمان مقام الاسمين فالمعنى اكتفى في التلفظ بشطري الكلمتين اي الاسمين فعبر عنهما اي الشطرين من حيث هما مسميان بهما
من حيث هما قائمان مقام الاسمين واما حمله على معنى انه اكتفى في الكتابة بشطري الكلمتين يعني طا على تقدير كونه امرا وكونه حرف نداء
وها على تقدير كونها كناية عن الارض وكونها حرف تنبيه وعبر عن ذينك الشطرين في التلفظ باسمهما فبين البطلان كيف
وطا وها على ما ذكر من التقادير ليسا باسمين للحرفين المذكورين بل الاول امر او حرف نداء والثاني ضمير الارض او حرف
تنبيه على ان كتابة صورة الحرف والتلفظ بغيره من خواص حروف المعجم كما مر فالحق ما سلف من انها من الفواتح اما
مسرودة على نمط التعديد باحد الوجهين المذكورين في مطلع سورة البقرة فلا محل لها من الاعراب وكذا ما بعدها من قوله تعالى
ما انزلنا عليك القرآن لتشقى فانه استئناف مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يعتريه من جهة المشركين
من التعب فان الشقاء شائع في ذلك المعنى ومنه اشقى من رائض مهر اي ما انزلناه عليك لتتعب بالمبالغة في مكابدة
الشدائد في مقاولة العتاة ومحاورة الطغاة وفرط التأسف على كفرهم به والتحسر على ان يؤمنوا كقوله عز وجل فلعلك
باخع نفسك على آثارهم الآية بل للتبليغ والتذكير وقد فعلت فلا عليك ان لم يؤمنوا به بعد ذلك او كقوله عليه السلام عما كان عليه
من المبالغة في المجاهدة في العبادة كما يروى انه عليه السلام كان يقوم بالليل حتى ترم قدماه فقال له جبريل عليهما السلام ابق على نفسك
فان لها عليك حقا اي ما انزلناه عليك لتتعب بنهك نفسك وحملها على الرياضات الشاقة والشرائع القادحة وما بعثت
الا بالحنيفية السمحة وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحارث قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك شقي حيث تركت دين ابائك
وان القرآن نزل عليك لتشقى به فرد ذلك بانا ما انزلناه عليك لما قالوا والاول هو الانسب كما يشهد به الاستثناء الآتي هذا
وان جعلت اسما للقرآن محله الرفع على انه مبتدأ ما بعده خبره والقرآن ظاهر اوقع موقع العائد الى المبتدأ كأنه قيل القرآن ما انزلناه عليك
لتشقى او النصب على اضمار فعل القسم او الجر بتقدير حرفه وما بعده جوابه وعلى هذين الوجهين يجوز ان يكون اسما للسورة
ايضا بخلاف الوجه الاول وهو الرفع على الابتداء فانه لا يتسنى على ذلك التقدير لكن لا لان المبتدأ يبقى حينئذ بلا عائد ولا قائم
مقامه فان القرآن صادق على السورة لا محالة اما بطريق الاتحاد بان يراد به القدر المشترك بين الكل والبعض او باعتبار
الاندراج ان اريد به الكل بل لان نفي كون انزاله للشقاء يستدعي سبق وقوع الشقاء مترتبا على انزاله قطعا اما بحسب
الحقيقة كما اذا اريد به معنى التعب او بحسب زعم الكفرة كما لو اريد به ضد السعادة ولا ريب في ان ذلك انما يتصور
في انزال ما انزل من قبل واما انزال السورة الكريمة فليس مما يمكن ترتب الشقاء السابق عليه حتى يتصدى لنفيه عنه
اما باعتبار الاتحاد فظاهر واما باعتبار الاندراج فلان مآله ان يقال هذه السورة ما انزلنا القرآن المشتمل عليها لتشقى
ولا يخفى ان جعلها مخبرا عنها مع انه لا دخل لها في الشقاء السابق اصلا مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل وقوله تعالى
الا تذكرة نصب على انه مفعول له لانزلنا لكن لا من حيث انه معلل بالشقاء على معنى ما انزلنا عليك القرآن لتتعب
بتبليغه الا تذكرة الآية كقولك ما ضربتك للتأديب الا اشفاقا كما انه في امثاله ان يكون بين العلتين ملابسة ٥

٥ بالسببية والمسببية حتماً كما في المثال المذكور وفي قولك ما شافهتك بالسوء لتتأذى الا زجراً لغيرك فان التأذي في الاول سبب
عن الشقاق والتأذي في الثاني سبب لزجر الغير وقد عرفت ما بين الشقاء والتذكرة من التنافي ولا يجدي ان يراد به التعب
في الجملة الجامع للتذكرة لظهور ان ملابسته بينهما باذكر من السببية والمسببية وانما يتصور ذلك ان لو قيل مكان ان تذكرة
الا تكثير الثواب فان الاجر بقدر التعب ولا من حيث انه بدل من محل لتشقى كما في قوله تعالى ما فعلوه الا قليل لوجوب المجانسة
بين البدلين وقد عرفت حاله بل من حيث انه معطوف عليه بحسب المعنى بعد نفيه بطريق الاستدراك المستفاد من الاستثناء
المنقطع كانه قيل ما انزلنا عليك القرآن لتتعب في تبليغه ولكن تذكرة لمن يخشى وقد جرد التذكرة عن اللام لكونها
فعلاً لفاعل الفعل المعلل اي لمن من شانه ان يخشى الله عز وعلا ويتأثر بالانذار لرقة قلبه ولين عريكته او لمن علم الله تعالى
انه يخشى بالتخويف وتخصيصها بهم مع عموم التذكرة والتبليغ لانهم المنتفعون بها وقوله تعالى تنزيلا مصدر مؤكد لمضمر مستأنف
مقرر لما قبله اي نزل تنزيلا او لما يفيده الجملة الاستثنائية فانها متضمنة لان يقال انزلناه للتذكرة والاول هو الانسب
بما بعده من الالتفات او منصوب على المدح والاختصاص وقيل هو منصوب بيخشى على المفعولية اي يخشى تنزيلا من الله تعالى
وانت خبير بان تعليق الخشية والخوف ونظائرهما بطلق التنزيل غير معهود نعم قد يعلق ذلك ببعض اجزائه المشتملة
على الوعيد ونظائره كما في قوله تعالى يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم وقيل هو بدل من تذكرة لكن لا على
انه مفعول له لانزلنا اذ لا يعلل الشيء بنفسه ولا بنوعه بل على انه مفعول به بمعنى الفاعل واقع موقع الحال من الكاف في عليك
او من القرآن ولا مساغ له الا بان يكون قيداً لانزلنا بعد تقييده بالقيد الاول وقد عرفت حاله فيما سلف وقرئ تنزيل
على انه خبر لمبتدأ محذوف ومن قوله تعالى ممن خلق الارض والسموات العلى متعلقة بتنزيلا او بمضمر هو صفة له مؤكدة
لما في تنكيره من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية ونسبة التنزيل الى الموصول بطريق الالتفات الى الغيبة بعد
نسبته الى نون العظمة لبيان فخامته تعالى بحسب الافعال والصفات اثر بيانها بحسب الذات بطريق الابهام ثم التفسير
لزيادة تحقيق وتقرير وتخصيص خلقهما بالذكر مع ان المراد خلقهما بجميع ما يتعلق بهما كما يفصح عنه قوله تعالى له ما في السموات
وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى لاصالتهما واستتباعهما لما عداهما وتقديم الارض لكونه اقرب الى الحس واظهر عنده
ووصف السموات بالعلى وهو جمع العليا تانيث الاعلى لتاكيد الفخامة مع ما فيه من مراعاة الفواصل وكل ذلك الى قوله تعالى
له الاسماء الحسنى مسوق لتعظيم شان المنزل عز وجل المستتبع لتعظيم المنزل الداعي الى تربية المهابة وادخال الروعة المؤدية
الى استنزال المتمردين عن رتبة العتو والطغيان واستمالتهم نحو الخشية المفضية الى التذكر والايمان الرحمن رفع
على المدح اي هو الرحمن وقد عرفت في صدر سورة البقرة ان المرفوع مدحاً في حكم الصفة الجارية على ما قبله وان لم يكن تابعاً له
في الاعراب ولذلك التزموا حذف المبتدأ ليكون في صورة متعلق من متعلقاته وقد قرئ بالجر على انه صفة صريحة
للموصول وما قيل من ان الاسماء الناقصة لا يوصف منها الا الذي وحده مذهب الكوفيين واياما كان فوصفه بالرحمانية اثر
وصفه بخالقية السموات والارض للاشعار بان خلقهما من آثار رحمته تعالى كما ان قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما
الرحمن للايذان بان ربوبيته تعالى بطريق الرحمة وفيه اشارة الى ان تنزيل القرآن ايضاً من احكام رحمته تعالى كما ينبئ عنه
قوله عز وجل الرحمن علم القرآن او رفع على الابتداء واللام للعهد والاشارة الى الموصول والخبر قوله تعالى على العرش استوى
وجعل الرحمة عنوان الموضوع الذي شانه ان يكون معلوم الثبوت للموضوع عند المخاطب للايذان بان ذلك امر بين
ستره به غني عن الاخبار به صريحاً وعلى متعلقة باستوى قدمت عليه لمراعاة الفواصل والجار والمجرور على الاول
خبر مبتدأ محذوف كما في قراءة الجر وقد جوز ان يكون خبراً بعد خبر والاستواء على العرش مجاز من الملك والسلطان متفرع
على الكناية فيمن يجوز عليه القعود على السرير يقال استوى فلان على سرير الملك يراد به ملك وان لم يقعد على السرير اصلاً
والمراد بيان تعلق ارادته الشريفة بايجاد الكائنات وتدبير امرها ٥ له ما في السموات وما في الارض سواء كان ذلك بالجزئية
منهما او بالحلول فيهما وما بينهما من الموجودات الكائنة في الجو دائماً كالهواء والسحاب او اكثرياً كالطير اي له وحده
دون غيره لا شركة ولا استقلالاً كل ما ذكر ملكاً وتصرفاً واحياء واماتة وايجاداً واعداماً وما تحت الثرى اي
ما وراء التراب وذكره مع دخوله تحت ما في الارض لزيادة التقرير روي عن محمد بن كعب انه ما تحت الارضين
السبع وعن السدي ان الثرى هو الصخرة التي عليها الارض السابعة وان تجهر بالقول بيان لاحاطة علمه تعالى بجميع
الاشياء اثر بيان سعة سلطنته وشمول قدرته لجميع الكائنات اي وان تجهر بذكره تعالى ودعائه فاعلم انه تعالى
غني عن جهرك فانه يعلم السر واخفى اي ما اسررته الى غيرك وشيئاً اخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك من غير ان
تتفوه به اصلاً او ما اسررته لنفسك واخفى منه وهو ما ستسره فيما سياتي وتنكيره للمبالغة في الخفاء وهذا اما
نهي عن الجهر كقوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول واما ارشاد للعباد طط

واما ارشاد للعباد الى ان الجهر ليس لاسماعه سبحانه بل لغرض آخر من تصوير النفس بالذكر وتثبيته فيها ومنعها من الاشتغال بغيره
وقطع الوسوسة عنها وهضمها بالتضرع والجؤار وقوله تعالى الله خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف مسوق لبيان ان ما ذكر من صفات
الكمال موصوفها ذلك المعبود بالحق اي ذلك المنعوت بما ذكر من النعوت الجليلة الله عز وجل وقوله تعالى لا اله الا هو تحقيق
للحق وتصريح بما تضمنه ما قبله من اختصاص الالوهية به سبحانه فان ما اسند اليه تعالى من خلق جميع الموجودات والرحمانية
والمالكية للكل والعلم الشامل مما يقتضيه اقتضاء بيناً وقوله تعالى له الاسماء الحسنى بيان لكون ما ذكر من الخالقية والرحمانية
والمالكية والعالمية اسماءه وصفاته من غير تعدد في ذاته تعالى فانه روي ان المشركين حين سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم
يقول يا الله يا رحمن قالوا ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الهاً آخر والحسنى تانيث الاحسن يوصف به الواحدة
المؤنثة والجمع من المذكر والمؤنث كمآرب اخرى وآياتنا الكبرى وهل اتاك حديث موسى استئناف مسوق
لتقرير امر التوحيد الذي اليه انتهى مساق الحديث وبيان انه امر مستمر فيما بين الانبياء كابراً عن كابر وقد خوطب
به موسى عليه السلام حيث قيل له انني انا الله لا اله الا انا وبه ختم عليه السلام مقاله حيث قال انما الهكم الله الذي لا اله
الا هو واما ما قيل من ان ذلك لترغيب النبي صلى الله عليه وسلم في الايتساء بموسى عليه السلام في تحمل اعباء النبوة
والصبر على مقاساة الخطوب في تبليغ احكام الرسالة فيأباه ان مساق النظم الكريم لصرفه عليه السلام عن اقتحام المشاق
وقوله تعالى اذ رأى ناراً ظرف للحديث وقيل لمضمر مؤخر اي حين رأى ناراً كان كيت وكيت روي انه عليه السلام استأذن شعيباً
السلام في الخروج الى امه واخيه فخرج باهله واخذ على غير الطريق مخافة من ملوك الشام فلما وافى وادي طوى وهو
بالجانب الغربي من الطور ولد له ولد في ليلة مظلمة شاتية مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت
ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فبينما هو كذلك اذ رأى ناراً على يسار الطريق من جانب الطور فقال
لاهله امكثوا اي اقيموا مكانكم امرهم عليه السلام بذلك لئلا يتبعوه فيما عزم عليه من الذهاب الى النار كما هو المعتاد
لا لئلا ينتقلوا الى موضع آخر فانه لا يخطر بالبال والخطاب للمرأة والولد والخادم وقيل لها وحدها والجمع اما لظاهر
لفظ الاهل او للتفخيم كما في قول من قال وان شئت حرمت النساء سواكم انى آنست ناراً اي ابصرتها ابصاراً بيناً
لا شبهة فيه وقيل الايناس خاص بابصار ما يؤنس به والجملة تعليل للامر او للمأمور به لعلي آتيكم منها اي اجيئكم من
النار بقبس اي بشعلة مقتبسة من معظم النار وهي المرادة بالجذوة في سورة القصص وبالشهاب القبس
او اجد على النار هدى هادياً يدلني على الطريق على انه مصدر سمي به الفاعل مبالغة او حذف منه المضاف اي ذا
هداية او على انه اذا وجد الهادي فقد وجد الهدى وقيل هادياً يهديني الى ابواب الدين فان افكار الابرار مغمورة
بالهمة الدينية في عامة احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والاول هو الاظهر لان مساق النظم الكريم لتسلية اهله
وقد نص عليه في سورة القصص حيث قيل لعلي آتيكم منها بخبر او جذوة الآية وكلمة او في الموضعين لمنع الخلو
دون منع الجمع ومعنى الاستعلاء في قوله تعالى على النار ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها او لانهم
عند الاصطلاء يكتنفونها قياماً وقعوداً فيشرفون عليها ولما كان الاتيان بهما مترقباً غير محقق الوقوع صدر الجملة
بكلمة الترجي وهي اما علة لفعل قد حذف ثقة بما يدل عليه من الامر بالمكث والاخبار بايناس النار وتفادياً
عن التصريح بما يوحشهم اي فاذهب اليها لآتيكم او كي آتيكم او راجياً ان آتيكم منها بقبس الآية وقد مر تحقيق ذلك
مفصلاً في تفسير قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون انتهى او الفعول
وان شئت لم اطعم نقاخاً ولا برداً فتدبر ذلك للتنبيه على انه صيغة المضارع لا صيغة الفاعل

سورة طه مكية بسم الله الرحمن الرحيم

قيل لما نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة اجتهد في العبادة واطال القيام فيها وكان يصلي الليل كله
حتى شق عليه ذلك وقام على احدى رجليه ورفع اخرى فنزل طه قرئ بتفخيم الطاء والهاء وبكسرهما
وبين الفتح والكسر وبفتح الطاء وكسر الهاء اي يا محمد طأ الارض بقدميك جميعاً وقيل معناه يا رجل بلسان
عك خطاباً بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل طه قسم اقسم الله تعالى جوابه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى
لتتعب به وقيل رد لقول المشركين بقولهم انك شقي تركت دين آبائك والشقاء يستعمل للتعب وضد
السعادة اي انت لست بشقي فرد الله تعالى بان دين الاسلام وهذا القرآن هو السبيل الى نيل كل سعادة

وما فيه الكفر هو الشقاوة بعينها قوله الا تذكرة مفعول له اي ما انزلناه عليك الا عظة لمن يخشى اي لمن يسلم ويؤول امره الى الخشية من الله ولا يجوز ان يكون بدلا من لتشقى لاختلاف الجنسين قوله تنزيلا مصدر انزلناه من غير لفظه اي انزله تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى جمع العليا توصف به السماء للدلالة على عظم قدرة خالقها وعلوها قوله الرحمن رفع مبتدأ على العرش متعلق بقوله استوى وهو خبر المبتدأ والجملة مسوقة للمدح تعظيما لشان المنزل اي هو استوى عليه وملكه لا شريك له فيه والعرش سرير الملك جلوس كناية عن الملك يقال فلان على العرش يراد به انه ملك واستولى وان لم يقعد على السرير البتة ثم بين بقوله له ما في السموات وما في الارض من خلق ان كمال القدرة وتمام الملك مختص به تعالى قوله وما بينهما عطف عليهما اي وله ما بينهما من جميع المخلوقات وله ما تحت الثرى وهو التراب الرطب مقدار خمسمائة عام تحت الارض ولولا ذلك لاحرقت النار الدنيا وما فيها وقيل هو الصخرة التي تحت الارض السابعة وهي صخرة خضراء فيها كتب الكفار اسمها سجين وقيل ان الارض على الماء وهو على الحوت وهو على الصخرة وهي على قرني الثور وهو على الثرى ولا يعلم ما تحته الا الله قوله وان تجهر بالقول اشارة الى كمال علمه بعد بيان قدرته وملكه اي ان تعلن بالقراءة او بذكر الله تعالى من دعاء وغيره فاعلم انه غني عن جهرك فانه اي لانه يعلم السر اي ما اسررته الى غيرك واخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك او ما اسررته في نفسك وما ستسره فيها وهذا الكلام اما نهي عن الجهر كقوله ودون الجهر من القول واما تعليم للعباد ان الجهر ليس لاسماع الله بل لغرض آخر ثم بين الله لخلقه انه واحد في المعبودية لا شريك له فيها بقوله الله لا اله الا هو اي لا معبود في الارض ولا في السماء الا هو له الاسماء الحسنى اي الصفات العلى التي يستحق بها الربوبية والعبادة لا غيره كالخالق والرازق والمحيي المميت المثيب المعاقب والحسنى تانيث الاحسن والسبب في فضل اسمائه في الحسن على سائر الاسماء دلالتها على معاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والافعال التي هي النهاية في الحسن ثم عقب آية طه بحديث موسى عليه السلام بقوله وهل اتيك استفهام بمعنى التقرير اي قد اتاك حديث موسى اي خبره ليقتدي به في تحمل اعباء النبوة والصبر على مقاساة الشدائد لنيل الفوز العظيم عند الله والمقام المحمود يعني تأس بموسى يا محمد في تحمل شدائد الرسالة قوله اذ راى نارا ظرف لحديث موسى عليه السلام وبيان له وقيل تقديره اذكر اذ راى نارا من بعيد فقال لاهله اي لزوجته ومن معها قرئ لاهله بكسر الهاء وضمها امكثوا اي اقيموا مكانكم وقفوا اني آنست نارا اي ابصرت وذلك حين رجع من مدين الى مصر بعد ان استاذن شعيبا في الخروج الى زيارة امه واخيه هرون فخرج باهله وماله فولد له في الطريق ابن في ليلة شاتية مظلمة ذات ثلج وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح زنده فصلد وراى نارا عند ذلك وقيل انه اخذ على غير الطريق مخافة من ملوك الشام فالجاءه المسير الى جانب الطور الغربي فقال قفوا هنا فاني رايت نارا لعلي آتيكم منها بقبس وهو قطعة نار في راس عود او فتيلة او غيرهما او اجد على النار هدى اي هاديا يدلنا على الطريق انتهى العيون

له ما في السموات وما في الارض خبر ومبتدأ و ما بينهما اي ذلك كله ملكه وما تحت الثرى ما تحت سبع الارضين او هو الصخرة التي تحت الارض السابعة وان تجهر بالقول ترفع صوتك فانه يعلم السر ما اسررته الى غيرك واخفى منه وهو ما اخطرته ببالك او ما اسررته في نفسك وما ستسره فيها الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى اي هو واحد بذاته وان افترقت عبارات صفاته كقولهم انك تدعو الهة حيث سمعوا اسماءه تعالى والحسنى تانيث الاحسن اي وان تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم بانه غني عن جهرك فانه يعلم السر واخفى منه وهو ضمير النفس وفيه تنبيه على ان شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس لاعلام الله سبحانه بل لتصوير النفس بالذكر وترسيخه فيها ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع والجؤار وهل وقد اتيك حديث موسى خبره قفاه بقصة موسى عليه السلام ليأتسي به في تحمل اعباء الرسالة والصبر على المكاره وينال الدرجة العليا كما نالها موسى اذ راى نارا ظرف لمضمر اي حين راى نارا كان كيت وكيت او مفعول به لاذكر روي ان موسى عليه السلام استاذن شعيبا في الخروج الى اهله وخرج باهله فولد له في الطريق ابن في ليلة مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فراى عند ذلك نارا في زعمه وكان نورا فقال لاهله امكثوا اقيموا مكانكم اني آنست ابصرت نارا والايناس رؤية شيء يونس به لعلي آتيكم منها بني الامر على الرجاء لئلا يعد بالبس بستيقن الوفاء به بقبس نار مقتبسة في راس عود او فتيلة او اجد على النار هدى ذوي هدى او قوما يهدونني الطريق ومعنى الاستعلاء في على النار ان اهل يستعلون المكان القريب منها انتهى

له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى ما تحت السبع الارضين فان الثرى الطبقة الترابية من الارض وهي آخر طبقاتها ومعنى الجملة يجري مجرى البيان من الاول لان مؤدى الاول كونه ملكا مطاعا قادرا وقوله له ملك السموات الخ تفصيل لذلك وتقرير له ولما ذكر ما دل على ملكه وكمال قدرته وارادته عقبه بما دل على كمال علمه واحاطته بخفايا الامور وجلاياها على السواء لتلازم تلك الصفات فيه واتصاف الجميع على العلم فقال وان تجهر بالقول ترفع صوتك به سواء كان ذكرا او دعاء او غيرهما وحذف جواب الشرط اي فاعلم انه تعالى غني عن جهرك واقيم تعليله مقامه وهو فانه يعلم السر واخفى اي ما اسررته الى غيرك وما هو اخفى منه اي ما اخطرته ببالك واضمرته في نفسك او اسر ما اضمرته في نفسك وما هو اخفى منه ما لم يخطر ببالك من الغيب المستاثر هذا ما قالوا وعندي ان علمه السر واخفى كناية عن استغنائه عن الجهر بالقول فلا حذف ولا اقامة فهو تعليم للعباد ان الجهر ليهضم النفس بالتضرع والجؤار واستبعادها عن مظان الغيب بالستحقارها لا لاعلام الله بذلك واسماعه او نهي تنزيه عما يوذن بالرياء ثم لما عدد الصفات الكمالية ووصفه بما لا يمكن ان يوصف به غيره من صفات الالوهية والربوبية افصح عن التوحيد وصرح بانه المتفرد بها المتوحد بمقتضاها فقال الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى اي هو واحد بذاته وان افترقت عبارات صفاته ردا لقولهم انك تدعو الهة حين سمعوا اسمائه تعالى والحسنى تانيث الاحسن وفضلها على سائر الاسماء في الحسن لدلالتها على معان هي اشرف المعاني وافضلها وهل اتيك استفهام تقرير يحث على الاصغاء لما يلقى اليه حديث موسى قفى خطابه بقصة موسى ليقتدي به في تحمل اعباء النبوة والصبر على مقاساة الشدائد في تبليغ الرسالة فان هذه السورة من اوائل ما نزل وهذه التقفية مرجحة لكون التذكرة نصبا على الاستثناء المتصل اذ راى نارا اذ ظرف للحديث او لاذكر او لمضمر دل عليه فقال اي حين راى نارا كان كيت وكيت لاهله امكثوا البثوا مكانكم اني آنست نارا ابصرت ابصارا بينا لا شبهة فيه ومنه الانس لظهوره وقيل هو وجدان ما يونس به ولما كان الايناس محققا اتى بكلمة ان وحققه لهم ليوطنوا انفسهم عليه بخلاف الاتيان بقبس ووجدان الهدى على النار فان كلا منهما مترقب متوقع فبنى الامر فيهما على الرجاء والطمع وجاء بلعل ولم يقطع لئلا يعد ما لا يستيقن الوفاء به لعلي آتيكم منها بقبس القبس النار المقتبسة في راس عود او فتيلة ونحوهما وقيل جمرة ويرده قوله تعالى في موضع آخر بشهاب قبس او اجد على النار معنى الاستعلاء على النار ان اهلها مشرفون عليها عند الاصطلاء او قياما وقعودا او يستعلون المكان القريب منها هدى اي هديا ما لانه اذا وجد الهادي فقد وجد هديا ما الى الطريق وانما جاء باو لانه بني على الرجاء على انه ان لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما انتهى ابن الكمال

فانه اذا تعلق بالمبصر يفيد معنى واذا تعلق بالمسموع يفيد معنى السمع وعلى هذا يدور قول الجوهري آنسته ابصرته وانست الصوت سمعته

رد
من ٤
فيه
رد
فيه
رد

فلما أتيها أي النار وجد نارا بيضاء تتقد في شجرة خضراء نودي يا موسى هو تكليم الله تعالى إياه ونودي مبني للمفعول وحذف الفاعل للتعظيم إني أنا ربك قرئ بالفتح أي بأني ومن كسره أجرى النداء مجرى القول لأنه ضرب منه وتكرير الضمير لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة وإماطة الشبهة فقيل لما نودي يا موسى قال من المتكلم فقال الله تعالى أنا ربك فوسوس إليه الشيطان لعلك تسمع كلام الشيطان فقال أنا عرفت أنه كلام الله تعالى بأني أسمعه من جميع الجهات يرده قوله تعالى وناديناه من جانب الطور الأيمن فإنه صريح في سماعه النداء من جهة واحدة لا من جميع الجهات فاخلع نعليك الخلع نزع الملبوس يقال خلع ثوبه عن بدنه ونعله عن رجله وقد ينزع المسمار عن موضعه ولا يكون خلعا لأنه غير ملبوس نعليك أمر بخلعهما تعظيما لحضرة القدس فإن في الحفوة تواضعا لله تعالى وتأدبا ولهذا كان السلف يطوفون بالبيت حافين والتعليل بقوله إنك بالواد المقدس دال على أن ذلك احترام للبقعة وتعظيم لقدسها وتفريع الأمر بخلع النعلين على النداء المذكور وإن كان باعتبار أن ما في الخلع من التواضع لله تعالى والتأدب مقتضى النداء لكنه لا يخلو عن الإشعار بأنه في بركة تلك البقعة مدخل لورود ذلك النداء العظيم انتهى وقيل لنجاستها فإنهما كانا من جلد حمار ميت غير مدبوغ وقيل لينال بركة الوادي المقدس وتمس قدماه تربته والوادي سفح الجبل ويقال للمجرى العظيم من مجاري الماء واد والمقدس المطهر طوى علم للوادي فيكون بدلا أو عطف بيان وقرئ منونا لوحظ فيه معنى المكان وغير منون لوحظ فيه معنى البقعة وقيل من الطي نحو ثنى ومثنى بمعنى مرتين أي قدس مرة بعد مرة أو نودي نداءين وأنا اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرئ أنا اخترناك وإنا واسمها واخترناك جملة في موضع الخبر فاستمع لما يوحى اللام متعلقة باستمع أو باخترتك وما موصولة أي للذي يوحى إليك أو مصدرية أي للوحي وقوله إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني بدل مما يوحى عظم أمر التوحيد وفخم شأنه بالإبهام في قوله لما يوحى والتوضيح بقوله إنني أنا الله أو بالإبدال الدال على أن الوحي مقصور على تقدير التوحيد الذي هو نهاية العلم السابق لتخصيص العبادة بالله الذي هو كمال العلم وبالتأكيد وتوسيط الضمير وتكرير معناه بالتهليل والإتيان بقاء السببية وأقم الصلوة عطف الأمر بإقامة الصلوة على الأمر بالعبادة وتخصيصها بالذكر من بين سائر العبادات تنبيه على فضلها وشرفها وإنافتها على الجميع كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة ولذلك علل أفرادها بالذكر بقوله لذكري فإنها توجب شغل القلب واللسان بذكر الله تعالى فمعنى لذكري لتذكرني وقيل لأني ذكرتها في الكتب وأمرت بها أو لأن أذكرك بالمدح والثناء واجعل لك لسان صدق أو لذكري خاصة غير مشوب بذكر غيري أو رياء أو عوض أو غرض آخر وهو الإخلاص أو لتكون لي ذاكرا غير ناس أو لأوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة أو لذكر صلوتي لما روي أنه عليه السلام من نام عن صلوة أو نسيها فليقضها إذا ذكرها فإن الله تعالى يقول أقم الصلوة لذكري على حذف المضاف أو على أن ذكر الصلوة ذكر الله تعالى أو لأن الذكر والنسيان من الله تعالى في الحقيقة انتهى ابن الكمال

فلما أتيها أي النار وجد نارا بيضاء تتقد في شجرة خضراء من أسفلها إلى أعلاها وكانت شجرة العناب أو العوسج ولم يجد عندها أحدا روي أنه كلما طلبها بعدت عنه فإذا تركها قربت منه فثم نودي موسى أن يا موسى إني بكسر الهمزة إنما نودي فقيل يا موسى إني أو لأن النداء ضرب من القول فعومل معاملته أنا ربك أنا مبتداء أو تأكيد أو فصل وكرر الضمير لتحقيق المعرفة وإماطة الشبهة روي أنه لما نودي موسى قال من المتكلم فقال الله تعالى أنا ربك فعرف أنه كلام الله بأنه سمعه من جميع جهاته الست وسمع بجميع أعضائه فاخلع نعليك انزعهما لتصيب قدميك بركة الوادي المقدس أو لأنهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ أو لأن الحفوة تواضع لله تعالى والقرآن يدل على أن ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها فخلعهما وألقاهما من وراء الوادي إنك بالواد المقدس المطهر أو المبارك طوى حيث كان منونا شاميا وكوفيا لأنه اسم علم للوادي وهو بدل منه وغيرهم بغير تنوين بتأويل البقعة وأنا اخترتك اصطفيتك للنبوة فاستمع لما يوحى إليك للذي يوحى أو للوحي واللام يتعلق باستمع أو باخترتك إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني ووحدني وأطعني وأقم الصلوة لذكري لتذكرني فيها لاشتمال الصلوة على الأذكار أو لأني ذكرتها في الكتب وأمرت بها أو لأن أذكرك بالمدح والثناء أو لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري أو لتكون لي ذاكرا غير ناس أو لأوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة كقوله تعالى إن الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وقد حمل على ذكر الصلوة بعد نسيانها وذا يصح بتقدير المضاف أي لذكر صلوتي وهذا دليل على أنه لا فريضة بعد التوحيد أعظم منها انتهى

فلما أتاها أي النار التي آنسها قال ابن عباس رضي الله عنهما رأى شجرة خضراء طافت بها من أسفلها إلى أعلاها نار بيضاء تتقد كأضوء ما يكون فوقف متعجبا من شدة ضوئها وشدة خضرة الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة تغير ضوءها قالوا النار أربعة أصناف صنف يأكل ولا يشرب وهي نار الدنيا وصنف يشرب ولا يأكل وهي نار الشجر الأخضر وصنف يأكل ويشرب وهي نار جهنم وصنف لا يأكل ولا يشرب وهي نار موسى عليه السلام وقالوا أيضا هي أربعة أنواع نوع له نور وإحراق وهي نار الدنيا ونوع لا نور له ولا إحراق وهي نار الأشجار ونوع له نور بلا إحراق وهي نار موسى عليه السلام ونوع له إحراق بلا نور وهي نار الجحيم روي أن الشجرة كانت عوسجة وقيل كانت سمرة نودي يا موسى أي نودي فقيل يا موسى إني أنا ربك أو عومل النداء معاملة القول لكونه ضربا منه وقرئ بالفتح أي بأني وتكرير الضمير لتأكيد الدلالة وتحقيق المعرفة وإماطة الشبهة روي أنه لما نودي يا موسى قال عليه السلام من المتكلم فقال الله عز وجل أنا ربك فوسوس إليه إبليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال أنا عرفت أنه كلام الله تعالى بأني أسمعه من جميع الجهات بجميع الأعضاء قلت وذلك لأنه سماع ما ليس من شأنه ذلك من الأعضاء ليس إلا من آثار قدرة الخلاق العليم تعالى وتقدس وقيل تلقى عليه السلام كلام رب العزة تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل إلى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة فاخلع نعليك أمر عليه السلام بذلك لأن الحفوة أدخل في التواضع وحسن الأدب ولذلك كان السلف الصالحون يطوفون بالكعبة حافين وقيل ليباشر الوادي بقدميه تبركا به وقيل لما أن نعليه كانا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الأهل والمال والفاء لترتيب الأمر على ما قبلها فإن ربوبيته تعالى له عليه السلام من موجبات الأمر ودواعيه وقوله تعالى إنك بالوادي المقدس تعليل لوجوب الخلع المأمور به وبيان لسبب ورود الأمر بذلك من شرف البقعة وقدسها روي أنه عليه السلام خلعهما وألقاهما وراء الوادي طوى بضم الطاء غير منون وقرئ منونا وقرئ بالكسر منونا وغير منون فمن نونه أوله بالمكان دون البقعة وقيل هو كثني من الطي مصدر لنودي أو المقدس أي نودي نداءين أو قدس مرة بعد أخرى وأنا اخترتك اصطفيتك للنبوة والرسالة وقرئ وإنا اخترناك بالفتح والكسر والفاء في قوله تعالى فاستمع لترتيب الأمر أو المأمور به على ما قبلها فإن اختياره عليه السلام لما ذكر من موجبات الاستماع والأمر به واللام في قوله تعالى لما يوحى متعلقة باستمع وما موصولة أو مصدرية أي فاستمع للذي يوحى إليك أو للوحي لا باخترتك كما قيل لكن لا لما قيل من أنه من باب التنازع وإعمال الأول فلابد من إعادة الضمير مع الثاني بل لأن قوله تعالى إنني أنا الله لا إله إلا أنا بدل من ما يوحى ولا ريب في أن اختياره عليه السلام ليس لهذا الوحي فقط والفاء في قوله تعالى فاعبدني لترتيب المأمور به على ما قبلها فإن اختصاص الألوهية به سبحانه وتعالى من موجبات تخصيص العبادة به عز وجل وأقم الصلوة خصت الصلوة بالذكر وأفردت بالأمر مع اندراجها في الأمر بالعبادة لفضلها وإنافتها على سائر العبادات بما نيطت به من ذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وذلك قوله تعالى لذكري أي لتذكرني فإن ذكري كما ينبغي لا يتحقق إلا في ضمن العبادة والصلوة أو لتذكرني فيها لاشتمالها على الأذكار أو لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري أو لإخلاص ذكري وابتغاء وجهي لا تراءي بها ولا تقصد بها غرضا آخر أو لتكون ذاكرا لي غير ناس وقيل لذكري إياها وأمري بها في الكتب أو لأن أذكرك بالمدح والثناء وقيل لأوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة أو لذكر صلوتي لما روي أنه عليه السلام قال من نام عن صلوة أو نسيها فليقضها إذا ذكرها إن الله تعالى يقول وأقم الصلوة لذكري وقرئ لذكرى بألف التأنيث وللذكرى معرفا وللذكر بالتعريف والتذكير انتهى أبو السعود

فلما أتيها أي أتى النار نودي يا موسى إني أنا ربك قرئ بفتح أن وبكسرها على الاستيناف قيل إنه رأى شجرة خضراء من أسفلها إلى أعلاها نارا بيضاء تتقد كضوء ما يكون فلا ضوء النار يغير خضرة الشجر ولا خضرة الشجر تغير ضوء النار قيل إنها كانت شجرة العناب كلما طلبها بعدت عنه فإذا تركها قربت منه وتعجب منها وبهت وأكثر المفسرين على أنها نور الرب تعالى وقيل هي النار بعينها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم حجابه النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ثم سمع تسبيح الملائكة وألقيت عليه السكينة ثم سمع النداء من الشجرة يا موسى فقال من المتكلم فقال الله تعالى إني أنا ربك ووسوس الشيطان إليه لعلك تسمع كلام شيطان فقال أنا عرفت أنه كلام الله تعالى بأني أسمعه من جميع الجهات الست وأسمعه بجميع أعضائي وكرر الضمير في إني أنا ربك لتحقيق المعرفة ونفي الشبهة فأجاب موسى عليه السلام سريعا إني أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين أنت فقال أنا فوقك ومعك وأمامك وخلفك وأقرب إليك من نفسك فاخلع نعليك أي ألقهما فألقاهما من وراء الوادي لأنهما كانا من جلد حمار ميت غير مدبوغ وقيل أمر بخلعهما لتنال له بركة الأرض لتقدسها وتنالها بركته إنك بالوادي المقدس أي الأرض الطاهرة الطيبة طوى بالتنوين وغيره اسم الوادي عطف بيان له منصرف بتأويل المكان وغير منصرف بتأويل البقعة والمعرفة وأنا اخترتك أي اصطفيتك يا موسى للرسالة مفردا في كلمتين وجمعا فيهما مع كسر إن تعظيما لله تعالى فاستمع لما يوحى إليك أي أعمل بما تؤمر وتنهى ثم بين له توحيده فقال إنني أنا الله لا إله إلا أنا أي لا معبود في الخلق إلا أنا فاعبدني أي أطعني واستقم على توحيدي وأقم الصلوة لذكري أي لتذكرني فإن ذكري أن أعبد ويصلى لي أو لتذكرني فيها لاشتمال الصلوة على الأذكار وقيل أقم الصلوة إذا ذكرتها بعد النسيان قال صلى الله عليه وسلم من نسي صلوة فليصلها إذا ذكرها

الخلاق

فيه رد

فيه رد

إن الساعة آتية تعليل لوجوب العبادة وإقامة الصلوة اي كائنة لامحالة وانما عبر عن ذلك بالإتيان تحقيقاً لحصولها بإبرازها في معرض أمر محقق متوجه نحو المخاطبين **أكاد أخفيها** اي لا اظهرها بان اقول انها آتية ولولا ان في الاخبار بذلك من اللطف وقطع الاعذار لما فعلت او اكاد اظهرها بإيقاعها من اخفاه اذا اظهره بسلب خفائه ويؤيده القراءة بفتح الهمزة من خفاه بمعنى اظهره وقيل خفاه من الاضداد يجيء بمعنى الإظهار والستر وقوله تعالى **لتجزى كل نفس بما تسعى** متعلق بآتية وما بينهما اعتراض او بأخفيها على المعنى الاخير وما مصدرية اي لتجزى بسعيها في تحصيل ما ذكر من الامور المأمور بها وتخصيصه في معرض الغاية لإتيانها مع انه لجزاء كل نفس بما صدر عنها سواء كان سعياً فيما ذكر او تقاعداً عنه بالمرة او سعياً في تحصيل ما يضاده للإيذان بان المراد بالذات من اتيانها هو الاثابة بالعبادة واما العقاب بتركها فمن مقتضيات سوء اختيار العصاة وبان المأمور به في قوة الوجوب والساعة في شدة الهول والفظاعة بحيث يوجبان على كل نفس ان تسعى في الامتثال بالامر وتجد في تحصيل ما ينجيها من الطاعات وتحترز عن اقتراف ما يرديها من المعاصي وعليه مدار الامر في قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملاً فان الابتلاء مع شموله لكافة المكلفين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضاً لا الى الحسن والاحسن فقط قد علق بالاخرين لما ذكر من ان المقصود الاصلي من ابداع تلك البدائع على ذلك النمط الرائع انما هو ظهور كمال احسان المحسنين وان ذلك لكونه على اتم الوجوه الرائعة واكمل الانحاء اللائقة يوجب العمل بموجبه بحيث لا يحيد احد عن سننه المستبين بل يهدي كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة وانما التفاوت بينهم في مراتبهما بحسب القوة والضعف واما الاعراض عن ذلك والوقوع في مهاوي الضلال فبمعزل من الوقوع فضلاً عن ان ينتظم في سلك الغاية لذلك الصنع البديع وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ومسوغ وهذا ويجوز ان يراد بالسعي مطلق العمل **فلا يصدنك عنها** اي عن ذكر الساعة ومراقبتها وقيل عن تصديقها والاول هو الأليق بشأن موسى عليه السلام وان كان النهي بطريق التهييج والالهاب وتقديم الجار والمجرور على قوله تعالى **من لا يؤمن بها** لما مر مراراً من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا أخر تبقى النفس مستشرفة له فيتمكن عند وروده لها فضل تمكن ولان في المؤخر نوع طول ربما يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم وهذا وان كان بحسب الظاهر نهياً للكافر عن صد موسى عليه السلام عن الساعة لكنه في الحقيقة نهي له عليه السلام عن الانصداد عنها على ابلغ وجه وآكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال للسببية عن اصلها كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم فان صد الكافر حيث كان سبباً لانصداده عليه السلام كان النهي عنه نهياً باصله وموجبه وابطالاً له بالكلية ويجوز ان يكون من باب النهي عن المسبب وارادة النهي عن السبب على ان يراد نهيه عليه السلام عن اظهار لين الجانب للكفرة فان ذلك سبب لصدهم اياه عليه السلام كما في قوله لا ارينك ههنا فان المراد به نهي المخاطب عن الحضور لديه الموجب لرؤيته **واتبع هواه** اي ما تهواه نفسه من اللذات الحسية الفانية **فتردى** اي فتهلك فان الاغفال عنها وعن تحصيل ما ينجي عن اهوالها مستتبع للهلاك لامحالة وهو في محل النصب على جواب النهي او في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي فانت تردى **وما تلك بيمينك يا موسى** شروع في حكاية ما كلف عليه السلام من الامور المتعلقة بالخلق اثر حكاية ما امر به من الشؤون الخاصة بنفسه فما استفهامية في حيز الرفع بالابتداء وتلك خبره او بالعكس وهو ادخل بحسب المعنى واوفق بالجواب وبيمينك متعلق بمضمر وقع حالاً اي وما تلك قارة او مأخوذة بيمينك والعامل معنى الاشارة كما في قوله عز وعلا وهذا بعلي شيخاً وقيل تلك موصولة اي ما التي هي بيمينك وايا ما كان فالاستفهام ايقاظ وتنبيه له عليه السلام على ما سيبدو له من التعاجيب وتكرير النداء لزيادة التأنيس والتنبيه **قال هي عصاي** نسبها الى نفسه تحقيقاً لوجه كونها بيمينه وتمهيداً لما يعقبه من الافاعيل المنسوبة اليه عليه السلام وقرئ عصي على لغة هذيل **أتوكأ عليها** اي اعتمد عليها عند الاعياء او الوقوف على رأس القطيع **وأهش بها** اي اخبط بها الورق واسقطه **على غنمي** وقرئ اهش بكسر الهاء وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين غير المعجمة وهو زجر الغنم وتعديته بعلى لتضمين معنى الانحاء والاقبال اي ازجرها منحياً ومقبلاً عليها **ولي فيها مآرب أخرى** اي حاجات أخر من هذا الباب مثل ما روي انه عليه السلام كان اذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها ادواته من القوس والكنانة والحلاب ونحوها واذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا تعرضت لغنمه السباع قاتل بها قيل ومن جملة المآرب انها كانت ذات شعبتين وكأنه عليه السلام فهم ان المقصود من السؤال بيان

انا الساعة آتية لامحالة **أكاد** اريد عن الاخفش وقيل صلة **أخفيها** قيل هو من الاضداد اي اظهرها او استرها عن العباد فلا اقول هي آتية لارادتي اخفاءها ولولا ما في الاخبار باتيانها مع تعميته وقتها من الحكمة وهو انهم اذا لم يعلموا متى تقوم كانوا على وجل منها في كل وقت لما اخبرت به **لتجزى** متعلق بآتية **كل نفس بما تسعى** بسعيها من خير وشر **فلا يصدنك عنها** فلا يصرفنك عن العمل للساعة او عن اقامة الصلوة او عن الايمان بالقيمة فالخطاب لموسى عليه السلام والمراد به امته **من لا يؤمن بها** لا يصدق بها **واتبع هواه** في مخالفة امره تعالى **فتردى** فتهلك **وما تلك بيمينك يا موسى** ما مبتدأ وتلك خبره وهي بمعنى هذه وبيمينك حال عمل فيها معنى الاشارة اي قارة او مأخوذة بيمينك او تلك موصول صلته بيمينك والسؤال للتنبيه ليقع المعجزة بها بعد التثبت فيها او للتوطين لئلا يهوله انقلابها حية او للايناس ورفع الهيبة في المكالمة **قال هي عصاي أتوكأ عليها** اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة **وأهش بها على غنمي** اخبط ورق الشجر على غنمي لتأكله انتهى

إن الساعة آتية يعني ان القيمة كائنة لامحالة **أكاد أخفيها** قرب تعالى من اخفائها تجاوزاً عما اقتضته الحكمة من الاخبار بوقوعها للانذار وقطع الاعذار مع كتمانه وقتها ليكونوا على وجل في كل وقت فانه اظهار فيه نوع من الاخفاء ويجوز ان يكون من اخفاه اذا ازال خفاءه اي اكاد اظهرها وقربها من اظهارها مجاز عن اظهار بعض اشراطها كبعثة خاتم الانبياء عليه السلام وعليهم وانشقاق القمر ويؤيده قراءة ابي الدرداء رضي الله عنه اخفيها بالفتح من خفاه اذا اظهره وقيل انه من الاضداد ولحق ما روي عن ابي علي انه من باب السلب **لتجزى** متعلق بآتية وما بينهما اعتراض او باخفيها على المعنى الاخير **كل نفس** يعني من النفوس الساعية بقرينة قوله **بما تسعى** السعي كناية عن الكسب **فلا يصدنك** الصد الصرف عن الخير خاصة **عنها** عن التصديق بالساعة او عن الصلوة **من لا يؤمن بها** والمراد من نهي الكافر من صد موسى عليه السلام نهيه عن الانصداد على بعيده وهذا كقولك لا ارينك ههنا في النهي عن السبب للنهي عن المسبب مبالغة وفيه تنبيه على انه عليه السلام لو خلي وفطرته السليمة لكان مصدقاً بها غير معرض عنها او بعثه عليه السلام على الصلابة في الدين وشدة الشكيمة فيه وتهييج عليها فان صد الكافر اياه مسبب عن ضعف عقيدته ولين شكيمته فنهي عن المسبب للنهي عن السبب اي ينبغي لك ان يكون صلباً في الدين راسخاً في الاعتقاد وبه يقول **واتبع هواه** على ان سلوك طريق العقل واتباع الحجة يوجب التصديق بالبعث والساعة فانكارها والتكذيب بها انما يكون لغلبة الهوى واتباعه والهوى ميل النفس الى الشيء بالرخصة تلحق فيه هواء الحق ممدود وهوى النفس مقصور **فتردى** جواب النهي وان مقدرة بعد فاء الجواب وتردى علامة النصب فيه فتحة مقدرة في الالف معناه فتهلك **وما تلك** استفهام حسن معنى الاستيقاظ لما يريه فيها من الآيات العجيبة الدالة على القدرة الباهرة قيل الحكمة في هذا السؤال بسطه فقد كانت الهيبة قبضته ولو ترك على ما كان عليه لعله كان لا يبقى بل يتلاشى ولما بسط الحق بسماع كلامه اخذته اريحية سماع الخطاب فاجاب عما سئل وعما لم يسئل وسلك مسلك الاطناب **بيمينك** حال من تلك والعامل فيه معنى الاشارة كما في قوله تعالى هذا بعلي شيخاً وجاز ان يكون تلك اسماً موصولاً صلته بيمينك قيل انما لم يقل بيدك لانه كان في يساره خاتم فلو اجمل يعني في الجواب للاشتباه **يا موسى** تكرير لزيادة التنبيه والاستيناس **قال هي عصاي** قرئ عصي على لغة هذيل **أتوكأ عليها** اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على رأس القطيع والتوكي على الشيء التحامل عليه في المشي والعكوف ومنه الاتكاء والتوكؤ والاتكاء بمعنى واحد **وأهش بها** اخبط الورق وقرئ اهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا كان ينكسر لهشاشته **على غنمي** لتأكله وعن عكرمة اهس بالسين من الهس وهو زجر الغنم اي انحي عليها زاجراً لها قدم في الجواب مصلحة نفسه ثم ثنى بمصلحة ماشيته **ولي فيها مآرب أخرى** انتهى

إن الساعة آتية اي كائنة البتة **أكاد أخفيها** اي اقرب ان استر الساعة عن العباد ولا اقول هي آتية لفرط ارادتي اخفاءها ليكونوا على وجل منها في كل وقت وقيل معناه اكاد اخفيها من نفسي فكيف اطلعكم عليها وقيل اكاد صلة وقيل انه بمعنى اريد قوله **لتجزى كل نفس** علة للاخفاء اي اخفيها ليجزى كل نفس **بما تسعى** اي بعملها من خير وشر **فلا يصدنك** يا موسى **عنها** اي عن الايمان بها **من لا يؤمن بها** من الكفار **واتبع هواه** في عبادة غير الله تعالى ومخالفة امره **فتردى** اي فتهلك ان صددت عنها قيل الردى الموت والهلاك والمراد بهذا النهي الامر بالاستقامة في الدين وهو خطاب له والمراد غيره ثم سأل الله تعالى عما في يده من العصا لازالة الوحشة عن موسى عليه السلام لانه كان خائفاً فآنس بسؤاله ولتنبيهه على منافعها وللتقرير على انه عصا حتى لا يخاف اذا صارت ثعباناً ويعلم انها معجزة عظيمة فقال **وما تلك بيمينك يا موسى** اي اي شيء هذه او التي بيدك وكان عالماً بما في يده ولكن الحكمة في سؤاله ما ذكرنا **قال** موسى عليه السلام **هي عصاي** فقال وما تصنع بها امر بها لانه يتضمن اقراره بلسانه الى معرفته بقلبه قال **أتوكأ** اي اعتمد **عليها** اذا اعييت او عند الوثبة **وأهش** اي اخبط **بها** ورق الشجر **على غنمي** لتأكله انتهى العيون

ولي فيها مآرب أخرى المآرب الحاجات عاملها وان كانت جمعا
معاملة الواحدة المؤنثة فاتبعها صفتها في قوله تعالى أخرى
ولم يقل اُخَر رعيا للفواصل وهو جائز في غيرها فكان فيها اجوز
واحسن • قيل فهم موسى عليه السلام من سؤال رب العزة
انه سيحدث في العصا أمرا عظيما فذكر ما حقيقتها وفصّل
بعض منافعها وخواصها فلما استطال الكلام استشعر سوء
الادب فاجمل وقيل انما اجمل ليسأله عن تلك المآرب
فيكون زيادة في اكرامه والغرض من ذكر ماهيتها ومنافعها
انها ليست الا عصى تنفع منافعها كسائر العيدان ليكون
جوابه مطابقا لما فهمه من فحوى كلام ربه حتى اذا وجدها
على خلاف حقيقتها وخواصها لما ذكر من الامور الخارقة للعادة
ظهر انها من معجزات باهرة وآيات ظاهرة خصه الله تعالى بها واكرمه
قال ألقها يا موسى أمره بإلقائها لانها اضافها الى نفسه بقوله عصاي
فاراد ان يقطعها عنه ويريه الخارق للعادة بعد اخراجه من
سلطانه وتدبيره ليعلم انه محض صنع الله تعالى ولا دخل فيه
لفعل العبد فألقاها اطرحها على الارض وقد مر في سورة الاعراف
بيان اصل الالقاء فاذا هي اي صارت فلما كان حية تسعى الحية
اسم الجنس تقع على الصغير والكبير والذكر والانثى والسعي •
المشي بسرعة وخفة حركة قيل لما القاها انقلبت حية صفراء
بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها جانا
تارة نظرا الى المبدأ وثعبانا اخرى باعتبار المنتهى وحية
اخرى بالاسم الذي يعم الحالين وكان هذا القائل غافل
عن عبارة كأن في قوله تعالى كأنها جان لانها صريحة في التشبيه
وعدم كونها جانا حقيقة قال خذها [illegible] ولا تخف
الخوف انزعاج النفس بتوقع الضرر لما رأى موسى عليه السلام
ذلك الامر العجيب الهائل ملكه من الفزع والنفار ما يملكه
البشر عند الاهوال والمخاوف فهرب منها كما اخبر عنه بقوله
ولّى مدبرا ولم يعقّب فامره الله تعالى بالاقدام على اخذها
ونهاه عن ان يخاف منها وقيل لما قال له ربه لا تخف
بلغ من الامن وطمأنينة النفس ان ادخل يده في فمها
واخذ بلحييها كأنه من صيغة التكليف صنعة التكوين
وقد حققنا في تفسير سورة البقرة ان النهي كالامر يتنوع الى
التكليفي والتكويني وحكمة انقلابها وقت مناجاته تأنيسه
بهذا المعجز الهائل حتى يلقيها لفرعون فلا يلحقه ذعر منها في ذلك
الوقت سنعيدها الاعادة ردّ الشيء ثانية الى ما كان اول مرة سيرتها الاولى هيئتها وحالتها المتقدمة والسين فعلة من السير
كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة وقيل سير الاولين فيجوز
ان ينتصب على الظرف اي في طريقتها الاولى حال ما كانت عصا او على نزع الخافض او على المفعولية ان جعل اعاد منقولا
من عاده بمعنى عاد اليه فيتعدى الى مفعولين او بتضمين فعلها اي سنعيدها سائرة سيرتها الاولى عصا ينتفع بها كما كانت
اولا او على انه بدل اشتمال من الضمير المنصوب في سنعيدها اي سنعيد سيرتها الاولى انتهى ابن الكمال

فيه رد لمن تج

طريقتها

ولي فيها مآرب جمع مأربة بالحركات الثلث وهي الحاجة
أخرى والقياس اُخَر وانما قال اخرى ردا الى الجماعة
او لنسق الآية • وكذا الكبرى • ولما ذكر بعضها شكرا
اجمل الباقي حياء من التطويل او ليسأل عنها الملك
العلام فيزيد في الاكرام • والمآرب الاخر انها كانت
تماشيه وتحدثه وتحارب العدو والسباع و
تصير رشاء فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها
دلوا وتكونان شمعتين بالليل وتحمل زاده ويركزها
فتثمر ثمرة يشتهيها ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها
نضب • وكانت تقيه الهوام • والزيادة على الجواب
لتعداد النعم شكرا او لانه اجابه سؤال آخر لانه قيل
عصاه قيل له ما تصنع بها فاخذ يعدد منافعها قال
ألقها يا موسى اطرح عصاك لتفرغ مما تتكئ عليه
فلا تسكن الا بنا وترى كنه ما فيها من المآرب
فتعتمد علينا في المطالب فألقيها فطرحها فاذا هي حية
تسعى تمشي سريعا قيل انقلبت تبتلع الصخر والشجر
فلما رآها تبتلع كل شيء خاف • وانما وصفت بالحية
هنا وبالثعبان • وهو العظيم من الحيات • وبالجان
وهو الدقيق في غيرها لان الحية اسم جنس تقع على
الذكر والانثى والصغير والكبير • وجاز ان ينقلب
حية صفراء دقيقة ثم تتورم ويتزايد جرمها حتى تصير
ثعبانا فاريد بالجان اول حالها وبالثعبان مآلها •
ولانها كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان وقيل كان
بين لحييها اربعون ذراعا ولما قال له ربه خذها
ولا تخف بلغ من ذهاب خوفه ان ادخل يده في
فمها واخذ بلحييها سنعيدها سنردها سيرتها
الاولى تأنيث الاول • والسيرة الحالة التي تكون
على الانسان غريزية كانت او مكتسبة • و
انتصب على الظرف اي سنعيدها في طريقتها الاولى
اي في حال ما كانت عصا والغرض نردها عصا كما كانت
وارى ذلك عند المخاطبة لئلا يفزع منها اذا انقلبت حية عند

فيه رد لمن توهم ان [illegible] تقديرا

ولي فيها مآرب أخرى اي حاجات اخر من هذا الباب • مثل ما روي انه عليه السلام كان اذا سار ألقاها على عاتقه
فعلق بها ادواته من القوس والكنانة والحلاب ونحوها واذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها
والقى عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا تعرضت لغنمه السباع قاتل بها قيل ومن جملة المآرب
انها كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا اراد كسره لواه بالشعبتين وكأنه
عليه السلام فهم ان المقصود من السؤال بيان حقيقتها وتفصيل منافعها بطريق الاستقصاء حتى اذا ظهرت
على خلاف تلك الحقيقة وبدت منها خواص بديعة علم انها آيات باهرة ومعجزات قاهرة احدثها الله تعالى وليست
من الخواص المترتبة عليها فذكر حقيقتها ومنافعها على التفصيل والاجمال على معنى انها من جنس العصا مستتبعة لمنافع
بنات جنسها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه من سؤال العليم الخبير قال استئناف مبني على سؤال ينساق اليه
الذهن كأنه قيل فماذا قال عز وجل فقيل قال ألقها يا موسى لترى من شأنها ما لم يخطر ببالك من الامور • وتكرير النداء
لتأكيد التنبيه فألقاها على الارض فاذا هي حية تسعى روي انه عليه السلام حين ألقاها انقلبت حية صفراء في غلظ
العصا ثم انتفخت وعظمت فلذلك شبهت بالجان تارة وسميت ثعبانا اخرى وعبر عنها ههنا بالاسم العام للحالين وقيل
قد انقلبت من اول الامر ثعبانا وهو الاليق بالمقام كما يفصح عنه قوله عز وجل فاذا هي ثعبان مبين وانما شبهت بالجان
في الجلادة وسرعة الحركة لا في صغر الجثة وقوله تعالى تسعى اما صفة لحية او خبر ثان عند من يجوّز كونه جملة قال استئناف
كما سبق خذها ولا تخف عن ابن عباس رضي الله عنهما انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع كل شيء من الصخر والشجر فلما رآه كذلك
خاف ونفر وملكه ما يملك البشر عند مشاهدة الاهوال والمخاوف من الفزع والنفار وفي عطف النهي على الامر اشعار
بان عدم المنهي عنه مقصود لذاته لا لتحقيق المأمور به فقط وقوله تعالى سنعيدها سيرتها الاولى مع كونه استئنافا
مسوقا لتعليل الامتثال بالامر والنهي فان اعادتها الى ما كانت عليه من موجبات اخذها وعدم الخوف منها عدة كريمة
بإظهار معجزة اخرى على يده عليه السلام وايذان بكونها مسخرة له عليه السلام ليكون على طمأنينة من امره ولا يعتريه شائبة
تزلزل عند محاجة فرعون اي سنعيدها بعد الاخذ الى حالتها الاولى التي هي الهيئة العصوية قيل بلغ عليه السلام
عند ذلك من الثقة وعدم الخوف الى حيث كان يدخل يده في فمها ويأخذ بلحييها والسيرة فعلة من السير تجوّز بها للطريقة
والهيئة وانتصابها على نزع الجار اي الى سيرتها او على ان اعاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه او على الظرفية
اي سنعيدها في طريقتها او على تقدير فعلها وايقاعه حالا من المفعول اي سنعيدها عصا كما كانت من قبل تسير سيرتها
اي سائرة سيرتها الاولى فتنتفع بها كما كانت تنتفع من قبل انتهى ابو السعود رحمه الله

ولي فيها مآرب أخرى جمع مأربة وهي الحاجة وهي انه يحمل عليها زاده وسقاءه وتماشيه وتحدثه ويضرب بها الارض وكان شعبتان
وفي اسفلها سنان فيخرج ما يأكل يومه ويخرج الماء ويركزها فتورق وتحمل اي ثمرة احب وربما يدليها في البئر ويصير شعبتاها
كالدلو فيخرج الماء وتضيء بالليل كالشمع وتحارب عنه وتطرد الهوام ويستظل بها اذا قعد وكان عصى موسى عليه السلام
اثني عشر ذراعا بذراعه من عوسج آس من شجر الجنة استودعها عند شعيب عليه السلام ملك من الملائكة في صورة انسان
قال ألقها يا موسى اي عصاك من يدك فألقاها فاذا هي حية عظيمة صفراء من اعظم ما يكون من الحيات وهي
جنس تعم الذكر والانثى والصغير والكبير فربما يكون جانا وهو الخفيف من الحيات ويكون ثعبانا وهو عظيمها تسعى اي تسرع
تنسل على بطنها دافعة رأسها وراءها وعيناها تتقدان كالنار تبتلع كل حجر وشجر تمر به وتسمع لانيابها صريفا شديدا
فهرب موسى عليه السلام منها خائفا ثم قال تعالى لموسى عليه السلام خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى اي
نجعلها عصا كما كانت اول مرة والسيرة الطريقة التي يكون على الانسان غريزية كانت او مكتسبة فكشف عنها بأمر الله
ولف كم مدرعته ليظهر قدرته على يده وادخلها في فمها فصارت عصا وهي ظرف لقوله سنعيدها واراده هذه الآية
لئلا يخاف عند فرعون اذا انقلبت حية ثم اراه آية اخرى فقال واضمم يدك الآية انتهى العيون

واضمم يدك الى جناحك امر عليه السلام بذلك بعد ما اخذ الحية وانقلبت عصا كما كانت اي ادخلها تحت عضدك
فان جناحي الانسان جنباه كما ان جناحي العسكر ناحيتاه • مستعار من جناحي الطائر وقد سميا جناحين لانه يجنح
اي يميلهما عند الطيران وقوله تخرج جواب الامر وقوله تعالى بيضاء حال من الضمير فيه وقوله من غير سوء متعلق
بمحذوف هو حال من الضمير في بيضاء اي كائنة من غير عيب وقبح كني به عن البرص كما كني بالسوأة عن العورة لما
ان في الطباع تعافه وتنفر عنه • روي انه عليه السلام كان آدم فاخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع
الشمس تغشي البصر آية اخرى اي معجزة اخرى غير العصا وانتصابها على الحالية اما من الضمير في تخرج على انها بدل من
الحال الاولى او اما من الضمير في بيضاء وقيل من الضمير في الجار والمجرور • وقيل هي منصوبة بفعل مضمر نحو خذ او
دونك وقوله تعالى لنريك من آياتنا الكبرى متعلق بمضمر ينساق اليه النظم الكريم كانه قيل فعلنا ما فعلنا
من الامر والاظهار لنريك بذلك بعض آياتنا الكبرى على ان الكبرى صفة لآياتنا او نريك بذلك من آياتنا
ما هي كبرى على ان الكبرى مفعول ثان لنريك ومن آياتنا متعلق بمحذوف هو حال من ذلك المفعول وآياتنا
ما كان فالآية الكبرى عبارة عن العصا واليد جميعا واما متعلقة بما دل عليه آية اي دللنا بها لنريك الخ او بقوله
تعالى واضمم او بقوله تخرج او باقدر من نحو خذ ودونك كما قال بكل من ذلك قائل فيؤدي الى عراء آية الكبرى
عن وصف الكبر فتدبر اذهب الى فرعون تخلص الى ما هو المقصود من تمهيد المقدمات السالفة فصل عما
قبله من الاوامر ايذانا باصالته اي اذهب اليه بما رأيته من الآيات الكبرى وادعه الى عبادتي وحذره نقمتي
وقوله تعالى انه طغى تعليل للامر او لوجوب المأمور به اي جاوز الحد في التكبر والعتو والتجبر حتى تجاسر على العظيمة
التي هي دعوى الربوبية قال استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قال عليه السلام
حين امر بهذا الامر الخطير والخطب العسير فقيل قال مستعينا بربه عز وجل
لما امر بما امر به من الخطب الجليل تضرع الى ربه عز وجل واظهر عجزه بقوله رب اشرح لي صدري ويسر لي امري
وسأله تعالى ان يوسع صدره ويفسح قلبه ويجعله عليما بشؤون الحق واحوال الخلق حليما حمولا يستقبل ما عسى
يرد عليه من الشدائد والمكاره بجميل الصبر وحسن الثبات ويتلقاها بصدر فسيح وجأش رابط وان يسهل
عليه مع ذلك امره الذي هو اجل الامور واعظمها واصعب الخطوب واهولها بتوفيق الاسباب ورفع
الموانع وفي زيادة كلمة لي مع انتظام الكلام بدونها تأكيد لطلب الشرح والتيسير بابهام المشروح والميسر اولا
وتفسيرهما ثانيا وفي تقديمها وتكريرها اظهار مزيد اعتناء بشأن كل من المطلوبين وفضل اهتمام باستدعاء
حصولهما له واختصاصهما به

ثم اراه آية اخرى فقال واضمم يدك الى جناحك اي جنبك تحت العضد تخرج بيضاء من غير سوء
اي برص لها نور كانت ذات نور تغشي كشعاع الشمس آية اخرى اي حال كونها آية اخرى مع العصا وقيل
آية منصوبة بمضمر اي خذها آية اخرى لنريك من آياتنا الآية الكبرى اي العظمى وكانت هذه اكبر آياته او المعنى فعلنا ذلك
لنريك من آياتنا الكبرى ثم قال له اذهب الى فرعون انه طغى اي علا وتكبر وجاوز الحد في الكفر والعصيان فادعه الى عبادتي
فلما سمع موسى هذا الامر منه تعالى علم انه حمل امرا عظيما فدعا ربه ان يسهل ذلك عليه ليبلغه الى فرعون كما امر قال
رب اشرح لي صدري اي وسع قلبي لتحمل الحق والمشاق وردي اخلاق فرعون واتباعه وفي ذكر لي قبل صدري
تكرير للمعنى الواحد من طريق الاجمال والتفصيل لانه لما قيل اشرح علم ان ثمة مشروحا ابهم ثم قيل صدري فقد بين البهم
ورفع الابهام فكان آكد لطلب الشرح وكذا في قوله ويسر لي امري اي سهل لي لابلغ الرسالة اليه انتهى العيون رحمه الله

انتهى ابو السعود رحمه الله

واضمم يدك الى جناحك الى جنبك تحت العضد وجناحا الانسان جنباه • والاصل المستعار منه جناحا الطير
سميا جناحين لانه يجنحهما اي يميلهما عند الطيران •
والمعنى ادخلها تحت عضدك تخرج بيضاء لها شعاع
كشعاع الشمس يغشي البصر من غير سوء برص آية
اخرى لنوتيك بيضاء وآية حالان معا ومن غير سوء
صلة بيضاء كقولك ابيضت من غير سوء ويجاز
ان ينتصب بمقدر اي خذ هذه الآية ايضا بعد قلب
العصا حية لنريك من آياتنا الكبرى اي لنريك
بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى العظمى او
فعلنا ذلك لنريك من آياتنا الكبرى اذهب الى
فرعون انه طغى جاوز حد العبودية الى دعوى
الربوبية ولما امر بالذهاب الى فرعون الطاغي
وعرف انه كلف بامر عظيم يحتاج الى صدر فسيح
قال رب اشرح لي صدري وسعه ليحتمل الوحي
والمشاق وردي الاخلاق من فرعون وجنده
ويسر لي امري وسهل علي ما امرتني به من تبليغ الرسالة
الى فرعون انتهى

واضمم يدك الى جناحك يعني بعد ادخالها في الجيب على ما افصح عنه
في موضع اخر تعالى لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر
بجنبتيه وجناحا الانسان جنباه استعير من جناحي الطائر
وسميا جناحين لانه يجنحهما عند الطيران اي يميلهما والجنب
فيه جنوح الاضلاع قيل والمراد الى جنبك تحت العضد
دل على ذلك قوله تخرج ويرده قوله تعالى وادخل يدك في
جيبك تخرج لانه صريح في ان المراد الدخول في الجيب و
الخروج منه بيضاء مشرقة مشقة قيل كان موسى عليه السلام
ادم فاخرج يده بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس تغشي البصر
من غير سوء متعلق ببيضاء كانه قال ابيضت من غير سوء والسوء
الرداءة والقبح في كل شيء اي من غير آفة يستقبح لما كان
خروج الشيء عن خلقته وشأن جوهره مما يستقبح ويستقذر
اخبر انه لم يكن كذلك واما الكناية به عن البرص فيأباه المقام
لانه غير محتمل في مقام الاعجاز والكرامة فلا وجه للاحتراز عنه
آية اخرى معجزة ثانية وقوله بيضاء وآية حالان معا من ضمير
تخرج • ويجوز ان يكون الثاني حالا من ضمير الاول فيكونان
من الاحوال المتداخلة او مفعول نصب بمضمر نحو خذ
لدلالة الكلام عليه لنريك من آياتنا الكبرى متعلق بالمحذوف
المذكور او بما دل عليه الآية او القصة اي دللنا بها او فعلنا ذلك
لنريك الكبرى صفة لآياتنا او مفعول ثان لنريك ومن آياتنا
حال اي لنريك من آياتنا اذهب الى فرعون امر بالذهاب بالآيتين الى فرعون ودعوته انه طغى جاوز حد العبودية الى دعوى
الربوبية تعليل لوجوب الذهاب اليه وتحذير له من بطشه وتنبيه على صعوبة ما ابتلي به ليتلقاه بحمل الصبر وحسن الثبات ولهذا
التجاء اليه في طلب الشرح والتيسير والتأييد وتفسيح الصدر والتشجيع فقال قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري على الابهام
بايرادلي بعد الفعلين والتوضيح بذكر الصدر والامر للتأكيد والمبالغة في طلب الشرح والتيسير انتهى بما كان

حيث قال اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك منه

واما دون فلا يسوغ لانه اسم فعل من باب الاغراء ولا يجوز حذفه
لانه حذف منه في الاصل العامل فيه وناب منابه فلا يجوز
ان يحذف النائب والمنوب عنه منه

وفيه رد

الحديث بحث في منتهى الاتقان كتبه

واحلل عقدة من لساني كان في لسانه رتة كما روي ان فرعون حمله يوما واخذ بلحيته وكانت مرصعة بالجواهر فنتفها جاذبا ببعض ما فيها من اليواقيت فغضب وامر بقتله فقالت آسية رضي الله عنها انه صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضر بين يديه فاخذ الجمرة ووضعها في فيه فاحترق لسانه فصار لكنة منها ولعل لذلك امتاز موسى عم باللحية من بين اهل الجنة على ما ورد في حديث جابر رضي الله عنه انه عليه السلام قال اهل الجنة جرد مرد الا موسى بن عمران فان له لحية الى سرته ولما كانت تلك العقدة عارضة لآفة حادثة كان المناسب لحالها التنكير حيث لم تكن من جنس ما هو المعهود وكان قطع اضافتها عن اللسان المنبئة عن الاتصال الخلقي ايضا كان لذلك وقيل انما نكرت لانه طلب حل بعضها ارادة ان يفهم عنه فهما جيدا لان امر التبليغ لا يتسر الا بذلك وهذا علل بقوله يفقهوا قولي فان التبليغ انما يحسن من البليغ ومن لسانه صفة للعقدة كانه قيل عقدة من عقد لساني او صفة لاحلل واختلف في زوال العقدة بكمالها فقيل بقي بعضها لقوله واخي هارون هو افصح مني لسانا وقيل زالت لقوله تعالى قد اوتيت سؤلك يا موسى وفي كل من الاحتجاجين نظر اما الاول فلان شهادة قوله هو افصح مني لسانا عليه لا له لان فيه دلالة على ان موسى عم كان فصيحا غايته ان فصاحة اخيه كانت اكثر وبقية اللكنة تنافي الفصاحة اللغوية المرادة ههنا بدلالة قوله لسانا واما في الثاني فلا انه لم يطلب حل عقدة لسانه مطلقا بل طلب حل عقدة تمنع الافهام فلا دلالة في حصول سؤله على زوال العقدة بكمالها نعم قوله ولا يكاد يبين يدل على الاول فتامل واجعل لي وزيرا ظهيرا اعتمد عليه من الوزر وهو الثقل لانه يتحمل من الملك اوزاره ومؤنه او من الوزر الملجأ لان الملك يعتصم برايه ويلجأ اليه في اموره او معينا من الموازرة وهي المعاونة فوزيرا مفعول اول لاجعل والثاني من اهلي او لي ووزيرا مفعولاه وقوله هارون بدل من وزيرا لا عطف بيان لانه لا يخالف متبوعه في التعريف والتنكير وقوله اخي عطف بيان لا بدل لان ابدال الشيء من اقل منه فاسد لا يتصور نص عليه الشيخ في دلائل الاعجاز او وزيرا وهارون مفعولاه وقدم ثانيهما على اولهما عناية بامر الوزارة اشدد به ازري قو به ظهري ان تدجع يستمسك به المجموع ومثله الربط والعقد والازر يقال ازرني فلان على امري اي كان لي ظهرا ومنه المبارز لانه يشد على الظهر وكذا الازار انتهى بما كان نص عليه في مغني اللبيب وقال اما قول الزمخشري في مقام ابراهيم عطف على آيات بينات فسهو منه

واحلل عقدة من لساني وكان في لسانه رتة للجمرة التي وضعها على لسانه في صباه وذلك ان موسى اخذ لحية فرعون ولطمه لطمة شديدة في صغره فاراد قتله فقالت آسية ايها الملك انه صغير لا يعقل فجعلت في طست نارا وفي طست يواقيت ووضعتهما لدى موسى فقصد اليواقيت فامال الملك يده الى النار فرفع جمرة فوضعها على لسانه فاحترق لسانه فصار لكنة منها وروي ان يده احترقت واجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرأ وقد عجزت عنها ومن لساني صفة لعقدة كانه قيل عقدة من عقد لساني وهذا يشعر بانه لم تزل العقدة بكمالها واكثرهم على ذهابها جميعها يفقهوا قولي عند تبليغ الرسالة واجعل لي وزيرا ظهيرا اعتمد عليه من الوزر الثقل لانه يتحمل من الملك اوزاره ومؤنه او من الوزر الملجأ لان الملك يعتصم برايه ويلتجئ اليه في اموره او معينا من الموازرة وهي المعاونة فوزيرا مفعول اول لاجعل والثاني من اهلي او لي ووزيرا مفعولاه وقوله هارون عطف بيان لوزيرا وقوله اخي بدل او عطف بيان او وزيرا وهارون مفعولاه وقدم ثانيهما على اولهما عناية بامر الوزارة اشدد به ازري قو به ظهري وقيل الازر القوة انتهى

ادعى فرعون

واحلل عقدة من لساني روي انه كان في لسانه عليه السلام رتة من جمرة ادخلها فاه في صغره وذلك ان فرعون حمله ذات يوم فاخذ لحيته فنتف لما كان فيها من الجواهر فغضب وامر بقتله فقالت آسية انه صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة فوضعها في فيه قيل واحترقت يده فاجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنه واختلف في زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله تعالى قد اوتيت سؤلك ومن لم يقل به احتج بقوله هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين واجاب عن الاول بانه لم يسأل حل عقدة لسانه بالكلية بل حل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها ووصفها بقوله من لساني اي عقدة كائنة من عقد لساني وجعل قوله يفقهوا قولي جواب الامر وغرضا من الدعاء فبحلها في الجملة يتحقق ايتاء سؤله عليه السلام والحق ما ذكر لا يدل على بقائها في الجملة اما قوله هو افصح مني فلانه عليه السلام قاله قبل استدعاء الحل كما تعرفه على افصحيته منه عليهما السلام لا تستدعي بقاءها اصلا بل تستدعي عدم البقاء لان الافصحية توجب ثبوت اصل الفصا

قوله رد ض

قوله رد ض

في المفعول ايضا وذلك مناف للعقدة رأسا واما قوله تعالى ولا يكاد يبين فمن باب غلو اللعين في العتو والطغيان والا لدل على عدم زوالها اصلا وتنكيرها انما يفيد قلتها في نفسها لا قلتها باعتبار كونها بعضا من الكثير وتعلق كلمة من في قوله تعالى من لساني بمحذوف هو صفة لها ليس بمقطوع به بل الظاهر تعلقها بنفس الفعل فان المحلول اذا كان متعلقا بشيء ومتصلا به فكما يتعلق الحل به يتعلق بذلك الشيء ايضا باعتبار ازالته عنه او ابتداء حصوله منه واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي اي موازرا يعاونني في تحمل اعباء ما كلفته على ان اشتقاقه من الوزر الذي هو الثقل او ملجأ اعتصم برايه على انه من الوزر وهو الملجأ وقيل اصله ازير من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس قلبت همزته واوا كقلبها في موازر ونصبه على انه مفعول ثان لاجعل قدم على الاول الذي هو قوله تعالى هرون اعتناء بشأن الوزارة ولي صلة للجعل او متعلق بمحذوف وهو حال من وزيرا اذ هو صفة له في الاصل ومن اهلي اما صفة لوزيرا او صلة لاجعل وقيل مفعولاه لي وزيرا وهرون عطف بيان للوزير ومن اهلي كما مر من الوجهين واخي في الوجهين بدل من هرون او عطف بيان آخر وقيل هما وزيرا من اهلي ولي تبيين كما في قوله تعالى ولم يكن له كفوا احد ورد بان شرط المفعولين في باب النواسخ صحة انعقاد الجملة الاسمية ولا مساغ لجعل وزير مبتدأ والخبر عنه بما بعده اشدد به ازري الآية

انتهى ابو السعود رحمه الله عليه

واحلل عقدة اي لكنة من لساني وهي الرتة التي حصلت من القاء الجمرة في فيه عند فرعون وآسية يفقهوا قولي اي يفهموا قولي وكلامي عند تبليغ الرسالة وذلك ان موسى عليه السلام في صغره اخذ بلحية فرعون فاراد قتله فقالت آسية زوجته صبي لا يعقل جرب به ان شئت فجعلت في طست جمرا وفي آخر جوهرا ووضعتهما لدى موسى عليه السلام فقصد الى اخذ الجوهر فاخذ جبرئيل عليه السلام يده فوضعها على الجمر فرفعها الى فيه فاحترق لسانه فكانت له منه لكنة واجعل لي وزيرا اي معينا اعتمد عليه من الموازرة وهي المعاونة من اهلي هرون بيان لوزيرا اخي بدل من هرون اشدد به بفتح الهمزة وجزم الدال خبر في جواب الطلب اي اقوبه ازري اي ظهري وقيل الازر القوة وقرئ بضم الهمزة وهو دعاء من موسى عليه السلام المعنى افعل انت اللهم ذلك به

واشركه بضم الهمزة خبر من موسى عطف على اشدد الجواب اي اجعل شريكا لي وبفتحها دعاء من موسى عليه السلام انتهى العيون

اي افعل انت ذلك به في امري الذي حملتني وهو تبليغ الرسالة كي نسبحك تسبيحا كثيرا ونذكرك ذكرا كثيرا اي على كل حال انك كنت بنا بصيرا اي عالما بنا في الاحوال كلها وبان التعاضد مما يصلحنا وان هرون عليه السلام نعم الوزير فانه اكبر مني سنا وافصح لسانا قال الله تعالى قد اوتيت سؤلك يا موسى اي اعطينا كل مطلوبك منا منة عليك ولقد مننا عليك مرة اخرى اي اكرمناك بكرامات قبل هذه المرة من غير ان تسألنا ثم بين ذلك بقوله اذ اوحينا الى امك ما يوحى مناما او الهاما في قلبها او بارسال ملك اليها على وجه النبوة ان اقذفيه تفسير لما يوحى لان الوحي بمعنى القول اي قلنا الق موسى في التابوت فاخذت قطنا محلوجا ووضعته في التابوت والقت فيه موسى وسدت عليه واحكمته بالقير لئلا يدخل فيه الماء وكان يدخل نهر من النيل الى دار فرعون فاقذفيه في اليم اي اقذف التابوت في النيل فليلقه اليم بالساحل اي جانب البحر وجعل اليم كانه ذو تمييز فاسند الالقاء اليه لان جريه بامره تعالى والساحل من السحل لانه يسحله الماء اي يقشره ويسلخه ياخذه بالجزم جواب الامر وهو فليلقه قيل الاولى ان يرجع الضماير كلها الى موسى من رجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت لما فيه من تنافر النظم الذي هو ام اعجاز القرآن ومراعاته اهم ما يجب على المفسر اي ياخذ موسى عدو لي وعدو له وهو فرعون فدخل التابوت من النيل في نهر كبير يجري منه الى دار فرعون وكان جالسا مع امرأته على رأس البركة فاذا بتابوت يجيء به الماء نحو دار فامر باخراجه ففتح التابوت فاذا فيه صبي احسن الناس وجها فاخذه فرعون واحبه هو وامرأته حبا شديدا بحيث لا يصبران عنه ويقصد قوله والقيت عليك محبة مني انتهى العيون

من ادعاء الشركة في الالوهية ونصفك بما يليق بك من صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال تنزيها كثيرا او زمانا كثيرا من جملته زمان دعوة فرعون واوان المحاجة معه • واما ما قيل من ان المعنى كي نصلي لك كثيرا ونحمدك ونثني عليك فلا يساعده المقام انك كنت بنا بصيرا اي عالما باحوالنا وبان ما دعوتك به مما يصلحنا ويفيدنا في تحقيق ما كلفته من اقامة مراسم الرسالة وبان هرون نعم الردء في اداء ما امرت به • والباء متعلقة ببصيرا قدمت عليه لمراعاة الفواصل قال قد اوتيت سؤلك اي اعطيت سؤلك فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والماكول • والايتاء عبارة عن تعلق ارادته تعالى بوقوع تلك المطالب وحصولها له عليه السلام البتة وتقديره اياها حتما فكلها حاصلة له عليه السلام وان كان وقوع بعضها بالفعل مترتبا بعد كتيسير الامر وشد الازر وباعتباره قيل سنشد عضدك باخيك وقوله يا موسى تشريف له عليه السلام بشرف الخطاب اثر تشريفه بشرف قبول الدعاء وقوله ولقد مننا عليك كلام مستانف مسوق لتقرير ما قبله وزيادة توطين نفس موسى عليه السلام بالقبول ببيان انه تعالى حيث انعم عليه بتلك النعم التامة من غير سابقة دعاء منه وطلب • فلان ينعم عليه بمثلها وهو طالب له وداع اولى واحرى • وتصديره بالقسم لكمال الاعتناء بذلك • اي وبالله لقد انعمنا مرة اخرى اي في وقت غير هذا الوقت لا ان ذلك مؤخر عن هذا فان اخرى تانيث آخر بمعنى غير • والمرة في الاصل اسم للمرور الواحد ثم اطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات متعدية كانت او لازمة • ثم شاع في كل فرد من افراد ما يتجدد فصار علما في ذلك حتى جعل معيارا لما في معناه من سائر الاشياء • فقيل هذا بناء المرة • ويقرب منها الكرة والتارة والدفعة • والمراد بها ههنا الوقت الممتد الذي وقع فيه ما سياتي ذكره من المنن العظيمة الكثيرة وقوله اذ اوحينا الى امك ما يوحى ظرف لمننا والمراد بالايحاء اما الايحاء على لسان نبي في وقتها كقوله واذ اوحيت الى الحواريين الاية • واما الايحاء بواسطة الملك لا على وجه النبوة كما اوحي الى مريم • واما الالهام كما في قوله تعالى واوحى ربك الى النحل • واما الاراءة في المنام والمراد بما يوحى ما سياتي من الامر بقذفه في التابوت وقذفه في البحر ابهم اولا تهويلا له وتفخيما لشانه ثم فسر ليكون اقر عند النفس وقيل معناه ما ينبغي ان يوحى ولا يخل به لعظم شانه وفرط الاهتمام به • وقيل ما لا يعلم الا بالوحي وفيه انه لا يلائم المعنيين الاخيرين للوحي اذ لا تفخيم لشانه في ان يكون مما لا يعلم الا بالالهام او بالاراءة في المنام وان في قوله تعالى ان اقذفيه في التابوت مفسرة لان الوحي من باب القول • او مصدرية حذف عنها الباء اي بان اقذفيه • ومعنى القذف ههنا الوضع واما في قوله تعالى فاقذفيه في اليم فالالقاء وهذا التفصيل هو المراد بقوله تعالى فاذا خفت عليه فالقيه في اليم لا القذف بلا تابوت فليلقه اليم بالساحل لما كان القاء البحر اياه بالساحل امرا واجب الوقوع لتعلق الارادة الربانية به جعل البحر كانه ذو تمييز مطيع امر بذلك واخرج الجواب مخرج الامر • والضمائر كلها لموسى عليه السلام والمقذوف في البحر والملقى بالساحل وان كان هو التابوت اصالة لكن لما كان المقصود بالذات ما فيه جعل التابوت تبعا له في ذلك ياخذه عدو لي وعدو له جواب للامر بالالقاء • وتكرير العدو للمبالغة والتوسيع بالامر والاشعار بان عداوته له مع تحقيقها لا تؤثر فيه ولا تضره بل تؤدي الى المحبة فان الامر بما هو سبب للهلاك صورة من قذفه في البحر ووقوعه في يد عدو الله وعدوه مشعر بان هناك لطفا خفيا مندرجا تحت قهر صوري وقيل الاول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع وليس المراد بالساحل نفس الشاطئ بل ما يقابل الوسط وهو ما يلي الساحل من البحر بحيث يجري ماؤه الى نهر فرعون لما روي انها جعلت في التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته والقته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فاداه الى بركة في البستان وكان فرعون جالسا ثمة مع آسية بنت مزاحم فامر به فاخرج ففتح فاذا هو صبي اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا لا يكاد يتمالك الصبر عنه وذلك قوله تعالى والقيت عليك الخ انتهى ابو السعود

واشركه في امري اي اجعله شريكي في النبوة والرسالة واشدد واشركه على حكاية النفس سامي على الجواب والباقون على الدعاء والسؤال كي نسبحك نصلي لك وننزهك تسبيحا كثيرا ونذكرك كثيرا في الصلوات وخارجها انك كنت بنا بصيرا عالما باخي لنا فاجابه الله تعالى حيث قال قد اوتيت سؤلك يا موسى اعطيت سؤلك • فالسؤل الطلبة فعل بمعنى مفعول كالخبز بمعنى مخبوز والاكل بمعنى ماكول ولقد مننا انعمنا عليك مرة اخرى كرة اخرى قبل هذه ثم فسرها فقال اذ اوحينا الى امك ما يوحى الهاما او مناما حين ولدتك وكان فرعون يقتل امثالك واذ ظرف لمننا ثم فسر ما يوحى بقوله ان اقذفيه القيه في التابوت وان مفسرة لان الوحي بمعنى القول فاقذفيه في اليم النيل فليلقه اليم بالساحل الجانب ويسمى ساحلا لان الماء يسحله اي يقشره والصيغة امر ليناسب ما تقدم ومعناه الاخبار اي يلقيه اليم بالساحل ياخذه عدو لي وعدو له يعني فرعون • والضماير كلها راجعة الى موسى • ورجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت يفضي الى تنافر النظم والمقذوف في البحر والملقى الى الساحل وان كان هو التابوت لكن موسى في جوف التابوت انتهى

واشركه في امري الاشراك الجمع بين الشيئين او اكثر في معنى على انه لم يجعل جاعل • وقد اشرك الله تعالى بين موسى وهارون عليهما السلام في النبوة وقوى به ازره كما دعا وقرئا على لفظ الخبر جوابا للامر ولكن قراءتها على لفظ الامر للدعاء ان يقف على هارون ويجعل اخي مرفوعا على الابتداء والجملة خبرا كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا فان التعاون يهيج الرغبات ويؤدي الى تكاثر الخير وتزايده قدم التسبيح وهو تنزيه الله تعالى عما لا يجوز وصفه به على الذكر وهو ثناؤه تعالى بما يليق به لان التخلية قبل التحلية انك كنت بنا بصيرا عالما باحوالنا وان التعاون مما يصلحنا وان هارون نعم العون لي فيما امرتني به والسادة لعضدي بانه اكبر مني سنا وافصح لسانا قال قد اوتيت سؤلك يا موسى السؤل المطلوب فعل بمعنى المفعول كالخبز والاكل اي اعطيت ما سألته وذلك من المنة عليه ثم ذكر تقديم منه عليه لتعظيم اجتهاده وتقوي بصيرته بقوله ولقد مننا عليك مرة اخرى المن نعمة تقطع لصاحبها عن غيره باختصاصها به • يقال من عليه اذا انعم نعمة بقطعه اياها واصله القطع ومنه قولهم اجر غير ممنون والمرة الكرة الواحدة من المر واخرى تانيث آخر بمعنى غير هذه المنة اذ اوحينا الى امك قال الجمهور هو وحي الهام • وقيل وحي اعلام اما ببعث ملك اليها لا على وجه النبوة كما بعث الى مريم • او باراءة ذلك في المنام او على لسان نبي في وقتها كقوله واذ اوحيت الى الحواريين ما يوحى ما لا سبيل الى العلم به الا بالوحي او ما ينبغي ان يوحى

لامحالة ولا يخل به لعظم شانه وفرط الاعتناء به ان اقذفيه في التابوت بان اقذفيه اي اقذفيه لان الوحي بمعنى القول • والقذف هو الرمي البعيد المستلزم لعلاقة المرمي واستعير ههنا بمعنى الالقاء فاقذفيه في اليم اليم اسم للبحر العذب والمراد منه ههنا النيل فليلقه اليم بالساحل ساحل البحر شاطئه سمي بذلك لان الماء يسحله اي يقشره فهو فاعل بمعنى ذو كذا ولما وجب وقوع ما تعلقت ارادته تعالى وهو القاء البحر اياه بالساحل ذكره بلفظ الامر تشبيها للبحر بالمامور الممتثل المطيع لما ورد عليه من امر آمر مطاع على طريقة الاستعارة بالكناية واخرج الجواب بقوله ياخذه عدو لي وعدو له فخرج جواب الامر مجزوما وكرر عدو للمبالغة او لان الاول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع والاحسن نظما ان يرجع الضماير كلها الى موسى عم لا لما قيل ان في رجوع البعض الى التابوت تنافر النظم الذي ينافي الاعجاز لانه ممنوع ممنوع كيف ولو كان فيه ما يخل بحسن النظم لما وقع في قوله تعالى فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ثم ان موجب ذلك عدم الحسن بل عدم القبح لا عدم الاحسنية بل لان المحدث عنه موسى عم لا التابوت وانما ذكر التابوت على سبيل الوعاء والفضلة فالملقى والماخوذ هو موسى عم في التابوت فلا حاجة الى نشر الضماير والظاهر ان البحر القاه بالساحل فالتقطه منه الى فرعون روي انه فتح التابوت فاذا في اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا كما قال والقيت عليك محبة مني انتهى ابن الكمال

فان الاول والثاني والرابع من الضماير المذكورة راجع الى الايقاع الواقع والثالث راجع الى التبديل او الى الايصاء المبدل باعتبار وصفه

كما لا نوع في الترجيح

واشركه في امري كلاهما على صيغة الدعاء اي احكم به قوتي واجعله شريكي في امر الرسالة حتى نتعاون على ادائها كما ينبغي • وفصل الاول عن الدعاء السابق لكمال الاتصال بينهما فان شدة الازر عبارة عن جعله وزيرا واما الاشراك في الامر حيث كان من احكام الوزارة توسط بينهما العاطف كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا غاية للادعية الثلاثة الاخيرة فان فعل كل واحد منهما من التسبيح والذكر مع كونه مكثرا لفعل الآخر ومضاعفا له بسبب انضمامه اليه مكثر له في نفسه ايضا بسبب تقويته وتاييده اذ ليس المراد بالتسبيح والذكر ما يكون منهما بالقلب او في الخلوات حتى لا يتفاوت حاله عند التعدد والانفراد بل ما يكون منهما في تضاعيف اداء الرسالة ودعوة المردة العتاة الى الحق وذلك مما لا ريب في اختلاف حاله في حالتي التعدد والانفراد فان كلا منهما يصدر عنه بتاييد الآخر من اظهار الحق ما لا يكاد يصدر عنه مثله حال الانفراد وكثيرا في الموضعين نعت لمصدر محذوف او زمان محذوف اي ننزهك عما لا يليق بك من الصفات والافعال التي من جملتها ما يدعيه فرعون الطاغية ويقبله منه فئته الباغية من

والقيت عليك محبة منى منى صفة لمحبة اى محبة كائنة منى قد
زرعتها فى القلوب فلذلك احبك فرعون او متعلق بالقيت
اى احببتك ومن احبه الله احبته القلوب وعلى هذا يراد المعنى ض
المذكور اولا بطريق الكناية او بطريق الاشارة وتنكير محبة للتعظيم
او الابهام والتعيين ولتصنع عطف على علة مقدرة مثل ليتعطف
عليك ونحوه او علة لمحذوف معطوف على الجملة السابقة اى ض
ولتصنع الخ قال الخليل يقال صنعت الفرس هو فرس صنيع و
هو الذى احسن اهله القيام عليه وسيف صنيع الذى قد
احسن صقله على عينى بمرأى منى اى لتربى كما اريد ومجازه
ان من صنع للانسان شيئا وهو ينظر اليه صنعه كما يحبه
ولا يتهيأ له خلافه وقيل على عينى اى على حفظى اذ تمشى
اختك ظرف لالقيت او لتصنع او بدل من اذ اوحينا على
ان عبارة عن الوقت المتسع فتقول للذين يطلبون مرضعة
يقبل ثديها وكان لا يقبل ثدى امرأة على ما ذكر فى سورة القصص
فالفاء فصيحة لترتيب المذكور على المقدر هل ادلكم على من يكفله
على من يضمه الى نفسه فيربيه واراد بذلك المرضعة
وانما ذكر للفظ من فرجعناك فرددناك الى امك وفاء بقولنا
انا رادوه اليك ويأتى التفصيل فى سورة القصص وبعض الفاء
ايضا فصيحة كى تقر عينها برؤيتك وقد مر تفسيره فى سورة مريم
ولا تحزن على فراقك قيل وانت على فراقها ولا يحتمله سياق
الكلام فى سورة القصص ويأباه قوله ولتعلم ان وعد الله حق
وقتلت نفسا هى نفس القبطى الذى استغاثه عليه السبطى ض
فنجيناك من الغم الذى نابك بسبب قتله خوفا من عقاب
الله تعالى واقتصاص فرعون بالمغفرة والامن منه بالهجرة
الى مدين وفتناك فتونا مصدر على فعول فى المتعدى
كالثبور والشكور والكفور او جمع فتن او فتنة على ترك
الاعتداد بالتاء كحجوز وبدور فى جمع حجزة وبدرة و
الفتنة المحنة وكل ما يبتلى الله تعالى عباده من نعمة او نقمة فهو
فتنة لقوله تعالى ونبلوكم بالخير والشر فتنة واكثر استعمالها فى
العرف فيما يشق على الانسان اى اختبرناك بضروب من الاختبار
سأل سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهم فقال خلصناك
من محنة بعد محنة ولد فى عام كان يقتل فيه الولدان فهذه
فتنة يا ابن جبير والقته امه فى البحر وهم فرعون بقتله وقتل
قبطيا واجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه فى
ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير
والمعنى انا عاملناك معاملة المختبر حتى خلصت للاصطفاء بالرسالة فكل هذا من اكبر نعمه انتهى

روى انها جعلت فى التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه
وقيرته ثم القته فى اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون
نهر كبير فبينا هو جالس على رأس بركة مع آسية
اذا هو بالتابوت فأمر به فأخرج ففتح فاذا صبى
اصبح الناس وجها فأحبه فرعون حبا شديدا
فذلك قوله والقيت عليك محبة منى يتعلق منى
بالقيت يعنى انى احببتك ومن احبه الله احبته
القلوب فما رآه احد الا احبه قال قتادة كان فى
عينى موسى ملاحة ما رآه احد الا احبه ولتصنع
على عينى معطوف على محذوف اى والقيت عليك
محبة لتحب ولتصنع اى ولتربى بمرأى منى
من صنع الفرس اذا احسن القيام عليه يعنى
انا مراعيك ومراقبك كما يراعى الرجل الشئ
بعينه اذا اعتنى به اذ تمشى اختك بدل من
اذ اوحينا لان مشى اخته كان منة عليه فتقول
هل ادلكم على من يكفله روى ان اخته مريم جاءت
متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل
ثديها وكان لا يقبل ثدى امرأة فقالت هل ادلكم
على من يضمه الى نفسه فيربيه وارادت بذلك
المرضعة وتذكير الفعل للفظ من فقالوا نعم فجاءت
بالام فقبل ثديها وذلك قوله تعالى فرجعناك
فرددناك الى امك كى تقر عينها بلقائك ولا تحزن
على فراقك وقتلت نفسا قبطيا كافرا فنجيناك
من الغم من القود قيل الغم القتل بلغة قريش وقيل
اغتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله ومن اقتصاص
فرعون فغفر الله تعالى باستغفاره حين قال رب انى
ظلمت نفسى فاغفر لى ونجاه من فرعون بان ذهب به
من مصر الى مدين وفتناك فتونا ابتليناك ابتلاء
بايقاعك فى المحن وتخليصك منها انتهى

والقيت عليك محبة منى كلمة من متعلقة بمحذوف هو صفة لمحبة مؤكدة لما فى تنكيرها من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اى محبة
عظيمة كائنة منى قد زرعتها فى القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك ولذلك احبك عدو الله وآله وقيل هى متعلقة
بالقيت اى احببتك ومن احبه الله تعالى احبته القلوب لا محالة وقوله تعالى ولتصنع على عينى متعلق بالقيت معطوف
على علة له مضمرة اى ليتعطف عليك ولتربى بالحنو والشفقة بمراقبتى وحفظى او بفعل مؤخر هو عبارة عما قبله من القاء
المحبة والجملة مبتدأة اى ولتصنع على عينى فعلت ذلك وقرئ ولتصنع على صيغة الامر بسكون اللام وكسرها وقرئ
بفتح التاء والنصب اى وليكون عملك على عين منى لئلا يخالف به عن امرى اذ تمشى اختك ظرف لتصنع على ان المراد
به وقت وقع فيه مشيها الى بيت فرعون وما ترتب عليه من القول والرجع الى امها وتربيتها له بالبر والحنو وهو المصداق

لقوله تعالى ولتصنع على عينى اذ لا شفقة اعظم من شفقة الام وصنعها على موجب مراعاته تعالى وقيل هو بدل من اذ اوحينا
على ان المراد به زمان متسع متباعد الاطراف وهو الانسب بما سيأتى من قوله فنجيناك من الغم الى آخره فان جميع ذلك
من المنن الالهية ولا تعلق لشئ منها بالصنع المذكور واما كونه ظرفا لالقيت كما جوزوا فمما يوهم ان القاء المحبة لم يحصل
قبل ذلك ولا ريب فى ان معظم آثار القائها ظهر عند فتح التابوت فتقول اى لفرعون وآسية حين رأتهما يطلبان
له عليه السلام مرضعة يقبل ثديها وكان لا يقبل ثديا وصيغة المضارع فى الفعلين لحكاية الحال الماضية هل ادلكم على من
يكفله اى يضمه الى نفسه ويربيه وذلك انما يكون بقبوله ثديها يروى انه فشا الخبر بمصر ان آل فرعون اخذوا غلاما
فى النيل لا يرتضع ثدى امرأة واضطروا الى تتبع النساء فخرجت اخته مريم لتعرف خبره فجاءتهم متنكرة فقالت ما قالت
وقالوا ما قالوا فجاءت بامه فقبل ثديها فالفاء فى قوله تعالى فرجعناك الى امك فصيحة معربة عن محذوف قبلها يعطف
عليه ما بعدها اى فقالوا دلينا على امرأة فجاءت بامك فرجعناك اليها كى تقر عينها بلقائك ولا تحزن اى لا يطرأ عليها
الحزن بفراقك بعد ذلك والا فزوال الحزن مقدم على السرور المعبر عنه بقرة العين فان التخلية متقدمة على
التحلية وقيل ولا تحزن انت بفقد اشفاقها وقتلت نفسا هى نفس القبطى الذى استغاثه الاسرائيلى عليه
فنجيناك من الغم اى غم قتله خوفا من عقاب الله تعالى بالمغفرة ومن اقتصاص فرعون بالانجاء منه بالمهاجرة الى مدين
وفتناك فتونا اى ابتليناك ابتلاء او فتونا من الابتلاء على انه جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز
فى حجزة وبدور فى بدرة اى خلصناك مرة بعد اخرى وهو اجمال ما ناله فى سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الالاف
والمشى راجلا وفقد الزاد وقد روى ان سعيد بن جبير سأل عنه ابن عباس رضى الله عنهم فقال خلصناك من محنة
بعد محنة ولد فى عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير والقته امه فى البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا
واجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه فى ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير ولكن
الذى يقتضيه النظم الكريم ان لا تعد اجارة نفسه وما بعدها من تلك الفتون ضرورة ان المراد بها ما وقع قبل
وصوله عليه السلام الى مدين بقضية الفاء فى قوله تعالى انتهى ابو السعود

والقيت عليك محبة منى قوله منى يجوز ان يتعلق بالقيت فالمعنى انى احببتك ومن احبه الله احبته القلوب ويجوز ان يتعلق
بمحذوف اى محبة حاصلة منى بان زرعتها فى القلوب فلذلك احبك فرعون وكل من ابصرك وقيل كان فى عينيه
ملاحة ما رآها احد الا احبه ولتصنع عطف على مقدر اى لتحب ولتصنع يعنى لتربى على عينى اى على حفظى اياك
فى الاحوال كلها قوله اذ تمشى بدل من اذ اوحينا ولا يمنعه اختلاف الوقتين وتباعدهما لاتساع الوقت وقيل
عامله القيت او تصنع اختك اى مريم خرجت لتعرف خبره فجاءت الى فرعون وكان لا يقبل ثدى مرضعة فتقول
اى فقالت لهم هل ادلكم على من يكفله من المراضع بان تضمه اليها ويقبل ثديها قالوا نعم من هى قالت امى قالوا الها لبن
قالت نعم لبن اخى هرون فجاءت بها وقبل ثديها فرجعناك اى رددناك الى امك كى تقر عينها اى تطيب نفسها
بلقائك ولا تحزن اى ليزول حزنها وقتلت نفسا وهى نفس القبطى فاغتممت خوفا من الله تعالى ومن اقتصاص
فرعون فنجيناك من الغم بان غفرنا لك وانجيت من غضبه وشره وفتناك فتونا اى انا ابتليناك واختبرناك
بلاء بعد بلاء وتخليصك منه والفتنة المحنة وكل ما شق على الانسان وكل ما يبتلى الله تعالى به عباده فتنة
والفتون مصدر كذلك وهو وقوع موسى عليه السلام فى محنة بعد محنة خلصه الله تعالى منها روى سعيد بن جبير
سأل ابن عباس رضى الله عنهم عن الفتون الواقعة على موسى عليه السلام قال ولد فى عام يقتل الولدان فيه فهذه
فتنة يا ابن جبير والقته امه فى البحر وهم فرعون بقتله وقد قتل قبطيا واجر نفسه عشر سنين وضل الطريق
وتفرقت غنمه فى ليلة مظلمة وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول فى كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير انتهى العيون

ه وقيل على مقدار من الزمان يوحي فيه الى الانبياء عليهم السلام وهو رأس اربعين سنة وقوله تعالى يا موسى تشريف له عليه السلام وتنبيه على انتهاء الحكاية التي هي تفصيل المرة الاخرى التي وقعت قبل المرة المحكية اولا وقوله تعالى واصطنعتك لنفسي تذكير لقوله تعالى وانا اخترتك وتمهيد لارساله عليه السلام الى فرعون مؤيدا باخيه حسبما استدعاه بعد تذكير المنن السابقة تأكيدا لوثوقه عليه السلام بحصول نظائرها اللاحقة وهذا تمثيل لما خوله عز وعلا من الكرامة العظمى بتقريب الملك بعض خواصه واصطناعه لنفسه وترشيحه لبعض امور الجليلة والعدول عن نون العظمة الواقعة في قوله تعالى وفتناك ونظيريه السابقين تمهيدا لافراد لفظ النفس اللائق بالمقام فانه ادخل في تحقيق معنى الاصطناع والاستخلاص اي اصطنعتك برسالاتي وبكلامي وقوله تعالى اذهب انت واخوك اي وليذهب اخوك حسبما استدعيت استئناف مسوق لبيان ما هو المقصود بالاصطناع بآياتي اي بمعجزاتي التي اريتكها من اليد والعصا فانهما وان كانتا اثنتين لكن في كل منهما آيات شتى كما في قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم فان انقلاب العصا حيوانا وكونها ثعبانا عظيما لا يقادر قدره آية اخرى وسرعة حركته مع عظم جرمه آية اخرى وكونه مع ذلك مسخرا له عليه السلام بحيث كان يدخل يده في فمه فلا يضره آية اخرى ثم انقلابها عصا آية اخرى وكذلك اليد فان بياضها في نفسه آية وشعاعها آية ثم رجوعها الى حالتها الاولى آية اخرى والباء للمصاحبة لا للتعدية اذ المراد ذهابهما الى فرعون ملتبسين بالآيات متمسكين بها في اجراء احكام الرسالة واكمال امر الدعوة لا مجرد اذهابها وايصالها اليه ولا تنيا لا تفترا ولا تقصرا وقرئ لا تنيا بكسر التاء للاتباع في ذكري اي بما يليق بي من الصفات الجليلة والافعال الجميلة عند تبليغ رسالتي والدعاء الي وقيل المعنى لا تنيا في تبليغ رسالتي فان الذكر يقع على جميع العبادات وهو اجلها واعظمها وقيل لا تنسياني حيثما تقلبتما واستمدا به العون والتأييد واعلما ان امرا من الامور لا يتأتى ولا يتسنى الا بذكري اذهبا الى فرعون جمعهما في صيغة امر الحاضر مع غيبة هرون اذ ذاك للتغليب وكذا الحال في صيغة النهي روي انه اوحي الى هرون وهو بمصر ان يتلقى موسى عليهما السلام وقيل سمع باقباله فتلقاه انه طغى تعليل لموجب الامر والفاء في قوله تعالى فقولا له قولا لينا لترتيب ما بعدها على طغيانه فان تليين القول مما يكسر سورة عناد العتاة ويلين عريكة الطغاة قال ابن عباس رضي الله عنهما لا تعنفا في قولكما وقيل القول اللين مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فانها دعوة في صورة عرض ومشورة ويرده ما سيجيء من قوله تعالى فقولا انا رسولا ربك الآيتين وقيل كنياه وكان له ثلث كنى ابو العباس وابو الوليد وابو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم وبقي له لذة المطعم والمشرب وملكا لا يزول الا بالموت وقرئ لينا لعله يتذكر بما بلغتماه من ذكري ويرغب فيما رغبتماه فيه او يخشى عقابي ومحل الجملة النصب على الحال من ضمير التثنية اي فقولا له قولا لينا راجيين ان يتذكر او يخشى وكلمة او لمنع الخلو اي باشرا الامر مباشرة من يرجو ويطمع ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه وهو يجتهد بطوقه ويحتشد باقصى وسعه وجدوى ارسالهما اليه مع العلم بحاله الزام الحجة وقطع المعذرة

انتهى ابو السعود رحمه الله

فلبثت سنين اي خرجت من مصر هاربا من فرعون ومكثت سنين لرعي الاغنام في اهل مدين اي عند شعيب عليه السلام قيل مكث ثماني وعشرين سنة عشر منها مهر ابنته واقام عنده ثماني عشرة حتى ولد له ثم جئت على قدر يا موسى اي على موعد مقدر في علمي ووهبت لك نبوة وكان مجيئه على رأس اربعين سنة يوحي فيها غالبا الى الانبياء واصطنعتك لنفسي اي اصطفيتك لنفسي اي لوحيي بان جعلتك رسولا لي فقال موسى عليه السلام يا رب حببني فقد تمت كرامتي اذهب انت واخوك بآياتي وهي التسع ولا تنيا اي لا تفترا في ذكري اي تسبيحي وتقديسي والابلاغ الي وذلك تحبيكما وقيل الانجاز اعزاز رسالتي اذهبا الى فرعون انه طغى اي تكبر وعلا بادعاء الربوبية فقولا له قولا لينا اي كلاما سهلا بالرفق واللطف ولا تعنفاه ولا تخوفاه وقيل كنياه بان تقولا يا ابا الوليد او يا ابا العباس لعله يتذكر اي يتأمل فيتعظ او يخشى الله تعالى فيؤمن لان الرؤساء بكلام اللين اقرب الى الانقياد من كلام العنف قيل قد سبق في علمه تعالى انه لا يتذكر فلا يسلم فكيف يستقيم قوله لعله يتذكر او يخشى اجيب بان الترجي في لعل لهما اي اذهبا على رجائكما انه لا يخيب سعيكما قيل تذكر فرعون وخشي حين الجمه الغرق فلم ينفعه وقيل منعه هامان من الايمان بموسى عليه السلام وقال انت الآن رب تريد ان تكون مربوبا لما روي ان موسى عليه السلام وعده على قبول الايمان شبابا لا يهرم وملكا لا ينزع منه الا بالموت ويبقى عليه لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته واذا مات دخل الجنة فاعجبه ذلك وكان هامان غائبا لا يقطع امرا بدونه فلما قدم اخبره بما قال موسى عليه السلام وقال اردت ان اقبل منه يا هامان فقال له هامان كنت ارى ان لك عقلا ورأيا انت الآن رب تريد ان يكون مربوبا فابى من الايمان بموسى عليه السلام ان يأتي هرون واوحي الى هرون عليه السلام وهو بمصر ان يتلقى موسى عليه السلام فتلقاه الى مرحلة فاخبره موسى عليه السلام بما اوحي اليه فدعوا الله تعالى حكاية قالا ربنا

انتهى العيون

فلبثت سنين في اهل مدين هي بلدة شعيب عليه السلام على ثماني مراحل من مصر قال وهب لبث عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة عشر منها مهر لصفورا واقام عنده ثماني عشرة سنة بعدها حتى ولد له اولاد ثم جئت على قدر يا موسى اي موعد ومقدار للرسالة وهو اربعون سنة واصطنعتك لنفسي اخترتك لامري وجعلتك القائم بحجتي والمخاطب بيني وبين خلقي كاني اقمت عليهم الحجة وخاطبتهم اذهب انت واخوك بآياتي بمعجزاتي ولا تنيا تفترا من الونى وهو الفتور والتقصير في ذكري اي اتخذا ذكري جناحا تطيران به او اريد بالذكر تبليغ الرسالة فالذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من اعظمها اذهبا الى فرعون كرر لان الاول مطلق والثاني مقيد انه طغى جاوز الحد بادعائه الربوبية فقولا له قولا لينا الطفا له في القول لما له من حق تربية موسى او كنياه وهو من ذوي الكنى الثلث ابو العباس وابو الوليد وابو مرة او عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع عنه الا بالموت لعله يتذكر اي يتعظ ويتأمل فيذعن للحق او يخشى او يخاف ان يكون الامر كما تصفان فيجره انكاره الى الهلاك وجدوى ارسالهما اليه مع العلم بانه لن يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة او معناه لعله يتذكر متذكر او يخشى خاش وقد كان ذلك من كثير من الناس وقيل لعل من الله تعالى واجب وقد تذكر ولكن حين لم ينفعه التذكر وقيل تذكر فرعون وخشي واراد اتباع موسى فمنعه هامان وكان لا يقطع امرا دونه وتليت عند يحيى بن معاذ فبكى وقال هذا رفقك بمن يقول انا اله فكيف بمن قال انت الاله وهذا رفقك بمن قال انا ربكم الاعلى فكيف بمن قال سبحان ربي الاعلى انتهى

فلبثت سنين في اهل مدين وهي مدينة شعيب عم عن وهب انه لبث عنده ثمانية وعشرين سنة عشر منها مهر ابنته واقام عنده ثماني عشرة سنة بعدها حتى ولد له اولاد والفاء لتفصيل ما اجمل من انواع الفتنة ثم جئت على قدر قدرته وعينته وهو ما سبق في قضائي ان اكلمك واستنبئك في وقت قد وقته لذلك فما جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر وقيل هو الوقت الذي يوحي فيه الى الانبياء عليهم السلام وهو رأس اربعين سنة قال الشاعر نال الخلافة اذ كانت له قدرا كما اتى ربه موسى على قدر يا موسى تكرير عقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه على انه المقصود واصطنعتك لنفسي اصطفيتك لمحبتي وحققتك بما خولتك فيما خولت من الكرامة بمن قربه الملك واستخلصه لنفسه لمجالسته اذهب انت واخوك امر اولا موسى عليه السلام وحده بالذهاب فلما سأل ان يشرك هارون معه في امره امرهما معا اجابة لدعوته على حسب وعده وضمن كلام التنبيه على اصالته حيث غلبه على هارون في الخطاب ولم يقل اذهبا واخوك معطوف على الضمير المستكن في اذهب المؤكد بانت قيل اوحي هارون وهو بمصر ان يتلقاه وقيل سمع بمقبله فاستقبله بآياتي بمعجزاتي ولا تنيا اي ولا تفترا ولا تقصرا والونى الفتور في ذكري اي لا تنساني حيثما تقلبتما او في تبليغ الرسالة فان الذكر يطلق على كل عبادة والتبليغ من اجل العبادات او في تبليغ ذكري والدعوة الي اذهبا الى فرعون تأكيد لقوله اذهب انت واخوك بالتكرير اظهارا للاعتناء بدعوة اللعين اليه وفيه ابهام وتوضيح ونبه على سبب الذهاب اليه بالرسالة من عنده بقوله انه طغى اي تجاوز الحد في الفساد ودعواه الربوبية فقولا له قولا لينا نحو قوله هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى لانه دعوة في صورة العرض والمشورة والاستفهام حذرا ان يحمله التجبر على ان يسطوا عليكما او احتراما لما له من حق التربية وقيل كنياه اولقباه لا بد من هذه الزيادة كيلا يرده قوله تعالى وقال موسى يا فرعون اني رسول رب العالمين فانه لو كان مامورا بالتكنية خاصة لما خالفه بالتلقيب لعله يتذكر او يخشى متعلق باذهبا او قولا اي على ارجى الوجوه للاتعاظ والخشية وقوله لعله ليس بخفاء حاله عليه تع لكن ارسلهما بالدعاء على الرجاء فانه اذا كان الداعي راجيا فهو احرص على الدعاء وذلك ابلغ في الزام الحجة وقيل يتذكر المتحقق ويخشى المتوهم اي يتذكر ان تحقق صدقكما فيذعن الحق وان لم يتحقق توهم ان يكون الامر كما تصفانه والاحسن ان يقال يتذكر المبدأ ويخشى المعاد اي يتذكر حالته نشأته صغيرا عاجزا عن تدبير نفسه وانه حدث بعد ان لم يكن موجودا فيرجع عن دعوى القدرة والربوبية او يخشى عقاب الله تعالى في دعواه ذلك انتهى ابن الكمال

ه من قال امر به اولا موسى وحده وههنا اباه واخاه فلا تكرر فكأنه غفل عن قوله ولا تنيا الواخطا موضع قوله هذا فانه حقه ان يذكر عند قوله اذهب انت واخوك

فلبثت سنين في اهل مدين اذ لا ريب في ان الاجارة المذكورة وما بعدها مما وقع بعد الوصول اليهم وقد اشير بذكر لبثه عليه السلام فيهم دون وصوله اليهم الى جميع ما قاساه عليه السلام في تضاعيف تلك السنين العشر من فنون الشدائد والمكاره التي كل واحد منها فتنة واي فتنة ومدين بلدة شعيب عليه السلام على ثماني مراحل من مصر ثم جئت اي المكان الذي اونس فيه النار ووقع فيه النداء والجوار وفي كلمة التراخي ايذان بان مجيئه عليه السلام كان بعد اللتيا والتي من ضلال الطريق وتفرق الغنم في ليلة المظلمة الشاتية وغير ذلك على قدر اي تقدير قدرته لان اكلمك واستنبئك في وقت قد عينته لذلك فما جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر ه

قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا فرط سبق وتقدم ومنه
الفارط الذي يتقدم الوارد وفرس فرط يسبق الخيل وقرئ
يفرط من افرطه اذا حمله على العجلة ويفرط من الافراط اي نخاف
ان يعجل علينا بما يحول بيننا وبين اتمام الدعوة واظهار المعجزة
او ان يحمله حامل من استكباره وجبروته او خوفه على الملك
او شيطان جني او انسي من قومه القبط المتمردين على
المعاجلة بما ذكر او ان يفرط فيه وانما قلنا بما يحول ولم نعلق
بالعقوبة كما قيل لانه مردود بقوله سنشد عضدك
باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما فانه مذكور
قبل قولهما هذا بدلالة قوله سنشد وقد دل انهما محفوظان
من عقوبته او ان يطغى اي يتجاوز الحد بالتخطي الى ان يقول
فيك ما لا ينبغي لعتوه وجراءته عليك وقساوة قلبه وفي
اطلاق الطغيان مع تقييد قسيمه بقوله علينا بطريق الرمز من
حسن الادب والتحاشي عن التفوه بالعظمة ما لا يخفى وانما
اخره لانه من ابتني فحاول دفعه لاعذار فلا بد وان يختم
كلامه بما هو الاقوى قال لا تخافا انني معكما المعية حرزها بالنصر
والعون اسمع وارى ما يجري بينكما وبينه من قول او فعل
فاجازيه والفكما شره والافصح ان لا يقدر مفعولا لقوله
اسمع وارى فيكون مبالغة في الحفظ اي انني حافظ ناصر
سميع بصير واذا كان الحافظ قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ
وحققت النصرة وثبت الدفع عن المحفوظ فاتياه فقولا
انا رسولا ربك خاطباه بقولهما ربك اعلاما بانه مربوب
مملوك اذ كان هو يدعي الربوبية والمالكية فارسل معنا بني
اسرائيل اي اطلقهم عن الاستعباد كما يقال ارسلت الصيد
ولا تمنعهم عن اتباعنا ولا تعذبهم بتكليف الشاق كانت

فيه رد

فيه رد من

فيه رد

بنو اسرائيل تحت ملكة فرعون والقبط يعذبونهم بتكليف الاعمال الصعبة وتعقيب دعوى الرسالة باطلاق بني اسرائيل
لما فيه من ازالة المانع عن دعوتهم واتباعهم وهو اهم من دعوة القبط فلا دلالة فيه على ان تخليص المؤمنين من الكفرة اهم
من دعوتهم الى الايمان على ان الظاهر مما تقدم في سورة يونس عم انه ما امن لموسى في مبدا امره الا اولاد من قومه
قد جئناك باية من ربك جملة مبينة لقوله انا رسولا ربك لان الرسالة لا تثبت الا بالمجيء بالمعجزة وانما وحد الاية
ومعه ايتان لان المراد اثبات الدعوى بالبينة لا بيان تعدد الحجة ووحدتها فكانه قال قد جئناك بحجة وبرهان
على ما ادعينا من الرسالة كقوله قد جئتكم ببينة من ربكم والسلام اي سلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة والافصح
ان يكون السلام بمعنى الجنس اي جنس السلام وما يستاهل ان يسمى سلاما او السلامة من العذاب على من اتبع
الهدى على المهتدين والذي يقابله وهو توبيخ خزنة النار او الخزي والعذاب على الضالين المكذبين انتهى ابن كمال

قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا يعجل علينا بالعقوبة
ومنه الفارط يقال فرط عليه اي عجل او ان يطغى
يجاوز الحد في الاساءة علينا قال لا تخافا انني معكما
اي حافظكما وناصركما اسمع اقوالكم وارى افعالكم
قال ابن عباس رضي الله عنهما اسمع دعاءكما فاجيبه
وارى ما يراد بكما فامنع لست بغافل عنكما فلا تهتما
او اسمع وارى ما يجري بينكما وبينه من قول و
فعل فاحدث في كل حال ما يصرف شره عنكما و
يوجب نصرتي لكما ويجوز ان لا يقدر شيء على
معنى انني حافظكما سامعا مبصرا والحافظ اذا كان
قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ فاتياه اي فرعون فقولا
انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل
اي اطلقهم عن الاستعباد والاسترقاق ولا تعذبهم
بتكليف الشاق قد جئناك باية من ربك
على صدق ما ادعيناه وهذه الجملة جارية من الجملة
الاولى وهي انا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير
لان دعوى الرسالة لا تثبت الا ببينتها وهي المجيء
بالاية فقال فرعون وما هي فاخرج يده لها شعاع
كشعاع الشمس والسلام على من اتبع الهدى
اي سلم من العذاب من اسلم وليس بتحية وقيل
وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين انتهى

قالا ربنا اسند القول اليهما مع ان القائل حقيقة موسى عليه السلام بطريق التغليب ايذانا باصالته في كل قول وفعل وتبعية هرون
عليهما السلام له في كل ما يأتي ويذر ويجوز ان يكون هرون قد قال ذلك بعد تلاقيهما فحكى ذلك مع قول موسى عليه السلام عند نزول الاية
كما في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات فان الخطاب قد حكي لنا بصيغة الجمع مع ان كلا من المخاطبين لم يخاطب الا بطريق الافراد
ضرورة استحالة اجتماعهم في الوجود فكيف باجتماعهم في الخطاب اننا نخاف ان يفرط علينا اي يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر
الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فارط يسبق الخيل وقرئ يفرط من افرطه اذا حمله
على العجلة اي نخاف ان يحمله حامل من الاستكبار او الخوف على الملك او غيرهما على المعاجلة بالعقاب او ان يطغى اي يزداد
طغيانا الى ان يقول في شانك ما لا ينبغي لكمال جراءته وقساوته واطلاقه من حسن الادب واظهار كلمة ان مع سداد المعنى
بدونه لاظهار كمال الاعتناء بالامر والاشعار بتحقق الخوف من كل منهما قال استيناف مبني على السؤال الناشي من النظم الكريم ٥

٥ ولعل اسناد الفعل الى ضمير الغيبة للاشعار بانتقال الكلام من سياق الى سياق اخر فان ما قبله من الافعال الواردة على صيغة
التكلم حكاية لموسى عليه السلام بخلاف ما سيأتي من قوله تعالى قلنا لا تخف انك انت الاعلى فان ما قبله ايضا وارد بطريق
الحكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قيل فماذا قال لهما ربهما عند تضرعهما اليه فقيل قال لا تخافا ما توهمتما من الامرين وقوله تعالى
انني معكما تعليل لموجب النهي ومزيد تسلية لهما والمراد بالمعية كمال الحفظ والنصرة كما ينبئ عنه قوله تعالى اسمع وارى اي
ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فافعل في كل حال ما يليق بها من دفع ضر وشر وجلب نفع وخير ويجوز ان لا يقدر
شيء على معنى انني حافظكما سميعا بصيرا والحافظ الناصر اذا كان كذلك فقد تم وبلغت النصرة الى غايتها فاتياه امرا
باتيانه الذي هو عبارة عن الوصول اليه بعدما امرا بالذهاب اليه فلا تكرار وهو عطف على لا تخافا باعتبار تعليله بما بعده
فقولا انا رسولا ربك امرا بذلك تحقيقا للحق من اول الامر ليعرف الطاغية شانهما ويبني جوابه عليه وكذا التعرض
للربوبية تعالى والفاء في قوله تعالى فارسل معنا بني اسرائيل لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان كونهما رسولي ربه
مما يوجب ارسالهم معهما والمراد بالارسال اطلاقهم من الاسر والقسر واخراجهم من تحت يده العادية لا تكليفهم
ان يذهبوا معهما الى الشام كما ينبئ عنه قوله تعالى ولا تعذبهم اي بابقائهم على ما كانوا عليه من العذاب
فانهم كانوا تحت ملكة القبط يستخدمونهم في الاعمال الصعبة الفادحة من الحفر ونقل الاحجار وغيرهما من الامور الشاقة
ويقتلون ذكورهم عاما دون عام ويستخدمون نساءهم وتوسيط حكم الارسال بين بيان رسالتهما وبين
ذكر المجيء باية دالة على صحتها لاظهار الاعتناء به مع ما فيه من تهوين الامر على فرعون فان ارسالهم معهما من غير تعرض
لنفسه وقومه بفنون التكاليف الشاقة كما هو حكم الرسالة عادة ليس مما يشق عليه كل المشقة ولان في بيان مجيء الاية
نوع طول كما ترى فتاخير ذلك عنه مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم واما ما قيل من ان ذلك دليل على ان
تخليص المؤمنين عن الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان فكلا قد جئناك باية من ربك تقرير لما تضمنه الكلام السابق
من دعوى الرسالة وتعليل لوجوب الارسال فان مجيئهما بالاية من جهته تعالى مما يحقق رسالتهما ويقررها ويوجب
الامتثال بامرهما واظهار اسم الرب في موضع الاضمار مع الاضافة الى ضمير المخاطب لتاكيد ما ذكر من التقرير والتعليل
وتوحيد الاية مع تعددها لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا بيان تعدد الحجة وكذلك قوله تعالى قد جئتكم ببينة
وقوله تعالى اولو جئتك بشيء مبين واما قوله تعالى فات باية ان كنت من الصادقين فالظاهر ان المراد بها اية من الايات
والسلام المستتبع لسلامة الدارين من الله تعالى والملائكة وغيرهم من المسلمين على من اتبع الهدى بتصديق ايات الله تعالى
الهادية الى الحق وفيه من ترغيبه في اتباعهما على الطف وجه ما لا يخفى انتهى ابو السعود رحمه الله

فاخبره موسى عليه السلام بما اوحي اليه فدعوا الله تعالى ح قالا
قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا اي يعجل بالعقوبة لنا وفرط بمعنى سبق او ان يطغى اي يجاوز الحد في الاساءة الينا فيعجز
عن تبليغ الرسالة اليه قال لا تخافا منه انني معكما بنصري اسمع ما يقول لكما وارى ما يفعل بكما يعني لست بغافل عنكما
فلا تهتما فاتياه اي اذهبا فقولا له انا رسولا ربك اليك فارسل معنا بني اسرائيل الى الشام وقال في موضع اخر انا
رسول رب العالمين قالوا وفيه دليل على جواز رواية الاخبار بالمعنى اذا اتي بالمعنى دون اللفظ لان الله تعالى حكى معنى واحدا
بالفاظ مختلفة ولا تعذبهم بالاشغال الشاقة ثم فسر رسالتهما بقوله قد جئناك باية اي حجة على صدقنا وهي اليد والعصا
من ربك فلا تدع الربوبية برؤية الحجة اذ الرسالة لا تثبت الا بحجة ظاهرة وانما وحد اية وان جاء باثنتين لانهما في حكم المفرد لان الحجة
انما تقوم بهما والسلام المنجي من سخط الله تعالى على من اتبع الهدى اي التوحيد انتهى العيون

إنا قد أوحي إلينا أن العذاب في الدنيا والعقبى على من كذب بالرسالة وتولى أعرض عن الإيمان، وهي أرجى آي في القرآن لأنه جعل جنس السلام للمؤمن وجنس العذاب للمكذب وليس وراء الجنس شيء فأتياه وأديا الرسالة وقالا له ما أمرا به قال فمن ربكما يا موسى خاطبهما ثم نادى أحدهما لأن موسى هو الأصل في النبوة وهرون تابعه قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه خلقه أول مفعولي أعطى أي أعطى خليقته كل شيء يحتاجون إليه ويرتفقون به أو ثانيهما أي أعطى كل شيء صورته وشكله الذي طابق المنفعة المنوطة به كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الإبصار والأذن الشكل الذي يوافق الاستماع، وكذا الأنف واليد والرجل كل واحد منها مطابق للمنفعة المنوطة بها، وقرئ نصير خلقه صفة للمضاف أو المضاف إليه أي أعطى كل شيء مخلوق عطاءه ثم هدى عرف كيف يرتفق بما أعطي للمعيشة في الدنيا والسعادة في العقبى، وهو جواب في غاية البلاغة لاختصاره وإعرابه عن الموجودات بأسرها على مراتبها ودلالته على أن الغني القادر بالذات المنعم على الإطلاق هو الله تعالى وأن جميع ما عداه تعالى مفتقر إليه منعم عليه في حد ذاته وصفاته وأفعاله ولذلك بهت الذي كفر وأفحم عن الدخل عليه فلم ير إلا صرف الكلام عنه فقال قال فما بال القرون الأولى انتهى

إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى أوحي مبني للمفعول والمفعول الذي لم يسم فاعله مقدر ينسبك من أن وما بعدها تقديره أوحي إلينا كينونة العذاب على من كذب وتولى، وتغيير النظم باستيناف الكلام والتوكيد والتصريح بالوعيد لأن التهديد في مبدإ الدعوة أحق وأنجع قال فمن ربكما في الكلام حذف وإيجاز يشعر بأنهما من فرط طاعتهما ومسارعتهما إلى الامتثال لا ينفك فعلهما عن الأمر كاللازم البين فلا حاجة إلى ذكره وهو فأتياه وقالا ما أمرا به، ثم إن الفاء فصيحة يفصح عن محذوف بعد قال تقديره سمعت قولكما فمن ربكما يا موسى إنما خاطب الاثنين وخص موسى عليه السلام بالنداء لأنه الأصل في الرسالة والدعوة وهارون وزيره وتابعه أو لما عرف من رتة موسى عليه السلام وفصاحة هارون عم فأراد أن يفحمه فاستدعى كلامه دون كلام هارون لمكره ودهائه، ويشعر بذلك قوله أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فأجاب بأشنع جواب وأبلغه وأحضره لفظا وأجمعه معنى حيث قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه أي أعطى كل شيء من الأنواع والأعضاء صورته وشكله الذي يوافق ما نوط إليه من المنفعة كشكل الأنف والفرس والعين والأذن، أو أعطى خليقته كل شيء يحتاجون إليه ويرتفقون به فقدم ثاني المفعولين لأنه المقصود بيانه، وقيل أعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة زوجا، وفيه نظر لأن من الحيوان ما يكون بالتولد فلا يكون له زوج نظيره في الخلق والصورة، وقرئ خلقه على الفعل الماضي صفة للمضاف إليه أو المضاف على شذوذ والمفعول الثاني محذوف أي أعطى كل شيء ما يصلحه لم يخله من عطائه مما يليق به ثم هدى ثم عرفه كيف يرتفق بما أعطي وكيف يتوصل به إلى كماله الصوري والمعنوي طبعا أو اختيارا، ونعته بما معناه أنه الموجد لكل شيء على وفق الحكمة المفيض على الكل كل ما ينبغي له ويليق به من الأسباب والآلات الهادي له إلى مصالحه، واستعمال الآلة في تحصيل كمالاته فهو الخالق القادر الحكيم المنعم على الإطلاق الغني بالذات وجميع ما عداه مخلوق مربوب منعم عليه مفتقر، فلذلك بهت الذي كفر وأفحم عن الاعتراض عليه فصرف الكلام عنه وشرع في سؤال آخر على سبيل الروغان عن الاعتراف بما قاله موسى وما أجابه به والحيرة أو المغالطة قال فما بال القرون الأولى انتهى أبو كمال

إنا قد أوحي إلينا من جهة ربنا أن العذاب الدنيوي والأخروي على من كذب بآياته تعالى وتولى أي أعرض عن قبولها، وفيه من التلطيف في الوعيد حيث لم يصرح بحلول العذاب به ما لا مزيد عليه قال أي فرعون بعدما أتياه وبلغاه ما أمرا به، وإنما طوى ذكره للإيجاز والإشعار بأنهما كما أمرا بذلك سارعا إلى الامتثال به من غير تلعثم وبأن ذلك من الظهور بحيث لا حاجة إلى التصريح به فمن ربكما يا موسى لم يضف الرب إلى نفسه ولو بطريق حكاية ما في قوله تعالى إنا رسولا ربك وقوله تعالى قد جئناك بآية من ربك لغاية عتوه ونهاية طغيانه بل أضافه إليهما لما أن المرسل لا بد أن يكون ربا للرسول أو لأنهما قد صرحا بربوبيته تعالى للكل بأن قالا إنا رسول رب العالمين كما وقع في سورة الشعراء، والاقتصار ههنا على ذكر ربوبيته تعالى لفرعون لكفايته فيما هو المقصود، والفاء لترتيب السؤال على ما سبق من كونهما رسولي ربهما أي إذا كنتما رسولي ربكما فأخبرا من ربكما الذي أرسلكما، وتخصيص النداء بموسى عليه السلام مع توجيه الخطاب إليهما لما أنه الأصل في الرسالة وهرون وزيره، وأما ما قيل من أن ذلك لأنه قد عرف أن له عليه السلام رتة فأراد أن يفحمه فيرده ما شاهده منه عليه السلام من حسن البيان القاطع لذلك الطمع الفارغ، وأما قوله ولا يكاد يبين فمن غلوه في الخبث والدعارة كما مر قال أي موسى عليه السلام مجيبا له ربنا إما مبتدأ وقوله تعالى الذي أعطى كل شيء خلقه خبره أو هو خبر لمبتدإ محذوف والموصول صفته، وأيا ما كان فلم يريدا بضمير المتكلم أنفسهما فقط حسبما أراد اللعين بل جميع المخلوقات تحقيقا للحق وردا عليه كما يفصح عنه ما بعده في حيز الصلة أي هو ربنا الذي أعطى كل شيء من الأشياء خلقه أي صورته

وشكله اللائق بما نيط به من الخواص والمنافع أو أعطى مخلوقاته كل شيء تحتاج هي إليه وترتفق به، وتقديم المفعول الثاني للاهتمام به، أو أعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث زوج الحصان بالحجر والبعير بالناقة والرجل بالمرأة ولم يزوج شيئا من ذلك بخلاف جنسه، وقرئ خلقه على صيغة الماضي على أن الجملة صفة للمضاف أو المضاف إليه وحذف المفعول الثاني إما للاقتصار على الأول أي كل شيء خلقه الله تعالى لم يحرمه من عطائه وإنعامه أو للاختصار من كونه منويا مدلولا عليه بقرينة الحال أي أعطى كل شيء خلقه تعالى ما يحتاج إليه ثم هدى أي إلى طريق الانتفاع والارتفاق بما أعطاه وعرفه كيف يتوصل إلى بقائه وكماله إما اختيارا كما في الحيوانات أو طبعا كما في الجمادات والقوى الطبيعية النباتية والحيوانية، ولما كان الخلق الذي هو عبارة عن تركيب الأجزاء وتسوية الأجسام متقدما على الهداية التي هي عبارة عن إبداع القوى المحركة والمدركة في تلك الأجسام وسط بينهما كلمة التراخي ولقد ساق عليه السلام جوابه على نمط رائق وأسلوب لائق حيث بين أنه تعالى عالم قادر بالذات خالق لجميع الأشياء منعم عليها بجميع ما يليق بها بطريق التفضل وضمنه أن إرساله تعالى إياه إلى الطاغية من جملة هداياته تعالى إياه بعد أن هداه إلى الحق بالهدايات التكوينية حيث ركب فيه العقل وسائر المشاعر والآلات الظاهرة والباطنة انتهى أبو السعود

إنا قد أوحي إلينا أن العذاب أي عذاب الآخرة على الدوام على من كذب بالتوحيد وبما جئنا به وتولى أي أعرض عنه قال فرعون فمن ربكما الذي أرسلكما إلي يا موسى خاطبهما أولا ثم خص موسى عليه السلام بالنداء لأنه هو الأصل في الرسالة وهرون عليه السلام تابعه قال موسى عليه السلام ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه أي شكله الذي اقتضاه حكمته وطابقته منفعته لا يشاركه غيره كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الإبصار والأذن الشكل الذي يوافق الاستماع وكذلك كل عضو من أعضاء كل حيوان يطابق بما علق به من المنفعة ثم هدى أي ألهم كل شيء مصلحته كالأكل والشرب والجماع وغير ذلك مع كفايتها وهوايتها، ثم سأل موسى عليه السلام عن حال من مات من القرون الماضية بأن قال فما بال القرون الأولى انتهى العيون

قال فما بال القرون الاولى ما تقدم وخلا والفاء تدل على ان السؤال مبني على قول موسى عليه السلام والسلام على من اتبع الهدى وان العذاب على من كذب وتولى قال علمها عند ربي لما سأله عن حال الامم الخالية والزمر البالية من الفريقين بعد الموت اجاب موسى عم بانه غيب لا يعلمه الا الله دل على الحصر معنى الحفظ المستفاد من عبارة عند في كتاب مثبت في اللوح المحفوظ ولما كان الاثبات في اللوح المحفوظ مظنة الحاجة في الحفظ الى الكتبة دفعه بقوله لا يضل ربي ولا ينسى ولقد نبه على هذا من قال لا ينسى ما علم فيذكره الكتاب ولكن ليعلم الملائكة ان معمول الخلق يوافق معلومه ومن لم يتنبه لهذا قال ويجوز ان يكون تمثيلا لاستحكام علمه وتمكنه بما استحفظ العالم وقيده بالكتابة وتوثيره لا يضل من اضله اذا ضيعه والعرب تقول لكل ما ذهب على الانسان مما ليس بحيوان ضله بغير الف فاما ما كان منه فنقول اضله بالالف والاصل في الاول ضل عنه ولا ينسى من نسيته اذا ذهب عنه بحيث لا يخطر بالك وهما محالان على العالم بالذات قيل ويجوز ان يكون سؤاله دخلا على احاطة قدرة الله تعالى بالاشياء كلها وتخصيصه كلها بالصور والخواص المختلفة بان ذلك يستدعي علمه بتفاصيلها وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرة عددهم وتمادي مددهم وتباعد اطرافهم كيف احاط علمه بهم وباجزائهم واحوالهم فيكون معنى الجواب ان علمه تعالى محيط بذلك كله وانه ثبت عنده لا يضل ولا ينسى ويرد عليه انه يأباه تخصيص القرون الاولى من بين الكائنات فانه لو اخذها بجملتها لكان اظهر واقوى في تمشية ما اراده الذي جعل لكم الارض مرفوع صفة ربي او خبر مبتدا محذوف او منصوب وهو افصح مهدا اي كالمهد وتمهيد كالفراش لما يفرش او جمع مهد وسلك لكم فيها سبلا سلك من السلك بمعنى الادخال اي حصل لكم سبلا بين الجبال والاودية والبراري تسلكونها لحوائجكم وتعليلكم في البلاد لتبلغوا منافعها وانما اعيد لكم لان معناه فيما تقدم لانتفاعكم ومعناها هاهنا لاجلكم فان غير الانسان لا يشاركه في الانتفاع بالطريق بخلاف الانتفاع بتمهيد الارض الا ان المقصود الاصلي انتفاع الانسان فلذلك خص بالذكر وانزل من السماء ماء مطرا انتهى

فما بال القرون الاولى اي فما حال الامم الخالية والرمم البالية سأله عن حال من تقدم من القرون وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد قال موسى مجيبا علمها عند ربي مبتدا وخبر في كتاب اي اللوح خبر ثان اي هذا السؤال عن الغيب وقد استأثر الله تعالى به لا يعلمه الا هو وما انا الا عبد لا اعلم منه الا ما اخبرني به علام الغيوب وعلم احوال القرون مكتوب عند الله تعالى في اللوح المحفوظ لا يضل ربي لا يخطئ شيئا ولا ينسى ثوابهم وعقابهم وقيل لا ينسى ما علم وقيل لا ينسى ما علم فيذكره الكتاب ولكن ليعلم الملائكة ان معمول الخلق يوافق معلومه الذي مرفوع صفة لربي او خبر مبتدا محذوف او منصوب على المدح جعل لكم الارض مهدا ما ينبسط ويفترش وسلك اي حصل لكم فيها سبلا طرقا وانزل من السماء ماء مطرا انتهى

قال فما بال القرون الاولى لما شاهد اللعين ما نظمه عليه السلام في سلك الاستدلال من البرهان النير على الطراز الرائع خاف ان يظهر للناس حقية مقالاته عليه السلام وبطلان خرافات نفسه ظهورا بينا اراد ان يصرفه عليه السلام عن سننه الى ما لا يعنيه من الامور التي لا تعلق لها بالرسالة من الحكايات ويشغله عما هو بصدده عسى يظهر فيه نوع غفلة فيتسلق بذلك الى ان يدعي بين يدي قومه نوع معرفة فقال ما حال القرون الماضية والامم الخالية وماذا جرى عليهم من الحوادث المفصلة فاجاب عليه السلام بان العلم باحوالهم مفصلة مما لا ملابسة له بمنصب الرسالة وانما علمها عند الله عز وجل و اما ما قيل من انه سأله عن حال من خلا من القرون وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد فاباه قوله قال علمها عند ربي فان معناه انه من الغيوب التي لا يعلمها الا الله تعالى وانما انا عبد لا اعلم منها الا ما علمنيه من الامور المتعلقة بما ارسلت به ولو كان المسؤول عنه ما ذكر من الشقاوة والسعادة لاجيب ببيان ان من اتبع الهدى منهم فقد سلم ومن تولى فقد عذب حسبما نطق به قوله والسلام الآيتين في كتاب اي مثبت في اللوح المحفوظ بتفاصيله ويجوز ان يكون ذلك تمثيلا لتمكنه وتقرره في علم الله عز وجل بما استحفظ العالم وقيده بالكتبة كما يلوح به قوله لا يضل ربي ولا ينسى اي لا يخطئ ابتداء ولا يذهب عليه بقاء بل هو ثابت ابدا فانهما محالان عليه سبحانه وهو على الاول لبيان ان اثباته في اللوح ليس لحاجته تعالى اليه في العلم به ابتداء وبقاء واظهار ربي في موقع الاضمار للتلذذ بذكره ولزيادة التقرير والاشعار بعلة الحكم فان الربوبية مما يقتضي عدم الضلال والنسيان حتما ولقد اجاب عليه السلام عن السؤال بجواب عبقري بديع حيث كشف عن حقيقة الحق حجابا مع انه لم يخرج عما كان بصدده من بيان شؤونه تعالى ثم تخلص اليه حيث قال بطريق الحكاية عن الله تعالى لما سيأتي من الالتفات

الذي جعل لكم الارض مهدا

٩

الذي جعل لكم الارض مهدا على ان الموصول امام رفع على المدح او منصوب عليه او خبر مبتدا محذوف اي جعلها لكم كالمهد يتمهدونها او ذات مهد وهو مصدر سمي به المفعول وقرئ مهادا وهو اسم لما يمهد كالفراش او جمع مهد اي جعل موضع منها مهدا لكل واحد منكم وسلك لكم فيها سبلا اي حصل لكم طرقا ووسطها بين الجبال والاودية والبراري تسلكونها من قطر الى قطر لتقضوا منها مآربكم وتنتفعوا بمنافعها ومرافقها وانزل من السماء ماء هو المطر انتهى ابو السعود

ثم سأل فرعون موسى عليه السلام عن حال من مات من القرون الماضية بان قال فما بال القرون الاولى اي الامم الماضية مثل قوم نوح عليه السلام وعاد وثمود وهم كانوا عبدة الاوثان وجحدة البعث فاجاب بان هذا سؤال عن الغيب ولا يعلم الغيب الا الله تعالى وذكر قوله قال علمها اي علم احوال القرون عند ربي في كتاب اي فهو مكتوب عنده في اللوح المحفوظ لا يضل ربي عن شيء اي لا يخطئ ولا يغيب عنه ولا ينسى شيئا مما كان او ما سيكون وعبيده فيجازيهم باعمالهم وقيل انما رد موسى عليه السلام علم ذلك الى الله تعالى لانه لم يعلم ذلك قبل نزول التورية ونزولها بعد هلاك فرعون وقومه ثم قال تعالى لبشرى مكة الرب الذي ذكره موسى عليه السلام لفرعون الذي جعل لكم الارض مهدا اي ذات مهد لكم ولمصالحكم كالمهد للصبي ويجوز ان يكون الذي صفة ربي فيكون الوصف تعريفا لفرعون وقومه يعني ربي الذي جعل لكم الارض قرارا اي موضع القرار والسكون وقرئ مهادا اي فراشا وسلك اي والذي سهل لكم فيها سبلا اي طرقا لتسلكوها وانزل اي والذي انزل من السماء ماء اي مطرا انتهى العيون

منا خلقناكم اي في ضمن خلق ابيكم ادم عليه السلام منها فان كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام اذ لم يكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه عليه السلام بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان اثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام منها خلقا للكل منها وقيل المعنى خلقنا ابدانكم من النطفة المتولدة من الاغذية المتولدة من الارض بوسائط وقيل ان الملك الموكل بالرحم ليأخذ من تربة المكان الذي يدفن فيه المولود فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة وفيها نعيدكم بالاماتة وتفريق الاجزاء وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة على الاستقرار المديد فيها ومنها نخرجكم تارة اخرى بتأليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الهيئة السابقة ورد الارواح اليها وكون هذا الاخراج تارة اخرى باعتبار ان خلقهم من الارض اخراج لهم منها وان لم يكن على نهج التارة الثانية والتارة في الاصل اسم للتور الواحد وهو الجريان ثم اطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات المتجددة كما مر في المرة انتهى ابو السعود

فاخرجنا به فيه التفات من الغيبة الى الخطاب للايذان بانه مطاع يفعل ما يشاء لا احد ينازعه في فعله وحكمه اي نحن انبتنا بالمطر ازواجا اي اصنافا من نبات شتى اي مختلفة جمع شتيت والنبات تعم الواحد والجمع ولذا قال شتى واختلاف النبات بالطعم والنفع واللون والرائحة والشكل بعضها يصلح للانسان وبعضها يصلح لغيره من البهائم كلوا وارعوا انعامكم اي قائلين كلوا حال من ضمير اخرجنا والمعنى اخرجنا اصنافا من النبات اذنين في الانتفاع بها مبيحين ان تاكلوا بعضها وتعلفوا بعضها ان في ذلك اي فيما ذكر من النبات لآيات اي لعبرات لاولي النهى اي لذوي العقول من الناس جمع نهية لانها تنهى صاحبها عن القبيح منها اي من الارض خلقناكم اي اصلكم وهو ادم عليه السلام وانتم منه وفيها نعيدكم اي بعد موتكم بالدفن فيها ومنها نخرجكم اي نحييكم عند البعث تارة اخرى اي كما بدأ خلقكم واحياكم من التراب انتهى القيوه

فقلب حكمته تنبيه على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة ٨

فاخرجنا به بالماء نقل الكلام من الغيبة الى لفظ المتكلم المطاع للافتنان وقيل تم كلام موسى ثم اخبر الله تعالى عن نفسه بقوله فاخرجنا به وقيل هذا كلام موسى اي فاخرجنا نحن بالحراثة والغرس ازواجا اصنافا من نبات هو مصدر سمي به النابت فاستوى فيه الواحد والجمع شتى صفة للازواج او للنبات جمع شتيت كمريض ومرضى اي انها مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل بعضها للناس وبعضها للبهائم ومن نعمته تعالى ان ارزاقنا تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله تعالى علفها مما يفضل عن حاجاتنا مما لا نقدر على اكله قائلين كلوا وارعوا انعامكم حال من الضمير في اخرجنا والمعنى اخرجنا اصناف النبات اذنين في الانتفاع بها مبيحين ان تاكلوا بعضها وتعلفوا بعضها ان في ذلك فيما ذكرت لآيات لدلالات لاولي النهى لذوي العقول واحدها نهية لانها تنهى عن المحظور او ينتهي اليه في الامور منها من الارض خلقناكم اي اباكم ادم وفيها نعيدكم اذا متم ودفنتم ومنها نخرجكم عند البعث تارة اخرى مرة اخرى والمراد باخراجهم انه يؤلف اجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا احياء ويخرجهم الى المحشر انتهى [illegible]

فاخرجنا به انزال الله تعالى واخراجه عبارتان عن ارادته النزول والخروج لاستحالة مزاولة العمل في شانه تعالى فالفاء للتعقيب فان ثانية الارادتين لا يتراخى عن الاولى وان تراخى ثاني المرادين عن الاول فتامل والعدول عن لفظ الغيبة الى صيغة المتكلم على الحكاية لكلام الله تعالى للتنبيه على انه مطاع تنقاد الاشياء الامره وتذعن لمشيئته وحكمه لا يمتنع عليه شيء ويبتني التكلم على الحكاية على ظهور اختصاص القدرة على ذلك بالله تعالى ازواجا اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض من نبات بيانه وصفة لازواجا وكذلك شتى صفة للازواج ويجوز ان يكون صفة للنبات لانه في الاصل مصدر فاستوى فيه الواحد والجمع يقال شتت الامر شتا وشتاتا وهو شتيت وشت وهم اشتات وشتى فالشتات جمع شت وشتى جمع شتيت ذكره المرزوقي اي متفرقات في الصور والاعراض بالاختلاف في الطعم والشكل واللون والنفع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم ولذلك قال كلوا وارعوا انعامكم ومن حكمته ونعمته على العباد ان ما يفضل من ارزاقهم ولا يصلح لهم يكون علفا لانعامهم وصيغة الامر للاباحة وهو حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اي اخرجنا اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا والمعنى اذنين في الانتفاع بها بان تاكلوا بعضها وتعلفوا انعامكم بعضها ان في ذلك في الذي ذكر لآيات ولدلالات لاولي النهى لذوي العقول واحدها نهية وهو العقل لانه ينهى عن المحظور

او ينتهي اليه في الامور منها من الارض خلقناكم فانها اصل خلقه اول ابائكم ادم ومن الاغذية المتولدة من الارض خلقناكم وفيها نعيدكم بالموت وتفتيت الاجزاء ومنها نخرجكم بالبعث وجمع الاجزاء على الصورة السابقة تارة اخرى مرة اخرى انتهى

ولم يتعلق ورد الارواح لانها ليست مما يخرج من الارض

فاخرجنا به اي بذلك الماء وهو عطف على انزل داخل تحت الحكاية وانما التفت الى التكلم للتنبيه على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة والايذان بانه لا يتاتى الا من قادر مطاع عظيم الشان تنقاد لامره وتذعن لمشيئته الاشياء المختلفة كما في قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها وقوله امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة خلا ان ما قبل الالتفات هناك صريح كلامه تعالى واما هاهنا فحكاية عنه تعالى وجعل قوله تعالى فاخرجنا به هو المحكي مع كونه ما قبله كلام عليه السلام خلاف الظاهر مع انه يفوت حينئذ الالتفات لعدم اتحاد المتكلم ازواجا اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض من نبات بيان او صفة لازواجا اي كائنة من نبات وكذا قوله تعالى شتى اي متفرقة جمع شتيت ويجوز ان يكون صفة لنبات لما انه في الاصل مصدر يستوي فيه الواحد والجمع يعني انها شتى مختلفة في الطعم والرائحة والشكل والنفع بعضها صالح للناس على اختلاف وجوه الصلاح وبعضها للبهائم فان من تمام نعمته تعالى ان ارزاق عباده لما كان تحصيلها بعمل الانعام جعل علفها مما يفضل عن حاجاتهم ولا يليق بكونه طعاما لهم قوله تعالى كلوا وارعوا انعامكم حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اي اخرجنا منها اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا انعامكم اي معديها لانتفاعكم بالذات وبالواسطة اذنين في ذلك ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من شئونه تعالى وافعاله وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته في الكمال والتنكير في قوله تعالى لآيات للتفخيم كما وكيفا اي لآيات كثيرة جليلة واضحة الدلالة على شئون الله تعالى في ذاته وصفاته وافعاله وعلى صحة نبوة موسى وهرون عليهما السلام لاولي النهى جمع نهية سمي بها العقل لنهيه عن اتباع الباطل وارتكاب القبيح كما سمي بالعقل والحجر لعقله وحجره عن ذلك اي لذوي العقول الناهية عن الاباطيل التي من جملتها ما يدعيه الطاغية ويقبله منه فئته الباغية وتخصيص كونها ايات بهم مع انها ايات للعالمين باعتبار انهم المنتفعون بها

منها خلقناكم

ارائينا فرعون

ولقد أريناه بصّرناه أو عرّفناه آياتنا كلها تأكيد لشمول الأنواع المعهودة المعلومة من بعض الآيات النازلة سابقا والتعريف بالإضافة يجري مجرى التعريف بلام العهد فيبقى على تسع الآيات المختصة بموسى عليه السلام العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل ويرد عليه أن الحجر ونتق الجبل من الآيات التي جاء بها موسى عليه السلام لبني إسرائيل بعد هلاك فرعون ثم إن فلق البحر ليس مما كذب فرعون بعده فكذب وأبى كذبها جميعا لفرط عناده وأبى الإيمان والطاعة لعتوه أو أبى أن يقبل شيئا منها قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا مصر بسحرك يا موسى تعلل من فرط الدهش والحيرة بالسحر وإن كيف يخفى عليه أن ساحرا لا يقدر على إخراج ذي سلطان مثله من أرضه وذكر علة المجيء وهي إخراجهم وإلقاؤها في مسامع قومه ليصيروا متعصبين له إذ الإخراج من الوطن مما يشق فلنأتينك جواب لقسم محذوف بسحر مثله مثل سحرك أورد ذلك على سبيل الشبهة الطاعنة في النبوة فإن المعجزة إنما تتميز عن السحر بكونه مما يتعذر معارضته دون السحر فادعى القدرة على إتيان مثله وعدّه فاجعل بيننا وبينك موعدا هو مصدر بمعنى الوعد لأن الإخلاف لا يلائم الزمان ولا المكان ويؤيده قراءة الحسن بنصب يوم الزينة أي إنجاز وعدكم يوم الزينة لا نخلفه بالرفع على الوصف للوعد وبالجزم على جواب الأمر نحن ولا أنت معطوف على الضمير المستكن في نخلفه المؤكد بنحن ويجوز أن يكون الموعد اسم مكان ويرجع الضمير في نخلفه إلى ما تضمنه من معنى الوعد وعلى التقديرين إنما يطابق المكان الجواب السؤال معنى لا لفظا لأنه أخبر عن الموعد بيوم الزينة فلا يطابق المكان والمقصود تعيين يوم الزينة لا تعرف فيه مكان معين مشهور بين الناس يجتمعون فيه للتقييد وهو زمان يستلزم للمكان المعلوم بذكره والتعيين وعدكم يوم الزينة مكانا منصوب بفعل دل عليه موعدا لا به لأنه مصدر موصوف لأن في الظرف الاتساع فيكفي في العمل رائحة الفعل وإن كانت ضعيفة بل لأنه يلزم الفصل بينه وبين معموله بالوصف وهو غير سائغ لأن المنصوب بالمصدر من تتمته ولا يوصف الشيء إلا بعد تمامه هذا على قراءة الرفع وأما على قراءة الجزم فلا مانع عن النصب بموعدا ويجوز أن يكون بدلا من موعدا على تقدير مضاف إليه أي مكان موعد مكانا وعلى هذا التقدير أيضا يكون المطابقة معنى سوى منصفا يستوي فيه المسافة إلينا وإليك وهو في النعت كقولهم قوم عدى في الشذوذ فكان كوصف الموصول قبل تمام صلته ذكره ابن الحاجب في الأمالي منه وقرئ بالضم انتهى

ولقد أريناه أي فرعون آياتنا كلها وهي تسع آيات العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل فكذب الآيات وأبى قبول الحق قال فرعون أجئتنا لتخرجنا من أرضنا مصر بسحرك يا موسى فيه دليل على أنه خاف منه خوفا شديدا وقوله بسحرك تعلل وإلا فأي ساحر يقدر أن يخرج ملكا من أرضه فلنأتينك بسحر مثله فلنعارضنك بسحر مثل سحرك فاجعل بيننا وبينك موعدا مصدر بمعنى الوعد أي مكانه لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا هو بدل من المكان المحذوف ويجوز أن لا يقدر مضافا أي اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه وانتصب مكانا بالمصدر أو بفعل يدل عليه المصدر سوى وبالكسر حجازي وأبو عمرو وعلي هو نعت لمكانا أي منصفا بيننا وبينك وهو من الاستواء لأن المسافة من الوسط إلى الطرفين مستوية انتهى

ولقد أريناه حكاية إجمالية لما جرى بين موسى عليه السلام وبين فرعون إثر حكاية ما ذكره عليه السلام بجلائل نعمائه الداعية له إلى قبول الحق والانقياد له وتصديرها بالقسم لإبراز كمال العناية بمضمونها وإسناد الإراءة إلى نون العظمة نظرا إلى الحقيقة لا إلى موسى نظرا إلى الظاهر لتهويل أمر الآيات وتفخيم شأنها وإظهار كمال شناعة اللعين وتماديه في المكابرة والعناد أي وبالله لقد بصّرنا فرعون أو عرّفناه آياتنا حين قال لموسى عليه السلام إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين وصيغة الجمع مع كونهما اثنتين باعتبار ما في تضاعيفهما من بدائع الأمور التي كل منها آية بينة لقوم يعقلون حسبما بيّن في تفسير قوله تعالى اذهب أنت وأخوك بآياتي وقد ظهر عند فرعون أمور أخر كل واحد منها داهية دهياء فإنه روي أنه عليه السلام لما ألقاها انقلبت ثعبانا أشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الأسفل على الأرض والأعلى على سور القصر فتوجه نحو فرعون فهرب وأحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون ألفا من قومه فصاح فرعون يا موسى أنشدك بالذي أرسلك إلا أخذته فأخذه فعاد عصا وروي أنها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون أنشدك ونزع يده من جيبه فإذا هي بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن حدود العادات قد غلب شعاعه شعاع الشمس يجتمع عليه النظارة تعجبا من أمره ففي تضاعيف كل من الآيتين آيات جمة لكنها لما كانت غير مذكورة صراحة أكدت بقوله كلها كأنه قيل أريناه آياتنا بجميع مستتبعاتها وتفاصيلها قصدا إلى بيان أنه لم يبق له في ذلك عذر ما ولا مساغ لعدّ بقية الآيات التسع منها لما أنها إنما ظهرت على يده عليه السلام بعدما غلب السحرة على مهل في نحو من عشرين سنة كما مر في سورة الأعراف ولا ريب في أن أمر السحرة مترتب على ما وقع هاهنا بعده وأبعد من ذلك أن يعدّ منها ما جعل لإهلاكهم لا لإرشادهم إلى الإيمان من فلق البحر وما ظهر بعد مهلكه من الآيات الظاهرة لبني إسرائيل من نتق الجبل والحجر سواء أريد به الحجر الذي فرّ بثوبه أو الذي انفجرت منه العيون وكذا أن يعدّ منها الآيات الظاهرة على الأنبياء عليهم السلام بناء على أن حكايته عليه السلام إياها لفرعون في حكم إظهارها بين يديه وإراءته إياها لاستحالة الكذب عليه السلام فإن حكايته عليه السلام إياها لفرعون مما لم يجر ذكره هاهنا على أن ما سيأتي من حمل ما أظهره عليه السلام على السحر والتصدي للمعارضة بالمثل يأباه إباء بيّنا وينطق بأن المراد بها ما ذكرناه قطعا ولولا ذلك لجاز حمل ما فصله عليه السلام من أفعاله تعالى الدالة على اختصاصه بالربوبية وأحكامها من جملة الآيات فكذب موسى عليه السلام من غير تردد وتأخير مع ما شاهد في يده من الشواهد الناطقة بصدقه جحودا وعنادا وأبى الإيمان والطاعة لعتوه واستكباره وقيل كذب بالآيات جميعا وأبى أن يقبل شيئا منها أو أبى قبول الحق وقوله تعالى قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى استئناف مبين لكيفية تكذيبه وإبائه والهمزة لإنكار الواقع واستقباحه وادعاء أنه أمر محال والمجيء إما على حقيقته أو بمعنى الإقبال على الأمر والتصدي له أي أجئتنا من مكانك الذي كنت فيه بعدما غبت عنا أو أقبلت علينا لتخرجنا من مصر بما أظهرته من السحر فإن ذلك مما لا يصدر عن العاقل لكونه من باب محاولة المحال وإنما قاله لحمل قومه على غاية المقت لموسى عليه السلام بإبراز أن مراده عليه السلام ليس مجرد إنجاء بني إسرائيل من أيديهم بل إخراج القبط من وطنهم وحيازة أموالهم وأملاكهم بالكلية حتى لا يتوجه إلى اتباعه أحد ويبالغوا في المدافعة والمخاصمة وسمى ما أظهره عليه السلام من المعجزة الباهرة سحرا لتجسيرهم على المقابلة ثم ادعى أنه يعارضه بمثل ما أتى به عليه السلام فقال فلنأتينك بسحر مثله الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها واللام جواب قسم محذوف كأنه قيل إذا كان كذلك فوالله لنأتينك بسحر مثل سحرك فاجعل بيننا وبينك موعدا أي وعدا كما ينبئ عنه وصفه بقوله تعالى لا نخلفه فإن المناسب لا المكان والزمان أي لا نخلف ذلك الوعد نحن ولا أنت وإنما فوض اللعين أمر الوعد إلى موسى عليه السلام للاحتراز عن نسبته إلى ضعف القلب وضيق المجال وإظهار الجلادة وإراءة أنه متمكن من تهيئة أسباب المعارضة وترتيب آلات المغالبة طال الأمد أم قصر كما أن تقديم ضميره على ضمير موسى عليه السلام وتوسيط كلمة النفي بينهما للإيذان بمسارعته إلى عدم الإخلاف وأن عدم إخلافه لا يوجب عدم إخلافه عليه السلام ولذلك أكد النفي بتكرير حرفه وانتصاب مكانا سوى بفعل يدل عليه المصدر لا به فإنه موصوف أو بأنه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف إليه فحينئذ يكون مطابقة الجواب في قوله تعالى قال موعدكم يوم الزينة الخ

أبو السعود

ولقد أريناه آياتنا أي أرينا كلها أي أرينا فرعون آياتنا التسع كلها فكذب بها وأبى من الإسلام قال فرعون مع أتباعه أجئتنا لتخرجنا عن أرضنا أرض مصر بسحرك يا موسى فلنأتينك بسحر مثله أي بأنه فلا يغلب علينا فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه لإظهار السحر أي اجعل بيننا وبينك مكان موعد وهو مصدر لا نتخلف عن الحضور فيه نحن ولا أنت مكانا سوى أي مكانا يستوي طرفاه على الفريقين من حيث الكون ومكانا بدل من مكان المضاف إلى الموعد تقديرا وسوى بضم السين وكسرها صفة لمكانا يستوي مسافته علينا وعليكم انتهى العيون

وانتصاب مكانا سوى بفعل يدل عليه المصدر لا به فانه موصوف او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه فحينئذ يكون مطابقة الجواب في قوله تعالى قال موعدكم يوم الزينة من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه يومئذ او باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول او وعدكم وعد يوم الزينة • وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر في ان المراد به المصدر • ومعنى سوى منتصفا يستوي مسافته الينا واليك • وهو في النعت كقولهم قوم عدى في الشذوذ • وقرئ بكسر السين قيل يوم الزينة يوم عاشوراء • او يوم النيروز • او يوم عيد كان لهم في كل عام • وانما عينه عليه السلام بالتعيين لاظهار كمال قوته وكونه على ثقة من امره وعدم مبالاته بهم لما ان في ذلك اليوم وقت ظهور غاية شوكتهم وليكون ظهور الحق وزهوق الباطل في يوم مشهود على رؤوس الاشهاد ويشيع ذلك فيما بين كل حاضر وباد وان يحشر الناس ضحى عطف على يوم او الزينة • وقرئ على البناء للفاعل بالتاء على خطاب فرعون • وبالياء على ان الضمير له على سنن الملوك او لليوم فتولى فرعون اي انصرف عن المجلس فجمع كيده اي ما يكاد به من السحرة وادواتهم ثم اتى اي الموعد ومعه ما جمعه من كيده • وفي كلمة التراخي ايماء الى انه لم يسارع اليه بل اتاه بعد لأي وتلعثم وقوله تعالى قال لهم موسى بطريق الاستئناف المبني على السؤال يقضي بان المترقب من احواله عليه السلام والمحتاج الى السؤال والبيان ليس الا ما صدر عنه عليه السلام من الكلام • واما اتيانه اولا فامر محقق غني عن التصريح به كانه قيل فماذا صنع موسى عليه السلام عند اتيان فرعون بمن جمعه من السحرة فقيل قال لهم بطريق النصيحة ويلكم لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا اياته التي ستظهر على يدي سحرا كما فعل فرعون فيسحتكم اي يستأصلكم بسببه بعذاب هائل لا يقادر قدره • وقرئ فيسحتكم من الثلاثي على لغة اهل الحجاز والاسحات لغة بني تميم ونجد وقد خاب من افترى اي على الله كائنا من كان باي وجه كان فيدخل فيه الافتراء المنهي عنه دخولا اوليا • او وقد خاب فرعون المفتري فلا تكونوا مثله في الخيبة والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها فتنازعوا اي السحرة حين سمعوا كلامه عليه السلام كان ذلك غاظهم فتنازعوا امرهم الذي اريد منهم من مغالبته عليه السلام وتشاوروا وتناظروا بينهم في كيفية المعارضة وتجاذبوا اهداب القول في ذلك واسروا النجوى اي من موسى عليه السلام لئلا يقف عليه فيدافعه وكان نجواهم ما نطق به قوله تعالى قالوا اي بطريق التناجي والاسرار ان هذان لساحران الى اخره فانه تفسير له ونتيجة لتنازعهم وخلاصة ما استقرت عليه اراؤهم بعد التناظر والتشاور • وان مخففة من ان قد اهملت عن العمل واللام فارقة • وقرئ بتشديد نون هذان • وقيل هي نافية واللام بمعنى الا اي ما هذان الا ساحران • وقرئ ان بالتشديد وهذان اسمها على لغة بلحارث بن كعب فانهم يعربون التثنية تقديرا • وقيل اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان لساحران خبرها • وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها جملة من مبتدا وخبر • وفيهما ان اللام لا تدخل خبر المبتدا • وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير • وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف • وقرئ ان هذين لساحران وهي قراءة واضحة

قال موسى عليه السلام موعدكم يوم الزينة فاجاب بالزمان لان الحضور في الزمان يتضمن المكان وكان الزمان اعم من المكان ويوم الزينة عيد لهم كانوا يتزينون ويجتمعون فيه كل سنة • وقيل يوم النيروز وان يحشر الناس ضحى اي ضحوة ليكون ابعد من الريبة وهو عطف على الزينة فتولى فرعون اي رجع الى اهله فجمع كيده اي سحرته مع كل واحد حبل وعصا وكانوا اثنين وسبعين في رواية ثم اتى اي الموعد مع اتباعه قال لهم موسى ويلكم اي الزمكم الله تعالى ويلا يعني عذابا لا تفتروا على الله اي لا تختلقوا عليه كذبا فيسحتكم بالنصب جواب النهي اي لا تكذبوا عليه فيهلككم بعذاب عظيم يسحت واسحت بمعنى عدم • وقرئ بضم الياء وكسر الحاء وبفتحهما وقد خاب من افترى اي قد خسر من اختلق الكذب فتنازعوا امرهم بينهم اي اختلفوا فيما بينهم سرا من فرعون وهم السحرة قالوا ان كان موسى ساحرا سنغلبه وان كان نبيا وما يأتي به سماويا فله امره وعلينا اتباعه واسروا النجوى اي المناجاة يعني اخفوا نجويهم التي كانوا يتناجون خوفا من فرعون قالوا اي السحرة ان هذان لساحران اي موسى وهرون • وقيل كانت نجويهم في تلفيق هذا الكلام وتزويره بعد علمهم انهما على الحق خوفا من غلبتهما وتثبيطا للناس عن اتباعهما • قرئ ان بالتخفيف فهي اما مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية • واللام بمعنى الا • وقرئ ان بالتشديد فان بمعنى نعم وساحران خبر مبتدا محذوف اي لهما ساحران ليكون اللام داخلة على الجملة • وجه هذان بتشديد النون مع سكون ان

انتهى العيون

قال موعدكم يوم الزينة وهو يوم عيد لهم او يوم النيروز او يوم عاشوراء • وانما استقام الجواب بالزمان وان كان السؤال عن المكان على الاول لان اجتماعهم يوم الزينة يكون في مكان لا محالة فبذكر الزمان علم المكان • وعلى الثاني تقديره وعدكم وعد يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى وقت الضحوة ليكون ابعد عن الريبة وابين لكشف الحق وليشيع في جميع اهل الوبر والمدر فتولى فرعون ادبر عن موسى معرضا فجمع كيده مكره وسحرته وكانوا اثنين وسبعين او اربعمائة او سبعين الفا ثم اتى للوعد قال لهم موسى اي للسحرة ويلكم لا تفتروا على الله كذبا لا تدعوا اياته ومعجزاته سحرا فيسحتكم يهلككم وقرئ بفتح الياء والحاء. والسحت والاسحات بمعنى الاهلاك • وانتصب على جواب النهي بعذاب عظيم وقد خاب من افترى من كذب على الله فتنازعوا اختلف السحرة قال بعضهم هو ساحر وقال بعضهم ليس هذا بكلام السحرة امرهم بينهم واسروا النجوى اي تشاوروا في السر وقالوا ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله امر • والنجوى يكون مصدرا او اسما ثم لفقوا هذا الكلام يعني قالوا ان هذان لساحران يعني موسى وهرون • قرا ابو عمرو ان هذين لساحران • وهو ظاهر ولكنه يخالف للامام • وابن كثير وحفص والخليل وهو اعرف بالنحو واللغة ان هذان لساحران بتخفيف ان مثل ان زيدا لمنطلق وان هي المخففة من الثقيلة واللام فارقة • وقيل هي بمعنى ما واللام بمعنى الا اي ما هذان الا ساحران وغيرهم ان هذان لساحران هي لغة بلحارث بن كعب وغيرهم فالتثنية في لغتهم بالالف ابدا فلم يقلبوها ياء بالجر والنصب قال ان اباها وابا اباها قد بلغا في المجد غايتاها • انتهى المدارك

قال موعدكم يوم الزينة كان لهم في كل عام يوم كانوا يتزينون فيه ويتخذون فيه سوقا • وانما وعدهم ذلك اليوم ليكون ظهور الحق وزهوق الباطل على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك في الاقطار فيتوفر الرغبات في دين الحق ويكل حد الباطل وان يحشر الناس اي يجمع قرئ على بناء الفاعل بالتاء على خطاب فرعون وبالياء والضمير لليوم او لفرعون والغيبة للعادة التي تخاطب بها الملوك او خاطب القوم في قوله موعدكم وجعل يحشر لفرعون ومحله الرفع عطفا على يوم او الجر عطفا على الزينة ضحى اخر الى ذلك الوقت ليكون ابعد فتولى فرعون فاعرض عن موسى عليه السلام على هذا الوعد فجمع كيده ما يكاد به يعني السحرة والالات ثم اتى الموعد اخر عن اتيانه مصدرا باداة التراخي وترك الاخبار عن اتيان موسى عليه السلام اشعارا بانه لا حاجة في اتيانه عليه السلام الى الاخبار لانه على قوة وغلبة انما مظنة المساهلة والتراخي في جانب فرعون لانه على ضعف قلب وفتور عزم قال لهم موسى ويلكم ويل كلمة يقال لمن يستحق الهلكة لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا اياته سحرا فيسحتكم بعذاب منصوب باضمار ان وهو جواب للنهي • وقرئ بكسر الحاء وضم الياء وبفتحهما والسحت لغة اهل الحجاز والاسحات لغة اهل نجد وبني تميم يقال سحته الله واسحته اذا استاصله واهلكه • وفيه دلالة على عظم الافتراء وانه يترتب عليه عذاب الاستيصال وقد خاب من افترى الخيبة انقطاع الرجاء بالامتناع على الطالب كما امل والافتراء اقتطاع الخبر الباطل بادخاله في جملة الحق واصله القطع من فراه يفريه فريا فتنازعوا امرهم بينهم التنازع مجادلة كل واحد من المختلفين نزع المعنى عن صاحبه وامرهم مفعول تنازعوا فتعدى بمفعول واحد ولو حذفت التاء لتعدى الى اثنين تقول نازعت زيدا الحديث اي اختلفوا فيما بينهم اي السحرة وقيل فرعون وقومه في امر موسى عليه السلام • تنازعوا حين سمعوا كلامه فقال بعضهم ليس هذا من كلام السحرة واسروا النجوى اي تشاوروا في السر خيفة من فرعون ان يتبين فيهم ضعفا • وقالوا ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله امر • والنجوى يكون مصدرا واسما ثم لفقوا هذا القول اعني قالوا ان هذان لساحران يعني موسى وهارون عليهما السلام كانهم تشاوروا في تلفيقه حذرا ان يغلبا فيتبعهما الناس • وهذان اسم ان هذا لغة بلحارث بن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية واعربوا المثنى تقديرا وقيل اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان لساحران خبرها • وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها مبتدا وخبر • ورد بها ان اللام لا يدخل خبر المبتدا • وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير ورد عليه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف • وقرئ ان هذين وهو ظاهر ولكنه مخالف للامام • وقرئ ان هذان على انها هي المخففة واللام هي الفارقة او النافية واللام بمعنى الا • انتهى ابن كمال

يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بالاستيلاء عليها بسحرهما استئناف محاورة
بسبب تركته في آثار الدعوة ويذهبا بطريقتكم المثلى بمذهبكم الذي هو
افضل المذاهب باظهار مذهبه واعلاء دينه لقوله تعالى اني اخاف
ان يبدل دينكم او ان يظهر في الارض الفساد وقيل ارادوا اهل
طريقتكم المثلى وهم بنو اسرائيل فانهم كانوا ارباب علم فيما بينهم
فهو اشارة الى ما قال موسى عليه السلام ارسل معنا بني اسرائيل وقيل
الطريقة اسم لوجوه القوم الذين هم قدوة لغيرهم فاجمعوا بقطع
الهمزة من اجمع كيدكم فازمعوه واجعلوه مجمعا عليه لا يتخلف
عنه واحد منكم كالمسئلة المجمع عليها وقرئ فاجمعوا بهمزة الوصل
من جمع ويعضده قوله فجمع كيده ثم ائتوا صفا مصطفين لانه
اهيب في صدور الرائين قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حبل
وعصي واقبلوا عليه اقبالة واحدة وقد افلح اليوم من استعلى
اي ظفر وفاز بغيته من طلب العلو في امره وسعى سعيه اعتراض
للتحريض والترغيب حتى قال نال المطلوب من غلب اخذا بعضهم
الشين وقصر في حق التحريض قالوا بعدما اتوا يا موسى اما ان
تلقي واما ان نكون اول من ألقى قد سبق في سورة الاعراف
تغيره قال بل ألقوا مقابلة ادب بادب مع زيادة وعدم
الاكتراث الى ما مالوا اليه بالتعريض وتغيير النظم الى صيغة
الامر الموجب الى الابلاغ كلمة الافراط ليستنفذوا وسعهم و
طوقهم في ابراز مكايد السحر ودقائقه فيظهر الله تعالى قدرته
وسلطانه ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه ويسلط المعجزة
على السحر فيمحقه فكانت آية بينة للناظرين وعبرة مقنعة
للمعتبرين فاذا حبالهم وعصيهم اذا للمفاجاة وهي ظرفية ناصبة فعل المفاجاة ولا يقع بعدها الا الجملة الاسمية والمفاجاة تمثيل
لسرعة التخييل اي ففاجأ موسى عليه السلام وقت تخييل حبالهم وعصيهم السعي او تخييلهم سعي حبالهم وعصيهم او تخييل الله اياه
او تخييل السعي اليه على اختلاف القراءات يخيل اليه وقرئ تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال انها تسعى منه بدل
الاشتمال وقرئ بها وبالياء للفاعل واتباعه على انها تسعى بمعنى انها مخيلة سعيها وبالياء على ان الفاعل هو الله تعالى للابتلاء والمحنة ويتخيل
بفتح التاء بمعنى تتخيل وطريقه طريق تخيل من سحرهم انها تسعى انما من اجل سحرهم انها لما تخيل انها لم تكن تسعى حقيقة وانما تحركت
لما قيل انهم لطخوا الحبال بالزيبق وجعلوه في داخل العصي فلما حميت بالشمس طلب الزيبق الصعود فتحركت العصي والحبال فظن انها تسعى
فاوجس في نفسه الخ

يريدان ان يخرجاكم من ارضكم مصر بسحرهما ويذهبا
بطريقتكم بدينكم وشريعتكم المثلى الفضلى تانيث الامثل
بمعنى الافضل فاجمعوا فاحكموا اي اجعلوه مجمعا عليه حتى
لا تختلفوا كيدكم هو ما يكاد به ثم ائتوا صفا مصطفين
امروا بان ياتوا صفا لانه اهيب في صدور الرائين وقد افلح
اليوم من استعلى وقد فاز من غلب وهو اعتراض
قالوا اي السحرة يا موسى اما ان تلقي عصاك اولا واما ان نكون
اول من ألقى ما معنا وموضع ان مع ما بعده فهما نصب
بفعل مضمر او رفع بانه خبر مبتدأ محذوف معناه اختر
احد الامرين او الامر القاؤك او القاؤنا قال بل ألقوا
انتم اولا ليبرزوا ما معهم من مكايد السحر ويظهر الله سبحانه
سلطانه ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه ويسلط
المعجزة على السحر فتمحقه فتصير آية نيرة للناظرين وعبرة
بينة للمعتبرين فالقوا فاذا حبالهم وعصيهم يقال
في اذا هذه للمفاجاة اي ففاجأ موسى وقت تخييل سعي
حبالهم وعصيهم والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة
اليه السعي يخيل وبالتاء ابن ذكوان اليه موسى من سحرهم
انها تسعى رفع بدل اشتمال من الضمير في يخيل اي يخيل اليه
روي انهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها الشمس اهتزت
فخيلت ذلك فاوجس في نفسه خيفة موسى الاية

يريدان ان يخرجاكم من ارضكم اي ارض مصر بالاستيلاء عليها بسحرهما الذي اظهراه من قبل ويذهبا بطريقتكم المثلى اي بمذهبكم الذي
هو افضل المذاهب وامثلها باظهار مذهبهما واعلاء دينهما يريدون به ما كان عليه قوم فرعون لا طريقة السحر فانهم ما كانوا يعتقدونه دينا
وقيل ارادوا اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل لقول موسى عليه السلام ارسل معنا بني اسرائيل وكانوا ارباب علم فيما بينهم ويأباه ان اخراجهم
من ارضهم انما يكون بالاستيلاء عليها تمكنا وتصرفا فكيف يتصور حينئذ نقل بني اسرائيل الى الشام وحمل الاخراج على اخراج بني اسرائيل
منها مع بقاء قوم فرعون على حالهم مما يجب تنزيه التنزيل عن امثاله على ان هذه المقالة منهم للاغراء بالمبالغة في المغالبة والاهتمام
بالمناصبة فلا بد ان يكون الانذار والتحذير باشد المكاره واشقها عليهم ولا ريب في ان اخراج بني اسرائيل من بينهم والذهاب
بهم الى الشام وهم آمنون في ديارهم ليس فيه كثير محذور وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم لما انهم قدوة لغيرهم
ولا يخفى ان تخصيص الاذهاب بهم مما لا مزيد فيه وقوله تعالى فاجمعوا كيدكم تصريح بالمطلوب اثر تمهيد المقدمات والفاء فصيحة
اي اذا كان الامر كما ذكر من كونهما ساحرين يريدان بكم ما ذكر من الاخراج والاذهاب فازمعوا كيدكم واجعلوه مجمعا عليه بحيث لا يتخلف
عنه واحد منكم وارموا عن قوس واحدة وقرئ فاجمعوا من الجمع ويعضده قوله تعالى فجمع كيده اي فاجمعوا ادوات سحركم ورتبوها كما ينبغي
ثم ائتوا صفا

ثم ائتوا صفا اي مصطفين امروا بذلك لانه اهيب في صدور الرائين وادخل في استجلاب الرهبة من المشاهدين قيل كانوا
سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة وقيل كانوا اثنين وسبعين ساحرا اثنان من القبط والباقي
من بني اسرائيل وقيل تسعمائة ثلثمائة من الفرس وثلثمائة من الروم وثلثمائة من الاسكندرية وقيل خمسة عشر الفا وقيل بضعة
وثلثين الفا والله اعلم ولعل الموعد كان مكانا متسعا خاطبهم موسى عليه السلام بما ذكر في قطر من اقطاره وتنازعوا امرهم في
قطر آخر منه ثم امروا بان ياتوا وسطه على الوجه المذكور وقد فسر الصف بالمصلى لاجتماع الناس فيه في الاعياد والصلوات
ووجه صحته ان يكون علما لموضع معين من المكان الموعود واما ارادة مصلى من المصليات بعد تعين المكان الموعود فلا مساغ لها
قطعا وقوله تعالى وقد افلح اليوم من استعلى اعتراض تذييلي من قبلهم مؤكد لما قبله من الامر اي قد فاز بالمطلوب من غلب يريدون
بالمطلوب ما وعدهم فرعون من الاجر والتقريب حسبما نطق به قوله تعالى قال نعم وانكم لمن المقربين وبمن غلب انفسهم جميعا
بطريق التغليب او من غلب منهم حثا لهم على بذل المجهود في المغالبة هذا هو اللائق بتجاوب
اطراف النظم الكريم وقد قيل انما كانوا تناجوا حين سمعوا مقالة موسى عليه السلام ما هذا بقول ساحر وقيل كان ذلك
ان قالوا ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل كان ذلك قولهم ان هذان لساحران الخ على انهم اختلفوا فيما بينهم على الاقاويل المذكورة ثم
[illegible] رجعوا عن ذلك بعد التنازع والتناظر واستقرت آراؤهم على ذلك وابوا الا المناصبة للمعارضة واما جعل ضمير قالوا
لفرعون وملائه على انهم قالوا ذلك للسحرة ردا لهم على الاختلاف وامروهم بالاجماع والازماع واظهار الجلادة
بالاتيان على وجه الاصطفاف فمخل بجزالة النظم الكريم كما يشهد به الذوق السليم قالوا استيناف مبني على سؤال ناشئ
من حكاية ما جرى بين السحرة من المقاولة كانه قيل فماذا فعلوا بعدما قالوا فيما بينهم ما قالوا فقيل قالوا يا موسى وانما لم يتعرض
لاجماعهم واتيانهم بطريق الاصطفاف اشعارا بظهورهما وغناهما عن البيان اما ان تلقي اي ما تلقيه اولا على ان المفعول
محذوف لظهوره او تفعل الالقاء اولا على ان الفعل منزل منزلة اللازم واما ان نكون اول من ألقى ما نلقيه او اول من يفعل
الالقاء خيروه عليه السلام بما ذكر مراعاة للادب لما رأوا منه عليه السلام ما رأوا من مخائل الخير ورزانة الرأي واظهارا للجلادة
باراءة انه لا يختلف حالهم بالتقديم والتأخير وان مع ما في حيزها منصوب بفعل مضمر او مرفوع بخبرية مبتدأ محذوف
اي اختر القاءك اولا او القاءنا او الامر اما القاؤك او القاؤنا قال استيناف كما سلف ناشئ من حكاية تخيير السحرة اياه عليه السلام
كانه قيل فماذا قال عليه السلام فقيل قال بل ألقوا انتم اولا مقابلة للادب باحسن من ادبهم حيث بت القول بالقائهم اولا واظهارا لعدم
المبالاة بسحرهم ومساعدة لما اوهموا من الميل الى البدء وليبرزوا ما معهم ويستفرغوا اقصى جهدهم ويستنفذوا قصارى وسعهم
ثم يظهر الله تعالى سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه لما علم ان ما سيظهر بيده سيلقف ما يصنعون من مكايد السحر فاذا حبالهم
وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى الفاء فصيحة معربة عن مسارعتهم الى الالقاء كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فالقوا
فاذا حبالهم وهي للمفاجاة والتحقيق انها ايضا ظرفية تستدعي متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها خصت بكون متعلقها فعل المفاجاة
والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجأ موسى عليه السلام وقت ان يخيل اليه سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك انهم كانوا لطخوها بالزيبق
فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيل اليه انها تتحرك وقرئ بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال انها تسعى منه
بدل الاشتمال وقرئ يخيل باسناده اليه تعالى وقرئ تخيل بحذف احدى التائين من تتخيل فاوجس في نفسه خيفة موسى الاية انتهى ابو السعود

قوله يريدان اي موسى وهرون خبر بعد خبر ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى اي بسنتكم وطريقتكم الفضلى فالمثلى تانيث
الامثل وهو الاشرف فاجمعوا من الاجماع اي احكموا كيدكم اي مكيدكم يعني ما تكيدون به موسى او اعزموا على هلاك موسى عليه السلام وقرئ
فاجمعوا من الجمع اي جيئوا بكل كيد تقدرون عليه ثم ائتوا صفا اي مصطفين في الموعد مجتمعين ليكون اشد لهيبتكم وانظم لامركم
كانوا في سبعين صفا كل صف الف وقد افلح اليوم من استعلى قيل هذا اعتراض من قول فرعون للسحرة لترغيب في غلبة موسى عليه السلام
وقد فاز ونجا اليوم من علا بالغلبة ثم رجع فرعون السحرة مع موسى عليه السلام في الموعد قالوا اي السحرة مع تأدبهم له بالهام الله تعالى
ذلك يا موسى اما ان تلقي اي تطرح عصاك على الارض واما ان نكون اول من ألقى عصاه على الارض قال لهم موسى عليه السلام بوحيه تعالى
اليه الاختيار مع مقابلة الادب بالادب بل ألقوا ما معكم استحقارا بهم وليظهر الحق من الباطل لان الحق يدفع الباطل ويمحوه فالقى السحرة
ما معهم فاذا حبالهم اي فالقوا ما معهم فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه اي الى موسى عليه السلام من سحرهم اي يرى له ظاهرا انها تسعى
ومحله رفع بدل الاشتمال من ضمير يخيل على قراءته بالياء مذكرا رجوعا الى السحر او نائب مناب فاعل له وقرئ تخيل بتاء مضمومة مع فتح
الخاء لتانيث جماعة الحبال والعصي اي خيلت الاشياء الى موسى عليه السلام انها تسعى وتضطرب بحنة واظهارا للعجز فهي تبلغ ايضا
قيل رأى موسى عليه السلام كان الارض امتلأت حيات ميلا من كل جانب انتهى العيون

ظ

عن حدود سائر افراد الجنس مبهمة الكنه مستتبعة لاثار غريبة وعدم مراعاة هذه النكتة عند حكاية الامر في موضع آخر لا يستدعي عدم مراعاتها عند وقوع المحكي هذا وحمل الابهام على التحقير بان يراد لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الذي في يدك فانه بقدرة الله تعالى يتلقفها مع وحدته وكثرتها وصغره وعظمها يأباه ظهور حالها فيما مر من تغليب على ان ذلك المعنى انما يليق بالو فعلت العصى ما فعلت وهي على هيئتها الاصلية وقد كان منها ما كان وقوله تعالى تلقف ما صنعوا بالجزم جوابا للامر من لقفه اذا ابتلعه والتقمه بسرعة والتأنيث لكونه ما عبارة عن العصا اي تبتلع ما صنعوه من الحبال والعصى التي خيل اليك سعيها وخفقانها والتعبير عنها بما صنعوا للتحقير والايذان بالتمويه والتزوير وقرئ تلقف بتشديد القاف واسقاط احدى التائين من تتلقف وقرئ بالرفع على الحال او الاستيناف والجملة الامرية معطوفة على النهي متممة بما في حيزها لتعليل موجبه ببيان كيفية غلبته عليه السلام وعلوه فان ابتلاع عصاه لاباطيلهم التي منها اوجس في نفسه ما اوجس مما يقلع مادته بالكلية وهذا كما ترى صريح في ان خوفه عليه السلام لم يكن مما ذكر من مخالجة الشك للناس وعدم اتباعهم له عليه السلام والا لعلل بما يزيله من الوعد بما يوجب ايمانهم واتباعهم له عليه السلام وقوله تعالى ان ما صنعوا تعليل لقوله تعالى تلقف ما صنعوا وما اما موصولة او موصوفة اي ان الذي صنعوه او ان شيئا صنعوه كيد ساحر بالرفع على انه خبر لان اي كيد جنس الساحر وتنكيره للتوسل به الى تنكير ما اضيف اليه للتحقير وقرئ بالنصب على انه مفعول صنعوا وما كافة وقرئ كيد سحر على اضافة الاضافة للبيان كما في علم فقه او على معنى ذي سحر او على تسمية الساحر سحرا مبالغة وقوله تعالى ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس حيث اتى اي حيث كان واين اقبل من تمام التعليل وعدم التعرض لشأن العصا وكونها معجزة الهية مع ما في ذلك من تقوية التعليل للايذان بظهور امرها والفاء في قوله تعالى فالقي السحرة سجدا كما قيل فصيحة معربة عن محذوف ينساق اليها النظم الكريم غنية عن التصريح بها لعدم احتمال تردد موسى عليه السلام في الامتثال بالامر واستحالة عدم وقوف اللقف الموعود اي فالقاه عليه السلام فوقع ما وقع من اللقف فالقي السحرة سجدا لما تيقنوا ان ذلك ليس من باب السحر وانما هو من آيات الله تعالى روي ان رئيسهم قال كنا نغلب الناس وكانت الآلات تبقى علينا فلو كان هذا سحرا فاين ما القيناه من الآلات فاستدل بتغير احوال الاجسام على الصانع القادر العالم وظهور ذلك على يد موسى عليه السلام على صحة رسالته لا جرم القاهم ما شاهدوه على وجوههم وتابوا وآمنوا واتوا بما هو في غاية الخضوع قيل لم يرفعوا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار والثواب والعقاب وعن عكرمة لما خروا سجدا أراهم الله تعالى في سجودهم منازلهم في الجنة ولا ينافيه قولهم انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا الخ لان كون تلك المنازل منازلهم باعتبار صدور هذا القول عنهم قالوا استيناف كما مر غير مرة آمنا برب هرون وموسى تأخير موسى عند حكاية كلامهم ايضا هكذا اما لكبر سن هرون عليه السلام واما للمبالغة في الاحتراز عن التوهم الباطل من جهة فرعون وقومه حيث كان فرعون ربى موسى عليه السلام في صغره فلو قدموا موسى عليه السلام لربما توهم اللعين وقومه من اول الامر ان مرادهم فرعون انتهى ابو السعود

فاوجس اي اضمر في نفسه خيفة موسى اي ظنا منه انها تقصده كعادة البشر لدلالة قوله في نفسه لانه من خطرات النفس لا من القلب فموسى فاعل اوجس وخيفة مفعوله قيل خيفة تفرق الناس بعد مشاهدة الحيات وقيل انه يؤمر بالقاء العصا فيضلوا ولا يثبت معجزة قلنا مقول قول مقدر اي قال الله تعالى قلنا لموسى عليه السلام لا تخف انك اي لانك انت الاعلى اي الغالب القاهر لهم والق ما في يمينك تلقف بالجزم جواب الامر مشددا ومخففا وقرئ بالرفع والتخفيف حالا مقدرة من ما او من موسى لانه سبب التلقف اي تلتقم ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر بالتنكير والافراد لان القصد فيه معنى الجنسية لا العدد وبالالف اي عمله ومكره وبغير الالف يعني كيد سحر الساحر باضافة الجنس الى النوع تبيينا كعلم فقه وما في انما موصولة بمعنى الذي صنعوه كيد سحر الساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى من الارض وعمل السحر فالقى موسى عصاه فوقع الحق وبطل عملهم فالقي السحرة سجدا اي من سرعة سجودهم كانهم القوا شكرا لله تعالى على الهداية روي انهم رأوا الجنة ومنازلهم التي يصيرون اليها في سجودهم ثم رفعوا رؤسهم قالوا آمنا اي صدقنا برب هرون
انتهى العود

وروي انهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها الشمس واهتزت تخيلت ذلك فاوجس في نفسه خيفة موسى اضمر في نفسه خوفا طمنا منه انها تقصده للجبلة البشرية او خاف ان يخالج الناس شك قلنا لا تخف انك انت الاعلى الغالب القاهر وفي ذكراته وانت وحروف التعريف ولفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة مبالغة بينة والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا ما زوروا وافتعلوا اي اطرح عصاك تبتلع عصيهم وحبالهم ولم يقل عصاك تعظيما لها اي لا تحتفل بما صنعوا فان ما في يمينك اعظم منها او تحقيرا اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الفرد الذي في يمينك فانه بقدرة الله يتلقفها على وحدته وكثرتها انما صنعوا كيد ساحر وانما وحد لم يجمع لان القصد في هذا الكلام الى معنى الجنسية لا الى معنى العدد ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس حيث اتى اينما كان فالقى موسى عصاه فتلقفت ما صنعوا فلعظم ما رأوا من الآيات وقعوا الى السجود فذلك قوله تعالى فالقي السحرة سجدا من سرعة ما سجدوا كانهم القوا فما اعجب امرهم قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقائين روي انهم رأوا الجنة ومنازلهم في سجودهم فرفعوا رؤسهم ثم قالوا آمنا برب هرون وموسى قدم هرون هنا وقدم موسى في الشعراء محافظة للفاصلة ولان الواو لا توجب ترتيبا
انتهى المدارك

فاوجس الايجاس من الهاجس الذي يخطر بالبال في نفسه خيفة موسى فعرض له خوف عظيم من مفاجاة ما فاجاه على مقتضى الجبلة البشرية الا انه اخفاه اي لم يظهر اثره لا ظن ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه لان الخوف منه ليس مما يحتاط في كتمانه فلا يظهر وجه الاطناب بزيادة الاخبار قلنا لا تخف ما توهمت صيغة النهي للتشجيع وتقوية القلب لا للنهي عن الخوف المذكور لانه ليس امرا اختياريا انك انت الاعلى تعليل لما قصد بصيغة النهي وتقرير لغلبته مؤكدا بالاستيناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل ولام التعريف والاعلى لمجرد الزيادة لا بمعنى العالي لانه لم يكن للسحرة علو حتى يكون هو اعلى منهم كقول الشاعر تمنى اناس ان اموت وان امت فتلك طريق لست فيها باوحد اي بمتوحد والق عطف على محذوف دل عليه سياق الكلام تقديره ثبت في مقام الاقدام والق فالواو فصيحة ما ابهم هنا وعين في سورة الاعراف حيث قال والق عصاك ومن غفل عنه زعم ان الابهام للتحقير او للتعظيم وانما قال في يمينك ولم يقل في يدك لما في لفظ اليمين من معنى اليمن والبركة تلقف ما صنعوا اي تأخذ ما زوروه بفيها ابتلاعا واصله تتلقف فحذف احدى التائين وتاء المضارعة تحتمل التأنيث والخطاب على اسناد الفعل الى السبب وقرئ بالرفع على الحال او الاستيناف وبالجزم والتخفيف على انه من لقفته بمعنى تلقفته وتشديد القاف انما صنعوا اي الذي زوروا وافتعلوا كيد ساحر بالرفع على ان ما موصولة والنصب على انها كافة وهو مفعول صنعوا وقرئ سحر او باطلاق السحر على الساحر مبالغة او باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم علم فقه وانما وحد الساحر لان المراد به الجنس والتنكير للتحقير لا لتنكير المضاف لان المقصود من تنكيره حاصل بالاضافة ولا يفلح الساحر اي لا فلاح لهذا الجنس وقال في موضع آخر ولا يفلح الساحرون اي لا يغني جمعهم ولا يجدي كثرتهم وله ايضا وجه حيث اتى سحره فالقي السحرة اقتصر هنا على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود وقد اتى بنوع تفصيل في سورة الاعراف وتعظيما لما رأوا قال الاصفهاني من سرعة ما سجدوا كانهم القوا فما اعجب امرهم قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقائين روي انهم رأوا الجنة ومنازلهم فلما في السجود رفعوا رؤسهم ثم قالوا آمنا برب هارون وموسى قدم موسى عم في الاعراف لاصالته في الرسالة والدعوة واخره هنا لاكبر سن هارون عم لانه لا يعارض وجه تقديم موسى عم المناسب للمقام رعايته ولا لان فرعون ربى موسى عم في صغره فلو قدم لتوهم ان المراد فرعون وذكر هارون على الاستتباع لان المقام لا يتحمله كيف وقد سجدوا تعظيما لما رأوا من موسى عم وايضا تقديمه في موضع آخر صريح في انه ليس في الترتيب نكتة معنوية بل لمحافظة الفاصلة والواو لا يوجب الترتيب انتهى ابن الكمال الا الصلاح ثم نقل ذي سحر لان بيان التعدد في الساحر لغو في المقام فلا وجه لاعتباره في فصيح الكلام رحمه الله ومن غفل عنه قال ما قال وماذا بعد الحق الا من قال ولان الواو لا يوجب الترتيب لم يصب في تقويره باداة التعليل كما لا يخفى فان تقديم ما حقه التأخير لا يكون بلا نكتة الامير

فاوجس في نفسه خيفة موسى اي اضمر فيها بعض خوف من مفاجاته بمقتضى البشرية الجبولة على النفرة من الحيات والاحتراز عن ضررها المعتاد من اللسع ونحوه وقيل من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه وليس بذاك كما ستعرفه وتأخير الفاعل لمراعاة الفواصل قلنا لا تخف اي ما توهمت انك انت الاعلى تعليل لما يوجبه النهي من الانتهاء عن الخوف وتقرير لغلبته على ابلغ وجه واكده كما يعرب عنه الاستيناف وحرفا التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو المنبئ عن الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل والق ما في يمينك اي عصاك كما وقع في سورة الاعراف وانما اوثر الابهام تهويلا لامرها وتفخيما لشأنها وايذانا بانها ليست من جنس العصي المعهودة المستتبعة للآثار المعتادة بل خارجة عن حدود ظ

قال آمنتم له اي بالله لاجله ودعوته وقرئ على الاستفهام للانكار قبل ان آذن لكم في الايمان له انه لكبيركم لعظيمكم في فنكم الذي علمكم السحر وانتم تواطأتم على ما فعلتم فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف قد سبق تفسيره في سورة الاعراف ولاصلبنكم في جذوع النخل شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن المظروف في الظرف فاستعير في لتصوير الاستقرار وخص النخل لطول جذوعها والمراد تشهير العقوبة ولتعلمن اشد عذابا انا على ايمانكم برب موسى عم او هو على ترك الايمان به وقيل يريد نفسه وموسى عليه السلام لقوله آمنتم له نفاجة منه وفخر باقتداره وقهره وتوضيع واستضعاف لموسى عم واستهزاء به لم يكن من التعذيب في شيء قط قيل اللام مع الايمان في كتاب الله تعالى لغير الله تعالى والحق انها للتعليل ليست بصلة للايمان ولا دلالة في قوله تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين على ذلك اذ معناه ويصدر عنه الايمان لاجل المؤمنين وموافقتهم وروعتهم والا لقيل يؤمن بالله وللمؤمنين وابقى ادوم عذابا وعقابا قالوا لن نؤثرك لن نختارك على ما جاءنا موسى به من البينات المعجزات الواضحات والذي فطرنا عطف على ما جاءنا او قسم فاقض ما انت قاض ما انت قاضيه اي مانعه او حاكمه انتهى ابو الليث

قال آمنتم له قبل ان آذن لكم اي لموسى تعالى آمن له وآمن به بغير مد حفص وبهمزة ممدودة بصري وشامي وحجازي وبهمزتين غيرهم انه لكبيركم الذي علمكم السحر لعظيمكم او لمعلمكم يقول اهل مكة للمعلم امرني كبيري فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف القطع من خلاف ان يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لان كل واحد من العضوين يخالف الآخر ومن لابتداء الغاية لان القطع مبتداه وناشئ من مخالفة العضو العضو ومحل الجار والمجرور منصوب على الحالية اي لاقطعنها مختلفات وشبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن المظروف في الظرف وقال ولاصلبنكم في جذوع النخل وخص النخل لطول جذوعها ولتعلمن اينا اشد عذابا انا على ايمانكم به او رب موسى على ترك الايمان به وقيل يريد نفسه لعنه الله وموسى صلوات الله عليه وسلامه بدليل قوله آمنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله كقوله تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين وابقى ادوم قالوا لن نؤثرك لن نختارك على ما جاءنا من البينات القاطعة الدالة على صدق موسى والذي فطرنا عطف على ما جاءنا اي لن نختارك على الذي جاءنا ولا على الذي خلقنا او قسم وجوابه لن نؤثرك مقدم على القسم فاقض ما انت قاض فاصنع ما انت صانع من القتل والصلب وقال بعض او احكم

قال اي فرعون للسحرة آمنتم له اي لموسى عليه السلام واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع وقرئ على الاستفهام التوبيخي قبل ان آذن لكم اي من غير ان آذن لكم في الايمان له كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان اذنه لهم في ذلك واقع بعده او متوقع انه يعني موسى عليه السلام لكبيركم اي في فنكم واعلمكم به واستاذكم الذي علمكم السحر فتواطأتم على ما فعلتم او تعلمكم شيئا دون شيء فلذلك غلبكم وهذه شبهة زورها اللعين والقاها على قومه واراهم ان امر الايمان منوط باذنه فلما كان ايمانهم بغير اذنه لم يكن معتدا به وانهم من تلامذته عليه السلام فلا عبرة بما اظهره كما لا عبرة بما اظهروه وذلك لما اعتراه من الخوف من اقتداء الناس بالسحرة في الايمان بالله ثم اقبل عليهم بالوعيد المؤكد حيث قال فلاقطعن اي فوالله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كان القطع ابتداء من مخالفة العضو العضو فان المبتدى من المعروض مبتدئ من العارض ايضا وهي مع مجرورها في حيز النصب على الحالية اي لاقطعنها مختلفات وتعيين تلك الحال للايذان بتحقيق الامر وايقاعه لا محالة بتعيين كيفيته المعهودة في باب السياسة لا لانها افظع من غيرها ولاصلبنكم في جذوع النخل اي عليها وايثار كلمة في للدلالة على ابقائهم عليها زمانا مديدا تشبيها لاستمرارهم عليها باستقرار المظروف في الظرف المشتمل عليه قالوا واول من صلبه وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير وقد قرئتا بالتخفيف ولتعلمن اينا يريد به نفسه وموسى عليه السلام لقوله تعالى آمنتم له قبل ان آذن لكم واللام مع الايمان في كتاب الله تعالى لغيره تعالى وهذا انما القصد توضيع موسى عليه السلام والهزء به لانه لم يكن من التعذيب في شيء وانما لاراءة ان ايمانهم لم يكن عن مشاهدة المعجزة ومعاينة البرهان بل كان عن خوف من قبل موسى عليه السلام حيث راوا ابتلاع عصاه لحبالهم وعصيهم فخافوا على انفسهم ايضا وقيل يريد به رب موسى الذي آمنوا به بقولهم آمنا برب هرون وموسى اشد عذابا وابقى اي ادوم قالوا غير مكترثين بوعيده لن نؤثرك لن نختارك بالايمان والاتباع على ما جاءنا من فيه تعريض على يد موسى عليه السلام من البينات من المعجزات الظاهرة فان ما ظهر بيده عليه السلام من العصا كان مشتملا على معجزات جمة كما مر تحقيقه فيما سلف فانهم كانوا عارفين بجلائلها ودقائقها والذي فطرنا اي خلقنا وسائر المخلوقات وهو عطف على ما جاءنا وتاخيره لان ما في ضمنه آية عقلية نظرية وما شاهدوه آية حسية ظاهرة وايراده تعالى بعنوان فاطريته تعالى لهم للاشعار بعلة الحكم فان خالقيته تعالى لهم وكون فرعون من جملة مخلوقاته مما يوجب عدم ايثارهم له عليه سبحانه وتعالى وهذا جواب منهم لتوبيخ فرعون بقوله آمنتم له قبل ان آذن لكم وقيل هو قسم محذوف الجواب لدلالة المذكور عليه اي وحق الذي فطرنا لا نؤثرك على ما جاءنا من البينات الخ ولا مساغ لكون المذكور جوابا له عند من يجوز تقديم الجواب ايضا لما ان القسم لا يجاب بلن الا على شذوذ وقوله تعالى فاقض ما انت قاض جواب عن تهديده بقوله لاقطعن الخ اي فاصنع ما انت صانعه او فاحكم ما انت حاكم به انتهى ابو السعود رحمه الله

الا

قال لهم فرعون آمنتم له اي لموسى قبل ان آذن لكم اي آمركم به انه اي موسى لكبيركم اي لمعلمكم الذي علمكم السحر اراد به التلبيس على قومه لانه عالم ان موسى عليه السلام ما علمهم السحر ثم هددهم بقوله فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف والقطع من خلاف ان يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن فيه لابتداء الغاية اي ابتداء القطع من مخالفة العضو العضو ولاصلبنكم في جذوع النخل اي على اصول النخل في شاطئ النيل وجاء بفي ليفيد تمكن المصلوب بالخشبة تمكن المظروف بالظرف ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى اي ادوم انا على ايمانكم بموسى ام رب موسى على ترك الايمان به من جهة العذاب قالوا اي السحرة لن نؤثرك اي لن نختارك وطاعتك على ما جاءنا من البينات اي على الله تعالى ودينه بعد ما جاءنا من الحجج الدالة على صدق موسى عليه السلام وهي اليد البيضاء والعصا وكان استدلالهم انهم قالوا لو كان هذا سحرا فاين حبالنا وعصينا والذي فطرنا اي خلقنا يجوز ان يكون قسما وان يكون معطوفا على محل ما جاءنا فاقض اي احكم فينا ما انت قاض اي الذي انت فيه حاكم من القطع والصلب انتهى العيون

لهم بسبب ايمانهم واعمالهم الصالحة الدرجات العلى اى المنازل الرفيعة وليس فيه ما يدل على عدم اعتبار الايمان المجرد عن العمل الصالح في استتباع الثواب لان ما نيط بالايمان المقرون بالاعمال الصالحة هو الفوز بالدرجات العلى لا بالثواب مطلقا وهل التشاجر الا فيه جنات عدن بدل من الدرجات العلى او بيان وقد مر ان عدنا علم لمعنى الاقامة او لارض الجنة فقوله تعالى تجري من تحتها الانهار حال من الجنات وقوله تعالى خالدين فيها حال من الضمير في لهم والعامل معنى الاستقرار او الاشارة وذلك اشارة الى ما اتيح لهم من الفوز بما ذكر من الدرجات العلى ومعنى البعد لما مر من التفخيم جزاء من تزكى اى تطهر من دنس الكفر والمعاصي بما ذكر من الايمان والاعمال الصالحة وهذا تحقيق لكون ثوابه تعالى ابقى وتقديم ذكر حال المجرم للمسارعة الى بيان اشدية عذابه ودوامه ردا على ما ادعاه فرعون بقوله اينا اشد عذابا وابقى هذا وقد قيل هذه الايات الثلث ابتداء كلام من الله تعالى قالوا ليس في القرآن ان فرعون فعل بأولئك المؤمنين ما اوعدهم به ولم يثبت في الاخبار انتهى ابو السعود رحمه الله

انما تقضي هذه الحيوة الدنيا اى انما تحكم فينا مدة حياتنا فلا نجزع انا اى لانا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وهي ما عملنا من الشرك وما اكرهتنا اي وليغفر الذى اكرهتنا عليه من السحر روى ان فرعون اكرههم على تعلم السحر وعمله وروي انهم لما رأوا موسى عليه السلام نائما وعصا تحرسه قالوا انه ليس بساحر لان الساحر اذا نام بطل سحره فلا نعارضه وابى فرعون الا ان يعارضوا والله خير لنا منك ثوابا اذا اطعناه وابقى اى ادوم عقابا منك ان عصيناه انه اى الشأن من يأت ربه مجرما اي مشركا وعاصيا يوم القيمة فان له جهنم لا يموت فيها فيستريح من العذاب ولا يحيى حيوة تنفعه قيل هذا من قول الله تعالى لنبيه عليه الصلوة والسلام وقيل من تمام قول السحرة ومن يأته يوم القيمة مؤمنا اى مصدقا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى اي الفضائل في الجنة وهي جمع العليا تأنيث الاعلى جنات عدن خبر مبتدأ محذوف اي هي او بدل من الدرجات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك اى المذكور من الفضائل جزاء من تزكى اى ثواب من تطهر من الذنوب بالتوبة عن الشرك وروى انه قال صلى الله عليه وسلم ان اهل الدرجات العلى ليريهم من تحتهم كما ترون الكوكب الدري في افق السماء وان ابا بكر وعمر رضى الله عنهما منهم وانعما انتهى البغوي

انا نقضي هذه الحيوة الدنيا اى في هذه الحيوة الدنيا فانتصب على الظرف اى انما تحكم بنا مدة حيوتنا انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر ما موصولة منصوبة بالعطف على خطايانا ومن السحر حال بين ما روى انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر اذا نام بطل سحره فكرهوا معارضته خوف الفضيحة واكرههم فرعون على الاتيان بالسحر انظر كيف نفعهم علمهم بالسحر وضر فرعون جهله به فكيف بعلم الشرع والله خير ثوابا لمن اطاعه وابقى عقابا لمن عصاه وهو رد لقول فرعون ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى انه الضمير للشأن من يأت ربه مجرما كافرا فان له جهنم لا يموت فيها فيستريح بالموت ولا يحيى حيوة ينتفع بها ومن يأته مؤمنا بان مات على ايمانه قد عمل الصالحات بعد الايمان فاولئك لهم الدرجات العلى جمع العليا جنات عدن بدل من الدرجات تجري من تحتها الانهار خالدين دائمين فيها وذلك جزاء من تزكى تطهر من الشرك بقول لا اله الا الله قيل هذه الايات الثلث حكاية قولهم وقيل خبر من الله تعالى لا على وجه الحكاية وهو الظاهر انتهى

انا نقضي هذه الحيوة الدنيا نصب على الظرف وقرئ تقضى على البناء للمفعول ورفع الحيوة كقولهم صيم يوم الجمعة بالاسناد الى الظرف كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده من الاستيناف اى تصنع ما تهواه او تحكم ما تراه في الحيوة الدنيا السريعة الزوال ونحن نطلب بالايمان الغفران والثواب السرمدي فهو علينا هين انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا من الكفر والمعاصي وما اكرهتنا عليه من السحر من تعلمه روى ان رؤس السحرة كانوا اثنين وسبعين اثنان من القبط والباقون من السبط وكان فرعون اكرههم على تعلم السحر قيل من العمل به في معارضة المعجزة لما روى انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه يحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر لان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه ويرده قوله تعالى قالوا ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين فانه ظاهر في الرضا وقوله تعالى وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فان الظاهر منه عدم علمهم بشأن موسى عليه السلام والله خير وابقى جزاء او خير ثوابا وابقى عذابا انه الامر من يأت ربه مجرما بالموت على الكفر والعصيان فان له جهنم لا يموت فيها فيستريح بالموت ولا يحيى حيوة ينتفع بها وهو كالمثل فيما هو من شدة حال التي يتمنى فيها الموت ومن يأته مؤمنا بان مات على ايمانه قد عمل الصالحات في الدنيا بعد الايمان فاولئك لهم الدرجات العلى جمع العليا اى المنازل الرفيعة واما ايثار الجمع هنا والافراد في مقابله فللاشارة الى ما ذكر في موضعه من ان كلا من الكفرة يعذب منفردا عن الاخر زيادة في عذابهم بالم الوحشة وان المؤمنين يتنعمون على سرر متقابلين زيادة في لذاتهم بسرور الانس جنات عدن بدل من الدرجات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها حال والعامل فيها معنى الاشارة او الاستقرار وذلك جزاء من تزكى تطهر من الكفر وادناس الذنوب والايات الثلث الاخيرة يحتمل ان يكون من كلام السحرة وان يكون ابتداء كلام من الله

قيل ردد

استهى ابن كمال

وقوله انما تقضي هذه الحيوة الدنيا مع ما بعده تعليل لعدم المبالاة المستفاد مما سبق من الامر بالقضاء اى انما تقضي ما تهواه او تحكم بما تراه في هذه الحيوة الدنيا فحسب وما لنا من رغبة في عذبها ولا رهبة من عذابها انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا التي اقترفناها من الكفر والمعاصي ولا يؤاخذنا بها في الدار الاخرة لا ليمتعنا بتلك الحيوة الفانية حتى نتأثر بما اوعدتنا به من القطع والصلب وقوله تعالى وما اكرهتنا عليه من السحر عطف على خطايانا اي ويغفر لنا السحر الذي عملناه في معارضة موسى عليه السلام باكراهك وحشرك ايانا من المدائن القاصية خصوه بالذكر مع اندراجه في خطاياهم اظهارا لغاية نفرتهم ورغبتهم في مغفرته وذكر الاكراه للايذان بانه مما يجب ان يفرد بالاستغفار منه مع صدوره عنهم بالاكراه وفيه نوع اعتذار لاستجلاب المغفرة وقيل ارادوا الاكراه على تعلم السحر حيث روى ان رؤساءهم كانوا اثنين وسبعين اثنان منهم من القبط والباقي من بني اسرائيل وكان فرعون اكرههم على تعلم السحر وقيل انه اكرههم على المعارضة حيث روي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه ويأباه تصديهم للمعارضة على الرغبة والنشاط كما يعرب عنه قولهم ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين وقولهم بعزة فرعون انا لنحن الغالبون والله خير في حد ذاته وهو ناظر الى قولهم والذى فطرنا وابقى اى جزاء ثوابا كان او عقابا او خير ثوابا وابقى عذابا وقوله تعالى انه الى اخر الشرطيتين تعليل من جهتهم لكونه تعالى خيرا وابقى جزاء وتحقيق له وابطال لما ادعاه فرعون وتصديره بضمير الشأن للتنبيه على فخامة مضمونها لان مناط وضع الضمير موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره مع ما فيه من زيادة التقرير فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن كانه قيل ان الشأن الخطير هذا اى قوله تعالى من يأت ربه مجرما بان مات على الكفر والمعاصي فان له جهنم لا يموت فيها فينتهي عذابه وهذا تحقيق لكون عذابه ابقى ولا يحيى حيوة ينتفع بها ومن يأته مؤمنا به وبما جاء من عنده من المعجزات التي من جملتها ما شاهدناه قد عمل الصالحات الصالحة كالحسنة جارية مجرى الاسم ولذلك لا تذكر غالبا مع الموصوف وهي كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والنقل فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الفعلين السابقين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم اى فاولئك المؤمنون العاملون للصالحات لهم الدرجات العلى

ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادي لما اراد الله تعالى اهلاك فرعون وقومه امر موسى عليه السلام ان يخرج بهم من مصر ليلاً ويأخذ بهم طريق البحر يعني فاضرب لهم فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما او فاتخذ من ضرب اللبن اذا عمله والاضافة في عبادي للتشريف طريقا في البحر يبسا يابسا مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا كالعدم والعدم ولذلك وصف به المؤنث فقيل شاة يبس وناقة يبس اذا جف لبنها وقرئ يابسا ويبسا بالسكون وهو اما تخفيف يبس او وصف على فعل كصعب وجلد او جمع يابس كصاحب وصحب وصف به الواحد مبالغة او لتعدده معنى فانه جعل لكل سبط منهم طريقا لا تخاف دركا حال من الضمير في اضرب اي آمنا من ان يدرككم العدو او صفة ثانية للطريق والعائد محذوف اي لا تخاف فيه والدرك اسم من الادراك وقرئ لا تخف على جواب الامر والدرك ولا تخشى استئناف اي وانت لا تخشى يعني ومن شأنك انك لا تخشى او عطف عليه والالف فيه للاطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا او حال بالواو والمعنى لا تخشى الغرق فاتبعهم فرعون بجنوده فاتبعهم بمعنى فاتبعهم ويرشد اليه القراءة به اي فادركهم مع جنوده اي كاد ان يلحقهم قال ابن السكيت يقال اتبعت القوم اذا كانوا قد سبقوك فلحقتهم فهو من المتعدي الى مفعول واحد الا انه متعد الى مفعولين كما توهم من قال فاتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده واما ما قيل الباء مزيدة والمعنى فاتبعهم فرعون جنوده فمبناه التقول عن قوله فاتبعهم فرعون وجنوده ثم ان فيه ايهام عدم اتباع فرعون بنفسه فغشيهم التغير له ولجنوده معا من اليم ما غشيهم الابهام للتعظيم والمبالغة في التهويل مع الايجاز اي ما لا يمكن وصفه ولا يعلم كنهه الا الله تعالى وقرئ فغشاهم من التغشية وهي التغطية والفاعل ما غشاهم واضل فرعون قومه عدل بهم عن سبيل الرشاد وما هدى اي ما هداهم الى الحق وكان ردا لقوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد وليس هذا من باب التهكم انتهى فيه رد
وايضا معنى الاصل لا يتبع لا يناسب المقام قال ابن السكيت واتبعهم اذا مروا بك فمضيت معهم وتبعهم تبعا قدم التفصيل في سورة يونس عليه السلام فيه رد
وقد اعترف هذا القائل في سورة يونس عليه السلام معنى اتبعهم ادركهم الخ ولا وجه لتخصيص الغير بالجنود لما فيه من ايهام باطل منه

ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادي لما اراد الله تعالى اهلاك فرعون وقومه امر موسى ان يخرج بهم من مصر ليلا ويأخذ طريق البحر فاضرب لهم طريقا في البحر اجعل لهم يبسا يابسا وهو مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا لا تخاف حال من الضمير في فاضرب اي اضرب لهم طريقا غير خائف لا تخف حمزة على الجواب دركا هو اسم من الادراك اي لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك ولا تخشى الغرق وعلى قراءة حمزة ولا تخشى استئناف اي وانت لا تخشى فخرج بهم موسى من اول الليل وكانوا سبعين الفا وقد استعاروا حليهم فركب فرعون في ستمائة الف من القبط فقص اثرهم فذلك قوله تعالى فاتبعهم فرعون بجنوده وهو حال اي خرج خلفهم ومعه جنوده فغشيهم من اليم اصابهم من البحر ما غشيهم هو من جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة اي غشيهم ما لا يعلم كنهه الا الله تعالى واضل فرعون قومه عن سبيل الرشاد وما هدى وما ارشدهم الى الحق وهذا رد لقوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد انتهى

ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم اي اجعل طريقا لبني اسرائيل في البحر وبينه يبسا اي يابسا لا تخاف دركا اي من ادراك فرعون والفعل المنفي حال مقدرة وقرئ لا تخف نهيا ولا تخشى الغرق اي انت امن منه وهو عطف على لا تخاف او على لا تخف زيدت الالف للفاصلة فاتبعهم فرعون بجنوده اي لحقهم بجموعه فغشيهم اي فغطاهم من اليم اي البحر ما غشيهم اي الذي علاهم وهو الغرق حتى التقى البحر عليهم وقيل هو غضب الله عليهم واضل اي اهلك بالاغراء فرعون قومه وما هدى اي الى الرشاد وهو رد لقوله لهم اتبعوني اهدكم الى سبيل الرشاد فكذب في دعواه وانجا الله موسى عليه السلام وقومه من عذاب فرعون ثم ذكر الله تعالى منته على بني اسرائيل بقوله يا بني اسرائيل الخ انتهى العيون

ابو السعود افندي رحمه الله

ولقد أوحينا الى موسى حكاية اجمالية لما انتهى اليه امر فرعون وقومه وقد طوي في البين ذكر ما جرى عليهم من الآيات المفصلات الظاهرة على يد موسى عليه السلام بعد ما غلب السحرة في نحو من عشرين سنة حسبما فصل في سورة الاعراف وتصدير ها بالقسم لابراز كمال العناية بمضمونها وان في قوله تعالى أن أسر بعبادي اما مفسرة لان الوحي فيه معنى القول او مصدرية حذف عنها الجار والتعبير عنهم بعنوان كونهم عبادا له تعالى لاظهار المرحمة والاعتناء بامرهم والتنبيه على غاية قبح صنيع فرعون بهم حيث استعبدهم وهم عباده عز وجل وفعل بهم من فنون الظلم ما فعل اي بالله لقد اوحينا اليه عليه السلام ان اسر بعبادي الذين ارسلتك لانقاذهم من ملكة فرعون اي سر بهم من مصر ليلاً

١٥٧

٣

ليلا فاضرب لهم اي فاجعل او فاتخذ لهم طريقا في البحر يبسا اي يابسا على انه مصدر وصف به الفاعل مبالغة وقرئ يبسا وهو اما مخفف منه او وصف كصعب او جمع يابس كصحب وصف به الواحد للمبالغة او لتعدده حسب تعدد الاسباط لا تخاف دركا حال من المأمور اي آمنا من ان يدرككم العدو او صفة اخرى لطريقا والعائد محذوف وقرئ لا تخف جوابا للامر ولا تخشى عطف على لا تخاف داخل في حكمه اي ولا تخشى الغرق وعلى قراءة الجزم استئناف اي وانت لا تخشى او عطف عليه والالف للاطلاق كما في قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا وتقديم نفي الخوف المذكور للمسارعة الى ازاحة ما كانوا عليه من الخوف العظيم حيث قالوا انا لمدركون فاتبعهم فرعون بجنوده اي تبعهم ومعه جنوده حتى لحقوهم يقال اتبعتهم اي تبعتهم وذلك اذا كانوا سبقوك فلحقتهم ويؤيده انه قرئ فاتبعهم من الافتعال وقيل المعنى اتبعهم فرعون نفسه فحذف المفعول الثاني وقيل الباء زائدة والمعنى فاتبعهم فرعون جنوده اي ساقهم خلفهم واياما كان فالفاء فصيحة معربة عن مضمر قد طوى ذكره ثقة بغاية ظهوره وايذانا بكمال مسارعة موسى عليه السلام الى الامتثال بالامر اي ففعل ما امر به من الاسراء بهم وضرب الطريق وسلوكه فتبعهم فرعون بجنوده برا وبحرا روي ان موسى عليه السلام خرج بهم اول الليل وكانوا ستمائة وسبعين الفا فاخبر فرعون بذلك فاتبعهم بعساكره وكانت مقدمته سبعمائة الف فقص اثرهم فلحقهم بحيث تراءى الجمعان فعند ذلك ضرب عليه السلام بعصاه البحر فانفلق على اثني عشر فرقا كل فرق كالطود العظيم فعبر موسى عليه السلام بمن معه من الاسباط سالمين وتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم اي علاهم منه وغمرهم ما غمرهم من الامر الهائل الذي لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه وقيل غشيهم ما سمعت قصته وليس بذاك فان مدار التهويل والتفخيم خروجه عن حدود الفهم والوصف لا سماع قصته وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم اي غطاهم ما غطاهم والفاعل هو الله تعالى او ما غشاهم وقيل فرعون لانه الذي ورطهم للهلكة ويأباه الاظهار في قوله تعالى واضل فرعون قومه اي سلك بهم مسلكا اداهم الى الخيبة والخسران في الدين والدنيا معا حيث ماتوا على الكفر بالعذاب الهائل الدنيوي المتصل بالعذاب الخالد الاخروي وقوله تعالى وما هدى اي ما ارشدهم قط الى طريق موصل الى مطلب من المطالب الدينية والدنيوية تقرير لاضلاله وتأكيد له اذ رب مضل قد يرشد من يضله الى بعض مطالبه وفيه نوع تهكم به في قوله تعالى وما اهديكم الا سبيل الرشاد فان نفي الهداية من شخص مشعر بكونه ممن يتصور منه الهداية في الجملة وذلك انما يتصور في حقه بطريق التهكم وحمل الاضلال والهداية على ما يختص بالديني منهما يأباه مقام بيان سوقه لجنوده الى مساق الهلاك الدنيوي وجعلهما عبارة عن الاضلال في البحر والانجاء منه مما لا يقبله العقل السليم انتهى

ابو السعود افندي رحمه الله عليه

٨ والتعدي لما حدّ لكم فيه كالسّرف والبطر والمنع من المستحق **فيحل عليكم غضبي** جواب للنهي اي فيلزمكم عقوبتي ويجب
من حل الدين اذا وجب اداؤه **ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى** اي تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرئ فيحل
بضم الحا من حل يحل اذا نزل **واني لغفار لمن تاب** من الشرك والمعاصي التي من جملتها الطغيان فيما ذكر **وامن** بما يجب الايمان به
وعمل صالحا اي عملا صالحا مستقيما عند الشرع والعقل وفيه ترغيب لمن وقع منه الطغيان فيما ذكر وحث على التوبة والايمان
وقوله **ثم اهتدى** اي استقام على الهدى اشارة الى ان من لم يستمر عليه بمعزل من الغفران وثم للتراخي الرتبي انتهى ابو السعود

ثم ذكر الله عز وجل منته على بني اسرائيل بقوله **يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم** فرعون **وواعدناكم** للمناجات **جانب الطور**
الايمن اي في جانبه من يمين موسى مع كتب التورية في الالواح واضاف المواعدة اليهم لملابسة نبوة موسى عليه السلام
اياهم حيث نفعوا بها **ونزلنا عليكم المن والسلوى** حيث كانوا في التيه فقال لهم **كلوا من طيبات** اي من حلالات
ما رزقناكم وقرئ بتوحيد المتكلم في الثلثة انجيتكم وواعدتكم ورزقتكم **ولا تطغوا** اي لا تكفروا النعمة **فيه**
اي في احسانه اليكم وقيل لا تترفعوا منه لغد شيئا **فيحل عليكم غضبي** اي ينحل عليكم غضبي **ومن يحلل عليه غضبي**
فقد هوى اي هلك وسقط في النار قرئ فيحل بضم الحا وبضم اللام الاولى من يحلل من الحلول وهو النزول
وبكسرها بمعنى الوجوب **واني لغفار لمن تاب** من الشرك **وامن** اي صدق بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم
وعمل صالحا اي ادى الفرايض خالصا بينه وبين ربه **ثم اهتدى** اي استقام على ذلك ولزمه حتى الموت معالم

يا بني اسرائيل اي اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي وقلنا
يا بني اسرائيل **قد انجيناكم من عدوكم** فرعون **وواعدناكم**
باتيان الكتاب **جانب الطور الايمن** وذلك ان الله عز وجل
وعد موسى ان ياتي هذا المكان ويختار سبعين رجلا
يحضرون معه لنزول التورية وانما نسب اليهم المواعدة
لانها كانت لنبيهم ونقبائهم واليهم رجعت منافعها
التي قام بها شرعهم ودينهم والايمن نصب لانه صفة
جانب وقرئ بالجر على الجوار **ونزلنا عليكم المن والسلوى**
في التيه وقلنا لهم **كلوا من طيبات** حلالات **ما رزقناكم**
ولا تطغوا فيه ولا تتعدوا حدود الله فيه بان تكفروا
النعم وتنفقوها في المعاصي او لا تظلم بعضكم بعضا فيه
فيحل عليكم غضبي عقوبتي **ومن يحلل عليه غضبي فقد**
هوى هلك او سقط سقوطا لا نهوض بعده واصله
ان يسقط من جبل فيهلك وتحقيقه سقط من
شرف الايمان الى حفرة من حفر النيران وقرأ علي
فيحل ويحلل والباقون بكسرهما فالمكسور في معنى
الوجوب من حل الدين يحل اذا وجب اداؤه و
المضموم في معنى النزول **واني لغفار لمن تاب**
عن الشرك **وامن** وحد الله تعالى وصدقه فيما انزل **وعمل**
صالحا ادى الفرايض **ثم اهتدى** ثم استقام وثبت على
الهدى المذكور وهو التوبة والايمان والعمل الصالح انتهى المدارك

يا بني اسرائيل خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك فرعون
وقومه على اضمار قلنا او للذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
امتنانا عليهم بما فعل بابائهم **قد انجيناكم من عدوكم** فرعون
وواعدناكم باتيان الكتاب **جانب الطور** وذلك انه تعالى
وعد موسى عليه السلام ان ياتي هذا المكان ويختار سبعين
رجلا يحضرون معه لنزول التورية وانما نسب اليهم المواعدة
لانها كانت لنبيهم ونقبائهم واليهم رجعت منافعها التي قام
بها شرعهم ودينهم **الايمن** نصب لانه صفة جانب وقرئ
بالجر لا على الجوار لانه شاذ بل على انه نعت للطور
لما فيه من اليمن **ونزلنا عليكم المن والسلوى** فيه وقلنا لكم
كلوا اذن لمطلق التصرف وتخصيص الاكل بالذكر لشدة الحاجة
اليه **من طيبات** حلالات او لذائذ **ما رزقناكم ولا تطغوا**
فيه اي في اكله بالتعدي الى ما لا يحل لكم والاخلال بشكره
او بالتلهي والاسراف والبطر والمنع عن المستحق **فيحل**
بالكسر بمعنى الوجوب من حل الدين اذا وجب اداؤه
وبالضم بمعنى النزول **عليكم غضبي** عذابي وعقوبتي ولذلك
وصف بالنزول صريحا او كناية **ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى**
سقط سقوطا لا نهوض بعده اي هلك واصله ان يسقط
من جبل ونحوه فيهلك وقيل وقع في الهاوية **واني لغفار**
لمن تاب عن الكفر **وامن** بما يجب التصديق به **وعمل صالحا**
ثم اهتدى ثم مستعار للتراخي الرتبي لان المراد بالاهتداء
الاستقامة والثبات على الهدى المذكور من التوبة والايمان
والعمل الصالح انتهى ابو السعود

فيه ارد

حتى

يا بني اسرائيل حكاية لما خاطبهم الله تعالى بعد اغراق فرعون وقومه وانجائهم منهم لكن عقيب ذلك بل بعد ما افاض عليهم من فنون النعم الدينية
والدنيوية ما افاض وقيل هو انشاء خطاب للذين كانوا منهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم على معنى انه تعالى قد من عليهم
بما فعل بابائهم اصالة وبهم تبعا ويرده ما سياتي من قوله تعالى وما اعجلك الاية ضرورة استحالة حمله على الانشاء فالوجه
هو الحكاية بتقدير قلنا عطفا على اوحينا اي وقلنا يا بني اسرائيل **قد انجيناكم من عدوكم** فرعون وقومه حيث كانوا يبغونكم
الغوائل ويسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وقرئ نجيناكم وانجيتكم **وواعدناكم جانب الطور الايمن**
بالنصب على انه صفة للمضاف وقرئ بالجر للجوار اي واعدناكم بواسطة نبيكم اتيان جانبه الايمن نظرا الى السالك من مصر الى الشام
اي اتيان موسى عليه السلام للمناجاة وانزال التورية عليه ونسبت المواعدة اليهم مع كونها لموسى عليه السلام نظرا الى ملابستها
اياه وللسبعين المختارين الى ملابستها اياهم وسراية منفعتها اليهم وايفاء لمقام الامتنان حقه كما في قوله تعالى ولقد خلقناكم
ثم صورناكم حيث نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين مع ان المخلوق المصور بالذات هو ادم عليه السلام وقرئ واعدتكم
وواعدناكم **ونزلنا عليكم المن والسلوى** اي الترنجبين والسماني حيث كان ينزل عليهم المن وهم في التيه مثل الثلج من
الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع ويبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل منه ما يكفيه **كلوا** جملة مستانفة مسوقة
لبيان اباحة ما ذكر لهم واتماما للنعمة عليهم **من طيبات ما رزقناكم** اي من لذائذه او حلالاته وقرئ رزقتكم وفي البدء بنعمة
الانجاء ثم بالنعمة الدينية ثم بالنعمة الدنيوية من حسن النظم ولطف الترتيب ما لا يخفى **ولا تطغوا فيه** اي فيما رزقناكم بالاخلال بشكره ٨

وما اعجلك العجلة طلب الشئ وتحريه قبل اوانه وهي من مقتضى الشهوات فلذلك صارت مذمومة في عامة القرآن حتى قيل العجلة من الشيطان عن قومك يا موسى اي اي شئ عجلك عنهم وذلك ان موسى عليه السلام قد مضى مع النقباء الى الطور على الموعد المضروب فلما دنا منه تقدمهم شوقا الى مكالمة ربه وتنجز موعده بناء على اجتهاده وظنه انه اقرب الى رضاء الله تعالى فالقوم الذين عجل عنهم هم النقباء والمفتونون هم الذين خلفهم مع هارون عليه السلام وهو سؤال عن سبب العجلة عن قومه على سبيل الانكار لانها ذيلة في نفسها متضمنة لاهمال القوم وايهام التعظم عليهم فلذلك اجاب عن الامرين وقدم جواب الامر الثاني الذي هو اغفال القوم بما فيه بسط العذر وتمهيد العلة لانه الاهم بعد ما قالوا وعندي ان تعدية اعجل بعن لتضمين معنى الانقطاع والانفصال كانه قيل ما الحامل على انفصالك عن قومك مستعجلا فكان اصل السؤال في المعنى عن الانفصال عن قومه وان كان في اللفظ عن العجلة فقدم جوابه اعتبارا للمعنى كما هو الاصل قال هم اولاء على اثري اي على خلفي ما تقدمتهم الا بخطى يسيرة لا يعتد بها عادة وقرئ بالكسر وبالضم بمعنى الاثر غريب وبمعنى فرند السيف مروي وجاز ان يكون مجازا منه وعجلت اليك رب لترضى فان المسارعة الى امتثال الامر يستوجب الرضا يعني ان العجلة وان كانت مذمومة فالذي دعاني اليها وهو طلب الرضا منك محمود قال فانا قد فتنا ابتلينا قومك يعني بعبادة العجل من بعدك من بعد خروجك من بينهم ففي زيادته تعيين ان المراد من هذا القوم غير المراد من الاول والفاء للترتيب مدخولة على مدلول ما تقدم من بيان زيادة حرصه عليه السلام على المناجاة وكمال شوقه للمكالمة مع ربه وما يلزمها من الغفلة عن حال قومه فكانه قال لا تتوغل فيما كنت فيه ولا تغفل عما وراءك فانا قد فتناهم واضلهم السامري بدعايته اياهم الى عبادة العجل بعد ذهاب موسى عليه السلام الى الميقات وقد مر التفصيل في سورة الاعراف وهو منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل غير ذلك وقرئ اضلهم اي اشدهم ضلالا لانه كان ضالا ومضلا فرجع موسى بعدما استوفى الاربعين واخذ التورية الى قومه غضبان عليهم اسفا اي حزينا بما فعلوا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا وعدهم الله ان يعطيهم التورية التي فيها هدى ونور ولا وعد احسن من ذلك

انتهى ار كال

وما اعجلك واي شئ عجل بك عن قومك يا موسى اي عن السبعين الذين اختارهم وذلك انه مضى معهم الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وامرهم ان يتبعوه فقال الله تعالى وما اعجلك اي اي شئ اوجب عجلتك استفهام انكار وما مبتدا واعجلك الخبر قال هم اولاء على اثري اي هم خلفي يلحقون بي وليس بيني وبينهم الا مسافة يسيرة ثم ذكر موجب العجلة فقال وعجلت اليك رب اي الى الموعد الذي وعدت لترضى لتزداد عني رضى وهذا دليل على جواز الاجتهاد قال فانا قد فتنا قومك القيناهم في فتنة من بعدك من بعد خروجك من بينهم والمراد بالقوم الذين خلفهم مع هارون واضلهم السامري بدعائه اياهم الى عبادة العجل واجابتهم له وهو منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان فاتخذ عجلا واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا فرجع موسى من مناجاة ربه الى قومه غضبان اسفا شديد الغضب او حزينا قال الم يعدكم ربكم وعدا حسنا وعدهم الله ان يعطيهم التورية التي فيها هدى ونور وكانت الف سورة كل سورة الف اية يحمل اسفارها سبعون جملا ولا وعد احسن من ذلك انتهى المدارك

وما اعجلك عن قومك يا موسى حكاية لما جرى بينه تعالى وبين موسى عليه السلام من الكلام عند ابتداء موافاته الميقات بموجب المواعدة المذكورة اي وقلنا له اي شئ اعجلك منفردا عن قومك وهذا كما ترى سؤال عن سبب تقدمه على النقباء مسوق لانكار انفراده عنهم لما في ذلك بحسب الظاهر من مخائل اغفالهم وعدم الاعتداد بهم مع كونه مأمورا باستصحابهم واحضارهم معه لا لانكار نفس العجلة الصادرة عنه عليه السلام لكونها نقيصة منافية للحزم اللائق باولي العزم ولذلك اجاب عليه السلام بنفي الانفراد المنافي للاستصحاب والمعية حيث قال هم اولاء على اثري يعني انهم معي وانما سبقتهم بخطى يسيرة ظننت انها لا تخل بالمعية ولا تقدح في الاستصحاب فان ذلك مما لا يعتد به فيما بين الرفقة اصلا وبعدما ذكر عليه السلام ان تقدمه ذلك ليس لامر منكر ذكر انه لامر مرضي حيث قال وعجلت اليك رب لترضى عني بمسارعتي الى الامتثال بامرك واعتنائي بالوفاء بعهدك وزيادة رب لمزيد الضراعة والابتهال رغبة في قبول العذر قال استيناف مبني على

سؤال نشأ من حكاية اعتذاره عليه السلام وهو السر في وروده على صيغة الغائب لا انه التفات من التكلم الى الغيبة لما ان المقدر فيما سبق من الموضعين على صيغة التكلم كانه قيل من جهة السامعين فماذا قال له ربه حينئذ فقيل قال فانا قد فتنا قومك من بعدك اي ابتليناهم بعبادة العجل من بعد ذهابك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون عليه السلام وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل الا اثنا عشر الفا والفاء لترتيب الاخبار بما ذكر من الابتلاء على اخبار موسى عليه السلام بعجلته لكن لا لان الاخبار بها سبب موجب للاخبار به بل لما بينهما من المناسبة المصححة للانتقال من احدهما الى الآخر من حيث ان مدار الابتلاء المذكور عجلة القوم فانه روي انهم اقاموا على ما وصى به موسى عليه السلام عشرين ليلة بعد ذهابه فحسبوها مع ايامها اربعين وقالوا قد اكملنا العدة وليس من موسى عليه السلام عين ولا اثر واضلهم السامري حيث كان هو المدبر في الفتنة فقال لهم انما اخلف موسى عليه السلام ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو حرام عليكم فكان من امر العجل ما كان فاخباره تعالى بوقوع هذه الفتنة عند قدومه عليه السلام اما باعتبار تحققها في علمه تعالى ومشيئته واما بطريق التعبير عن المتوقع بالواقع كما في قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ونظائره او لان السامري كان قد عزم على ايقاع الفتنة عند ذهاب موسى عليه السلام وتصدى لترتيب مباديها وتمهيد مبانيها فكانت الفتنة واقعة عند الاخبار بها وقرئ واضلهم السامري على صيغة التفضيل اي اشدهم ضلالا لانه ضال ومضل والسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فرجع موسى الى قومه عند رجوعه المعهود اي بعد ما استوفى الاربعين واخذ التورية لا عقيب الاخبار بالفتنة فسببية ما قبل الفاء لما بعدها انما هي باعتبار قيد الرجوع المستفاد من قوله تعالى غضبان اسفا لا باعتبار نفسه وان كانت داخلة عليه حقيقة فان كون الرجوع بعد تمام الاربعين امر مقرر مشهور لا يذهب الوهم الى كونه عند الاخبار بالفتنة كما اذا قلت شايعت الحجاج ودعوت لهم بالسلامة فرجعوا سالمين فان احدا لا يرتاب في ان المراد رجوعهم المعتاد لا رجوعهم اثر الدعاء وان سببية الدعاء باعتبار وصف السلامة لا باعتبار نفس الرجوع والاسف الشديد الغضب وقيل الحزين قال استيناف مبني على سؤال ناشئ من حكاية رجوعه كذلك كانه قيل فماذا فعل بهم فقيل قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا بان يعطيكم التورية فيها ما فيها من النور والهدى والهمزة لانكار عدم الوعد ونفيه وتقرير وجوده على ابلغ وجه واكده اي وعدكم بحيث لا سبيل لكم الى انكاره والفاء في قوله تعالى افطال عليكم العهد للعطف انتهى ابو السعود رحمه الله

وما اعجلك قاله تعالى مستفهما على سبيل الانكار على موسى عليه السلام عجلته حين سار لمناجاة ربه الى الطور بسبعين رجلا وللاتيان بالتورية فلما دنى الى الطور امرهم ان يتبعوه الى الجبل واسرع هو في سيره اليه شوقا الى مناجاة ربه اي اي شئ اعجلك عن قومك يا موسى وتركتهم خلفك قال مجيبا لربه هم اولاء على اثري اي عقيب مجيئي ولم اتقدمهم الا تقدما يسيرا لا يعتد بمثله هذا جواب بطريق التأدب مع ربه لا جواب سؤاله تعالى لانه سأل عن السبب ولم يجب عنه بل اجاب بالعذر فيما انكر عليه لان السؤال عن السبب من الله العالم بكل شئ يستدعي السؤال عن العذر فقدم العذر اعترافا منه بالنقص عنده تعالى ويكون آنس في محل الخطاب ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال وعجلت اليك رب لترضى اي لتزداد عني رضا فيه دليل على جواب الاجتهاد عند الاعلم ثم عقب الله تعالى الاخبار بابتلاء قوم موسى عليه السلام من بعد ذهابه عنهم وان لم يقع عنده لانه اخبر على عادته بلفظ الموجود لتحقق وعده تعالى وقال يا موسى قد انطلقت عنهم فانا قد فتنا قومك اي ابتليناهم في اياتهم بخلق العجل وكانوا ستمائة الف فافتتنوا به غير اثني عشر الفا من بعدك اي بعد انطلاقك عنهم الى الجبل واضلهم السامري بتعجله لانه كان السبب لذلك حيث عمل صورة العجل وامرهم بعبادته فرجع موسى الى قومه مع الالواح المكتوبة فيها التورية غضبان اسفا اي شديد الغضب وحزينا لما فاته من المناجاة واباء قومه له فلما جاءهم موسى عليه السلام ورأى ما يصفون حول العجل من العبادة له فقال لهم يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا اي صادقا وهو ان يدفع الكتاب الى موسى عليه السلام ليقرأ عليكم ويهديكم به وقيل هو اربعون ليلة من ذي القعدة وعشر ذي الحجة فرجع موسى عليه السلام اليهم بعدما استوفى هذه المدة وقال افطال عليكم العهد الخ

من العيون للسهروي قدس سره

ه وايثاره على ان يقال موعدنا على اضافة المقدر الى فاعله لما مرّ آنفا **بملكنا** اى بان ملكنا امورنا يعنون انا لو خلينا و
امورنا ولم يسوّل لنا السامرى ما سوّله مع مساعدة بعض الاحوال لما اخلفناه وقرئ بملكنا بكسر الميم وضمها والكل لغات
فى مصدر ملكت الشئ **ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم** استدراك عما سبق واعتذار عما فعلوا ببيان منشا
الخطا وقرئ حملنا بالتخفيف اى حملنا احمالا من حلى القبط التى استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم
العرس وقيل كانوا استعاروها لعيد كان لهم ثم لم يردوها اليهم عند الخروج مخافة ان يقفوا على امرهم وقيل
هى ما القاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوها ولعل تسميتهم لها اوزارا لانها تبعات وآثام حيث
لم تكن الغنائم تحل حينئذ **فقذفناها** اى فى النار رجاء للخلاص عن ذنبها **فكذلك** اى فمثل ذلك القذف **القى السامرى**
اى ما كان معه منها وقد كان اراهم انه ايضا يلقى ما كان معه من الحلى فقالوا ما قالوا على زعمهم وانما كان الذى القاه
التربة التى اخذها من اثر الرسول كما سياتى روى انه قال لهم انما تأخر موسى عنكم لما معكم من الاوزار فالرأى
ان نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف فيها كل ما معنا ففعلوا **فاخرج** السامرى **لهم** للقائلين **عجلا** من تلك الحلى
المذابة وتاخيره مع كونه مفعولا صريحا عن الجار والمجرور لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر
مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم فان قوله **له خوار** اى صوت عجل نعت له
انتهى ابو السعود رحمه الله

افطال عليكم العهد اى المدة الموعودة منى لكم **ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدى**
اى تركتم عهدى بتوك عبادة الله **قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا** اى ما تعمدنا ترك عهدك باختيارنا ولكن
غلبنا من كيد السامرى والملك القدرة وقرئ بالحركات الثلث **ولكنا حملنا** مجهولا بالتشديد اى حملنا غيرنا وبالتخفيف
معلوما اى حملنا نحن **اوزارا** اى حليا وقيل اثقالا **من زينة القوم** اى قوم فرعون وكانوا استعاروه منهم تعلة
عرس فبقيت عندهم ويجوز ان يكون من الاوزار الاثام وهم كانوا مستامنين فى دار الحرب وليس للمستامن
اخذ مال الحربى على ان الغنائم لم تكن تحل حينئذ فحفروا حفيرة بامر هرون عليه السلام ليتركوها فيها الى عود موسى
عليه السلام فيرى فيها رايه **فقذفناها** اى طرحنا الحلى فى الحفيرة **فكذلك** اى فمثل القائنا فى الحفيرة **القى السامرى**
قيل رمى السامرى فيها ما معه من الحلى والتراب الذى اخذه من اثر حافر فرس جبرئيل عليه السلام مع الحلى وكان يلحظ
شيئا لا اغيره وهو من الكرامة التى خص الله تعالى بروح القدس وعند القائه التراب فاكس عجلا جسدا له
خوار وكان من اهل قرية يعبدون البقر وحين دخل فى بنى اسرائيل اسلم معهم وفى قلبه حب عبادة البقر
فابتلى الله تعالى به بنى اسرائيل فكشف له عن بصره فراى اثر فرس جبرئيل عليه السلام واخذ من ترابه فقذفه فى
الحفيرة بوحى الشيطان اليه **فاخرج لهم** بسبب ذلك التراب **عجلا جسدا له خوار** اى مجسدا له صوت مسموع
ولا شك ان الله تعالى خلقه وانشاه محنة محن الله تعالى بها عباده ليثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت
فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين واعجب من خلق الله تعالى العجل خلقه ابليس محنة لهم ولغيرهم
انتهى العيون

افطال عليكم العهد اى مدة مفارقتى اياكم والعهد
الزمان يقال طال عهدى بك اى طال زمانى بسبب
مفارقتك **ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم**
اى اردتم ان تفعلوا فعلا يجب عليكم الغضب
من ربكم **فاخلفتم موعدى** وعدوه ان يقيموا
على امره وما تركهم عليه من الآيات فاخلفوا موعده
باتخاذ العجل **قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا** بفتح
الميم مدنى وعاصم وبضمها حمزة وعلى وبكسرها غيرهم
اى ما اخلفنا موعدك بان ملكنا امرنا وخلينا ورأينا
لما اخلفنا موعدك ولكنا غلبنا من جهة السامرى وكيده
ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم اثقالا من حلى
القبط او ارادوا بالاوزار انها آثام وتبعات
لانهم قد استعاروها ليلة الخروج من مصر بعلة ان
غدا لنا عيد فقال السامرى انما حبس موسى عليه السلام
لشوم حرمتها لانهم كانوا معهم فى حكم المستامنين فى
دار الحرب وليس للمستامن ان ياخذ مال الحربى على
ان الغنائم لم تكن تحل حينئذ فاحرقوها فجبا فى
حفرة النار قالب عجل مجوفا فخار بدخول الريح فى
مجار منه اشباه العروق وقيل نفخ فيه تراب
موضع قوائم فرس جبرئيل عليه السلام يوم الغرق
وهو فرس حيوة فحيى فخار ومال طباعهم من الذهب
فعبدوه **فقذفناها** فى نار السامرى التى اوقدها فى
الحفرة وامرنا ان نطرح فيها الحلى **فكذلك القى السامرى**
ما معه من الحلى فى النار **فاخرج لهم عجلا جسدا** اى
السامرى من الحفرة عجلا خلقه الله تعالى من الحلى التى
سبكتها النار ابتلاء بجسد **له خوار** صوت وكان
يخور كما يخور العجاجيل انتهى المدارك

ای لانا قوم موسی او بیع قوم فرعون

افطال عليكم العهد اى اواخر الموعود فطال عليكم الزمان
يعنى زمان مفارقته لهم **ام اردتم ان يحل** بحيث **عليكم
غضب من ربكم** اى اردتم ان تفعلوا فعلا يستوجب
الغضب **فاخلفتم موعدى** وعدوه ان يقيموا على امره
وما تركهم عليه من الثبات على الايمان فاخلفوا موعده
باتخاذ العجل **قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا** بان ملكنا
امرنا وخلينا ورأينا لما اخلفناه ولكنا غلبنا من جهة
السامرى وكيده وقرئ ملكنا بالفتح وبالضم والكل فى
الاصل لغات من ملكت الشئ **ولكنا حملنا اوزارا
من زينة القوم** اثقالا من حلى القبط او اراد بالاوزار
انها آثام وتبعات لانهم قد استعاروها ليلة الخروج
من مصر بعلة ان غدا لنا عيد فقال السامرى انما حبس
موسى لشوم حرمتها لانهم كانوا معهم فى حكم المستامنين
فى دار الحرب على ان الغنائم لم تكن تحل حينئذ فاحرقوها
فجبا السامرى فى حفرة النار قالب عجل فانصاغت عجلا
فقذفناها فى نار السامرى الذى اوقدها فى الحفرة وامرهم
ان يطرحوا فيها الحلى **فكذلك القى السامرى** اى ما معه من
الحلى فى النار او ما معه من التراب الذى اخذه من اثر
حافر فرس جبرائيل عليه السلام فينقض هذا العدول عن
القذف المعتبر فى مفهومه صلابة المرمى والبعد
الكاف يتعلق بالقى اى مثل ما قذفناها القى السامرى
فهو صفة مقدر محذوف تقديره القى القاء مثل القائنا
فاخرج لهم السامرى من الحفرة **عجلا** خلقه الله تعالى من الحلى التى
سبكتها النار ابتلاء لا يقال لم خلق الله تعالى العجل من الحلى
حتى صار فتنة لبنى اسرائيل وضلالا لان الله تعالى تعبدنا
بالبحث عن علل احكامه لا عن علل افعاله وحتم ذلك بقوله
لا يسئل عما يفعل **جسدا** بدل من عجلا للتنبيه على انه لم يكن ذا روح
ولذلك وصفه بقوله **له خوار** صوت العجل فانه لو كان ذا روح
لكان الخوار من شانه فلا يجدى توصيفه به كما لا يجدى توصيف
الانسان بالضاحك انتهى ما فى الكبير

والفاء فى قوله تعالى **افطال عليكم العهد** اى الزمان للعطف على مقدر والهمزة لانكار المعطوف ونفيه فقط اى او عدكم ذلك
فطال زمان الانجاز فاخطاتم بسببه **ام اردتم ان يحل** اى يجب **عليكم غضب** شديد لا يقادر قدره كائن **من ربكم** اى من مالك
امركم على الاطلاق **فاخلفتم موعدى** اى وعدكم اياى بالثبات على ما امرتكم به الى ان ارجع من الميقات على اضافة المصدر
الى مفعوله للقصد الى زيادة تقبيح حالهم فان اخلافهم الوعد الجارى فيما بينهم وبينه عليه السلام من حيث اضافته اليه عليه السلام
اشنع منه من حيث اضافته اليهم والفاء لترتيب ما بعدها على كل واحد من شقى الترديد على سبيل البدل كانه قيل انسيتم
الوعد بطول العهد فاخلفتموه خطاء ام اردتم حلول الغضب عليكم فاخلفتموه عمدا واما جعل الموعد مضافا الى فاعله
وحمل اخلافه على معنى وجدانه لخلف فيه اى فوجدتم الخلف فى موعدى لكم بالعود بعد الاربعين فمما لا يساعده السباق ولا السياق
اصلا **قالوا ما اخلفنا موعدك** اى وعدنا اياك الثبات على ما امرتنا به ه

فقالوا أي السامري ومن تابعه وافتتن به أول مرة هذا إلهكم وإله موسى فنسي أي فنسيه موسى هنا وذهب يطلبه عند الطور أو فنسي السامري أي ترك ما كان عليه من الإيمان الظاهر أفلا يرون أفلا يعلمون أن لا يرجع أنه لا يرجع إليهم قولا فأن مخففة من الثقيلة • وقرئ بالنصب على أنها الناصبة للفعل وفعل الرؤية حينئذ من رؤية البصر على المبالغة في ظهور ما ذكر بتنزيله منزلة المبصر ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا أي لا يقدر على إضرارهم ولا على إنفاعهم ولقد قال لهم هارون من قبل من قبل رجوع موسى عم وقيل من قبل قول السامري كأنهم أول ما وقعت عليه أبصارهم حين طلع من الحفرة افتتنوا به فبادرهم هارون عليه السلام بالتحذير قبل أن ينطق السامري فقال يا قوم إنما فتنتم به بالعجل وإن ربكم الرحمن لا غير فاتبعوني وأطيعوا أمري في الثبات على الدين وإياه قالوا لن نبرح عليه أي على العجل وعبادته عاكفين مقيمين حتى يرجع إلينا موسى فإن الظاهر من هذا الجواب أن يكون المراد من قبل رجوعه عليه السلام قال يا هارون أي قال له موسى عليه السلام لما رجع ما منعك إذ رأيتهم ضلوا بعبادة العجل أن لا تتبعني أن تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر على الكفر والمعاصي والمقاتلة مع من كفر بمن آمن أو أن تلحق بي مع من أطاعك ولا مزيدة كما في قوله ما منعك أن لا تسجد ويجوز أن يكون المعنى ما حملك إلى أن لا تتبعني أي دعاك إليه أفعصيت أمري بالصلابة في الدين والمحاماة عليه ثم أخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله غضبا وإنكارا عليه لأن الغيرة في الله ملكته انتهى

فقالوا أي السامري وأتباعه هذا إلهكم وإله موسى فنسي أي فنسي موسى ربه هنا وذهب يطلبه عند الطور أو هو ابتداء كلام من الله تعالى أي نسي السامري ربه وترك ما كان عليه والعجل لا يجوز أن يكون إلها بدليل قوله أفلا يرون أن لا يرجع إليهم قولا أي لا يجيبهم فأن مخففة من الثقيلة أي أنه ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا أي هو عاجز عن الضر والنفع فكيف تتخذونه إلها قيل إنه ما خار إلا مرة ولقد قال لهم هارون من قبل من قبل رجوع موسى عم إليهم يا قوم إنما فتنتم به ابتليتم بالعجل فلا تعبدوه وإن ربكم الرحمن لا العجل فاتبعوني كونوا على ديني الذي هو الحق وأطيعوا أمري في ترك عبادة العجل قالوا لن نبرح عليه عاكفين أي لن نزال مقيمين على العجل وعبادته حتى يرجع إلينا موسى فننظر هل يعبده كما عبدنا وهل صدق السامري أمره فلما رجع موسى قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا بعبادة العجل أن لا تتبعني أي ما دعاك إلى أن لا تتبعني لوجود التعلق بين الصارف عن فعل الشيء وبين الداعي إلى تركه • وقيل لا مزيدة والمعنى أي شيء منعك أن تتبعني في الغضب لله وهلا قاتلت من كفر بمن آمن و ما لك لا تباشر الأمر كما كنت أباشره أنا لو كنت شاهدا أفعصيت أمري الذي أمرتك به من القيام بمصالحهم ثم أخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله غضبا وإنكارا عليه لأن الغيرة ملكته انتهى المدارك

فقالوا أي السامري ومن افتتن به أول ما رآه هذا إلهكم وإله موسى فنسي أي غفل عنه وذهب يطلبه في الطور وهذا حكاية لنتيجة فتنة السامري فعلا وقولا من جهته تعالى قصدا إلى زيادة تقريرها ثم ترتيب الإنكار عليها لا من جهة القائلين وإلا لقيل فأخرج لنا والحمل على أن عدولهم إلى ضمير الغيبة لبيان أن الإخراج والقول المذكورين للكل لا للعبدة فقط خلاف الظاهر مع أنه مخل باعتذارهم فإن مخالفة بعضهم للسامري وعدم افتتانهم بتسويله مع كون الإخراج والخطاب لهم مما يهون مخالفة للمعتذرين فافتتانهم بعد ذلك أعظم جناية وأكثر شناعة وأما ما قيل من أن المعتذرين هم الذين لم يعبدوا العجل وأن نسبة الإخلاف إلى أنفسهم وهم برآء منه من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا فلانا مع أن القاتل واحد منهم كأنهم قالوا وجدنا الإخلاف فيما بيننا بأمر كنا نملكه بل تمكنت الشبهة في قلوب العبدة حيث فعل السامري ما فعل فأخرج لهم ما أخرج وقال ما قال فلم نقدر على صرفهم عن ذلك ولم نفارقهم مخافة ازدياد الفتنة فيقضي بفساده سياق النظم الكريم وسياقه وقوله تعالى أفلا يرون الخ إنكار وتقبيح من جهته تعالى لحال الضالين والمضلين جميعا وتسفيه لهم فيما أقدموا عليه من المنكر الذي لا يشتبه بطلانه واستحالته على أحد وهو اتخاذه إلها والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي ألا يتفكرون فلا يعلمون أن لا يرجع إليهم قولا أي أنه لا يرجع إليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا فكيف يتوهمون أنه إله • وقرئ يرجع بالنصب قالوا فالرؤية بصرية فإن أن الناصبة لا تقع بعد أفعال اليقين أي ألا ينظرون فلا يبصرون عدم رجعه إليهم قولا من الأقوال

ط

ط وتعليق الابصار بما ذكر مع كونه امراً عدمياً للتنبيه على كمال ظهوره المستدعي لمزيد تشنيعهم وتركيك عقولهم
وقوله تعالى **ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً** عطف على لا يرجع داخل معه في حيز الرؤية اي افلا يرون انه لا يقدر على ان يدفع
عنهم ضراً او يجلب لهم نفعاً او لا يقدر على ان يضرهم ان لم يعبدوه او ينفعهم ان عبدوه **ولقد قال لهم هرون
من قبل** جملة قسمية مؤكدة لما قبلها من الانكار والتشنيع ببيان عتوهم واستعصائهم على الرسول اثر بيان مكابرتهم
لقضية العقول اي وبالله لقد نصح لهم هرون ونبههم على كنه الامر من قبل رجوع موسى عليه السلام اليهم وخطابه
اياهم بما ذكر من المقالات ● وقيل من قبل قول السامري كانه عليه السلام اول ما ابصره حين طلع من الحفيرة توهم
منهم الافتتان به فسارع الى تحذيرهم وقال لهم **يا قوم انما فتنتم** اي اوقعتم في الفتنة بالعجل او اضللتم به على
توجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى نفس الفعل بالقياس الى مقابله الذي يدعيه القوم لا الى قيده المذكور
بالقياس الى قيد اخر على معنى انما فعل بكم الفتنة لا الارشاد والى الحق لا على معنى انما فتنتم بالعجل لا بغيره
وقوله تعالى **وان ربكم الرحمن** بكسر ان عطفاً على انما ارشاد لهم الى الحق اثر زجرهم عن الباطل والتعرض لوصف العجل
للاهتمام بالزجر عن الباطل اي ان ربكم المستحق للعبادة هو الرحمن لا غير والفاء في قوله تعالى **فاتبعوني** لترتيب ما بعدها
على ما قبلها من مضمون الجملتين اي اذا كان الامر كذلك فاتبعوني في الثبات على الدين **واطيعوا امري** هذا واتركوا
عبادة ما عرفتم شانه **قالوا** في جواب هرون عليه السلام **لن نبرح عليه** على العجل وعبادته **عاكفين** مقيمين
حتى يرجع الينا موسى جعلوا رجوعه عليه السلام اليهم غاية لعكوفهم على عبادة العجل لكن لا على طريق الوعد
بتركها عند رجوعه عليه السلام بل بطريق التعلل والتسويف وقد دسوا تحت ذلك انه لا يرجع بشيء
مبني تعويلا على مقالة السامري ● روي انهم لما قالوه اعتزلهم هرون عليه السلام في اثني عشر الفا وهم
الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى عليه السلام وسمع الصياح وكانوا يرقصون حول العجل قال
للسبعين الذين كانوا معه هذا صوت الفتنة فقال لهم ما قال وسمع منهم ما قالوا وقوله تعالى **قال**
استيناف مبني على سؤال نشا من حكاية جوابهم لهرون عليه السلام كانه قيل فماذا قال موسى لهرون
حين سمع جوابهم له وهل رضي بسكوته بعد ما شاهد منهم ما شاهد فقيل قال له وهو مغتاظ
قد اخذ بلحيته وراسه **يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا** بعبادة العجل وبلغوا من المكابرة
الى ان شافهوك بتلك المقالة الشنعاء **ان لا تتبعني** اي ان تتبعني على ان لا مزيدة وهو مفعول ثان
لمنع وعامل في اذ اي اي شيء منعك حين رؤيتك لضلالهم من ان تتبعني في الغضب لله
والمقاتلة مع من كفر به وقيل المعنى ما حملك على ان لا تتبعني فان المنع عن الشيء مستلزم للحمل على
مقابله وقيل ما منعك ان تلحقني وتخبرني بضلالهم فيكون مفارقتك مزجرة لهم وفيه ان نصائح
هرون عليه السلام حيث لم تزجرهم عما كانوا عليه فلان لا تزجرهم مفارقته اياهم عنه اولى والاعتذار
بانهم اذا علموا انه يلحقه ويخبره عليهما السلام بالقصة يخافون رجوع موسى عليه السلام فينزجرون عن ذلك
بمعزل من حيز القبول كيف لا وهم قد صرحوا بانهم عاكفون عليه الى حين رجوعه عليه السلام **افعصيت امري**
اي بالصلابة في الدين والمحاماة عليه فان قوله له عليهما السلام اخلفني متضمن للامر بهما حتماً فان الخلافة
لا تتحقق الا بمباشرة الخليفة ما كان يباشره المستخلف لو كان حاضراً والهمزة للانكار التوبيخي والفاء
للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الم تتبعني او اخالفتني فعصيت امري انتهى ابو السعود رحمه الله

فقالوا اي السامري واتباعه **هذا** اي العجل **الهكم واله موسى فنسي** اي موسى ربه هنا وذهب يطلبه او نسي ان يخبركم
بان هذا الهه فقال تعالى منبهاً لهم انه لا يصلح ان يكون الها **افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا** اي اليس لهم عقل يعقلون
به ان العجل لا يصلح للالهية يعني انهم يعبدونه فلا ينظرون ان العجل عاجز عن الخطاب اذ لا يرجع اليهم قولا يعني لا يكلمهم
ولا يجيبهم اذا دعوه **ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً** اي لا يقدرون ان يدفع مضرة عنهم وان يجلب نفعاً لهم
فان مخففة من الثقيلة في ان لا يرجع على تقدير رفع يرجع **ولقد قال لهم هرون من قبل** اي قبل ان يعود اليهم موسى ثم
يا قوم انما فتنتم به اي ابتليتم بعبادة العجل من الله تعالى فلا تعبدوه **وان ربكم الرحمن** يقيناً **فاتبعوني** اي اتبعوا
ديني **واطيعوا امري** الذي امرتكم به **قالوا لن نبرح** اي لن نزول **عليه** على عبادته **عاكفين** اي مقيمين **حتى يرجع الينا موسى**

● فاعتزلهم هرون في اثني عشر الفا لم يعبدوا العجل ولما جاء موسى عليه السلام **قال يا هرون ما** اي اي شيء **منعك
اذ رايتهم ضلوا** بعبادة العجل من **ان لا تتبعني** لا مزيدة فيه اي من ان تتبع امري الذي امرتك به من القتال
بمصالحهم فتقاتلهم وتمنعهم من ان يضلوا عن سبيل الله وتلحق بي اذا عجزت عنهم **افعصيت امري** اي خالفت
وصيتي لك فاخذ شعر راسه بيمينه ولحيته بشماله يجره اليه **قال** هرون لموسى عليهما السلام **يا ابن ام** الخ

قال ابن أم وكان أخاه لأبيه وأمه عند الجمهور و
لكنه ذكر الأم استعطافا وترقيقا لا تأخذ بلحيتي ولا
برأسي ثم ذكر عذره فقال اني خشيت أن تقول
اذا قاتلت بعضهم ببعض فرقت بين بني اسرائيل
أو خفت ان تقول إن فارقتهم واتبعتك ولحق
بي فريق وتبع السامري فريق فرقت بين بني اسرائيل
ولم ترقب ولم تحفظ قولي واخلفني في قومي واصلح
وفيه دليل على جواز الاجتهاد ثم اقبل موسى عليه السلام
على السامري منكرا عليه حيث قال فما خطبك ما أمرك
الذي يخاطب عليه يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا
به قال الزجاج بصر علم وابصر نظر اي علمت بما لم تعلمه
بنو اسرائيل قال موسى عليه السلام وما ذاك قال
رأيت جبريل على فرس الحيوة فالقي في نفسي أن أقبض
من أثره فما ألقيته على شيء الا صار له روح ولحم ودم
فقبضت قبضة القبضة المرة من القبض واطلاقها
على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير
وقرئ فقبصت قبصة بالصاد فالضاد بجميع الكف
والصاد بأطراف الاصابع من أثر الرسول اي من اثر
فرس الرسول فنبذتها فطرحتها في جوف العجل وكذلك
سولت لي نفسي زينت أن افعله ففعلته اتباعا
لهواي وهو اعتراف بالخطاء واعتذار منه انتهى

قال يا ابن أم كان اخاه لابيه وامه عند الجمهور ولكنه ذكر الأم
استعطافا وترقيقا لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اي بشعرها
ثم ذكر عذره ولما كان النهي المذكور متضمنا لدعوى عدم العصيان
والاستحقاق بموجبه أورد العذر في صورة التعليل فقال
اني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل لو قاتلت أو
فارقت بعضهم ببعض ولم ترقب ولم تحفظ قولي اخلفني في
قومي واصلح لان الاصلاح كان في حفظ الدهماء والمداراة
بهم الى ان ترجع اليهم فتدبر الامر برأيك ثم اقبل على
السامري وقال له منكرا عليه فما خطبك سؤال القصة
فلذلك اجاب ببيانها ولو كان السؤال عن مطلوبه لما انتظم
الجواب والفاء لترتيب مدخوله على مدلول ما تقدم من
ظهور ان عرض هارون عليه السلام ثم فعله كان اصلا فكأنه
قال علم خطب هذا فما خطبك قال بصرت بما لم يبصروا به وقرئ
بالتاء على الخطاب اي علمت ما لم تعلموه وهو ان الرسول الذي
جاءك روحاني محض لا يمس اثره شيئا الا احياه او
رأيت ما لم تروه وهو ان جبرئيل عليه السلام جاءك
على فرس الحيوة قيل انما عرفه لان امه القته حين ولدته
خوفا من فرعون وكان جبرئيل عليه السلام يغذوه حتى
يستقل وكان يرى منه ذلك فقبضت قبضة من أثر
الرسول من تربة موطئه وقرأ ابن مسعود من اثر
فرس الرسول ولعله سماه الرسول لانه لم يعرف انه جبرئيل
او اراد ان ينبه على الوقت وهو حين ارسل اليه ليذهب
به الى الطور والقبضة المرة من القبض واطلق على المقبوض
وقرئ قبصة بالصاد المهملة والاول للاخذ بجميع الكف
والثاني الاخذ باطراف الاصابع فنبذتها في الحلي المذابة او في
جوف العجل فظهر فيه اثر الحيوة النبذ طرح الشيء عن اليد خاصة
وكذلك سولت لي نفسي زينت ان افعله ففعلته اتباعا
لهوى وهو اعتراف منه بالخطاء قال له موسى فاذهب الخ انتهى ابو السعود

مدلوله

قال يا ابن أم خص الأم بالاضافة استعطافا وترقيقا لقلبه لا لما قيل من انه كان اخاه لأم فان الجمهور
على انهما كانا شقيقين لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اي بشعر رأسي روي انه عليه السلام اخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله
من شدة غيظه وفرط غضبه لله تعالى وكان عليه السلام حديدا متصلبا في كل شيء فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل ففعل ما فعل
وقوله تعالى اني خشيت الخ استيناف سيق لتعليل موجب النهي ببيان الداعي الى ترك القتال وتحقيق انه غير عاص لامره بل
ممتثل به اي اني خشيت لو قاتلت بعضهم ببعض وتفانوا وتفرقوا أن تقول فرقت بين بني اسرائيل برأيك مع كونهم ابناء
واحد كما ينبئ عنه ذكرهم بذلك العنوان دون القوم ونحوه واراد عليه السلام بالتفريق ما يستتبعه القتال من التفريق الذي
لا يرجى بعده الاجتماع ولم ترقب قولي يريد به قوله اخلفني في قومي واصلح يعني اني رأيت ان الاصلاح في حفظ الدهماء و
المداراة معهم الى ان ترجع اليهم فلذلك استأنيتك لتكون انت المتدارك للامر حسبما رأيت لا سيما وقد كانوا في غاية القوة
ونحن على القلة والضعف كما يعرب عنه قوله تعالى ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني قال استيناف وقع جوابا عما نشأ
من حكاية ما سلف من اعتذار القوم باسناد الفساد الى السامري واعتذار هرون عليه السلام كأنه قال فما صنع موسى عليه السلام

بعد سماع ما حكي من الاعتذارين واستقرار اصل الفتنة على السامري فقيل قال موبخا له هذا شأنهم فما خطبك
يا سامري اي ما شأنك وما مطلوبك مما فعلت خاطبه عليه السلام بذلك ليظهر للناس بطلان كيده باعترافه ويفعل به
وبما صنعه من العقاب ما يكون نكالا للمفتونين به ولمن خلفهم من الامم قال اي السامري مجيبا له عليه السلام بصرت
بما لم يبصروا به بضم الصاد فيهما وقرئ بكسرها في الاول وفتحها في الثاني وقرئ بالتاء على الوجهين على خطاب موسى
وقومه اي علمت ما لم يعلمه القوم وفطنت لما لم يفطنوا له او رأيت ما لم تروه وهو الانسب بما سيأتي من قوله
وكذلك سولت لي نفسي لا سيما على القراءة بالخطاب فان ادعاء علم ما لم يعلمه موسى عليه السلام جراءة عظيمة
لا تليق بشأنه ولا بمقامه بخلاف ادعاء رؤية ما لم يره عليه السلام فانه مما يقع بحسب ما يتفق وقد كان
رأى ان جبرئيل عليه السلام جاء راكب فرس وكان كلما رفع الفرس يديه او رجليه على الطريق اليبس
يخرج من تحته النبات في الحال فعرف ان له شأنا فأخذ من موطئه حفنة وذلك قوله تعالى فقبضت قبضة
من أثر الرسول وقرئ من اثر فرس الرسول اي من تربة موطئ فرس الملك الذي ارسل اليك ليذهب بك
الى الطور ولعل ذكره بعنوان الرسالة للاشعار بوقوفه على ما لم يقف عليه القوم من الاسرار الالهية
تأكيدا لما صدر به مقالته والتنبيه على وقت اخذ ما اخذه والقبضة المرة من القبض اطلقت
على المقبوض مرة وقرئ بضم القاف وهو اسم المقبوض كالغرفة والمضغة وقرئ فقبصت قبصة بالصاد
المهملة والاول للاخذ بجميع الكف والثاني باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم فنبذتها اي في الحلي
المذابة فكان ما كان وكذلك سولت لي نفسي اي ما فعلته من القبض والنبذ فقوله تعالى ذلك اشارة
الى مصدر الفعل المذكور بعده ومحل الكاف في الاصل النصب على انه مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر
محذوف والتقدير سولت لي نفسي تسويلا كائنا مثل ذلك التسويل فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت
الكاف مقحمة لافادة تأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له
اي ذلك التزيين البديع زينت لي نفسي ما فعلته لا تزيينا ادنى منه ولذلك فعلته وحاصل جوابه ان ما فعله
انما صدر عنه بمحض اتباع هوى النفس الامارة بالسوء واغوائها لا بشيء آخر من البرهان العقلي والالهام
الالهي فعند ذلك قال
قال هرون لموسى عليهما السلام يا ابن أم بكسر الميم بنية الاضافة الى الياء وفتحها وحذف
الالف لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اي بشعر رأسي اني خشيت أن تقول اذا القيت بينهم عليه السلام فاذهب
الحرب فرقت بين بني اسرائيل وتغضب علي اي جعلتهم فرقتين ولم ترقب قولي اي لم تنتظر امري اولم تنتظر
قدومي ثم اقبل موسى عليه السلام على السامري وقال لم عملته فما خطبك اي فما شأنك هذا وما كان مطلوبك منه
اي ما الذي حملك على عمله يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا به بتاء الخطاب وعلمت ما لم تعلموا وقرئ بالياء غيبة يعني
بني اسرائيل قال موسى عليه السلام ما الذي رأيت قال رأيت رسولا اليك على فرس الحيوة فقبضت قبضة من أثر
الرسول اي المرسل اليك هو جبرئيل عليه السلام ليذهب بك الى الطور عند تمام موعد الذهاب اليه للمناجاة
وانما لم يقل جبرئيل لانه لم يعرف ان الرسول اسمه جبرئيل يعني اخذت من تراب اثر فرس المرسل اليك
حين رأيته راكب فرس الحيوة وقلت ان لها شأنا فاقبض من تربة موطئه فقبضت قبضة بالفتح والضم
اسم للمقبوض بالكف وبالصاد المهملة الاخذ باطراف الاصابع فنبذتها اي طرحتها في العجل المصاغ فحيي
وكذلك اي كما حدثتك سولت لي نفسي اي زينت فلا تلمني بفعلي ولمهم بعبادتهم العجل قيل
كيف رأى هو جبرئيل من بين سائر الناس اجيبت بان امه ولدته في السنة التي تقتل فيها البنون
ووضعته في كهف حذرا عليه فبعث الله تعالى جبرئيل عليه السلام ليربيه لاجل هذه الفتنة فعرفه حين رآه
انتهى العيون
اسمها ابو السعود رحمه الله

قال له موسى فاذهب من بيننا طريدًا فان لك عقوبة على فعلك في الحيوة ما عشت ان تقول لمن اراد مخالطتك جاهلاً بحالك لا مساس اي لا يمسني احد ولا امسه وذلك انه منع من مخالطة الناس منعًا كليًا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته وكل ما يعاون به الناس بعضهم بعضا واذا ماس احد حمّ الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس وعاد في الناس اوحش من الوحشي النافر وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة وان لك موعدًا في الآخرة لن تخلفه لن يخلف الله موعده ينجزه لك في الآخرة بعد ما عاقبك بذلك في الدنيا وقرئ لن تخلفه بكسر اللام من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفًا وقرئ بالنون على حكاية قول الله تعالى وانظر الى الهك الذي ظلت اصله ظللت فحذف اللام الاولى تخفيفا عليه اي على عبادته عاكفا مقيما لنحرقنه بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه من الاحراق وقرئ بالتخفيف اي لنبردنه بالمبرد وهو طريق تحريقه بالنار فانه لا يقبل في الذهب بالتفريق الا بهذا الطريق ثم لننسفنه لنذرينه رمادًا من نسف الطعام اذا ذراه ليطير منه قشوره في اليم نسفا فلا يصادف منه شيء والمقصود اظهار غباوة المفتونين به انما الهكم المستحق لعبادتكم الله الذي لا اله الا هو اذ لا احد يماثله او يدانيه في خواص الالوهية وسع كل شيء علما وسع علمه كل ما من شانه ان يعلم وقرئ بالتشديد فصار علما نصب على التمييز فهو في المعنى فاعل فلما نقل الى التعدية اليه فصار ما كان فاعلا مفعولا انتهى ابن الكمال

قال له موسى فاذهب من بيننا طريدًا فان لك في الحيوة ما عشت ان تقول لمن اراد مخالطتك جاهلا بحالك لا مساس اي لا يمسني احد ولا امسه فمنع من مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته واذا اتفق ان يماس احدًا حم الماس والممسوس وكان يهيم في البرية يصيح لا مساس ويقال ان ذلك موجود في اولاده الى الآن وقيل اراد موسى عليه السلام ان يقتله فمنعه الله منه لسخائه وان لك موعدا لن تخلفه لن يخلفك الله موعده الذي وعدك على الشرك والفساد في الارض ينجزه في الآخرة بعد ما عاقبك بذلك في الدنيا وانظر الى الهك الذي ظلت عليه ظللت حذف اللام الاولى تخفيفا عاكفا مقيما لنحرقنه بالنار ثم لننسفنه لنذرينه في اليم نسفا فحرقه وذراه في البحر فشرب بعضهم من مائه حبا له فظهرت على شفاههم صفرة الذهب انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما اي وسع علمه كل شيء انتهى المدارك

وحاصل جوابه ان ما فعله انما صدر عنه بمحض اتباع هوى النفس الامارة بالسوء واغوائها لا لشيء آخر من البرهان النقلي او الالهام الالهي فعند ذلك قال عليه السلام فاذهب اي من بين الناس وقوله تعالى فان لك في الحيوة الخ تعليل لموجب الامر وفي متعلقة بالاستقرار في لك اي ثابت لك في الحيوة او بمحذوف وقع حالا من الكاف والعامل معنى الاستقرار في الظرف المذكور لاعتماده على ما هو مبتدأ معنى لا لقوله تعالى ان تقول لا مساس لمكان ان اي ثابت لك كائنا في الحيوة اي مدة حيوتك ان تفارقهم مفارقة كلية لكن لا بحسب الاختيار بموجب التكليف بل بحسب الاضطرار الملجئ اليها وذلك انه تعالى رماه بداء عقام لا يكاد يمس احدًا او يمسه احد كائنا من كان الا حمّا من ساعته حمى شديدة فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح باقصى طوقه لا مساس وحرم عليهم ملاقاته ومواجهته ومكالمته ومبايعته وغيرها مما يعتاد جريانه فيما بين الناس من المعاملات وصار بين الناس اوحش من القاتل اللاجئ الى الحرم ومن الوحشي النافر في البرية ويقال ان قومه باق فيهم تلك الحالة الى اليوم وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة ولعل السر في مقابلة جنايته بتلك العقوبة خاصة ما بينهما من مناسبة التضاد فانه لما انشأ الفتنة بما كانت ملابسة سببا لحيوة الموات عوقب بما يضاده حيث جعلت ملابسته سببا للحمى التي هي من اسباب موت الاحياء وان لك موعدا اي في الآخرة لن تخلفه اي لن يخلفك الله ذلك الوعد بل ينجزه لك البتة بعد ما عاقبك في الدنيا وقرئ بكسر اللام والاظهر انه من اخلفت الموعد اي وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله عز وجل وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا اي ظللت مقيما على عبادته فحذفت اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء بنقل حركة اللام اليها لنحرقنه جواب قسم محذوف اي بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه من الاحراق وقيل بالمبرد على انه مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه ثم لننسفنه اي لنذرينه وقرئ بضم السين في اليم رمادا او مبرودا كانه هباء نسفا بحيث لا يبقى منه عين ولا اثر ولقد فعل عليه السلام ذلك كله حينئذ كما يشهد به الامر بالنظر وانما لم يصرح به تنبيها على كمال ظهوره واستحالة الخلف في وعده المؤكد باليمين انما الهكم الله الآية

انما الهكم الله استئناف مسوق لتحقيق الحق اثر ابطال الباطل بتلوين الخطاب وتوجيهه الى الكل اي انما معبودكم المستحق للعبادة الله الذي لا اله في الوجود لشيء من الاشياء الا هو وحده من غير ان يشاركه شيء من الاشياء بوجه من الوجوه التي من جملتها احكام الالوهية وقرئ الله لا اله الا هو الرحمن رب العرش وقوله تعالى وسع كل شيء علما اي وسع علمه كل ما من شانه ان يعلم بدل من الصلة كانه قيل انما الهكم الذي وسع كل شيء علما لا غيره كائنا ما كان فيدخل فيه العجل دخولا اوليا وقرئ وسّع بالتشديد فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه على القراءة الاولى فاعل حقيقة وبنقل الفعل الى التعدية الى المفعولين صار الفاعل مفعولا اول كانه قيل وسع علمه كل شيء وبه تم حديث موسى عليه السلام المذكور لتقرير امر التوحيد حسبما نطقت به خاتمته انتهى ابو السعود رحمه الله

قال موسى عليه السلام له فاذهب من بيننا مطرودا فان لك في الحيوة اي في عمرك ان تقول لا مساس اي لا يمسني احد ولا امس احدا فكان يهيم اي يتحير في البرية لا يخالطه الناس وكان اذا راى احدا قال لا تقربني وفر منه لانه اذا مس احدا او مسه احد حما كلاهما وروي ان ذلك موجود في اولاده الى الآن فكان ذلك اشد عقوبة له في الدنيا فهم موسى عليه السلام بقتل السامري فاوحى الله تعالى اليه لا تقتل السامري فانه سخي ولكن اخرجه من عندك وقل وان لك موعدا لعذابك لن تخلفه بضم الياء وكسر اللام من اخلف الموعد اذا غاب عنه وبفتح اللام اي تبعث اليه البتة المعنى ان هذا لك في الدنيا ولك في الآخرة موعد لن تغيب عنه او لن تؤخر عنه يعني يكافيك الله تعالى على ما فعلته ثمة والله لا يخلف الميعاد وانظر يا سامري الى الهك بزعمك الذي ظلت اي المعبود الذي صرت عليه عاكفا اي مقيما على عبادته لنحرقنه بالنار مرة بعد مرة ثم لننسفنه اي لنذرينه في اليم اي في البحر نسفا اي ذروا يبطل سعيك واصل ظلت ظللت حذفت اللام الاولى ونقل حركتها الى الظاء ومنهم من لم ينقل ولم يحذف روي انه عليه السلام اخذ العجل فذبحه ثم حرقه بالنار ثم ذراه في اليم انما الهكم الله الذي لا اله الا هو اي العجل ليس بالهكم وانما الهكم الله الذي لا معبود للخلق سواه وسع كل شيء علما اي وسع علمه واحاط بكل شيء اي بما كان وما يكون من العيون

وقوله تعالى كذلك نقص عليك كلام مستأنف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق الوعد الجميل بتنزيل أمثال ما مر من أنباء الأمم السالفة وذلك إشارة إلى اقتصاص حديث موسى عليه السلام وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل ومحل الكاف النصب على أنه نعت لمصدر مقدر أي نقص عليك من أنباء ما سبق من الحوادث الماضية الجارية على الأمم الخالية قصا مثل ذلك القص المار والتقديم للقصر المفيد لزيادة التعيين ومن في قوله تعالى من أنباء في حيز النصب إما على أنه مفعول نقص باعتبار مضمونه وإما على أنه متعلق بمحذوف هو صفة للمفعول كما في قوله تعالى ومنا دون ذلك أي جمع دون ذلك والمعنى نقص عليك بعض أنباء ما قد سبق أو بعضا كائنا من أنباء ما قد سبق وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الخ وتأخيره عن عليك لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر أي مثل ذلك القص البديع الذي سمعته نقص عليك ما ذكر من الأنباء لا قصا ناقصا عنه تبصرة لك وتوفيرا لعلمك وتكثيرا لمعجزاتك وتذكيرا للمستبصرين من أمتك وقد آتيناك من لدنا ذكرا أي كتابا منطويا على هذه الأقاصيص والأخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار وكلمة من متعلقة بآتيناك وتنكير ذكرا للتفخيم وتأخيره عن الجار والمجرور لما أن مرجع الإفادة في الجملة كون المؤتى من لدنه تعالى ذكرا عظيما وقرآنا كريما جامعا لكل كمال لا كون ذلك الذكر مؤتى من لدنه عز وجل مع ما فيه من نوع طول بما بعده من الصفة فتقديمه يذهب برونق النظم الكريم من أعرض عنه أي عن ذلك الذكر العظيم الشأن المستتبع لسعادة الدارين وقيل عن الله عز وجل ومن إما شرطية أو موصولة وأيا ما كانت فالجملة صفة لذكرا فإنه أي المعرض عنه يحمل يوم القيامة وزرا أي عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وسائر ذنوبه وتسميتها وزرا إما لتشبيهها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره أو لأنها جزاء الوزر وهو الإثم والأول هو الأنسب بما سيأتي من تسميتها حملا وقوله تعالى خالدين فيه أي في الوزر أو في احتماله المستمر حال من المستكن في يحمل والجمع بالنظر إلى معنى من لما أن الخلود في النار مما يتحقق حال اجتماع أهلها كما أن الإفراد فيما سبق من الضمائر الثلاثة بالنظر إلى لفظها وساء لهم يوم القيامة حملا أي بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف أي ساء حملا وزرهم واللام للبيان كما في هيت لك كأنه قيل لمن يقال هذا فأجيب لهم وإعادة يوم القيامة لزيادة التقرير وتهويل الأمر يوم ينفخ في الصور بدل من يوم القيامة أو منصوب بإضمار اذكر أو ظرف لمضمر قد حذف للإيذان بضيق العبارة عن حصره وبيانه حسبما مر في تفسير قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقوله يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا وقرئ ننفخ بالنون على إسناد النفخ إلى الآمر به تعظيما له وبالياء المفتوحة على أن ضميره لله عز وجل أو لإسرافيل عليه السلام وإن لم يجر ذكره لشهرته ونحشر المجرمين يومئذ أي يوم إذ ينفخ في الصور وذكره صريحا مع تعين أن الحشر لا يكون إلا يومئذ للتهويل وقرئ ويحشر المجرمون زرقا أي حال كونهم زرق العيون وإنما جعلوا كذلك لأن الزرقة أسوأ ألوان العين وأبغضها إلى العرب فإن الروم الذين كانوا أعدى عدوهم زرق ولذلك قالوا في صفة العدو أسود الكبد وأصهب السبال وأزرق العين أو عميا لأن حدقة الأعمى تزرق وقوله تعالى يتخافتون بينهم أي يخفضون أصواتهم ويخفونها لما يملأ صدورهم من الرعب والهول استئناف لبيان ما يأتون وما يذرون حينئذ أو حال أخرى من المجرمين أي يقول بعضهم لبعض بطريق المخافتة إن لبثتم أي ما لبثتم في الدنيا إلا عشرا أي عشر ليال استقصارا لمدة لبثهم فيها لزوالها أو لاستطالتهم مدة الآخرة أو لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وأيقنوا أنهم استحقوها على إضاعتها في قضاء الأوطار واتباع الشهوات أو في القبر وهو الأنسب بحالهم فإنهم حين يشاهدون البعث الذي كانوا ينكرونه في الدنيا ويعدونه من قبيل المحالات لا يتمالكون من أن يقولوا ذلك اعترافا به وتحقيقا لسرعة وقوعه كأنهم قالوا قد بعثتم وما لبثتم في القبر إلا مدة يسيرة وإلا فحالهم أفظع من أن يمكنهم الاشتغال بتذكر أيام النعمة والسرور واستقصارها والتأسف عليها نحن أعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم إذ يقول أمثلهم طريقة أي أعدلهم رأيا إن لبثتم إلا يوما ونسبة هذا القول إلى أمثلهم استرجاع منه تعالى له لا لكونه أقرب إلى الصدق بل لكونه أدل على شدة الهول

انتهى أبو السعود رحمه الله

فيه رد

صه رد في ط

كذلك أي كما اقتص لنبيه عليه السلام مثل ذكرنا لك من أخبار بني إسرائيل نقص عليك من أنباء أي أخبار ما قد سلف من الأمم الماضية وقد آتيناك أي أعطيناك من لدنا ذكرا أي قرآنا كرامة لك من عندنا وزيادة في معجزاتك ليعتبر السامع ويزداد بصيرة في دينه وفيه النجاة والسعادة لمن أقبل عليه من أعرض عنه أي عن القرآن فلم يؤمن به ولم يعمل به بجحده آياته فإنه يحمل يوم القيامة وزرا أي إثما ثقيلا خالدين حال من ضمير يحمل وجمع نظرا إلى معنى من ماكثين فيه أي في عقاب الوزر وساء لهم يوم القيامة حملا تمييز لما أبهم في ساء بمعنى بئس من العمل أي ساء حملا وزرهم يعني بئس ما يحملون من الذنوب قيل نصب حملا على التمييز يمنع من أن في ساء ضمير الوزر واللام في لهم للبيان وهو يدل على أن ساء بمعنى بئس لا بمعنى أحزن إذ لا يقال أحزن له بل يقال أحزنه قوله يوم ينفخ بالنون إخبارا عن المتكلم تعظيما وبالياء مجهولا يجوز أن يكون بدلا من يوم القيامة ويجوز أن يكون عامله محذوفا تقديره حذرهم يوم ينفخ أسند إليه على الكلام في الصور الذي التقم للنفخ ونحشر المجرمين أي المشركين يومئذ زرقا زرق الأعين من شدة العطش وشدة الخضرة في سواد العين وقيل عميا لأن العين إذا زال نورها ازرقت الزرقة علامة أهل النار قوله يتخافتون حال من ضمير زرقا من الخفوف وهو السكوت أي يتسارّون بينهم يقول ذلك اليوم بعضهم لبعض إن لبثتم في الدنيا استقصارا لمدة لبثهم فيها أو بين النفختين وهو أربعون سنة لأنهم لا يعذبون فيها أو في القبور بعد الموت يعني يقولون ما مكثتم إلا عشرا أي عشرة أيام وقيل عشر ساعات قال الله تعالى نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة أي أوفاهم عقلا وأفهمهم رأيا وقولا إن لبثتم إلا يوما لقصره عندهم لأن أيام الراحة قليلة وقيل نسوا مقدار لبثهم لشدة ما دهمهم

من القيوه

كذلك نقص اي مثل ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون نقص عليك من انباء ما قد سبق من اخبار الامم الماضية تكثيرا لبيناتك وزيادة في معجزاتك وقد آتيناك اعطيناك من لدنا من عندنا ذكرا قرآنا فانه ذكر عظيم وقرآن كريم فيه النجاة لمن اقبل عليه وهو مشتمل على الاقاصيص والاخبار الحقيقة بالتفكر والاعتبار من اعرض عنه عن هذا الذكر وهو القرآن ولم يؤمن به فانه يحمل يوم القيمة وزرا عقوبة ثقيلة سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الثقيل الذي ينقض ظهره ويلقي عليه بهره او لانها جزاء الوزر وهو الاثم خالدين حال من الضمير في يحمل وانما جمع على المعنى ووحد في فانه حملا على لفظ من فيه في الوزر اي في جزاء الوزر وهو العذاب وساء لهم يوم القيمة حملا ساء في حكم بئس وفيه ضمير مبهم يفسره حملا وهو تمييز واللام في لهم للبيان كما في هيت لك والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء الحمل حملا وزرهم يوم ينفخ بدل من يوم القيمة في الصور القرن او هو جمع صورة اي ننفخ الارواح فيها دليله قراءة قتادة في الصور بفتح الواو جمع صورة ونحشر المجرمين يومئذ زرقا حال اي عميا وهذا لان حدقة من يذهب نور بصره تزرق يتخافتون بينهم اي يتسارون بينهم اي يقول بعضهم لبعض سرا لهول ذلك اليوم ان لبثتم ما لبثتم في الدنيا الا عشرا اي عشر ليال يستقصرون مدة لبثهم في القبور او في الدنيا لما يعاينون من الشدائد التي تذكرهم ايام النعمة والسرور فيتأسفون عليها ويصفونها بالقصر لان ايام السرور قصار او لانها ذهبت عنهم والذاهب وان طالت مدته قصير بالانتهاء او لاستطالتهم الآخرة لانها ابد يستقصر اليها عمر الدنيا ويتقلل لبث اهلها فيها بالقياس الى لبثهم في الآخرة وقد رجح الله قول من يكون اشد تقالا منهم بقوله نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة اعدلهم قولا ان لبثتم الا يوما وهو كقوله لبثنا يوما او بعض يوم فاسأل العادين

انتهى المدارك

حملا

كذلك اي مثل ذلك الاقتصاص العجيب اي اقتصاص قصة موسى وفرعون والسامري والكاف في محل النصب على المصدر نقص عليك من انباء ما قد سبق من الامم السالفة واحوالهم تكثيرا للمعجزات وتذكيرا للمستبصرين والنبأ الخبر العجيب الشأن وقد آتيناك من لدنا ذكرا كتابا مشتملا على هذه القصص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار والتنكير فيه للتعظيم وتقديم من لدنا للتخصيص اي ذكرا لا يمكن ان يؤتى الا من عندنا وهو حقيق للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا جليلا من بين الناس ولا يساعده قوله من اعرض عنه عن هذا الذكر الذي هو القرآن الجامع لوجوه السعادة فانه يحمل يوم القيمة وزرا عقوبة ثقيلة شبه العقوبة الثقيلة على المعاقب بالحمل الفادح للحامل في صعوبة احتمالها وكونها ينقض ظهره او سمي جزاء الوزر وهو الاثم وزرا خالدين حال من الضمير في يحمل وانما جمع على المعنى ووحد في فانه حملا على لفظ من فيه في الوزر او في حمله وساء لهم يوم القيمة حملا ساء في حكم بئس وفيه ضمير مبهم يفسره حملا وهو تمييز واللام في لهم للبيان كما في هيت لك والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره وساء حملا وزرهم يوم ينفخ قرئ بالنون على اسناد النفخ الى الآمر تعظيما له او للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة على ان فيه ضمير اسمه تعالى او ضمير اسرافيل عم وان لم يجر ذكره لانه المشهور بذلك في الصور وقد سبق بيان ذلك ونحشر المجرمين يومئذ زرقا اي عميا كما قال ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وهذا لان حدقة من يذهب نور بصره تزرق وقيل ازرقت عيونهم من شدة العطش وقيل اي تشوه خلقتهم فتسود وجوههم وتزرق عيونهم يتخافتون بينهم يخفضون اصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول والخفت خفض الصوت واخفاته ان لبثتم اي في الدنيا الا عشرا لا حاجة الى التأويل في عشرا لما نقل عن ائمة النحو انه اذا كان المعدود مذكرا وحذف فيه ذلك فيه وجهان يستقصرون مدة لبثهم فيها اما لتقضيها لان المنقضي وان طال قصير بالانتهاء واما لاستطالتهم مدة الآخرة فانها الابد يستقصر مدة الدنيا ويستحقر لبث اهلها فيها بالنسبة اليه ولهذا رجح قول من هو اشد تقالا واستحقارا منهم وقيل في القبر لقوله ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون الآية نحن اعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم اذ يقول امثلهم طريقة افضلهم سيرة او اشدهم رأيا ان لبثتم الا يوما وجه رجحانه انه ابلغ في الطريقة المذكورة انفا انتهى ابن الكمال

ويسئلونك عن الجبال اى عن مآل امرها وقد سُئل عنه رجل من ثقيف بعد النزول فقل ذكر هنا الفاء في الجواب ولم يذكر في سائر السؤالات ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى قل اصلاح لهم خير وعن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير وعن الساعة ايان مرسيها قل انما علمها وعن الروح قل الروح وعن ذي القرنين قل سأتلو عليكم لان الجواب فيها عن سؤالات واقعة قبل النزول وهنا عن سؤال علم الله تعالى وقوعه واخبر عنه ولم تقع بعد ذلك اجاب بالفاء الفصيحة فكان المعنى اذا سألوك فقل ينسفها ربي نسفا قال الخليل تقلعها فيذرها فيترك القفر للارض للعلم به كقوله ما ترك على ظهرها ولو كان المعنى يجعلها كالرمل ثم يرسل الرياح عليها فيفرقها ويذرها كما يذري الحب لكان حق يذرها ان يصدر بالواو الفصيحة قاعا صفصفا القاع الارض المستوي والصفصف الارض الملساء فقوله لا ترى فيها عوجا مؤكد للاول وقوله ولا امتا مؤكد للثاني فان الامت النتو اليسير ولا اختصاص للعوج بالكسر بالمعاني قال ابن السكيت وكل ما ينتصب كالحائط والعود قيل عوج بالفتح والعوج بالكسر ما كان في ارض او دين او معاش يومئذ ظرف ليتبعون مضاف الى وقت النسف اي يوم اذ نسفت او بدل ثان من يوم القيمة يتبعون الداعي داعي الله تعالى الى المحشر وقيل هو اسرافيل عليه السلام يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل اوب الى صوته لا عوج له في مدعوه اي لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه بل يستوون اليه من غير انحراف عن سمت صوته انتهى ما قال

خاصة لا كقاع الجبال خاصة لعدم الحكم المذكور لوجه الارض كلها

ويسئلونك عن الجبال سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ما يصنع بالجبال يوم القيمة وقيل لم يسأل وتقديره ان سألوك فقل ولذا قرن بالفاء بخلاف سائر السؤال مثل قوله تعالى ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى وغيره لانه ومثلها سؤالات تقدمت فورد جوابا ولم يكن فيها معنى الشرط فلم يذكر الفاء ينسفها ربي نسفا يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها كما تذري الطعام وقال الخليل يقلعها فيذرها فيذر مقارها او يجعل الضمير للارض للعلم بها لقوله تعالى ما ترك على ظهرها قاعا صفصفا مستويا ملساء لا ترى فيها عوجا انخفاضا ولا امتا ارتفاعا والعوج وان كان في المعاني كما ان العوج في الاعيان فالارض عين ولكن لما كانت الارض مستوية بحيث لا يمكن ان يوجد فيها اعوجاج بوجه ما وان دقت الحيلة ولطفت جرت مجرى المعاني يومئذ اضاف اليوم الى وقت نسف الجبال اي يوم اذ نسفت ويجوز بدلا بعد بدل من يوم القيمة يتبعون الداعي الى المحشر اي صوت الداعي وهو اسرافيل عم حين ينادي على صخرة بيت المقدس ايتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلم الى عرض الرحمن فيقبلون من كل اوب الى صوته لا يعدلون عنه لا عوج له اي لا يعوج مدعو بل يستوون اليه من غير انحراف متبعين بصوته انتهى المدارك

ويسئلونك عن الجبال اى عن مآل امرها وقد سأل عنه رجل من ثقيف وقيل مشركوا مكة على طريق الاستهزاء فقل ينسفها ربي نسفا اى يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها والفاء للمسارعة الى الزام السائلين فيذرها الضمير اما للجبال باعتبار اجزائها السافلة الباقية بعد النسف وهي مقارها ومراكزها اي فيذر ما انبسط منها وساوى سطحه سطوح سائر اجزاء الارض بعد نسف ما نتا منها ونشز واما للارض المدلول عليها بقرينة الحال لانها الباقية بعد نسف الجبال وعلى التقدير من يذر الكل قاعا صفصفا لان الجبال اذا سويت وجعل سطحها مساويا لسطوح سائر اجزاء الارض فقد جعل الكل سطحا واحدا والقاع قيل السهل وقيل المنكشف من الارض وقيل المستوى الصلب منها وقيل ما لا نبات فيه ولا بناء والصفصف الارض المستوية الملساء كان اجزاءه صف واحد من كل جهة وانتصاب قاعا على الحالية من الضمير المنصوب او هو مفعول ثان ليذر على تضمين معنى التصيير وصفصفا اما حال ثانية او بدل من المفعول الثاني وقوله تعالى لا ترى فيها اى في مقار الجبال او في الارض على ما مر من التفصيل عوجا بكسر العين اى اعوجاجا ما كانه لغاية خفائه من قبيل ما في المعاني اى لا تدركه ان تاملت بالمقاييس الهندسية ولا امتا اى نتوا يسيرا استيناف مبين لكيفية ما سبق من القاع الصفصف او حال اخرى او صفة لقاعا والخطاب لكل احد ممن يتاتى منه الرؤية وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من طول ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم يومئذ اى يوم اذ نسفت الجبال على اضافة اليوم الى وقت النسف وهو ظرف لقوله تعالى يتبعون الداعي

يتبعون الداعي وقيل بدل من يوم القيمة وليس بذاك اى يتبع الناس داعي الله عز وجل الى المحشر وهو اسرافيل عليه السلام يدعو الناس عند النفخة الثانية قائما على صخرة بيت المقدس ويقول ايتها العظام النخرة والاوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة قومي الى عرض الرحمن فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه انتهى ابو السعود رحمه الله

ويسئلونك عن الجبال اى يسألك بعض اهل مكة وهم بنو ثقيف يا رسول الله ما يصنع الله بالجبال يوم القيمة فقل ينسفها ربي نسفا اى يقلعها عن اماكنها بان يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الريح فتذروها فتصير كالهباء المنثور فيذرها اي يترك اماكنها او الارض قاعا اي ارضا منبسطة صفصفا اي ملساء مستوية لا ترى فيها عوجا اى انخفاضا ولا امتا اى ارتفاعا وانما قال عوجا بالكسر في الارض ولا يستعمل ذلك الا في المعاني لانه اعتبر الاستواء ونفي الاعوجاج عنها فالتحقت بالمعاني يومئذ يتبعون الداعي اى الناس يقصدون الى الداعي يعني صوته وهو اسرافيل عليه السلام حين ينادي قائما على صخرة بيت المقدس ايتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلموا الى عرض الرحمن فيأتون سعيا من كل ناحية الى صوته لا عوج له اي لا يعوج له مدعو من الناس بل يتبعه من غير عدول عنه من العيون

وخشعت سكنت الاصوات للرحمن هيبةً واجلالاً فلا تسمع الا همسا صوتا خفيفا كتحريك الشفاه وقيل هو من همس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت اى لا يسمع الا خفق الاقدام ونقلها الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن محل من رفع على البدل من الشفاعة بتقدير المضاف اى لا تنفع الا شفاعة من اذن له الرحمن اى اذن للشافع في الشفاعة ورضي له قولا اى رضي قول لاجله بان يكون المشفوع له مسلما • او نصب على انه مفعول تنفع يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اى يعلم ما تقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه ولا يحيطون به علما بما احاط به علم الله فيرجع الضمير الى ما او الى الله لانه تعالى ليس بمحاط وان الله قديم وعلم المخلوق لا يحيط بالقديم • وفيه اشارة الى العجز عن كنه معرفته وعنت الوجوه خضعت وذلت اصحابها ومنه قيل للاسير عان للحي الذي لا يموت وكل حيوة يتبعها الموت فهي كان لم تكن القيوم الدائم القائم على كل نفس بما كسبت او القائم بتدبير الخلق وقد خاب يئس من رحمة الله من حمل ظلما من حمل الى موقف القيمة شركا لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه ولا ظلم اشد من جعل المخلوق شريك من خلقه انتهى المدارك

وخشعت الاصوات للرحمن هيبة واجلالا والخشوع كالخضوع في من صفات النفس الا ان مظهر الاول منها الصوت ومظهر الثاني العنق فيسند كل منهما الى مظهره فلا تسمع الا همسا صوتا خفيا وقيل هو من همس الابل وهو صوت اخفافه اذا مشت اى لا تسمع الا خفق الاقدام ونقلها الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن من مرفوع المحل بدل من الشفاعة على تقدير حذف المضاف اى لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن وتنفع على هذا من جملة الافعال التي جعل مفاعيلها نسيا منسيا واجرت مجرى الفعل اللازم للمبالغة في التعميم كقولهم فلان يعطي ويمنع او منصوب المحل على المفعولية والاستثناء مفرغ ومعنى اذن له على هذا اذن لاجله اى اذن للشافع وان يحتمل ان يكون من الاذن ومن الاذن بفتح الهمزة ورضي له قولا اى ورضي لمكانته عند الله تعالى في الشفاعة او ورضي لاجله قول الشافع في شانه او قوله لاجله في شانه يعلم ما بين ايديهم ما تقدمهم من الاحوال وما خلفهم وما يستقبلونه او على العكس ولا يحيطون به علما الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما وعنت الوجوه للحي القيوم ذلت وخضعت وخص الوجوه لان اثار الذل انما يظهر اولا فيها وظاهرها يقتضي العموم • ويجوز ان يكون التعريف باللام بدلا عن التعريف بالاضافة على ان المراد وجوه المجرمين ويؤيده وقد خاب من حمل ظلما يحتمل الحال والاستيناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم والاعتراض ولا يابله كونه في مقابلة قوله وهو مؤمن لان التقابل المعنوي كاف فان الاعتراض كالاستيناف لا يتباعد عن الحال °° يأتي وجه ذلك الاسناد في تغيير قوله تعالى فظلت اعناقهم لها خاضعين انتهى ابن الكمال

هذا ما ذكره الكواشي بقوله ورضي له اى للمشفوع فيه قولا بان قال لا اله الا الله منه

وخشعت الاصوات للرحمن اى خضعت لهيبته فلا تسمع الا همسا اى صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر يومئذ اى يوم اذ يقع ما ذكر من الامور الهائلة لا تنفع الشفاعة من الشفعاء احدا الا من اذن له الرحمن ان يشفع له ورضي قولا اى ورضي لاجله قول الشافع في شانه او رضي قوله لاجله وفي شانه واما من عداه فلا تكاد تنفعه وان فرض صدورها عن الشفعاء المتصدين للشفاعة للناس كقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين فالاستثناء كما ترى من اعم المفاعيل • واما كونه استثناء من الشفاعة على معنى لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن ان يشفع لغيره كما جوزوه فلا سبيل اليه • لما ان حكم الشفاعة ممن لم يؤذن له ان لا يملكها ولا تصدر هي عنه اصلا كما في قوله تعالى لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا • وقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى • فالاخبار عنها بمجرد عدم نفعها للمشفوع له ربما يوهم امكان صدورها عمن لم يؤذن له مع اخلاله بمقتضى مقام تهويل الامر واما قوله تعالى فلا يقبل منها شفاعة فمعناه عدم الاذن في الشفاعة لا عدم قبولها بعد وقوعها يعلم ما بين ايديهم اى ما تقدمهم من الاحوال وقيل من امر الدنيا وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه وقيل من امر الاخرة ولا يحيطون به علما اى لا يحيط علومهم بمعلوماته تعالى وقيل بذاته اى من حيث اتصافه بصفات الكمال التي من جملتها العلم الشامل • وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لا يعلمون جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه وعنت الوجوه للحي القيوم اى ذلت وخضعت خضوع العناة اى الاسارى في ايدي الملك القهار ولعلها وجوه المجرمين كقوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا ويؤيده قوله تعالى وقد خاب من حمل ظلما قال ابن عباس رضي الله عنهما خسر من اشرك بالله ولم يتب وهو استيناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم او اعتراض كانه قيل خابوا وخسروا وقيل حال من الوجوه ومن عبارة عنها مغنية عن ضميرها وقيل الوجوه على العموم فالمعنى حينئذ وقد خاب من حمل منهم ظلما انتهى ابو السعود رحمه الله

وخشعت الاصوات اى خفضت وذلت للرحمن من شدة الفزع والمراد اصحابها ولا تسمع الا همسا اى صوتا خفيا من مشي الاقدام بخفاء الى المحشر خوفا وخيفة وقيل الهمس تحريك الشفة بلا نطق يومئذ لا تنفع الشفاعة احدا من الناس عنده الا الشفاعة من اذن له الرحمن ان يشفع فيشفع ورضي له قولا اى رضي قوله بان قال لا اله الا الله خالصا في الدنيا ويجوز ان يكون من مفعولا فالمعنى على هذا لا تنفع شفاعة الشافع الا من اذن الله تعالى لاجله ان يشفع ورضي له قوله وهذا يدل على ان لا شفاعة لغير المؤمنين يعلم الله تعالى ما بين ايديهم وما خلفهم اى جميع احوالهم المتقدمة والمستقبلة فاخبارهم عن علم وهم لا يحيطون به علما اى لا يعلمون بما بين ايديهم من الاخرة وما خلفهم من الاعمال وقيل الضمير لله اى معلوماته وعنت الوجوه اى خضعت وجوه العصاة للحي القيوم وذلك عند معاينة سوء الحساب والشقوة والخيبة يومئذ وقد خاب اى خسر من حمل ظلما شركا انتهى الكواشي

ومن يعمل من الصالحات بعض الطاعات وهو مؤمن اذ الايمان شرط قبولها فلا يخاف قرئ فلا يخف على النهي ظلما منع ثواب يستحق بالوعد والظلم ان يأخذ من صاحبه فوق حقه ولا هضما ولا كسرا منه بنقصان او جزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه وكذلك انزلناه قرآنا عطف على كذلك نقص اي مثل ذلك الانزال هو من انباء الاولين او مثل انزال هذه الآيات المتضمنة للوعيد انزل الاعظا انزلنا القرآن كله عربيا بلغة العرب وصرفنا فيه من الوعيد كررنا القول فيه من انواع الوعيد صارفين له من نوع الى آخر لعلهم يتقون لكي يتقوا المعاصي فيصير التقوى لهم ملكة او يحدث لهم ذكرا عظة واعتبارا اسند التقوى اليهم واحداث التذكر والاتعاظ الى القرآن مع كلمة الترجي بعد ذكر تصريف الوعيد في القرآن لان التكرار يفيد ملكة التقوى لهم غالبا فيكونون في صورة المرجو المترجح فيه عادة التقوى والا فلا اقل من احداث العظة فهم حين سماعه فيتبنطون عنها فتعالى الله ارتفع عن فنون الظنون واوهام الاخلام وتنزه عن مضاهات الانام ومشابهة الاجسام فلا يماثل كلامه كلامهم كما لا يماثل ذاته ذاتهم استعظام له تعالى ولما نزل وصرف على عباده من الوعيد الملك النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى عقابه ووعيده الحق العدل في حكمه وملكوته او المستحق للملك بذاته او الثابت في ذاته وصفاته لما ذكر القرآن وانزاله قال استطرادا ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي اي تأن فيه ريثما يسمعك جبريل ويفهمك ثم ابدأ بالتحفظ لقوله لا تحرك به لسانك لتعجل به وقيل لا تبلغ ما كان مجملا حتى يأتيك بيانه وقل رب زدني علما واسأل الله تعالى زيادة العلم بدل الاستعجال فان ما اوحي اليك تناله لا محالة

انتهى ابن كمال

ومن يعمل من الصالحات الطاعات وهو مؤمن مصدق بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على انه يتحقق الايمان بدون الاعمال الصالحة وان الايمان شرط قبولها فلا يخاف اي فهو لا يخاف فلا يخف على النهي مكي ابن كثير ظلما ان يزداد في سيئاته ولا هضما ولا ينقص من حسناته واصل الهضم النقص والكسر وكذلك عطف على كما نقص اي ومثل ذلك الانزال انزلناه قرآنا عربيا بلسان العرب وصرفنا كررنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون يجتنبون الشرك او يحدث لهم ذكرا الوعيد او القرآن عظة وشرفا بايمانهم به وقيل او بمعنى الواو فتعالى الله الملك ارتفع عن فنون الظنون واوهام الافهام وتنزه عن مضاهاة الانام ومشابهة الاجسام الذي احتاج اليه الملوك الحق في الالوهية ولما ذكر القرآن واستنزاله قال استطرادا واذا لقنك جبريل ما يوحى اليك من القرآن فتأن عليك ريثما يسمعك ويفهمك ولا تعجل بالقرآن بقراءته من قبل ان يقضى اليك وحيه من قبل ان يفرغ جبريل من الابلاغ وقل رب زدني علما بالقرآن ومعانيه قيل ما امر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء الا في العلم وقيل معنى ولا تعجل بالقرآن ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه جبريل بالقرآن يبادر فيقرأ معه قبل ان يفرغ مما يريد من التلاوة مخافة الانفلات والنسيان فنهاه الله عن ذلك وقال ولا تعجل بالقرآن اي لا تعجل بقراءته من قبل ان يقضى اليك وحيه اي من قبل ان يفرغ جبريل من الابلاغ قال مجاهد وقتادة معناه لا تقرئه اصحابك ولا تمله عليهم حتى يتبين لك معانيه وقل رب زدني علما اي بالقرآن ومعانيه وكان ابن مسعود رض اذا قرأ هذه الآية قال اللهم زدني ايمانا ويقينا انتهى

فقوله ومن يعمل من الصالحات الخ قسيم لقوله وقد خاب من حمل ظلما لا لقوله وعنت الوجوه الا كانه كذلك على الوجه الاول اي ومن يعمل بعض الصالحات او بعضا من الصالحات على احد الوجهين المذكورين في تفسير قوله من انباء ما قد سبق وهو مؤمن فان الايمان شرط في صحة الطاعات وقبول الحسنات فلا يخاف ظلما اي منع ثواب مستحق بموجب الوعد ولا هضما ولا كسرا منه بنقص او لا يخاف جزاء ظلم وهضم اذ لم يصدر عنه ظلم ولا هضم حتى يخافهما وقرئ فلا يخف على النهي وكذلك عطف على كذلك نقص وذلك اشارة الى انزال ما سبق من الآيات المتضمنة للوعيد المنبئة عما سيقع من احوال القيمة واهوالها اي مثل ذلك الانزال انزلناه اي القرآن كله واظهاره من غير سبق ذكره للايذان بنباهة شانه وكونه مركوزا في العقول حاضرا في الاذهان قرآنا عربيا ليفهمه العرب ويقفوا على ما فيه من النظم المعجز

المعجز الدال على كونه خارجا عن طوق البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر وصرفنا فيه من الوعيد اي كررنا فيه بعض الوعيد او بعضا من الوعيد حسبما اشير اليه آنفا لعلهم يتقون اي كي يتقوا الكفر والمعاصي بالفعل او يحدث لهم ذكرا اتعاظا واعتبارا مؤديا بالآخرة الى الاتقاء فتعالى الله استعظام له تعالى ولشؤونه التي يصرف عليها عباده من الاوامر والنواهي والوعد والوعيد وغير ذلك اي ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين في ذاته وصفاته وافعاله واحواله الملك النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده الحق في ملكوته او في الوهيته لذاته او الثابت في ذاته وصفاته ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك اي يتم وحيه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا القى اليه جبريل عليه السلام الوحي يتبعه عند تلفظ كل حرف وكل كلمة لكمال اعتنائه بالتلقي والحفظ فنهي عن ذلك اثر ذكر الانزال بطريق الاستطراد لما ان استقرار الالفاظ في الاذهان تابع لاستقرار معانيها فيها وربما يشغل التلفظ بكلمة عن سماع ما بعدها وامر باستفاضة العلم واستزادته منه تعالى فقيل وقل في نفسك رب زدني علما اي سل الله عز وجل زيادة العلم فانه الموصل الى طلبتك دون الاستعجال وقيل انه نهي عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان يأتي بيانه وليس بذاك فان تبليغ المجمل وتلاوته قبل البيان مما لا ريب في صحته ومشروعيته

انتهى ابو السعود رحمه الله

ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن اي مصدق بالله ورسوله فلا يخاف ظلما وهو ان يأخذ رجل من صاحبه فوق حقه وقرئ فلا يخف على معنى النهي ولا هضما وهو ان ينقص من حق اخيه ومنه هضم الطعام اي لا يخاف عذابا من غير جرم ولا نقص شيء من حسناته قوله وكذلك انزلناه قرآنا عربيا عطف على كذلك نقص له وكما انزلنا عليك هؤلاء الآيات المتضمنة للوعيد انزلنا القرآن على هذه الوتيرة بلسان العرب مكررين فيه آيات الوعيد بالبيان من اخبار الامم الماضية وما اصابهم من العقاب بذنوبهم وهو معنى قوله وصرفنا فيه اي بينا وكررنا في القرآن من الوعيد لعلهم يتقون الشرك او يحدث لهم اي الوعيد او القرآن ذكرا اي عظة بهلاك من قبلهم فيزجرهم عن المعاصي فتعالى الله الملك الحق اي ارتفع وتعظم عن الشرك والولد وعن ان لا يعدل بين الخلق فانه الملك الحق لا يظلم احدا منهم قوله ولا تعجل بالقرآن نهي للنبي صلى الله عليه وسلم عن العجلة بقراءة القرآن وكان يعجل بها قبل ان يستتم جبريل قراءته خوف النسيان والانفلات اي لا تعجل بقراءته من قبل ان يقضى اليك اي يؤدي اليك وحيه اي قراءته يعني تثبت حتى يفرغ جبريل من قراءته ثم اقرأه وقل رب زدني علما اي الى علمي بالقرآن علما يعني زدني فهما في معناه اشارة له الى التواضع والى انه لا احاطة لاحد بجميع العلوم الا الله تعالى

انتهى العيون

وآنا لم تجوزوا ان يقال ان ان زيدا قايم حق مع اختلاف المناط بل شرطوا الفصل بالخبر كقولنا ان عندي ان زيدا قايم للتجافي عن صورة الاجتماع والواو العاطفة وان كانت نايبة عن المكسورة التي يمتنع دخولها على المفتوحة بلا فصل وقايمة مقامها في افضاء معناها واجراء احكامها على مدخولها لكنها حيث لم يكن حرفا موضوعا للتحقيق لم يلزم من دخولها على المفتوحة اجتماع حرفي التحقيق اصلا فالمعنى ان لك عدم الجوع وعدم العري وعدم الظما خلا انه لم يقتصر على بيان ان الثابت له عليه السلام عدم الظما والضحو مطلقا كما لغل مثله في المعطوف عليه بل قصد بيان ان الثابت له عليه السلام تحقيق عدمهما فوضع موضع الحرف المصدري المحض ان المفيدة له كانه قيل ان لك فيها عدم ظمائك على التحقيق

انتهى ابو السعود

ولقد عهدنا عطف على قوله وصرفنا الاية واللام فيه لجواب القسم اي اقسم قسما لقد عهدنا الى آدم اي امرناه من قبلهم كما امرناهم ووصيناه ان لا ياكل من الشجرة وتوعدناه بكونه من الظالمين ان ياكل منها من قبل اي قبل الكلم او قبل توعدنا اياه فنسي عهدنا اي خالفه وتركه فعصانا ولم يلتفت الى توعدنا كما انهم لا يلتفتون الى امرنا ووعيدنا ولم نجد له اي لآدم عزما اي جزما وصبرا عما نهي عنه او حفظا لما امر به والعزم في اللغة توطين النفس على الفعل فاشار بذلك ان اساس بني آدم كانهم منه فاتبعوا امر الشيطان في نقض العهد وترك الامان كما اتبع آدم ابليس عدوه فاغراه فقيل لم يكن النسيان في ذلك الوقت مرفوعا عن الانسان مواخذا به وانما رفع عنا وقيل ظن آدم عليه السلام ان نهي الشجرة نهي تنزيه فنسي لذلك عقوبة الله اكل به واذ قلنا اي اذكر وقت قولنا اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى تعظما عن السجود لآدم وصح استثناؤه وهو جني عن الملايكة على حكم التغليب في اطلاق اسم الملايكة عليهم وعليه لانه كان في صحبتهم وكان يعبد كعبادتهم فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك حوا فاحذرا منه فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى

لو وزنت احلام

ظ لو وزنت احلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب فانه اخطا ولم يتعمد وقوله ولم نجد ان كان من الوجود العلمي فله عزما مفعولاه قدم الثاني على الاول لكونه ظرفا وان كان من الوجود المقابل للعدم وهو الانسب لان مصب الفايدة هو المفعول وليس في الاخبار بكون العزم المقدم له مزيد مزية فله متعلق به قدم على مفعوله لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف هو حال من مفعوله المنكر كانه قيل ولم نصادف له عزما وقوله تعالى واذ قلنا للملايكة اسجدوا لآدم شروع في بيان المعهود وكيفية ظهور نسيانه وفقدان عزمه واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم اي واذكر وقت قولنا لهم وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث لما مر مرارا من المبالغة في ايجاب ذكرها فان الوقت مشتمل على تفاصيل الامور الواقعة فيه فالامر بذكره امر بذكر تفاصيل ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل على اعيان الحوادث فاذا ذكر صارت الحوادث كانها موجودة في ذهن المخاطب بوجودها العينية اي اذكر ما وقع في ذلك الوقت منا ومنه حتى يتبين لك نسيانه وفقدان عزمه فسجدوا الا ابليس قد سبق الكلام فيه مرارا ابى جملة مستانفة وقعت جوابا عن سوال نشا عن الاخبار بعدم سجوده كانه قيل ما باله لم يسجد فقيل ابى واستكبر ومفعول ابى اما محذوف اي ابى السجود كما في قوله تعالى ابى ان يكون مع الساجدين او غير منوي بتنزيله منزلة اللازم اي فعل الاباء واظهره فقلنا عقيب ذلك اعتناء بنصحه يا آدم ان هذا الذي رايت ما فعل عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما اي لا يكونن سببا لاخراجكما من الجنة والمراد نهيهما عن ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان لاخراجهما منها بالطريق البرهاني كما في قولك لا ارينك ههنا والفاء لترتيب موجب النهي على عداوته لهما او على الاخبار بها فتشقى جواب للنهي واسناد الشقاء اليه خاصة بعد تعليق الاخراج الموجب له بهما معا لاصالته في الامور واستلزام شقائه لشقائها مع ما فيه من مراعاة الفواصل وقيل المراد بالشقاء التعب في تحصيل مبادي المعاش وذلك من وظايف الرجال ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى تعليل لما يوجب النهي فان اجتماع اسباب الراحة مما يوجب المبالغة في الاهتمام بتحصيل مبادي البقاء فيها والجد في الانتهاء عما يودي الى الخروج عنها والعدول عن التصريح بان له عليه السلام فيها تنعما بفنون النعم من الماكل والمشارب وتمتعا باصناف الملابس البهية والمساكن المرضية مع ان فيه من الترغيب في البقاء فيها ما لا يخفى الى ما ذكر من نفي نقائضها التي هي الجوع والعطش والعري والضحى لتذكير تلك الامور المنكرة والتنبيه على ما فيها من انواع الشقوة التي حذره عنها ليبالغ في التحامي عن السبب المودي اليها على ان الترغيب قد حصل بما سوغ له من التمتع بجميع ما فيها سوى ما استثني من الشجرة حسبما ينطق به قوله تعالى ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما وقد طوي ذكره ههنا اكتفاء بما ذكر في موضع آخر واقتصر على ما ذكر من الترغيب المتضمن للترهيب ومعنى ان لا تجوع فيها الى آخره انه لا يصيبه شيء من الامور الاربعة اصلا فان الشبع والري والكسوة والكن قد يحصل بعد عروض اضدادها باعواز الطعام والشراب واللباس والمسكن وليس الامر فيها كذلك بل كلما وقع فيها شهوة وميل الى شيء من الامور المذكورة تمتع به من غير ان يصل الى حد الضرورة ووجه افراده عليه السلام بما ذكر ما مر آنفا وفصل الظما عن الجوع في الذكر مع تجانسهما وتقارنهما في الذكر عادة وكذا حال العري والضحو المتجانسين لتوفية مقام الامتنان حقه بالاشارة الى ان نفي كل واحد من تلك الامور نعمة على حيالها ولو جمع بين الجوع والظما لربما توهم ان نفيهما نعمة واحدة وكذا الحال في الجمع بين العري والضحو على منهاج قصة البقرة ولزيادة التقرير بالتنبيه على ان نفي كل واحد من الامور المذكورة مقصود بالذات مذكور بالاصالة لا ان نفي بعضها مذكور بطريق الاستطراد والتبعية لنفي بعض آخر كما عسى يتوهم لو جمع بين كل من المتجانسين وقرئ انك بالكسر والجمهور على الفتح بالعطف على ان لا تجوع وصحة دخول الجملة المصدرة بان المفتوحة اسما للمكسورة المشاركة لها في افادة التحقيق مع امتناع وقوعها خبرا لها لان المحذور اجتماع حرفي التحقيق في مادة واحدة والاجتماع فيما نحن فيه لاختلاف مناط التحقيق فيما في حيزهما بخلاف ما لو وقعت خبرا لها فان اتحاد المناط حينئذ مما لا ريب فيه بيانه ان كل واحدة من المكسورة والمفتوحة موضوعة لتحقيق مضمون الجملة الخبرية المنعقدة من اسمها وخبرها ولا يخفى ان مرجع خبريتها ما فيها من الحكم الايجابي او السلبي وان مناط ذلك الحكم خبرها لا اسمها فمدلول الكلمة منهما تحقيق ثبوت خبرها لاسمها لا تحقيق اسمها فان المفتوحة مع ما في حيزها في حكم المصدر واما تحقيق ثبوته في نفسه فهو مدلول المفتوحة حتما فلم يلزم اجتماع حرفي التحقيق في مادة واحدة قطعا ○

ولقد عهدنا الى آدم اي اوحينا اليه ان لا يأكل من الشجرة يقال فيها وأمر الملوك ووصايا هم تقدّم الملك الى فلان ما وصى اليه وعزم عليه وعهد اليه فعطفت قصة آدم على وصرّفنا فيه من الوعيد والمعنى واقسم قسما لقد امرنا اباهم آدم ووصيناه ان لا يقرب الشجرة من قبل وجودهم فخالف الى ما نهي عنه كما انهم يخالفونه يعني ان اساس امر بني آدم على ذلك وعرقهم راسخ فيه فنسي اي العهد اي النهي والانبياء عليهم السلام يؤاخذون بالنسيان الذي لو تكلفوا لحفظوه ولم نجد له عزما قصدا الى الخلاف لأمره او لم يكن آدم من اولي العزم والوجود بمعنى العلم ومفعولاه له عزما او بمعنى نقيض العدم اي وعدمنا له عزما وله متعلق بنجد واذ واذكر اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم قيل هو سجود اللغوي الذي هو الخضوع والتذلل او كان آدم كالقبلة لغرض تعظيم له فيه فسجدوا الا ابليس عن ابن عباس رضي الله عنه ان ابليس كان ملكا من جنس المستثنى منهم وقال الحسن الملائكة لباب الخليقة من الارواح ولا يتناسلون و ابليس من نار السموم وانما صح استثناؤه منهم لانه كان يصحبهم ويعبد الله معهم ابى جملة مستانفة كأنه جواب لمن قال لم لم يسجد والوجه ان لا يقدر مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا وان يكون معناه اظهر الاباء وتوقف فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك حيث لم يسجد لك ولم ير فضلك فلا يخرجنكما من الجنة فلا يكونن سببا لاخراجكما فتشقى فتتعب في طلب القوت ولم يقل فتشقيا اكتفاء لرؤس الآي او دخلت تبعا ولان الرجل هو الكافل لنفقة المرأة زوجة روي انه اهبط الى آدم ثور احمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى عن الملابس لانها معدة ابدا فيها اسمعي

ولقد عهدنا الى آدم يقال عهد عليه وعهد اليه اذا امره واوصى اليه عطف على قصة آدم عليه السلام على قوله وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة على ان اساس امر بني آدم على العصيان وعرقهم راسخ في النسيان فلهم مزيد حاجة الى تكرار الوعيد وصرفه واللام جواب قسم محذوف من قبل هذا الزمان فنسي العهد ولم يعتن به حتى غفل عنه واغتر بقول الشيطان او ترك ما وصى به اليه من الاحتراز عن الشجرة وقرئ فنسي مشددا مبنيا للمفعول اي نساه الشيطان ولم نجد له عزما تصميم رأي وثباتا على ما عهد له اذ لو كان ذا عزيمة وتصلب لم يقبل وسوسة الشيطان ولم يغتر بقوله والوجود ان كان بمعنى العلم فمفعولاه له عزما وان كان بمعنى المصادفة فعزما مفعول وله متعلق به او حال واذ قلنا اي اذكر وقت قولنا للملائكة اسجدوا لآدم واباء ابليس وتحذيرنا اياه من كيده حتى يتبين لك انه نسي ولم يكن ذا عزيمة وثبات ومن هنا تبين ان ما قيل المعنى ولم نجد له عزما على الذنب لانه اخطأ ولم يتعمد لا يناسب سياق الكلام فسجدوا الا ابليس قد سبق القول فيه جملة مستانفة على تقدير سؤال سائل كأنه قيل لم لم يسجد فقيل ابى اي اظهر الاباء وتشبط ويرشدك الى هذا ما في سورة ص من قوله استكبر بدل ابى فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك اعاد الجار للدلالة على ان عداوته لها ايضا اصالة لا تبعا لزوجها فلا يخرجنكما من الجنة نهي عن كونهما بحيث يؤثر فيهما وسوسة الشيطان ويتسبب لاخراجهما فهو مبالغة في النهي عن قبولهما مع الاشعار بعلة النهي فتشقى افرده باسناد الشقاء اليه بعد اشتراكهما في الخروج اكتفاء لاستلزام شقائه بشقائها لانه القيم عليها والحافظ لها مع الايجاز والمراعاة على الفاصلة ويجوز ان يكون المراد بالشقاء التعب في طلب المعاش وذلك وظيفة الرجل وحده ويعضده قوله ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى اسمعي ابن كمال

ولقد عهدنا الى آدم كلام مستانف مسوق لتقرير ما سبق من تصريف الوعيد في القرآن وبيان ان اساس بني آدم على العصيان وعرقه راسخ في النسيان مع ما فيه من انجاز الموعود في قوله تعالى كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق يقال عهد اليه الملك وعزم عليه واوعز اليه وتقدم اليه اذا امره ووصاه والمعهود محذوف يدل عليه ما بعده واللام جواب قسم محذوف اي اقسم او والله او وتالله لقد امرناه ووصيناه من قبل اي من قبل هذا الزمان فنسي اي العهد ولم يعتن به حتى غفل او تركه ترك المنسي عنه وقرئ فنسي اي نساه الشيطان ولم نجد له عزما تصميم رأي وثبات قدم في الامور اذ لو كان كذلك لما ازله الشيطان ولما استطاع ان يغره وقد كان ذلك منه عليه السلام في بدء امره من قبل ان يجرب الامور ويتولى حارها وقارها ويذوق شريها واريها عن النبي صلى الله عليه وسلم ط

اي فتتعب في الدنيا بتحصيل حاجتك من المأكل والمشرب والملبس وخص آدم بالشقاء لان طلب الكسب غالبا يكون بالرجال قوله ان لك ان لا تجوع فيها بدل من قوله ان هذا اي قلنا له ان لك ما دامت في الجنة ان لا تجوع فيها ولا تعرى من الثياب اسمعي لعمومه

وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى فانه بيان وتذكير لما له في الجنة
من اسباب الكفاية واقطاب الكفاف التي هي الشبع والري والكسوة
والكن مستغنيا عن اكتسابها والسعي في تحصيل اعواض ما
عسى ينقطع ويزول بذكر نقايضها لتطرق سمعه باصناف
الشقوة المحذر منها ولذا عدل عن الاصل الى الوفق في الذكر
الى المنزل تنبيها على ان الاولين اصلان والاخيرين متممان
على الترتيب فالامتنان على هذا الوجه اظهر ولذا فرق
بين القرينتين فقيل اولا ان لك وثانيا انك وقرئ
وانك بالفتح عطفا على ان لا تجوع وان لم يجز دخول ان
على ان لان الواو ليس حكمها حكم ان لانها نائبة عن كل عامل
لا عن خصوص ان لتعلل بامتناع توارد حرفين يعملان
عملا واحدا وكذلك لم توضع للتحقيق خاصة لتعلل
بامتناع اجتماع حرفين بمعنى واحد على انها واو كانت
نائبة الا انها ليست في قوة المنوب عنه فلذلك عومل
معها ما لا يعامل معه كقولك ليس زيد قائما ولا قاعدا
ولا يجوز ان تقول ليس لا قاعدا فوسوس اليه الشيطان
اي فوسوس منهيا اليه وسوسته قال يا آدم هل ادلك على شجرة
الخلد اضافها الى الخلد وهو الخلود موهما ان كل من اكل منها
خلد فهو سبب الخلود بزعمه وملك لا يبلى لا يخلق ولا يضعف
فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من
ورق الجنة قد سبق القول فيه وعصى العصيان
وقوع الفعل او الترك على خلاف الامر والنهي وقد يكون
عمدا فيكون ذنبا وقد يكون خطأ فيكون زلة آدم ربه
بعدم الانتهاء بالنهي فغوى عن الرشد حيث اغتر بقول
العدو او عن المطلوب وهو الخلد والملك الباقي وفي
النعي عليه بالغي مع صغر زلته تعظيم لها وتشديد عليه
في العتاب وتغليظ لعلو مرتبته وعدم مناسبة الزلة
لمقامه وزجر بليغ وموعظة كافة لاولاده ثم اجتباه
ربه اصطفاه بالتوفيق للتوبة والقبول بعدها
والتقرب من جبى اليه فاجتبيته ونحو جليت على العروس فاجتليتها فاصل الكلمة الجمع فتاب عليه فقبل توبته
لما تاب وهدى الى الثبات على التوبة انتهى ابن الكمال
كذا في

وانك بالكسر نافع وابو بكر عطفا على ان الاولى وغيرهما
بالفتح عطفا على ان لا تجوع ومحله نصب بان وجاز
للفصل كما تقول ان في علمي انك جالس لا تظمأ فيها
ولا تعطش لوجود الاشربة فيها ولا تضحى لا يصيبك حر
الشمس اذ ليس فيها شمس فاهلها في ظل ممدود فوسوس
اليه الشيطان اي انهى اليه الوسوسة كاسر اليه
قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد اضاف الشجرة
الى الخلد وهو الخلود لان من اكل منها خلد بزعمه
ولا يموت وملك لا يبلى لا يفنى فاكلا اي آدم وحوا
منها فبدت لهما سوآتهما عوراتهما وطفقا طفق
يفعل كذا مثل جعل يفعل كذا وهو كاد في وقوع الخبر
فعلا مضارعا الا انه للشروع في اول الامر وكاد
للدنو منه يخصفان عليهما من ورق الجنة اي
يلزقان الورق بسوآتهما للستر وهو ورق
التين وعصى آدم ربه فغوى ضل عن الرأي و
عن ابن عيسى خاب والحاصل ان العصيان وقوع
الفعل على خلاف الامر والنهي وقد يكون عمدا فيكون
ذنبا وقد لا يكون عمدا زلة ولما وصف فعله بالعصيان
خرج فعله من ان يكون رشدا فكان غيا لان الغي
خلاف الرشد وفي التصريح بقوله وعصى آدم ربه
فغوى والعدول عن قوله وزل آدم مزجرة بليغة
وموعظة كافة للمكلفين كانه قيل لهم انظروا و
اعتبروا كيف نعيت على النبي المعصوم حبيب الله
زلته بهذه الغلظة فلا تتهاونوا بما يفرط منكم
من الصغائر فضلا عن الكبائر ثم اجتباه ربه قربه
اليه واصطفاه واصل الكلمة الجمع فتاب عليه وهدى
اي قبل توبته وهداه الى الاعتذار والاستغفار انتهى

فوسوس اليه الشيطان اي انهى اليه وسوسته او اسرها اليه قال اما بدل من وسوس او استئناف وقع جوابا عن سؤال
كانه قيل فماذا قال في وسوسته فقيل قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد اي شجرة من اكل منها خلد ولم يمت اصلا سواء كان
على حاله او بان يكون ملكا لقوله الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وملك لا يبلى اي لا يزول ولا يختل بوجه من الوجوه
فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما قال ابن عباس رضي الله عنهما عريا عن النور الذي كان الله تعالى البسهما حتى بدت فروجهما
وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قد مر تفسيره في سورة الاعراف وعصى آدم ربه بما ذكر من اكل الشجرة فغوى
ضل عن مطلوبه الذي هو الخلود او عن المأمور به او عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوي من غوي الفصيل
اذا اتخم من اللبن وفي وصفه صلى الله عليه وسلم بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم لها وزجر بليغ لاولاده عن امثالها
ثم اجتباه ربه اي اصطفاه وقربه اليه بالحمل على التوبة والتوفيق لها

ان اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه اي جمعه كقولك اجتمعته او من جبى الي كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس
فاجتليتها واصل الكلمة الجمع وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام مزيد تشريف
له عليه السلام فتاب عليه اي قبل توبته حين تاب هو وزوجته قائلين ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا
وترحمنا لنكونن من الخاسرين وافراده عليه السلام بالاجتباء وقبول التوبة قد مر وجهه وهدى اي الى الثبات
على التوبة والتمسك باسباب العصمة انتهى ابو السعود رحمه الله

وانك بكسره على الابتداء وبفتحها على العطف على ان لا تجوع وجاز الفصل وهو لك اذ لا تدخل ان على ان والواو نائبة عن ان اي
ان لك لا تظمأ اي لا تعطش فيها ولا تضحى اي لا يصيبك حر الشمس في الجنة اذ لا شمس فيها واهلها في ظل ممدود والمراد ذكر
الاقطاب من الافعال التي يدور عليها كفاف الانسان وعيشه من غير احتياج الى الكسب مستجمعة في الجنة لآدم عليه السلام
كي لا يتعدى عنها الى غيرها اعرابه وانما ذكرها بلفظ النفي لنقايضها التي هي الجوع والظمأ والعري والضحوي لتعلم سمعه
باسامي اصناف الشقوة التي حذره منها حتى يتجنب سبب الوقوع فيها كراهة لها فوسوس اليه الشيطان اي انهى اليه
الوسوسة واذا قيل وسوس له فمعناه لاجله قال بيان لوسوس اي قال الشيطان يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد
اي الخلود لان من اكل منها خلد بزعمه وعلى ملك لا يبلى اي لا يفنى وهو اكل الشجرة فاكلا منها فبدت لهما اي ظهرت
سوآتهما اي عوراتهما وطفقا اي عمدا يخصفان اي يلزقان عليهما من ورق الجنة اي على سوآتهما بورق التين للستر
وعصى آدم ربه بمخالفة امره بالاكل من الشجرة فغوى اي فخرج بالعصيان من ان يكون راشدا في فعله لان الغي خلاف الرشد
قيل لا يجوز ان يقال آدم عاص بل عصى آدم اذ العصيان لم يكن عادة له والمعنى انه جهل لطلبه الخلد بالاكل المنهي عنه
لانه خلاف طريق العقل ثم اجتباه ربه اي اصطفاه بالنبوة بعد التوبة فتاب عليه اي قبل توبته وقربه اليه
بقوله ربنا ظلمنا انفسنا وهدى اي وفقه لحفظ التوبة وعمل التقوى انتهى المعوذ

قال اهبطا جميعا يعني آدم وحوا بعضكم يا ذرية آدم لبعض عدو بالتحاسد في الدنيا والاختلاف في الدين فاما يأتينكم مني هدى كتاب وشريعة فمن اتبع هداي فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في العقبى قال ابن عباس رضي الله عنهما ضمن الله لمن اتبع القرآن ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة يعني ان الشقاء في الآخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل اوامره وانتهى عن نواهيه نجى من الضلالة ومن عقابه ومن اعرض عن ذكري عن القرآن فان له معيشة ضنكا ضيقا وهو مصدر يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث عن ابن جبير يسلبه القناعة حتى لا يشبع فمع الدين التسليم والقناعة والتوكل فيكون حيوته طيبة وفي مع الاعراض الحرص والشح فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة لا يعرض احد عن ذكر ربه الا اظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه ونحشره يوم القيمة اعمى عن الحجة عن ابن عباس رضي الله عنهما اعمى البصر وهو كقوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وهو الوجه قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا في الدنيا قال كذلك اي مثل ذلك فعلت انت ثم فسر فقال اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى اي اتتك آياتنا واضحة فلم تنظر اليها بعين المعتبر وتركتها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءك عن عينك وكذلك نجزي من اسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة اشد وابقى لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك في الدنيا وحشره في العقبى اعمى ختم آيات الوعيد بقوله ولعذاب الآخرة اشد وابقى اي وللحشر على العمى الذي لا يزول ابدا اشد من ضيق المعيشة المنقضي

قال اهبطا منها جميعا الخطاب لآدم وحوا الا انه لا لابليس لانه قد خرج منها قبل هذا القول بقوله فاخرج منها فانك رجيم بعضكم لبعض عدو وقد سبق القول فيه فاما يأتينكم مني هدى من الكتاب والرسول فمن اتبع هداي فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ومن اعرض عن ذكري عن الهدى الذاكر لي فان له معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك ان المؤمن عن ذكره حريص على الدنيا متهالك عليها لا يزال همه مصروفا الى الازدياد منها يجمع ويمنع ويطمع على ما في ايدي الناس فيطمع ويغلب عليه الشح فيضيق عيشه بخلاف الذاكر المتوجه اليه التابع للهدى المتوكل عليه امره فانه يعلم ان رزقه على الله تعالى فيسمح بما في يده وينفق فيعيش عيشا رافعا كما قال تعالى فلنحيينه حيوة طيبة على انه تعالى قد يضيق بشوم الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله وقال تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ونحشره وقرئ بالجزم عطفا على محل فان له معيشة فانه جواب للشرط يوم القيمة اعمى عن ابن عباس رضي الله عنهما اعمى البصر وهو كقوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وهو الوجه المناسب للسؤال قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا في الدنيا قال كذلك اي ذلك فعلت انت والكاف مقحم اقحاما كاللازم لا يكادون يتركونه في لغة العرب وغيرهم ثم فسره فقال اتتك آياتنا واضحة نيرة فنسيتها فعميت عنها وتركتها غير منظور اليها وكذلك مثل تركك اياها اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب وكذلك نجزي من اسرف بالانهماك في الشهوات والاعراض عن الآيات ولم يؤمن بآيات ربه بل كذبها وخالفها ولعذاب الآخرة اشد وابقى اي وللحشر على العمى الذي لا يزول ابدا اشد من ضيق العيش المنقضي او ولتركنا اياه في العمى ابدا اشد وابقى من تركه لآياتنا انتهى الكلام

قال استيناف مبني على سؤال نشأ من الاخبار بانه تعالى قبل توبته وهداه كانه قيل فماذا امره الله تعالى بعد ذلك فقيل قال له ولزوجته اهبطا منها جميعا اي انزلا من الجنة الى الارض وقوله تعالى بعضكم لبعض عدو حال من ضمير المخاطب في اهبطا والجمع لما انهما اصل الذرية ومنشأ الاولاد اي متعادين في امر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب فاما يأتينكم مني هدى من كتاب ورسول فمن اتبع هداي وضع الظاهر موضع المضمر مع الاضافة الى ضميره تعالى لتشريفه والمبالغة في ايجاب اتباعه فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ومن اعرض عن ذكري اي عن الهدى الذاكر لي والداعي الي فان له معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان مجامع همته في الدنيا ومطامح نظره مقصورة على اعراض الدنيا وهو متهالك على ازديادها وخائف من انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع انه قد يضيق الله بشوم الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وقال ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم

بركات من السماء والارض ولو ان اهل الكتاب آمنوا الى قوله تعالى لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل هو الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب القبر ونحشره وقرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط يوم القيمة اعمى فاقد البصر كما في قوله تعالى ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما لا اعمى عن الحجة كما قيل قال استيناف كما مر رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا اي في الدنيا وقرئ اعمى بالامالة في الموضعين وفي الاول فقط لكونه جديرا بالتغيير لكونه رأس الآية ومحل الوقف قال كذلك اي مثل ذلك فعلت انت ثم فسر بقوله تعالى اتتك آياتنا واضحة نيرة بحيث لا تخفى على احد فنسيتها اي عميت عنها وتركتها ترك المنسي الذي لا يذكر اصلا وكذلك اي مثل ذلك النسيان الذي كنت فعلته في الدنيا اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب جزاء وفاقا لكن لا ابدا كما قيل بل الى ما شاء الله تعالى ثم يزيله عنه فيرى اهوال القيمة ويشاهد مقعده من النار ويكون ذلك له عذابا فوق العذاب وكذا البكم والصمم يزيلهما الله تعالى عنهم اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا وكذلك اي مثل ذلك الجزاء الموافق للجناية نجزي من اسرف بالانهماك في الشهوات ولم يؤمن بآيات ربه بل كذبها واعرض عنها ولعذاب الآخرة على الاطلاق او عذاب النار اشد وابقى اي من ضنك العيش او منه ومن الحشر على العمى او النسيان

قال الله تعالى لآدم وحوا اهبطا اي انزلا منها اي من الجنة جميعا بعضكم لبعض عدو وجمعا نظرا اليهما والى ذريتهما والمراد بالعداوة ما وقع بين بني آدم من ظلم بعضهم بعضا وتضليل بعضهم بعضا او عداوة ذريته وابليس وكذا جمعا في قوله فاما يأتينكم على لفظ الجماعة لكونهما اصلي البشر وسببي نشأتهم فكانهما البشر فخوطبا مخاطبتهم وقال فاما يأتينكم يا بني آدم وحوا انه يأتيكم مني هدى اي كتاب ورسول شريعة فمن اتبع هداي اي كتابي ورسولي فلا يضل باتباعه اياها في الدنيا ولا يشقى في الآخرة قيل اجار الله تعالى اي حفظ الله تعالى تابع القرآن ان يضل في الدنيا ويشقى في الآخرة ومن اعرض عن ذكري اي كتابي ورسولي ولم يؤمن فان له معيشة ضنكا اي ضيقا وهو عذاب القبر او النار او كسب الحرام او سلب القناعة عنه حتى لا يشبع او عدم الاعتداء لوجوه الخير وقال الحسن رضي الله عنه هو الزقوم والضريع والغسلين في النار ونحشره يوم القيمة اعمى عن الهداية او اعمى البصر قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا اي يحيى او بالعين قيل انه يحشر بصيرا من قبره فاذا سيق الى المحشر عمي قال الله تعالى كذلك اي كما فعلت انت بنفسك فعلنا بك اتتك آياتنا فنسيتها اي تركت العمل بها او تعلمها فنسيتها وكذلك اي مثل تركك آياتنا اليوم تنسى اي تترك على عماك او في النار وكذلك اي مثل ما جزينا المعرض عن آياتنا نجزي من اسرف اي اشرك ولم يؤمن بآيات ربه اي محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ولعذاب الآخرة وهو تركنا اياه في العمى او في النار اشد من تركه لآياتنا او اشد ضررا وابقى اي ادوم من فقر ضيق العيشة في الدنيا انتهى العيون

مما يعذبهم به ... والبقا

اي افلم يهد لهم هذا الفعل والمراد هدايتنا بفحوى ... بعد

افلم يهد لهم مسند الى الله او الرسول او ما دل عليه كم اهلكنا من
قبلهم من القرون اي اهلاكنا اياهم او الجملة بفحواها والفعل على
الاولين معلق يجري مجرى اعلم ويدل عليه القراءة بالنون يمشون
في مساكنهم كناية عن مشاهدتهم اثار هلاكهم ان في ذلك لايات
لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن التغافل والتعامي ولولا
كلمة سبقت من ربك الكلمة السابقة تاخير العذاب عن الامة الى
الاخرة لكان لزاما لكان مثل ما نزل بعاد وثمود من عذابنا لازما
لهولاء الكفرة واللزام اما مصدر وصف به واما فعال بمعنى مفعل
اسم الة اللزوم سمي به اللازم لفرط لزومه واجل مسمى عطف
على كلمة او على المستكن في كان وهو ضمير ذلك المشار به الى الهلاك
اي ولو لا قضاء سابق ووعد بتاخير العذاب عن الامة الى
يوم القيمة او يوم بدر واجل مسمى لاعمارهم لكان الخ والفصل
للدلالة على استقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب او ولولا العدة
لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين لهم كما كانا
لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى عن الاخذ العاجل
فاصبر على ما يقولون الفاء للسببية جزاء لشرط مقدر اي اذا
لم يعذبهم ولم يهلكهم لما ذكرنا فاصبر وسبح تقييد التسبيح بالاوقات
المخصوصة قرينة لكونه مجازا بمعنى الصلوة والا خلا وجه للتخصيص
بها وقوله بحمد ربك حال اي وصل وانت حامد لربك على هدايته
وتوفيقه قبل طلوع الشمس اي الفجر وقبل غروبها اي الظهر والعصر
لانها في النصف الاخير من النهار ومن اناء الليل ومن ساعاته
جمع اني بالكسر والقصر وانا بالفتح والمد فسبح اي المغرب والعشاء
وصلوة التهجد وانما قدم الزمان فيه لاختصاصه بمزيد الفضل
لان الليل فيه الى الاستراحة اقوى فكانت العبادة فيه على النفس
اشد واشق فكان الثواب اكثر ولان القلب فيه اجمع و
الفراغ الى الله تعالى والخلوة به انس واكثر ولهذا قال الله تعالى
ان ناشئة الليل هي اشد وطا واقوم قيلا واطراف النهار
تكرير لصلوتي الفجر والمغرب لمزيتهما لكونهما مختلف الملائكة
ومجتمعهم معناه تعمد اناء الليل واطراف النهار مختصا لها بصلوتك
وفي جمع الاطراف مجاورة الاناء مع الامن من الالباس لعلك ترضى
اي سبح في هذه الاوقات طمعا ورجاء ان تنال عند الله ما ترضى به
نفسك وقرئ بالبناء للمفعول اي يرضيك ربك انتهى كلامه

افلم يهد لهم اي الله بدليل قراءة زيد عن يعقوب بالنون
كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون حال من ضمير في
مساكنهم يريد ان قريشا يمشون في مساكن عاد و
ثمود وقوم لوط ويعاينون اثار هلاكهم ان في
ذلك لايات لاولي النهى لذوي العقول اي اذا
تفكروا علموا ان استيصالهم لكفرهم فلا يفعلون
مثل ما فعلوا ولولا كلمة سبقت من ربك اي الحكم
بتاخير العذاب عن امة محمد صلى الله عليه وسلم لكان
لزاما لازما فلزام مصدر لازم فوصف به واجل
مسمى القيمة وهو معطوف على كلمة والمعنى ولولا
حكم سبق بتاخير العذاب عنهم واجل مسمى وهو
القيمة لكان العذاب لازما لهم في الدنيا كما لزم القرون
الماضية الكافرة فاصبر على ما يقولون فيك وسبح
وصل بحمد ربك في موضع الحال اي وانت حامد
لربك على ان وفقك للتسبيح واعانك عليه
قبل طلوع الشمس يعني صلوة الفجر وقبل غروبها يعني
الظهر والعصر لانهما واقعتان في النصف الاخير من
النهار بين زوال الشمس وغروبها ومن اناء الليل
جمع اني فسبح واطراف النهار اي وتعمد اناء الليل
اي ساعاته واطراف النهار مختصا لها بصلوتك
وقد تناول التسبيح في اناء الليل صلوة العتمة وفي
اطراف النهار صلوة المغرب وصلوة الفجر على التكرار
ارادة لمزيد فضل كما اختصت في قوله والصلوة
الوسطى عند البعض وانما جمع واطراف النهار وهما
طرفان لامن الالباس وهو عطف على قبل لعلك
ترضى لعل للمخاطب اي اذكر الله تعالى في هذه الاوقات
رجاء ان تنال عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك
وترضى علي وابو بكر اي يرضيك ربك انتهى

افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون كلام
مستانف مسوق لتقرير ما قبله من قوله تعالى وكذلك نجزي الاية والهمزة للانكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه
المقام اما لتنزيله منزلة اللازم فلا حاجة الى المفعول او لانه بمعنى التبيين والمفعول محذوف واياما كان فالفاعل هو الجملة
بمضمونها ومعناها وضمير لهم للمشركين المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى اغفلوا فلم يفعل الهداية لهم او فلم يبين لهم
مال امرهم كثرة اهلاكنا للقرون الاولى وقد مر في قوله تعالى اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها الاية وقيل
الفاعل الضمير العائد الى الله تعالى ويؤيده القراءة بنون العظمة وقوله تعالى كم اهلكنا الخ اما معلق للفعل ساد مسد
مفعوله او مفسر لمفعوله المحذوف هكذا قيل والاوجه انه لا يلاحظ له مفعول كانه قيل افلم يفعل الله تعالى لهم الهداية
ثم قيل بطريق الالتفات كم اهلكنا ايبانا لتلك الهداية ومن القرون في محل النصب على انه وصف لمميز كم اي كم قرنا كائنا
من القرون وقوله تعالى يمشون في مساكنهم

٣

يمشون في مساكنهم حال من القرون او من مفعول اهلكنا اي اهلكناهم وهم في حال امن وتقلب في ديارهم او
من الضمير في لهم مؤكد للانكار والعامل يهد والمعنى افلم يهد لهم اهلاكنا القرون السالفة من اصحاب الحجر وثمود
وقريات قوم لوط حال كونهم ماشين في مساكنهم اذا ساروا الى الشام مشاهدين لاثار هلاكهم مع ان
ذلك مما يوجب ان يهتدوا الى الحق فيعتبروا لئلا يحل بهم مثل ما حل باولئك وقرئ يمشون على البناء
للمفعول اي يمكنون من المشي ان في ذلك تعليل للانكار وتقرير للهداية مع عدم اهتدائهم وذلك اشارة الى
مضمون قوله تعالى كم اهلكنا الخ وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلته وعلو شانه في بابه لايات كثيرة
عظيمة واضحات الهداية ظاهرات الدلالة على الحق فاذن هو هاد وتجويز ان يكون كلمة في تجريدية فافهم
لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن القبائح التي من اقبحها ما يتعاطاه كفار مكة من الكفر بايات الله تعالى
والتعامي عنها وغير ذلك من فنون المعاصي وفيه دلالة على ان مضمون الجملة هو الفاعل لا المفعول وقوله تعالى
ولولا كلمة سبقت من ربك كلام مستانف سيق لبيان حكمة عدم وقوع ما يشعر به قوله تعالى افلم يهد لهم الاية من ان
يصيبهم مثل ما اصاب القرون المهلكة اي ولولا الكلمة السابقة وهي العدة بتاخير عذاب هذه الامة الى الاخرة
لحكمة تقتضيه ومصلحة تستدعيه لكان عقاب جناياتهم لزاما اي لازما لهولاء الكفرة بحيث لا يتاخر عن جناياتهم
ساعة لزوم ما نزل باولئك الغابرين وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
تلويح بان ذلك التاخير لتشريفه عليه السلام كما ينبئ عنه قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واللزام
اما مصدر لازم وصف به مبالغة واما فعال بمعنى مفعل جعل الة اللزوم لفرط لزومه كما يقال لزاز خصم
واجل مسمى عطف على كلمة اي ولولا اجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم وهو يوم القيمة او يوم بدر لما تاخر عذابهم اصلا
وفصله عما عطف عليه للمسارعة الى بيان جواب لولا وللاشعار باستقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب
ومراعاة فواصل الاي الكريمة وقد جوز عطفه على المستكن في كان العائد الى الاخذ العاجل واجل مسمى
لازمين لهم كدأب عاد وثمود واضرابهم ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل فاصبر على ما يقولون
اي اذا كان الامر على ما ذكر من ان تاخير عذابهم ليس باهمال بل امهال وانه لازم لهم البتة فاصبر على ما يقولون
من كلمات الكفر فان علمه صلى الله عليه وسلم بانهم معذبون لا محالة مما يسليه ويحمله على الصبر وسبح ملتبسا
بحمد ربك اي صل وانت حامد لربك الذي يبلغك الى كمالك على هدايته وتوفيقه او نزهه تعالى
عما ينسبونه اليه مما لا يليق بشانه الرفيع حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا بانه مولى النعم كلها
والاول هو الاظهر المناسب لقوله تعالى قبل طلوع الشمس الخ فان توقيت التنزيه غير معهود فالمراد صلوة الفجر
وقبل غروبها يعني صلوتي الظهر والعصر لانهما قبل غروبها بعد زوالها وجمعهما لمناسبة قوله تعالى قبل طلوع الشمس
وقيل صلوة العصر ومن اناء الليل اي من ساعاته جمع اني بالكسر والقصر واناء بالفتح والمد فسبح اي فصل
والمراد به المغرب والعشاء وتقديم الوقت فيهما لاختصاصهما بمزيد الفضل فان القلب فيهما اجمع والنفس
الى الاستراحة اميل فتكون العبادة فيهما اشق ولذلك قال تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطا واقوم قيلا
واطراف النهار تكرير لصلوتي الفجر والمغرب ايذانا باختصاصهما بمزيد مزية ومجيئه بلفظ الجمع لامن الالباس
كقول من قال ظهراهما مثل ظهور الترسين او امر بصلوة الظهر فانه نهاية النصف الاول من النهار
وبداية النصف الاخير وجمعه باعتبار النصفين او لان النهار جنس او امر بالتطوع في اجزاء النهار
لعلك ترضى متعلق بسبح اي سبح في هذه الاوقات رجاء ان تنال عنده تعالى ما ترضى به نفسك وقرئ
ترضى على صيغة البناء للمفعول من ارضى اي يرضيك ربك انتهى ابو السعود رحمه الله

افلم يهد لهم اي يعرضون عن كتابي ورسولي فلم يبين الله تعالى لقريش الذين كانوا يتجرون الى الشام ويمرون في طريقهم
اهلاكنا بالعذاب او فاعل يهد قوله كم اهلكنا الاية يعني الم يرشد لهم هذا الكلام بمعناه وهو كم اهلكنا قبلهم
من القرون يمشون في مساكنهم اي يمرون على منازلهم ان اي لان في ذلك اي في هلاكهم بالعذاب لايات
اي لعبرات لاولي النهى اي لذوي العقول من الناس ولولا كلمة سبقت من ربك بتاخير العذاب عن هذه
الامة الى يوم القيمة لكان العذاب لزاما اي لازما بهم كما لزم بمن كان قبلهم من الامم عند التكذيب قوله واجل مسمى

ونه بعد هم هذا الفعل والمراد بها انها بصفوتها

واجل مسمى عطف على كلمة اى لولا كلمة واجل مسمى اى مضروب بوقت وهو يوم القيمة لكان العذاب ملازما غير مفارق عنهم فاصبر يا محمد على ما يقولون اهل مكة فيك وهذا منسوخ باية السيف وسبح اى صل بحمد ربك فى موضع الحال اى وانت حامد لربك على ان وفقك للتسبيح قبل طلوع الشمس وهى صلوة الفجر وقبل غروبها وهى صلوة العصر والظهر وقوله ومن اناء الليل متعلق بقوله فسبح بعده اى سبح من ساعات الليل جمع انى كمعا وامعاء والمراد صلوة المغرب والعشاء واطراف النهار بالنصب عطف على ما قبله من الظروف اى سبح فيها وهى صلوة المغرب وصلوة الفجر على التكرار لارادة الاختصاص كما فى قوله حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى بصلوة العصر عند بعض المفسرين مسلا

ولا تمدن عينيك اى لا تطل نظرهما بطريق الرغبة والميل الى ما متعنا به من زخارف الدنيا وقوله ازواجا منهم اى اصنافا من الكفرة مفعول متعنا قدم عليه الجار والمجرور للاعتناء به او حال من الضمير والمفعول منهم اى الى الذى متعنا به وهو اصناف وانواع بعضهم على انه معنى من التبعيضية او بعضا منهم على حذف الموصوف كما مر مرارا زهرة الحيوة الدنيا منصوب بمحذوف يدل عليه متعنا اى اعطينا او به على تضمين معناه او بالبدلية من محل به او من ازواجا بتقدير مضاف او بدونه او بالذم وهى الزينة والبهجة وقرئ زهرة بفتح الهاء وهى لغة كالجهرة فى الجهرة او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهروا الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد لنفتنهم فيه متعلق بمتعنا جى به للتنفير عنه ببيان سوء عاقبته مآلا اثر بيان اظهار بهجته حالا اى لنعامل معاملة من يبتليهم ويختبرهم فيه او لنعذبهم فى الاخرة بسببه ورزق ربك اى ما ادخر لك فى الاخرة او ما رزقك فى الدنيا من النبوة والهدى خير مما منحهم فى الدنيا لانه مع كونه فى نفسه اجل ما يتنافس فيه المتنافسون مأمون الغائلة بخلاف ما منحوه وابقى فانه لا يكاد ينقطع نفسه او اثره ابدا كما عليه زهرة الدنيا وامر اهلك بالصلوة امر عليه السلام بان يامر اهل بيته او التابعين له من امته بالصلوة بعدما امر هو بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة واصطبر عليها وثابر عليها غير مشتغل بامر المعاش لا نسئلك رزقا اى لا نكلفك ان ترزق نفسك ولا اهلك نحن نرزقك واياهم ففرغ بالك لامر الاخرة والعاقبة الحميدة للتقوى اى لاهل التقوى على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تنبيها على ان ملاك الامر هو التقوى روى انه عليه السلام كان اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلوة وتلا هذه الاية انتهى ابو السعود رحمه الله

مسلا وقيل سمى وقت الظهر اطراف النهار لان للنهار طرفين طرفا النصف الاول وهو وقت الظهر عند الزوال وطرف الثانى ابتداء وهو وقت الظهر الى العصر وانما جمع بعد ارادة المثنى لامن اللبس لقوله فى موضع اخر اقم الصلوة طرفى النهار لعلك ترضى بما تعطى من الشفاعة والترجى للمخاطب قيل ولكن رضى صلى الله عليه وسلم بتخليد احد من امته فى النار عن جرير بن عبد الله كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فراى القمر ليلة البدر فقال انكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا عن صلوة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرا وسبح بحمد ربك الاية انتهى العيون

ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به اى العمل الصالح الى الخ خير لك فاعمل بما امرت ولا تنظر بالرغبة الى ما اعطيناه رجالا من اهل مكة ازواجا اى اصنافا حال من ضمير به ومن للبيان فى منهم اى من الاموال والاولاد وقوله زهرة الحيوة الدنيا نصب على الذم او بدل من ازواجا اى ذوى زهرتها وهى البهجة والزينة لنفتنهم اى لنبتليهم فيه اى فيما اعطيناهم من الاموال والاولاد فزادوا كفرا وطغيانا فنعذبهم لوجود الكفران وقلة الشكر ورزق ربك اى ثوابه فيما لو ادخر لك وابقى مما رزقوا من هذه الزينة فى الدنيا لانه فى معرض الزوال قيل من ظن ان نعم الله تعالى فى مطعمه ومشربه وملبسه فقد قل علمه وحضر عذابه روى فى سبب نزول هذه الاية ان ضيفا نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن عنده شئ من الطعام فبعث الى يهودى ان يبيعه شيئا من الطعام الى اجل فقال اليهودى لا والله الا برهن فارسل درعه الحديد اليه فحزنه فانزل الله تعزية عن الدنيا بقوله فلا تمدن عينيك الاية وامر اهلك بالصلوة اى اهل بيتك وقومك مع اتباعك بها واصبر انت وهم عليها اى على الاتيان بها وشدتها عند ضيق المعيشة ولا تهتم بامر الرزق روى انه صلى الله عليه وسلم اذا دخل نقص فى الرزق امر اهله بالصلوة لا نسئلك رزقا لخلقنا ولا لنفسك انما نسئلك العبادة نحن نرزقك واياهم

ولا تمدن عينيك اى نظر عينيك ومد النظر تطويله وان لا يكاد يرده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وفيه ان النظر الغير الممدود معفو عنه وذلك ان يباده الشئ بالنظر ثم يغض الطرف ولقد شدد المتقون فى وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة وعدد الفسقة ولكن انظروا كيف يلوح ذل المعصية من تلك الرقاب وهذا لانهم انما اتخذوا هذه الاشياء لعيون النظارة فالناظر اليها محصل لغرضهم ومغرلهم على اتخاذها الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفرة ويجوز ان ينتصب حالا من هاء الضمير والفعل واقع على منهم كانه قال الى الذى متعنا به وهو اصناف بعضهم ناسا منهم زهرة الحيوة الدنيا زينتها وبهجتها وانتصب على الذم او على ابداله من محل به او على ابداله من ازواجا على تقدير ذوى زهرة لنفتنهم فيه لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم او لنعذبهم فى الاخرة بسببه ورزق ربك خير وابقى اى ثوابه وهو الجنة او الحلال الكافى خير وابقى وامر اهلك امتك واهل بيتك بالصلوة واصطبر انت وادم عليها لا نسئلك رزقا اى لا نسئلك ان ترزق نفسك ولا اهلك نحن نرزقك واياهم فلا تهتم لامر الرزق وفرغ بالك لامر الاخرة لان من كان فى عمل الله كان الله فى عمله وعن عروة ابن الزبير انه كان اذا راى ما عند السلاطين قرا ولا تمدن عينيك الاية ثم ينادى الصلوة الصلوة رحمكم الله وكان بكر بن عبد الله المزنى اذا اصاب اهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا امر الله ورسوله وعن مالك بن دينار مثله وفى بعض المسانيد انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلوة وتلا هذه الاية والعاقبة للتقوى وحسن العاقبة لاهل التقوى بحذف المضاف قال ابن عباس الذين صدقوك واتبعوك واتقونى

قوله وامر اهلك عطف على قوله ولا تمدن عينيك اسعى قال ابو رافع نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فبعثنى الى يهودى فقال قل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعنى كذا وكذا من الدقيق او اسلفنى الى هلال رجب فاتيته فقلت له ذلك فقال والله لا ابيعه ولا اسلفه الا برهن فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال والله لئن باعنى واسلفنى لقضيته وانى لامين فى الارض اذهب بدرعى الحديد اليه فنزلت هذه الاية معالم معالما لامين

ولا تمدن عينيك اى نظر عينيك الى ما متعنا به مد النظر تطويله بحيث لا يكاد يرده استحسانا للمنظور وتمنيا ان يكون للناظر ازواجا اصنافا منهم من الكفرة ويجوز ان يكون حالا من الضمير فى به والمفعول منهم اى الى الذى متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم زهرة الحيوة الدنيا الزهرة الزينة والبهجة وقرئ بفتح الهاء وهى لغة فيها كالجهرة فى الجهرة او جمع زاهر كالجهرة فى جمع جاهر نصب على الذم او على الاختصاص اى اعنى او اخص او على المفعول الثانى لما دل عليه متعنا او على تضمينه معنى اعطينا واما نصبه على البدل من محل الجار والمجرور اى به او من ازواجا على تقدير مضاف اى ذوى زهرة فضعيف لانه لا يقال مررت بزيد اخاك ولان الابدال من الضمير العائد الى الموصول ونحوه مما اختلف فى جوازه وعلى قراءة الفتح نصب على انه جمع زاهر وجاز ان يكون حالا والاضافة لفظية لان الاصل زاهرين الحيوة الدنيا وصف لهم بانهم زاهروا الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد لنفتنهم لنبلوهم ونختبرهم فيه او لنعذبهم فى الاخرة بسببه ورزق ربك ما ادخر لك فى الاخرة او ما رزقك من الهدى خير مما متعنا به فى الدنيا وابقى لانه لا ينقطع ابدا وامر اهلك بالصلوة امره بان يامر اهل بيته او التابعين له من امته بالصلوة بعدما امره بها وبالصبر ليتوافقوا فى الاستعانة على خصاصتهم بها لقوله استعينوا بالصبر والصلوة ولا يهتموا بامر الرزق والمعاش ولا يلتفتوا الفت ارباب الثروة والرياش واصطبر عليها وداوم عليها لا نسئلك رزقا اى لا نكلفك ان ترزق نفسك نحن نرزقك ففرغ بالك لامر الاخرة لان من كان فى عمل الله كان الله فى عمله والحكم فى الموضعين عام فى صورة الخطاب الخاص والعاقبة المحمودة للتقوى مخصوصة لها ويلزم هذا ان يكون حسن العاقبة لاهلها خاصة فلا حاجة الى التقدير انتهى ابن كمال

نحن نرزقك واياهم والعاقبة المحمودة للتقوى اى لاهل التقوى وهى الجنة لا لاهل الدنيا انتهى العيون للامام السهروردى البكرى رحمه الله عليهما

وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه هلا يأتينا محمد بآية دالة على
صحة نبوته بناء على عادتهم في اقتراح الآيات وانكار ما
جاء به منها وعدم الاعتداد بها تعنتا وعنادا وتنكيرا به يأبى
عن حملها على آية معهودة اقترحوها فألزمهم بالقرآن الذي
هو أخر المعجزات وأعظمها حيث قال أولم تأتهم بينة ما في الصحف
الأولى وذلك أنه برهان ما في جميع الكتب المنزلة من حيث أنه
معجز بلفظه دونها فهو بالنسبة إليها حجة على صحة الانتماء على
ما فيها وتصديقه إياها مع اعجازه ولما كان برهانا على ما فيها
كان برهانا على صحة نبوته لدلالته على أنه مختص بنوع من
العلم أعلى قدرا وأشرف من جميع العلوم وهو خلاصة
ما في الكتب الالهية من العقائد والاحكام مع كونه أميا
لم يتعلم شيئا وبنوع من تركيب الكلام لم يكن أحد معارضته
في الفصاحة والبلاغة عند التحدي به ولو أنا أهلكناهم بعذاب
من قبله من قبل محمد أو من قبل البينة وتذكير الضمير لانها في معنى
البرهان والدليل أو من قبل إتيانها أو إتيانه لقالوا ربنا لولا
أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل بالقتل
والسبي والجزية في الدنيا ونخزى بالعذاب ودخول النار
في الآخرة قل كل متربص منتظر لما يؤول إليه أمرنا وأمركم في
العاقبة فتربصوا فانتظروا وقرئ فتمتعوا فستعلمون من
أصحاب الصراط السوي المستقيم وقرئ السواء أي الوسط
والسوى والسوء أي الشر والسوي وهو تصغيره ومن اهتدى
إلى النعيم المقيم ومن في الموضعين للاستفهام ومحل الأول
الرفع بالابتداء والثانية عطف على عطف الجملة على الجملة
ويجوز أن يكون الثانية موصولة بخلاف الأول لعدم العائد
فيكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على أن العلم بمعنى المعرفة أو على أصحاب أو على الصراط على
أن المراد به النبي صلى الله

وقالوا أي الكافرون لولا يأتينا بآية من ربه هلا يأتينا
محمد بآية من ربه تدل على صحة نبوته أولم تأتهم بينة
ما في الصحف الأولى أي الكتب المتقدمة أي اقترحوا
على عادتهم في التعنت آية على النبوة فقيل لهم أولم تأتكم
آية هي أم الآيات وأعظمها في باب الاعجاز يعني القرآن
من قبل أن القرآن برهان ما في سائر الكتب المنزلة
ودليل صحته لأنه معجز وتلك ليست بمعجزات فهي
مفتقرة إلى شهادته على صحة ما فيها ولو أنا أهلكناهم
بعذاب من قبله من قبل الرسول أو القرآن لقالوا
ربنا لولا هلا أرسلت إلينا رسولا فنتبع بالنصب
لأنه جواب الاستفهام بالفاء آياتك من قبل أن
نذل بنزول العذاب ونخزى في العقبى قل كل
أي كل واحد منا ومنكم متربص منتظر للعاقبة
ولما يؤول أمرنا وأمركم فتربصوا أنتم فستعلمون
إذا جاءت القيمة من أصحاب مبتدأ وخبر ومحلها
النصب الصراط السوي المستقيم ومن اهتدى
إلى النعيم المقيم قال صلى الله عليه وسلم لا يقرأ أهل الجنة
إلا طه ويس قل كل متربص منتظر دوائر الزمان
وذلك أن المشركين قالوا نتربص بمحمد حوادث الدهر
فإذا مات تخلصنا قال الله تعالى فتربصوا فانتظروا
فستعلمون إذا جاء أمر الله وقامت القيمة من أصحاب
الصراط السوي المستقيم ومن اهتدى من الضلالة انتهى

وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه حكاية لبعض أقاويلهم الباطلة التي أمر عليه السلام بالصبر عليها أي هلا يأتينا بآية
تدل على صدقه في دعوى النبوة أو بآية مما اقترحوها بلغوا من المكابرة والعناد إلى حيث لم يعدوا ما شاهدوا
من المعجزات التي تخر لها صم الجبال من قبيل الآيات حتى اجترؤوا على التفوه بهذه العظيمة الشنعاء وقوله تعالى
أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى أي التوراة والانجيل وسائر الكتب السماوية رد من جهته عز وجل لمقالتهم
القبيحة وتكذيب لهم فيما دسوا تحتها من انكار إتيان الآية بإتيان القرآن الكريم الذي هو أم الآيات وأس المعجزات
وأعظمها وأبقاها لأن حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من الأمور الخارقة للعادات أي أمر كان
ولا ريب في أن العلم أجل الأمور وأعلاها إذ هو أصل الأعمال ومبدأ الأفعال ولقد ظهر مع حيازته لجميع علوم
الأولين والآخرين على يد أمي لم يمارس شيئا من العلوم ولم يدارس أحدا من أهلها أصلا فأي معجزة
تراد بعد وروده وأي آية ترام مع وجوده وفي ايراده بعنوان كونه بينة لما في الصحف الأولى
من التوراة والانجيل وسائر الكتب السماوية أي شاهدا بحقية ما فيها من العقائد الحقة وأصول الأحكام
التي أجمعت عليها كافة الرسل وبصحة ما تنطق به من أنباء الأمم من حيث أنه غني بإعجازه عما يشهد بحقيته
حقيق بإثبات حقية غيره ما لا يخفى من تنويه شأنه وإنارة برهانه ومزيد تقرير وتحقيق لإتيانه وإسناد
الإتيان إليه مع جعلهم إياه مأتيا به للتنبيه على أصالته فيه مع ما فيه من المناسبة للبينة والهمزة لإنكار
الوقوع والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل

كأنه قيل ألم يأتهم سائر الآيات ولم تأتهم خاصة بينة ما في الصحف الأولى تقريرا لإتيانه وإيذانا بأنه من الوضوح
بحيث لا يتأتى منهم انكاره أصلا وإن اجترؤوا على انكار سائر الآيات مكابرة وعنادا وقرئ أولم يأتهم بالياء
التحتانية وقرئ الصحف بالسكون تخفيفا ولو أنا أهلكناهم بعذاب إلى آخر الآية جملة مستأنفة سيقت
لتقرير ما قبلها من كون القرآن آية بينة لا يمكن انكارها ببيان أنهم يعترفون بها يوم القيمة والمعنى لو أنا
أهلكناهم في الدنيا بعذاب مستأصل من قبله متعلق بأهلكنا أو بمحذوف هو صفة لعذاب أي بعذاب
كائن من قبل إتيان البينة أو من قبل محمد صلى الله عليه وسلم لقالوا يوم القيمة ربنا لولا أرسلت إلينا في الدنيا
رسولا مع كتاب فنتبع آياتك التي جاءنا بها من قبل أن نذل بالعذاب في الدنيا ونخزى بدخول النار
اليوم ولكنا لم نهلكهم قبل إتيانها فانقطعت معذرتهم فعند ذلك قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا
ما نزل الله من شيء قل لأولئك الكفرة المتمردين كل أي كل واحد منا ومنكم متربص منتظر لما يؤول إليه
أمرنا وأمركم فتربصوا وقرئ فتمتعوا فستعلمون عن قريب من أصحاب الصراط السوي أي المستقيم وقرئ
السواء أي الوسط الجيد وقرئ السوء والسوءى والسوي تصغير السوء ومن اهتدى من الضلالة
ومن في الموضعين استفهامية محلها الرفع بالابتداء خبرها ما بعدها والجملة سادة مسد مفعولي العلم أو
مفعوله ويجوز كون الثانية موصولة بخلاف الأولى لعدم العائد فيكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية
المعلق عنها الفعل على أن العلم بمعنى المعرفة أو على أصحاب أو على الصراط وقيل العائد في الأولى محذوف
والتقدير من هم أصحاب الصراط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طه أعطي يوم القيمة ثواب
المهاجرين والأنصار وقال لا يقرأ أهل الجنة من القرآن إلا سورة طه ويس انتهى أبو السعود رحمه الله

وقالوا أي المشركون من أهل مكة لولا يأتينا محمد بآية من ربه كموسى وعيسى عليهما السلام لتكون علامة لنبوته فقال الله تعالى أولم تأتهم
بينة ما في الصحف الأولى أي بيان ما في الكتب المتقدمة من التوراة والانجيل والزبور وغيرها من أنباء الأمم
كأنهم اقترحوا الآيات فلما أتيتهم لم يؤمنوا بها فجعلنا لهم العذاب والهلاك أتريدون أن يكون حالكم كحال هؤلاء المكذبين
وقيل أولم يأتهم بيان ما في تلك الكتب وهو القرآن فإن فيه ما فيها وهو برهان عليها لأنها ذهبت وهو معجز
على مرور الأزمان لا يذهب ولو أنا أهلكناهم أي أهل مكة بعذاب من قبله أي من قبل بعثة الرسول أو القرآن
لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا مع الآيات فنتبع آياتك من قبل أن نذل يوم بدر ونخزى يوم القيمة
قل كل أي كل واحد منا ومنكم متربص أي منتظر للعاقبة وهي ما يؤول إليه الأمر يوم القيمة وقيل منتظر لهلاك صاحبه
أنا وأنتم وذلك أن كفار مكة قالوا نتربص بمحمد ريب المنون أي الموت ووعدهم النبي صلى الله عليه وسلم
العذاب فتربصوا أنتم أي انتظروا موته فستعلمون إذا نزل بكم العذاب من أصحاب الصراط السوي أي المستقيم
ومن اهتدى من الضلالة بهداية الله تعالى نحن أم أنتم وفيه تهديد شديد لهم انتهى العيون للشيخ العارف الإمام
السهروردي البكري رحمهما الله

عما يذكر هو ذلك • واللام متعلقة بالفعل • وتقديمها على الفاعل للمسارعة الى ادخال الروعة فان نسبة الاقتراب اليهم من اول الامر مما يسوءهم ويورثهم رهبة وانزعاجا من المقترب كما ان تقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح في قوله تع هو الذي خلق لكم ما في الارض لتعجيل المسرة لما ان بيان كونه مخلوقا لاجل المخاطبين مما يسرهم ويزيدهم رغبة فيما خلق لهم وشوقا اليه وجعلها تاكيدا للاضافة على ان الاصل المتعارف فيما بين الاوساط اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم مع انه تعسف تام بمعزل عما يقتضيه المقام وانما الذي يستدعيه حسن النظام ما قدمناه • والمعنى دنا منهم حساب اعمالهم الموجبة للعقاب • وفي اسناد الاقتراب المنبئ على التوجه نحوهم الى الحساب مع امكان العكس بان يعتبر التوجه والاقبال من جهتهم نحوه من تفخيم شانه وتهويل امره ما لا يخفى لما فيه من تصويره بصورة شئ مقبل عليهم لا يزال يطلبهم ويصيبهم لا محالة • ومعنى اقترابه لهم تقاربه ودنوه منهم بعد بعده عنهم فانه في كل ساعة من ساعات الزمان اقرب اليهم منه في الساعة السابقة هذا • واما الاعتذار بان قربه بالاضافة الى ما مضى من الزمان او بالنسبة الى الله تعالى • او باعتبار ان كل آت قريب فلا تعلق له بما نحن فيه من الاقتراب المستفاد من صيغة الماضي ولا حاجة اليه في تحقيق اصل معناه • نعم قد يفهم منه عرفا كونه قريبا في نفسه ايضا فيصار حينئذ الى التوجيه بالوجه الاول دون الاخيرين • اما الثاني فلا سبيل الى اعتباره ههنا لان قربه بالنسبة اليه تعالى مما لا يتصور فيه التجدد والتفاوت حتما وانما اعتباره في قوله تعالى لعل الساعة قريب ونظايره مما لا دلالة فيه على القرب حقيقة ولو بالنسبة الى شئ آخر وهم في غفلة اي في غفلة تامة منه ساهون عنه بالمرة لا انهم غير مبالين به مع اعترافهم باتيانه بل منكرون له كافرون به مع اقتضاء عقولهم ان الاعمال لا بد لها من الجزاء معرضون اي عن الآيات والنذر المنبهة لهم عن سنة الغفلة • وهاتان للضمير وحيث كانت الغفلة امرا جبليا لهم جعل الخبر الاول ظرفا منبئا عن الاستقرار بخلاف الاعراض • والجملة حال من الناس • وقد جوز كون الظرف حالا من المستكن في معرضون ما ياتيهم من ذكر من طائفة نازلة من القرآن تذكرهم ذلك اكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة اتم تنبيه كانها نفس الذكر من ربهم لابتداء الغاية مجازا متعلقة بياتيهم او بمحذوف هو صفة لذكر • وايا ما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه وكمال شناعة ما فعلوا به • والتعرض لعنوان الربوبية لتشديد التشنيع محدث بالجر صفة لذكر • وقرئ بالرفع حملا على المحل اي محدث تنزيله بحسب اقتضاء الحكمة • وقوله الا استمعوه استثناء مفرغ محله النصب على انه حال من مفعول ياتيهم باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور وقوله تعالى وهم يلعبون حال من فاعل استمعوه وقوله تعالى لاهية قلوبهم اما حال اخرى منه او من واو يلعبون • والمعنى ما ياتيهم ذكر من ربهم محدث في حال من الاحوال الا حال استماعهم اياه لاعبين مستهزئين به لاهين عنه او لاعبين به حال كون قلوبهم لاهية عنه لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب • وقرئ لاهية بالرفع على انه خبر بعد خبر

سورة الانبياء عليهم الصلوة والسلام مكية بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس اي للمشركين حسابهم اي اقترب منهم وقت حسابهم وهو يوم القيمة فاللام بمعنى من او تاكيدا لاضافة الحساب اليهم • واتصف يوم القيمة بالقرب • اما لانه مقترب عند الله تعالى لانه لا يخلف وعده • واما لان كل آت وان طالت اوقات استقباله قريب • واما لان ما بقي من الدنيا اقصر مما سلف منها بدليل ختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم • نزل لتحذير منكري البعث من اهل مكة وهم في غفلة اي والحال انهم في جهل عما يفعل بهم من الحساب والجزاء فيه معرضون عن الاستعداد لمقام الحساب او معرضون عن تنبيه المنبه وهو القرآن ما ياتيهم اي المشركين من ذكر من ربهم محدث اي منزل شيئا بعد شئ وهو القرآن المنزل على الرسول آية بعد آية وسورة بعد سورة ليكرر على اسماعهم التنبيه والوعظ لعلهم يتعظون فيؤمنون الا استمعوه اي ما ياتيهم شئ من القرآن الا استمعوه بالاستهزاء وهو معنى قوله وهم يلعبون حال من ضمير استمعوا اي يسخرون به لاهية قلوبهم اي غافلة عما يراد منه بالتامل والتبصر بقلوبهم حال اخرى لهم

انتهى العيون

سورة الانبياء عليهم السلام مائة واثنتا عشرة آية كوفي واحدى عشرة آية مدني وبصري

بسم الله الرحمن الرحيم اقترب دنا للناس اللام صلة لاقترب عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد بالناس المشركون لان ما يتلوه من صفات المشركين حسابهم وقت محاسبة الله اياهم ومجازيتهم على اعمالهم يعني يوم القيمة • وانما وصفه بالاقتراب لقلة ما بقي بالاضافة الى ما مضى ولان كل آت قريب وهم في غفلة عن حسابهم وعما يفعل بهم ثمة معرضون عن التاهب لذلك • فالاقتراب عام والغفلة والاعراض يتفاوتان بتفاوت المكلفين • فرب غافل عن حسابه لاستغراقه في دنياه واعراضه عن مولاه • ورب غافل عن حسابه لاستهلاكه في مولاه واعراضه عن دنياه فهو لا يفيق الا برؤية المولى • والاول انما يفيق في عسكر الموتى • فالواجب ان تحاسب نفسك قبل ان تحاسب وتتنبه للعرض الاكبر قبل ان تنبه وتعرض عن الغافلين وتشتغل بذكر خالق الخلق اجمعين لتفوز بلقاء رب العالمين وشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم الدين وتحشر مع آله واصحابه الطيبين الطاهرين ما ياتيهم من ذكر شئ من القرآن من ربهم محدث في التنزيل اي انزاله مبتدأ بتلاوته قريب عهده باسماعهم والمراد به الحروف المنظومة ولا خلاف في حدوثه الا استمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم او غيره ممن يتلوه وهم يلعبون يستهزؤن لاهية قلوبهم حال من ضمير يلعبون او وهم يلعبون ولاهية حالان من الضمير في استمعوه وارتفاع قلوبهم بلاهية • وهي من لهى عنه اذا ذهل وغفل والمعنى قلوبهم غافلة عما يراد منها • وقال ابو بكر الوراق القلب اللاهي المشغول بزينة الدنيا وزهرتها الغافل عن الآخرة واهوالها انتهى

سورة الانبياء عليهم السلام بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم اي دنا وقت اظهارها للعبد وما عليه ليجازى بهما • وذلك باخراج الكمية من مبلغ العدد والاقتراب بالنسبة الى ما مضى لا عند الله تعالى ولا بالنسبة للكائنات بالقرب والبعد اليه تعالى او لان مبدأ الموت وهو كناية عن ظهور بعض اماراته وتناسبه وهم في غفلة تنكيرها للتعظيم اي وهم مستقرون في غفلة عظيمة لا يعرف كنهها وهذا من قبيل نسبة فعل الاكثر الى الكل فلا ينافي كون تعريف الناس للجنس كما في قوله تعالى ويقول الانسان ائذا ما مت واللام صلة لاقترب او تاكيد لاضافة الحساب اليهم كما في قولهم لا اباك • والاصل اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم ونحوه في التاكيد تكرير الظرف كقولهم فيك زيد راغب معرضون عن اسباب التنبيه كلما كرر عليهم التنبيه وجدد لهم التذكير وقرعت لهم العصا واحدث لهم ذكر من الآيات التي تتلى وقتا بعد وقت ما تنبهوا لواحد من تلك الاذكار وما استيقظوا مرة من تلك المرار الا استمعوه مستخرين لاهين يلعبون فقوله ما ياتيهم من ذكر الخ تقرير لتماديهم في الاعراض والغفلة بان الله تعالى يجدد لهم الذكر ويكرر اسماعهم الوعظ ليتعظوا فما يزيدهم استماع ذلك الا لعبا واستهزاء وتلهيا راسخا في قلوبهم وجحدا وغريزة في اللهو يعني انهم وان فطنوا في قلة جدوى فطنتهم وتمادي ذهولهم وغفلتهم عن التامل والتبصر كان الذهول مركوز في قلوبهم لا فطنة لهم اصلا قوله في غفلة معرضون خبران او الظرف حال من المستكن في معرضون من ربهم صفة لذكر او صلة لياتيهم محدث لم يرد به حدوث نفسه بمعنى مسبوقيته بالعدم وان كان صحيحا لان الكلام اللفظي حادث عند الجمهور ولا حدوث تنزيله كما زعمته الحنابلة المنكرين حدوثه لان كلا منهما لا يناسب المقام ولا يلائم نمط الكلام بل المراد تجدد الذكر وقتا بعد وقت لما عرفت انه اشد تاثيرا في التذكير وقرئ بالرفع حملا على المحل الا استمعوه وهم يلعبون حال عن الواو وكذلك لاهية قلوبهم اي استمعوه جامعين بين الاستهزاء به فهما حالان مترادفان واللاهي وصف من لهيت عن الشئ لهيا ولهيانا اذا سلوت عنه وتركت ذكره واضربت عنه ويعدى بعن ومن عند الاصمعي وهو في الحديث من باب علم اي من لهي عنه يلهى اذا ذهل وغفل ويجوز ان يكون حالا من واو يلعبون فالحالان متداخلان وقرئت بالرفع على انه خبر آخر للتمييز فالحال واحدة انتهى

سورة الانبياء عليهم السلام مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم مناسبة هذه الفاتحة الكريمة لما قبلها من الخاتمة الشريفة غنية عن البيان قال ابن عباس رضي الله عنهما المراد بالناس المشركون وهو الذي يفصح عنه ما بعده • والمراد باقتراب حسابهم اقترابه في ضمن اقتراب الساعة • واسناد الاقتراب اليه لا الى الساعة مع استتباعها له ولسائر ما فيها من الاحوال والاهوال الفظيعة لانسياق الكلام الى بيان غفلتهم واعراضهم

وفي قوله واسروا النجوى مبالغة لان النجوى لا يكون الا خفية
اي بالغوا في اخفائها الذين ظلموا بدل من واو اسروا وفائدة
الابدال الاشعار بانهم الموصوفون بالظلم الفاحش فيما اسروا
به او منصوب على الذم او مرفوع بالابتداء خبره اسروا
النجوى قدم عليه وفائدة التقديم الاهتمام ببيان
انهم اسروا النجوى بالتسجيل عليه بانه ظلم لان الاصل
وهم اسروا النجوى فوضع المظهر موضع المضمر وقدم
الاسرار ليفهم منه ان الاسرار هو الظلم ثم بين ان
النجوى ما يقوله هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر
وانتم تبصرون ليتمكن في النفس ان معنى بالابهام والتبيين
ويتحقق عندهم ان ذلك هو الظلم الفاحش بالدليل الواضح
لتسميتهم المعجز سحرا مبينا وادعائهم ان كونه سحرا شاهد
بين واعتقادهم ان الرسول لا يكون الا ملكا وان من
ادعى الرسالة من البشر فهو ساحر وانكارهم ان يحضروا
السحر الذي لا شك فيه وانما اسروا ذلك في استنباط تبنيطا
ما يهدم امره ويظهر للناس فساده تسبيطا عنه وعادة
وعادة المتشاورين الكتمان وما ذكر كله في محل النصب بدلا
من النجوى او مفعولا لقالوا مقدرا قل وقرئ قال اخبارا
عن الرسول وحكاية لقوله ربي يعلم القول في السماء والارض
هو اكد من قوله يعلم السر لانه عام يشمل السر والجهر كانه
قال يعلم السر كله وغيره كما ان قوله يعلم السر اكد من قوله
يعلم سرهم لعمومه فعمم ولم يقل في مقابلة اسروا النجوى
يعلم السر ليؤكد بالطريق البرهاني ثم قرر ذلك وبين
بقوله وهو السميع العليم اي مطلقا دون غيره فكيف يخفى
عليه ما يسرونه بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل
هو شاعر بل الاولى اضراب عن تحاورهم في شان الرسول
عليه السلام وما ظهر عليه من الايات الى تقاولهم في امر القران
والثانية لاضرابهم عن كونه اباطيل خيلت اليه وخلطت
عليه الى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء نفسه والثالثة
لاضرابهم منه انه كلام شعري تخيل الى السامع معاني لا حقيقة
لها ويرغبه فيها ثم انهم تفننوا في مدارج الاضراب واعتبروا
في كل نحوة منه من الاعتبار اللطيف قيل اضربوا عن قولهم
هو سحر الى قولهم اضغاث احلام اي تخاليط رؤيا ثم انه الى

واسروا النجوى اي بالغوا في اخفاء النجوى وهو من
التناجي ثم ابدل الذين ظلموا من واو اسروا ايذانا
بانهم الموسومون بالظلم فيما اسروا به او جاء على لغة
اكلوني البراغيث او هو مجرور المحل لكونه صفة او بدلا
عن الناس او هو منصوب المحل على الذم او هو مبتدا
خبره اسروا النجوى فقدم عليه اي والذين ظلموا اسروا
النجوى هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون
هذا الكلام كله في محل النصب بدلا من النجوى اي واسروا
هذا الحديث ويجوز ان يتعلق بقالوا مضمرا والمعنى
انهم اعتقدوا ان الرسول لا يكون الا ملكا وان كل
من ادعى الرسالة من البشر وجاء بمعجزة فهو ساحر
ومعجزته سحر فلذلك قالوا على سبيل الانكار افتحضرون
السحر وانتم تشاهدونه انه سحر قال ربي حمزة و
علي وحفص اي قال محمد وغيرهم قل ربي اي قل
يا محمد للذين اسروا النجوى يعلم القول في السماء والارض
اي يعلم كل قائل هو في السماء والارض سرا كان او جهرا
وهو السميع لاقوالهم العليم بما في ضمائرهم بل قالوا اضغاث
احلام بل افتراه بل هو شاعر اضربوا عن قولهم
هو سحر الى انه تخاليط احلام رآها في نومه فتوهمها
وحيا من الله اليه ثم الى انه كلام مفترى من عنده
ثم انه قول شاعر وهكذا الباطل لجلج والمبطل رجاع
غير ثابت على قول واحد ثم قالوا ان كان صادقا
في دعواه وليس الامر كما نظن فليأتنا باية معجزة
كما ارسل الاولون كما ارسل من قبله باليد البيضاء
والعصا وابراء الاكمه واحياء الموتى وصحة
التشبيه في قوله كما ارسل الاولون من حيث انه في
معنى كما اتى الاولون بالايات لان ارسال الرسل
متضمن للاتيان بالايات الا ترى انه لا فرق بين
قولك ارسل محمد وبين قولك اتى محمد بالمعجزة فرد الله
عليهم قولهم بقوله ما امنت قبلهم الاية

كلام افتراه ثم الى انه قول شاعر على عادة كل مبطل في التلجلج والتزلزل في التحير والقلقلة وذلك يدل على فساد
قولهم وبطلانه ولا يذهب عليك ان حق النظم حينئذ قالوا بل الاحلام قالوا واما ما قيل يجوز ان يكون الكل من الله
تنزيلا لاقوالهم في درج الفساد لان كونه شعرا ابعد من كونه مفترى لانه مشحون بالحقائق والحكم ليس فيه ما يناسب
قول الشعراء وهو مع كونه احلاما لانه مشتمل على مغيبات طابقت الواقع والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الاحلام
وهو من كونه سحرا لانه يجانسه من حيث انهما من الخوارق فمبناه على ان يكون بين الشعر والحكم كونا بعيدا وعلى ان يكون
السحر كالمعجزة من خوارق العادات ولا صحة لواحد منهما اما الاول فظاهر وكان هذا القائل غافل عن قوله عليه السلام
ان من الشعر لحكمة واما الثاني فلان الحق ان السحر اما تمويه لا حقيقة له او ترتيب لاسباب خفية وعلى كلا التقديرين
ليس فيه شيء من خرق العادة فليأتنا باية

واسروا النجوى اي اخفوا التناجي بينهم في هدم امره وبالغوا فيه بحيث لا يفطن اي لا يفهم احد لتناجيهم قوله
الذين ظلموا بدل من واو واسروا وهو قولهم هل هذا اي ما محمد الا بشر مثلكم في المأكل والمشرب وكل ما يحتاج
اليه البشر والموت افتأتون السحر وهو معجزته لانه ساحر ومعجزته سحر اي اتحضرون السحر وانتم تبصرون
تعاينون انه سحر فاعتقدوا ان الرسول لا يكون الا ملكا وان من يدعي الرسالة وجاء بالمعجزة فهو ساحر فاسروا
هذا الحديث كالتشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق في هدم امره وفي تثبيط الناس عن الايمان به قوله
قل ربي يعلم القول امر للنبي صلى الله عليه وسلم وقرئ بالالف اخبارا منه ان ربه يعلم القول اي السر
والجهر في السماء والارض واذا علم القول علم الفعل لا يعزب عنه شيء فيهما وهو السميع العليم بمقالتهم واحوالهم
بل قالوا اضغاث احلام اي هم نقضوا اقوالهم في القران فقالوا بعد قولهم انه سحر هو اضغاث احلام اي
اخلاط احلام كاذبة رآها في النوم وضغث الحلم ما ليس له تأويل من الحلم والضغث حزمة يكون فيه
تخليط من النبات بل افتراه اي اختلقه من تلقاء نفسه بل هو شاعر اي كذاب فما اتى به كذب ويعبر
عن الكذب بالشعر ومنه قولهم احسن الشعر اكذبه ثم قالوا بعد اختلافهم في القران فليأتنا باية اي بعلامة
كما ارسل الاولون يعني كما اتى الرسل من قبلها فانزل قوله انتهى العيون
ما امنت الاية

فليأتنا بآية بمعجزة عظيمة وصحة التشبيه في قوله كما أرسل الأولون من حيث انه في معنى كما أتى الأولون بالآيات
العظيمة كاليد والعصا واحياء الموتى وابراء الاكمه لان ارسال الرسل متضمن للاتيان بها هذا اذا كان ما مصدرية
واما اذا كانت موصولة والمعنى كالتي ارسل بها الأولون فالتشبيه على ظاهرها انتهى بما كمال فيه رد للقاضي
حيث فسر الكلام على الثاني واول التشبيه على الاول فتامل

وأسروا النجوى كلام مستأنف مسوق لبيان جناية خاصة اثر حكاية جناياتهم المعتادة والنجوى اسم من التناجي ومعنى اسرارها مع انها لا تكون الا سرا انهم بالغوا في اخفائها او اسروا نفس التناجي بحيث لم يتفطن احد بانهم متناجون وقوله تعالى الذين ظلموا بدل من واو واسروا منبئ عن كونهم موصوفين بالظلم الفاحش فيما اسروا به او هو مبتدأ خبره اسروا النجوى قدم عليه اهتماما به والمعنى هم اسروا النجوى فوضع الموصول موضع الضمير تسجيلا على فعلهم بكونه ظلما او منصوب على الذم وقوله هل هذا الا بشر مثلكم الخ في حيز النصب على انه مفعول لقول مضمر هو جواب عن سؤال نشأ مما قبله كانه قيل ماذا قالوا في نجواهم فقيل قالوا هل هذا الخ او بدل من اسروا او معطوف عليه او على انه بدل من النجوى اي اسروا هذا الحديث وهل بمعنى النفي والهمزة في قوله تعالى أفتأتون السحر للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى وانتم تبصرون حال من فاعل تأتون مقررة للانكار ومؤكدة للاستبعاد والمعنى ما هذا الا بشر مثلكم اي من جنسكم وما اتى به سحر اتعلمون ذلك فتأتونه وتحضرونه على وجه الاذعان والقبول وانتم تعاينون انه سحر قالوه بناء على ما ارتكز في اعتقادهم الزائغ ان الرسول لا يكون الا ملكا وان كل ما يظهر على يد البشر من الخوارق من قبيل السحر وزل عنهم ان ارسال البشر الى عامة البشر هو الذي يقتضيه الحكمة التشريعية قاتلهم الله انى يؤفكون وانما اسروا ذلك لانه كان على طريق توثيق العهد وترتيب مبادي الشر والفساد وتمهيد مقدمات المكر والكيد في هدم امر النبوة واطفاء نور الدين والله متم نوره ولو كره المشركون قال ربي يعلم القول في السماء والارض حكاية من جهته تعالى لما قاله عليه السلام بعدما اوحى اليه احوالهم واقوالهم بيانا لظهور امرهم وانكشاف سرهم وايثار القول المنتظم للسر والجهر على السر لاثبات علمه تعالى بالسر على النهج البرهاني مع ما فيه من الايذان بان علمه تعالى بالسر والجهر على وتيرة واحدة لا تفاوت بينهما بالجلاء والخفاء قطعا كما في علوم الخلق وقرئ قل ربي الخ وقوله تعالى في السماء والارض متعلق بمحذوف وقع حالا من القول اي كائنا في السماء والارض وقوله تعالى وهو السميع العليم اي المبالغ في العلم بالمسموعات والمعلومات التي من جملتها ما اسروه من النجوى فيجازيهم باقوالهم وافعالهم اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله متضمن للوعيد بل قالوا اضغاث احلام اضراب من جهته تعالى وانتقال من حكاية قولهم السابق الى حكاية قول آخر مضطرب في مطارب مسالك البطلان اي لم يقتصروا على ان يقولوا في حقه عليه السلام هل هذا الا بشر وفي حق ما ظهر على يده من القرآن الكريم انه سحر بل قالوا تخاليط الاحلام ثم اضربوا عنه فقالوا بل افتراه من تلقاء نفسه من غير ان يكون له اصل او شبهة اصل ثم قالوا بل هو شاعر وما اتى به شعر يخيل الى السامع معاني لا حقيقة لها وهكذا شأن المبطل المحجوج متحير فالاضراب الاول كما ترى من جهته تعالى والثاني والثالث من قبلهم وقد قيل الكل من قبلهم حيث اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط احلام ثم الى انه كلام مفترى ثم الى انه قول شاعر ولا ريب في انه كان ينبغي حينئذ ان يقال قالوا بل اضغاث احلام والاعتذار بان قالوا مقول لقالوا المضمر قبل قوله تعالى هل هذا الا بشر الخ كانه قيل واسروا النجوى قالوا هل هذا الى قوله بل اضغاث احلام بل قالوا وانما صرح بقالوا بعد بل لبعد العهد مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله فليأتنا بآية جواب شرط محذوف يفصح عنه السياق كانه قيل وان لم يكن كما قلنا بل كان رسولا من الله تعالى فليأتنا بآية كما ارسل الاولون اي مثل الآية التي ارسل بها الاولون كاليد والعصا ونظائرهما حتى نؤمن به فما موصولة ومحل الكاف الجر على انها صفة لآية ويجوز ان يكون مصدرية فالكاف منصوبة على انها مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر محذوف اي فليأتنا بآية اتيانا كائنا مثل ارسال الاولين بها وصحة التشبيه من حيث ان الاتيان بالآية من فروع الارسال بها اي مثل اتيان مترتب على الارسال ويجوز ان يحمل النظم الكريم على انه اريد كل واحد من الاتيان والارسال في كل واحد من طرفي التشبيه لكنه ترك في جانب المشبه ذكر الارسال وفي جانب المشبه به ذكر الاتيان اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في الموطن الآخر حسبما مر في آخر سورة يونس عليه السلام انتهى ابو السعود رحمه الله

وان جعلته عبارة عن القول الذي جرى بينهم بطريق التناجي فهو بدل الكل
وان جعلت عبارة عن فعل التناجي فهو بدل الاشتمال هـ

وما ارسلنا قبلك الا رجالا جواب لقولهم هل هذا الا بشر الخ متضمن لرد ما دسّوا تحت قولهم كما ارسل الاولون من التعريض
بعدم كونه صلى الله عليه وسلم مثل اولئك الرسل صلوات الله عليهم اجمعين ولذلك قدم عليه جواب قولهم فليأتنا باية
ولانهم قالوا ذلك بطريق التعجيز فلا بد من المسارعة الى ردّه وابطاله كما في تفسير قوله تعالى قال انما يأتيكم به الله
ان شاء وما انتم بمعجزين وقوله تعالى ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذن منظرين ولان في هذا الجواب
نوع بسط يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم والحق ان ما اتخذوه سببا للتكذيب موجب للتصديق في
الحقيقة لان مقتضى الحكمة ان يرسل الى البشر البشر والى الملك الملك حسبما ينطق به قوله تعالى قل لو كان في الارض
ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا فان عامة البشر بمعزل من استحقاق المفاوضة الملكية
لتوقفها على التناسب بين المفيض والمستفيض فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين
والتشريع وانما الذي تقتضيه الحكمة ان يبعث الملك منهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة
القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب وقوله تعالى نوحي اليهم
استيناف مبين لكيفية الارسال وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية المستمرة وحذف المفعول لعدم القصد
الى خصوصه والمعنى وما ارسلنا الى الامم قبل ارسالك الى امتك الا رجالا مخصوصين من افراد الجنس مستأهلين
للاصطفاء والارسال نوحي اليهم بواسطة الملك ما نوحي من الشرائع والاحكام وغيرهما من القصص والاخبار
كما نوحي اليك من غير فرق بينهما في حقيقة الوحي وحقيقة مدلوله حسبما يحكيه قوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا
الى نوح والنبيين الى قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما كما لا فرق بينك وبينهم في البشرية فما لهم لا يفهمون انك
لست بدعا من الرسل وان ما اوحي اليك ليس مخالفا لما اوحي اليهم فيقولون ما يقولون وقرئ يوحى اليهم بالياء
على صيغة المبني للمفعول جريا على سنن الكبرياء وايذانا بتعين الفاعل وقوله تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكفرة لتبكيتهم واستنزالهم عن رتبة الاستبعاد والنكير اثر تحقيق الحق على طريقة الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه الحقيق بالخطاب في امثال تلك الحقائق الانيقة واما الوقوف عليها بالاستخبار من الغير
فهو من وظائف العوام والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه اي
ان كنتم لا تعلمون ما ذكر فاسألوا ايها الجهلة اهل الكتاب الواقفين على احوال الرسل السالفة عليهم السلام لتزول شبهتكم
امروا بذلك لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم لا سيما وهم كانوا يشايعون المشركين في عداوته صلى الله عليه وسلم ويشاورونهم
في امره عليه السلام ففيه من الدلالة على كمال وضوح الامر وقوة شأن النبي صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى وما جعلناهم جسدا بيان لكون
الرسل عليهم السلام اسوة لسائر افراد الجنس في احكام الطبيعة البشرية اثر بيان كونهم اسوة لهم في نفس
البشرية والجسد جسم الانسان والجن والملائكة ونصبه اما على انه مفعول ثان للجعل لكن لا بمعنى جعله جسدا بعد ان لم
يكن كما هو المشهور من معنى التصيير بل بمعنى جعله كذلك ابتداء على طريقة قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل
كما في قوله تعالى وجعلنا اية النهار مبصرة واما حال من الضمير والجعل ابداعي وافراده لارادة الجنس المنتظم للكثير
وقيل بتقدير المضاف اي ذوي جسد وقوله تعالى لا يأكلون الطعام صفة له اي وما جعلناهم جسدا مستغنيا
عن الاكل والشرب بل محتاجا الى ذلك لتحصيل بدل ما يتحلل منه وما كانوا خالدين لان مآل التحلل هو الفناء لا محالة
وفي ايثار ما كانوا على ما جعلناهم تنبيه على ان عدم الخلود مقتضى جبلتهم التي اشير اليها بقوله تعالى وما جعلناهم الا بالجعل
الاستئناف والمراد بالخلود اما المكث المديد كما هو شأن الملائكة او الابدية وهم معتقدون انهم لا يموتون
والمعنى جعلناهم اجسادا متغذية صائرة الى الموت بالاخرة على حسب آجالهم لا ملائكة ولا اجسادا مستغنية
عن الاغذية مصونة عن التحلل كالملائكة فلم يكن لها خلود كخلودهم فالجملة مقررة لما قبلها من كون الرسل السالفة
عليهم السلام بشرا لا ملكا مع ما في ذلك من الرد على قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق وقوله تعالى
ثم صدقناهم الوعد عطف على ما يفهم من حكاية وحيه تعالى اليهم على الاستمرار التجددي كانه قيل اوحينا اليهم ما اوحينا
ثم صدقناهم في الوعد الذي وعدناهم في تضاعيف الوحي باهلاك اعدائهم فانجيناهم ومن نشاء من المؤمنين
وغيرهم ممن تستدعي الحكمة ابقاءه كمن سيؤمن هو او بعض فروعه بالآخرة وهو السر في حماية العرب من عذاب الاستئصال
واهلكنا المسرفين اي المجاوزين الحد في الكفر والمعاصي
انتهى ابو السعود رحمه الله

ما آمنت قبلهم اي قبل كفار مكة من قرية اي اهلها عند اتيان الرسل بالايات التي اقترحوها فلذلك اهلكناها افهم يؤمنون
اي فهم يؤمنون اذا جاءتهم الايات يعني لا يؤمنون لانهم اطغى منهم ولا نريد ان نهلكهم بالاستيصال لان هذه الامة موعوده
ان لا نستأصل الى يوم قيام الساعة فلذلك لم نعطهم مقترحهم اي مطلوبهم ثم نزل جواب هل هذا الا بشر مثلكم وهو قوله تعالى
وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم ولم نرسل اليهم ملائكة بالرسالة قرئ بالنون وبالياء فجهلوا فاسألوا اهل الذكر اي
اهل التورية والانجيل يريد علماء اهل الكتاب فانهم لا ينكرون ان الرسل كانوا بشرا وان انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
ان كنتم لا تعلمون ذلك وانما احالهم عليهم ولكن لانهم كانوا مشركين ومخالطين في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم
قوله وما جعلناهم جسدا اعلم الله تعالى نبيه انه كالرسل المتقدمين عليه وعليهم الصلوة والسلام اي ما جعلنا الانبياء
قبلك جسدا اي اجساما لا يأكلون الطعام ولا يشربون ولا يمشون في الاسواق وما كانوا خالدين في الدنيا وهو
رد لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويعيش ويموت فهو بشر مثلنا ولو كان رسولا لما اكل ولا مات كالملك
ووحد الجسد لارادة الجنس او بتأويل ذوي جسد ثم صدقناهم الوعد اي النجاة للانبياء عليهم السلام والهلاك
للمشركين فانجيناهم اي الانبياء ومن نشاء من المؤمنين واهلكنا المسرفين اي المشركين بالعذاب انتهى العيون

ما آمنت قبلهم من قرية من أهل قرية أهلكناها
صفة لقرية عند مجيء الآيات المقترحة لأنهم طلبوها
تعنتا أفهم يؤمنون أي أولئك لم يؤمنوا بالآيات
لما أتتهم فيؤمنون هؤلاء المقترحون لو أتيناهم
بما اقترحوا مع أنهم أعتى منهم والمعنى أن أهل القرى
المهلكة اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعهدوا
أنهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فأهلكهم الله
فلو أعطينا هؤلاء ما يقترحون لنكثوا أيضا وما أرسلنا
قبلك إلا رجالا هذا جواب قولهم هل هذا إلا بشر مثلكم
نوحي إليهم نوحي حفص فاسألوا أهل الذكر العلماء
بالكتابين فإنهم يعرفون أن الرسل الموحى إليهم كانوا
بشرا ولم يكونوا ملائكة وكانوا أي أهل مكة يعتمدون
على قولهم إن كنتم لا تعلمون ذلك ثم بين أنه كمن تقدمه
من الأنبياء بقوله وما جعلناهم جسدا وحد الجسد
لإرادة الجنس لا يأكلون الطعام صفة لجسدا يعني
وما جعلنا الأنبياء قبله ذوي جسد غير طاعمين
وما كانوا خالدين كأنهم قالوا هلا كان ملكا لا يطعم
ويخلد معتقدين أن الملائكة لا يموتون أو يسمون
بقاءهم الممتد وحياتهم المتطاولة خلودا ثم صدقناهم
الوعد بإنجائهم والأصل في الوعد مثل واختار
موسى قومه أي من قومه فأنجيناهم مما حل بقومهم
ومن نشاء هم المؤمنون بهم وأهلكنا المسرفين المجاوزين
الحد بالكفر ودل الإخبار بإهلاك المسرفين على
أن من نشاء غيرهم انتهى

ما آمنت قبلهم من قرية أراد بالقرية أهلها فالمجاز
من جهة المجاز لا من جهة الحذف ولذلك قال في
التوصيف أهلكناها دون أهلكناهم يريد إهلاكهم
عند إنكارهم مما اقترحوا من الآيات لما جاءتهم أفهم
يؤمنون عند إتيانها وفي إيلاء الهمزة فاء التعقيب إنكار
إيمانهم بعد ما لم يؤمن أولئك لأن هؤلاء أعتى منهم وأشد
عنادا وتعنتا فلو أتوا بما يقترحون لكانوا أعصى منهم وأشد
كفرا وتنبيه على أن عدم الإتيان بما اقترحوا إبقاء عليهم إذ
لو أتوا به لم يؤمنوا أو استوجبوا عذاب الاستئصال
كمن قبلهم وما أرسلنا قبلك إلا رجالا يوحى إليهم جواب
لقولهم هل هذا إلا بشر مثلكم وإن شككتم فيه فاسألوا أهل
الذكر إن كنتم لا تعلمون إنما أمرهم بذلك ليخبروهم أن الرسل
كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة والمراد من أهل الذكر أهل الكتاب
وإنما أحالهم إليه للإلزام فإنهم كانوا يشاورونهم في أمر الرسول
عليه السلام والرد عليه ويثقون بقولهم أو علماء الأخبار
والإحالة إليهم لأن أخبار الجم الغفير يوجب العلم وإن كانوا
كفارا وتمام الكلام في هذا المقام قد سبق في سورة النحل وما جعلناهم
أي ما جعلنا كل واحد منهم كقوله ثم يخرجكم طفلا جسدا الجسد
جسم الحيوان مخصوص به كالبدن بخلاف الجسم والجرم وهو
عبارة من روح وجسد والروح ما لطف والجسد ما غلظ
وأصله تجمع الشيء واشتداده أي ما جعلناهم جسدا مجوفا
ليس فيه روح متصرف حتى يتحلل فيحتاج إلى البدن فقوله
لا يأكلون الطعام تقرير وتأكيد لذلك المعنى وجواب لقولهم
ما لهذا الرسول يأكل الطعام ولما كان التغذي به من لوازم التحليل
المؤدي إلى الفناء كان قوله وما كانوا خالدين تقريرا وتأكيدا له
ونفي عن الرسول لما اعتقد واختصاصه بالملك تحقيقا لكونهم
من جنس البشر ثم صدقناهم الوعد أي في الوعد فنصب بانتزاع الخافض فأنجيناهم مما حل بقومهم ومن نشاء يعني المؤمنين ومن في
حكمه كمن هو سيؤمن أو بعض ذريته ولذلك حميت العرب عن عذاب الاستئصال وأهلكنا المسرفين المجاوزين الحد بالكفر ونفيهم منه
دخول بعض الكافر تحت من نشاء. انتهى ابن الكمال رحمه الله

ما آمنت قبلهم من قرية كلام مستأنف مسوق لتكذيبهم فيما ينبئ عنه
آخر كلامهم من الوعد الضمني بالإيمان كما أشير إليه بقوله حتى نؤمن وبيان أنهم في اقتراح تلك الآيات كالباحث عن حتفه بظلفه
وأن في ترك الإجابة إليه إبقاء عليهم كيف لا ولو أعطوا ما اقترحوا مع عدم إيمانهم قطعا لوجب استئصالهم لجريان سنة الله تعالى
في الأمم السالفة على أن المقترحين إذا أعطوا ما اقترحوه ثم لم يؤمنوا نزل بهم عذاب الاستئصال لا محالة وقد سبقت كلمة الحق منه تعالى
أن هذه الأمة لا يعذبون بعذاب الاستئصال فقوله من قرية أي من أهل قرية في محل الرفع على الفاعلية ومن مزيدة لتأكيد العموم وقوله تعالى
أهلكناها أي بإهلاك أهلها لعدم إيمانهم بعد مجيء ما اقترحوه من الآيات صفة لقرية والهمزة في قوله تعالى أفهم يؤمنون لإنكار
الوقوع والفاء للعطف إما على مقدر دخلته الهمزة فأفادت إنكار وقوع إيمانهم ونفيه عقيب عدم إيمان الأولين فالمعنى أنه
لم يؤمن أمة من الأمم المهلكة عند إعطاء ما اقترحوه من الآيات أهم لم يؤمنوا فهؤلاء يؤمنون لو أجيبوا إلى ما سألوا وأعطوا
ما اقترحوا مع كونهم أعتى منهم وأطغى وإما على ما آمنت على أن الفاء متقدمة على الهمزة في الاعتبار مفيدة لترتيب وقوع
إنكار إيمانهم على عدم إيمان الأولين وإنما قدمت عليها الهمزة لاقتضائها الصدارة كما هو رأي الجمهور وقوله تعالى وما أرسلنا قبلك إلا رجالا

لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم صيتكم وشرفكم كقوله تعالى وانه
لذكر لك ولقومك • او موعظتكم • او ما تطلبونه به حسن الذكر
من مكارم الاخلاق • والكتاب القرآن • والخطاب لقريش • او
لعامة العرب افلا تعقلون فتؤمنون به والفاء كالتي في افهم
يؤمنون وكذا الاستفهام وكم قصمنا واردة عن غضب شديد
لان القصم افظع الكسر لانه كسر تباين تلاؤم الاجزاء بخلاف
الفصم بالفاء ولايرادها في صيغة التكثير من قرية لما
اقيمت القرية مقام اهلها او تجوز باعتبار وصفت بصفتهم
فقيل كانت ظالمة وانشأنا بعدها بعد اهلاكها قوما آخرين
مكانهم وللدلالة على تعدي الغضب في شانهم الى اهلاك
قريتهم ايضا باخراجهم عن صلاحية الانتفاع بها قال بعدها
ولم يقل بعدهم اظهارا للتوسع السابق واعتبارا لما يقتضيه
اللاحق فان الضمير في قوله فلما احسوا لاهل القرية باسنا
اي ادركوا بالحس عيانا ومشاهدة شدة عذابنا على
الاستعارة في الاحساس • ويجوز ان يكون من قبيل الاشتغال
في الباس اذا هم منها من القرية واذا للمفاجاة يركضون
الركض ضرب الدابة بالرجل اي يهربون مسرعين على الكناية
ويحتمل التمثيل على تشبيههم في الاسراع وشدة العدو
لمن يركض الدابة لا تركضوا قولا بلسان الحال شيرا اليه
انهم خلقا بان يقال لهم ذلك وان لم يقل او القال
استهزاء والقائل ملك او المؤمنين او صديقا يجدث
به انفسهم تحسرا وارجعوا الى ما اترفتم فيه من العيش
الرافه والتنعم والاتراف ابطار النعمة والاسم الترفة
او ارجعوا الى دياركم اترفتم فيه ومساكنكم والتي
كانت لكم لعلكم تسئلون غدا من اعمالكم او كناية عن
العذاب فان السؤال مقدمته او تهكم وتوبيخ اي
ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم حتى يسئلكم
ينقذ فيه امركم ونهيكم او يسالكم الناس في انديتكم
المعاونة في نوازل الخطوب • او يسالكم الوافدون عليكم
ويستمطرون سحاب ما في ايديكم • ولما اخذهم العذاب
ولم يروا وجه النجاة قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين اعترفوا
بالاقتراب حين لا ينفع الاعتراف انتهى جا[illegible]

لقد انزلنا اليكم كلام مستانف مسوق لتحقيق حقيقة القرآن
العظيم الذي ذكر في صدر السورة الكريمة اعراض الناس
عما ياتيهم من آياته واستهزاؤهم به وتسميتهم تارة سحرا
وتارة اضغاث احلام واخرى مفترى وشعرا وبيان علو
رتبته اثر تحقيق رسالته صلى الله عليه وسلم ببيان انه كسائر
الرسل الكرام عليهم السلام • وقد صدر بالتوكيد القسمي اظهارا لمزيد الاعتناء بمضمونه وايذانا بكون المخاطبين في اقصى مراتب [illegible]
اي والله لقد انزلنا اليكم يا معشر قريش كتابا

لقد انزلنا اليكم يا معشر العرب كتابا فيه ذكركم شرفكم
انه عليكم به لانه بلسانكم او فيه موعظتكم او فيه
ذكر دينكم والجملة اي فيه ذكركم صفة لكتابا افلا تعقلون
ما فضلتكم به على غيركم فتؤمنون به وكم نصب بقوله
قصمنا اي اهلكنا من قرية اي اهلها بدليل قوله كانت
ظالمة كافرة وهي واردة عن غضب شديد وسخط
عظيم لان القصم اعظم الكسر وهو الكسر الذي يبين
تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم فانه كسر بلا ابانة و
انشأنا خلقنا بعدها قوما آخرين فسكنوا مساكنهم
فلما احسوا اي المهلكون باسنا عذابنا اي علموا علم
حس ومشاهدة اذا هم منها من القرية واذا للمفاجاة
وهم مبتدأ خبر يركضون يهربون مسرعين في
الارض والركض ضرب الدابة بالرجل فيجوز ان
يركبوا دوابهم يركضونها هاربين من قريتهم لما
ادركتهم مقدمة العذاب • او شبهوا في سرعة عدوهم
على ارجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لهم
لا تركضوا والقائل بعض الملائكة وارجعوا الى ما
اترفتم فيه نعمتم فيه من الدنيا ولين العيش قال
الخليل المترف الموسع عليه عيشه القليل فيه همه
ومساكنكم لعلكم تسئلون اي يقال لهم استهزاء بهم
ارجعوا الى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسئلون غدا عما جرى
عليكم ونزل باموالكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة
او ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم حتى يسئلكم
عبيدكم ومن ينفذ فيه امركم ونهيكم ويقول لكم
بم تامرون وكيف ناتي ونذر كعادة المنعمين
المخدومين • او يسالكم الناس في انديتكم المعاون
في نوازل الخطوب • او يسالكم الوافدون عليكم
الطامع ويستمطروا سحاب اكفكم • او قال بعضهم
لبعض لا تركضوا وارجعوا الى منازلكم واموالكم
لعلكم تسئلون مالا وخراجا فلا تقتلون فنودي
من السماء يا لثارات الانبياء واخذتهم السيوف
ثم قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين اعترفوا حين لا ينفعهم
لما رأوا العذاب ولم يروا فيه النجاة فلذلك لم ينفعهم
يا لثارات الانبياء واللام للاستغاثة اي تعالين فهذا وقتكن
والثار الدم او يا طلبة دماء الانبياء والندا للتفظيع

كتابا عظيم الشأن نيّر البرهان وقوله تعالى فيه ذكركم صفة لكتابا مؤكدة لما افاده التنكير التفخيمي من كونه جليل القدر
بانه جليل الآثار مستجلب لهم منافع جليلة اي فيه شرفكم وصيتكم كقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك • وقيل
ما تحتاجون اليه في امور دينكم ودنياكم • وقيل فيه ما تطلبونه به حسن الذكر من مكارم الاخلاق • وقيل فيه
موعظتكم وهو الانسب لسباق النظم الكريم وسياقه فان قوله تعالى افلا تعقلون انكار توبيخي فيه بعث لهم
على التدبر في امر الكتاب والتامل فيما في تضاعيفه من فنون المواعظ والزواجر التي من جملتها القوارع السابقة
واللاحقة والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي الا تتفكرون فلا تعقلون ان الامر كذلك او لا تعقلون
شيئا من الاشياء التي من جملتها ما ذكر • وقوله تعالى وكم قصمنا من قرية الخ مجاز لقوله تعالى واهلكنا المسرفين وبيان لكيفية
اهلاكهم وسببه وتنبيه على كثرتهم وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها النصب على انها مفعول لقصمنا ومن قرية نوع تفصيل
تمييز وفي لفظ القصم الذي هو عبارة عن الكسر بابانة اجزاء المكسور وازالة تاليفها بالكلية من الدلالة على قوة الغضب
وشدة السخط ما لا يخفى • وقوله تعالى كانت ظالمة في محل الجر على انها صفة لقرية بتقدير مضاف ينبئ عنه الضمير الآتي اي
وكثيرا قصمنا من اهل قرية كانوا ظالمين بآيات الله تعالى كافرين بها كدابكم وانشأنا بعدها اي بعد اهلاكها قوما آخرين
اي ليسوا منهم نسبا ولا دينا ففيه تنبيه على استيصال الاولين وقطع دابرهم بالكلية وهو السر في تقديم حكاية
انشاء هؤلاء على حكاية مبادي اهلاك اولئك بقوله تعالى فلما احسوا باسنا اي ادركوا عذابنا الشديد ادراكا تاما
كانه ادراك المشاهد المحسوس اذا هم منها يركضون يهربون مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم في فرط
الاسراع لا تركضوا اي قيل لهم بلسان الحال او بلسان المقال من الملك او ممن ثمة من المؤمنين بطريق الاستهزاء
والتوبيخ لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه من النعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة ومساكنكم التي كنتم
تفتخرون بها لعلكم تسالون تقصدون للسؤال والتشاور والتدبير في المهمات والنوازل • او تسئلون ما
رأيت مساكنكم خالية وتسالون اي اصحابها • او يسالكم الوافدون نوالكم على انهم كانوا اسخياء ينفقون اموالهم
رئاء او بخلاف فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم قالوا لما يئسوا من الخلاص بالهرب وايقنوا نزول العذاب
يا ويلنا اي يا هلاكنا انا كنا ظالمين اي مستوجبين للعذاب وهذا اعتراف منهم بالظلم باستتباعه للعذاب
وندم عليه حين لم ينفعهم ذلك انتهى ابو السعود رحمه الله

لقد انزلنا اليكم يا كفار مكة كتابا اي القرآن فيه ذكركم اي عزكم وشرفكم يعني شرف العرب
وانا عبر بالذكر لان الشريف يذكر باللسان الحسن او ذكر ما تحتاجون اليه من امر دينكم او تذكرة لكم لترجوا من رحمته وتخافوا
من عذابه افلا تعقلون اي الا تفهمون ان فيه شرفكم او موعظتكم فتؤمنون به وكم قصمنا اي كسرنا من قرية اهلها كانت
ظالمة اي كافرة والقصم بالقاف الكسر بانفصال ظاهر وبالفاء بانفصال خفي يعني كثيرا من اهل القرى ظالمين اهلكناهم
بظلمهم وانشأنا بعدها قوما آخرين خيرا منهم فسكنوا ديارهم فلما احسوا باسنا اي لما رأى المهلكون بحاسة البصر
عذابنا اذا هم منها اي من القرية يركضون اي يهربون مسرعين والركض تحريك الرجلين على الفرس للعدو فقالت
الملائكة لهم لا تركضوا اي لا تهربوا كهيئة الاستهزاء والقول محذوف وارجعوا الى ما اترفتم اي نعمتم وخولتم فيه
من امر دنياكم ومساكنكم التي كنتم فيها لعلكم تسئلون اي يسالكم الناس عن نوازل الخطوب عليكم باعمالكم الخبيثة
او عن فعلكم لنبيكم من القتل وغيره وعدم ايمانكم به فثم قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين بترككم الايمان بنبينا وقتله
ثم اعترفوا حين لا ينفعهم الاعتراف روي ان قرية من قرى اليمن اسمها حضورا قد جاءها رسول من الله تعالى
فكذبوه وقتلوه فسلط الله تعالى عليهم بخت نصر فقتلهم وهزمهم فقالت لهم الملائكة ذلك حين انهزموا من منازلهم
انتهى العيون

وما خلقنا السماء والارض اشارة اجمالية الى ان تكوين العالم وابداع بني آدم مؤسس على قواعد الحكم البالغة المستتبعة للغايات الجليلة وتنبيه على ان ما حكي من العذاب الهائل والعقاب النازل باهل القرى من مقتضيات تلك الحكم ومتفرعاتها حسب اقتضاء اعمالهم اياه وان للمخاطبين المقتدين باثارهم ذنوبا مثل ذنوبهم اي ما خلقناهما وما بينهما من المخلوقات التي لا تحصى اجناسها وافرادها ولا تحصر انواعها وآحادها على هذا النمط البديع والاسلوب المنيع خالية عن الحكم والمصالح وانما عبر عن ذلك باللعب واللهو حيث قيل لاعبين لبيان كمال تنزهه عن الخلق الخالي عن الحكمة بتصويره بصورة ما لا يرتاب احد في استحالة صدوره عنه سبحانه بل انما خلقناها وما بينهما لتكون مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يقوده الى تحصيل معرفتنا التي هي الغاية القصوى بواسطة طاعتنا وعبادتنا كما ينطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا وقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا استئناف مقرر لما قبله من انتفاء اللعب واللهو اي لو اردنا ان نتخذ ما يتلهى به ويلعب لاتخذناه من لدنا اي من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بشأننا من المجردات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام الموضوعة كديدن الجبابرة في رفع العروش وتحسينها وتسوية الفروش وتزيينها لكن يستحيل ارادتنا له لمنافاته الحكمة فيستحيل اتخاذه قطعا وقوله تعالى ان كنا فاعلين جوابه محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه اي ان كنا فاعلين لاتخذناه وقيل ان نافية اي ما كنا فاعلين اي لاتخاذ اللهو لعدم ارادتنا اياه لانتفاء القدر المستلزم لانتفاء التالي وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى ولا يخفى بعده بل نقذف بالحق على الباطل اضراب عن اتخاذ اللهو بل ارادته كانه قيل لكنا لا نريده بل شأننا ان نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل الذي من قبيله اللهو وتخصيص شأنه هذا من بين سائر شؤونه تعالى بالذكر للتخلص الى ما سيأتي من الوعيد فيدمغه اي يمحقه بالكلية كما فعلنا باهل القرى المحكية وقد استعير لايراد الحق على الباطل القذف الذي هو الرمي الشديد بالجرم الصلب كالصخرة ولمحقه الباطل الدمغ الذي هو كسر الشيء الرخو الاجوف وهو الدماغ بحيث يشق غشاءه المؤدي الى زهوق الروح تصويرا له بذلك وقرئ فيدمغه بالنصب وهو ضعيف وقرئ فيدمغه بضم الميم

فما زالت تلك اي كلمة الويل وهي قولهم يا ويلنا انا كنا ظالمين دعواهم خبر ما زالت وهي بمعنى الدعوة اي نداؤهم اذ المدلول كانه ينادي ويقول يا ويل تعال فهذا وقتك حتى جعلناهم حصيدا اي مثل الحصيد وهو الزرع المحصود ولذلك لم يجمع وقد بتقدير المثل وهو مفعول ثان لجعلنا وكذلك خامدين ويتعدد المفعول الثاني كما يتعدد الخبر وقيل هما في حكم الفرد نحو هذا حلو حامض اي مز وقيل خامدين صفة ومعناه طائعين مثل الرماد لا يتحركون وما خلقنا السماء والارض وما بينهما من اصناف الخلائق والعجائب لاعبين حال من ضمير الفاعل في خلقنا اي ما خلقناهما لاهين بها او عابثين بغير شيء بل للمصالح دينية ودنيوية من نظر واعتبار واستدلال لعبادنا بها على وحدانيتنا ومن المنافع والمرافق التي لا تعد مما يحتاجون اليه وليكون خلقنا حجة لنا عليهم يوم القيامة لو اردنا ان نتخذ لهوا اي لعبا او زوجة وولدا بلغة اليمن لانهما لهو الرجل لاتخذناه اي اللهو من لدنا من عندنا لا من عندكم يعني من الملائكة او من الحور العين لا من الانس وهو رد لقول النصارى في المسيح انه ابن الله واليهود في عزير انه ولد الله ثم قال ان كنا فاعلين اي ان كنا نفعله ولكنا لا نفعله ويجوز ان يكون ان نافية اي ما كنا فاعلين لاستحالته في حقنا قوله بل نقذف اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه منه لذاته وبيان لكذبهم وبطلان قولهم في حقه تعالى اي من عادتنا واقتضاء حكمتنا ان نرمي بالحق اي الايمان على الباطل اي على الكفر او الحق قول الله تعالى انه لا ولد له والباطل قولهم اتخذ الله ولدا فيدمغه اي فيدحضه ويمحقه كسر الدماغ بالضرب على الراس وهو مقتل انتهى العيون

فما زالت تلك اشارة الى يا ويلنا دعواهم دعاؤهم وتلك مرفوع على انه اسم زالت ودعواهم الخبر ويجوز العكس حتى جعلناهم حصيدا مثل الحصيد اي الزرع المحصود ولم يجمع كما لم يجمع المقدر خامدين اي ميتين خمود النار وحصيدا خامدين مفعول ثان لجعل اي جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود كقولك جعلته حلوا حامضا للطاعمين وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين اللعب فعل يروق اوله ولا ثبات له ولاعبين حال من فاعل خلقنا والمعنى وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من اصناف الخلق للهو واللعب وانما سويناها ليستدل على قدرة مدبرها ولنجازي المحسن والمسيء على ما تقتضيه حكمتنا لو اردنا ان نتخذ لهوا اي ولدا او امرأة كانه رد على من قال عيسى ابنه ومريم صاحبته لاتخذناه من لدنا من الولدان والحور ان كنا فاعلين ان كنا ممن يفعل ذلك ولسنا ممن يفعله لاستحالته في حقنا وقيل هو نفي كقوله وان ادري اي ما كنا فاعلين بل نقذف بل اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه منه لذاته كانه قال سبحاننا ان نتخذ اللهو بل من سنتنا ان نقذف اي نرمي ونسلط بالحق بالقرآن على الباطل الشيطان او بالاسلام على الشرك او بالجد على اللعب فيدمغه فيكسره ويمحقه الحق الباطل وهذه استعارة لطيفة لان اصل استعمال القذف والدمغ في الجسمات ثم استعير القذف لايراد الحق على الباطل والدمغ لاذهاب الباطل فالمستعار منه حسي والمستعار له عقلي فكانه قيل بل نورد الحق الشبيه بالجسم القوي على الباطل الشبيه بالجسم الضعيف فيبطله ابطال الجسم القوي الضعيف انتهى المدارك

فما زالت تلك دعواهم الاشارة الى يا ويلنا انا دعوى اي فما زالت تلك الدعوى دعواهم والدعوى الدعوة لان المدلول يدعو الويل ويقول يا ويل تعال فهذا اوانك والويل الوقوع في الهلكة وتلك اسم ما زالت ودعواهم خبره او بالعكس وتعيين الاول انما هو في نحو ضرب موسى عيسى مما يختلف اصل المعنى باختلاف الاعراب حتى جعلناهم الضمير المنصوب هو الذي كان مبتدأ وحصيدا خامدين كلاهما خبره فنصبا جميعا على المفعولية لا على انها تقتضي ثلثة مفاعيل بل على ان الاخيرين في حكم الواحد اي جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود كقولهم هذا حلو حامض اي جامع للطعمين شبهوا في استئصالهم وسقوطهم بالزرع المحصود وفي دمارهم وسكونهم بالنار الخامدة وافراد حصيدا دل على ان المثل مراد فخرج الكلام عن حد الاستعارة الى حد التشبيه وما خلقنا السماء والارض ما في جهة العلو والسفل وما بينهما من العجائب والبدائع ولطائف الصنائع لاعبين كما يصنع ابناء الدنيا انما خلقناها سببا لما ينتظم به امور العباد في المعاش والمعاد وتبصرة لاولي الالباب والابصار وتذكرة لذوي الاعتبار من النظار فليعتبروا بها طلاب الكمال ولا يغتروا بزخارفها فانها سريعة الزوال ثم بين بقوله لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه ان السبب في ترك اتخاذ اللهو هو الحكمة البالغة والا فالقدرة الباهرة لا تنحسر عن ذلك ان اراد فعله فانه على كل ما يشاء قدير والحكمة وان لم تكن منافية لاتخاذ اللهو وهو ما يتلهى به ويندرج فيه اللعب لكنها منافية لان يفعل فعلا يكون به لاهيا من لدنا اي من عالم الغيب لا من عالم الشهادة لانه اشنع وابعد عن شأن الحكيم ان كنا فاعلين ذلك ويدل على جوابه الجواب المتقدم وقيل ان نافية وزيادة كنا لاستمرار النفي المتأخر في الاعتبار لا النفي الاستمرار لانه لا يناسب المقام والجملة كالنتيجة للشرط بل نقذف بالحق على الباطل اضراب من اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته من اللعب اي بل من شأننا ان نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل الذي من عداده اللهو فيدمغه فيمحقه وتعقيبه من دمغ الرجل اذا شجه شجة تبلغ ام الدماغ فلا يحيى صاحبها استعارة والقذف الذي هو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمي لابطال الباطل لتصوير الابطال به ومحقه في صورة جرم صلب كالصخرة مثلا قذف به على جرم رخو اجوف فدمغه قضاء لحق البلاغة وقرئ فيدمغه بالنصب ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف على الحق انتهى ابن الكمال

فما زالت تلك دعواهم اي فما زالوا يرددون تلك الكلمة وتسميتها دعوى اي دعوة لان المدلول كانه يدعو الويل قائلا يا ويل تعال فهذا اوانك حتى جعلناهم حصيدا اي مثل الحصيد وهو المحصود من الزرع والنبت ولذلك لم يجمع خامدين اي ميتين من خمدت النار اذا طفئت وهو مع حصيدا في حيز المفعول الثاني للجعل كقولك جعلته حلوا حامضا والمعنى جعلناهم جامعين للمماثلة حصيدا او صفة لحصيدا لتعدده معنى لانه في حكم جعلناهم امثال حصيد وما خلقنا السماء والارض

فاذا هو زاهق هالك والزهوق ذهاب الروح وذكره
لترشيح المجاز ولكم الويل مما تصفون مما تصفونه في حكمته
ويستحيل عليه وهو في موضع الحال وما مصدرية او موصولة
او موصوفة وله من في السموات والارض خلقا وملكا ومن
عنده منزلة ومكانة لا منزلا ومكانا يعني الملائكة شبهوا
في كرامتهم عند الله تعالى وقربهم بالمقربين عند الملوك من زمرة
خواصهم بيانا لشرفهم ويوقف على الارض لانه من مبتدا
خبره لا يستكبرون عن عبادته لا يتعظمون عنها ويجوز
ان يكون معطوفا على من في السموات والمعنى له من في عالم
الشهادة ومن في عالم الغيب ولا يستحسرون ولا يعيون
منها وانما نفي الاستحسار وهو مبالغة في الحسور للايذان
الى ان ما هم فيه من دوام العبادة والدوام بلا فترة يوجب
غاية الحسور وهم يحسرون والاكان نفي دون حسورا ابلغ
يسبحون الليل والنهار ينزهونه ويعظمونه دائما لا يفترون
حال من الواو في يسبحون وهو استيناف او حال من ضمير قبله
ام اتخذوا آلهة ام هي المنقطعة بمعنى بل والهمزة للاضراب
عما قبلها والانكار لما بعدها وهو اتخاذ الهة ارضية وفي قوله
من الارض سواء كان صفة الالهة او متعلقة بالفعل على
معنى الابتداء تجهيل لهم واستركاك لعقولهم وقوله
هم ينشرون تهكم بهم وتوبيخ لهم فانهم وان كانوا لا يصرحون
بذلك لكنه يلزمهم بادعاء الالهية لها فان الاله هو الذي يقدر
على كل ممكن والانشار من جملتها وهم ينكرون نسبة البعث
والانشار الى الله القادر على كل شيء ويثبتون
الالهية لاصنام نحتوها فلزمهم حصر الانشار فيهم ولذلك
اوردهم المفيد للحصر مبالغة في التجهيل والتوبيخ والتهكم بالهتهم وهو توبيخ في توبيخ انتهى ابو الكمال

فاذا هو اي الباطل زاهق هالك ذاهب ولكم الويل
مما تصفون الله به من الولد ونحوه وله من في السموات
والارض خلقا وملكا فاني يكون شيء منه ولدا له
وبينهما تناف ويوقف على الارض لانه ومن عنده منزلة
ومكانة لا منزلا ومكانا يعني الملائكة مبتدا وخبره
لا يستكبرون لا يتعظمون عن عبادته ولا يستحسرون
ولا يعيون يسبحون الليل والنهار لا يفترون حال من
فاعل يسبحون اي تسبيحهم دائم متصل في جميع اوقاتهم
فلا يتخلله فترة بفراغ او بشغل آخر وتسبيحهم جار
مجرى التنفس منا ثم اضرب عن المشركين منكرا عليهم
وموبخا لهم بام التي بمعنى بل والهمزة فقال تعالى ام اتخذوا
آلهة من الارض هم ينشرون يحيون الموتى ومن الارض
صفة لالهة لان الهتهم كانت متخذة من جواهر الارض
كالذهب والفضة والحجر فنسبت اليها كقولك فلان من
المدينة اي مدني او متعلق باتخذوا ويكون فيه
بيان ابتداء غاية الاتخاذ وفي قولهم هم ينشرون
زيادة توبيخ وان لم يدعوا ان اصنامهم تحيي الموتى
وكيف يدعونه ومن اعظم المنكرات ان ينشر الموتى
بعض الموات لانه يلزم من دعوى الالوهية لها
دعوى الانشار لها لان العاجز عنه لا يصح ان يكون
الها ولا يستحق هذا الاسم الا القادر على كل مقدور
والانشار من جملة المقدورات وقرا الحسن ينشرون
وهما لغتان يقال انشر الله الموتى ونشرها اي احياها

فاذا هو زاهق اي ذاهب بالكلية وفي اذا الفجائية والجملة الاسمية من الدلالة على كمال المسارعة في الذهاب والبطلان
ما لا يخفى فكانه زاهق من الاصل ولكم الويل مما تصفون وعيد لقريش بان لهم ايضا مثل ما لاولئك من العذاب والعقاب
ومن تعليلية متعلقة بالاستقرار الذي تعلق به الخبر او بمحذوف هو حال من الويل او من ضميره في الخبر وما اما مصدرية
او موصولة او موصوفة اي واستقر لكم الويل والهلاك من اجل وصفكم له سبحانه بما لا يليق بشانه الجليل او بالذي
او بشيء تصفونه به من الولد او كائنا مما تصفونه تعالى به وله من في السموات والارض استيناف مقرر لما قبله من خلوه
جميع مخلوقاته على حكمة بالغة ونظام كامل وانه تعالى يحق الحق ويزهق الباطل اي له تعالى خاصة جميع المخلوقات خلقا وملكا وتدبيرا وتصرفا
واحياء واماتة وتعذيبا واثابة من غير ان يكون لاحد في ذلك دخل ما استقلالا او استتباعا ومن عنده وهم الملائكة عليهم السلام
عبر عنهم بذلك اثر ما عبر عنهم بمن في السموات تنزيلا لهم لكرامتهم عليه عز وعلا وزلفاهم عنده منزلة المقربين عند الملوك بطريق
التمثيل وهو مبتدا خبره لا يستكبرون عن عبادته اي لا يتعظمون عنها ولا يعدون انفسهم كبيرا ولا يستحسرون ولا يكلون ولا يعيون
وصيغة الاستفعال المنبئة عن المبالغة في الحسور للتنبيه على ان عباداتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ومع ذلك
لا يستحسرون لا لافادة نفي المبالغة في الحسور مع ثبوت اصله في الجملة كما ان نفي الظلامية في قوله تعالى وما انا بظلام للعبيد لافادة
كثرة الظلم المفروض تعلقه بالعبيد لا لافادة نفي المبالغة في الظلم مع ثبوت اصل الظلم في الجملة وقيل من عنده معطوف
على من الاولى وافرادهم بالذكر مع دخولهم في من في السموات والارض للتعظيم كما في قوله تعالى وجبريل وميكال فقوله لا يستكبرون
حينئذ حال من الثانية يسبحون الليل والنهار

يسبحون الليل والنهار اي ينزهونه في جميع الاوقات ويعظمونه ويمجدونه دائما وهو استيناف وقع جوابا
عما نشا مما قبله كانه قيل ماذا يصنعون في عبادتهم او كيف يعبدون فقيل يسبحون الخ او حال من فاعل يستحسرون
وكذا قوله تعالى لا يفترون اي لا يتخلل تسبيحهم فترة اصلا بفراغ او بشغل ام اتخذوا آلهة حكاية لجناية اخرى
من جناياتهم بطريق الاضراب والانتقال من فن الى فن آخر من التوبيخ اثر تحقيق الحق ببيان انه تعالى
خلق جميع المخلوقات على منهاج الحكمة وانهم قاطبة تحت ملكوته وقهره وان عباده مذعنون لطاعته
ومثابرون على عبادته منزهون له تعالى عن كل ما لا يليق بشانه من الامور التي من جملتها الانداد ومعنى الهمزة
في ام المنقطعة انكار الوقوع لا انكار الواقع وقوله تعالى من الارض متعلق باتخذوا او بمحذوف هو صفة
لالهة وايا ما كان فالمراد هو التحقير لا التخصيص وقوله تعالى هم ينشرون اي يبعثون صفة لالهة وهو الذي
يدور عليه الانكار والتجهيل والتشنيع لا نفس الاتخاذ فانه واقع لا محالة اي بل اتخذوا الهة من الارض
هم مع ذلك وهم وان لم يقولوا بذلك صريحا لكنهم حيث ادعوا لها الالهية فكانهم ادعوا لها الانشار
ضرورة انه من الخصائص الالهية حتما ومعنى التخصيص في تقديم الضمير ما اشير اليه من التنبيه على كمال مباينة
حالهم للانشار الموجبة لمزيد الانكار كما في قوله تعالى افي الله شك وقوله تعالى ابالله وآياته كنتم تستهزئون فان
تقديم الجار والمجرور للتنبيه على كمال مباينة امره تعالى لان يشك فيه ويستهزا به ويجوز ان يجعل ذلك
من مستتبعات ادعائهم الباطل فان الالوهية مقتضية للاستقلال بالابداء والاعادة فحيث ادعوا
للاصنام الالهية فكانهم ادعوا لها الاستقلال بالانشار كما انهم جعلوا بذلك مدعين لاصل الانشار انتهى ابو السعود

فاذا هو زاهق اي هالك وزائل المعنى انا نبين الحق من الباطل فيبطله الحق لان الباطل لا يعارض الحق ولكن الحق
يغلب عليه فيدمغه ولكم الويل اي لكم يا معشر النصارى شدة العذاب مما تصفون الله تعالى به من الولد وحما لا يجوز
وله من في السموات والارض من الخلق ومن عنده من الملائكة المكرمين لا يستكبرون اي لا يتعظمون عن عبادته
ولا يستحسرون اي لا يعيون عن طاعته من استحسر وحسر بمعنى اعيى وانا قال ومن عنده وهو منزه
عن المكان لانه ما اراد قربهم به من حيث المكان بل اراد تنزلهم عنده بمنزلة المقربين عند الملوك لكرامتهم
وفضلهم على خلقه يسبحون الليل والنهار لا يفترون اي لا يضعفون ولا يسكنون ولا يملون لان التسبيح
لهم كالنفس لبني آدم وفيه اشارة ان تسبيحهم متصل دائم ام اتخذوا آلهة من الارض اضراب عن المشركين
بالانكار عليهم والتوبيخ لان ام بمعنى بل والهمزة الاستفهامية اي هم لا يعبدون الله بل اتخذوا من دونه الهة
منسوبة الى الارض لان الهتهم كانت جواهر الارض كالحجر والذهب والفضة وغيرها هم ينشرون بالاختصاص
اي هم يحيون لا غير يعني هل يحيي تلك الالهة شيئا من الاموات فلذلك اتخذوها الهة يعبدونها فيه تجهيل لهم
وزيادة توبيخ حيث لم يدعوا احياء اصنامهم شيئا وبيان لعجزها وعدم صلاحها للالوهية لان العاجز
لا يكون الها وهم سموها الهة انتهى العيون

لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا تنزيه لنفسه عن الشرك بالنظر العقلي اي لو كان في السموات والارض شي غير الله
الذي هو خالقهما لفسدتا اي لهلكتا وهلك من فيهما لوجود التمانع لان كل امر بين الاثنين لا يجري على نظام واحد
سيما اذا كانا حكيمين كاملين الاستوا جهتي الحكمة المقتضية للمصلحة فيه اي في ذلك الامر فلا بد من
ايقاع احد الجهتين حسب فلم يمكن التدبير مستويا فلا بد ان يختار احدهما خلاف الاخر لعلمه
الالوهية بالذات فيفسد كما يرى ان الرعية تفسد بتدبير الملكين لحدوث التغالب والتخالف
بينهما قوله الا الله صفة للآلهة لا بدل لفساد المعنى لانه حينئذ يصير لو كان فيهما الله لفسدتا اذ المبدل منه
في حكم السقوط ولان ما قبله موجب ولا يجوز نصبه على الاستثنا لانه يصير المعنى ان عدم فساد
لوجود الله تعالى مع الآلهة فيهما وهو لا يفيد التوحيد في الاية دلالة على ان مدبرهما لا بد ان يكون واحد
وان ذلك الواحد لا يكون الا الله قوله فسبحان الله رب العرش عما يصفون من الشريك والولد
كانه نتيجة دليل التمانع المذكور قبله لا يسئل عما يفعل ويحكم سؤال انكار لانه المالك حقيقة فيفعل ما يشا
في خلقه من المغفرة والعقوبة ولاستحالة جواز الخطا عليه ويجوز السؤال عنه على سبيل الاستكشاف
والبيان كقوله تعالى قال رب اني يكون لي غلام وقد بلغني الكبر الاية وهم يسئلون لانهم عبيد حقيقة فيسئلون
عما يفعلون من العدل والجور لامكان الخطا منهم فيقول لهم لم فعلتم في كل شي فعلوه انتهى العيون

لو كان فيهما آلهة الا الله اي غير الله وصفت آلهة بالا كما
وصفت بغير لو قيل آلهة غير الله ولا يجوز رفعه على
البدل لانه لو حمل لذاته في ان الكلام معه موجب
والبدل لا يسوغ الا في الكلام غير الموجب ولا يجوز
نصبه استثنا لان الجمع اذا كان منكرا لا يجوز
ان يستثنى منه عند المحققين لانه لا عموم له
بحيث يدخل فيه المستثنى لولا الاستثنا والمعنى لو كان
يدبر امر السموات والارض آلهة شتى غير الواحد
الذي هو فاطرهما لفسدتا لخربتا لخروج التمانع
ثم نزه ذاته فقال فسبحان الله رب العرش عما يصفون
من الولد والشريك لا يسئل عما يفعل لانه المالك على
الحقيقة ولو اعترض على السلطان بعض عبيده مع
وجود التجانس وجواز الخطا عليه وعدم الملك
الحقيقي لاستقبح ذلك وعد سفها فمن هو مالك
الملوك ورب الارباب وفعله صواب كله اولى
بان لا يعترض عليه وهم يسئلون لانهم مملوكون
خطاؤن فما اخلقهم بان يقال لهم لم فعلتم في كل شي
فعلوه وقيل وهم يسئلون يرجع الى المسيح والملائكة
اي هم مسئولون فكيف يكونون آلهة والالوهية
تنافي المسئولية اي لا يسئل الله تعالى عما يفعله ويقضيه
في خلقه والناس يسئلون عن اعمالهم والمعنى انه لا يسأل
عما يحكم في عباده من اعزاز واذلال وهدى واضلال
واسعاد واشقاء لانه الرب مالك الاعيان والخلق
يسئلون سؤال توبيخ يقال يوم القيمة لم فعلتم كذا
لانهم عبيد يجب عليهم امتثال امر مولاهم والله تعالى
ليس فوقه احد يقول له لشي لم فعلته انتهى المدارك

ما تعدد ... الاستثنا ... الى ... عليه

لو كان فيهما آلهة الا الله صفة للآلهة يعني غير الله لتعذر الاستثنا
فان آلهة جمع منكور غير محصور لا يشمل الله حتى يستثنى منه
ولدلالته على ان الفساد انما يلزم من وجود آلهة فيهما دونه والمراد
لزوم الفساد من وجودهما مطلقا كانت معه او لا ثم ان الفساد
الاتي ذكره لزومه على ما ستقف عليه على تقدير مطلق التعدد
في الاله وانما فرض الآلهة غير الله على وفق معتقدهم لزيادة
تجهيلهم في هذا الامر الجليل الشان فكانه ضمن اثبات مطلب
التوحيد ابطال معتقدهم على اخص وجه واشنعه لفسدتا
لبطلتا لما يكون بينهما من التمانع اذ لا مجال للتوافق في المراد
والا يلزم ان يتطارد عليه القدر فسبحان الله رب العرش
المحيط بجميع الاجرام الذي هو محل التدابير ومنشا التقادير
عما يصفون عما يصفونه به مما لا يليق بشانه لا يسئل عما يفعل
لعلو سلطنته وكمال علمه وعظمته وتفرده بالالوهية
ولما كان الملوك والجبابرة عادتهم ان لا يسئلوا عن افعالهم
وتدابيرهم في ملكهم تهيبا واجلالا مع جواز الخطا عليهم
فلان لا يسئل رب الارباب وملك الملوك خالق الكل اولى
مع استحالة ذلك عليه وهم يسئلون لانهم مملوكون مستعبدون
والغير للآلهة او للعباد انتهى ابو السعود

ض

لا يخفى ما في تعبير الاولى من الخلل فتدبر

ض ط

لو كان فيهما آلهة الا الله ابطال لتعدد الآلهة باقامة البرهان
على انتفائه بل على استحالته وايراد الجمع لورود انكار
اتخاذ الآلهة لا لان للجمعية مدخلا في الاستدلال وكذا فرض
كونها فيهما والا بمعنى غير على انها صفة لآلهة ولا مساغ للاستثنا
لاستحالة شمول ما قبلها لما بعدها وافضائه الى فساد المعنى
لدلالته حينئذ على ان الفساد لكونها فيها بدونه تعالى ولا
للرفع على البدل لانه متفرع على الاستثنا ومشروط بان يكون
في كلام غير موجب اي لو كان في السموات والارض آلهة غير الله
كما هو اعتقاد اهل الباطل لفسدتا اي لبطلتا بما فيهما جميعا وحيث انتفى التالي علم انتفاء المقدم قطعا بيان الملازمة ان
الالهية مستلزمة للقدرة على الاستبداد او بالتصرف فيهما على الاطلاق تغييرا وتبديلا وايجادا واعداما واحياء واماتة
فبقاؤهما على ما هما عليه اما بتاثير كل منها وهو محال لاستحالة وقوع المعلول المعين بعلل متعددة واما بتاثير واحد منها
فالبواقي بمعزل من الالهية قطعا واعلم ان جعل التالي فسادهما بعد وجودهما لما انه اعتبر في المقدم تعدد الآلهة فيهما والا
فالبرهان يقتضي استحالة التعدد على الاطلاق فانه لو تعدد الاله فان توافق الكل في المراد تطاردت عليه القدر
وان تخالفت تعاوقت فلا يوجد موجود اصلا وحيث انتفى التالي تعين انتفاء التعدد والفاء في قوله تعالى فسبحان الله لترتيب ما بعدها
على ما قبلها من ثبوت الوحدانية بالبرهان اي فسبحوه سبحانه اللائق به ونزهوه عما لا يليق به من الامور التي من جملتها ان يكون
له شريك في الالوهية وايراد الجلالة في موقع الاضمار للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية مناط لجميع صفات كماله التي من
جملتها تنزهه تعالى عما لا يليق به ولتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى رب العرش صفة للاسم الجليل مؤكدة لتنزهه
عز وجل عما يصفون متعلق بالتسبيح اي فسبحوه عما يصفونه من ان يكون من دونه آلهة لا يسئل عما يفعل استئناف
لبيان انه تعالى لقوة عظمته وعزة سلطانه القاهر بحيث ليس لاحد من مخلوقاته ان يناقشه ويسأله عما يفعل
من افعاله اثر بيان ان ليس له شريك في الالوهية وهم اي العباد يسئلون عما يفعلون نقيرا وقطميرا لانهم

مملوكون له تعالى مستعبدون ... فيسئلون عما يفعلون ... ابو السعود

ام اتخذوا من دونه الهة كرره استعظاما
لكفرهم واستفظاعا لامرهم وتبكيتا واظهارا لغاية جهلهم
وحمقا لانكار ان يكون لهم دليل من العقل الى انكار ان يكون لهم
دليل من النقل وهكذا رتب على الاول دليل العقل والثاني
دليل النقل يعني اوجدوا الهة ينشرون الموتى فاتخذوهم
الهة لما وجدوا فيهم من خواص الالوهية ام وجدوا في الكتب
الالهية المنزلة الامر باشراكهم فاتبعوا الامر قل هاتوا برهانكم
من العقل والنقل فانه لا يصح القول بما لا دليل عليه كيف
وقد طابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا هذا ذكر اي هذا الوحي
الوارد على الانبياء عليهم السلام كلهم عظة من معي يعني امته
وذكر من قبلي يعني امم الانبياء عليهم السلام فانظروا هل تجدونه
فيها الا الامر بالتوحيد والنهي عن الشرك وقرئ ذكر من
معي وذكر من قبلي بالتنوين على ان من منصوب المحل مفعول
للذكر وهو الاصل والاضافة عارضة وقرئ من معي ومن قبلي
على من الجارة وادخالها على مع غريب والوجه انه ظرف
نحو قبل وبعد ولدن وعند وما اشبه ذلك فدخلت عليه
من كما دخلت على اخواته بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون

ام اتخذوا من دونه الهة الاعادة لزيادة الافادة
فالاول للانكار من حيث العقل والثاني من حيث النقل
اي وصفتم الله تعالى بان له شريكا فقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم
قل هاتوا برهانكم حجتكم على ذلك وذا عقلي وهو
يأباه كما مر او نقلي وهو الوحي وهو ايضا يأباه
فانكم لا تجدون كتابا من الكتب السماوية الا وفيه
توحيده وتنزيهه تعالى عن الانداد هذا اي القرآن
ذكر من معي يعني امته وذكر من قبلي يعني امم الانبياء
من قبلي وهو وارد في توحيد الله تعالى ونفي الشركاء
عنه معي حفص فلما لم يمتنعوا عن كفرهم اضرب عنهم
فقال بل اكثرهم لا يعلمون الحق اي القرآن وهو نصب
بيعلمون وقرئ الحق اي هو الحق فهم لاجل ذلك معرضون
عن النظر فيما يجب عليهم وما ارسلنا من قبلك من رسول
الا يوحى اليه الا نوحي كوفي غير ابي بكر وحماد آية
لا اله الا انا فاعبدون وحدوني فهذه الاية مقررة
لما سبقها من آي التوحيد انتهى المدارك

بل عندهم ما هو اصل الشر والفساد واس الغي والضلال وهو الجهل وعدم التمييز بين الحق والباطل فلذلك كانت عادتهم الاعراض عن
من التوحيد واتباع الباطل وقرئ الحق بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وهي جملة مؤكدة وسطت بين السبب والمسبب اي كون
الجهل المحض سببا للاعراض هو الحق وقدمت على المسبب لشدة الاهتمام والاعتناء بان سبب الاعراض ليس الا الجهل وكون
حمل المنصوب على هذا المعنى كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل ولا يعلمون فعل متبني المفعول جار مجرى اللازم لسلب مطلق
عنهم رأسا وهذا الوجه افصح واحسن وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون تعميم بعد
تخصيص لان ذكر من قبلي خبر ثالث رأيه بهذا فلا يتناول الا ذكر الموجودين بين اظهرهم وهو الكتب الثلثة والاية مقررة لما
من آي التوحيد

ام اتخذوا من دونه الهة اضراب وانتقال من اظهار بطلان كون ما اتخذوه الهة الهة حقيقة باظهار خلوها
عن خصائص الالهية التي من جملتها الانشار واقامة البرهان القاطع على استحالة تعدد الالهة على الاطلاق وتفرده سبحانه
بالالوهية الى اظهار بطلان اتخاذهم تلك الالهة مع عرائها عن تلك الخصائص بالمرة شركاء لله عز سلطانه وتبكيتهم
بالجائهم الى اقامة البرهان على دعواهم الباطلة وتحقيق ان جميع الكتب السماوية ناطقة بحقية التوحيد وبطلان
الاشراك والهمزة لانكار الاتخاذ المذكور واستقباحه واستعظامه ومن متعلقة باتخذوا والمعنى أاتخذوا
متجاوزين اياه تعالى مع ظهور شؤونه الجليلة الموجبة لتفرده بالالوهية الهة مع ظهور خلوهم عن خواص الالوهية
بالكلية قل لهم بطريق التبكيت والقام الحجر هاتوا برهانكم على ما تدعونه من جهة العقل او النقل فانه لا صحة لقول
لا دليل عليه في الامور الدينية لا سيما في مثل هذا الشان الخطير وفي اضافة البرهان الى ضميرهم من الاشعار
بان لهم برهانا ضرب من التهكم بهم وقوله تعالى هذا ذكر من معي وذكر من قبلي انارة لبرهانه واشارة الى انه مما نطقت
الكتب الالهية قاطبة وشهدت به السنة الرسل المتقدمة كافة وزيادة تهييج لهم على اقامة البرهان لاظهار
كمال عجزهم اي هذا الوحي الوارد في شان التوحيد المتضمن للبرهان القاطع العقلي ذكر امتي اي عظة لهم
وذكر الامم السالفة قد اقيمت فاقيموا انتم ايضا برهانكم وقيل المعنى هذا كتاب انزل على امتي وهذا كتاب انزل
على امم الانبياء عليهم السلام من الكتب الثلثة والصحف فراجعوها وانظروا هل في واحد منها غير الامر بالتوحيد
والنهي عن الاشراك ففيه تبكيت لهم متضمن لاثبات نقيض مدعاهم وقرئ بالتنوين والاعمال كقوله تعالى
واطعام في يوم ذي مسغبة يتيما [illegible] وبمن الجارة على ان مع اسم هو ظرف كقبل وبعد وقوله تعالى
بل اكثرهم لا يعلمون الحق

بل اكثرهم لا يعلمون الحق اضراب من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن وانتقال من الامر بتبكيتهم بمطالبة البرهان
الى بيان انه لا ينجع فيهم المحاجة باظهار حقية الحق وبطلان الباطل فان اكثرهم لا يفهمون الحق ولا يميزون
بينه وبين الباطل فهم لاجل ذلك معرضون اي مستمرون على الاعراض عن التوحيد واتباع الرسول
لا يرعوون عما هم عليه من الغي والضلال وان كررت عليهم البينات والحجج او معرضون عما القي عليهم
من البراهين العقلية والنقلية وقرئ الحق بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وسط بين السبب والمسبب
تأكيدا للسببية وقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون
استئناف مقرر لما اجمل فيما قبله من كون التوحيد مما نطقت به الكتب الالهية واجمعت عليه الرسل
عليهم السلام وقرئ يوحى على صيغة الغائب مبنيا للمفعول وايا ما كان فصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية
استحضارا لصورة الوحي انتهى ابو السعود رحمه الله تعالى

ام اتخذوا من دونه الهة وانما كرره استعظاما لكفرهم حيث جعلوا له شريكا فانت قل لهم يا محمد وصفتم الله
بان له شريكا هاتوا برهانكم على ذلك اي كتابكم الذي فيه عذركم هذا اي الوحي المنزل اليّ من ربي يعني القرآن
ذكر اي وخبر من قبلي من الامم الماضية والكتب التي انزلت للانبياء عليهم السلام فراجعوا الى القرآن والتورية
والانجيل وسائر الكتب هل تجدون فيها ان الله اتخذ ولدا ام لا فلما لم يرجعوا عن كفرهم اضرب عنهم بقوله
بل اكثرهم لا يعلمون الحق اي لا يصدقون القرآن بجهلهم وقيل لا يعلمون التوحيد فهم معرضون عن النظر فيما يجب
عليهم او مكذبون بالحق الذي هو القرآن والتوحيد ثم بين ما امر من التوحيد في جميع الكتب للرسل
كما امر في القرآن لنبيه عليه السلام وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه بالياء مجهولا وبالنون معلوما
على التعظيم اي نحن نوحي اليه كما نوحي اليك انه لا اله الا انا فاعبدون اي وحدوني ولا تشركوا بي ونزل لما قال
بعض الكفار الملائكة بنات الله انتهى العيون
وقالوا اتخذ الله ولدا

وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه نزلت في خزاعة حيث
قالوا الملائكة بنات الله فنزه ذاته عن ذلك ثم
اخبر عنهم بانهم عباد بقوله بل عباد مكرمون
اي بل هم عباد مكرمون مشرفون مقربون
وليسوا باولاد اذ العبودية تنافي الولادة
لا يسبقونه بالقول اي بقولهم فانيب اللام
مناب الاضافة والمعنى انهم يتبعون قوله
فلا يسبق قولهم قوله ولا يتقدمون قوله بقولهم
وهم بامره يعملون اي كما ان قولهم تابع لقوله
فعملهم ايضا مبني على امره لا يعملون عملا لم يؤمروا به
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اي ما قدموا وما
اخروا من اعمالهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى
اي لمن رضي الله او قال لا اله الا الله وهم
من خشيته مشفقون خائفون ومن يقل
منهم اي من الملائكة اني اله من دونه من دون
الله اي مدني وابو عمرو فذلك مبتدا اي
فذلك القائل خبره نجزيه جهنم وهي جزاء
الشرط كذلك نجزي الظالمين الكافرين الذين
وضعوا الالهية غير موضعها وهذا على سبيل
الفرض والتمثيل لتحقق عصمتهم وقال
ابن عباس وقتادة والضحاك قد تحقق
الوعيد في ابليس فانه ادعى الالهية لنفسه
ودعا الى طاعة نفسه وعبادته انتهى المدارك

وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله
سبحانه تنزيه له تعالى عن ذلك بل عباد مكرمون اخبر عنه ثم اثبت
انهم عباد والعبودية تنافي الولادة لكنهم مكرمون مقربون
فمن ذلك اخطاوا وزلت اقدامهم لا يسبقونه بالقول
لا يقولون شيئا حتى تقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين واصله
لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق اليهم واليه وجعل القول اداته
ومحله تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله
ما لم تقله وانيب اللام مناب الاضافة اختصارا وتجافيا
عن تكرير الضمير وقرئ لا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته اسبقه
وهم بامره يعملون اي كما لا يسبقونه بالقول لا يسبقونه بالعمل فلا يعملون
الا ما امروا به يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم كالعلة لما قبله
والتمهيد لما بعده اي انهم يعني الله تعالى يعلم ما قدموا وما اخروا
من اعمالهم اي لا يخفى عليه خافية فلاحاطتهم بذلك يضبطون
انفسهم ويحفظون عما لم يؤمروا به قولا وفعلا ولا يشفعون
مهابة منه الا لمن ارتضى لمن ارتضاه واهله للشفاعة وهم من
خشيته مشفقون اي انهم مع ذلك كله قاصرون حق الهيبة
والعظمة على حذر ورقبة والخشية الخوف مع التعظيم
ولذلك خص بها العلماء والاشفاق الخوف مع الاعتناء
فان عدي بمن فمعنى الخوف فيه اظهر وان عدي بعلى فبالعكس
ومن يقل منهم اي من الملائكة او من الخلائق اني اله من دونه
فذلك نجزيه جهنم بعد ان وصفهم بالكرامة والقرب والاوصاف
الجميلة والافعال المرضية هدد من اشرك منهم على سبيل الفرض
والتقدير وانذره بالوعيد الشديد معا حاطة علم بانه لا يكون
تفظيعا لشان الشرك وتهديدا لهم بتهديد مدعي الربوبية
ومبالغة في نفي الولد اذ لو امكن لكان ربا من جنسه كذلك نجزي الظالمين
من ظلم بالاشراك وادعاء الربوبية انتهى ابن الكمال

وقالوا اتخذ الرحمن ولدا حكاية لجناية فريق من المشركين جيء بها لاظهار بطلانها وبيان تنزهه تعالى عن ذلك اثر بيان تنزهه سبحانه
عن الشركاء على الاطلاق وهم حي من خزاعة يقولون الملائكة بنات الله تعالى ونقل الواحدي رحمه الله ان قريشا وبعض اجناس العرب
جهينة وبني سلمة وخزاعة وبني مليح يقولون ذلك والتعرض لعنوان الرحمانية المنبئة عن كون جميع ما سواه تعالى مربوبا له
نعمة او منعما عليه لابراز كمال شناعة مقالتهم الباطلة سبحانه اي تنزه بالذات تنزهه اللائق به على ان السبحان مصدر من سبح
اي بعد او اسبحه تسبيحا على انه علم للتسبيح وهو مقول على السنة العباد او سبحوه تسبيحا وقوله تعالى بل عباد اضراب
وابطال لما قالوه كانه قيل ليست الملائكة كما قالوا بل هم عباد له تعالى مكرمون مقربون عنده وقرئ مكرمون بالتشديد وفيه
تنبيه على منشا غلط القوم وقوله تعالى لا يسبقونه بالقول صفة اخرى لعباد منبئة عن كمال طاعتهم وانقيادهم لامره تعالى
اي لا يقولون شيئا حتى يقوله تعالى او يامرهم به واصله لا يسبق قولهم قوله فاسند السبق اليهم منسوبا اليه تعالى تنزيلا
لسبق قولهم قوله تعالى منزلة سبقهم اياه تعالى لمزيد تنزيههم عن ذلك وللتنبيه على غاية استهجان السبق المعرض به
للذين يقولون ما لا يقوله الله تعالى وجعل القول محلا للسبق واداة له ثم انيب اللام عن الاضافة للاختصار
والتجافي عن التكرار وقرئ لا يسبقونه بضم الباء من سابقته فسبقته اسبقه وفيه مزيد استهجان للسبق واشعار بان من
سبق قوله قوله تعالى فقد تصدى لمغالبته تعالى في السبق فسبقه فغلبه والعياذ بالله تعالى وزيادة تنزيه لهم عما نفي عنهم
ببيان ان ذلك عندهم بمنزلة الغلبة بعد المغالبة فاني يتوهم صدوره عنهم وهم بامره يعملون

وهم بامره يعملون بيان لتبعيتهم له تعالى في الاعمال اثر بيان تبعيتهم له تعالى في الاقوال فان نفي سبقهم له تعالى بالقول عبارة عن
تبعيتهم له تعالى فيه كانه قيل هم بامره يقولون وبامره يعملون لا بغير امره اصلا فالقصر المستفاد من تقديم الجار معتبر بالنسبة
الى غير امره لا الى امر غيره يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم استئناف وقع تعليلا لما قبله وتمهيدا لما بعده فانهم لعلمهم باحاطته تعالى
بما قدموا واخروا من الاقوال والاعمال لا يزالون يراقبون احوالهم فلا يقدمون على قول او عمل بغير امره تعالى ولا يشفعون
الا لمن ارتضى ان يشفع له مهابة منه تعالى وهم مع ذلك من خشيته تعالى مشفقون مرتعدون واصل الخشية الخوف
مع التعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق الخوف مع الاعتناء فعند تعديته بمن يكون معنى الخوف فيه اظهر وعند
تعديته بعلى ينعكس الامر ومن يقل منهم اي من الملائكة اذ الكلام فيهم وفي كونهم عباد كما قالوا في حقهم اني اله من دونه
متجاوزا اياه تعالى فذلك الذي فرض قوله فرض محال نجزيه جهنم كسائر المجرمين ولا يغني عنهم ما ذكر من صفاتهم
السنية وافعالهم المرضية وفيه من الدلالة على قوة ملكوته تعالى وعزة جبروته واستحالة كون الملائكة بحيث يتوجه
حقهم ما توهمه اولئك الكفرة ما لا يخفى كذلك نجزي الظالمين مصدر تشبيهي مؤكد لمضمون ما قبله اي مثل ذلك الجزاء
الفظيع نجزي الذين يضعون الاشياء في غير مواضعها ويتعدون اطوارهم والقصر المستفاد من التقديم معتبر
بالنسبة الى النقصان دون الزيادة اي لا جزاء انقص منه انتهى ابو السعود رحمه الله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا
نفسه عن ذلك بقوله سبحانه اي سبحان الله عن وصفهم بالولد بل هم عباد مكرمون اي اكرمهم الله تعالى بعبادته والعبودية تنافي الولادة
وهم يتبعون قوله لا يسبقونه اي الله تعالى بالقول اي بقولهم حتى لا يتقدمون قوله بقولهم بل يأتون بمراده ولا يخالفونه وهم
بامره يعملون اي عملهم مبني على امره ولا يعملون عملا لم يؤمروا به لانهم عارفون مراقبون يعلم ما بين ايديهم من امر الاخرة
من امر الدنيا ولا يشفعون اي الملائكة الا لمن ارتضى الله ان يشفع له من اهل الايمان وهم من خشيته مشفقون اي هم مع
من هيبته خائفون لا يأمنون من مكره لانهم عاينوا امر الاخرة فيخافون عاقبة الامر ومن يقل منهم اي من الملائكة
فرضا اني اله من دونه اي من دون الله تعالى فذلك اي القائل به نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين اي المشركين وهو تهديد
لمشركي مكة ليمتنعوا عن شركهم انتهى العيون للشيخ السهروردي البكري رحمه الله

اولم ير الذين كفروا الم يرى يكفى ان السموات والارض

كانتا اى جماعة السموات وجماعة الارضين فلذلك لم يقل كن رتقا بمعنى المفعول اى كانتا مرتوقتين وهو مصدر فلذا صلح ان يقع موقع مرتوقتين ففتقناهما فشققناهما والفتق الفصل بين الشيئين والرتق ضد الفتق فان قيل متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك قلنا انه وارد فى القران الذى هو معجزة فقام مقام المرئى المشاهد ولان الرؤية بمعنى العلم وتلاصق الارض والسماء وتباينهما جائزان فى العقل فلا اختصاص بالتباين دون التلاصق لابد له من مخصص وهو القديم جل جلاله ثم قيل ان السماء كانت لاصقة بالارض لا فضاء بينهما ففتقناهما اى فصلنا بينهما بالهواء وقيل كانت السموات مرتفعة طبقة واحدة ففتقها الله وجعلها سبع ارضين وقيل كانت السماء رتقا لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات وجعلنا من الماء كل شئ حى اى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء او كانما خلقناه من الماء لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره منه كقوله خلق الانسان من عجل افلا يؤمنون يصدقون بما يشاهدونه وجعلنا فى الارض رواسى جبالا ثوابت من رسى اذا ثبت ان تميد بهم لئلا تضطرب بهم فحذف لا واللام وانما جاز حذف لا لعدم الالتباس كما تزاد لذلك فى لئلا يعلم اهل الكتاب وجعلنا فيها فجاجا طرقا واسعة جمع فج وهو الطريق الواسع سبلا مفعول جعلنا وهذا بيان انه حين خلقها خلقها على تلك الصفة لعلهم يهتدون ليهتدوا بها الى البلاد المقصودة انتهى المدارك

اولم ير الذين كفروا اولم يعلموا اتقرير والواو للعطف على مقدر اى انكروا قدرتنا على البعث ولم يعلموا والكفرة وان لم يعلموا لكنهم متمكنون من العلم به بالاستفسار من الاصحاب ومطالعة الكتب فكانهم علموا وقيل بالنظر فان الفتق بعارض مفتقر الى مؤثر موجب بالذات ابتداء او بواسطة وفيه ان اصالة الرتق وعروض الفتق مما لا يستقل فى معرفته العقل ان السموات والارض كانتا انما قال كانتا دون كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارضين رتقا ذات رتق وهو الالتحام والانضمام او مرتوقتين اى كانتا شيئا واحدا وحقيقة متحدة وقرئ رتقا بفتح التاء على تقدير شيئا رتقا فعل بمعنى مفعول كالنقض والرفض ففتقناهما بالتنويع او التمييز بالصور المختلفة وجعلنا من الماء كل شئ حى وخلقنا من الماء كل حيوان لانه اعظم مواده او لفرط احتياجه اليه وامتناع وجوده وبقائه بدونه او صيرنا كل شئ حى بسبب الماء وقرئ حيا على انه صفة كل او مفعول ثان والظرف لغو افلا يؤمنون مع ظهور الايات وجعلنا فى الارض رواسى ثابتات من رسى اذا ثبت ان تميد بهم مفعول له اى كراهة ان تميد بهم وقيل لئلا تميد بهم فحذف لا لامن الالتباس وجعلنا فيها فى الارض او فى الرواسى فجاجا جمع فج وهو الطريق الواسع وانما قدم على سبلا وهو وصف له ليصير حالا مقدرة فيدل على انه حين خلقها خلقها مستعدة لذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه خلقها ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد واخر سبلا فجاجا للنبأ والتوضيح بعد الابهام لعلهم يهتدون اى ليهتدوا بها الى مقاصدهم انتهى ابو الكمال

اولم ير الذين كفروا تجهيل لهم بتقصيرهم فى التدبر فى الايات التكوينية الدالة على استقلاله تعالى بالالوهية وكون جميع ما سواه مقهورا تحت ملكوته والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر وقرئ بغير واو والرؤية قلبية اى الم يتفكروا ولم يعلموا ان السموات والارض كانتا اى جماعتا السموات والارضين كما فى قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا رتقا الرتق الضم والالتحام والكلام اما على حذف المضاف او هو بمعنى المفعول اى كانتا ذوى رتق او مرتوقتين وقرئ رتقا اى شيئا رتقا اى مرتوقا ففتقناهما قال ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية عكرمة والحسن البصرى وقتادة وسعيد بن جبير كانتا شيئا واحدا ملتزقتين ففصل الله بينهما ورفع السماء الى حيث هى واقر الارض وقال كعب خلق الله السموات والارض ملتصقتين ثم خلق ريحا فتوسطتها ففتقتها وعن الحسن خلق الله تعالى الارض فى موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر فى موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما وقال مجاهد والسدى كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارض كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع ارضين وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية عطاء وعليه اكثر المفسرين ان السموات كانت رتقا مستوية صلبة لا تمطر والارض رتقا لا تنبت

ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات فيكون المراد بالسموات السماء الدنيا والجمع باعتبار الافاق او السموات جميعا على ان لها مدخلا فى الامطار وعلم الكفرة الرتق والفتق بهذا المعنى مما لا سترة به واما بالمعانى الاول فهم وان لم يعلموها لكنهم متمكنون من علمها اما بطريق النظر والتفكر فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر قديم واما بالاستفسار من العلماء ومطالعة الكتب وجعلنا من الماء كل شئ حى اى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه من اعظم موادّه او لفرط احتياجه اليه وانتفاعه به او صيرنا كل شئ حى من الماء اى بسبب منه لابد له من ذلك وتقديم المفعول الثانى للاهتمام به لا لمجرد ان المفعولين فى الاصل مبتدأ وخبر وحق الخبر عند كونه ظرفا ان يتقدم على المبتدأ فان ذلك مصحح محض لا مرجح وقرئ حيا على انه صفة كل او مفعول ثان والظرف كما فى الوجه الاول قدم على المفعول للاهتمام به والتشويق الى المؤخر افلا يؤمنون انكار لعدم ايمانهم بالله تعالى وحده مع ظهور ما يوجبه حتما من الايات الافاقية والانفسية الدالة على تفرده تعالى بالالوهية وعلى كون ما سواه من مخلوقاته مقهورة تحت ملكوته وقدرته والفاء للعطف على مقدر يستدعيه الانكار الاتى اى يعلمون ذلك فلا يؤمنون وجعلنا فى الارض رواسى اى جبالا ثوابت جمع راسية من رسا الشئ اذا ثبت ورسخ ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث فى غير العقلاء مما لا ريب فى صحته كقوله تعالى اشهر معلومات واياما معدودات ان تميد بهم اى كراهة ان تتحرك وتضطرب بهم او لئلا تميد بهم بحذف اللام ولا لعدم الالباس وجعلنا فيها اى فى الارض وتكرير الفعل لاختلاف المجعولين ولتوفية مقام الامتنان حقه او فى الرواسى لانها المحتاجة الى الطرق فجاجا مسالك واسعة وانما قدم على قوله تعالى سبلا وهو وصف له ليصير حالا فيفيد انه تعالى حين خلقها خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه تعالى خلقها ووسعها للسابلة مع ما فيه من التوكيد لعلهم يهتدون اى الى مصالحهم ومهماتهم انتهى ابو السعود رحمه الله

اولم ير الذين كفروا بالواو بعد الالف الاستفهامية وبغير الواو اى الم يخبروا فى الكتاب ان السموات والارض كانتا رتقا اى شيئا مرتوقا فهو مصدر بمعنى المفعول او ذات رتق بمعنى ملتزقتين منضمتين ففتقناهما اى فرقناهما وابنا احديهما عن الاخرى بالهواء فجعلنا السماء سبعا والارض سبعا وعلم الكفار ذلك بكتابهم وهو القران المعجز فوجب تصديقه وقيل رتقهما وفتقهما ان السموات كانت لا تمطر فامطرت وان الارض كانت لا تنبت فانبتت وجعلنا من الماء كل شئ حى اى الماء النازل من السماء يعنى جعلنا الماء سببا لحياة كل شئ وحياة النبات داخل فيه فدلهم بذلك على توحيده ولذا قال بعده افلا يؤمنون اى فلا يصدقون بعد رؤية هذه العجائب وجعلنا فى الارض رواسى جمع راسية من رسا اذا ثبت اى جبالا ثوابت ان تميد اى لان لا تميل فحذف لا لامن اللبس وقيل كراهة ان تميد بهم وجعلنا فيها اى فى الارض او فى الرواسى فجاجا اى اودية واسعة والفج هو الشق بين الجبلين سبلا اى طرقا بدل من فجاجا وهى فى الاصل وصف لسبلا ايذانا بانه تعالى خلقها على تلك الصفة فالسبل بيانه لما ابهم ثم لعلهم يهتدون اى لكى يهتدوا الى مصالحهم انتهى العيون

وجعلنا السماء سقفا محفوظا في موضعه عن السقوط
او محفوظا بالشهب عن الشياطين وهم اي الكفار
عن آياتها عن الادلة التي فيها كالشمس والقمر والنجوم
معرضون غير متفكرين فيها فيؤمنون وهو الذي
خلق الليل لتسكنوا فيه والنهار لتتصرفوا فيه
والشمس لتكون سراج النهار والقمر ليكون
سراج الليل كل التنوين فيه عوض عن المضاف اليه
اي كلهم والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع
وجمع جمع العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة
في فلك عن ابن عباس الفلك السماء والجمهور على ان
الفلك موج مكفوف تحت السماء تجري فيه الشمس
والقمر والنجوم وكل مبتدا خبره يسبحون يسيرون
اي يدورون والجملة في محل النصب على الحال
من الشمس والقمر وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد
البقاء الدائم أفإن مت بكسر الميم مدني وكوفي
غير ابي بكر فهم الخالدون والفاء الاول لعطف جملة
على جملة والثاني لجزاء الشرط كانوا يقدرون
ان سيموت فيشمتون بموته فنفى الله عنه
الشماتة بهذا اي قضى الله ان لا يخلد في الدنيا
بشرا فان مت انت ايبقى هولاء كل نفس ذائقة
الموت ونبلوكم ونختبركم سمي ابتلاء وان كان
عالما بما سيكون من اعمال العاملين قبل وجودهم
لانه في صورة الاختبار بالشر بالفقر والقهر
والخير الغنى والنفع فتنة مصدر مؤكد لنبلوكم
من غير لفظه والينا ترجعون فنجازيكم على حسب
ما يوجد منكم من الصبر او الشكر وعن ابن ذكوان
ترجعون انتهى

وجعلنا السماء سقفا محفوظا بقدرتنا من ان يقع على الارض
بغير عمد قيل من استراق السمع بالشهب ونحوها قوله سقفا
فانه حينئذ يضيع وهم عن آياتها احوالها الدالة على وجود الصانع
وكمال قدرته ومعرفتها يحصل منها من الكواكب وحركاتها واوضاعها وما يعلم
من علمي الهيئة والطبيعة معرضون اي هم قوم عادتهم الاعراض وهو
الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر بيان لبعض تلك الآيات
والمراد بالشمس والقمر جنس الطوالع اكتفاء بابينهما كل في فلك
التنوين في كل عوض عن المضاف اليه اي كلهم يسبحون حال من الشمس
والقمر كقوله وجعلنا له الحق ويعقوب نافلة او استيناف
او خبر كل والمراد بالفلك الجنس كقولهم كساهم الامير الحلة
قالوا ان تحت السماء فلكا هو موج مكفوف فيه الكواكب كلها
ولذلك قال يسبحون كما يسبح الانسان في الماء وقيل شبهت حركتها
في الاسراع بسباحة السابح ويرده ان حق التشبيه ان يكون
المشبه به اقوى من المشبه في وجه التشبيه وعكسه اللازم
على ما ذكره مردود في الكلام البليغ فكيف في المعجز واما جمع العقلاء
لانهم وصفوا بوصفهم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد كانوا جمع
يقولون نتربص به ريب المنون فنزلت والفاء في قوله أفإن مت
فهم الخالدون لتعليق الشرطية بما قبلها من التمهيد والهمزة لانكاره
بعد ما تقرر ذلك كل نفس ذائقة الموت اي كل نفس حيوان
تذوق مرارة مفارقة جسدها وهو تقرير لما قبله وبرهان
على ما انكره ونبلوكم ونعاملكم معاملة المختبر بالشر والخير بما يجب
فيه الصبر من البلاء وما يجب فيه الشكر من النعم وانما قدم الشر
لانه انسب بالابتلاء فتنة ابتلاء مصدر من غير لفظه والينا
ترجعون فيجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر
والجزع والكفر وفيه ايماء الى ان المقصود من الحياة الابتلاء
والتعريض للثواب والعقاب تقريرا لما سبق انتهى بيضاوي

وجعلنا السماء سقفا محفوظا من الوقوع بقدرتنا القاهرة
او من الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيتنا او من
استراق السمع بالشهب وهم عن آياتها الدالة على وحدانيته وعلمه وحكمته وقدرته وارادته التي بعضها محسوس وبعضها
معلوم بالبحث عنه في علمي الطبيعة والهيئة معرضون لا يتدبرونها فيبقون على ما هم عليه من الكفر والضلال وقوله تعالى
وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر اللذين هما آيتاهما بيان لبعض تلك الآيات التي هم عنها معرضون بطريق الالتفات
الموجب لتاكيد الاعتناء بفحوى الكلام اي هو الذي خلقهن وحده كل اي كل واحد منهما على ان التنوين عوض عن المضاف اليه
في فلك يسبحون اي يجرون في سطح الفلك كالسبح في الماء والمراد بالفلك الجنس كقولك كساهم الخليفة حلة والجملة
حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بالعدم اللبس والضمير لهما والجمع باعتبار المطالع وجعل الضمير واو العقلاء
لان السباحة حالهم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد اي في الدنيا لكونه مخالفا للحكمة التكوينية والتشريعية أفإن مت
بمقتضى حكمتنا فهم الخالدون نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون والفاء الاول لتعليق الشرطية بما قبلها والهمزة
لانكار مضمونها بعد تقرر القاعدة الكلية النافية لذلك بالمرة والمراد بانكار خلودهم ونفيه انكار ما هو مدار له وجودا
وعدما من شماتتهم بموته عليه السلام فان الشماتة بما يعتريه ايضا مما لا ينبغي ان يصدر عن العاقل كانه قيل أفإن مت فهم الخالدون
حتى يشمتوا بموتك وقوله كل نفس ذائقة الموت

كل نفس ذائقة الموت اي ذائقة مرارة مفارقتها جسدها برهان على ما انكر من خلودهم ونبلوكم الخطاب اما للناس
كافة بطريق التلوين او للكفرة بطريق الالتفات اي نعاملكم معاملة من يبلوكم بالشر والخير بالبلايا والنعم هل تصبرون
وتشكرون اولا فتنة مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه والينا ترجعون لا الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا فنجازيكم
حسبما يظهر منكم من الاعمال فهو على الاول وعد ووعيد وعلى الثاني وعيد محض وفيه ايماء الى ان المقصود من
هذه الحياة الدنيا الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب وقرئ يرجعون بالياء على الالتفات انتهى ابو السعود
ارشاد الخطاب الى النبي

وجعلنا السماء سقفا محفوظا عن استراق السمع بالشهب او عن الوقوع عليهم كقوله ويمسك السماء ان تقع على الارض
وهم اي الكفار عن آياتها اي آيات السماء من الشمس والقمر والنجوم معرضون اي عن الاستدلال بها بالنظر فيها على صانعها فيعلمون ان الله
وحده الله الذي هو اصل للتوحيد واوضح ذلك بقوله وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر اي الظلمة والضوء
كلها كل في فلك اي جنس الفلك وهو السماء وكل مستدير فلك في كلام العرب وكل مبتدا وخبره يسبحون اي كل واحد منها
في مجاريها يسيرون بسرعة او كل في فلك مبتدا وخبره ويسبحون الجملة في محل النصب على الحال من الشمس والقمر لاعن
لاختصاص السباحة بهما قوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد نزل حين قال المشركون ان محمدا يموت فيشمتوا
بموته فنفى الله عنه الشماتة بالموت فقال قضى الله انه لا يخلد الله في الدنيا بشرا لا انت ولا هم فاذا كان كذلك
فان مت انت ايبقى هولاء وهو معنى قوله أفإن مت فهم الخالدون اي افهم الخالدون ان مت فانكر الخلود له
لان كل بشر عرضة للموت واوضح ذلك بقوله كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير اي بالشدة والرخاء قوله
فتنة مصدر مؤكد لقوله نبلوكم من غير لفظه اي نختبركم اختبارا بما يجب فيه من الصبر من البلايا وبما يجب فيه الشكر من النعم
والينا ترجعون فنجازيكم على حسب ما وجد منكم من الشر والخير انتهى النعم

وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا أي ما يتخذونك إلا مهزوا به ويقولون أهذا الذي يذكر آلهتكم أي بسوء وإنما أطلقه لدلالة الإنكار والتعجب المفهومين من قولهم أهذا

وهم خاصة بذكر الرحمن أي بذكره الرحمن بالخير وما يجب أن يذكر به كالتوحيد والثناء عليه بما هو أهله من التسبيح والتمجيد هم كافرون فهم أن يتخذوا هزوا لأنك محق وهم مبطلون. فتقديم ذكر الرحمن على الكفر دلالة على تخصيصهم الكفر بذكر الرحمن دون آلهتهم فإنهم عاكفون على ثنائهم وتعظيمهم والجملة في محل النصب على الحال أي يتخذونك هزوا وحالهم أنهم على شيء هو أصل الهزء والسخرية خلق الإنسان من عجل جعل ما طبع عليه بمنزلة ما طبع هو منه مبالغة في فرط استعجاله وقلة ثباته. وهو تمهيد لنهيهم عن الاستعجال ومن عجلته استعجال الوعد سأريكم آياتي نقماتي في الدنيا كوقعة بدر وفي الآخرة عذاب النار فلا تستعجلون بالإتيان بها والمفهوم مما تقدم أن الإنسان إذا خلي وطبعه يكون على العجلة وهذا لا ينافي النهي عنها بل يستوجبه ويقولون متى هذا الوعد وقت العذاب أو القيامة إن كنتم صادقين يعنون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ذكر الوجوه لأنها أشرف ما في ظاهر الإنسان ومحل حواسه وهو أحرص على الدفاع عنه عن غيره من أعضائه ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون جواب لو محذوف وحين مفعول يعلم أي لو يعلمون الوقت الذي يستخبرون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب تحيط بهم النار فيه من قدام ومن خلف فلا يقدرون على دفعها من أنفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي هونه عليهم أو لما استعجلوا مستهزئين أو منصوب بمضمر ويعلم مطلق بلا مفعول إجراء مجرى اللازم أي لو كان لهم علم لما كانوا مستعجلين حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم يعلمون أنهم على الباطل وينتفي عنهم هذا الجهل العظيم وإنما وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ما أوجب لهم ذلك انتهى

نقمة

كأنه

وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك ما يتخذونك إلا هزوا مفعول ثان ليتخذونك. نزلت في أبي جهل لعنه الله مر به النبي صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبي بني عبد مناف أهذا الذي يذكر يعيب آلهتكم والذكر يكون بخير وبخلافه فإن كان الذاكر صديقا فهو ثناء وإن كان عدوا فذكر لا يكون إلا بسوء قدح وهم بذكر الرحمن أي بذكر الله تعالى وما يجب أن يذكر به من الوحدانية هم كافرون لا يصدقون به أصلا فهم أحق أن يتخذوا هزوا منك فإنك محق وهم مبطلون وقيل بذكر الرحمن بما أنزل إليك من القرآن هم كافرون جاحدون والجملة في موضع الحال أي يتخذونك هزوا وهم على حال هي أصل الهزء والسخرية وهي الكفر بالله وكرر هم للتأكيد أو لأن الصلة حالت بينه وبين الخبر فأعيد المبتدأ خلق الإنسان من عجل فسر بالجنس وقيل نزلت حين كان نضر بن الحارث يستعجل بالعذاب والعجل والعجلة مصدران وهو تقديم الشيء على وقته والظاهر أن المراد الجنس وأنه ركب فيه العجلة فكأنه خلق من العجل ولأنه يكثر منه والعرب تقول لمن يكثر منه الكرم خلق من الكرم فقدم أولا ذم الإنسان على إفراط العجل وأنه مطبوع عليها ثم منع وزجر كأنه قال ليس ببدع منه أن يستعجل فإنه مجبول على ذلك وهو طبعه وسجيته فقد ركب فيه العجلة وقيل العجل الطين بلغة حمير وإنما منع عن الاستعجال وهو مطبوع عليه كما أمره بقمع الشهوة وقد ركبها فيه لأنه أعطاه القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة ومن عجل حال أي عجلا سأريكم آياتي نقماتي فلا تستعجلون بالإتيان بها وهو بالياء عند يعقوب ويقولون متى هذا الوعد إتيان العذاب أو القيامة إن كنتم صادقين قيل هو أحد وجهي استعجالهم لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون جواب لو محذوف وحين مفعول به ليعلم أي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام فلا يقدرون على دفعها ومنعها من أنفسهم

وإذا رآك الذين كفروا أي المشركون إن يتخذونك إلا هزوا أي ما يتخذونك إلا مهزوا به على معنى قصر معاملتهم معه صلى الله عليه وسلم على اتخاذهم إياه هزوا لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزوا كما هو المتبادر كأنه قيل ما اتخاذك إلا هزوا وقد مر تحقيقه في قوله تعالى إن أتبع إلا ما يوحى إلي أهذا الذي يذكر آلهتكم على إرادة القول أي ويقولون أو قائلين ذلك أي يذكرهم بسوء كما في قوله سمعنا فتى يذكرهم الآية وقوله تعالى وهم بذكر الرحمن هم كافرون

وإذا رآك الذين كفروا نزل حين مر النبي صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان وأبي جهل فقال أبو جهل لأبي سفيان هذا نبي بني عبد مناف كالمستهزئ به فقال الله سبحانه وتعالى إن يتخذونك أي ما يتخذك الكفار بقولهم هذا نبي عبد مناف إلا هزوا مفعول ثان ليتخذونه يعني يتخذونك مهزوءا ويقولون سخرية أهذا الذي يذكر آلهتكم أي يعيبهم والذكر عام الخير والشر قوله وهم بذكر الرحمن الجملة في محل النصب على الحال أي يتخذونك هزوا وهم بالذي ذكر فيه توحيده وهو القرآن هم كافرون أي جاحدون أو ذكره توحيده الذي يجب أن يذكر به فهم أحق بأن يتخذوا هزوا منك لأنك على الحق وهم مبطلون وقيل كفرهم بذكر الرحمن قولهم ما نعرف الرحمن إلا مسيلمة الكذاب ثم استعجل كفار قريش نزول العذاب الموعود لهم فقال تعالى خلق الإنسان أي آدم من عجل أي بعجلة من غير ترتيب الأطوار كترتيب ذرية آدم بأنه قيل له كن فكان والعجل هو الإسراع قبل الوقت وقيل معناه عجلا وهو حال من الإنسان أي حال كونه عاجلا في كل شيء لما روي أن آدم عليه السلام لما خلق فبلغت الروح رأسه أبصر ثمار الجنة فقال إليها قبل أن يبلغ الروح إلى رجليه وقيل من بمعنى مع أي خلق مع صفة العجلة فيه للابتداء ولذلك استعجل الكفار نزول العذاب كما استعجل آدم عليه السلام القيام فقال تعالى سأريكم آياتي أي نقماتي فلا تستعجلون بالإتيان بها فهم نهاهم عن الاستعجال مع كون العجلة مخلوقة فيهم فكان فيه تكليف ما لا يطاق وليس كذلك لأن الله تعالى أعطاهم القدرة التي بها استطاعوا أن يصدوا أنفسهم عن مرادها وقيل الآيات آثار الأمم الماضية المعذبة ومنازلهم من قوم نوح وهود وثمود ولوط وصالح عليهم السلام وكانت قريش يسافرون في البلدان فيرون تلك الآثار والمنازل ونزل حين وعدهم الله تعالى البعث فسألوا عنه على وجه الاستهزاء والإنكار وقيل كانوا يستعجلون القيامة قوله ويقولون سائلين متى هذا الوعد إن كنتم صادقين فيما نعدنا من أنا نبعث فقال تعالى لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون أي لا يدفعون عن وجوههم النار لكون أيديهم مغلولة يومئذ ولا عن ظهورهم لأحاطتها بهم ولا هم ينصرون أي لا يمنعون عما نزل بهم من العذاب في الآخرة وجواب لو محذوف وهو لما امتنعوا من الشرك ولما استعجلوا بقولهم متى هذا الوعد انتهى العيون

وهم بذكر الرحمن هم كافرون في حيز النصب على الحالية من ضمير القول المقدر والمعنى انهم يعيبون عليه صلى الله عليه وسلم ان يذكر
آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع بالسوء والحال انهم بذكر الرحمن المنعم عليهم بما يليق به من التوحيد او بارشاد الخلق
بارسال الرسل وانزال الكتب او بالقرآن كافرون فهم احق بالعيب والانكار فالضمير الاول مبتدأ خبره
كافرون وبذكر متعلق بالخبر والتقدير وهم كافرون بذكر الرحمن والضمير الثاني تاكيد لفظي للاول فوقع الفصل
بين العامل ومعموله بالمؤكد وبين المؤكد والمؤكد بالمعمول خلق الانسان من عجل جعل لفرط استعجاله وقلة صبره
كانه مخلوق منه تنزيلا لما طبع عليه من الاخلاق منزلة ما طبع منه من الاركان ايذانا بغاية لزومه له وعدم
انفكاكه عنه ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجاله بالوعد روي انها نزلت في النضر بن الحارث حين استعجل
العذاب بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر الآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد بالانسان
آدم عليه السلام وانه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه اراد ان يقوم وروي انه لما دخل الروح في عينيه ٨
نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله تعالى في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس
فاسرع في خلقه قبل غيبتها فالمعنى خلق الانسان خلقا ناشئا من عجل فذكره لبيان انه من دواعي عجلته في الامور
والاظهر ان المراد به الجنس وان كان خلقه عليه السلام ساريا الى اولاده وقيل العجل الطين بلغة حمير ولا تقريب له
هنا وقوله تعالى سأريكم آياتي تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المستعجلين بطريق التهديد
والوعيد اي سأريكم نقماتي في الآخرة كعذاب النار وغيره فلا تستعجلون بالاتيان بها والنهي عما جبلت عليه
نفوسهم ليقعدوها عن مرادها ويقولون متى هذا الوعد اي وقت مجيء الساعة التي كانوا يوعدونه وانما كانوا يقولونه
استعجالا لمجيئه بطريق الاستهزاء والانكار كما يرشد اليه الجواب لا طلبا لتعيين وقته بطريق الالزام كما في سورة الملك
ان كنتم صادقين اي في وعدكم بانه يأتينا والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الذين يتلون الآيات الكريمة المنبئة
عن مجيء الساعة وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه حسبما حذف في مثل قوله تعالى فأتنا بما تعدنا ان كنت
من الصادقين فان قولهم متى هذا الوعد استبطاء منهم للموعود وطلب لاتيانه بطريق العجلة فانه في قوة
الامر بالاتيان عجلة كانه قيل فليأتنا بسرعة ان كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا استئناف مسوق لبيان شدة
هول ما يستعجلونه وفظاعة ما فيه من العذاب وانهم انما يستعجلونه لجهلهم بشأنه وايثار صيغة المضارع في الشرط
وان كان المعنى على المضي لافادة استمرار عدم العلم فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس بنص في افادة انتفاء
استمرار الفعل بل يفيد استمرار انتفائه ايضا بحسب المقام كما في قوله تعالى لو يحسن الي لشكرته فان المعنى
ان انتفاء الشكر لاستمرار انتفاء الاحسان لا لانتفاء استمرار الاحسان ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه
بما في حيز الصلة على علة استعجالهم وقوله تعالى حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم مفعول يعلم وهو
عبارة عن الوقت الموعود الذي كانوا يستعجلونه واضافته الى الجملة الجارية مجرى الصفة التي حقها ان تكون معلومة
الانتساب الى الموصوف عند المخاطب ايضا مع انكار الكفرة لذلك للايذان بانه من الظهور بحيث لا حاجة له الى
الاخبار به وانما حقه الانتظام في سلك المسلمات المفروغ عنها وجواب لو محذوف اي لو لم يستمر عدم علمهم بالوقت
الذي يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد من الحين الذي يحيط بهم النار فيه من كل جانب وتخصيص الوجوه والظهور
بالذكر بمعنى القدام والخلف لكونهما اشهر الجوانب واستلزام الاحاطة بهما للاحاطة بالكل بحيث لا يقدرون
على دفعها بانفسهم من جانب من جوانبهم ولا هم ينصرون من جهة الغير في دفعها الخ لما فعلوا ما فعلوا من الاستعجال
ويجوز ان يكون يعلم متروك المفعول منزلا منزلة اللازم اي لو كان لهم علم لما فعلوه وقوله تعالى حين الى آخره
استئناف مقرر لجهلهم ومبين لاستمراره الى ذلك الوقت كانه قيل حين يرون ما يرون يعلمون حقيقة الحال
اشارة الى ان الجواب مقدر بعد قوله تعالى ولا هم ينظرون

انتهى ابو السعود رحمه الله

هـ

بل تاتيهم عطف على لا يكفون اى لا يكفونها بل تاتيهم اى العدة او النار او الساعة بغتة فتبهتهم اى تغلبهم او تحيرهم
وقرئ الفعلان بالتذكير على ان الضمير للوعد او الحين وكذا الكاف في قوله تعالى فلا يستطيعون ردها بتاويل الوعد بالنار
او العدة والحين بالساعة ويجوز عوده الى النار وقيل الى البغتة اى لا يستطيعون ردها عنهم بالكلية ولا هم
ينظرون اى يمهلون ليستريحوا طرفة عين وفيه تذكير لامهالهم في الدنيا ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به عليه السلام في ضمن الاستعجال وعدة ضمنية بانه يصيبهم مثل ما اصاب المستهزئين
بالرسل السالفة عليهم السلام وتصديرها بالقسم لزيادة تحقيق مضمونها وتنوين الرسل للتفخيم والتكثير ومن متعلقة
بمحذوف هو صفة له اى وبالله لقد استهزئ برسل اولى شان خطير وذوى عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك
على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه فحاق اى احاط عقيب ذلك او نزل او حل او نحو ذلك
فان معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل الا في الشر والحيق ما يشتمل على الانسان من مكروه
فعله وقوله تعالى بالذين سخروا منهم اى من اولئك الرسل عليهم السلام متعلق بحاق وتقديمه على فاعله
الذى هو قوله تعالى ما كانوا به يستهزؤن للمسارعة الى بيان لحوق الشر بهم وما اما موصولة مفيدة للتهويل
والضمير المجرور عائد اليها والجار متعلق بالفعل وتقديمه عليه لرعاية الفواصل اى فاحاط بهم الذى كانوا يستهزؤن به
حيث اهلكوا لاجله واما مصدرية فالضمير المجرور راجع الى جنس الرسول المدلول عليه بالجمع كما قالوا ولعل ايثار
الجمع للتنبيه على انه يحيق بهم جزاء استهزائهم بكل واحد واحد منهم عليهم السلام لا جزاء استهزائهم بكلهم من حيث
هو كل فقط اى فنزل بهم جزاء استهزائهم على وضع السبب موضع المسبب ايذانا بكمال الملابسة بينهما او عين
استهزائهم ان اريد بذلك العذاب الاخروى بناء على تجسم الاعمال فان الاعمال الظاهرة في هذه النشاة
بصور عرضية تبرز في النشاة الاخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح وعلى ذلك بنى الوزن وقد
تفصل في سورة الاعراف في قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم الاية الى اخرها قل خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اثر
ما ذكر من مصيرهم الى الهلاك وامر له عليه السلام بان يقول لاولئك المستهزئين بطريق التقريع والتبكيت من
يكلؤكم اى يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن اى من باسه الذى تستحقون نزوله ليلا او نهارا وتقديم الليل لما ان الدواهى
فيه اكثر وقوعا واشد وقعا وفي التعريض لعنوان الرحمانية ايذان بان كالئهم ليس الا رحمته العامة وبعد ما امر عليه السلام
بما ذكر من السؤال على الوجه المذكور حسبما يقتضيه حالهم لانهم بحيث لولا ان الله يحفظهم في الملوين لحل بهم فنون
الافات فهم احقاء بان يكلفوا الاعتراف بذلك فيوبخوا على ما هم عليه من الاشراك اضرب عن ذلك بقوله
بل هم عن ذكر ربهم معرضون ببيان ان لهم حالا اخرى مقتضية لصرف الخطاب عنهم وهى انهم لا يخطرون ذكره تعالى ببالهم
فضلا ان يخافوا باسه ويعدوا ما كانوا عليه من الامن والدعة حفظا وكلاءة حتى يسئلوا عن الكالئ على طريق
قوله تعالى قل من يكلؤكم الخ ... ما فيه من ... وفي تعليق الاعراض بذكره تعالى
وايراد اسم الرب المضاف الى ضميرهم المنبئ عن كونهم تحت ملكوته وتدبيره وتربيته تعالى من الدلالة على كونهم
في الغاية القاصية من الضلالة والغى ما لا يخفى وكلمة ام في قوله تعالى ام لهم الهة تمنعهم من دوننا منقطعة
وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عما قبله من بيان ان جهلهم بحفظه تعالى اياهم لعدم خوفهم الناشئ عن اعراضهم
عن ذكر ربهم بالكلية الى توبيخهم باعتمادهم على الهتهم واسنادهم الحفظ اليها والهمزة لانكار ان يكون لهم الهة
تقدر على ذلك والمعنى بل الهم الهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا او حفظنا او من عذاب كائن من عندنا
فهم معولون عليها واثقون بحفظها وفي توجيه الانكار والنفى الى وجود الالهة الموصوفة بما ذكر من المنع
لا الى نفى الصفة بان يقال ام تمنعهم الهتهم الخ من الدلالة على سقوطها عن مرتبة الوجود فضلا عن مرتبة
المنع ما لا يخفى وقوله تعالى لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون استيناف مقرر لما قبله من الانكار
وموضح لبطلان اعتقادهم اى هم لا يستطيعون ان ينصروا انفسهم ولا يصحبون بالنصر من جهتنا فكيف
يتوهم ان ينصروا غيرهم وقوله تعالى بل متعنا هؤلاء واباءهم حتى طال عليهم العمر اضراب عما توهموا ببيان ان الداعى
الى حفظهم تمتيعا اياهم بما قدر لهم من الاعمار او عن الدلالة على بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم
بالحيوة الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وانه بسبب ما هم عليه ولذلك عقب
بما يدل على انه طمع فارغ وامل كاذب حيث قيل افلا يرون الا

ابو السعود رحمه الله

بل تاتيهم الساعة او النار بغتة اى فجاءة فتبهتهم فتحيرهم فلا يستطيعون ردها اى رد الساعة او النار
ولا هم ينظرون اى لا يمهلون بتاخير العذاب عنهم الى اجل معلوم ثم سلى نبيه عليه الصلوة والسلام بقوله
ولقد استهزئ برسل من قبلك كما استهزأ بك قومك فصبروا فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به
يستهزؤن اى فنزل العذاب بهم مجازاة لاستهزائهم فاصبر انت وقل للمستهزئين من يكلؤكم اى من يحفظكم
بالليل والنهار من الرحمن اى من عذابه ان نزل بكم يعنى لا يمنعهم الا هو بل هم عن ذكر ربهم معرضون اى تاركون
توحيده وقراءته ام لهم الهة تمنعهم ميم صلة اى الهم الهة تمنعهم من العذاب من دوننا مجاوزة منعنا وحفظنا ثم وصف
الهتهم بالضعف فقال لا يستطيعون اى الاصنام او عابدوها نصر انفسهم اى المنع عن نفوسهم فكيف
ينصرون عابديهم ولا هم منا يصحبون اى لا يجارون من عذابنا ويامنون لان المجير صاحب لجاره بل متعنا
اى اجلنا وامهلنا هؤلاء واباءهم من قبلهم حتى طال عليهم العمر اى الاجل في التمتع فاغتروا وحسبوا ان لا يزالوا
على ذلك لا يغلبون وذلك امل كاذب افلا يرون الا
انتهى العيون

بل تأتيهم الساعة بغتة فجأة فتبهتهم فتحيرهم
اي لا يكفونها بل تفجأهم فتغلبهم فلا يستطيعون
ردها فلا يقدرون على دفعها ولا هم ينظرون
يمهلون لتوبة او معذرة ولقد استهزئ برسل
من قبلك فحاق فحل ونزل بالذين سخروا منهم
جزاء ما كانوا به يستهزءون تسلي رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الاستهزاء بأن له في الانبياء اسوة
وان ما يفعلونه يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين
بالانبياء ما فعلوا قل من يكلؤكم يحفظكم بالليل
والنهار من الرحمن اي من عذابه ان اتاكم ليلا او نهارا
بل هم عن ذكر ربهم معرضون اي بل هم معرضون عن ذكره
ولا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه حتى اذا
رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالئ وصلحوا للسؤال
عنه والمعنى انه امر رسوله بسؤالهم عن الكالئ ثم
بين انهم لا يصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلؤهم
ثم اضرب عن ذلك بقوله ام لهم آلهة تمنعهم من
دوننا لما في ام من معنى بل فقال ألهم آلهة تمنعهم
من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا ثم استأنف
بقوله لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون
فبين ان ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا
بمصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره
وينصره ثم قال بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال
عليهم العمر اي ما هم فيه من الحفظ والكلاءة انما هو منا
لا من مانع يمنعهم من اهلاكنا وما كلأناهم وآباءهم
الماضين الا تمتيعا بالحيوة الدنيا وامهالا كما متعنا
غيرهم من الكفار وامهلناهم حتى طال عليهم الامد
فقست قلوبهم وظنوا انهم دائمون على ذلك وهو امل كاذب
انتهى

بل تأتيهم بغتة فجأة مصدر او حال اضرب عن كف النار عن
وجوههم وظهورهم اي لا يكفونها بل تفجأهم فتبهتهم
فتغلبهم يقال للمغلوب في المحاجة مبهوت ۰ وقرئ الفعلان
على التذكير والضمير للوعد او الحين وعلى التأنيث يجوز
ان يرجع الى العدة والوعدة او الحين على تأويل الساعة
او النار او البغتة فلا يستطيعون ردها فلا يقدرون على
دفعها ولا هم ينظرون يمهلون وفيه تذكير بامهالهم في الدنيا
ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فحاق فحل ونزل بالذين سخروا منهم جزاء ما كانوا به يستهزءون
وعد له صلى الله عليه وسلم بانه يحيق بهم ما يفعلونه به كما حاق
بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا قل من يكلؤكم بالليل والنهار
امر رسوله صلى الله عليه وسلم بسؤال المستهزئين عمن يحفظهم دائما
وانما قدم الليل لان الحاجة الى الحفظ فيه اكثر واظهر من الرحمن
من بأسه ان اراد بكم وفي ذكر اسم الرحمن تنبيه
على ان لا كالئ غير رحمته العامة وان اندفاع البأس
عن الناس لا يكون الا بها وعندي ان التنبيه فيه
على ان رحمته العامة لا تمنعه عن الغضب فلا تغتروا
بها ولا تحسبوا ان هذا هو الانسب للمقام بل هم عن ذكر ربهم
معرضون اضراب عن مقدر اي انهم غير معرضين عن ربهم ونسوا
بعافيتي عنه حتى لا يجدي السؤال عنه كيف وهم يتخذون الآلهة
ويعبدونها في كل وقت للشفاعة عنده تعالى بل معرضون عن
ذكره فالتذكير يناسب حالهم وهذا المعنى مع ظهوره من سياق
الكلام ووضوح انطباقه لمقتضى المقام قد خفي على الناظرين
فيه حتى قالوا لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه حتى
اذا كلئوا منه عرفوا من الكالئ وصلحوا للسؤال عنه
ولم يتنبهوا انه حينئذ لا يبقى وجه للامر بالسؤال وايضا
حينئذ يضيع عبارة الذكر بل تخل بالمقصود لا يراد الشعور
في الجملة فان الاعراض عن الشيء يكون كناية عن الغفلة عنه
والنسيان بخلاف الاعراض عن ذكره فانه ينبئ عن
حضوره في الذهن وشعوره

ام لهم آلهة تمنعهم تحفظهم مما نعينه العذاب من دوننا اضراب عما تقدم من الكلاءة الحقيقة ومنعهم من العذاب متجاوزا منه قوله
او من عذاب يكون من عنده بما في ام من معنى بل والهمزة فهذا الاضراب ليس للابطال ولا للترقي بل للانتقال من كلام الى آخر
مثل والاضراب عن الامر بالسؤال على الترتيب فانه عن المعرض اتفاقا وعن النبي بعيد وعن المعتقد لنقيضه ابعد ۰ وقد عرفت
فساد مبناه ۰ ثم انه لا ينتظم مع ذلك الاعتبار ما في الاضراب الثاني من زيادة الانكار ۰ وبعد التنبيه والتي قوله المعتقد
لنقيضه فرية ما فيها مرية لما نبهت عليه آنفا لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون يجادرون يقال صحبك الله
اي حفظك واجارك ۰ استيناف بابطال ما ذكر فان من لا يقدر على نصر نفسه ولا يحفظه الله تعالى كيف ينصر غيره ويحفظه
بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر ثم اضرب عن المتوهم المتبادر من ظاهر حالهم بعدما انكره ببيان ان ما هم عليه
من الحفظ والكلاءة انما هو منا لا من مانع يمنعهم من اهلاكنا وانما حفظناهم للاستدراج وهو تمتيعه تعالى اياهم وآباءهم بما قدر لهم
من الاعمار حتى حسبوا بسبب طول مدة الامهال انهم لا يزالون كذلك وانه بسبب ما هم عليه ثم عقبه بما يدل على انه
امل كاذب وغرور باطل وهو قوله افلا يرون انا نأتي الارض الآية انتهى ما بما كلام

فيه رد
اندفاع
ان لا كالئ
فيه رد
فيه رد
فيه رد
فيه رد

أفلا يرون أنا نأتي الأرض أرض الكفر ننقصها من أطرافها بتسليط المسلمين عليها وهو تصوير ما كان الله يجريه على أيدي المسلمين • وفي إضافة إتيانهم بأمره إلى نفسه تعظيم لشأنه أفهم الغالبون إنكار لغلبتهم على الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بعد رؤية المغلوبية المتجددة دائما • وفي التعريف تعريض بأن أعداءهم هم المعروفون المتعينون بالغلبة دونهم قل إنما أنذركم بالوحي بما أوحي إلي من الله تعالى لا من قبل نفسي ولا يسمع الصم الدعاء وقرئ لا تسمع من الإسماع على خطاب الرسول وبنصب الصم وبالياء على إسناده • ولا يسمع مبنيا للمفعول من أسمع وفي قراءة تسمع المبني للفاعل التفات وتنويه بذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وتعظيم له وإنما سماهم الصم ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على فرط تصامهم وعدم انتفاعهم بالأسماع • وإن جعلنا اللام للجنس كان أبلغ لما فيه من معنى البرهان بالتعميم ونوع من الكناية وهو أبلغ من التصريح إذا ما ينذرون منصوب بيسمع لا بالدعاء لأنه مصدر فلا يعمل إلا معرفا والتقييد به لكون الكلام في الإنذار وللمبالغة فإنهم لا يتأثرون به وقت الإنذار فضلا عن أن يسمعوها ثم ينفصلوا عنه ولكونه كالقرينة في الكناية كأنه أكده بقوله إنما أنذركم بالوحي ثم قال ولا يؤثر فيكم فإنكم صم ولا يسمع هذا الجنس الدعاء ولئن مستهم نفحة أصل النفح هبوب رائحة الشيء ويستعمل في كل قلة يقال نفحته الدابة إذا رمحته رمحا يسيرا ونفحه بعطية إذا رضخه ففيه مبالغة من جهة مادته الدالة على معنى النزارة • ومن جهة صيغته أي بناء المرة فإن الأقل ما يطلق عليه الاسم ومن جهة تنكيره الدال على التقليل • وأما المس فهو أقوى من الإصابة لما في مفهومه من قيد زائد عليها وهو أن يتأثر منه حاسة الجسوس • فإيثاره هنا على الإصابة للدلالة على أن عذاب الله تعالى وإن كان في غاية يتأثر منه من يصيبه من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين ولئن مستهم أدنى شيء من العذاب الذي ينذرون به لأذعنوا واعترفوا بظلمهم في تصامهم وإعراضهم داعين على أنفسهم بالويل ونضع الموازين القسط صفة الموازين ولم يجمع لأنه مصدر وصفت به للمبالغة كأنها في نفسها عدل • وجاز أن يكون على حذف المضاف أي ذوات القسط وقد سبق ما يتعلق بوضع الموازين في سورة الأعراف وما يدل على أنه حقيقة لا تمثيل واللام في

أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها حال من ضمير نأتي من أطرافها أي ننقص من أرض الكفر ونحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها وإظهارهم على أهلها وردها على دار الإسلام • وذكر نأتي يشير بأن الله تعالى يجري على أيدي المسلمين وأن عساكرهم تغزوا أرض المشركين وتأتيها غالبة عليها ناقصة من أطرافها أفهم الغالبون أفكفار مكة يغلبون بعد أن نقصنا من أطراف أرضهم أي ليس كذلك بل يغلبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم بعون الله ونصرنا قل إنما أنذركم بالوحي أخوفكم من العذاب بالقرآن ولا يسمع الصم الدعاء بفتح الياء والميم ورفع الصم إذا ما ينذرون يخوفون ولئن مستهم نفحة وقعة يسيرة من عذاب ربك صفة لنفحة ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين أي ولئن مستهم عن هذا الذي ينذرون به أدنى شيء لذلوا ودعوا بالويل والهلاك على أنفسهم وأقروا بأنهم ظلموا أنفسهم حين تصاموا وأعرضوا • وقد بالغ حيث ذكر المس والنفحة لأن النفح يدل على القلة يقال نفحه بعطية إذا رضخه بها مع أن بناءها للمرة ونضع الموازين القسط جمع ميزان وهو ما يوزن به الشيء فيعرف كميته • وعن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان • وإنما جمع الموازين لتعظيم شأنها كما في قوله تعالى يا أيها الرسل والوزن بصحائف الأعمال في قوله ووصفت الموازين بالقسط وهو العدل كأنها في أنفسها قسط أو على حذف المضاف أي ذوات القسط ليوم القيمة لأهل يوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا من الظلم وإن كان مثقال حبة فإن كان التي مثقال حبة مثقال بالرفع مدني وكذا في لقمان على كان التامة من خردل صفة لحبة أتينا بها أحضرناها وأنث ضمير المثقال لإضافته إلى الحبة وكفى بنا حاسبين عالمين حافظين عن ابن عباس رضي الله عنهما لأن من حسب شيئا علمه وحفظه

ليوم القيمة للوقت أي في يوم القيمة وقيل بمعناه لجزاء يوم القيمة أو لأهله أي لأجلهم على الحذف فلا تظلم نفس شيئا ينقص من ثوابه الموعود أو زيادة في عذابه المعهود ويجوز أن يكون معناه شيئا من الظلم وإن كان أي ما يفعل به من النقص والزيادة أو الظلم مثقال مقدار حبة من خردل وقرئ مثقال بالرفع على كان التامة وتأنيث ضمير المثقال في أتينا بها للإضافة إلى الحبة كقولهم ذهبت بعض أصابعه أي أحضرناها وقرئ آتينا بمعنى جازينا بها من الإيتاء فإنه بمعنى الإعطاء أو من المواتاة فإنهم أتوه بالأعمال وآتاهم بالجزاء وكفى بنا حاسبين إذ لا مزيد على علمنا وعدلنا انتهى

الدعاء لأن الآباء يعني يتصامون بالحجارة والجماعة من آيات الله تعالى إذا ما ينذرون أي وقت الإنذار بها ولئن مستهم نفحة أي أصابتهم عقوبة قليلة من عذاب ربك الذي خوفوا به ليقولن عند نزولها بهم يا ويلنا إنا كنا ظالمين أنفسنا بترك طاعة ربنا فيعترفون بظلمهم ويذلون ونضع الموازين القسط أي ذوات العدل لكشف ظلمهم وظهور عدل الله تعالى فيهم قيل وصف الموازين بالقسط مبالغة وهو مصدر بمعنى العدل كرجل عدل • والمراد به العدل قيل له لسان وكفتان يوزن فيه الحسنات والسيئات في أحسن صورة وأقبحها والحكم للغالب في الوزن وفي التساوي لفضل الله تعالى • روي أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فأراه كل كفة ما بين المشرق والمغرب فغشي عليه ثم أفاق فقال إلهي من الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات فقال يا داود إني إذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة وقيل يوزن صحائف الأعمال ليوم القيمة أي نضع لأجله فلا تظلم نفس شيئا من الظلم وإن كان العمل مثقال حبة أي زنة حبة وقرئ بنصب مثقال بكان ناقصة وبالرفع فكان تامة أي إن حصل للعبد مثقال حبة كائن من خردل عملا وهو صفته وجزاء الشرط أتينا أي جئنا بها وأحضرناها وكفى بنا حاسبين أي مجازين أو محصين والباء زائدة ونا فاعل كفى وحاسبين حال منه

أفلا يرون أي ألا ينظرون فلا يرون أنا نأتي الأرض أي أرض الكفرة ننقصها من أطرافها فكيف يتوهمون أنهم ناجون
من بأسنا وهو تمثيل وتصوير لما يخربه الله عز وجل من ديارهم على أيدي المسلمين ويضيفها إلى دار الإسلام أفهم الغالبون
على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والفاء لإنكار ترتيب الغالبية على ما ذكر من نقص أرض الكفرة بتسليط
المسلمين عليها كأنه قيل أبعد ظهور ما ذكر ورؤيتهم له يتوهم غلبتهم كما في قوله تعالى أفمن كان على بينة من ربه
وقوله تعالى أفاتخذتم من دونه أولياء وفي التعريف تعريض بأن المسلمين هم المتعينون للغلبة المعروفون بها
قل إنما أنذركم بعدما بين من جهته تعالى غاية هول ما يستعجلونه ونهاية سوء حالهم عند إتيانه
ونعى عليهم جهلهم بذلك وإعراضهم عن ذكر ربهم الذي يكلؤهم من طوارق الليل والنهار وغير ذلك
من مساوي أحوالهم أمر عليه السلام بأن يقول لهم إنما أنذركم ما تستعجلونه من الساعة بالوحي الصادق
الناطق بإتيانها وفظاعة ما فيها من الأهوال أي إنما شأني أن أنذركم بالإخبار بذلك لا بالإتيان بها
فإنه مزاحم للحكمة التكوينية والتشريعية إذ الإيمان برهاني لا عياني وقوله تعالى ولا يسمع الصم الدعاء إما من
تتمة الكلام الملقن تذييل له بطريق الاعتراض وقد أمر عليه السلام بأن يقوله لهم توبيخا وتقريعا وتسجيلا
عليهم بكمال الجهل والعناد واللام للجنس المنتظم لهؤلاء انتظاما أوليا أو للعهد فوضع المظهر موضع
المضمر للتسجيل عليهم بالتصام وتقييد نفي السماع بقوله تعالى إذا ما ينذرون مع أن الصم لا يسمعون
الكلام إنذارا كان أو تبشيرا لبيان كمال شدة الصمم كما أن إيثار الدعاء الذي هو عبارة عن الصوت
والنداء على الكلام لذلك فإن الإنذار عادة يكون بأصوات عالية مكررة مقارنة لهيئات دالة عليه
فإذا لم يسمعوها يكون صممهم في غاية لا غاية وراءها وإما من جهته تعالى على طريقة قوله تعالى بل هم عن ذكر
ربهم معرضون ويؤيده القراءة على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم من الإسماع بنصب الصم والدعاء كأنه
قيل قل لهم ذلك وأنت بمعزل من إسماعهم وقرئ بالياء أيضا على أن الفاعل هو عليه السلام وقرئ
على البناء للمفعول أي لا يقدر أحد على إسماع الصم وقوله تعالى ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك بيان
لسرعة تأثرهم من مجيء نفس العذاب إثر بيان عدم تأثرهم بمجيء خبره على نهج التوكيد القسمي أي وبالله
لئن أصابهم أدنى إصابة أدنى شيء من عذابه تعالى كما ينبئ عنه المس والنفحة بجوهرها وبنائها
فإن أصل النفح هبوب رائحة الشيء ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين ويعترفن عليها بالظلم وقوله تعالى
ونضع الموازين القسط بيان لما سيقع عند إتيان ما أنذروه أي نقيم الموازين العادلة التي توزن بها
صحائف الأعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لإرصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الأعمال وقد مر تفصيل
ما فيه من الكلام في سورة الأعراف وإفراد القسط لأنه مصدر وصف به مبالغة ليوم القيامة التي كانوا
يستعجلونها أي لجزائه أو لأجل أهله أو فيه كما في قولك جئت لخمس خلون من الشهر فلا تظلم نفس من النفوس
شيئا حقا من حقوقها أو شيئا ما من الظلم بل يوفى كل ذي حق حقه إن خيرا فخير وإن شرا فشر والفاء لترتيب
انتفاء الظلم على وضع الموازين وإن كان مثقال حبة من خردل أي مقدار حبة كائنة من خردل أي وإن كان في غاية القلة
والحقارة فإن حبة الخردل مثل في الصغر وقرئ مثقال حبة بالرفع على أن كان تامة أتينا بها أي أحضرنا ذلك
العمل المعبر عنه بمثقال حبة الخردل للوزن والتأنيث لإضافته إلى الحبة وقرئ آتينا بها أي جازينا بها
من الإيتاء بمعنى المجازاة والمكافاة لأنهم أتوه بالأعمال وأتاهم بالجزاء وقرئ أثبنا من الثواب وقرئ
جئنا بها وكفى بنا حاسبين إذ لا مزيد على علمنا وعدلنا انتهى أبو السعود رحمه الله

أفلا يرون أي أفلا ينظرون أهل مكة

أنا نأتي الأرض أي أرض الكفار أي نأخذها ونفتحها بقوة الإسلام قوله ننقصها من أطرافها بتسليط المسلمين عليها ورجعها
إلى الإسلام حال من ضمير نأتي يعني ننقص ما حول مكة من أراضي أهل الحرب لمحمد صلى الله عليه وسلم بالغلبة والقتل والسبي
ونورثها إياه أفهم الغالبون أم نحن أي الغالب هو الله تعالى وهم المغلوبون قل يا محمد إنما أنذركم أي أخوفكم
أي بما أنزل إلي من القرآن فوجب عليكم اتباعه بالسمع والطاعة ولا يسمع بالياء وضمها وكسر الميم ونصب
والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وبالياء وفتحها مع فتح الميم والفاعل ما بعده وهو إخبار من الكفار أي لا يقبل الصم

ظ لتحقيق أمر القرآن المشارك لسائر الكتب الالهية لاسيما التورية فيما ذكر من الصفات ولان فلق البحر هو الذي اقترح الكفرة
مثله بقولهم فليأتنا بآية كما ارسل الاولون • وقرئ ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان وقوله تعالى الذين يخشون ربهم
اي عذابه مجرور المحل على انه صفة مادحة للمتقين • او بدل • او بيان • او منصوب او مرفوع على المدح بالغيب حال من
المفعول اي يخشون عذابه تعالى وهو غائب عنهم غير مشاهد لهم • ففيه تعريض بالكفرة حيث لا يتأثرون بالانذار
ما لم يشاهدوا ما انذروه وقيل من الفاعل وهم من الساعة مشفقون اي خائفون منها بطريق الاعتناء • وتقديم
الجار لمراعاة الفواصل • وتخصيص اشفاقهم منها بالذكر بعد وصفهم بالخشية على الاطلاق للايذان بكونها
معظم المخوفات • وللتنصيص على اتصافهم بضد ما اتصف به المستعجلون • وايثار الجملة الاسمية للدلالة
على ثبات الاشفاق ودوامه وهذا اي القرآن الكريم اشير بهذا ايذانا بغاية وضوح امره ذكر يتذكر به من تذكر
وصف بالوصف الاخير للتورية لمناسبة المقام وموافقته لما في صدر السورة الكريمة مبارك كثير الخير
غزير النفع يتبرك به انزلناه اما صفة ثانية لذكر او خبر آخر أفأنتم له منكرون انكار لانكارهم بعد ظهور
كون انزاله كانزال التورية كانه قيل أبعد ان علمتم ان شأنه كشأن التورية في الايتاء والايحاء
انتم منكرون لكونه منزلا من عندنا فان ذلك بعد ملاحظة حال التورية مما لا مساغ له اصلا ولقد آتينا
ابراهيم رشده اي الرشد اللائق به وبامثاله من الرسل الكبار وهو الاهتداء الكامل المستند الى الهداية الخاصة
الحاصلة بالوحي والاقتدار على اصلاح الامة باستعمال النواميس الالهية وقرئ رشده وهما لغتان كالحزن
والحزن من قبل اي من قبل ايتاء موسى وهرون التورية • وتقديم ذكر ايتائها لما بينه وبين انزال القرآن
من الشبه التام وقيل من قبل استنبائه او قبل بلوغه وياباه المقام وكنا به عالمين اي بانه اهل لما آتيناه
وفيه من الدليل على انه تعالى عالم بالجزئيات مختار في افعاله ما لا يخفى اذ قال لابيه وقومه ظرف لآتينا على انه وقت
متسع وقع فيه الايتاء وما ترتب عليه من افعاله واقواله • وقيل مفعول لمضمر مستأنف وقع تعليلا لما قبله اي اذكر وقت
قوله لهم ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون لتقف على كمال رشده وغاية فضله • والتمثال اسم لشيء مصنوع مشبها بخلق
من خلائق الله تعالى وهذا تجاهل منه عليه السلام حيث سألهم عن اصنامهم بما التي يطلب بها بيان الحقيقة او شرح الاسم كانه
لا يعرف انها ماذا مع احاطته بان حقيقتها حجر او شجر اتخذوها معبودا • وعبر عن عبادتهم لها بمطلق العكوف
الذي هو عبارة عن اللزوم والاستمرار على الشيء لغرض من الاغراض قصدا الى تحقيرها واذلالها وتوبيخا لهم
على اجلالها • واللام في لها للاختصاص دون التعدية والا لجيء بكلمة على والمعنى انتم فاعلون العكوف
لها • وقد جوز تضمين العكوف معنى العبادة كما ينبئ عنه قوله تعالى قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين اجابوا بذلك
لما ان مآل سؤاله عليه السلام الاستفسار عن سبب عبادتهم لها كما ينبئ عنه وصفه عليه السلام اياهم بالعكوف
كانه عليه السلام قال ما هي هل تستحق ما تصنعون من العكوف عليها فلما لم يكن لهم ملجأ يعتد به التجأوا الى
التقليد فابطله عليه السلام على طريقة التوكيد القسمي حيث قال لقد كنتم انتم وآباؤكم الذين سنوا لكم هذه السنة
الباطلة في ضلال عجيب لا يقادر قدره مبين اي ظاهر بين بحيث لا يخفى على احد من العقلاء كونه كذلك ومعنى كنتم
مطلق استقرارهم على الضلال لا استقرارهم الماضي الحاصل قبل زمان الخطاب المتناول لهم ولآبائهم • اي والله لقد كنتم
مستقرين على ضلال عظيم ظاهر لعدم استناده الى دليل ما والتقليد انما يجوز فيما يحتمل الحقيقة في الجملة قالوا أجئتنا
انتهى ابو السعود رحمه الله عليه

ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان اي التورية وضياء اي مضيئا وهو التورية ايضا حال من الفرقان
وزيد الواو بين الوصفين ليدل على شدة الوصف بهما وقيل الفرقان هو الفارق بين الحق والباطل والضياء
نور البصيرة في دينهم وذكرى اي عظة للمتقين يعني آتيناهما التورية الفارقة بين الحلال والحرام ونور الخروج
من الظلمات وموعظة للذين يتقون الشرك الذين يخشون ربهم بالغيب صفة للمتقين كاشفة لهم اي الذين يخافون
في الخلاء كخوفهم بين الناس وقيل الذين يعملون لربهم في غيب منه وهم من الساعة اي من اهوالها مشفقون اي خائفون
وهذا القرآن ذكر اي موعظة او ذكر ما يحتاج اليه الناس في دينهم ومصالحهم مبارك وبركته كثرة منافعه وغزارة
خيره من المغفرة والنجاة لمن آمن به وقرأه وعمل بما فيه انزلناه اليكم ثم قال باستفهام توبيخ وتعيير أفأنتم له

توبيخ

أفأنتم اي للقرآن منكرون يا اهل مكة ولقد آتينا ابراهيم رشده اي اهتداءه ومعرفته لوجوه الصلاح من قبل
اي قبل بلوغه حين خرج من السرب وهو بيت صغير تحت التراب وقيل قبل موسى وهرون عليهما السلام فالرشد
النبوة وكنا به اي بابراهيم عالمين انه اهل لما آتيناه اياه فيه اشارة الى ان الانبياء لا تصدر عن ابراهيم عليه السلام
الا باختيار من الله تعالى وانه عالم بالجزئيات اذ قال لابيه وقومه اي اذكر وقت قوله لهم ما هذه التماثيل اي
التصاوير يعني الاصنام التي انتم لها اي لاجل عبادتها عاكفون اي مقيمون وفيه تحقير لالهتهم وتجهيل لهم
والتمثال الصنم قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين فنحن نعبدهم لذلك اقتداء بهم وهو جواب العاجز عن
الاتيان بالدليل حيث قلدوا آباءهم في عبادتهم التماثيل ولذا قال ابراهيم عليه السلام لقد كنتم اي المقلدون
انتم تأكيد لاسم كان ليصح عطف وآباؤكم عليه اي انتم مع آبائكم في ضلال مبين اي في خطأ ظاهر لا يخفى على كل
عاقل انتهى
العيون

ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا
قيل هذه الثلثة هي التورية فهي فرقان بين الحق والباطل وضياء يستضاء به ويتوصل به الى سبيل النجاة وذكر اى شرف او وعظ وتنبيه او ذكر ما يحتاج الناس اليه في مصالح دينهم ودخلت الواو على الصفات كما في قوله وسيدا وحصورا ونبيا وتقول مررت بزيد الكريم العالم والصالح ولما انتفع بذلك المتقون خصهم بقوله للمتقين ومحل الذين جر على الوصفية او نصب على المدح او رفع عليه يخشون ربهم يخافونه بالغيب حال اى يخافونه في الخلاء وهم من الساعة القيمة واهوالها مشفقون وهذا اى القرآن ذكر مبارك كثير الخير غزير النفع انزلناه على محمد صلى الله عليه وسلم افانتم له منكرون استفهام توبيخ اى جاحدون انه منزل من عند الله ولقد آتينا ابراهيم رشده هداه من قبل من قبل موسى وهرون او من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وكنا به بابراهيم او برشده عالمين اى علمنا انه اهل لما آتيناه اذ اما ان يتعلق بآتينا او برشده قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل اى الاصنام المصورة على صورة السباع والطيور والانسان وفيه تجاهل لهم ليحقر آلهتهم مع علمه بتعظيمهم لها التي انتم لها عاكفون لاجل عبادتها مقيمون فلما عجزوا عن الاتيان بالدليل على ذلك قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين فقلدناهم قال ابراهيم لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين اراد ان المقلدين والمقلدين منخرطون في سلك ضلال ظاهر لا يخفى على عاقل واكد بانتم ليصح العطف لان العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع انتهى

ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا هي الثلثة هي التورية وهي فرقان بين الحق والباطل وضياء يستضاء به ويتوصل به الى سبيل النجاة في ظلمات الحيرة والجهالة وذكرا اى شرف او وعظ وتنبيه او ذكر ما يحتاج اليه الناس في مصالح دارينهم ودخلت الواو على الصفات كما في قوله تعالى وسيدا وحصورا ونبيا وقرئ ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان ولما انتفع بذلك المتقون خصهم الله بقوله للمتقين ومحل الذين جر على الوصفية او نصب على المدح او رفع عليه يخشون ربهم بالغيب حال من الفاعل او المفعول وهم من الساعة القيمة واهوالها مشفقون الاشفاق خوف مع اعتناء وفي تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض وهذا اى القرآن ذكر مبارك كثير خيره انزلناه على محمد صلى الله عليه وسلم افانتم له منكرون استفهام توبيخ بعد وضوح اعجازه ووفور بركته ولقد آتينا ابراهيم رشده الاهتداء بوجوه الصلاح واضافته ليدل على انه رشد مثله وان له شانا وقرئ رشده وهو لغة من قبل من قبل موسى وهارون عليهما السلام او من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وكنا به عالمين علمنا انه اهل لما آتيناه او جامع لمحاسن الاوصاف ومكارم الاخلاق اذ قال لابيه وقومه متعلق بآتينا او رشده او بمحذوف اى اذكر من اوقات رشده وقت قوله ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون تجاهل منهم وتغابن لتحقير شانها وتوبيخهم على اجلالها فان التمثال جماد لا يضر ولا ينفع اصله الصورة المصنوعة مشبهة بمخلوق من مخلوقات الله تعالى وعنه تمثلت الشيء بالشيء اذا شبهته به واللام للتعليل اى لتعظيمها عاكفون تجري اجراء اللازم غير متعدية للمفعول اى فاعلون العكوف لاجلها وهو اللزوم للامر من الاعواد او لتضمين العكوف معنى العبادة لزيادة التوبيخ ويعقده ما في جوابهم من قولهم لها عابدين قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين جواب عن التوبيخ بانه طريقة اسلافنا ما اخذناها وكما ضمنوا جوابهم دعوى سداد طريقتهم بالاسناد الى الآباء والاجداد رد عليهم حيث قال لقد كنتم انتم تاكيد للمتصل في كنتم ليصح العطف عليه وآباؤكم في ضلال مبين مستقرون في ضلال ظاهر والتاكيد بالقسم ووصف الضلال بالمبين لافادة وضوح استقرار المقلدين في الضلال لا يخفى على من له ادنى عقل لعدم تمسك الفريقين بدليل والتقليد في الاصول غير جائز اصلا وفي الفروع انما يجوز لمن علم في الجملة كون المقلد على الحق

ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرى للمتقين نوع تفصيل لما اجمل في قوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم الى قوله تعالى واهلكنا المسرفين واشارة الى كيفية انجائهم واهلاك اعدائهم وتصديره بالتوكيد القسمي لاظهار كمال الاعتناء بمضمونه والمراد بالفرقان هو التورية وكذا بالضياء والذكر اى وبالله لقد آتيناهما كتابا جامعا بين كونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات الحيرة والغواية وذكرى يتعظ به الناس وتخصيص المتقين بالذكر لانهم المستضيئون بانواره المغتنمون بمغانم آثاره او ذكر ما يحتاجون اليه من الشرائع والاحكام وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر والاول هو اللائق بمساق النظم الكريم فانه لتحقيق

قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين لاستبعادهم تضليله
اباهم واباهم حسبوا انه انما قال ما قال على وجه المزاح
والتداعية فقالوا اتجد تقول ام انت لاعب وانما غيروا
النظم بادخال الهمزة على الجملة الفعلية وهي تنبئ الجملة الاسمية
لتوطينهم انفسهم على انه من اللاعبين ورسوخ ذلك
الاعتقاد عندهم واما القسم الاول فلم يثبت عندهم
فاظهروا انه ان ثبت ففي اختلج في ظنه قال بل ربكم
رب السموات والارض الذي فطرهن اضراب عن كونه لاعبا
باقامة البرهان على ما ادعاه والضمير في فطرهن للسموات
والارض اي انشأهن من غير شيء او للتماثيل وهو ادخل
في تضليلهم والزام الحجة عليهم كأنه قيل انه تعالى خالق وهي
مخلوقة فاني يعبد المخلوق ويجحد الخالق وانا على ذلكم المذكور
من التوحيد من الشاهدين اي المحققين له لان الشاهد هو
الذي تحقق الشيء وحققه كأنه قال وانا احقق ذلك واثبته
بالبرهان لست مثلكم فاقول ما لا اقدر على اثباته بالحجة و
اتمسك بالتقليد كما تمسكتم به وتالله وقرئ بالباء على
الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها والتاء للقسم تفيد
معنى التعجب من القسم عليه كأنه تعجب من تسهل ذلك الامر
المتعسر على يده وهذا عبر عنه بالكيد المشتمل على نوع
من الحيل لاكيدن اصنامكم الكيد الاحتيال في وصول
الضرر الى المكيد بعد ان تولوا مدبرين بعد ذهابكم
عنها وعن قتادة انه قال ذلك سرا وقيل سمعه رجل واحد
فلما ذهبوا بقي ابراهيم عليه السلام فكسر الاصنام كما قال في
قوله فجعلهم جذاذا فصيحة والجذاذ فعال بمعنى مفعول كالحطام
من الجذ وهو القطع جمع جذاذة كزجاجة وزجاج وقرئ
بالكسر وهو لغة فيه او جمع جذيذ كخفاف وخفيف
وقرئ بالفتح وجذاذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة
الا كبيرا لهم للاصنام او للكفار روي انه عليه السلام كسرها
كلها بفاس الا كبيرها فعلق الفاس في عنقه لعلهم اليه

قالوا أجئتنا بالحق بالجد أم أنت من اللاعبين
اي اجاد انت فيما تقول ام لاعب استعظاما
منهم انكاره عليهم واستبعادا لان يكون ما هم
عليه ضلالا ثم اضرب عنهم مخبرا بانه جاد
فيما قال غير لاعب مثبتا لربوبية الملك العلام
وحدوث الاصنام بقوله قال بل ربكم رب
السموات والارض الذي فطرهن اي التماثيل
او السموات والارض فاني يعبد المخلوق ويجحد
الخالق وانا على ذلكم المذكور من التوحيد شاهد
من الشاهدين وتالله اصله والله وفي التاء
معنى التعجب كأنه تعجب من تسهل الكيد على يديه
مع صعوبته وتعذره لقوة سلطنة نمرود
لاكيدن اصنامكم لاكسرنها بعد ان تولوا
مدبرين بعد ذهابكم عنها الى عيدكم قال ذلك
سرا من قومه فسمعه رجل واحد فعرض بقوله
اني سقيم اي ساسقم ليتخلف فرجع الى
بيت الاصنام فجعلهم جذاذا قطعا من الجذ
وهو القطع جمع جذاذة كزجاجة وزجاج
الا كبيرا لهم للاصنام او للكفار اي فكسرها
كلها بفاس في يده الا كبيرها فعلق الفاس في
عنقه لعلهم اليه اي الى الكبير يرجعون
فيسالونه عن كاسرها فتبين لهم عجزه اي
الى ابراهيم ليحتج عليهم او الى الله لما راوا
عجز الهتهم قالوا اي الكفار حين رجعوا من عيدهم
وراوا ذكر من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين
اي ان من فعل هذا الكسر لشديد الظلم لجراته
على الالهة الحقيقة عندهم بالتوقير والتعظيم

الى الكبير يرجعون فيسالونه عن كاسرها فتبين لهم عجزه وقيل الى ابراهيم عليه السلام فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم
فيحجهم او الى الله اي يرجعون الى توحيده عند تحققهم عجز الهتهم ويرد عليه انه حينئذ يحوجه قوله الا كبيرا اجنبيا
قالوا حين راوا ذلك بعد ما رجعوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين لشديد الظلم لجراته على الالهة الحقيقة بالاعظام

قالوا لما سمعوا مقالته عليه السلام استبعادا لكون ما هم عليه ضلالا وتعجبا من تضليله عليه السلام اياهم بطريق التوكيد
القسمي وترددا في كون ذلك منه عليه السلام على وجه الجد اجئتنا بالحق اي بالجد ام انت من اللاعبين فتقول ما تقول
على وجه الملاعبة والمزاح وفي ايراد الشق الاخير بالجملة الاسمية الدالة على الثبات ايذان برجحانه عندهم قال
اضرابا عما بنوا عليه مقالتهم من اعتقاد كونها اربابا لهم كما يفصح عنه قولهم نعبد اصناما فنظل لها عاكفين كأنه قيل
ليس الامر كذلك بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وقيل هو اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما
ادعاه وضمير هن للسموات والارض وصفه تعالى بايجادهن اثر وصفه تعالى بربوبيته تعالى لهن تحقيقا للحق

ه وتنبيها على انه ما لا يكون كذلك بمعزل من الربوبية اي انشاهن بما فيهن من المخلوقات التي من جملتها انتم وآباؤكم
وما تعبدونه من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه ورجع الضمير الى التماثيل ادخل في تضليلهم واظهر في الزام الحجة
عليهم لما فيه من التصريح المغني عن التأمل في كون ما يعبدونه من جملة المخلوقات وانا على ذلكم الذي ذكرته من كون
ربكم رب السموات والارض فقط دون ما عداه كائنا ما كان من الشاهدين اي العالمين به على سبيل الحقيقة
المبرهنين عليه فان الشاهد على الشيء من تحققه وحققه وشهادته على ذلك اداؤه بالحجة عليه واثباته بها
كانه قال وانا ابين ذلك وابرهن عليه وتالله وقرئ بالباء وهو الاصل والتاء بدل من الواو التي هي بدل من
الاصل وفيها تعجب لاكيدن اصنامكم اي لاجتهدن في كسرها وفيه ايذان بصعوبة الانتهاز وتوقفه على استعمال
الحيل وانما قاله عليه السلام سرا وقيل سمعه رجل واحد بعد ان تولوا مدبرين من عبادتها الى عيدكم وقرئ تولوا
من التولي بحذف احدى التائين ويعضدها قوله تعالى فتولوا عنه مدبرين والفاء في قوله تعالى فجعلهم فصيحة
اي فولوا فجعلهم جذاذا اي قطاعا فعال بمعنى مفعول من الجذ الذي هو القطع كالحطام من الحطم الذي هو الكسر
وقرئ بالكسر وهي لغة او جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة
روي ان آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدؤا ببيت الاصنام فدخلوه فسجدوا لها ووضعوا طعاما بينها وخرجوا به
معهم وقالوا الى ان نرجع بركت الالهة على طعامنا فذهبوا وبقي ابراهيم عليه السلام فنظر الى الاصنام وكانت
سبعين صنما مصطفا وثمة صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان
بالليل فكسر الكل بفاس كان في يده ولم يبق الا الكبير وعلق الفاس في عنقه وذلك قوله تعالى الا كبيرا لهم اي
للاصنام لعلهم اليه اي الى ابراهيم عليه السلام يرجعون فيحاجهم بما سياتي فيحجهم ويبكتهم وقيل يرجعون الى الكبير
فيسالونه عن الكاسر لان من شأن المعبود ان يرجع اليه في الملمات وقيل يرجعون الى الله تعالى وتوحيده عند
تحققهم عجز الهتهم عن دفع ما يصيبهم وعن الاضرار بمن كسرهم قالوا اي حين رجعوا من عيدهم وراوا ما راوا
من فعل هذا بالهتنا على طريقة الانكار والتوبيخ والتشنيع وانما عبروا عنها بالذكر ولم يشيروا اليها بهؤلاء وهي بين
ايديهم مبالغة في التشنيع وقوله تعالى انه لمن الظالمين استئناف مقرر لما قبله وقيل من موصولة وهذه الجملة في حيز
الرفع على انها خبرها والمعنى الذي فعل هذا الكسر والحطم بالهتنا انه معدود من جملة الظلمة اما لجراته على ما هي
حقيقة بالاعظام او لافراطه في الكسر والحطم وتماديه في الاستهانة بها او تعريض نفسه للهلكة
انتهى ابو السعود عليه رحمة الله

قالوا اجئتنا بالحق اي ما تقول لنا ابالجد والصدق ام انت من اللاعبين بنا بقولك هذا وانما استفهموه بذلك
لانهم حسبوا ان ما قاله لهم قاله على وجه الملاعبة والممازحة فاضرب عنهم مخبرا انه بالجد لا بالهزل مثبتا لوحدانية الله تعالى
وربوبيته وحدوث الاصنام وبطلانها بان قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن اي الاصنام فكيف
تعبدون المخلوق وتتركون عبادة الخالق لكل شيء وانا على ذلكم اي على الذي ذكرته لكم من ان خالق الارض والسماء
ربكم ورازقكم واحد لا شريك له من الشاهدين بصحته ومبرهن عليه كما يبرهن الشاهد على شهادته وتالله
لاكيدن اصنامكم لاكسرنها بعد ان تولوا مدبرين اي ترجعوا عنها اي ذاهبين الى عيدكم وكانوا قد وضعوا الطعام عند
الذي اصنامهم لزعمهم التبرك عليه فاذا رجعوا من عيدهم اكلوه قيل انما قال ابراهيم عليه السلام هذا سرا من قومه
وحين قال ذلك ابراهيم عليه السلام سمع رجل منهم فحفظه عليه فلما خرج القوم من الكنيسة دخل على الاصنام
ابراهيم عليه السلام والطعام لديهم فقال استهزاء بهم الا تاكلون فلما لم يجيبوه قال ما لكم لا تنطقون فضرب
على رؤوسهم بالقدوم فجعلهم بفاس في يده جذاذا بضم الجيم وكسرها جمع جذيذ وهو الهشيم اي قطعا من الجذ
وهو القطع الا كبيرا لهم الا الصنم الاكبر منها لم يكسره وتركه على حاله وعلق الفاس في عنقه وقيل ربطه بيده
وكان اثنان وسبعون صنما اكبرها من ذهب مكلل بالجواهر وفي عينيه ياقوتتان تتقدان وبعضها من فضة
وبعضها من حديد وبعضها من حجر وخشب وغيرها لعلهم اليه اي الى الصنم الكبير يرجعون اي يسالونه عن
كاسرها وغرضه من رجوعهم اليه انهم اذا رجعوا اليه تبين انه عاجز لا ينفع ولا يضر فظهر انهم في عبادتهم على جهل
عظيم او لعلهم يرجعون الى التوحيد من الشرك عند تحقق عجز الهتهم عندهم فلما رجعوا من عيدهم ودخلوا
كنيستهم نظروا الى الهتهم متكسرة فسال بعضهم بعضا عن ذلك بان قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين
انتهى تفسير العيون

في شأن الهتهم مع ما فيه من التوقي من الكذب حيث ابرز الكبير قولاً في معرض المباشر للفعل باسناده اليه كما ابرزه في ذكر المعرض فعلاً بجعل الفأس في عنقه وقد قصد اسناده اليه بطريق التسبيب حيث كانت تلك الاصنام غائظة عليه حين ابصرها مصطفة مرتبة للعبادة من دون الله سبحانه وكان غيظ كبيرها اكبر واشد حسب زيادة تعظيمهم له فاسند اليه الفعل باعتبار انه الحامل عليه • وقيل هو حكاية لما يقودوا الى تجويزه مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على ما هو اشد من ذلك • ويحكى انه عليه السلام قال فعله كبيرهم هذا غضب ان تعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منها فيكون تمثيلاً اراد به عليه السلام تنبيههم على غضب الله عليهم لاشراكهم بعبادة الاصنام • واما ما قيل من انه عليه السلام لم يقصد نسبة الفعل الصادر عنه الى الصنم بل انما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم ومثل لذلك بما لو قال لك امي فيما كتبته بخط رشيق وانت شهير بحسن الخط اانت كتبت هذا فقلت له بل انت كتبته كان قصدك تقرير الكتابة لنفسك وادعاءها على طريق الامر مع الاستهزاء بالسائل وتجهيله في السؤال لابتنائه على ان صدورها عن غيرك محتمل عنده مع استحالته عندك ولا ريب في ان مراده عليه السلام من اسناد الكسر الى الصنم ليس مجرد تقريره لنفسه ولا تجهيلهم في سؤالهم لابتنائه على احتمال صدوره عن الغير عندهم بل انما اراده عليه السلام توجيههم نحو التأمل في احوال اصنامهم كما ينبئ عنه قوله **فاسئلوهم ان كانوا ينطقون** اي ان كانوا ممن يمكن ان ينطقوا • وانما لم يقل عليه السلام ان كانوا يسمعون او يعقلون مع ان السؤال موقوف على السمع والعقل ايضاً لما ان نتيجة السؤال هو الجواب وان عدم نطقهم اظهر وتبكيتهم بذلك ادخل وقد حصل ذلك اولا حسبما نطق به قوله تعالى **فرجعوا الى انفسهم الآية** ابو السعود رحمه الله

قالوا اي قال من سمع قوله لاكيدن اصنامكم **سمعنا فتى يذكرهم** اي يعيبهم **يقال له ابراهيم** اي هو ابراهيم او مرفوع والمراد الاسم لا المسمى اي يقال له هذا الاسم والجملتان بعد فتى صفتان والاولى واجبة الذكر لسمع اذ لا يقال سمعت زيداً **قالوا** اي نمرود واتباعه **فاتوا به** اي جيئوا به ظاهراً **على اعين الناس لعلهم يشهدون** عليه بما يعرفون منه لئلا يأخذه بلا بينة فجاؤا به الى نمرود واصحابه **قالوا اانت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم قال** ابراهيم عليه السلام **بل فعله كبيرهم هذا** اي عظيمهم عندكم وهذا صفة الكبير ووصفه به على وجه الاستهزاء بهم وانما اسند الى الكبير ليكون تبكيتاً لهم ثم امرهم بسؤال جميع الاصنام اثباتاً للحجة عليهم فقال **فاسئلوهم** عن حالهم **ان كانوا ينطقون** اي يتكلمون حتى يخبروا من فعل ذلك بهم وانتم تعلمون انهم عجزة عن النطق والعاجز لا يعبد ولا يصلح ان يكون الها. انتهى العيون

قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم الجملتان صفتان لفتى الا ان الاولى وهو يذكرهم اي يعيبهم لا بد منه لسمع لانك لا تقول سمعت زيداً حتى تذكر شيئاً مما يسمع بخلاف الثاني وارتفاع ابراهيم بانه فاعل يقال فالمراد الاسم لا المسمى اي الذي يقال له هذا الاسم **قالوا** اي نمرود واشراف قومه **فاتوا به** فاحضروا ابراهيم **على اعين الناس** في محل الحال بمعنى معاينا مشاهداً اي بمرأى منهم ومنظر **لعلهم يشهدون** عليه بما سمع منه او بما فعله كانهم كرهوا عقابه بلا بينة او يحضرون عقوبتنا له فلما احضروه **قالوا اانت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم قال** ابراهيم **بل فعله** عن الكسائي انه يقف عليه اي فعله من فعله • وفيه حذف الفاعل وانه لا يجوز ويجوز ان يكون الفعل مسنداً الى الفتى او الى ابراهيم ثم قال **كبيرهم هذا** وهو مبتدأ وخبر والاكثر انه لا وقف والفاعل كبيرهم • وهذا وصف او بدل • ونسب الفعل الى كبيرهم • وقصده تقريره لنفسه واثباته على اسلوب تعريضي تبكيتاً لهم والزاماً للحجة عليهم لانهم اذا نظروا النظر الصحيح علموا عجز كبيرهم وانه لا يصلح الهاً • ويمكن ان يقال غاظته تلك الاصنام حين ابصرها مصطفة وكان غيظ كبيرها اشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه لان الفعل كما يسند الى مباشره يسند الى الحامل عليه ويجوز ان يكون حكاية لما يقود الى تجويزه مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا ويحكى انه قال غضب ان تعبد هذه الصغار معه وهو اكبر منها فكسرهن او هو متعلق بشرط لا يكون وهو نطق الاصنام فيكون نفياً للمخبر به اي بل فعله كبيرهم ان كانوا ينطقون وقوله فاسئلوهم اعتراض وقيل عرض بالكبير نفسه وانما اضاف نفسه اليهم لاشتراكهم في الحضور **فاسئلوهم** عن حالهم **ان كانوا ينطقون** وانتم تعلمون عجزهم عنه انتهى

قالوا سمعنا فتى يذكرهم بسوء صفة لفتى مصححة لتعلق السمع به وهو ابلغ في نسبة الذكر اليه وقيل مفعول ثان لسمع وليس بثبت **يقال له ابراهيم** صفة اخرى له وابراهيم فاعل يقال لان المراد به الاسم لا المسمى **قالوا فاتوا به على اعين الناس** في محل النصب على الحال اي بمرأى منهم ومنظر يعني معاينا مشاهداً متمكناً صورته في اعينهم تمكن الراكب على المركوب **لعلهم يشهدون** عليه بما فعله او بما يسمع منه او يحضرون عقوبتنا له **قالوا** بعد ما احضروه **اانت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم قال** ابراهيم عليه السلام **بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون** اسند الفعل الى السبب مجازاً اذ الحامل على كسرهم هو لانه لما غاظه زيادة تعظيمهم تسبب لمباشرته اياه والاحسن الافصح انه من معاريض الكلام وذلك انه لم يرد ان ينسب الفعل الى الصنم بل اراد تقريره لنفسه على اسلوب تعريضي مع الاستهزاء بهم بالغاً به غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم لا نفيه عن نفسه واثباته للصنم لان اثباته للعاجز والامر دائر بينهما استهزاء به واثبات للقادر وما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كذب ابراهيم ثلث كذبات تسمية للمعاريض بالكذب لما شابهت صورتها صورته او نقول هذا ويجوز ان يكون حكاية لما يؤدي اليه مذهبهم من جوازه كانه قال ليس بمنكر ان يفعل هذا واشد منه من يدعي الها وقرئ فعله كبيرهم بمعنى فلعله اي فلعل الفاعل كبيرهم اسماعيل بن الكمال

قالوا اي بعض منهم مجيبين لمن قال **سمعنا فتى يذكرهم** اي يعيبهم فلعله فعل ذلك بهم فقوله يذكرهم اما مفعول ثان لسمع لتعلقه بالعين او صفة لفتى مصححة لتعلقه به هذا اذا كان القائلون سمعوه عليه السلام بالذات يذكرهم وان كانوا قد سمعوا من الناس انه عليه السلام يذكرهم بسوء فلا حاجة الى المصحح **يقال له ابراهيم** صفة اخرى لفتى اي يطلق عليه هذا الاسم **قالوا** اي الذين يلونه **فاتوا به على اعين الناس** اي بمرأى منهم بحيث يكون نصب اعينهم في مكان مرتفع لا يكاد يخفى على احد **لعلهم يشهدون** اي يحضرون عقوبتنا له وقيل لعلهم يشهدون بفعله او بقوله ذلك فالضمير حينئذ ليس للناس بل للبعض منهم مبهم او متعهد **قالوا** استيناف مبني على سؤال نشأ من حكاية قولهم كانه قيل فماذا فعلوا به بعد ذلك هل اتوا به اولا فقيل قالوا **اانت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم** اقتصاراً على حكاية مخاطبتهم اياه عليه السلام للتنبيه على ان اتيانهم به ومسارعتهم الى ذلك امر محقق غني عن البيان **قال بل فعله كبيرهم هذا** مشيراً الى الذي لم يكسره سلك عليه السلام مسلكاً تعريضياً يؤديه الى مقصده الذي هو الزامهم الحجة على الطف وجه واحسنه بحملهم على التأمل

فرجعوا الى انفسهم ورجعوا الى عقولهم فقالوا فقال بعضهم لبعض
انكم انتم الظالمون بعبادة ما لا ينطق ولا يمكنه دفع الضرر
عن نفسه لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين ثم نكسوا النكس
جعل الشئ اسفله اعلاه ومنه نكس المريض اذا رجع الى اول
حاله وهو عبارة عن اطراقهم رؤسهم خجلا وللمبالغة في
هذا المعنى ضمنه معنى السقوط اى نكسوا ساقطين على
رؤسهم وقولهم لقد علمت الخ رمي عن حيرة ولهذا اتوا
بما هو حجة عليهم وقيل انقلبوا الى المجادلة بعدما استقاموا
بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشئ
اعلاه ويرد عليه انه حينئذ يضيع قوله على رؤسهم
وقرئ نكّسوا بالتشديد ونكسوا على البناء للفاعل اى
نكسوا انفسهم على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون
فكيف تأمرنا بسؤالها وهو على ارادة القول كان امره
بالسؤال للتوبيخ والتبكيت وحملوه على الحقيقة تجاهلا
ثم نزلوا الى كلمة منزلة الحاصل بمعونة الخبر فلذلك اكّدوه
بقد ولام القسم فكانهم قابلوا توبيخه بنوع من التشنيع
قال افتعبدون انكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم بانها جمادات
لا تنفع ولا تضر من دون الله ما لا ينفعكم ان عبدتموه شيئا
في موضع المصدر اي نفعا ما ولا يضركم ان لم تعبدوه اف
صوت اذا صوت به علم ان صاحبه متضجر ضجره ما راى
من ثباتهم على عبادتهم بعد انقطاع عذرهم واصرارهم
على الباطل بعد وضوح الحق فتأفف بهم واللام في لكم ولما
تعبدون من دون الله لبيان المتأفف به اى لكم ولآلهتكم
هذا التأفف وقيل معناه قبحا ونتنا ثم وبخهم على تمادي
جهلهم بقوله افلا تعقلون اى ابعد وضوح الحق وزهوق
الباطل لا تدركون قبح صنيعكم قالوا اخذا في المضارة
عند العجز عن المحاجة حرقوه بالنار فانها اهول ما يعاقب به
واقطع وانصروا آلهتكم بالانتقام منه ان كنتم فاعلين فعلا
وفيه تنزيل سائر انواع العذاب منزلة العدم في هذا الباب
ولا يخفى لطف هذا التعبير البليغ على ذوي الالباب
وان خفي على الناظرين في هذا المقام منهم ٭ ومن زاد قوله مستعليا
على اعلاه وزعم انه صحح قوله رؤسهم لم يدر ان الاستعلاء المذكور يستلزم مفهوم النكس
فرجعوا الى انفسهم اي راجعوا عقولهم
وتذكروا ان ما لا يقدر على دفع المضرة
عن نفسه ولا على الاضرار بمن كسرها بوجه من الوجوه يستحيل
ان يقدر على دفع مضرة عن غيره او جلب منفعة له فكيف
يستحق ان يكون معبودا فقالوا اى قال بعضهم لبعض فيما بينهم انكم
انتم الظالمون اي بهذا السؤال لانه كان على طريقة التوبيخ المستتبع
للمؤاخذة او بعبادة الاصنام لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين
او انتم الظالمون بعبادتها لا من كسرها ثم نكسوا على رؤسهم

فرجعوا الى انفسهم الى عقولهم وتفكروا بعقولهم لما
اخذ بمخانقهم فقالوا انكم انتم الظالمون على الحقيقة
لعبادة ما لا ينطق لا من ظلمتموه حين قلتم من
فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين فان من لا يدفع
عن نفسه الفأس كيف يدفع عن عابديه الباس
ثم نكسوا على رؤسهم قال اهل التفسير اجرى
الله تعالى الحق على لسانهم في القول ثم ادركتهم
الشقاوة اى ردوا الى الكفر بعد ان اقروا
على انفسهم بالظلم يقال نكسته قلبته فجعلت
اسفله اعلاه اى استقاموا حين رجعوا الى
انفسهم وجاؤا بالفكرة الصالحة ثم انقلبوا عن
تلك الحالة فاخذوا بالمجادلة بالباطل والمكابرة
لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تأمرنا بسؤالها
والجملة سدّت مسدّ مفعولي علمت والمعنى لقد
علمت عجزهم عن النطق فكيف نسألهم قال محتجا
عليهم افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا
ان عبدتموه وشيئا في موضع المصدر اى نفعا ما
ولا يضركم ان لم تعبدوه اف لكم ولما تعبدون
من دون الله اف صوت اذا صوّت به علم ان
صاحبه متضجر اضجره ما رأى من ثباتهم على
عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق
فتأفف بهم واللام لبيان المتأفف به اى لكم
ولآلهتكم هذا التأفف اف مدني وحفص
اف مكي وشامي اف غيرهم افلا تعقلون
ان من هذا وصفه لا يجوز ان يكون الها فلما لزمتهم
الحجة وعجزوا عن الجواب قالوا حرقوه بالنار لانها
اهول ما يعاقب به واقطع وانصروا آلهتكم بالانتقام
ان كنتم فاعلين اى ان كنتم ناصرين آلهتكم نصرا
مؤزرا فاختاروا له اهول المعاقبات وهي الاحراق
والا فرطتم في نصرتها والذى اشار باحراقه
نمرود او رجل من اكراد فارس وروى انهم حين هموا
باحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا بكوثى وجمعوا شهرا اصناف الخشب
ثم اشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق في الجو من وهجها ثم وضعوه
في المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا به فيها وهو يقول حسبي الله ونعم الوكيل
وقال له جبريل هل لك حاجة فقال اما اليك فلا قال فسل
قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وما احرقت النار الا وثاقه
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انما نجا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل

ثم نكسوا على رؤسهم اى انقلبوا الى المجادلة بعدما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشئ اعلاه
وقرئ نكّسوا بالتشديد ونكسوا على البناء للفاعل اى نكسوا انفسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون على ارادة القول اى قائلين
والله لقد علمت ان ليس من شأنهم النطق فكيف تأمرنا بسؤالهم على ان المراد استمرار نفي النطق لا نفي استمراره كما يوهمه صيغة
المضارع قال مبكتا لهم افتعبدون اى أتعلمون ذلك فتعبدون من دون الله اى متجاوزين عبادته ما لا ينفعكم شيئا من النفع
ولا يضركم فان العلم بحالة المنافية للالوهية مما يوجب الاجتناب عن عبادته قطعا اف لكم ولما تعبدون من دون الله تضجر
منه عليه السلام من اصرارهم على الباطل البيّن واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لمزيد استقباح ما فعلوا واف صوت
المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف له افلا تعقلون اى الا تتفكرون فلا تعقلون قبح صنيعكم قالوا
اى قال بعضهم لبعض لما عجزوا عن المحاجة وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وهكذا ديدن المبطل المحجوج اذا
قرعت شبهته بالحجة القاطعة وافتضح لا يبقى له مفزع الا المناصبة حرقوه فانه اشد العقوبات وانصروا آلهتكم
بالانتقام لها ان كنتم فاعلين اى للنصر او لشئ يعتد به قيل القائل نمرود بن كنعان بن السنحاريب بن نمرود بن كوش
بن حام بن نوح وقيل رجل من اكراد فارس اسمه هيون وقيل هدير خسفت به الارض ٭ روى انهم لما اجمعوا على
احراقه عليه السلام بنوا له حظيرة بكوثى قرية من قرى الانباط وذلك قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم
فجمعوا له صلاب الحطب من اصناف الخشب مدة اربعين يوما فاوقدوا نارا عظيمة لا يكاد يحوم حولها احد حتى ان كانت
الطير لتمر بها وهي في اقصى الجو فتحترق من شدة وهجها ولم يكد احد يحوم حولها فلم يعلموا كيف يلقونه عليه السلام فيها
فاتى ابليس وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه ٭ وقيل صنعه لهم رجل من الاكراد فخسف الله تعالى به الارض فهو يتجلجل فيها الى
يوم القيامة ثم عمدوا الى ابراهيم عليه السلام فوضعوه فيه مغلولا فرموا به فيها فقال له جبريل عليهما السلام هل لك حاجة قال
اما اليك فلا قال فاسأل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فجعل الله تعالى ببركة قوله الحظيرة روضة وذلك قوله تعالى
قلنا يا نار كوني بردا
ابو السعود رحمه الله

فرجعوا الى انفسهم اى الى اصحابهم ولاموهم فقالوا انكم انتم الظالمون بنسبة الكسر الى ابراهيم
او بسؤالكم اياه وآلهتكم حاضرة فاسألوها او بعبادتكم من لا ينطق ثم نكسوا على رؤسهم اى ردوا الى كفرهم بعد
اقرارهم بالظلم من قولهم نكس المريض اذا عاد الى مرضه الاول بعد العافية او المعنى ثم طأطأوا رؤسهم حياء
وخجلا حين الزمتهم الحجة ثم قالوا له لقد علمت ما هؤلاء ينطقون اى عاجزون عن النطق فكيف نسألهم
قال ابراهيم عليه السلام افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ان عبدتموه ولا يضركم اى ان لم تعبدوه
اف لكم بالتنوين وغيره اى نتنا وقذرا لكم ولما تعبدون من دون الله قاله متضجرا ومتكرها منهم ومما يعبدونه
مما ليس له نطق اي هذه الكراهة لكم ولآلهتكم افلا تعقلون اي افلا تفهمون بعقولكم هذا المقدار الظاهر من
ان من ليس له نطق ولا منفعة ولا مضرة لا يعبد ولا يكون ربا للخلق كيلا تعبدوا الاصنام وتعبدوا الله
الذي خلقكم من العدم وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم ولما قطعوا عن المحاجة مع ابراهيم عليه السلام بالكلية
قالوا اى نمرود واصحابه حرقوه بالنار لانها اوجع وانصروا آلهتكم اى انتقموا لاجلها ان كنتم فاعلين النصر
والانتقام ثم جمعوا حطبا كثيرا واضرموا في نواحيه فصارت نارا عظيمة حتى ان الطير تحترق اذا مرت بها
من فوقها وتسقط على الارض ٭ روى ان احدا لم يقدر ان يقرب من النار فجاء عدو الله ابليس فدلهم على
المنجنيق وهو اول منجنيق وضع في الدنيا فاوثقوا يدي ابراهيم عليه السلام ووضعوه في المنجنيق فقيل
قال لا اله الا انت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك فلما رمي من المنجنيق في الهواء قال له جبريل
الا تسأل الله ان ينجيك منها قال ابراهيم عليه السلام حسبي من سؤالي علمه بحالي قال كعب رضي الله عنه
جعل كل شئ يطفئ النار عنه الا الوزغ فانه كان ينفخ ولذا امر النبي عليه السلام بقتل الوزغ فما كان ينفخ
الى ابراهيم فلما اخلص قلبه لربه ووقع في النار لم يحرق سوى وثاقه فتم بكت الملائكة عليه وقالوا ربنا
خليلك ابراهيم يحرق فيك فقال تعالى مخبرا عن حاله قلنا يا نار كوني بردا وسلاما الآية
من العيون
كمر ديدكار حيواه

ط قال ابن يسار وبعث الله ملك الظل فقعد الى جنبه يؤنسه فنظر نمرود من صرحه فاشرف عليه فرآه جالسا في روضة مونقة ومعه جليس على احسن ما يكون من الهيئة والنار محيطة به فناداه يا ابراهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال فاخرج فقام يمشي فخرج منها فاستقبله نمرود وعظمه وقال من الرجل الذي رأيته معك قال ذلك ملك الظل ارسله ربي ليؤنسني فقال اني مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك فقال عليه السلام لا يقبل الله منك ما دمت على دينك هذا قال لا استطيع ترك ملكي ولكن سوف اذبح له اربعة آلاف بقرة فذبحها وكف عن ابراهيم عليه السلام وكان اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وهذا كما ترى من ابدع المعجزات فان انقلاب النار هواء طيبا وان لم يكن بدعا من قدرة الله تعالى لكن وقوع ذلك على هذه الهيئة مما يخرق العادات وقيل كانت النار على حالها لكنه تعالى دفع عنه عليه السلام اذاها كما تراه في السمندر كما يشعر به ظاهر قوله تعالى على ابراهيم **واراد وابه كيدا** مكرا عظيما في الاضرار به **فجعلناهم الاخسرين** اي اخسر من كل خاسر حيث عاد سعيهم في اطفاء نور الحق برهانا قاطعا على انه عليه السلام على الحق وهم على الباطل وموجبا لارتفاع درجته واستحقاقهم لاشد العذاب **ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين** اي من العراق الى الشام وبركاته العامة ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادي الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روي انه عليه السلام نزل بفلسطين ولوط عليه السلام بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم **ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة** اي عطية فهي حال منهما او ولد ولد او زيادة على ما سأل وهو اسحق فتختص بيعقوب ولا لبس فيه للقرينة الظاهرة **وكلا** اي كل واحد من هؤلاء الاربعة لا بعضهم دون بعض **جعلنا صالحين** بان وفقناهم للصلاح في الدين والدنيا فصاروا كاملين **وجعلناهم ائمة** يقتدى بهم في امور الدين اجابة لدعائه عليه السلام بقوله ومن ذريتي **يهدون** اي الامة الى الحق **بامرنا** لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين **واوحينا اليهم فعل الخيرات** ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات وكذا قوله تعالى **واقام الصلوة وايتاء الزكوة** وهو من عطف الخاص على العام دلالة على فضله وانافته وحذفت تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامه **وكانوا لنا** خاصة دون غيرنا **عابدين** لا يخطر ببالهم غير عبادتنا

انتهى ابو السعود

قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم اي ذات برد وذات سلامة قيل نزع الله عنها طبعها الذي خلقها عليه من الحر والاحراق فذهبت حرارتها وبقيت اضاءتها فاخذته الملائكة من ضبعيه واجلسوه على الارض وضرب جبريل بجناحه على الارض فظهر الماء العذب وروضة خضراء وورد احمر ونرجس واقام فيها سبعة ايام وجاءه ملك بقميص من حرير الجنة وطنفسة فالبسه القميص واجلسه على الطنفسة وجعل يحدثه ويقول له ان ربك يقول لك اما علمت ان النار لا تضر احبائي روي ان نمرود خرج في اليوم الثالث مع حشمه الى ربوة فنظر الى النار فرأى في وسطها ماء وخضرة وتحصيلي حولها فقال يا لي ارى نفسي فيها ونحن رمينا فيها انا ما واحد فرجع متحيرا روي انه نادى يا ابراهيم هل تستطيع ان تخرج من النار قال نعم قال فاخرج منها فقام يمشي فيها حتى خرج منها فقال يا ابراهيم من الذي رأيته معك في صورتك قاعدا الى جنبك قال ذلك ملك الظل ارسله ليؤنسني فيها قال اني مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك قال لا يقبل الله منك ما لم يفارق دينك الى ديني قال لا استطيع ترك ملكي ولكن اذبح اربعة آلاف بقرة فذبحها ثم كف عن ابراهيم عليه السلام ومنعه الله تعالى منه قيل القي ابراهيم عليه السلام في النار وهو ابن ست عشرة سنة **واراد وا به** اي بابراهيم **كيدا** اي حرقا **فجعلناهم الاخسرين** اي الاذلين والمغبونين في اتفاقهم على كيده وهو الاحراق وقيل الهالكين بتسليط البعوض عليهم وقتلها اياهم **ونجيناه** ابراهيم وقومه من الاحراق ومن شر نمرود **ولوطا** اي نجيناه وهو ابن اخي ابراهيم اسمه هاران بن تارخ **الى الارض التي باركنا فيها للعالمين** وهي ارض الشام بالخصب وكثرة الماء والثمار للمخلوقين وقيل وصلت بركتها الى العالمين لان اكثر الانبياء عليهم السلام فيها بعثوا وانتشرت شرائعهم في العالم روي ان ابراهيم عليه السلام قال للوط عليه السلام اني اريد ان اهاجر الى الشام وهو اول من صدق ابراهيم عليه السلام واتبعه فخرجا مهاجرين من كوثي من ارض العراق الى بيت المقدس وروي انه نزل بفلسطين ومعه سارة ولوط بالمؤتفكة وبينهما يوم **ووهبنا له** اي لابراهيم بعد نزوله فيها وطلب الولد منا **اسحق** ووهبنا له ايضا ولد الولد **يعقوب نافلة**

او ولد فيه ابراهيم

وهو المدائن التي قلبها الله تعالى على قوم لوط

نافلة اي زيادة على سؤاله وقيل نافلة معناه ولد الولد وهو حال من يعقوب **وكلا** اي كل واحد منهم **جعلنا صالحين** يعني اكرمناهم بالهداية الى صراط مستقيم **وجعلناهم ائمة** اي قادة في الخير وقيل جعلناهم انبياء **يهدون** اي يدعون الخلق **بامرنا** الى ديننا وعبادتنا **واوحينا اليهم فعل الخيرات** وهي جميع الاعمال الصالحة **واقام الصلوة** اي اتمامها وحذفت التاء من اقامته لاضافته الى الصلوة **وايتاء الزكوة** المفروضة وغيرها **وكانوا لنا عابدين** اي مطيعين امرنا

انتهى العيون

فيه رد

فيه رد

قلنا يا نار كوني بردا وسلاما اي ذات برد وسلام
وبولغ في ذلك كأن ذاتها برد وسلام على ابراهيم اراد
ابردي فيسلم منك ابراهيم • وعن ابن عباس رضي الله عنهما
لو لم يقل ذلك لاهلكته ببردها والمعنى ان الله تعالى
نزع عنها الطبع الذي طبعها عليه من الحر والاحراق و
ابقاها على الاضاءة والاشراق كما كانت وهو على كل شيء
قدير وارادوا به كيدا اضرارا فجعلناهم الاخسرين
فارسل على نمرود وقومه البعوض فاكلت لحومهم وشربت
دماءهم ودخلت بعوضة في دماغ نمرود فاهلكته •
ونجيناه اي ابراهيم ولوطا ابن اخيه هاران من العراق
الى الارض التي باركنا فيها للعالمين اي ارض الشام و
بركتها ان اكثر الانبياء منها فانتشرت في العالمين
آثارهم الدينية • وهي ارض خصب يطيب فيه عيش
الغني والفقير • وقيل ما من ماء عذب في الارض الا
وينبع اصله من صخرة بيت المقدس • روي انه نزل
بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم و
ليلة وقال صلى الله عليه وسلم انها ستكون هجرة بعد
هجرة فخيار الناس الى مهاجر ابراهيم عليه السلام و
وهبنا له اسحق ويعقوب نافلة قيل هي مصدر كالعافية
من غير لفظ الفعل السابق اي وهبنا له هبة وقيل هي
ولد الولد وقد سأل ولدا فاعطيه واعطى يعقوب
نافلة اي زيادة وفضلا من غير سؤال وهي حال من
يعقوب وكلا اي ابراهيم واسحق ويعقوب وهو المفعول
الاول لقوله جعلنا والثاني صالحين في الدين او للنبوة
وجعلناهم ائمة يقتدى بهم في الدين يهدون الناس
بامرنا بوحينا واوحينا اليهم فعل الخيرات وهي جميع
الاعمال اصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم
الخيرات وكذلك قوله واقام الصلوة وايتاء الزكوة
والاصل واقامة الصلوة الا ان المضاف اليه جعل بدلا
من الهاء وكانوا لنا عابدين لا للاصنام فانتم يا معشر
العرب اولاد ابراهيم فاتبعوه في ذلك انتهى كلامه

قلنا يا نار كوني بردا سخرت النار لطفا وعلما اراده الله
وامره مأمور مطيع لا يتوقف في الامتثال عند امر الامر
المطاع وبولغ في ذلك باقامة كوني ذات برد مقام ابردي
ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وسلاما اي
بردا غير ضار • وقيل نصبه بفعله اي وسلمنا سلاما عليه
روي انهم وضعوه في المنجنيق مغلولا فرموه في نار عظيمة
ولم تحرق منه الا وثاقه وعلى هذا يكون النار على حالها
ولا يناسبه المبالغات المذكورة في امر تبريده فانها ظاهرة
في تحولها من الحرارة الى البرودة ولا اشعار في قوله على
ابراهيم بعد التحول لانه متعلق بقوله سلاما لا بقوله بردا
فالمفهوم منه اختصاص عدم اضرار البرد به عليه السلام
وارادوا به كيدا احتيالا في اضراره فجعلناهم الاخسرين
بتصيير سعيهم برهانا قاطعا على انه على الحق وانهم على الباطل
وموجبا لارتفاع درجته واستحقاقهم اشد العذاب ونجيناه
ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين اي من العراق
الى الشام وبركاته الدينية العامة بعث اكثر الانبياء عليهم السلام
وانتشار شرائعهم التي هي مبادي الخيرات في جميع اهل
العالم وبركاته الدنيوية كثرة النعم والخصب بكثرة الروض والماء
والشجر والرفه فيه فهي الارض التي بورك فيها مطلق
وباركنا فيها ابلغ من باركناها لدلالته على الظرفية والاستقرار
فكان تلك الارض محيطة لانواع البركات احاطة الظرف
للمظروف وهي مستقرة فيها لا تزول عنها وروي ان ابراهيم عليه السلام
نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له
اسحق ويعقوب نافلة النافلة ولد الولد وهي في الاصل الزيادة
والفضل • قيل نافلة زيادة على ما سأل لانه عليه السلام سأل
اسحق فاعطيه واعطى يعقوب زيادة على ما سأل وفضلا •
حال مختصة بالاخير للقرينة وكلا اي الاربعة المذكورين
جعلنا صالحين لان الانبياء هم المصلحون وشرط الاصلاح معرفة الصلاح
وجعلناهم ائمة يقتدى بهم يهدون الناس الى الحق بامرنا لهم
بذلك واوحينا اليهم فعل الخيرات للاهتداء اولا ثم القيام
بالهداية حتى يشملهم وامهم فعلها ويتم لهم انضمام العمل الى العلم
واصله ان يفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات كما ثم فعل الخيرات بالاضافة
وكذلك قوله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وهو عطف الخاص على العام
للتفصيل وحذف تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين لقيام
المضاف اليه مقامها وكانوا لنا عابدين مخصصين بنا العبادة انتهى

قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم اي كوني ذات برد وسلام اي ابردي بردا غير ضار • وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته
مأمورة مطاوعة • واقامة كوني ذات برد مقام ابردي • ثم حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه • وقيل نصب سلاما بفعله اي
وسلمنا سلاما عليه • روي ان الملائكة اخذوا بضبعي ابراهيم عليه السلام واقعدوه على الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ونرجس
ولم تحرق النار منه الا وثاقه • وروي انه عليه السلام مكث فيها اربعين يوما او خمسين وقال ما كنت اطيب عيشا مني اذ كنت فيها ط

ولوطا آتيناه حكما حكمة وهو فعل ما ينبغي فعله وجوبا او ندبا و
قيل نبوة او فصلا بين الخصوم وعلما ما ينبغي علمه للانبياء ونجيناه
من القرية وهي سدوم التي كانت تعمل الخبائث من اللواطة
وساير المنكرات التي يأتونها في ناديهم وصفوا بصفة اهلها
واسندها اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه على ما
دل عليه التعليل بقوله انهم كانوا قوم سوء فاسقين ونكتة ذلك
الاشعار بعلاقة السببية فان للتربة تاثيرا في تغيير
طبيعة اهلها من السداد الى الفساد ولذلك قال ونجيناه
من القرية اي خلصناه من تلك القرية الخبيثة وادخلناه
في رحمتنا اي في اهل رحمتنا او في الجنة انه من الصالحين
الذين سبقت لهم منا الحسنى وهو كالتعليل لما تقدم ونوحا
اذ نادى اي دعا ربه على قومه بالهلاك من قبل من قبل
المذكورين فاستجبنا له اي دعائه فنجيناه واهله من الكرب
العظيم هو الطوفان او اذى قومه والكرب الغم المفرط
ونصرناه فانتصر من القوم الذين كذبوا بآياتنا فتعديته بمن
عند لوله ان لا بان في معمولة من معنى المنع ولا انبا دبل جعلناه
منتصرا انهم كانوا قوم سوء تعليل لما تقدم وتمهيد لما تاخر
فاغرقناهم اجمعين لذلك عذاب الاستيصال لشدة الغضب
وهي كمال استحقاقهم له وداود وسليمان نصب باذكر اذ بدل منهما
يحكمان في الحرث هو محل الزرع اذ نفشت فيه غنم القوم
قال ابن السكيت النفش مصدر نفشت القطن وغيره والنفش
ان تنتشر الابل بالليل فترعى وكنا لحكمهم جمع الضمير لانه
اراد هما والمتحاكمين اليهما وقرى لحكمهما شاهدين

ولوطا انتصب بفعل يفسره آتيناه حكما حكمة وهي ما يجب
فعله او فصلا بين الخصوم او نبوة وعلما وفقها ونجيناه
من القرية من اهلها وهي سدوم التي كانت تعمل الخبائث
اللواطة والضراط وخذف المارة بالحصى وغيرها
انهم كانوا قوم سوء فاسقين خارجين عن طاعة الله تعالى
وادخلناه في رحمتنا في اهل رحمتنا او في الجنة انه من الصالحين
جزاء له على صلاحه كما اهلكنا قومه عقابا على فسادهم
ونوحا اي واذكر نوحا اذ نادى اي دعا على قومه بالهلاك
من قبل اي قبل هؤلاء المذكورين فاستجبنا له اي دعاءه
فنجيناه واهله اي المؤمنين به من ولده وقومه من الكرب
العظيم من الطوفان وتكذيب اهل الطغيان ونصرناه
من القوم الذين كذبوا بآياتنا منعناه منهم اي من
اذاهم انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين صغيرهم
وكبيرهم وذكرهم وانثاهم لاجتماع الامرين تكذيب الحق
والانهماك في الشر ولعلهما لم يجتمعا في قوم الا اهلكهم الله
وفي هذا كله تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وتبشيره
بالخلاص وتثبيت له على الصبر وداود وسليمان اي واذكرهما
اذ بدل منهما يحكمان في الحرث في الزرع او الكرم اذ ظرف
ليحكمان نفشت دخلت فيه غنم القوم ليلا فاكلته و
افسدته والنفش انتشار الغنم ليلا بلا راع وكنا
لحكمهم اراد هما والمتحاكمين اليهما شاهدين اي كان اي حكمهما
بعلمنا ومرأى منا انتهى المدارك

فان الانتصار لازم تصريحه لا تتخلف عنه عالمين انتهى ابن كمال
ففي التعدية بذلك الاعتبار تنبيه على ان نصره ليس من جنس نصر العباد فافهم
والله الهادي الى الرشاد ومنه ...

ولوطا قيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله آتيناه
اي وآتينا لوطا وقيل باذكر حكما اي حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم بالحق وعلما بما ينبغي علمه للانبياء عليهم السلام ونجيناه من القرية
التي كانت تعمل الخبائث اي اللواطة وصفت بصفة اهلها واسندت اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه كما يؤذن به قوله تعالى
انهم كانوا قوم سوء فاسقين فانه كالتعليل له وادخلناه في رحمتنا اي في اهل رحمتنا او في جنتنا انه من الصالحين الذين
سبقت لهم منا الحسنى ونوحا اي اذكر نوحا اي خبره وقوله تعالى اذ نادى اي دعا الله تعالى على قومه بالهلاك ظرف للمضاف المقدر اي اذكر
الواقع وقت دعائه من قبل اي من قبل هؤلاء المذكورين فاستجبنا له اي دعاءه الذي من جملته قوله اني مغلوب فانتصر
فنجيناه واهله من الكرب العظيم وهو الطوفان وقيل اذية قومه واصل الكرب الغم الشديد ونصرناه نصرا مستتبعا للانتقام والانتصار
ولذلك قيل من القوم الذين كذبوا بآياتنا وحمله على فانتقمنا يأباه ما ذكر من دعائه عليه السلام فان ظاهره يوجب اسناد الانتصار
اليه تعالى مع ما فيه من تهويل الامر وقوله تعالى انهم كانوا قوم سوء تعليل لما قبله وتمهيد لما بعده من قوله تعالى فاغرقناهم اجمعين
فان الاصرار على تكذيب الحق والانهماك في الشر والفساد مما يوجب الاهلاك قطعا وداود وسليمان اما عطف على نوحا معمول
لعامله واما لمضمر معطوف على ذلك العامل بتقدير المضاف حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها اي اذكر خبرهما وقت
يحكمان في الحرث اي في حق الزرع او الكرم المتدلي عناقيده كما قيل او بدل اشتمال منهما وقوله تعالى اذ نفشت اي تفرقت وانتشرت فيه غنم القوم
ليلا بلا راع فرعته وافسدته ظرف للحكم وكنا لحكمهم اي لحكم الحاكمين والمتحاكمين اليهما فان الاضافة لمجرد الاختصاص المنتظم لاختصاص
القيام واختصاص الوقوع وقرئ لحكمهما شاهدين حاضرين علما والجملة اعتراض مقرر للحكم ومفيد لمزيد الاعتناء بشانه

ولوطا اي اذكر لوطا وقيل هو نصب بفعل يفسره ما بعده وهو آتيناه حكما اي علم الاحكام وعلما اي فقها في الدين
وقيل نبوة وفهما ليفصل بين الخصوم ونجيناه من القرية وهي قرية سدوم التي كانت تعمل اي يعمل اهلها الخبائث
اي الاعمال القبائح كاللواطة والكشف ورمي البندق الى الناس واللعب بالطيور ونحوها انهم كانوا قوم
سوء فاسقين اي عاصين وادخلناه اي لوطا في رحمتنا اي في الجنة او في اهل رحمتنا وهم اهل الطاعة
في الدنيا انه من الصالحين اي المرسلين ونوحا اي اذكر نوحا اذ نادى اي دعا على قومه من قبل اي قبل ابراهيم
ولوط عليهما السلام فاستجبنا له نداءه فنجيناه واهله من الكرب العظيم اي من تكذيب قومه والغرق والكرب
اشد الغم قيل كان نوح عليه السلام اطول الانبياء عليهم السلام عمرا واشدهم بلاء ونصرناه من القوم اي على القوم
الذين كذبوا بآياتنا اي بما انذرهم نوح عليه السلام من الغرق انهم كانوا قوم سوء اي قوم كفر فاغرقناهم اجمعين
اي لم يبق منهم احد لا صغير ولا كبير الا اهلك بالغرق وداود وسليمان اي اذكرهما اذ يحكمان في الحرث
بدل منهما والحرث كان زرعا او كرما قوله اذ نفشت بدل من اذ يحكمان والنفش انتشار الغنم ليلا
بلا راع اي ونفلت فيه غنم القوم فاكلته وكنا لحكمهم اي لحكمهما وحكم المتحاكمين شاهدين اي عالمين كيف كان
لا يخفى علينا علمه انتهى العيون

ه مكس باج وفي الحديث لا يدخل الجنة
صاحب مكس يعني باج الجي كشي

بندن كه ان كره طاشي
برنوعه يا يدركه اوزرنه سنده
كرينك بر دلوكجه واردر
كاتي قويوب انار

انبت القول بذلك ولما انشده داود عليه السلام لاظهار ما عنده بل وجب عليه ان يظهره بدءا وحرم عليه كتمه ومن ضرورته
بكون القضاء ان يكون ايضا كذلك ضرورة استحالة نقض حكم النص بالاجتهاد بل اقول والله تعالى اعلم ان راي سليمان عليه السلام
استحسان كما ينبئ عنه قوله ارفق وراي داود عليه السلام قياس كما ان العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى عند ابي حنيفة
الى المجني عليه او يفديه ويبيعه في ذلك او يفديه عند الشافعي وقد روي انه لم يكن بين قيمة الحرث وقيمة الغنم تفاوت
واما سليمان عليه السلام فقد استحسن حيث جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول
ملك المالك من الغنم واوجب على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث الى ان يزول الضرر الذي اتاه من قبله كما قال اصحاب
الشافعي فيمن غصب عبدا فابق منه انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من المنافع
فاذا ظهر الآبق ترادا وفي قوله تعالى ففهمناها سليمان دليل على رجحان قوله ورجوع داود عليه السلام اليه مع ان الحكم المبني على
الاجتهاد لا ينتقض باجتهاد آخر وان كان اقوى منه لما ان ذلك من خصائص شريعتنا على انه ورد في الاخبار
ان داود عليه السلام لم يكن بت الحكم في ذلك حتى سمع من سليمان ما سمع واما حكم المسألة في شريعتنا فعند ابي حنيفة رحمه الله

لا ضمان ان لم يكن معها سائق او قائد وعند الشافعي رحمه الله يجب الضمان ليلاً لا نهاراً اه قوله تعالى وكلا آتيناه حكما وعلما لدفع ما عسى
يوهم تخصيص سليمان عليه السلام بالتفهيم من عدم كون حكم داود عليه السلام حكماً شرعياً اي كل واحد منهما آتيناه حكماً وعلماً كثيراً
لا لسليمان وحده وهذا انما يدل على ان خطأ المجتهد لا يقدح في كونه مجتهداً وقيل بل على ان كل مجتهد مصيب وهو مخالف
لقوله تعالى ففهمناها سليمان ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله تعالى ففهمناها سليمان لاظهار ما تفضل عليه في صغره
فانه عليه السلام كان حينئذ ابن احدى عشرة سنة وسخرنا مع داود الجبال شروع في بيان ما يختص بكل منهما من كراماته
اثر بيان كرامته العامة لهما يسبحن اي يقدسن الله تعالى معه بصوت يتمثل له او بخلق الله تعالى فيها الكلام وقيل يسرن معه
من السياحة وهو حال من الجبال او استيناف مبين لكيفية التسخير ومع متعلقة بالتسخير وقيل بالتسبيح وهو بعيد
والطير عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي والطير مسخرات وقيل على العطف على الضمير في
يسبحن وفيه ضعف لعدم التاكيد والفصل وكنا فاعلين اي من شاننا ان نفعل امثاله فليس ذلك ببدع منا وان كان
بديعا عندكم وعلمناه صنعة لبوس اي عمل الدرع وهو في الاصل اللباس قال قائلهم البس لكل حالة لبوسها اما نعيمها واما
بوسها وقيل كانت صفائح فحلقها وسردها لكم متعلق بعلمنا او بمحذوف هو صفة لبوس لتحصنكم اي اللبوس بتاويل
الدرع وقرئ بالتذكير على ان الضمير لداود عليه السلام او للبوس وقرئ بنون العظمة وهو بدل اشتمال من لكم باعادة الجار
مبين لكيفية الاختصاص والمنفعة المستفادة من لام لكم من باسكم قيل من حرب عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم
فهل انتم شاكرون امر وارد على صورة الاستفهام للمبالغة او التقريع اه تبعا للعمود رحمه الله

ففهمناها اي الحكومة سليمان قيل فيه دليل على ان الصواب كان مع سليمان عليه السلام وهي ان الغنم دخلت في الزرع ورعته بلا راع
ليلاً فتحاكما الى داود عليه السلام فقوم داود الزرع والغنم فاستوت قيمته ما افسدته من الزرع فدفع الغنم الى صاحب الزرع
فخرجا من عنده ومرا بسليمان النبي عليه السلام فاخبراه بحكم ابيه فقال نعم ما قضى به ولو قضي غير هذا لكان ارفق بكما
فرجع صاحب الغنم الى داود عليه السلام فاخبره بما قال ابنه فدعاه فقال له كيف رايت قضائي فقال نعم ما قضيت فعزم عليه
بالابوة والنبوة لتحكمن بينهما فدفع الغنم الى صاحب الزرع ينتفع بدرها ونسلها وصوفها والى صاحب الغنم الزرع يصلحه حتى
اذا عاد الزرع الى حاله الاولى ترد اه فقال له داود عليه السلام القضاء هو ما قضيت به فقضى داود عليه السلام بينهم بذلك
وكان سليمان عليه السلام في ذلك ابن احد عشرة سنة قيل كان هذا الحكم في شريعتهم واما في شريعتنا فلا ضمان فيما افسد
نهاراً بلا راع وفيما افسدته ليلا ففيه الضمان عند الشافعي رحمه الله عليه ولا ضمان مطلقا عند ابي حنيفة رحمه الله عليه الا ان
تعمدا او يكون معها سائق او قائد وكان حكمهما بالوحي عند من لم يجوز الاجتهاد على الانبياء عليهم وكان حكم سليمان
ناسخا لحكم داود عليهما السلام وقيل كان حكمهما باجتهاد لادراك فضيلة الاجتهاد عند من جوز الاجتهاد وجوز الخطا
اذ لا قدرة للعبد ان يصيب الحق دائما الا انهم لا يقرون عليه والاول اصح لانهما كانا على الصواب بدليل قوله وكلا

[…]كلا آتينا حكما وعلما اي حكم النبوة والفهم في القضاء قيل كل مجتهد مصيب لظاهر الآية وللخبر حيث وعد الثواب للمجتهد على الخطا. وهو
[…]ل ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله قال عليه السلام اذا حكم الحاكم فاجتهد فاصاب فله اجران واذا حكم فاجتهد فاخطا فله اجر وقيل
[…]قيل ليس كل مجتهد مصيبا بل اذا اختلف اجتهاد المجتهدين في حادثة كان الحق مع واحد لا بعينه ولو كان كل مجتهد مصيبا
[…]ن للتقسيم معنى وقوله عليه السلام اذا اجتهد فاخطا فله اجر لم يرد انه يوجر على الخطا بل يوجر على اجتهاده في طلب الحق
[…] عبادة والاثم موضوع عنه في الخطا وسخرنا مع داود الجبال او ومع للقرآن قوله يسبحن بيان للتسخير فكان قائلا
[…] كيف تسخرهن فقال يسبحن اي كان يسبح يسبح معه الجبال بان خلق الله تعالى فيها الكلام كما خلقه في الشجرة حين كلم موسى عليه السلام
[…]معناه تصلين معه اذا صلى والطير يسبح معه وقدم الجبال لان تسبيحها اغرب لكونها جمادا والجملة في محل النصب
[…]ال والطير مفعول معه وكنا فاعلين اي نحن فعلنا التسبيح والتفهيم بهما وهو بكون لقدرته العظيمة قال ابن عباس رضي
[…]انهم تسبيح الحجر والشجر والطير وعلمناه صنعة لبوس لكم اي الدرع التي تلبس مسرودة لتحصنكم بالنون والتاء
[…]يا اي ليحفظكم الله تعالى من باسكم اي من شدة وقع السلاح فيكم وهو اول من صنع الدرع وسردها اي نسجها
[…] يا اهل مكة او يا اهل بيت داود شاكرون جملة استفهامية والمراد بها الامر اي اشكروا والله الذي هو سبحانه اعلم
انتهى التعيين

ففهمناها اي الحكمة والفتوى سليمان وفيه
دليل على ان الصواب كان مع سليمان عليه السلام
وقصته ان الغنم رعت الحرث وافسدته
بلا راع ليلاً فتحاكما الى داود فحكم بالغنم
لاهل الحرث وقد استوت قيمتاهما اي قيمة
الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث فقال
سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق
بالفريقين فعزم عليه ليحكمن فقال ارى ان
يدفع الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها و
اولادها واصوافها والحرث الى رب الغنم حتى
يصلح الحرث ويعود كهيئته يوم افسد ثم يترادان
فقال القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك وكان
ذلك باجتهاد منهما وهذا كان في شريعتهم واما في
شريعتنا فلا ضمان عند ابي حنيفة واصحابه بالليل
او بالنهار الا ان يكون مع البهيمة سائق او قائد
وعند الشافعي يجب الضمان بالليل وقال الجصاص
انما ضمنوا لانهم ارسلوها ونسخ الضمان بقوله صلى الله
عليه وسلم العجماء جبار وقال مجاهد كان هذا
صلحا وما فعله داود حكما والصلح خير وكلا من داود
وسليمان آتينا حكما نبوة وعلما معرفة بموجب الحكم
وسخرنا وذللنا مع داود الجبال يسبحن هو حال بمعنى
مسبحات او استيناف كان قائلا قال كيف سخرهن
فقال يسبحن والطير معطوف على الجبال او مفعول
معه وقدمت الجبال على الطير لان تسخيرها وتسبيحها
اعجب واغرب وادخل في الاعجاز لانها جماد
روي انه كان يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه
وقيل كانت تسير معه حيث سار وكنا فاعلين
بالانبياء مثل ذلك وان كان عجبا وعلمناه صنعة
لبوس لكم اي عمل الدرع واللبوس اللباس والمراد
الدرع لتحصنكم شامي وحفص اي الصنعة و
بالنون ابو بكر وحماد اي الله عز وجل وبالياء غيرهم
اي اللبوس او الله من بأسكم من حرب عدوكم
فهل انتم شاكرون استفهام بمعنى الامر اي فاشكروا
الله على ذلك انتهى المدارك

ففهمناها سليمان الضمير للحكومة او للفتوى روي ان داود عليه السلام
حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان عليه السلام وهو ابن احدى عشرة سنة
غير هذا ارفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمن فقال اري ان تدفع الغنم
الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها واولادها واصوافها والحرث
الى ارباب الغنم يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم افسد ثم يترادان
فقال القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك وكان ذلك باجتهاد منهما
وهذا كان في شريعتهم وعدم انتقاض حكم الاجتهاد باجتهاد اخر في
شريعتنا فلا دلالة فيه على انهما حكما بالوحي او كان حكم سليمان عليه السلام
وحده بالوحي ولما كان المتبادر الى الوهم من تخصيص سليمان عليه السلام
بتفهيم الحكومة ان لا يكون ما قضاه داود عليه السلام حكما شرعيا
دفعه بقوله وكلا آتينا حكما وعلما فالقول السابق دل على ان الاصوب
كان حكم سليمان عليه السلام وهذا القول دل على انهما جميعا على
الصواب ففيه دلالة على ان كل مجتهد مصيب وسخرنا مع داود
الجبال يسبحن حال بمعنى مسبحات او استيناف على تقدير سؤال سائل
كيف سخرهن فقال يسبحن اي يقدسن الله تعالى ومع متعلقة به
او بسخرنا وتتمة الكلام يأتي في سورة سبأ باذن الله تعالى والطير عطف
على الجبال او مفعول معه وانما قدم الجبال على الطير وجعلت اصلا في
التسبيح لان تسخيرها وتسبيحها ادل على القدرة وادخل في الاعجاز
واخرق للعادة لانها جماد وقرئ بالرفع على الابتداء وكنا فاعلين
قادرين على امثاله ليس ببدع منا وان كان عجيبا عندكم او فاعلين
للانبياء عليهم السلام امثال ذلك وعلمناه صنعة لبوس اللبوس
اللباس والمراد الدرع قال قتادة كانت صفائح فاول من حلقها
وسردها داود عليه السلام فجمعت الخفة والتحصين لكم متعلق بعلم
او صنعة لبوس ليحصنكم من بأسكم بدل منه بدل الاشتمال باعادة
الجار والضمير لداود عليه السلام او للبوس وقرئ بالتاء للصنعة
او للبوس على تاويل الدرع فهل انتم شاكرون اصله فهل تشكرون
لاقتضاء الاستفهام الفعل فعدل عن الجملة الفعلية الى الاسمية ولم يقل
فهل انتم تشكرون لئلا يشم رائحة التجدد ويفهم منه طلب دوام الشكر
وهو امر اخرج في صورة الاستفهام وافرغ في هذا القالب للمبالغة في
طلب دوام الشكر مع التفريغ انتهى [illegible]

ففهمناها سليمان عطف على يحكمان فانه في حكم الماضي وقرئ فافهمناها
والضمير للحكومة او الفتيا روي انه دخل على داود عليه السلام
رجلان فقال احدهما ان غنم هذا دخلت في حرثي ليلاً فافسدته
فقضى له بالغنم فخرجا فمرا على سليمان عليه السلام فاخبراه بذلك
فقال غير هذا ارفق بالفريقين فسمعه داود فدعاه فقال له
[بحق] النبوة والابوة الا اخبرتني بالذي ارفق بالفريقين فقال ارى ان تدفع الغنم الى صاحب الارض لينتفع بدرها ونسلها وصوفها
والحرث الى ارباب الغنم ليقوموا عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادا فقال القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك والذي عندي ان حكمهما
عليهما السلام كان بالاجتهاد فان قول سليمان غير هذا ارفق بالفريقين ثم قوله ارى ان تدفع الخ صريح في انه ليس بطريق الوحي

ولسليمان الريح وسخرنا له وانما جي باللام فيه وبمع في داود عليه السلام على تعلقه بسخرنا لان نفع تسخير الريح وهي جريانها بامره مختص به بخلاف تسبيح الجبال بعد تشركهما في خرق العادة عاصفة وصفت الريح هنا بالعصف وهو شدة الهبوب وفي سورة ص بالرخاوة لكونها في نفسها رخية طيبة كالنسيم وفي فعلها بكرسيه عليه السلام وابعادها به في مدة يسيرة عاصفة تارة ورخاء اخرى على حسب ارادته تجري بامره بمشيئته حال ثانية او بدل من الاول او حال من ضميرها الى الارض التي باركنا فيها اي عاملة لكرسيه الى الشام وكان منزله بها تحمله الريح من نواحي الارض اليها وكنا بكل شيء عالمين فنجريه على ما يقتضيه الحكمة ومن الشياطين من يغوصون له في البحار فيستخرجون نفائسه ومن منصوب المحل على الريح عطف على الريح او مرفوع بالابتداء ومن الشياطين خبره قدم عليه فساغ الابتداء بها وهي نكرة على انها موصوفة ويعملون عملا دون ذلك ويتجاوزون ذلك الى الاعمال الاخر على ما فصل في سورة ص وكنا لهم حافظين ان يزيغوا عن امره او يميلوا الى الفساد الذي هو مقتضى جبلتهم وايوب اذ نادى ربه نصب باضمار اذكر واذ بدل منه اني مسني اي بانى وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه الضر بالفتح شايع في كل ضرر وبالضم مختص بما في النفس من مرض وهزال وانت ارحم الراحمين وصف ربه بغاية الرحمة بعد ما وصف بما يوجبها واكتفى بذلك من عرض المطلوب رعاية لحسن السؤال ولطفه وقضاء لحق الادب وكان روميا من ولد عيص بن اسحاق م استنبأه الله وكثر اهله وماله فابتلاه الله بهلاك اولاده وذهاب امواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة وقالت له امرأته يوما لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال انا استحيي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي انتهى به الكلام

ولسليمان الريح عاصفة اي وسخرنا الريح لسليمان عاصفة حال اي شديدة الهبوب ووصفت في موضع آخر بالرخاء لانها تجري باختياره فكانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفة لهبوبها على حكم ارادته تجري بامره اي بامر سليمان الى الارض التي باركنا فيها بكثرة الانهار والاشجار والثمار والمراد الشام وكان منزله بها وتحمله الريح من نواحي الارض اليها وكنا بكل شيء عالمين وقد احاط علمنا بكل شيء فتجري الاشياء كلها على ما يقتضيه علمنا ومن الشياطين اي وسخرنا منهم من يغوصون له في البحار بامره لاستخراج الدرر وما يكون فيها ويعملون عملا دون ذلك اي دون الغوص وهو بناء المحاريب والتماثيل والقصور والقدور والجفان وكنا لهم حافظين ان يزيغوا عن امره او يبدلوا او يوجد منهم فساد فيما هم مسخرون فيه وايوب اي واذكر ايوب اذ نادى ربه اي دعاه باني مسني الضر الضر بالفتح الضرر في كل شيء وبالضم الضرر في النفس من مرض او هزال وانت ارحم الراحمين الطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب فكانه قال انت اهل ان ترحم وايوب اهل ان يرحم فارحمه واكشف عنه الضر الذي مسه عن انس رضي الله عنه اخبر عن ضعفه حين لم يقدر على النهوض للصلوة ولم يشك وكيف يشكو من قيل له انا وجدناه صابرا نعم العبد وقيل انما اشتكى اليه تلذذا بالنجوى لا منه تضجرا بالشكوى والشكاية اليه غاية القرب كما ان الشكاية منه غاية البعد انتهى

ولسليمان الريح اي وسخرنا له الريح وايراد اللام هنا دون الاول للدلالة على ما بين التسخيرين من التفاوت فان تسخير ما سخر له عليه السلام من الريح وغيرها كان بطريق الانقياد الكلي له والامتثال بامره ونهيه والمقهورية تحت ملكوته واما تسخير الجبال والطير لداود عليه السلام فلم يكن بهذه المثابة بل بطريق التبعية له عليه السلام والاقتداء به في عبادة الله تعالى عاصفة حال من الريح والعامل فيها الفعل المقدر اي وسخرنا له الريح حال كونها شديدة الهبوب من حيث انها كانت تبعد بكرسيه في مدة يسيرة من الزمان كما قال تعالى غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته عليه السلام وقرئ الريح بالرفع على الابتداء والخبر هو الظرف المقدم وعاصفة حينئذ حال من ضمير المبتدا في الخبر والعامل ما فيه من معنى الاستقرار وقرئ الرياح نصبا ورفعا تجري بامره بمشيئته حال ثانية او بدل من الاولى او حال من ضميرها الى الارض التي باركنا فيها وهي الشام رواحا بعد ما سارت به بكرة قال الكلبي كان سليمان عليه السلام وقومه يركبون عليها من اصطخر الى الشام والى حيث شاء ثم يعود الى منزله وكنا بكل شيء عالمين فنجريه حسبما تقتضيه الحكمة ومن الشياطين اي وسخرنا له من الشياطين من يغوصون له في البحار ويستخرجون له من نفائسه وقيل من رفع على الابتداء وخبره ما قبله والاول هو الاظهر ويعملون عملا دون ذلك اي غير ما ذكر من بناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة لقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الاية وهؤلاء اما الفرقة الاولى او غيرها لعموم كلمة من كانه قيل ومن يعملون وجمع الضمير الراجع اليها باعتبار

بعد ما رشح جانبه بقوله تعالى من الشياطين روي ان المسخر له عليه السلام كفارهم لا مؤمنوهم لقوله تعالى ومن الشياطين وكنا لهم حافظين اي من ان يزيغوا عن امره او يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم قيل وكل بهم جمعا من الملائكة وجمعا من مؤمني الجن وقال الزجاج كان يحفظهم من ان يفسدوا ما عملوا وكان دابهم ان يفسدوا بالليل ما عملوه بالنهار وايوب الكلام فيه كما مر في قوله تعالى وداود وسليمان اي واذكر خبر ايوب اذ نادى ربه اني اي باني مسني الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه والضر شايع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس من مرض وهزال ونحوهما وانت ارحم الراحمين وصفه تعالى بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى به عن عرض المطلب لطفا في السؤال وكان عليه السلام روميا من ولد عيص بن اسحق استنبأه الله تعالى وكثر اهله وماله فابتلاه الله تعالى بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلث عشرة سنة او سبعا وسبعة اشهر وسبعة ايام وسبع ساعات روي ان امرأته ماخير بنت ميشا بن يوسف عم او رحمة بنت افرايم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله تعالى فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال استحيي من الله تعالى ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي وروي ان ابليس اتاها على هيئة عظيمة فقال انا اله الارض فعلت بزوجك ما فعلت لانه تركني وعبد اله السماء فلو سجدت لي سجدة لرددت عليه وعليك جميع ما اخذت منكما وفي رواية لو سجدت لي سجدة لرجعت المال والولد وعافيت زوجك فرجعت الى ايوب وكان ملقى في الكناسة لا يقرب منه احد فاخبرته بالقصة فقال عليه السلام كانك افتتنت بقول اللعين لئن عافاني الله عز وجل لاضربنك مائة سوط وحرام علي ان اذوق بعد هذا شيئا من طعامك وشرابك فطردها فبقي طريحا في الكناسة لا يحوم حوله احد من الناس فعند ذلك خر ساجدا فقال رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فقيل له ارفع راسك فقد استجبت لك اركض برجلك فركض فنبعت من تحته عين ماء فاغتسل منها فلم يبق في ظاهر بدنه دابة الا سقطت ولا جراحة الا برئت ثم ركض مرة اخرى فنبعت عين اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج وعاد صحيحا ورجع اليه شبابه وجماله ثم كسي حلة وذلك قوله تعالى فاستجبنا له الاية

ابو السعود رحمه الله

من التقيض نخ

تيح ابيض ۸ ه معوالحجر العريض

وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ وهو جسم لطيف يمتنع بلطفه من التقبض الوقوف عليه ويظهر للحس بحركته يذكر ويؤنث اي سخرنا له الريح عَاصِفَةً
اي شديدة الهبوب في عملها ان سليمان حال التسخير مقدرة تَجْرِي اي الريح بِأَمْرِهِ اي بامر الله او بامر سليمان عليه السلام من اصطخر
إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وهي الشام فكانت تسير به وبجنده على البساط المعمول بايدي الشياطين من الذهب في ابريسم وكان عرضه
فرسخا في فرسخ حيث شاء ثم يعود من يومه الى منزله وكان مقامه بتدمر مدينة بناها له الشياطين بالصفاح والعمد والرخام

تدمر بلدة بالشام

وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ اي نفعل كل شيء لمقتضى الحكمة او عالمين بامر سليمان وغيره وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ اي سخرنا منهم من يغوص
في البحر فيخرج الجواهر لَهُ لسليمان وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ الغوص اي سواه كالقصور العالية والصناعات وَكُنَّا لَهُمْ اي للشياطين حَافِظِينَ
لئلا يعصوه ولئلا يفسدوا ما عملهم لانهم كانوا اذا فرغوا من عمل قبل الليل افسدوه ان لم تشتغلوا بغيره قوله وَأَيُّوبَ اسم رجل
من الروم وهو ايوب بن اموص بن رازح بن روم بن عيصو بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وكان الله تعالى قد اصطفاه نبيا وبسط
عليه الدنيا من اصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمر وكان له ثلثة نفر من قومه امنوا به وصدقوه رجل من اليمن
ورجلان من بلده وكان له اهل وولد من رجال ونساء وكان برا تقيا رحيما بالمساكين يطعمهم ويكرم الضيف ويكفل الايتام و
الارامل وكان شاكرا لانعم الله تعالى مؤديا حقه فابتلاه الله تعالى بكل بلاء كما يبتلي المؤمنين الصديقين لا على سخط عليهم ولا لهوانهم
ولكنه كرامة وخيرة لهم فاعلم النبي صلى الله عليه وسلم بخبره وصبره على بلائه تسلية له صلى الله عليه وسلم وهو منصوب بفعل مقدر
اي اذكره إِذْ نَادَى رَبَّهُ حين ابتلي بفقد جميع ماله وولده وتمزق جسده وغير ذلك من البلايا ثلث سنين او سبع سنين
او اكثر من ذلك لا يقربه احد سوى زوجته رحمة رحمها الله صبرت معه بصدق مع ضيق عيشه بعد سعته حتى باعت زوجته
ضفيرتها بشيء اكله اي دعا ربه أَنِّي اي بانه مَسَّنِيَ الضُّرُّ اي ما اشده وشكواه لم يخرجه عن الصبر فلذلك قال انا وجدناه صابرا
يعني اصابني البلاء الشديد فارحمني فانت أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ

انتهى العيون

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ اجبنا نداءه فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ
اي كشفنا ضره انعاما عليه وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ
مَعَهُمْ روي ان ايوب عليه السلام كان روميا من
ولد اسحق بن ابراهيم عليهما السلام وله سبعة بنين
وسبع بنات وثلثة آلاف بعير وسبعة آلاف شاة
وخمسماية فدان يتبعها خمسماية عبد لكل عبد
امراة وولد فابتلاه الله تعالى بذهاب ولده وماله
وبمرض في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلاث سنين
وقالت له امراته يوما لو دعوت الله عز وجل فقال
كم كانت مدة الرخا فقالت ثمانين سنة فقال انا
استحيي من الله تعالى ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي
مدة رخائي فلما كشف الله تعالى عنه احيى ولده باعيانهم
ورزقه مثلهم معهم رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا مفعول له و
كذلك وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ يعني رحمنا لايوب وتذكرة
لغيره من العابدين ليصبروا كصبره فيثابوا كثوابه
وَإِسْمَاعِيلَ بن ابراهيم وَإِدْرِيسَ بن شيث بن آدم
وَذَا الْكِفْلِ اي اذكرهم وهو الياس او زكريا او
يوشع بن نون وسمي به لانه ذو الحظ من الله تعالى
والكفل الحظ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ اي هؤلاء المذكورون
كلهم موصوفون بالصبر وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا نبوتنا
او النعمة في الآخرة إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ اي ممن لا يشوبه
صلاحهم كدر الفساد انتهى المدارك

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ عظيم بالشفاء من مرضه وَ
آتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ لان كشف الله تعالى عنه احيى ولده باعيانهم
ورزقه مثلهم معهم رَحْمَةً على ايوب مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ
وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب
في الدنيا والآخرة او رحمنا للعابدين وانا نذكرهم بالاحسان
ولا ننساهم فاذا اوقعنا الرحمة والذكر على العابدين ولم نخصص
الرحمة بايوب دخل هو فيهم دخولا اوليا وافاد ان الرحمة
والذكر بالاحسان انما كانا بسبب العبادة والصبر فكل عابد
مرحوم مذكور بالاحسان وكان من باب اقامة المظهر مقام المضمر
وكان اكد وابلغ لاثبات الرحمة له بالبرهان وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ
وَذَا الْكِفْلِ هو الياس عليه السلام وقيل يوشع وقيل زكريا سمي
بذلك لانه كان ذا الحظ من الله تعالى او تكفل امته وقيل
كان له ضعف عمل انبياء زمانه وضعف ثوابهم والكفل
يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف كُلٌّ اي كل هؤلاء
مِنَ الصَّابِرِينَ على مشاق التكاليف وشدائد النوائب

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ فلما قام جعل يلتفت فلا يرى
شيئا مما كان له من الاهل والمال الا قد ضاعفه الله تعالى وذلك
قوله تعالى وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ وقيل كان ذلك
بعد ان ولد له ضعف ما كان ثم ان امراته قالت في
نفسها هب انه طردني افاتركه حتى يموت جوعا وياكله
السباع لارجعن اليه فلما رجعت ما رأت تلك الكناسة
ولا تلك الحال وقد تغيرت الامور فجعلت تطوف حيث
كانت الكناسة وتبكي وهابت صاحب الحلة ان تاتيه
وتسال عنه فارسل اليها ايوب ودعاها فقال ما تريدين يا امة الله فبكت وقالت اريد ذلك المبتلى الذي كان ملقى على
الكناسة قال لها ما كان منك فبكت وقالت بعلي قال اتعرفينه اذا رأيته قالت وهل يخفى علي فتبسم فقال انا ذلك فعرفته
بضحكه فاعتنقته رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ اي اتيناه ما ذكر لرحمتنا ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر
فيثابوا كما اثيب او لرحمتنا العابدين الذين من جملتهم ايوب وذكرنا اياهم بالاحسان وعدم نسياننا لهم وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ
وَذَا الْكِفْلِ اي واذكرهم وذو الكفل الياس وقيل يوشع بن نون وقيل زكريا سمي به لانه كان ذا حظ من الله تعالى او تكفل
[illegible] او ضعف عمل انبياء زمانه وثوابهم فان الكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف كُلٌّ اي كل واحد من هؤلاء
مِنَ الصَّابِرِينَ اي على مشاق التكاليف وشدائد النوب والجملة استيناف وقع جوابا عن سوال نشا من الامر بذكرهم
وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا اي في النبوة او في نعمة الآخرة إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ اي الكاملين في الصلاح الكامل الذي لا يحوم حوله
شائبة الفساد وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم من كدر الفساد انتهى ابو السعود رحمه الله

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ نداءه فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ اي اولاده يعني احيوا بعد ما ماتوا او ارزق ثوابهم وَمِثْلَهُمْ اي واتيناه مثلهم
[illegible] في الدنيا رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا لايوب عليه السلام وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ اي وتذكرة لهم ليصبروا كصبره فيثابوا كثوابه قال ابن عباس رضي
[illegible] رد على المراة شبابها فولدت ستة وعشرين ذكرا وكان له سبعة بنين وسبع بنات احياهم الله تعالى له باعيانهم وَإِسْمَاعِيلَ
وَإِدْرِيسَ اي اذكرهما وهو اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام وادريس جد نوح عليهما السلام وَذَا الْكِفْلِ هو الياس او نبي او رجل صالح
[illegible] بصيام جميع نهاره وقيام جميع ليله وان يقضي بين الناس ولا يغضب فوفى بذلك وانما ذكره مع الانبياء عليهم السلام لان عمله كعملهم
[illegible] كل واحد من المذكورين مِنَ الصَّابِرِينَ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا اي اكرمناهم بالنبوة او بطاعتنا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ اي معهم في الجنة

انتهى العيون

وذا النون وصاحب الحوت يونس عليه السلام اذ ذهب مغاضبا لقومه لكثرة ما قاساه وشدة شكايته لطول ما ذكرهم فلم يذكروا وهاجر فانه في دعوتهم واغضبهم بمهاجرته لخوفهم لحوق العذاب بهم عندها وكان يحبه ان ينتظر الاذن فلم يصبر وظن ان المهاجرة اولى لكونه للغضب لله ودينه والبغض للكفر واهله فابتلي ببطن الحوت. وهو بناء المبالغة لان المغالب يبغضه وسعه في الفعل او بمعنى مغضبا وقد قرئ به فظن ان لن نقدر عليه من القدر وهو التضييق لا من القدرة ويعضده انه قرئ مثقلا ويجوز ان يكون نقدر مخففا من القدرة بمعنى ان لن نعمل قدرتنا فيه فنادى في الظلمات اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل ان لا اله الا انت بانه لا اله الا انت او بمعنى اي سبحانك ان يعجزك شيء اني كنت من الظالمين لنفسي بالمبادرة الى المهاجرة فاستجبنا له ونجيناه من الغم بان قذفه الحوت الى الساحل والغم غم الالتقام وكذلك ننجي المؤمنين من غموم دعوا الله فيها بالاخلاص وقرئ ننجي مثقلا وفي الامام نجي فلذلك اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم ومن شدد الجيم فوجه صحته مشكل لا يكاد يتمشى انتهى ابن كمال رحمه الله على كمال

وذا النون اي اذكر صاحب الحوت والنون الحوت فاضيف اليه اذ ذهب مغاضبا حال اي مراغما لقومه ومعنى مغاضبته لقومه انه اغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها. روي انه برم لقومه لطول ما ذكرهم فلم يتعظوا واقاموا على كفرهم فراغمهم وظن ان ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله وبغضا للكفر واهله وكان عليه ان يصابر وينتظر الاذن من الله تعالى في المهاجرة عنهم فابتلي ببطن الحوت فظن ان لن نقدر عليه لن نضيق عليه. وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه دخل يوما على معاوية فقال لقد ضربتني امواج القران البارحة فغرقت فيها فلم اجد لنفسي خلاصا الا بك قال وما هي يا معاوية فقرا الاية وقال او يظن نبي الله ان لا يقدر عليه قال هذا من القدر لا من القدرة فنادى في الظلمات اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات او ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت ان اي بانه لا اله الا انت او بمعنى اي سبحانك اني كنت من الظالمين لنفسي في خروجي من قومي قبل ان تاذن لي. وفي الحديث ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له. وعن الحسن ما نجاه الله والله الا اقراره على نفسه بالظلم فاستجبنا له ونجيناه من الغم اي الزلة والوحشة والوحدة وكذلك ننجي المؤمنين اذا دعونا واستغاثوا بنا. نجي شامي وابو بكر بادغام النون في الجيم عند البعض

وذا النون اي واذكر صاحب الحوت وهو يونس عليه السلام اذ ذهب مغاضبا اي مراغما لقومه لما برم من طول دعوته اياهم وشدة شكيمتهم وتمادي اصرارهم مهاجرا عنهم قبل ان يؤمر. وقيل وعدهم بالعذاب فلم ياتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم فغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة او لانه اغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها. وقرئ مغضبا فظن ان لن نقدر عليه اي لن نضيق عليه او لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر. ويؤيده انه قرئ مشددا. او لن نعمل فيه قدرتنا. وقيل هو تمثيل لحاله بحال من يظن ان لن نقدر عليه اي نعامل معاملة من يظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا كانه في قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده اي نعامل معاملة من يحسب ذلك. وقيل خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسميت ظنا للمبالغة. وقرئ بالياء مخففا ومثقلا مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول فنادى الفاء فصيحة اي فكان ما كان من المساهمة والتقام الحوت فنادى في الظلمات اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة او في ظلمات بطن الحوت والبحر والليل. وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل في ظلمتي بطني الحوت وظلمتي البحر والليل ان لا اله الا انت اي بانه لا اله الا انت على ان ان مخففة من ان وضمير الشان محذوف او اي لا اله الا انت على انها مفسرة سبحانك انزهك تنزيها لائقا بك من ان يعجزك شيء او ان يكون ابتلائي بهذا بغير سبب من جهتي اني كنت من الظالمين لانفسهم بتعريضها للهلكة حيث بادرت الى المهاجرة فاستجبنا له اي دعاءه الذي دعاه في ضمن الاعتراف بالذنب على الطف وجه واحسنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له ونجيناه من الغم بان قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان فيها في بطنه وقيل بعد ثلاثة ايام. وقيل الغم غم الالتقام. وقيل الخطيئة وكذلك اي مثل ذلك الانجاء الكامل ننجي المؤمنين من غموم دعوا الله فيها بالاخلاص لا انجاء ادنى منه. وفي الامام نجي على البناء للمفعول فلذلك اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم. وقرئ بتشديد الجيم على ان اصله ننجي فحذفت الثانية كما حذفت التاء في تظاهرون وهي وان كانت فاء فحذفها اوقع من حذف حرف المضارعة التي بمعنى ولا يقدح اختلاف حركتي النونين فان الداعي الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف

وذا النون اي اذكره وهو صاحب الحوت اسمه يونس بن متى اذ ذهب من قومه المرسل اليهم مغاضبا اي شديد الغضب عليهم لانه وعظهم فلم يتعظوا وقيل ذهب منهم كارها لدينهم وكان ضيق الصدر سريع الغضب وذلك لما دعاهم الى الايمان بالله وترك الشرك كذبوه ووعدهم بنزول العذاب بعد ثلاثة ايام فاتاهم العذاب بهم فاخلصوا لله بالدعاء فصرف عنهم فكان يونس عليه السلام اعتزلهم ينتظر هلاكهم فمر بعض من عليه من اهل تلك المدينة فلما علم انهم لم يهلكوا كره ان يرجع اليهم مخافة ان ينسب الى الكذب فذهب مغاضبا وكارها لذلك الى الساحل فوجد قوما قد شحنوا سفينتهم فقال لهم احملوني معكم فعرفوه وحملوه فلما ذهبت السفينة الى وسط البحر تكفات اي تحركت بهم فقال ملاحوها يا قوم ان فيكم رجلا عاصيا لان السفينة لا تفعل هذا من غير ريح الا وفيها عاص فاقترعوا فخرج سهم يونس عليه السلام فقال انا والله العاصي فتلفف في كسائه فرمى نفسه في البحر فابتلعه الحوت فبقي في بطنه سبعة ايام وقيل اربعين يوما وقيل يوما فظن ان لن نقدر عليه اي ظن يونس عليه السلام ان لن نقضي عليه بالعقوبة فنادى في الظلمات اي في ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل ان اي بانه لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين لنفسي لما غضبت قال اعترافا بذنبه قال صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له فاستجبنا له نداءه ونجيناه من الغم اي من غم الالتقام وبطن الحوت او الذنب وكذلك ننجي المؤمنين قيل انه بعث نبيا قبل ابتلاع الحوت وبعده انتهى العيون للشيخ الامام عمر السهروردي البكري رحمه الله

وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا سأل ربه
ان يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث
ثم رد امره الى الله تعالى مستسلما فقال وانت خير
الوارثين اي فان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي
فانك خير وارث اي باق فاستجبنا له ووهبنا له يحيى
ولدا واصلحنا له زوجه جعلناها صالحة للولادة بعد
عقرها او حسنة الخلق وكانت سيئة الخلق انهم اي
الانبياء المذكورين عليهم السلام كانوا يسارعون في
الخيرات اي انهم استحقوا الاجابة الى طلباتهم لمبادرتهم
ابواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها ويدعوننا رغبا
ورهبا اي طمعا وخوفا كقوله تعالى يحذر الآخرة ويرجو
رحمة ربه • وهما مصدران في موضع الحال او المفعول له
اي للرغبة فينا والرهبة منا وكانوا لنا خاشعين
متواضعين خائفين والتي احصنت فرجها اي واذكر
التي حفظت فرجها من الحلال والحرام فنفخنا فيها من
روحنا اي اجرينا فيها روح المسيح وامرنا جبرائيل
فنفخ في جيب درعها فاحدثنا بذلك النفخ عيسى
في بطنها واضافة الروح الى الله تعالى تشريف لعيسى
وجعلناها وابنها آية مفعول ثان للعالمين وانما
لم يقل آيتين كما قال وجعلنا الليل والنهار آيتين
لان حالهما بمجموعهما آية واحدة وهي ولادتها اياه
من غير فحل او التقدير وجعلناها آية وابنها كذلك
فآية مفعول المعطوف عليه ويدل عليه قراءة
من قرأ آيتين فان من تأمل حالهما تحقق كمال
قدرة الصانع • انتهى المدارك النسفي رحمه الله

وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وحيدا اي ارزقني
ولدا يرثني وانت خير الوارثين استسلام وتفويض بعد
السؤال لانه اقتراح وجراءة على الله تعالى اي الامر اليك فانه
لم ترزقني فلا ابالي وانت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى
واصلحنا له زوجه اي حسنا خلقها وكانت سيئة الخلق
وقيل جعلناها صالحة للولادة بعد عقرها • وفيه ان حق
النظم والترتيب ح ان يذكر اصلحنا قبل وهبنا انهم اي
الانبياء المذكورين كانوا يسارعون في الخيرات المسارعة
المبادرة وتعديتها بالى • وانما عدل عنها الى في للدلالة على انهم
لا يفترون بتحصيل بعض الخيرات بل يظهرون الجد والرغبة
الى تحصيل بعض آخر منها وهذه الدلالة بجعل الخيرات ما فيه
المسارعة لاما اليه ويدعوننا رغبا ورهبا اي طمعا وخوفا
كقوله تعالى يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وهما مصدران في موضع
الحال او المفعول له اي للرغبة فينا والرهبة منا وبعو باشارته الى
انهم يعلمون ان النفع والضر من الله تعالى عز بعيد لما دل عليه قوله
وكانوا لنا خاشعين من ثباتهم واستمرارهم على تخصيص الخشوع
له تعالى قد سبق تفسير الخشوع والمعنى انهم ما استحقوا الاجابة
الى طلباتهم وما نالوا من الله تعالى ما نالوا الا بهذه الخصال
والتي واذكر التي يعني مريم وانما ذكرها بطريق الكناية لان تنويه
النساء بالاسماء حق الرجال احصنت فرجها الاحصان احرازه
التي يعني الفساد والفاء التفريعية في قوله فنفخنا قد دلت
على ان المراد حفظها من الحرام فقط لان النكاح مستحب
بل سنة قديمة فلا يصلح الاحراز عنه منشأ للفضيلة فيها اي فعلنا
النفخ في مريم من روحنا من جهته والمراد من الروح جبرئيل عم
فانه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها واضافته اليه تعالى
للتشريف وجعلناها وابنها اي حالهما وهي ولادتها اياه من غير فحل
ولذلك وحد قوله آية والتقدير وجعلناها آية وابنها كذلك ويعضده
قراءة آيتين للعالمين فان من تأمل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع الحكيم
انتهى ابن الكمال

وزكريا اي واذكر خبره اذ نادى ربه وقال رب لا تذرني فردا اي وحيدا بلا ولد يرثني وانت خير الوارثين فحسبي انت
ان لم ترزقني وارثا فاستجبنا له اي دعاءه ووهبنا له يحيى وقد مر بيان كيفية الاستجابة والهبة في سورة مريم واصلحنا له زوجه اي اصلحناها
للولادة بعد عقرها او اصلحناها للمعاشرة بتحسين خلقها وكانت حردة وقوله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات تعليل لما فصل من فنون
احسانه تعالى المتعلقة بالانبياء المذكورين اي كانوا يبادرون في وجوه الخيرات مع ثباتهم واستقرارهم في اصل الخير وهو السر في ايثار
كلمة في على كلمة الى المشعرة بخلاف المقصود من كونهم خارجين عن اصل الخيرات متوجهين اليها كما في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة
ويدعوننا رغبا ورهبا ذوي رغب ورهب او راغبين في الثواب راجين للاجابة او في الطاعة وخائفين العقاب او المعصية او للرغب
والرهب وكانوا لنا خاشعين اي مخبتين متضرعين او دائمي الوجل والمعنى انهم نالوا من الله تعالى ما نالوا بسبب اتصافهم بهذه الخصال الحميدة
والتي احصنت فرجها اي اذكر خبر التي احصنته على الاطلاق من الحلال والحرام • والتعبير عنها بالموصول لتفخيم شأنها وتنزيهها عما زعموه
في حقها اثر ذي اثير فنفخنا فيها اي احيينا عيسى في جوفها من روحنا من الروح الذي هو من امرنا وقيل فعلنا النفخ فيها من جهة
روحنا جبرئيل عم وجعلناها وابنها اي قصتهما او حالهما آية للعالمين فان من تأمل حالهما تحقق كمال قدرته تعالى فالمراد بالآية ما حصل بها
من الآية التامة مع تكاثر آيات كل واحد منهما • وقيل اريد بالآية الجنس الشامل لما لكل واحد منهما من الآيات المستقلة وقيل المعنى
وجعلناها آية وابنها آية فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها انتهى ابو السعود رحمه الله

وزكريا اي اذكره اذ نادى ربه اي دعاه رب لا تذرني فردا اي وحيدا بلا ولد يرثني وانت خير الوارثين اي افضلهم ان رزقتني ولدا
ولم ترزقني اياه فاستجبنا له نداءه ووهبنا له اي لزكريا ولدا اسمه يحيى واصلحنا له زوجه اي جعلناها حسنة الخلق بعد ان كانت
سيئة الخلق واحسنا وجهها بعد ان كانت قبيحة الوجه واصلحنا رحمها وكانت لا تلد لعقمها فصارت ولودا بعد العقم انهم كانوا
اي الانبياء الذين سبق ذكرهم وقيل زكريا وامراته ويحيى عليهم السلام كانوا يسارعون في الخيرات اي يبادرونه في الاعمال الصالحة وكانوا
يدعوننا رغبا ورهبا اي رغبة فيما عندنا ورهبة من عذابنا وكانوا لنا خاشعين اي ذليلين متواضعين والخشوع الخوف اللازم للقلب
بالمعرفة والتي احصنت اي اذكر مريم التي حفظت فرجها من الوطي فنفخنا فيها اي نفخنا الروح في عيسى فيها يعني احييناه في جوفها
وقيل امرنا جبرئيل فنفخ في جيبها او في فمها فحملت عيسى حيا بذلك النفخ من روحنا واضافة الروح اليه تشريفا لعيسى عم
وجعلناها وابنها آية اي علامة وعبرة للعالمين اي للانس والجن ولم يقل آيتين لانهما كشيء واحد في الدلالة على خلق ولد بلا فحل
انتهى العمدة

ان هذه امتكم الامة الملة والاشارة الى ملة التوحيد والاسلام اي ان هذه الملة ملتكم التي يجب ان تكونوا عليها امة حال من معنى الاشارة في هذه اي بيناها امة واحدة غير مختلفة فيما بين الانبياء عليهم السلام وقرئ امتكم بالنصب على البدلية من هذه وامة بالرفع على الخبر وقرئ برفعهما على انهما خبران او قدر للثانية مبتدأ على من امة وانا ربكم رب واحد لا اله غيري فاعبدون لا غيري وتقطعوا امرهم بينهم كان الخطاب السابق عاما للناس كافة فالتفت الى الغيبة لينعى على الذين تفرقوا في الدين وكانوا شيعا بقبيح فعلهم الى آخرهم تمثيلا لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا واحزابا شتى اي جعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعا كما يتوزع الجماعة الشيء ويقتسمونه قطعة قطعة كل ثم توعدهم بان كل واحد من تلك الفرق الينا خاصة لا الى غيرنا راجعون فنجازيهم فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن بالله ورسوله فلا كفران لسعيه استعير الكفران لمنع الثواب والحرمان الى استعير الشكر لاعطائه وقيل ان الله شكور ونفي نفي الجنس للمبالغة فانه ابلغ من ان يقال فلا يكفر سعيه ثم بولغ واكد في عدم تضييع سعيه بانه وتقديم الجار والمجرور وانا له كاتبون اي لذلك السعي في صحيفة عمله مثبتون له فلا يضيع بوجه ما انتهى ابن الكمال

ان هذه امتكم امة واحدة الامة الملة وهذا اشارة الى ملة الاسلام وهي ملة جميع الانبياء وامة حال اي متوحدة غير متفرقة والعامل ما دل عليه اسم الاشارة اي ان ملة الاسلام هي ملتكم التي يجب ان تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار اليها ملة واحدة غير مختلفة وانا ربكم فاعبدون اي ربيتكم اختيارا فاعبدوني شكرا وافتخارا والخطاب للناس كافة وتقطعوا امرهم بينهم اصل الكلام وتقطعتم الا ان الكلام حرف الى الغيبة على طريقة الالتفات والمعنى وجعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعا وصاروا فرقا واحزابا ثم توعدهم بان هؤلاء الفرق المختلفة كل الينا راجعون فنجازيهم على اعمالهم فمن يعمل من الصالحات شيئا وهو مؤمن بما يجب الايمان به فلا كفران لسعيه فان سعيه مشكور مقبول والكفران مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر مثل في اعطائه وقد نفي نفي الجنس ليكون ابلغ وانا له للسعي اي الحفظة بامرنا كاتبون في صحيفة عمله فنثيبه به بان نامر الحفظة بكتبه فنجازيه عليه انتهى المدارك

ان هذه اي ملة التوحيد والاسلام اشير اليها بهذه تنبيها على كمال ظهور امرها في الصحة والسداد امتكم اي ملتكم التي يجب ان تحافظوا على حدودها وتراعوا حقوقها ولا تخلوا بشيء منها والخطاب للناس قاطبة امة واحدة نصب على الحالية من امتكم اي غير مختلفة فيما بين الانبياء عليهم السلام اذ لا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع ولا احتمال لتبدلها وتغيرها كفروع الشرائع المتبدلة حسب تبدل الامم والاعصار وقرئ امتكم بالنصب على البدلية من اسم ان وامة واحدة بالرفع على الخبرية وقرئتا بالرفع على انهما خبران وانا ربكم لا اله لكم غيري فاعبدون خاصة لا غير وقوله وتقطعوا امرهم بينهم التفات الى الغيبة لينعى عليهم ما افسدوه من التفرق في الدين وجعل امره موزعة وينهى قبائح افعالهم الى الاخرين كانه قيل الا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله الذي اجمعت عليه كافة الانبياء كل اي كل واحدة من الفرق المتقطعة او كل واحد من آحاد كل واحدة من تلك الفرق الينا راجعون بالبعث لا الى غيرنا فنجازيهم حينئذ بحسب اعمالهم وايراد اسم الفاعل للدلالة على الثبات والتحقق وقوله فمن يعمل من الصالحات الخ تفصيل للجزاء اي فمن يعمل بعض الصالحات او بعضا من الصالحات وهو مؤمن بالله ورسله فلا كفران لسعيه اي لا حرمان لثواب عمله ذلك عبر عن ذلك بالكفران الذي هو ستر النعمة وجحودها لبيان كمال نزاهته تعالى عنه بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه تعالى ونفي نفي الجنس للمبالغة في التنزيه وعبر عن العمل بالسعي لاظهار الاعتداد به وانا له اي لسعيه كاتبون اي مثبتون في صحايف اعمالهم لا نغادر من ذلك شيئا انتهى ابو السعود

ان هذه امتكم خطاب للناس جميعا او للرسل عليهم السلام اي قلنا يا ايها الناس هذه الملة اي ملة الاسلام ملتكم التي يجب ان تكونوا مع احكامها عليها لا تنحرفون عنها امة واحدة بالنصب على الحال اي يشار اليها حال كونها ملة واحدة على شريعة واحدة غير مختلفة لانها سبب الفلاح لا غير وانا ربكم اي الكامل الحق فاعبدون اي اعبدوني بالتوحيد وتقطعوا امرهم بينهم اي تفرقوا في امر دينهم وصاروا فيه بعد ذلك احزابا فكل حزب يخالف الآخر كاليهود والنصارى كل الينا راجعون في الآخرة فنجازيهم لتفرقهم في الدين فهو تمهيد لهم ثم ياتي ثواب التابعين على الاسلام بقوله فمن يعمل من الصالحات اي الطاعات وهو مؤمن اي مصدق بتوحيد الله فلا كفران لسعيه اي لا جحد لعمله والسعي للثواب وانا له اي لسعيه كاتبون في صحيفة عمله فنثيبه به انتهى العيون

وحرام اي ممتنع الوجود كامتناع الحرام على اهل قرية اهلكناها في الدنيا بالعذاب فيما مضى انهم لا يرجعون بالفتح اي الرجوع الى الدنيا بعد الهلاك فلا زائدة وجملة ان مبتدأ والخبر ما تقدم من الحرام وقيل معناه الايمان حرام على اهل قرية حكمنا باهلاكهم بالعذاب فانهم لا يرجعون عن كفرهم فلا نافية وجملة ان تعليل الحرام قوله حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج غاية الحرام اي امتناع رجوعهم لا يزول حتى يقوم القيمة وذلك اذا فتحت ياجوج وماجوج اي سدها وهما قبيلتان من الانس قيل الناس كلهم عشرة اجزاء منها ياجوج وماجوج وهم اي ياجوج وماجوج بعد خروجهم بعد السد من كل حدب اي من كل نشز ينسلون اي يسرعون من نسل اي اسرع وعسل قيل يخرجون بعد الطوفان فيفسدون في الارض فيبعث الله عليهم دابة مثل النغف فيلج في اسماعهم ومناخرهم فيموتون فتنتن الارض فيرسل الله مطرا فيطهرها واقترب الوعد الحق اي قيام الساعة قيل الواو زائدة فيه لانه جواب اذا واقحمت لتاكيد لصوق الجزاء بالشرط فاذا هي شاخصة هي ضمير مبهم تفسره الابصار كافتروا واسروا النجوى الذين ظلموا في قوله واسروا النجوى الذين ظلموا اي عند ظهور الوعد الحق فاتحة ابصار الذين كفروا فلا تكاد تطرف يقول ما ترى يوم تحد قائلين يا ويلنا قد كنا في غفلة اي في جهالة من هذا اليوم ثم تذكروا اخبار الرسل فقالوا بل كنا ظالمين في تكذيب الرسل الينا

انتهى العيون

اهلكنا بعذاب الاستيصال ان يرجعوا الى الدنيا ولا زائدة في الآية ومعنى حرام عليهم ممنوعون من ذلك لان الله تعالى قضى على من اهلك ان يبقى في البرزخ الى يوم القيمة ✿ النغف بالتحريك الدود الذي يكون في انوف الابل والغنم حدب مكان مرتفع معناه دن انسلع وعسل سرعت ويكك معناه دن نشز دبه ومكان مرتفع

صحاح

دقوله وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون قال ابن عباس رضي الله عنهما وحرام على قرية وجدنا وقيل اهلكنا اهلها ان يرجعوا بعد الهلاك من الرجوع وقال آخرون الحرام هاهنا بمعنى الواجب فعلى هذا القول لا ثابت اي واجب عليهم ان لا يرجعوا نيسابور

وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون والمعنى وممتنع على كل مهلك غير ممكن انه لا يرجع الى اهده بالبعث او حرام على قرية اهلكناها اى قدرنا اهلاكهم او حكمنا باهلاكهم ذلك وهو المذكور في الآية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور انهم لا يرجعون اى لانهم لا يرجعون من الكفر الى الاسلام حتى هي التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء اعني اذا وما في حيزها فتحت يأجوج ومأجوج اى فتح سدها فحذف المضاف كما حذف على قرية وهما قبيلتان من جنس الانس يقال الناس عشرة اجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج وهم راجع الى الناس المسوقين الى المحشر وقيل هم يأجوج ومأجوج يخرجون حين يفتح السد من كل حدب نشز من الارض اى ارتفاع ينسلون يسرعون واقترب الوعد الحق اى القيمة وجواب اذا فاذا هي وهي اذا المفاجاة وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفاء كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد ولو قيل فهي شاخصة اى اذا هي شاخصة كان سديدا وهي ضمير مبهم يوضحه الابصار ويفسره شاخصة ابصار الذين كفروا اى مرتفعة الاجفان لا يكاد تطرف من هول ما هم فيه يا ويلنا متعلق بمحذوف تقديره يقولون يا ويلنا ويقولون حال من الذين كفروا قد كنا في غفلة من هذا اليوم بل كنا ظالمين بوضعنا العبادة في غير موضعها انتهى

وحرام وقرئ وحرم كحلال وحل على قرية اى ممتنع على اهل قرية اهلكناها اردنا اهلاكهم باستيصال اهلها انهم لا يرجعون رجوعهم الى التوبة او الحيوة والاخلية او عدم رجوعهم للجزاء وان مع اسمها وخبرها مبتدأ خبره حرام وقرئ انهم بالكسر على ان الكلام تم قبله والمبتدأ محذوف دلت عليه الآية المتقدمة اى وحرام على قرية اهلكناها ذلك اى العمل الصالح والايمان والسعي المشكور غير المكفور ثم استونف على سبيل التعليل فقيل انهم لا يرجعون عن الكفر وعلى قراءة الفتح ايضا لا يبعد هذا الوجه اى لانهم لا يرجعون حتى هي التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء اعني اذا وما في حيزها فتحت يأجوج ومأجوج المفتوح حقيقة هو السد المنسوب اليهما وانما اسند اليهما على التجوز لعلاقة ظاهرة ونكتة لا تخفى لطف موقعها وحتى متعلقة بحرام او بمحذوف دل عليه الكلام او بلا يرجعون اى يستمر الامتناع او الهلاك او عدم الرجوع او قيام الساعة وفتح السد من اماراتها كنى به عنه وهم يعني يأجوج ومأجوج من كل حدب ينسلون مرتفع من الارض ولفظة كل للمبالغة في الكثرة او المراد الناس كلهم ويعضده قراءة ابن عباس جدث بالجيم والثاء وهو القبر ينسلون يسرعون واقترب الوعد الحق اى القيمة فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا جواب الشرط واذا للمفاجاة سدت مسد الفاء الجزائية كقوله اذا هم يقنطون فاذا جاء الفاء معها تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد وتوهم الجمع بين البدل والمبدل منه ساقط لان اذا باقية على حالها لم تتمحض بدلا حتى يلزم الامتناع ويجوز ان يكون الضمير بعدها ضمير القصة وابصار الذين كفروا مبتدأ شاخصة خبره وان يكون ضميرا مبهما يفسره ابصار الذين كفروا يا ويلنا مقدر بالقول واقع موقع الحال من الموصول قد كنا في غفلة من هذا اليوم بل كنا ظالمين انفسنا بعدم الاعتبار بانذار المنذرين اضراب عن الاخبار عن استقرارهم في الغفلة وابطال له بالاعتراف بما هو الحق انتهى ابن الكمال رحمة الله عليه

وحرام على قرية اى ممتنع على اهلها غير متصور منهم وقرئ حرم وهي لغة كالحل والحلال اهلكناها قدرنا هلاكها او حكمنا به لغاية طغيانهم وعنادهم وقوله تعالى انهم لا يرجعون في حيز الرفع على انه مبتدأ خبره حرام او فاعل له ساد مسد خبره والجملة لتقرير مضمون ما قبلها من قوله الينا راجعون وما في ان من معنى التحقيق معتبر في النفي المستفاد من حرام لا في المنفي اى ممتنع البتة عدم رجوعهم الينا للجزاء ان رجوعهم المحقق ممتنع وتخصيص عدم رجوعهم بالذكر مع شمول الامتناع لعدم رجوع الكل حسبما نطق به قوله تعالى كل الينا راجعون لانهم المنكرون البعث والرجوع دون غيرهم وقيل ممتنع رجوعهم الى التوبة على ان لا صلة وقرئ بانهم لا يرجعون بالكسر على انه استيناف تعليلي لما قبله فحرام مبتدأ محذوف اى حرام عليها ذلك وهو ما ذكر في الآية السابقة من العمل الصالح المشفوع بالايمان والسعي المشكور ثم علل بقوله تعالى انهم لا يرجعون عما هم عليه من الكفر فكيف لا يمتنع ذلك ويجوز حمل المفتوحة ايضا على هذا المعنى بحذف اللام على اى لانهم لا يرجعون وحتى في قوله تعالى حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج الخ هي التي يحكى بعدها الكلام وهي على الاول غاية لما يدل عليه ما قبلها كانه قيل يستمرون على ما هم عليه من الهلاك حتى اذا قامت القيمة يرجعون الينا ويقولون يا ويلنا الخ وعلى الثاني غاية للحرمة اى يستمر امتناع رجوعهم الى التوبة حتى اذا قامت القيمة يرجعون اليها حين لا ينفعهم التوبة وعلى الثالث غاية لعدم الرجوع عن الكفر اى لا يرجعون عنه حتى اذا قامت القيمة يرجعون عنه حين لا ينفعهم الرجوع ويأجوج ومأجوج قبيلتان من الانس قالوا الناس عشرة اجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج والمراد بفتحها فتح سدها على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقرئ فتحت بالتشديد وهم اى يأجوج ومأجوج

وقيل الناس من كل حدب اى نشز من الارض وقرئ جدث وهو القبر ينسلون اى يسرعون واصله مقاربة الخطو مع الاسراع وقرئ بضم السين واقترب الوعد الحق عطف على فتحت والمراد به ما بعد النفخة الثانية من البعث والحساب والجزاء لا النفخة الاولى فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا جواب الشرط واذا للمفاجاة تسد مسد الفاء الجزائية كما في قوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا دخلها الفاء تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط والضمير للقصة او مبهم يفسره ما بعده يا ويلنا على تقدير قول وقع حالا من الموصول اى يقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة تامة من هذا الذى دهمنا من البعث والرجوع اليه تعالى للجزاء ولم نعلم انه حق بل كنا ظالمين اضراب عما قبله من وصف انفسهم بالغفلة اى لم نكن غافلين منه حيث نبهنا عليه بالآيات والنذر بل كنا ظالمين بتلك الآيات والنذر مكذبين بها او ظالمين لانفسنا بتعريضها للعذاب الخالد بالتكذيب انتهى ابو السعود رحمه الله

قوله انهم لا يرجعون اى يرجعون بعد الهلاك فعلى هذا يكون لا صلة وقال آخرون الحرام بمعنى الواجب فعلى هذا يكون لا ثابتا معناه واجب على اهل قرية اهلكناها انهم لا يرجعون الى الدنيا معالم

وحرام على قرية التوفيق على قرية على اهل مكة ابي جهل واصحابه اهلكناها خذلناها بالكفر انهم لا يرجعون من كفرهم الى الايمان وقيل حرام على قرية على اهل مكة اهلكناها يوم بدر بالقتل انهم لا يرجعون الى الدنيا انتهى من تفسير الكرماني

ابن الكمال

انكم وما تعبدون من دون الله اراد الاوثان اذ الخطاب لقريش لا الشيطان واعوانه لما سياتي ان ما تعبدون لا يتناول ذوي العقول ولا دلالة على ذلك فيما روي انه عليه السلام لما تلى الاية على المشركين قال له الزبعرى خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود قد عبدوا عزيرا والنصارى المسيح وبنو مليح الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون الاية وليس فيه تخصيص بأخرى عن الخطاب لان ما لمن لا يعقل فلا يتناولهم دل على ذلك ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اجهلك بلغة قومك اما علمت ان ما لما لم يعقل فعلى هذا يكون قوله ان الذين سبقت الاية لدفع احتمال المجاز والتغليب لا التخصيص العام كما سبق الى بعض الاوهام حصب جهنم الحصب ما يرمى به فعل بمعنى مفعول اي يحصب بهم في النار وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر انتم لها واردون استيناف او بدل من حصب واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة على ان ورودهم لاجلها لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها لان الورود للنار وان لم يلزمه العذاب على ما دل عليه قوله تعالى وان منكم الا واردها لان الورود ليس من شان المعبود المختار وكل اي العابد والمعبود فيها خالدون وانما قرنوا بآلهتهم لزيادة تعذيبهم فان ما اصابهم انما اصابهم بسببهم فاذا قرنوا بهم ازداد غمهم وحسرتهم للقاء المؤذي ولانهم قدروا انتفاعهم في الآخرة بهم فاذا وجدوا الامر على عكس ما قدروا لم يكن شيء ابغض اليهم منهم ومن هذا تفتح وجه خلودها في النار لهم فيها زفير انين وتنفس شديد وفيه تجوز من جهة نسبة فعل البعض الى الكل وتغليب من جهة اطلاق هم على مجموع العقلاء وغيرهم ولا تأثير للتغليب في الاول وهم فيها لا يسمعون من الهول وشدة العذاب وذكر بعد حين لما ورد في بعض الآيات من مكالمتهم مع خزنة النار ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الخصلة الحسنى وهي السعادة القصوى او البشرى بالثواب او التوفيق للطاعة اولئك عنها مبعدون بدخول الجنة سبقت العناية في البداية فظهر الولاية في النهاية وفي عبارة مبعدون رمز الى انهم يردونها ويقربون منها اولا ولما كان ذلك مظنة ان يتاذوا عند ورودهم اياها وقربهم منها دفعه بقوله لا يسمعون حسيسها صوتها الذي يحس وحركة تلهبها حال من ضمير مبعدون يعني انهم في حال سلامتهم على وعن انا رهم الموذية يردونها ويبعدون عنها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون الشهوة طلب النفس اللذة دائمون في الاستغراق في مشتهياتهم وتقديم الظرف للاختصاص ومحافظة الفاصلة انتهى ابن الكمال رحمة الله عليه على الكمال

النسفي

انكم وما تعبدون من دون الله يعني الاصنام وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم في حكم عبدتهم حصب جهنم حطبها انتم لها واردون فيها داخلون لو كان هؤلاء آلهة كما زعمتم ما وردوها ما دخلوا النار وكل اي العابد والمعبود فيها في النار خالدون لهم للكفار فيها زفير انين وبكاء وعويل وهم فيها لا يسمعون شيئا لانهم صاروا صما وفي السماع نوع انس فلم يعطوا ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الخصلة المفضلة في الحسن تأنيث الاحسن وهي السعادة او البشرى بالثواب او التوفيق للطاعة نزلت جوابا لقول ابن الزبعرى عند تلاوته صلى الله عليه وسلم على صناديد قريش انكم وما تعبدون من دون الله الى آخره اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح الملائكة على ان قوله وما تعبدون لا يتناولهم لان ما لمن لا يعقل الا انهم اهل عناد فزيد للبيان اولئك يعني عزيرا والمسيح والملائكة عنها عن جهنم مبعدون لانهم لم يرضوا بعبادتهم وقيل المراد بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى جميع المؤمنين لما روي ان عليا رضي الله عنه قرأ هذه الاية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وقال الجنيد رحمه الله سبقت لهم منا العناية في البداية فظهرت لهم الولاية في النهاية لا يسمعون حسيسها صوتها الذي يحس وحركة تلهبها وهذه مبالغة في الابعاد عنها اي لا يقربونها حتى لا يسمعوا صوتها وصوت من فيها وهم فيما اشتهت انفسهم من النعيم خالدون مقيمون والشهوة طلب النفس اللذة انتهى

وجواب رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب ان يعبد من دون الله فهو مع من عبده وهم لا يرضون بذلك فلا يلزمهم كلامهم

ابو السعود

وقوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم خطاب لكفار مكة وتصريح بمآل امرهم مع كونه معلوما مما سبق على وجه الاجمال مبالغة في الانذار وازاحة الاعذار وما يعبدون عبارة عن اصنامهم لانها التي يعبدونها كما ينبئ عنه كلمة ما وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تلا الاية قال له ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة اليست اليهود عبدوا عزيرا والنصارى المسيح وبنو مليح الملائكة رد عليه بقوله صلى الله عليه وسلم ما اجهلك بلغة قومك اما فهمت ان ما لما لا يعقل ولا يعارضه ما روي انه صلى الله عليه وسلم رده بقوله بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك ولا ما روي ان ابن الزبعرى قال هذا شيء لآلهتنا خاصة او لكل من عبد من دون الله

تعالى صلى الله عليه وسلم بل لكل من عبد من دون الله تعالى اذ ليس شيء منهما نصا في عموم كلمة ما كما ان الاول نص في خصوصها دخول حكم النص لا يقتضي شموله بطريق العبارة بل يكفي في ذلك شموله لهم بطريق دلالة النص بجامع الشركة في المعبودية من دون الله فلعله عليه السلام بعد ما بين مدلول النظم الكريم بما ذكر وعدم دخول المذكورين في حكمه بطريق العبارة بين عدم دخولهم فيه بطريق الدلالة ايضا تأكيدا للرد والالزام وتكريرا للتبكيت والافحام لكن لا باعتبار كونهم معبودين لهم كما هو زعمهم فان اخراج بعض المعبودين عن حكم مبني على الغضب على العبدة والمعبودين مما يوهم الرخصة في عبادته في الجملة بل بتحقيق الحق وبيان انهم ليسوا من المعبودية في شيء حتى يتوهم دخولهم في الحكم المذكور دلالة بموجب شركتهم للاصنام في المعبودية من دون الله تعالى وانما معبودهم الشياطين التي امرتهم بعبادتهم كما نطق به قوله تعالى سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الاية فهم الداخلون في الحكم المذكور لشركتهم للاصنام في المعبودية من دونه تعالى دون المذكورين عليهم السلام وهذا هو الوجه في التوفيق بين الاخبار المذكورة واما تعميم كلمة ما لانه عدم السابق والسياق كما يشهد به الذوق السليم والحصب ما يرمى به وتهيج به النار من حصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر للمبالغة انتم لها واردون استئنافا وبدل من حصب جهنم واللام معوضة من على للدلالة على الاختصاص وان ورودهم لاجلها والخطاب لهم ولما يعبدون تغليبا لو كان هؤلاء اي اصنامهم آلهة كما يزعمون ما وردوها وحيث تبين ورودهم اياها تعين امتناع كونها آلهة بالضرورة وهذا كما ترى صريح في ان المراد بما يعبدون هي الاصنام لان الهية الشياطين حتى يحتج بورودها النار على عدم الهيتها واما ما وقع في الحديث الشريف فقد وقع بطريق التكملة بانجرار الكلام اليه عند بيان ما سبق له النظم الكريم بطريق العبارة حين سئل ابن الزبعرى عن حال سائر المعبودين وكان الاقتصار على الجواب الاول مما يوهم الرخصة في عبادتهم في الجملة لانهم المعبودون عندهم اجيب ببيان ان المعبودين هم الشياطين وانهم داخلون في حكم النص لكن بطريق الدلالة لا بطريق العبارة لئلا يلزم التدافع بين الخبرين وكل اي من العبدة والمعبودين فيها خالدون لا خلاص لهم عنها لهم فيها زفير اي انين وتنفس شديد وهو مع كونه من افعال العبدة اضيف الى الكل للتغليب ويجوز ان يكون الضمير للعبدة لعدم الالتباس وكذا في قوله تعالى وهم فيها لا يسمعون اي لا يسمع بعضهم زفير بعض لشدة الهول وفظاعة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم من الكلام ان الذين سبقت لهم منا الحسنى شروع في بيان حال المؤمنين اثر شرح حال الكفرة حسبما جرت به سنة التنزيل من شفع الوعد بالوعيد وايراد الترغيب مع الترهيب اي سبقت لهم منا في التقدير الخصلة الحسنى التي هي احسن الخصال وهي السعادة وقيل التوفيق للطاعة او سبقت لهم كلمتنا بالبشرى بالثواب على الطاعة وهو الاظهر الادخل فيحمل عليه لما ان الاولين مع خفائهما ليسا من مقدورات المكلفين فالجملة مع ما بعدها تفصيل لما اجمل في قوله تعالى فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون كما ان ما قبلها من قوله انكم وما تعبدون من دون الله الخ تفصيل لما اجمل في قوله وحرام الخ اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف والفضل اي اولئك المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل الجليل عنها اي عن جهنم مبعدون لانهم في الجنة وشتان بينها وبين النار وما روي ان عليا رضي الله عنه خطب يوما فقرأ هذه الاية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح رضوان الله عليهم اجمعين ثم اقيمت الصلوة فقام يجر رداءه ويقول لا يسمعون حسيسها ليس بنص في كون الموصول عبارة عن طائفة مخصوصة والحسيس صوت يحس به اي لا يسمعون صوتها سمعا ضعيفا كما هو المعهود عند كون المصوت بعيدا وان كان صوته في غاية الشدة لا انهم لا يسمعون صوتها الخفي في نفسه فقط والجملة بدل من مبعدون او حال من ضميره سيقت للمبالغة في انقاذهم منها وقوله تعالى وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون بيان لفوزهم بالمطالب اثر بيان خلاصهم عن المهالك والمعاطب اي دائمون في غاية التنعم وتقديم الظرف للقصر والاهتمام به انتهى ابو السعود رحمة الله عليه

ولو مع [illegible]

الطومار ملك

على راي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي كطي السجل كائنا للكتب او الكائن للكتب فان الكتب عبارة عن الصحائف
وما كتب فيها فسجلها بعض اجزائها وبه يتعلق الطي حقيقة وقرئ للكتاب وهو اما مصدر واللام للتعليل اي كما يطوى الطومار
للكتابة او اسم كالامام فاللام كما ذكر اولا وقيل السجل اسم ملك يطوي كتب الاعمال بني آدم اذا رفعت اليه وقيل هو
كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بدانا اول خلق نعيده اي نعيد ما خلقناه مبتدا اعادة مثل بدئنا اياه في كونها ايجادا بعد العدم
او جمعا من الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على المبدا لشمول الامكان الذاتي المصحح
للمقدورية وتناول القدرة لهما على السواء وما كافة او مصدرية واول مفعول لبدانا او لفعل يفسره نعيده
او موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اي نعيد مثل الذي بداناه واول خلق ظرف لبدانا او حال
من ضمير الموصول المحذوف وعدا مصدر مؤكد لفعله وتقرير لنعيده او منتصب به لانه عدة بالاعادة علينا اي علينا
انجازه انا كنا فاعلين كما ذكر لا محالة انتهى ابو السعود

وقال الله تعالى انكم ايها المشركون وما تعبدون من دون الله اي الاصنام وابليس واعوانه وانما قرنوا باصنامهم وغيرها لانهم
كانوا يعتقدون الانتفاع بهم في الاخرة فاذا انعكس الامر فلم يكن شيء ابغض اليهم منهم وقيل فيه زيادة عقوبة لهم روي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما وجلس اليهم
فعرض له النضر ابن الحارث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى افحمه ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم وهو ما يوقد فيها كالحطب انتم لها واردون اي داخلون فيها لو كان هؤلاء الاصنام الهة ما وردوها
اي جهنم وكل فيها خالدون اي لا يخرجون عنها لهم اي للعابدين منهم فيها اي في النار زفير وهو تردد النفس الشديد
الغضب في جوفهم حتى ينتفخ الضلوع كاول صوت الحمار وهم فيها اي في النار لا يسمعون زفيرهم ولا اصواتا لشدة
غليان النار ولما بهم من الالم او يجعل المسامير من نار جهنم في اذانهم او يجعلون في توابيت من نار مغلقة تمنع
السمع فاخبر الوليد بن المغيرة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن الزبعرى للنبي صلى الله عليه وسلم ارايت ما قلت
لقومك انخ اخاص لهم ام عام فقال عام قال اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى المسيح وبنو مليح الملائكة فقال
صلى الله عليه وسلم بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اي الجنة
او السعادة او التوفيق للطاعة كعيسى وعزير عليهما السلام اولئك عنها اي عن النار مبعدون اي منحون
لا يسمعون حسيسها اي الصوت الخفي منها اذا دخلوا الجنة وهم فيما اشتهت اي تمنت انفسهم في الجنة
خالدون اي دائمون لا يحزنهم الفزع الاكبر وهو النفخة الاخيرة او الانصراف الى النار او حين يذبح الموت
على صورة كبش املح بين الجنة والنار وينادى يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت
وتتلقاهم الملائكة عند باب الجنة مهنئين قائلين هذا يومكم الذي كنتم توعدون فيه الجنة والثواب يوم نطوي السماء
ظرف لقوله لا يحزنهم والطي ضد النشر اي يوم نجمع السماء ونطوي هنا قرئ بالنون وبالياء كطي السجل اي الصحيفة
للكتاب اي علي المكتوب قرئ مفردا وجمعا اي للكتب وقيل السجل ملك يطوي كتب بني آدم اذا رفعت اليه
قيل اذا مات الانسان رفع كتابه الى الملك الموكل بالصحف فطواه والكاف كما بدانا اول خلق وهو ايجاده عن عدم
يتعلق بقوله نعيده اي نرد اول الخلق كما اوجدناه عن عدم يعني نعيده عوده مثل بدائه عند البعث
عن عدم اشارة الى تبديل السماء في الاخرة والى استواء قدرته في تناولها للابداء والاعادة قيل يمطر السماء
اربعين يوما كمني الرجال فينبتون به وعدا علينا تاكيد لنعيده اي وعدنا وعدا بالاعادة صدقا لا خلف فيه
انا كنا فاعلين اي باعثين الخلق بعد الموت قال عليه السلام انكم تحشرون يوم القيمة عراة حفاة غرلا بهما اي ليس معهم شيء
انتهى العيون

لا يحزنهم الفزع الاكبر اي النفخة الاخيرة وتتلقاهم
الملائكة اي تستقبلهم الملائكة مهنئين على ابواب
تقولون هذا يومكم الذي كنتم توعدون اي هذا
وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم في الدنيا يوم نطوي
السماء لا يحزنهم او تتلقاهم وطيها تكوير نجومها و
محو رسومها او ضد النشر اي نجمعها ونطويها كطي
السجل اي الصحيفة للكتب حمزة وعلي وحفص
اي للمكتوبات اي لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة
وغيرهم للكتاب اي كما يطوى الطومار للكتابة
وقيل السجل ملك يطوي كتب بني آدم اذا
رفعت اليه وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه
وسلم والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها
والطي مضاف الى الفاعل وعلى الاول الى المفعول كما بدانا
اول خلق نعيده انتصب الكاف بفعل مضمر يفسره
نعيده وما موصولة اي نعيد مثل الذي بداناه
نعيده واول خلق ظرف لبدانا اي اول ما
خلق او حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ
الثابت في المعنى واول الخلق ايجاده اي فكما اوجده
اولا نعيده ثانيا تشبيها للاعادة بالابداء في تناول
القدرة لهما على السواء والتنكير في خلق مثله في
قولك هو اول رجل جاءني تريد اول الرجال
ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا
بعد رجل وعدا مصدر مؤكد لان قوله نعيده
عدة للاعادة علينا اي وعدا كائنا لا محالة
انا كنا فاعلين اي محققين هذا الوعد فاستعدوا له وقدموا صالح الاعمال للخلاص من هذه الاهوال
انتهى المدارك

لا يحزنهم الفزع الاكبر اي النفخة الاخيرة لقوله تعالى يوم ينفخ في الصور
ففزع من في السموات ومن في الارض وتتلقاهم الملائكة اي تستقبلهم
مهنئين هذا يومكم الذي يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول الذي
كنتم توعدون توعدونه في الدنيا والعامل في يوم نطوي السماء
تتلقاهم او الفزع او لا يحزنهم والطي ضد النشر او المحو من قولك
اطو عني هذا الحديث كطي السجل للكتب طيا كطي الطومار
لاجل الكتابة او لما يكتب او كتب فيه ويؤيده القراءة على الجمع
اي المعاني الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل ملك يطوي كتب
الاعمال اذا رفعت اليه وفيه ان حق التشبيه ان يكون بالمعهود
المعروف وطي ذلك الملك لم يعرف الا من هذا الكلام وقيل
كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه انه ليس لطيه خصوصية
زائدة وتخصص التشبيه به يقتضي ذلك وقرئ السجل كالدلو
والسجل كالعتل وهما لغتان فيه كما بدانا اول خلق نعيده اول خلق
مفعول بدانا وتحل الكاف النصب على المصدر وما كافة او مصدرية
اي مثل ما بدانا اول خلق نعيده او مفعول نعيد مضمر يفسره
نعيده اي نعيد اول خلق كما بدانا ويجوز ان يكون الكاف
منصوبة بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة واول خلق
نصب على الظرف ابدانا او نصب على الحال من ضمير الموصول المحذوف
المقدر في بدانا اي نعيد مثل الذي بداناه نعيده في اول خلقنا اياه
او حال كونه اول خلق شبهت الاعادة بالابداء في تعلق القدرة
بهما على السواء والمراد اثبات صحة الاعادة بالقياس على الابداء
لشمول الامكان الذاتي المصحح للمقدورية لهما اي كما ان الاول ايجاده
عن عدم نعيده ثانيا عن عدم وانما وحد خلق ونكر ليفيد تفصيلهم
واحدا واحدا والمعنى اول الخلائق كما تقول اول رجل جاءني بمعنى
اول الرجال وانما نكرت ووحدت ليفيد تفصيلهم رجلا رجلا
وعدا مصدر مؤكد لان قوله نعيده عدة للاعادة علينا اي علينا
انجازه انا كنا فاعلين في الازل على ان نفعل ذلك لا محالة او قادرين
على ان نفعل ذلك هذا تحرير ما قالوا والذي يظهر لي ان الخلق بمعنى
المخلوق وتقييده بالاول لاخراج المخلوق ثانيا وهو الروح عن
متناول الكلام لانه في اعادة البدن وهو المخلوق اولا لقوله تعالى
ثم انشاناه خلقا اخر الاية فتدبر انتهى ابو الكمال

لا يحزنهم الفزع الاكبر بيان لنجاتهم من الافزاع بالكلية بعد بيان نجاتهم من النار لانهم اذا لم يحزنهم اكبر الافزاع لا يحزنهم ما عداه
... مروي عن الحسن رضي الله عنه انه الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين يذبح الموت في صورة كبش املح
... النفخة الاخيرة لقوله تعالى ففزع من في السموات ومن في الارض وليس بذاك فان الامن من ذلك الفزع من استثناه الله
... الا من شاء الله لا لجميع المؤمنين الموصوفين بالاعمال الصالحة على ان الاكثرين على ان ذلك في النفخة الاولى دون الاخيرة
... السابقة في سورة النمل وتتلقاهم الملائكة اي تستقبلهم مهنئين لهم هذا يومكم على ارادة القول اي قائلين هذا اليوم يومكم الذي
... كنتم توعدون في الدنيا وتبشرون بما فيه من فنون المثوبات على الايمان والطاعات وهذا كما ترى صريح في ان المراد بالذين سبقت
... لهم الحسنى كافة المؤمنين الموصوفين بالايمان والاعمال الصالحة لا من ذكر من المسيح وعزير والملائكة عليهم السلام خاصة كما قيل يوم نطوي السماء
... من العظم منصوب باذكر وقيل ظرف لقوله تعالى لا يحزنهم الفزع وقيل لتتلقاهم وقيل حال مقدرة من العائد المحذوف في توعدون والطي
... ضد النشر وقيل المحو وقرئ يطوى بالياء والتاء والبناء للمفعول كطي السجل وهي الصحيفة اي طيا كطي الطومار وقرئ السجل كالعتل
... او بالكسر والسجل على وزن العتل وهما لغتان واللام في قوله تعالى للكتب متعلقة بمحذوف هو حال من السجل او صفة له ٥

ولقد كتبنا في الزبور في كتاب داود عليه السلام من بعد الذكر اي التورية ان الارض ارض الجنة او الارض المقدسة يرثها عبادي الصالحون عامة المؤمنين او امة محمد صلى الله عليه وسلم ان في هذا فيما ذكر من الاخبار والمواعظ والمواعيد لبلاغا لكفاية او لسبب بلوغ الى البغية لقوم عابدين همهم العبادة دون العادة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين لانه جاء بما يسعدهم في الدارين ويصلح معاشهم ومعادهم واز دياد كفر بعضهم بسببه انما هو من عند انفسهم وعنادهم لا منه وقيل كونه رحمة للكفار امنهم به من عذاب الاستيصال والمسخ والخسف وتاخير عقوبتهم قل انما يوحي الي ما في انما كافة ويجوز ان يكون موصولة بمعنى ان الذي يوحي الي انما هو الهكم اله واحد لان المقصود الاصلي من بعثته مقصور على التوحيد فهل انتم مسلمون مخلصون العبادة لله تعالى على مقتضى الوحي المصدق بالحجة والتوحيد مما يصح اثباته بالسمع ابو الكارم

ولقد كتبنا في الزبور كتاب داود عليه السلام من بعد الذكر التورية ان الارض اي ارض الجنة يرثها عبادي الصالحون امة محمد صلى الله عليه وسلم او الزبور بمعنى المزبور اي المكتوب يعني ما انزل على الانبياء من الكتب والذكر ام الكتاب يعني اللوح لان الكل اخذ منه والارض ارض الجنة ان في هذا القران او في المذكور في هذه السورة من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ لبلاغا لكفاية واصله ما يبلغ به البغية لقوم عابدين موحدين وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم وما ارسلناك الا رحمة قال صلى الله عليه وسلم انما انا رحمة مهداة للعالمين لانه جاء بما يسعدهم ان اتبعوه ومن لم يتبع فانما اتى من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها وقيل هو رحمة للمؤمن في الدارين وللكافر في الدنيا بتاخير العقوبة منها وقيل هو رحمة للمؤمنين والكافرين في الدنيا بتاخير العذاب والاستيصال والمسخ والخسف ورحمة مفعول له او حال اي ذا رحمة قل انما انما لقصر الحكم على شيء او لقصر الشيء على حكم نحو انما زيد قائم او انما يقوم زيد وفاعل يوحي الي انما الهكم اله واحد والتقدير يوحي الي وحدانية الهي ويجوز ان يكون المعنى ان الذي يوحى الي فيكون ما موصولة فهل انتم مسلمون استفهام بمعنى الامر اي اسلموا

وانما اجتمعا هنا للدلالة على ان الوحي الى الرسول صلى الله عليه وسلم مقصور على استيثار الله تعالى بالوحدانية ثم امر الناس بالتوحيد الحاصل من جهة الوحي بقوله فهل انتم مسلمون اي مخلصون بالتوحيد الحاصل من جهة الوحي بقوله فهل انتم مسلمون اي مخلصون بالتوحيد يعني اسلموا له فان تولوا اي ان اعرضوا عن التوحيد فقل اذنتكم اي اعلمتكم بالحرب على سواء بيني وبينكم لتستووا في العلم اذ ليس الغدر من شيم الانبياء. وان ادري اي ما ادري اقريب ام بعيد ما توعدون من نزول العذاب بكم في الدنيا لان الله تعالى لم يعلمني علمه ولم يطلعني عليه وقيل ما توعدون رفع بانه فاعل قريب سد مسد الخبر انه اي ان الله تعالى يعلم الجهر من القول اي من كلام مكذبي القران وطاعني الاسلام ويعلم كذلك ما تكتمون اي ما تسرون في صدوركم من الطعن والحقد للمسلمين وهو يجازيكم عليه وان اي ما ادري لعله اي لعل تاخير العذاب عنكم في الدنيا فتنة لكم اي بلية قيل نزل حين قالوا لو كان التوحيد حقا لنزل بنا العذاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اعلم متى يحل لكم العذاب ولعل تاخيره بلاء لكم لينظر كيف تعملون ومتاع اي تمتيع وتبليغ لكم الى حين اي الى انقضاء اجالكم ليكون ذلك حجة عليكم قل وقرئ قال رب احكم اخبارا اي قال النبي صلى الله عليه وسلم يا رب افصل بيني وبين مكذبي بالحق اي بالعذاب او بالعدل او بالنصر لانه كان قد وعدنا بالنصر ووعده تعالى حق فعذبوا ببدر ونصر عليهم وربنا الرحمن اي العاطف على خلقه بالرزق المستعان اي الذي يستعان به على ما تصفون بالتاء والياء. اي تقولون من الشرك ونسبة الولد اليه تعالى يعني يطلب منه العون والنصرة على اهلاكهم بسبب وصفهم اياه بالا يليق به تعالى
انتهى العيون للشيخ الامام السهروردي البكري رحمهم الله

ولقد كتبنا في الزبور هو كتاب داود عليه السلام وقيل هو اسم لجنس ما انزل على الانبياء عليهم السلام من بعد الذكر اي التورية وقيل اللوح المحفوظ اي وبالله لقد كتبنا في كتاب داود بعد ما كتبنا في التورية او كتبنا في جميع الكتب المنزلة بعد ما كتبنا واثبتنا في اللوح المحفوظ ان الارض يرثها عبادي الصالحون اي عامة المؤمنين بعد اجلاء الكفار وهذا وعد منه تعالى باظهار الدين واعزاز اهله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد ارض الجنة كما ينبئ عنه قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء. وقيل الارض المقدسة يرثها امة محمد صلى الله عليه وسلم ان في هذا اي فيما ذكر في السورة الكريمة من الاخبار والمواعظ البالغة والوعد والوعيد والبراهين القاطعة الدالة على التوحيد وصحة النبوة لبلاغا اي لكفاية او لسبب بلوغ الى البغية لقوم عابدين اي لقوم همهم العبادة دون العادة وما ارسلناك بما ذكر وبامثاله من الشرائع والاحكام وغير ذلك من الامور التي هي مناط لسعادة الدارين الا رحمة للعالمين في حيز النصب على انه استثناء من اعم الاحوال اي وما ارسلناك بما ذكر لعلة من العلل الا لرحمتنا الواسعة للعالمين كافة او ما ارسلناك في حال من الاحوال الا حال كونك رحمة لهم فان ما بعثت به سبب لسعادة الدارين ومنشأ لانتظام مصالحهم في النشأتين ومن لم يغتنم مغانم اثاره فانما فرط في نفسه وحرمه حقه لا انه تعالى حرمه مما يسعده وقيل كونه رحمة في حق الكفار امنهم من الخسف والمسخ والاستيصال حسبما ينطق به قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم قل انما يوحي الي انما الهكم اله واحد اي ما يوحي الي الا انه لا اله لكم الا اله واحد لانه المقصود الاصلي من البعثة واما ما عداه فمن الاحكام المتفرعة عليه فانما الاولى لقصر الحكم على الشيء كقولك انما يقوم زيد اي ما يقوم الا زيد والثانية لقصر الشيء على الحكم كقولك انما زيد قائم اي ليس له الا صفة القيام فهل انتم مسلمون اي مخلصون العبادة لله تعالى مختصون لها به تعالى والفاء للدلالة على ان ما قبلها موجب لما بعدها وفيه دلالة على ان صفة الوحدانية يصح ان يكون طريقها السمع انتهى ابو السعود رحمه الله

ولقد كتبنا في الزبور بفتح الزاء وهو زبور داود عليه السلام او المراد الجنس اي جميع الكتب المنزلة من السماء من بعد الذكر اي بعد التورية او بعد اللوح المحفوظ لان الكل اخذت منه ان الارض اي ارض الجنة او ارض الدنيا يرثها عبادي الصالحون يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وامته يفتحون ارض الكفار ويدخلون الجنة ان في هذا القران لبلاغا اي لكفاية لقوم عابدين اي عاملين بالتوحيد وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم وما ارسلناك اي ما بعثناك يا محمد الا رحمة للعالمين اي للمؤمنين حيث هداهم الى طريق الجنة وللكافرين بتاخير العذاب عنهم استيصالا قل يا محمد لمشركي قريش انما يوحى الي انما الهكم اله واحد فيه قصران قصر الحكم على شيء وقصر الشيء على حكم وانما

فان تولوا عن الاسلام فقل آذنتكم اعلمتكم ما امرت به على
سواء حال اي مستوين في الاعلام به ولم اخصص بعضكم
وفيه دليل بطلان مذهب الباطنية وان ادري اقريب
ام بعيد ما توعدون اي لا ادري متى يكون يوم القيمة
لان الله تعالى لم يطلعني عليه ولكني اعلم بانه كائن
لا محالة او لا ادري متى يحل بكم العذاب ان لم تؤمنوا
انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون اي انه عالم بكل
شي يعلم ما تجاهرونه به من الطعن في الاسلام وما
تكتمونه في صدوركم من الاحقاد للمسلمين وهو مجازيكم
عليه وان ادري لعله فتنة لكم وما ادري لعل
تاخير العذاب عنكم في الدنيا امتحان لكم لينظر كيف تعملون
ومتاع الى حين وتمتيع لكم الى الموت ليكون ذلك حجة
عليكم قل رب احكم بالحق اقض بيننا وبين اهل مكة
بالعدل او بما يحق عليهم من العذاب ولا تحابهم وتشدد
عليهم كما قال واشدد وطاتك على مضر ● قال رب
حفص على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ● رب
احكم يزيد ● ربي احكم زيد عن يعقوب وربنا الرحمن
العاطف على خلقه المستعان المطلوب منه المعونة
على ما تصفون وعن ابن ذكوان بالياء كانوا يصفون
الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون ان يكون
لهم الشوكة والغلبة فكذب الله تعالى ظنونهم وخيب
آمالهم ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وخذلهم

فان قيل كيف قال احكم بالحق والله تعالى لا يحكم الا
بالحق قيل الحق هنا بمعنى العذاب كانه استعجل العذاب
لقومه فعذبوا يوم بدر وقال اهل المعاني معناه رب احكم
بحكمك الحق فحذف الحكم واقيم الحق مقامه والله يحكم بالحق
طلب او لم يطلب ومعنى الطلب ظهور الرغبة من الطالب
في حكمه الحق انتهى ما في المعالم للامام البغوي رحمه الله

قوله تعالى قل رب احكم بالحق يشير الى ان لا يطلب من الله
ولا يطمع في حق المطيع والعاصي الا ما هو مستحقه وقد
جرى حكم الله تعالى في الازل وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون
يشير الى ان رحمته تعالى غير متناهية وهو مستعان به في طلب
الرحمة على اهل الحق والباطل الموصوفين بها ملخص

فان تولوا واعرضوا عن التوحيد فقل آذنتكم آذان من اذنه
اذا علم لكنه شاع استعماله في الانذار اي اعلمتكم ما امرت به
او حربي لكم على سواء نعت على الكل من الحاطبين اي مستوين
في الاعلام به او مستوين انا وانتم في العلم بما اعلمتكم وفي المعاداة
او صفة مصدر محذوف اي انذارا على سواء وقيل اعلمتكم واني
على سواء اي عدل واستقامة راي بالبرهان النير وان ادري
وما ادري اقريب ام بعيد ما توعدون ما توعدونه من غلبة
المسلمين او من الحشر لكنه كائن لا محالة انه يعلم الجهر من القول
اي ما تجاهرون به من الطعن في الاسلام ويعلم ما تكتمون
وما تكتمونه من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه وان ادري
لعله فتنة لكم وما ادري لعل تاخير هذا الموعد افتنان لكم و
استدراج لكم وامتحان لينظر كيف تعملون ومتاع وتمتيع واستدراج لكم
الى حين ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الموعد به في وقت قدره
فيه بمقتضى حكمته قال رب احكم بالحق اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل
او بما يستحق العذاب فعذبوا ببدر وكان ذلك مقتضى العدل
وربنا الرحمن الرحمة على خلقه المستعان المطلوب منه المعونة على
ما تصفون ما تصفونه من الحال بان الشوكة تكون لهم وان راية
الاسلام تخفق اياما ثم تسكن فخيب الله تعالى آمالهم وكذب ظنونهم
ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عليهم انتهى بيضاوي
ونصرهم

فان تولوا عن الاسلام ولم يلتفتوا الى ما يوجبه من الوحي فقل لهم
آذنتكم اي اعلمتكم ما امرت به او حربي لكم على سواء كاينين على سواء
في الاعلام به لم اطوه عن احد منكم او مستوين به انا وانتم في العلم
بما اعلمتكم به او في المعاداة او ايذانا على سواء وقيل
اعلمتكم اني على سواء اي عدل واستقامة راي بالبرهان النير
للاذكر
وان ادري اي وما ادري اقريب ام بعيد ما توعدون
من غلبة المسلمين وظهور الدين او الحشر مع كونه آتيا لا محالة
انه يعلم الجهر من القول اي ما تجاهرون به من الطعن في
الاسلام وتكذيب الآيات التي من جملتها ما نطق بمجي الموعود
ويعلم ما تكتمون من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم
عليه نقيرا وقطميرا وان ادري لعله فتنة لكم اي ما ادري
لعل تاخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم او
امتحان لكم لينظر كيف تعملون ومتاع الى حين اي وتمتيع لكم
الى اجل مقدر تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة ليكون ذلك
عليكم قال رب احكم بالحق حكاية لدعائه صلى الله عليه وسلم ● وقرئ قل رب على صيغة الامر اي اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضي
لتعجيل العذاب والتشديد عليهم وقد استجيب دعاؤه صلى الله عليه وسلم حيث عذبوا ببدر اي تعذيب ● وقرئ رب احكم بضم الباء ● وربي احكم
على صيغة التفضيل وربي احكم من الاحكام وربنا الرحمن مبتدا وخبر اي كثير الرحمة على عباده ● وقوله المستعان اي المطلوب منه المعونة
خبر للمبتدا واضافة الرب فيما سبق الى ضميره عليه السلام لما ان الدعاء من الوظائف الخاصة به عليه السلام كما ان اضافته هنا الى ضمير الجمع المنتظم
للمؤمنين ايضا لما ان الاستعانة من الوظائف العامة لهم على ما تصفون من الحال فانهم كانوا يقولون ان الشوكة تكون لهم ٥

٥ وان راية الاسلام تخفق ثم تركد وان المتوعد به لو كان حقا لنزل بهم الى غير ذلك مما لا خير فيه فاستجاب الله تعالى
دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم فخيب آمالهم وغير احوالهم ونصر اولياءه عليهم فاصابهم يوم بدر ما اصابهم ● ولا
اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله ● وقرئ يصفون بالياء التحتانية ● عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا اقترب
حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن انتهى ابو السعود رحمه الله تعالى رحمة واسعة

سورة الحج مكية سبعون وثمانية آيات

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الناس اتقوا ربكم أمر بني آدم بالتقوى ثم علل أمرهم به بفظاعة الساعة حيث قال إن زلزلة الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا أنه لا يؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التورع والتردي برداء التقوى ويبقوا على أنفسهم ويتقوها عن الردى بملازمة التقوى والزلزلة شدة التحريك والإزعاج وإن يضاعف زليل الأشياء عن مقارها ومراكزها وإضافتها إلى الساعة إضافة المصدر إلى الفاعل على التجوز في الإسناد كأنها هي التي تزلزل الأشياء أو إلى الظرف على إجرائه مجرى المفعول به أو بتقدير في كقوله بل مكر الليل والنهار وهذه الزلزلة هي المذكورة في قوله إذا زلزلت الأرض زلزالها عن الحسن إنها تكون يوم القيمة وعن علقمة والشعبي عند طلوع الشمس من مغربها وإضافتها إلى الساعة لأنها من أشراطها شيء عظيم لما وصفها بالعظم وأبهم تعظيما بأنها شيء لا يكتنه كنه عظمته أخذ في تصوير هولها بصورة منكرة فليس الكرامة من قوله يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها ذهول المرضعة ووضع الجنين من شدة الهول هذا على القول الأول والضمير للزلزلة ويوم منصوب بتذهل وقرئ تذهل معروفا ومجهولا أي تذهلها الزلزلة من الذهول وهو الذهاب عن الأمر دهشة وحيرة لا من الذهل لأنه بمعنى السلو قال الشاعر صحا قلبه يا عزّ أو كاد يذهل وما مصدرية أو موصولة والمرضعة هي التي تكون في حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع وأما الحمل على القول الثاني وعليه الجمهور أن هولها بحيث إذا فوجئت به التي ألقمت الرضيع ثديها انتزعته من فيه وذهلت عنه دهشة ولقد أحسن من قال تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها بغير تمام وترى وتظن الناس سكارى حقيقة لا على التشبيه وما هم بسكارى في الواقع ولكن عذاب الله شديد ذهب بعقولهم شدته وطير تمييزهم بهوله فجعلهم بحيث لا يفرق بينهم وبين من يذهب السكر بعقله وتمييزه وإنما جمع في أول الرؤية أولا وأفرد ثانيا لأن الأولى علقت بالزلزلة والزلزلة يراها الناس كلهم والثانية علقت بكون الناس على حال السكر فلا بد أن يجعل كل واحد منهم رائيا لأثر السكر على صاحبه وقرئ ترى بالضم ونصب الناس من أريتك قائما أو رأيتك قائما ورفعه على إسنادها وترى إليهم على تأويل الجماعة وسكارى حال وقرئ سكرى كعطشى إجراء للسكرى مجرى العلل انتهى كلامه وروي عن عمران بن حصين وابن سعيد الخدري رضي الله عنهما أن هاتين الآيتين نزلتا في غزوة بني المصطلق ليلا فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحثوا المطي حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم فلم ير أكثر باكيا من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا قدرا والناس بين باك وجالس حزين متفكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون أي يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذاك يوم يقول الله عز وجل لآدم قم فابعث انتهى الكلام

يعني الشيخ البصري كذا ... [illegible]

سورة الحج خمسة وسبعون آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس اتقوا ربكم أمر بني آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها بأهول صفة بقوله إن زلزلة الساعة شيء عظيم لينظروا إلى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يحملوا على أنفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما أمرهم به ربهم من التردي بلباس التقوى الذي يؤمنهم من تلك الأفزاع والزلزلة شدة التحريك والإزعاج وإضافة الزلزلة إلى الساعة إضافة المصدر إلى فاعله كأنها هي التي تزلزل الأرض على المجاز الحكمي أو إلى الظرف لأنها تكون فيها كقوله بل مكر الليل والنهار ووقتها يكون يوم القيمة أو عند طلوع الشمس ولا حجة فيه للمعتزلة في تسمية المعدوم شيئا فإن هذا اسم لها حال وجودها وانتصب يوم ترونها أي الزلزلة أو الساعة بقوله تذهل تغفل والذهول الغفلة كل مرضعة عما أرضعت عن إرضاعها أو عن الذي أرضعته وهو الطفل وقيل مرضعة ليدل على أن ذلك الهول إذا حدث وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة إذ المرضعة هي التي في حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضعة التي شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به وتضع كل ذات حمل حملها أي حبلى ولدها قبل تمامه عن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها بغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها بغير تمام وترى الناس أيها الناظر سكارى على التشبيه لما شاهدوا بساط العزة وسلطنة الجبروت وسرادقات الكبرياء حتى قال كل نبي نفسي نفسي وما هم بسكارى على التحقيق ولكن عذاب الله شديد فخوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وردهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه وعن الحسن وترى الناس سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب وروي أنه نزلت الآيتان ليلا في غزوة بني المصطلق فقرأهما النبي صلى الله عليه وسلم فلم ير أكثر باكيا من تلك الليلة انتهى المدارك

أي كل امرأة معها ولد ترضعه يقال امرأة مرضع بلا هاء إذا أريد به الصفة مثل حائض وحامل فإذا أرادوا الفعل أدخلوها الهاء معالم

سورة الحج كلها مكية في رواية بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الناس اتقوا ربكم الآيتين نزلتا ليلا في غزوة بني المصطلق فقرأهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير باكيا أكثر من تلك الليلة من شدة الخوف أي احذروا عقابه وأطيعوا أمره ثم حث على التقوى بقوله إن زلزلة الساعة شيء عظيم أي لا يوصف لعظمته والزلزلة التحرك الشديد بإزعاج وإضافتها إما إلى الفاعل فالساعة محرك الأشياء أو إلى الظرف فالأشياء تتحرك في الساعة قيل هي إما في الدنيا أو في الآخرة وإنما وصفها بأكمل صفة ليتصوروها بعقولهم فيزدادوا بالتقوى يوم ترونها أي تبصرون الزلزلة فجعل الناس جميعهم رائين لها لأن الرؤية تعلقت بالزلزلة فتعم الرؤية ونصب الظرف بقوله تذهل أي تغفل وتتحير كل مرضعة عما أرضعت عن الولد فتترك إرضاعه في حال كون ثديها في فم الولد لشدة الأمر ولم يقل مرضع ليدل على حال الإرضاع بالتاء إذ المرضع هي التي من شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع ومحل تذهل نصب على الحال من المفعول وتضع كل ذات حمل حملها أي ولدها قبل تمامه خوفا وهذا يدل على أن الزلزلة في الدنيا ومن قال هي يوم القيمة جعل ذلك فرضا تهويلا لشأن الساعة قيل ينادي ملك من السماء يا أيها الناس أتى أمر الله فيسمع الصوت أهل الأرض جميعا وذلك قبل النفخة الأولى فتزلزلت الأرض وطارت القلوب وتضع الحوامل ما في بطونها وترى الناس خطاب لكل واحد منهم من غير تعيين لأن الرؤية تعلقت بكون الناس على حال السكر فلا بد أن يجعل كل منهم رائيا لسائرهم أي تراهم سكارى من الخوف وما هم بسكارى وقرئ سكرى فيهما أي ما هم بسكرى حقيقة بشراب بل لما شاهدوا من بساط العزة وسلطان الجبروت حتى إلجاء النبيين إلى أن قالوا نفسي نفسي فتراهم كالسكرى من شدة الخوف يدل عليه قوله ولكن عذاب الله شديد في ذلك اليوم انتهى العيون

وقال الحسن البصري معناه وترى الناس سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب ومن قال تكون في القيمة قال هذا
على وجه تعظيم الامر لا على حقيقته كقولهم اصابنا امر يشيب فيه الوليد يريد به شدته عن ابي صالح عن ابي سعيد قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يوم القيمة يا آدم قم فابعث بعث النار قال فيقول لبيك وسعديك والخير في
يديك يا رب وما بعث النار فيقول من كل الف تسعماية وتسعة وتسعين فقال حينئذ يشيب المولود وتضع كل ذات حمل
حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد قال فيقولون واينا ذلك الواحد فقال صلى الله عليه وسلم
تسعماية وتسعة وتسعون من ياجوج وماجوج ومنكم واحد قال فقال الناس الله اكبر فقال صلى الله عليه وسلم والله
اني لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة والله اني لارجو ان تكونوا نصف اهل الجنة وان اهل الجنة مائة وعشرون صفا
ثمانون منها امتي قال فكبر الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انتم يومئذ في الناس الا كالشعرة البيضاء في الثور الاسود
او الشعرة السوداء في الثور الابيض من المعالم اي الراوي

سورة الحج مكية غير ست آيات وهي هذان خصمان الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس اتقوا ربكم خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم بعد من الموجودين القاصرين
عن رتبة التكليف والحادثين بعد ذلك الى يوم القيمة وان كانت خطابات التنزيل خاصة بالفريق الاول على الوجه الذي
مر في مطلع سورة النساء • ولفظ الناس ينتظم الذكور والاناث حقيقة • واما صيغة جمع المذكر فواردة على نهج
التغليب لعدم تناولها للاناث حقيقة الا عند الحنابلة • والمامور به مطلق التقوى الذي هو التجنب عن كل ما
يؤثم من فعل وترك • ويندرج فيه الايمان بالله واليوم الآخر حسبما ورد به الشرع اندراجا اوليا • والتعرض لعنوان
الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتأييد الامر وتأكيد ايجاب الامتثال به
ترهيبا وترغيبا اي احذروا عقوبة مالك اموركم ومربيكم وقوله تعالى ان زلزلة الساعة شيء عظيم تعليل لموجب
الامر بذكر بعض عقوباته الهائلة فان ملاحظة عظمها وهولها وفظاعة ما هي من مباديه ومقدماته من الاحوال والاهوال
التي لا ملجأ منها سوى التدرع بلباس التقوى مما يوجب مزيد الاعتناء بملابسته وملازمته لا محالة • والزلزلة التحريك
الشديد والازعاج العنيف بطريق التكرير بحيث يزيل الاشياء من مقارها ويخرجها عن مراكزها • واضافتها الى الساعة
اما اضافة المصدر الى فاعله على المجاز الحكمي كانها هي التي تزلزل الاشياء • واضافته الى الظرف اما باجرائه مجرى المفعول به
اتساعا او بتقدير في كما في قوله تعالى بل مكر الليل والنهار • وهي الزلزلة المذكورة في قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها عن الحسن
انها تكون يوم القيمة • عن ابن عباس رضي الله عنهما زلزلة الساعة قيامها • وعن علقمة والشعبي انها قبل طلوع الشمس من مغربها فاضافتها
الى الساعة لكونها من اشراطها • وفي التعبير عنها بالشيء ايذان بان العقول قاصرة عن ادراك كنهها والعبارة ضيقة
لا تحيط بها الا على وجه الابهام • وقوله تعالى يوم ترونها منتصب بما بعده قدم عليه اهتماما به • والضمير للزلزلة اي وقت رؤيتكم اياها
ومشاهدتكم لهولها ومطلعها تذهل كل مرضعة عما ارضعت اي تغفل وتذهب مع دهشة عما هي
بصدد ارضاعه من طفلها الذي القمته ثديها • والتعبير عنه بما دون من لتأكيد الذهول وكونه بحيث لا يخطر ببالها
انه ماذا لا انها تعرف شيئيته لكن لا تدري من هو بخصوصه • وقيل ما مصدرية اي تذهل عن ارضاعها والاول ادل
على شدة الهول وكمال الانزعاج • وقرئ تذهل من الاذهال مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل مع نصب كل اي تذهلها الزلزلة
وتضع كل ذات حمل حملها اي تلقي جنينها لغير تمام كما ان المرضعة تذهل عن ولدها لغير فطام • وهذا ظاهر على قول علقمة والشعبي
واما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما فقد قيل انه تمثيل لتهويل الامر • وفيه ان الامر حينئذ اشد من ذلك واعظم واهول مما وصف
واطم • وقيل ان ذلك يكون عند النفخة الثانية فانهم يقومون على ما صعقوا في النفخة الاولى فتقوم المرضعة على ارضاعها
والحامل على حملها • ولا ريب في ان قيام الناس من قبورهم بعد النفخة الثانية لا قبلها حتى يتصور ما ذكر وترى الناس
بفتح التاء والراء على خطاب كل احد من المخاطبين برؤية الزلزلة والاختلاف بالجمعية والافراد لما ان المرئي في الاول
هي الزلزلة التي يشاهدها الجميع وفي الثاني حال من عدا المخاطب منهم فلا بد من افراد المخاطب على وجه يعم كل واحد منهم
لكن من غير اعتبار اتصافه بتلك الحالة فان المراد بيان تأثير الزلزلة في المرئي باعتبار مشاعره لا ان مداره حيثية
رؤيته للزلزلة لا لغيرها كانه قيل ويصير الناس سكارى الخ وانما اوثر عليه ما في التنزيل للايذان بكمال ظهور
تلك الحالة فيهم وبلوغها من الجلاء الى حد لا يكاد يخفى على احد اي يراهم كل احد سكارى اي كانهم سكارى وما هم بسكارى
حقيقة ولكن عذاب الله شديد فيرهقهم هوله ويطير عقولهم ويسلب تمييزهم فهو الذي جعلهم كما وصفوا وقرئ ترى بضم ٥

٥ التاء وفتح الراء مسندا الى المخاطب من اريتك قائما او رؤيتك قائما والناس منصوب اي تظنهم سكارى
وقرئ برفع الناس على اسناد الفعل المجهول اليه والتأنيث على تأويل الجماعة وقرئ ترى بضم التاء وكسر الراء
اي ترى الزلزلة الخلق جميع الناس سكارى • وقرئ سكرى وبسكرى كعطشى وجرحى اجراء للسكر مجرى العلل

انتهى ابو السعود رحمه الله

من تولاه اى اتخذه وليا وتبعه فانه يضله بالفتح على انه خبر مبتدا محذوف او مبتدا خبره محذوف والجملة جواب الشرط ان جعلت من شرطية وخبرها ان جعلت موصولة متضمنة لمعنى الشرط اى من تولاه فشانه انه يضله من طريق الجنة او طريق الحق او فحق انه يضله قطعا وقيل فانه معطوف على انه وفيه من التعسف ما لا يخفى وقيل وقيل مما لا يخلو عن التمحل والتاويل وقرى بالكسر على انه خبر لمن او جواب لها وقرى بالكسر فيهما على حكاية المكتوب كما هو مثل ما فى قولك كتبت ان الله يامر بالعدل والاحسان او على اضمار القول او تضمين الكتب معناه على راى من يراه ويهديه الى عذاب السعير بحمله على مباشرة ما يؤدى اليه من السيئات يا ايها الناس اثر ما حكى احوال المجادلين بغير علم واشير الى ما يؤول اليه امرهم اقيمت الحجة الدالة على تحقق ما جادلوا فيه من البعث ان كنتم فى ريب من البعث من امكانه وكونه مقدورا له تعالى او من وقوعه وقرى من البعث بالتحريك كالجلب فى الجلب والتعبير عن اعتقادهم فى حقه بالريب مع انهم جازمون باستحالته وايراد كلمة ان الشك مع تقرر حالهم فى ذلك وايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال ان ارتبتم فى البعث قد مر تحقيقه فى تفسير قوله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فانا خلقناكم اى فانظروا الى مبدا خلقكم ليزول ريبكم فانا خلقناكم اى خلقنا كل فرد منكم من تراب فى ضمن خلق آدم منه خلقا اجماليا فان خلق كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام اذ لم تكن فطرته الشريفة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من التراب خلقا للكل منه كما مر تحقيقه مرارا ثم من نطفة اى ثم خلقناكم خلقا تفصيليا من نطفة اى منى من النطف الذى هو الصب ثم من علقة اى قطعة من الدم جامدة متكونة من المنى ثم من مضغة اى قطعة من اللحم متكونة من العلقة وهى فى الاصل مقدار ما يمضغ مخلقة بالجر صفة مضغة اى مستبينة مصورة وغير مخلقة اى لم يستبن خلقها وصورتها بعد والمراد تفصيل حال المضغة وكونها اولا قطعة لم يظهر فيها شئ من الاعضاء ثم ظهرت بعد ذلك شيئا فشيئا وكان مقتضى الترتيب السابق المبنى على التدرج من المبادى البعيدة الى القريبة ان يقدم غير المخلقة على المخلقة وانما اخرت عنها لانها عدم الملكة هذا وقد فسرتا بالمسواة وغير المسواة وبالتامة والساقطة وليس بذاك فان فى جعل كل واحدة من هذه المراتب مبدا لخلقهم لا لخلق ما بعدها من المراتب كما فى قوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة الآية مزيد دلالة على عظم قدرته تعالى وكمال سهولة استبعادهم لنبين لكم متعلق بخلقنا وترك المفعول لتفخيمه كما اى خلقناكم على هذا النمط البديع لنبين لكم بذلك ما لا تحصره العبارة من الحقائق والدقائق التى من جملتها سر البعث فان من تامل فيما ذكر من الخلق التدريجى تاملا حقيقا جزم جزما ضروريا بان من قدر على خلق البشر اولا من تراب لم يشم رائحة الحيوة قط وانشائه على وجه مصحح لتوليد مثله مرة بعد اخرى بتصريفه فى اطوار الخلقة وتحويله من حال الى حال مع ما بين تلك الاطوار والاحوال من المخالفة والتباين فهو قادر على اعادته بل هو اهون فى القياس نظرا الى الفاعل والقابل وقرى ليبين بطريق الالتفات

وقوله تعالى

ومن الناس من يجادل اى يخاصم نزل فى شان النضر بن الحارث وجداله بالباطل فى الله اى فى توحيده وكلامه بغير علم اى بغير حجة ويتبع كل شيطان مريد اى عات متمرد فى الشر كتب عليه اى قضى على الشيطان انه من تولاه اى اتخذه وليا وتبعه فانه يضله اى فشانه اضلاله عن الهدى ويهديه اى يدعوه الى عذاب السعير اى عمل اهل النار فقوله انه بالفتح فاعل قائم مقام الفاعل لكتب وقوله فانه بالفتح جواب الشرط وهو مؤمن يا ايها الناس اى يا كفار مكة ان كنتم فى ريب من البعث بعد الموت فانظروا الى ابتداء خلقكم فانا خلقناكم من تراب يعنى من آدم ثم من نطفة اى من المنى ثم من علقة اى من دم غليظ ثم من مضغة اى مثل قطعة لحم مخلقة اى مسواة الخلق منفوخة الروح وغير مخلقة اى غير مسواة الخلق كالسقط لنبين لكم اى خلقناكم بهذا التنقل لنظهر لكم قدرتنا على الخلق شيئا فشيئا انتهى العيون

ومن الناس من يجادل فى الله فى دين الله بغير علم حال نزلت فى نضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين والله غير قادر على احياء من بلى وهى عامة فى كل من يخاصم فى الدين بالهوى ويتبع فى ذلك كل شيطان مريد عات مستمر فى الشر وكذا وقف على مريد لان ما بعده صفة كتب عليه قضى على الشيطان انه ان امره الشان من فاعل كتب من تولاه تبعه اى تبع الشيطان فانه اى الشيطان يضله عن سواء السبيل ويهديه الى عذاب السعير النار الموقدة يا ايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث الزام الحجة على منكرى البعث بمعناه ان ارتبتم فى البعث فمزيل ريبكم ان تنظروا فى بدء خلقكم وقد كنتم فى الابتداء ترابا وماء وليس سبب انكاركم البعث الا هذا وهو صيرورة الخلق ترابا وماء فانا خلقناكم اى اباءكم من تراب ثم خلقكم من نطفة ثم من علقة اى قطعة دم جامد ثم من مضغة اى لحمة صغيرة قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة الخلقة المسواة الملساء من النقصان والعيب كان الله عز وجل يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة املس من العيوب ومنها على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس فى خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم وانما نقلناكم من حال الى حال ومن خلقة الى خلقة لنبين لكم بهذا التدريج كمال قدرتنا وحكمتنا وان من قدر على خلق البشر من تراب اولا ثم من نطفة ثانيا ولا تناسب بين التراب والماء وقدر على ان يجعل النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما قدر على اعادة ما ابداه انتهى المدارك

ومن الناس لا يخفى ما فى هذا التعبير من التحقير شانه حيث نزله بمنزلة من احتاج الى الاخبار عنه بانه من جنس الانس من يجادل يخاصم خصومة شديدة فى الله بغير علم نزلت فى النضر بن الحارث وكان يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت وهى عامة فى كل مجادل لا يرجع الى علم ويتبع كل شيطان مريد فى جداله وسيرته والمريد المتجرد للفساد كتب عليه على الشيطان انه الضمير للشان من تولاه اى جعله وليا وتبعه وقرى انه بالكسر على حكاية المكتوب او اضمار القول او تضمين الكتب معناه فانه يضله خبر لمن او جواب له ويهديه الى عذاب السعير ولا يحصل من ولايته الا الضلال عن طريق الحق او الجنة والهداية الى عذاب السعير باغوائه واغرائه الى ما يؤدى اليه وحمله عليه اى يلزمه ذلك كانه كتب عليه اضلال من يتولاه لانه مجبول عليه وقرى فانه بالفتح على انه مبتدا محذوف الخبر اى فحق انه يضله او خبر مبتدا محذوف اى فشانه انه يضله ولا وجه للعطف الا ان يجعل الضمير لا يجادل ومن تولاه خبر ان وجاز على هذا ان يكون الضمير فى عليه له ايضا يا ايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث من امكانه وكونه مقدورا وقرى من البعث بالتحريك كالجلب والطرد وتنوين ريب للتحقير والتعليل ولذلك جى بكلمة الشك اى ان صح دليله فانه بقى فيكم ادنى ريب فالنظر فى بدء خلقكم يزيله فانا خلقناكم من تراب بخلق آدم منه او من الاغذية المتكونة منه ثم من نطفة وهى الماء القليل من النطف وهو الصب والمراد المنى ثم من علقة قطعة من الدم الجامد ثم من مضغة وهى اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ مخلقة يقال خلق العود اذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء اذا كانت ملساء وغير مخلقة اى مسواة وغير مسواة كان الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة فى التسوية والتعديل فيتبع ذلك تفاوت الناس فى الصورة والقامة والشكل والتمام والنقص او مصورة وغير مصورة او تامة وساقطة لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان من قدر على تغييره وتصويره اولا قدر على ذلك ثانيا بل هذا اضعف عند العقل وادخل فى المقدورية والملاحظ لتبيين غير متعد الى مفعول ايذانا الى ان افعاله هذه تبين بها من قدرته وحكمته ما لا يدخل تحت الذكر ولا يحيط به الوصف انتهى البيضاوى

ومن الناس كلام مستانف جى به اثر بيان عظم شان الساعة المنبئة عن البعث بيانا لحال بعض المنكرين لها ومحل الجار الرفع على الابتداء اما بحمله على المعنى او بتقدير ما يتعلق به كما مر مرارا اى وبعض الناس او وبعض كائن من الناس من يجادل فى الله اى فى شانه تعالى ويقول فيه ما لا خير فيه من الاباطيل وهو قول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت بغير علم حال من ضمير يجادل موضحة لما يشعر به المجادلة من الجهل اى ملابسا بغير علم روى انها نزلت فى النضر بن الحارث وكان جدلا يقول ... ما يتعاطاه من المجادلة او فى كل ما ياتى وما يذر من الامور الباطلة التى من جملتها ذلك ويتبع كل شيطان مريد عات متمرد متجرد للفساد واصله العرى المبنى عن التجرد له كانه ... ولعله ماخوذ من تجرد المصارع عند المصارعة قال الزجاج المريد والمارد المتجرد ... والمراد اما رؤساء الكفرة الذين يدعون من دونهم الى الكفر واما ابليس وجنوده وقوله تعالى كتب عليه اى على الشيطان صفة اخرى له وقوله تعالى انه فاعل كتب والضمير للشان اى رقم به لظهور ذلك من حاله ان الشان من تولاه

ونقر نثبت في الارحام ما نشاء ثبوته الى اجل مسمى وهو
وقت الوضع وعلم منه حال قرينة المقابل بطريق المفهوم
ثم نخرجكم منها طفلا حال وحدت لارادة الجنس او لانه
مصدر في الاصل او على تاويل كل واحد • وقرئ نقر بالنصب
وكذا نخرجكم عطفا على نبين والمعنى انا خلقناكم مدرجين
لغرضين احدهما التبيين والثاني الاقرار في الارحام
حتى تولدوا وتنشاؤا وتبلغوا حد التكليف فتكلفوا
والغرض في الحقيقة هو الاخير اعني بلوغ الاشد والصلوح
للتكليف لكن لما كان الاقرار وما تلاه من مقدماته صح
ادخاله في التعليل • وقرئ بالياء رفعا ونصبا ونقر بالفتح
من قررت الماء اذا صببته ثم لتبلغوا اشدكم الاشد
كمال القوة والعقل والتمييز وهو من الفاظ الجموع التي لم يستعمل
لها واحد وكانه شدة في غير شيء واحد فبني لذلك
على لفظ الجمع ومنكم من يتوفى عند بلوغ الاشد او قبله او بعده
قبل الهرم والخرف لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ليعود كهيئته الاولى في
اوان طفوليته سخيف العقل قليل الفهم والاستغراق المستفاد في
ذكر شيئا في سياق النفي للمبالغة في نسيانه علمه وانكاره لما عرفه وترى
الارض هامدة ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا
فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات وربت وانتفخت
وحرى زيادتها اي ارتفعت وانبتت من كل زوج من كل صنف
بهيج الحسن السار للناظر اليه وهذه دلالة ثانية على البعث
كررها الله في كتابه لظهورها وكونها مشاهدة ذلك اشارة
الى ما ذكر من خلق الانسان في اطوار مختلفة وتحويله على احوال
متضادة واحياء الارض بعد موتها وهو مبتدا خبره بان الله هو الحق
اي حاصل بسبب ان الله هو الحق الثابت الوجود في نفسه الذي يحقق
به الاشياء وانه يحيي الموتى وانه يقدر على احيائها والا لما احيى
النطفة والارض الميتة وانه على كل شيء قدير لان قدرته لذاته ونسبتها
الى الكل سواء فلما دلت المشاهدة على احياء بعض الاموات
لزم اقتداره على الكل وان الساعة آتية لا ريب فيها لا ينبغي
ان يرتاب فيها لان التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه
وان الله يبعث من في القبور بمقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف
وقد وعد الساعة فلا بد ان يفي بما وعد ولما كان المراد من احياء الموتى الانسان عبر عنها بما هو مخصوص بهم فمعنى من
في القبور من مات من جنس الانسان مطلق بطريق الكناية انتهى بحاله

ونقر في الارحام بالرفع عند غير المفضل مستانف
بعد وقفة اي نحن نثبت ما نشاء ثبوته الى اجل مسمى
اي وقت الولادة وما لم نشاء ثبوته اسقطته الارحام
ثم نخرجكم من الرحم طفلا حال واراد به الجنس فلذا
لم يجمع او اريد به ثم نخرج كل واحد منكم طفلا ثم
لتبلغوا تقديره ثم نربيكم لتبلغوا اشدكم كمال
عقلكم وقوتكم وهو من الفاظ الجموع التي لا يستعمل
لها واحد ومنكم من يتوفى عند بلوغ الاشد او قبله
او بعده ومنكم من يرد الى ارذل العمر اخسه يعني الهرم
والخرف لكيلا يعلم من بعد علم شيئا اي لكيلا يعلم شيئا من
بعد ما كان يعلمه او لكيلا يستفيد علما وينسى ما كان عالما به
ثم ذكر دليلا آخر على البعث فقال وترى الارض هامدة
ميتة يابسة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت
بالنبات وربت وانتفخت وانبتت من كل زوج صنف
بهيج حسن سار للناظر اليه ذلك مبتدا خبره بان الله
هو الحق اي ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم واحياء الارض
مع ما في تضاعيف ذلك من اصناف الحكم حاصل بهذا وهو
ان الله هو الحق اي الثابت الموجود وانه يحيي الموتى
كما احيى الارض وانه على كل شيء قدير اي الذي قدر على
انشاء البشر ما ذكر واحياء الارض الهامدة بالمطر قادر
على البعث بعد الموت واقامة القيمة ومجازاة الخلق على
ما عملوا في الدنيا يوم الحشر والنشر وان الساعة آتية
لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور اي انه حكيم
لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما وعد
انتهى المدارك

وقوله ونقر في الارحام ما نشاء استئناف مسوق لبيان حالهم بعد تمام خلقهم وعدم نظم هذا وما عطف عليه في سلك الخلق المعلل بالتبيين
مع كونها من متمماته ومن مبادي التبيين ايضا لما ان دلالة الاول على كمال قدرته تعالى على جميع المقدورات التي من جملتها البعث المبحوث
عنه اجلى واظهر اي ونحن نقر في الارحام بعد ذلك ما نشاء ان نقره فيها الى اجل مسمى هو وقت الوضع وادناه ستة اشهر
واقصاه سنتان وقيل اربع سنين وفيه اشارة الى ان بعض ما في الارحام لا يشاء الله تعالى اقراره فيها بعد تكامل خلقه
فتسقط والتعرض للازلاق لا ينافي سياق الكلام لان الكلام فيما جرى عليه اطوار الخلق وهذا صريح في ان المراد بغير المخلقة ليس
ناقصا او معيبا وان ما فصل الى هنا هي الاطوار المتواردة على المولود قبل الولادة • وقرئ نقر بالياء ونقر ونقر
من قررت الماء اذا صببته ثم نخرجكم اي من بطون امهاتكم بعد اقراركم فيها عند تمام الاجل المسمى طفلا اي حال كونكم اطفالا
والافراد باعتبار كل واحد منهم او بارادة الجنس المنتظم للواحد والمتعدد • وقرئ نخرجكم بالياء ونصبه وقوله ثم لتبلغوا اشدكم
علة لنخرجكم معطوفة على علة اخرى له مناسبة لها كانه قيل ثم نخرجكم لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كمالكم في القوة والعقل والتمييز
التقدير ثم نمهلكم لتبلغوا • وما قيل انه معطوف على نبين مخل بجزالة النظم الكريم هذا • وقد قرئ ما قبله من الفعلين بالنصب
حكاية وغيبة فهو حينئذ عطف على نبين مثلهما والمعنى خلقناكم على التدريج المذكور لغايتين مرتبتين عليه احدهما ان نبين

ومنكم من يتوفى
اي تقبض روحه قبل ان يبلغ رشده م

ونقر بالرفع استيناف اي نحن نثبت في الارحام ما نشاء ثبوته فلا يكون سقطا الى اجل مسمى اي وقت معلوم وهو
وقت ولادته ثم نخرجكم اي كل واحد منكم طفلا من بطون امهاتكم ثم نمهلكم لتبلغوا اشدكم اي كمال عقلكم وهو وقت
التمييز قيل خمس عشرة سنة وقيل ثماني عشرة سنة الى ثلثين • ومنكم من يرد الى ارذل العمر اي اضعف العمر واخسه
وهو الخرف اي يهلكم للتقصير والبيه لكيلا يعلم من بعد علم شيئا اي لا يعلم شيئا بالنسيان بعد علمه ذلك بالعقل الاول • ثم
الدلائل الدالة على القدرة على البعث بقوله وترى الارض هامدة اي يابسة ميتة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت اي
تحركت بالنبات وربت اي زادت وعلت وانبتت من كل زوج اي من كل صنف بهيج اي حسن يسر من رآه
ذلك اي هذا المذكور من الدلائل بان الله هو الحق في الالوهية وانه يحيي الموتى يوم القيمة وانه على كل شيء من الاحياء
والاماتة والثواب والعقاب قدير وغير الله من الاصنام باطل في الالوهية وعاجز عن خلق شيء والنفع
والضر وان الساعة اي ذلك بان الساعة آتية اي جائية لا ريب فيها عند من له عقل وذهن وان الله يبعث من في القبور
لانه حكيم لا بد ان يفي بما وعد

ارذل العمر الهرم والخرف وهو معتل العقل فاسد او ملق حوق يشا (؟) فقد
حتى يعود كهيئته الاولى
اوان الطفولية ضعيف
البنية سخيف العقل
قليل الفهم

انتهى العيون

ان نبيّن شؤوننا والثانية أن نقركم في الأرحام ثم نخرجكم صغارا ثم لتبلغوا اشدكم • وتقديم التبيين على ما بعده
مع ان حصوله بالفعل بعد الكل للايذان بانه غاية الغايات ومقصود بالذات • واعادة اللام ههنا مع تجريد الاولين
عنها للاشعار باصالته في الغرضية بالنسبة اليهما اذ عليه يدور التكليف المؤدي الى السعادة والشقاوة وايثار
البلوغ مسندا الى المخاطبين على التبليغ مسندا اليه تعالى كالافعال السابقة لانه المناسب لبيان حال اتصافهم بالكمال
واستقلالهم بمبادئ الآثار والافعال • والاشد من الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالاسدة والقتود
وكأنها حيث كانت شدة في غير شيء بنيت على لفظ الجمع ومنكم من يتوفى اي بعد بلوغ الاشد او قبله • وقرئ يتوفى
مبنيا للفاعل اي يتوفاه الله تعالى ومنكم من يرد الى ارذل العمر وهو الهرم والخرف • وقرئ بسكون الميم وايراد
الرد والتوفي على صيغة المبني للمفعول للجري على سنن الكبرياء. لتعين الفاعل لكيلا يعلم من بعد علم اي علم كثير شيئا
اي شيئا من الاشياء، او شيئا من العلم مبالغة في انتقاص علمه وانتكاس حاله اي ليعود الى ما كان عليه في اوان
الطفولية من ضعف البنية وسخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه ويعجز عما قدر عليه •
وفيه من التنبيه على صحة البعث ما لا يخفى وترى الارض هامدة حجة اخرى على صحة البعث والخطاب لكل احد
ممن يتأتى منه الرؤية وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار • وهي بصرية وهامدة حال من الارض
اي ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا فاذا انزلنا عليها الماء اي المطر اهتزت تحركت بالنبات
وربت انتفخت وازدادت • وقرئ ربأت اي ارتفعت وانبتت من كل زوج اي صنف بهيج حسن
رائق يسر ناظره ذلك بان الله هو الحق كلام مستأنف جيء به اثر تحقيق حقية البعث واقامة البرهان عليه
من العالمين الانساني والنباتي لبيان ان ذلك من آثار الوهيته تعالى واحكام شؤونه الذاتية والوصفية
والفعلية وان ما ينكرونه من وجوده بل امكانه من اتيان الساعة والبعث من اسباب تلك الآثار العجيبة التي
يشاهدونها في الانفس والآفاق ومبادي صدورها عنه تعالى • وفيه من الايذان بقوة الدليل واصالة
المدلول في التحقق واظهار بطلان انكاره ما لا يخفى فان انكار تحقق السبب مع الجزم بتحقق المسبب مما يقضي
ببطلانه بديهة العقول • والمراد بالحق هو الثابت الذي يحق ثبوته لا محالة لكونه لذاته لا الثابت مطلقا
وذلك اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان على اطوار مختلفة وتصريفه في احوال متباينة واحياء الارض بعد موتها
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الكمال • وهو مبتدأ خبره الجار والمجرور اي ذلك الصنع البديع
حاصل بسبب انه تعالى هو الحق وحده في ذاته وصفاته وافعاله المحقق لما سواه من الاشياء. وانه يحيي الموتى اي شأنه
وعادته احياؤها وحاصله انه تعالى قادر على احيائها بدءا واعادة والا لما احيى النطفة والارض الميتة مرة بعد اخرى
وما يفيده صيغة المضارع من التجدد انما هو باعتبار تعلق القدرة ومتعلقها لا باعتبار نفسها وانه على كل شيء قدير
مبالغ في القدرة والا لما اوجد هذه الموجودات الفائتة للحصر التي من جملتها ما ذكر • واما الاستدلال على ذلك
بان قدرته تعالى لذاته الذي نسبته الى الكل سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات
لزم اقتداره على احياء كلها فمنافاة الفصول عما سيق له النظم الكريم من بيان كون الآثار الخاصة المذكورة
من فروع القدرة العامة التامة ومستتبعاتها • وتخصيص احياء الموتى بالذكر مع كونه من جملة الاشياء المقدور
عليها للتصريح بما فيه النزاع والدفع في نحور المنكرين • وتقديمه لابراز الاعتناء به وان الساعة آتية اي فيما سيأتي
واختيار صيغة الفاعل على الفعل للدلالة على تحقق اتيانها وتقرره البتة لاقتضاء الحكمة اياه لا محالة وتعليله
بالتغير من مقدمات الانصرام وطلايعه مبني على ما ذكر من الفصول • وقوله تعالى لا ريب فيها اما خبر ثان لان
او حال من ضمير الساعة في الخبر ومعنى نفي الريب عنها انها في ظهور امرها ووضوح دلائلها التكوينية والتنزيلية
بحيث ليس فيها مظنة ان يرتاب في اتيانها حسبما مر في مطلع سورة البقرة والجملة عطف على المجرور بالباء
قبلها من الجملتين داخلة مثلهما في حيز السببية وكذا قوله تعالى وان الله يبعث من في القبور لكن لا من حيث
ان اتيان الساعة وبعث الموتى مؤثران فيما ذكر من افاعيله تعالى تأثير القدرة فيها بل من حيث ان كلا منهما سبب
داع له عز وعلا بموجب رأفته بالعباد المبنية على الحكم البالغة الى ما ذكر من خلقهم ومن احياء الارض الميتة على
نمط بديع صالح للاستشهاد به على مكانهما ليتأملوا في ذلك ويستدلوا به على وقوعهما لا محالة ويصدقوا بما
ينطق بهما من الوحي المبين وينالوا به السعادة الابدية ولولا ذلك لما فعل تعالى ما فعل بل لما خلق العالم رأسا ٥

٥ وهذا كما ترى من احكام حقيته تعالى في افعاله وابتنائها على الحكم الباهرة كما ان ما قبله من احكام حقيته تعالى في صفاته
وكونها في غاية الكمال وقد جعل اتيان الساعة وبعث من في القبور لكونهما من روادف الحكمة كناية عن كونه تعالى
حكيما كانه قيل ذلك بسبب انه تعالى قادر على احياء الموتى وعلى كل مقدور وانه حكيم لا يخلف ميعاده
وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما وعد وانت خبير بانه مآله الاستدلال بحكمته تعالى على اتيان الساعة و
البعث وليس الكلام في ذلك بل انما هو في سببيتهما لما مر من خلق الانسان واحياء الارض فتأمل
وكن على الحق المبين وقيل قوله تعالى ان الساعة آتية ليس معطوفا على المجرور بالباء ولا داخلا في حيز
السببية بل هو خبر والمبتدأ محذوف لفهم المعنى والتقدير والامر ان الساعة آتية وان الله
معطوفة على الاولى وقيل المعنى ذلك ليعلموا بان الله هو الحق الآية انتهى ابو السعود رحمه الله

ومن الناس من يجادل في الله اي في دينه بغير علم اي علم ضروري وهو العلم العقلي ولا هدى اي بلا حجة
موصولة الى المعرفة ولا كتاب منير اي وحي واضح منزل للبيان بل يجادل بالظن بلا تحقيق وهو نضر بن
الحارث وكرره ردعا للجاهل عن الجدال قوله ثاني عطفه نصب على الحال من ضمير يجادل اي لاويا جانبه
عن طاعة ربه بكبره معرضا عن الايمان به ليضل عن سبيل الله بفتح اليا اي ليعرض هو عن دين الاسلام فاللام
للعاقبة لان جداله يؤدي الى الضلال فجعل كانه غرضه • وقرئ بضم اليا ليصرف الناس عن دين الله
له في الدنيا خزي اي عذاب فقتل النضر بن الحارث ببدر صبرا اي محبوسا بغير قتال ونذيقه يوم القيمة
عذاب الحريق وهو عذاب النار اي ما اصابه في الدنيا لم يكن كفارة لذنوبه • ويقال له يوم القيمة ذلك
اي هذا العذاب بما قدمت اي عملت يداك اي نفسك بكفرك وتكذيبك محمدا صلى الله عليه وسلم
وان الله ليس بظلام للعبيد اي لا يعذب احدا بغير ذنب ابدا فقيل هذا من قولهم ظالم لعبيده وظلام
لعبيده فيلزم منه نفي كل ظلم عن الله تعالى لكل عبد من العبيد لدخول صيغة المبالغة الدالة على الانواع
المقابلة بصيغة الجمع الدالة على الاستغراق باللام تحت النفي العام انتهى نعمة

ومن الناس من يجادل في الله في صفاته فيصفه
بغير ما هو له نزلت في ابي جهل بغير علم ضروري
ولا هدى اي استدلالي لانه يهدي الى المعرفة ولا كتاب
منير اي وحي والعلم للانسان من احد هذه الوجوه
الثلثة ثاني عطفه حال اي لاويا عنقه عن طاعة
الله تعالى كبرا وخيلاء وعن الحسن ثاني عطفه بفتح
العين اي مانع تعطفه ليضل تعليل للمجادلة ليضل
مكي وابو عمرو عن سبيل الله دينه له في الدنيا خزي
اي القتل يوم بدر ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق
اي نجمع له عذاب الدارين ذلك الخزي والعذاب
بما قدمت يداك اي السبب في عذاب الدارين هو ما
قدمت نفسه من الكفر والتكذيب وكني عنها باليد
لان اليد آلة الكسب وان الله ليس بظلام للعبيد
فلا يأخذ احدا بغير ذنب ولا بذنب غيره وهو عطف
على بما اي وبان الله وذكر الظلام بلفظ المبالغة
لاقترانه بلفظ الجمع وهو العبيد انتهى المدارك

ومن الناس من يجادل في الله في صفاته فيصفه بغير ما هو له نزلت
في ابي جهل بغير علم ضروري ولا هدى كسبي فانه غالبا يكون بتعليم
الغير وارشاده ولا كتاب منير اي وحي اي يجادل بتخمين وتقليد
لا بما يحصل بهذه الثلثة ثاني عطفه ثني العطف كناية عن الكبر والخيلاء
بالتبختر او عن الاعراض عن الحق استخفافا وقرئ بفتح العين
اي مانع تعطفه ليضل عن سبيل الله تعليل للمجادلة وقرئ بفتح اليا
على ان اعراضه عن الهدى المتمكن منه بالاقبال على الجدال الباطل
خروج من الهدى الى الضلال وانه من حيث هو مؤداه كالغرض له
له في الدنيا خزي هو ما اصابه يوم بدر ونذيقه يوم القيمة عذاب
الحريق عذاب النار المحرقة ذلك بما قدمت يداك اشارة
الى الخزي والعذاب • وغير النظم بالالتفات الى الخطاب واشير
بلفظ البعيد للتنبيه وتعظيم الموعظة وتهويل والايما على تفاقم
الخطب واثبات انه بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي وان الله
ليس بظلام للعبيد عطف على بما اي وبان الله يعني ان العدل
هو الذي اقتضى ذلك لا انه الظلم ولفظ المبالغة لان قليل
الظلم منه مع علمه بقبحه واستغنائه كالكثير منا ولا ايما الى ان من
في غاية الكمال شانه ان يكون وصفه كذلك انتهى بيضاوي

ومن الناس من يجادل في الله هو ابو جهل بن هشام حسبما
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل هو من يتصدى لاضلال الناس واغوائهم كائنا من كان كان الاول من يقلدهم على
ان الشيطان عبارة عن المضل المغوي على الاطلاق بغير علم متعلق بمحذوف وقع حالا من ضمير يجادل اي كائنا بغير علم والمراد
بالعلم الضروري كما ان المراد بالهدى في قوله ولا هدى هو الاستدلال والنظر الصحيح الهادي الى المعرفة ولا كتاب منير وحي
مظهر للحق اي يجادل في شانه تعالى من غير تمسك بمقدمة ضرورية ولا بحجة نظرية ولا ببرهان سمعي كما في قوله تعالى
ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم • واما ما قيل من ان المراد به المجادل الاول
والتكرير للتاكيد والتمهيد لما بعده من بيان انه لا سند له من استدلال او وحي فلا يساعده النظم الكريم كيف لا
وان وصفه باتباع شيطان موصوف بما ذكر يغني وصفه بالعرى عن الدليل العقلي والنقلي ثاني عطفه حال اخرى
من فاعل يجادل اي عاطفا لجانبه وطاويا كشحه معرضا متكبرا فان ثني العطف كناية عن التكبر • وقرئ بفتح العين
اي مانعا لتعطفه ليضل عن سبيل الله متعلق بيجادل فان غرضه الاضلال عنه وان لم يعترف بانه اضلال والمراد به
اما الاخراج من الهدى الى الضلال فالمفعول من يجادله من المؤمنين او الناس جميعا بتغليب المؤمنين على غيرهم
واما التثبيت على الضلال والزيادة عليه مجازا فالمفعول هم الكفرة خاصة • وقرئ بفتح اليا وجعل ضلاله غاية
لجداله من حيث ان المراد به الضلال المبين الذي لا هداية بعده مع تمكنه منها قبل ذلك
مسوقة لبيان نتيجة ما سلكه من الطريقة اي يثبت له في الدنيا بسبب ما فعله خزي وهو ما اصابه يوم بدر له في الدنيا خزي جملة مستانفة
من القتل والصغار ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق اي النار المحرقة ذلك اي ما ذكر من العذاب الدنيوي والاخروي
وما فيه من معنى البعد للايذان بكونه في الغاية القاصية من الهول والفظاعة • وهو مبتدا خبره قوله تعالى بما قدمت يداك
اي بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي • واسناده الى يديه لما ان الاكتساب عادة يكون بالايدي • والالتفات لتاكيد الوعيد
وتشديد التهديد • ومحل ان في قوله وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي والامر انه تعالى ليس
بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم • والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر
من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه في سورة آل عمران • والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون
ما قبلها واما ما قيل من ان محل ان هو الجر بالعطف على ما قدمت فقد عرفت حاله في سورة الانفال انتهى ابو السعود رحمه الله

ومن الناس من يعبد الله على حرف على طرف من الدين لا في وسطه فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه كالذي يكون على طرف الجيش فان احس بالظفر قر والا فر روي انها نزلت في اعاريب قدموا المدينة فكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وذكر الفتنة في مقابلة الخير للتنبيه على ان الشر لا يقصد عنه قصد انما المقصود منه الابتلاء خسر الدنيا بذهاب عصمته والآخرة بحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب على الحال وبالرفع على الفاعلية او على انه خبر مبتدأ محذوف وعلى الاول يكون من باب وضع الظاهر موضع المضمر تنصيصا عليه بالخسران ذلك هو الخسران المبين الظاهر الذي لا يخفى على احد يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه لا يقدر على شيء اصلا كان النفع والضر والتعبير بهما عن جميع الآثار كالسماء والارض في التعبير عن مجموع الاجسام واعادة كلمة ما للدلالة على استقلال كل من الوصفين المذكورين في اخراج موصوفه الى سعوين الذي ذلك هو الضلال البعيد عن المقصد مستعار من ضلال من ابعد في التيه فطالت وبعدت مسافة ضلاله يدعو لمن ضره بكونه معبودا لايجابه القتل في الدنيا والعذاب في الآخرة اقرب من نفعه الذي يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل بها الى الله تعالى واتى قال اقرب ولا قرب للنفع تهكما واستهزاء بهم واللام متعلقة ليدعو من حيث انه بمعنى يزعم وزعم قول مع اعتقاد وقيل انها داخلة على الجملة الواقعة مقولا اجراء له مجرى يقول اي يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره به وباباه ما في عبارة اقرب من معنى التفضيل ويجوز ان يكون مستانفة على ان يدعو تكرير للاول ومن مبتدأ خبره لبئس المولى الناصر ولبئس العشير المخالط ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد من اثابة المؤمن الصالح وعقاب الكافر الطالح لا دافع له ولا مانع

انتهى

ومن الناس من يعبد الله على حرف شروع في بيان حال المذبذبين اثر بيان حال المجاهرين اي ومنهم من يعبده على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذي ينحرف الى طرف الجيش فان احس بظفر قر والا فر فان اصابه خير اي دنيوي من الصحة والسعة اطمأن به اي ثبت على ما كان عليه ظاهرا لا انه اطمأن به اطمئنان المؤمنين الذين لا يلويهم عنه صارف ولا يثنيهم عاطف وان اصابته فتنة اي شيء يفتتن به من مكروه يعتريه في نفسه او اهله او ماله انقلب على وجهه روي انها نزلت في اعاريب قدموا المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد رضي الله عنه ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام

ومن الناس من يعبد الله على حرف على طرف من الدين كمن في وسطه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمأنينة وهو حال اي مضطربا فان اصابه خير صحة في جسده وسعة في معيشته اطمأن به سكن واستقر بالخير الذي اصابه او بالدين فعبد الله وان اصابته فتنة بلاء في جسده وضيق في معيشته انقلب على وجهه جهته اي ارتد ورجع الى الكفر كالذي يكون على طرف من العسكر فان احس بظفر وغنيمة قر واطمأن والا فر وطار على وجهه قالوا نزلت في اعاريب قدموا الى المدينة مهاجرين وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سويا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب عن دينه خسر الدنيا والآخرة حال وقد مقدرة دليله قراءة روح خاسر الدنيا والآخرة والخسران في الدنيا بالقتل فيها وفي الآخرة بالخلود في النار ذلك اي خسران الدارين هو الخسران المبين الظاهر الذي لا يخفى على احد يدعو من دون الله يعني الصنم فانه بعد الردة يفعل كذلك ما لا يضره ان لم يعبده وما لا ينفعه ان عبده ذلك هو الضلال البعيد عن الصواب يدعو لمن ضره اقرب من نفعه والاشكال انه تعالى نفى الضر والنفع عن الاصنام قبل هذه واثبتهما هنا والجواب ان المعنى اذا فهم ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى سفه الكافر بانه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه انه ينفعه ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ولا يرى اثر الشفاعة لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى الناصر ولبئس العشير الصاحب او كرر يدعو كانه قال يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا اقرب من نفعه بكونه شفيعا ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد هذا وعد لمن عبد الله بكل حال لا لمن عبد الله على حرف

فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقلني فقال صلى الله عليه وسلم ان الاسلام لا يقال فنزلت وقيل نزلت في المؤلفة قلوبهم خسر الدنيا والآخرة بفقد ما يؤمله وضيعهما بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع المضمر تنصيصا على خسرانه او على انه خبر مبتدأ محذوف ذلك اي ما ذكر من الخسران وما فيه من معنى البعد للايذان بكونه في غاية ما يكون هو الخسران المبين الواضح كونه خسرانا اذ لا خسران مثله يدعو من دون الله استئناف مبين لعظم الخسران اي يعبد متجاوزا عبادة الله تعالى ما لا يضره اذا لم يعبده وما لا ينفعه ان عبده اي جمادا ليس من شأنه الضر والنفع كما يلوح به تكرير كلمة ما ذلك الدعاء هو الضلال البعيد عن الحق والهدى مستعار من ضلال من ابعد في التيه ضالا عن الطريق يدعو لمن ضره اقرب من نفعه استئناف مسوق لبيان مآل دعائه المذكور وتقرير كونه ضلالا بعيدا مع ازاحة ما عسى يتوهم من نفي الضر عن معبوده بطريق المباشرة نفيه عنه بطريق التسبيب ايضا فالدعاء بمعنى القول واللام داخلة على الجملة الواقعة مقولا له ومن مبتدأ وضره مبتدأ ثان خبره اقرب والجملة صلة للمبتدأ الاول وقوله تعالى لبئس المولى ولبئس العشير جواب لقسم مقدر هو وجوابه خبر للمبتدأ الاول وايثار من على ما مع كون معبوده جمادا وايراد صيغة التفضيل مع خلوه عن النفع بالمرة للمبالغة في تقبيح حاله والامعان في ذمه اي يقول ذلك الكافر يوم القيامة بدعاء وصراخ حين يرى تضرره بمعبوده ودخوله النار بسببه ولا يرى منه اثر النفع اصلا لمن ضره اقرب من نفعه والله لبئس الناصر هو ولبئس الصاحب هو فكيف بما هو ضرر محض عار عن النفع بالكلية ويجوز ان يكون يدعو الثاني اعادة للاول لا تأكيدا له فقط بل وتمهيدا لما بعده من بيان سوء حال معبوده اثر بيان سوء حال عبادته بقوله تعالى ذلك هو الضلال البعيد كانه قيل من جهته تعالى بعد ذكر عبادته لما لا يضره ولا ينفعه يدعو ذلك ثم قيل لمن ضره اقرب من نفعه والله لبئس المولى ولبئس العشير فكلمة من وصيغة التفضيل للتهكم به وقيل اللام زائدة ومن مفعول يدعو ويؤيده القراءة بغير لام اي يعبد من ضره اقرب من نفعه وايراد كلمة من وصيغة التفضيل للتهكم به ايضا والجملة القسمية مستأنفة ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات استئناف جيء به لبيان كمال حسن حال المؤمنين العابدين له تعالى وان الله تعالى يتفضل عليهم بما لا غاية وراءه من اجل المنافع واعظم الخيرات اثر بيان غاية سوء حال الكفرة ومآلهم من فريقي المجاهرين والمذبذبين وان معبودهم لا يجديهم شيئا من النفع بل يضرهم مضرة عظيمة وانهم يعترفون بسوء ولايته وعشرته ويذمونه مذمة تامة وقوله تعالى جنات تجري من تحتها الانهار صفة لجنات فان اريد بها الاشجار المتكاثفة الساترة لما تحتها فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض فلا بد من تقدير مضاف اي من تحت اشجارها وان جعلت عبارة عن مجموع الارض والاشجار فاعتبار التحتية بالنظر الى الجزء الظاهر المصحح لاطلاق اسم الجنة على الكل كما مر تفصيله في اوائل سورة البقرة وقوله تعالى ان الله يفعل ما يريد تعليل لما قبله وتقرير له بطريق التحقيق اي يفعل البتة كل ما يريده من الافعال المتقنة اللائقة المبنية على الحكم الرائقة التي من جملتها اثابة من آمن به وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم وعقاب من اشرك به وكذب برسوله صلى الله عليه وسلم ولما كان هذا من آثار نصرته تعالى له صلى الله عليه وسلم عقب بقوله تعالى من كان يظن ان لن ينصره الله

ابو السعود رحمه الله

ومن الناس من يعبد الله على حرف اي على وجه الريب او على شك حال من فاعل يعبد اي متزلزلا قيل نزلت في اناس من بني اسد اصابتهم شدة فاحتملوا العيال وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلموا من غير اعتقاد صحة الاسلام فاغلوا الاسعار بالمدينة فرجعوا الى كفرهم الاول فان اصابه خير اي صحة وسلامة في ماله او سعة وغنيمة اطمأن به اي سكن اليه وقال نعم الدين دين محمد وان اصابته فتنة اي محنة وضيق في المعيشة انقلب على وجهه اي جهته يعني رجع الى كفره وقال بئس الدين دين محمد نعوذ بالله فقال تعالى خسر الدنيا والآخرة اي غبنهما بذهاب ماله وبذهاب ثوابه ذلك اي رجوعه عن الاسلام هو الخسران المبين وهو ذهاب دينه وخلوده في النار يدعو من دون الله اي يعبد من غيره ما لا يضره ان لم يعبده وما لا ينفعه حقيقة ان عبده ذلك هو الضلال البعيد عن الهداية لا يرجى زواله يدعو تأكيد للاول بيانا لاستمرار كفره ولا يتعلق بلمن بعد لانه قسم تقدير الكلام يدعو من دون الله الاله والله لمن ضره ان عبده اقرب من نفعه ان استشفعه بادعاء الشفاعة له فمن مبتدأ بمعنى الذي وضره اقرب من نفعه صلته ولبئس المولى خبره وهو الناصر ولبئس العشير اي الصاحب المعاشر اذ لا ينفعه في الآخرة ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات اي فيها تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد اي يحكم في خلقه ما يشاء من الضلالة والهداية روي ان بني اسد وغطفان من الكفار قالوا نخاف ان تنقطع المودة من اليهود ونؤمن بمحمد ثم لا يستقيم امره وذلك لظنهم ان الله تعالى لا ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم في دينه بالحجة والغلبة فنزل من كان يظن ان لن الآية

انتهى العيون

ان الله تعالى غير رازقه ولم يصبر ولم يستسلم فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا
وكذلك اي مثل ذلك الانزال البديع المنطوي على الحكم البالغة انزلناه اي القرآن الكريم كله وقوله تعالى آيات بينات اي واضحات
الدلالة على معانيها الرائعة حال من الضمير المنصوب مبينة لما اشير اليه بذلك وان الله يهدي به ابتداء او يثبت على الهدى
او يزيد فيه من يريد هدايته او تثبيته او زيادته فيها ومحل الجملة اما الجر على حذف الجار المتعلق بمحذوف مؤخر اي ولان
الله تعالى يهدي من يريد هدايته ان الذين آمنوا اي بما ذكر من الآيات البينات بهدايته تعالى او بكل ما يجب ان يؤمن به
فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس قيل هم يعبدون النار وقيل الشمس والقمر
وقيل هم قوم من النصارى اعتزلوا عنهم ولبسوا المسوح وقيل اخذوا من دين النصارى شيئا ومن دين اليهود شيئا وهم
القائلون بان للعالم اصلين نورا وظلمة والذين اشركوا هم عبدة الاصنام وقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيمة في حيز الرفع
على انه خبر لان السابقة وتصدير طرفي الجملة بحرف التحقيق لزيادة التقرير والتاكيد اي يقضي بين المؤمنين وبين الفرق
الخمس المتفقة على ملة الكفر باظهار المحق من المبطل وتوفية كل منهما حقه من الجزاء باثابة الاول وعقاب الثاني بحسب
استحقاق افراد كل منهما وقوله تعالى ان الله على كل شيء شهيد تعليل لما قبله من الفصل اي عالم بكل شيء من الاشياء ومراقب
لاحواله ومن قضيته الاحاطة بتفاصيل ما صدر عن كل فرد من افراد الفرق المذكورة واجراء جزائه اللائق به عليه

من كان يظن ان لن ينصره الله اي محمدا صلى الله عليه وسلم في دينه بالحجة والغلبة في الدنيا والشفاعة في الآخرة فليمدد اي ليربط
بسبب اي بحبل من السماء الى السماء اي سقف بيت لان كل ما علاك فهو سماء ثم ليقطع نفسه بحبس مجاريه بالحبل
ليختنق به فيموت خنقا فلينظر هل يذهبن كيده اي فعله بنفسه من الاختناق ما يغيظ اي غيظه يعني هل يذهب
ذلك وهذا مبالغة في الزجر عن الظن الفاسد في نصرة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم • وان اريد بالسماء حقيقتها
كان المعنى ليمد حبلا الى السماء فيصعد فيه اليها ليقطع الوحي عن محمد صلى الله عليه وسلم وهذا استهزاء لمن يظن ذلك الظن
وقيل المراد بالنصر الرزق ومعناه اي ان من ظن ان الله تعالى غير رازقه وليس به صبر فليختنق فانه لا يغير
القسمة وكذلك اي مثل ذلك الانزال انزلناه اي القرآن كله آيات بينات اي واضحات وان الله اي
وانزلناه لانه يهدي اي يرشد به الى دينه من يريد اي الذين يعلم انهم يؤمنون ان الذين آمنوا محمد صلى الله عليه وسلم
واصحابه والذين هادوا اي عدلوا عن الاسلام كاليهود والصابئين من دين الى دين والنصارى اي عبدة
عيسى عليه السلام والمجوس عبدة النيران والذين اشركوا اي عبدة الاوثان • ففي هذه الآية اشارة الى ان
الاديان بين الخلق ستة واحد منها لله تعالى والخمسة للشيطان وضرارة قوله ان الله يفصل بينهم اي يقضي
بالحق يوم القيمة ان الله على كل شيء شهيد من اعمالهم واحوالهم فيجازيهم بها انتهى العيون رحمه الله

من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة
المعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة
فمن ظن من اعاديه غير ذلك فليمدد بسبب
بحبل الى السماء الى سماء بيته ثم ليقطع ثم
ليختنق به • وسمى الاختناق قطعا لان المختنق
يقطع نفسه بحبس مجاريه • ويكسر اللام بصري
وشامي فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ
اي الذي يغيظه • او ما مصدرية اي غيظه •
المعنى فليتصور في نفسه انه ان فعل ذلك
هل يذهب نصر الله الذي يغيظه • وسمى فعله
كيدا على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده
انما كاد به نفسه • والمراد ليس في يده الا ما ليس
بمذهب لما يغيظ وكذلك انزلناه ومثل ذلك
الانزال انزلنا القرآن كله آيات بينات واضحات
وان الله يهدي من يريد اي ولان الله يهدي به
الذين يعلم انهم يؤمنون او يثبت الذين آمنوا و
يزيدهم هدى انزله كذلك مبينا ان الذين آمنوا
والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس
والذين اشركوا قيل الاديان خمسة اربعة للشيطان
وواحد للرحمن والصابئون نوع من النصارى
فلا يكون ستة ان الله يفصل بينهم يوم القيمة
في الاحوال والاماكن فلا يجازيهم جزاء واحدا
ولا يجمعهم في موطن واحد وخبر ان الذين آمنوا
ان الله يفصل بينهم كما تقول ان زيدا ان اباه
قائم ان الله على كل شيء شهيد عالم به حافظ له
فلينظر كل امرئ معتقده وقوله وفعله وهو ابلغ وعيد

٢ و١٨١

من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة كلام فيه اختصار
معناه ان الله تعالى ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن
من حاسديه واعاديه ان الله لا يفعل ذلك ويغيظه ما يفعل الله
فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فليستفرغ وسعه في ازالة
غيظه الى سماء بيته كما يفعل من بلغ به الغيظ كل مبلغ ثم ليختنق
سمي الاختناق قطعا لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه
ومنه قيل للبهر القطع او فليمدد حبلا الى السماء المظلة وليصعد عليه
ثم ليقطع الوحي ان ينزل عليه فلينظر وليتصور في نفسه هل
يذهبن كيده ما يغيظ هل يذهب نصر الله الذي يغيظه ان فعل
ذلك وسمى فعله كيدا لانه وضعه موضع الكيد حيث اجتهد فلم يقدر
الا عليه او على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد محسوده انما كاد نفسه
ما يغيظ غيظه او الذي يغيظه من نصر الله تعالى وكذلك مثل ذلك
الانزال والاشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده لا انزال
آخر بقصد تشبيه هذا الانزال به فالكاف مقحم اقحاما كاللازم
لا يكادون يتركونه في لغة العرب وغيرهم انزلناه انزلنا القرآن كله
آيات بينات واضحات وان الله يهدي ولان الله يهدي به
او يثبت على الهدى من يريد هدايته او ثباته انزله كذلك مبينا
ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى
والمجوس والذين اشركوا يعني عبدة الاوثان قيل الاديان
خمسة اربعة للشيطان وواحد للرحمن والصابئون نوع من
النصارى فلا يكون ستة ان الله يفصل بينهم يوم القيمة
في الاحوال والاماكن فلا يجازيهم جزاء واحدا ولا يجمعهم في
موطن واحد بالحكومة بينهم واظهار المحق منهم من المبطل • وانما
دخلت ان على كل واحد من طرفي الجملة لمزيد التاكيد ان الله على
كل شيء شهيد عالم به مراقب لاحواله فلينظر كل امرئ معتقده وقوله
وفعله وهو ابلغ وعيد انتهى ما في الكشاف

ولما كان هذا انتهى آثار نصرته تعالى له عليه السلام عقب بقوله
٢ من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة تحقيقا لها
وتقريرا لثبوتها على ابلغ وجه وآكده وفيه ايجاز بارع واختصار رائع والمعنى انه تعالى ناصر رسوله في الدنيا والآخرة لا محالة من غير
صارف يلويه ولا عاطف يثنيه فمن كان يغيظه ذلك من اعاديه وحساده ويظن ان لن يفعله تعالى بسبب مدافعته ببعض الامور
ومباشرة ما يرده من المكايد فليبالغ في استفراغ المجهود وليجاوز في الجد كل حد معهود فقصارى امره وعاقبة مكره
ان يختنق حنقا مما يرى من ضلال مساعيه وعدم انتاج مقدماته ومباديه فليمدد بسبب الى السماء فليمدد حبلا الى سقف بيته
ثم ليقطع اي ليختنق من قطع اذا اختنق لانه يقطع نفسه بحبس مجاريه وقيل ليقطع الحبل بعد الاختناق على ان المراد به فرض القطع
وتقديره كما ان المراد بالنظر في قوله تعالى فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ تقدير النظر وتصويره اي فليتصور في نفسه النظر هل يذهبن
كيده ذلك الذي هو اقصى ما انتهت اليه قدرته في باب المضادة والمضارة ما يغيظه وقيل المعنى فليمدد حبلا الى السماء المظلة
وليصعد عليه ثم ليقطع الوحي وقيل ليقطع المسافة حتى يبلغ عنانها فيجتهد في دفع نصره ويأباه ان مساق النظم الكريم بيان ان
الامور المفروضة على تقدير وقوعها وتحققها بمعزل من اذهاب ما يغيظ ومن البين ان لا معنى لفرض وقوع الامور الممتنعة
وترتيب الامر بالنظر عليه لا سيما قطع الوحي فان فرض وقوعه مخل بالمرام قطعا وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم
على المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله صلى الله عليه وسلم من النصر وآخرون من المشركين يريدون اتباعه صلى الله عليه وسلم ويخشون ان لا يثبت
امره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق فالمعنى ان الارزاق بيد الله تعالى لا تنال الا بمشيئته فلا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن

ألم تر ألم تعلم علما يقوم مقام العيان أن الله يسجد له من في السموات
ومن في الأرض استعير السجود للانقياد والطاعة لما يريد الله
منها من الأفعال لأنه حقيقة من حيثيات المكلف لا حقيقة أدل
منها على الذلة والتسخير ومن لم أولى العقل وغيرهم للتغليب
فيكون قوله والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب
إفرادها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها في العادة وكثير
من الناس تخصيص بعد التعميم للآية أي أن من الناس من
لا ينقاد لحكمه ولا يستخر لأمره ولا يلزم عطفه على سائر
الساجدين المحذور عند الجمهور لما فيه من استعمال اللفظ
الواحد مجازا وحقيقة في حالة واحدة إذ يجوز أن يجعل
فاعل فعل مضمر دل عليه يسجد أي ويسجد له كثير من الناس
السجود الحقيقي ويجوز أن يكون مبتدأ محذوف الخبر
مدلولا عليه بخبر قسيمه أي حق له الثواب والخبر مجرور
على ما سباتي وكثير حق عليه العذاب بكفره وإبائه عن الطاعة
ويجوز أن يكون كثير الثاني تكريرا للأول مبالغة في تكثير
المحقوقين بالعذاب وأن يعطف على الساجدين بالمعنى العام
موصوفا بما بعده وقرئ حق بالضم وحقا أي حق عليهم العذاب
حقا ومن يهن الله بأن حكم عليه بالشقاوة فما له من مكرم يجعله
سعيدا وقرئ بالفتح بمعنى الإكرام إن الله يفعل ما يشاء من الإهانة
والإكرام هذان خصمان أي فريقان مختصمان ولذلك قال
اختصموا حملا على المعنى ولو عكس وقال هؤلاء خصمان اختصما
جاز والمراد بهما المؤمنون والكافرون في ربهم أي في دينه
أو في ذاته وصفاته روي أن أهل الكتاب والمؤمنين
تخاصموا فقال أهل الكتاب نحن أحق بالله وأقدم منكم كتابا
ونبيا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن أحق بالله آمنا بمحمد
ونبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون كتابنا و
نبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت فالذين كفروا فصل لخصومتهم
وهو المراد بقوله إن الله يفصل بينهم يوم القيامة قطعت
لهم ثياب من نار نيران تحيط بهم إحاطة الثياب واختير
لفظ الماضي لأنه كائن لا محالة انتهى بالمراد

ألم تر ألم تعلم يا محمد علما يقوم مقام العيان أن الله
يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس
والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب قيل
أن الكل يسجد له ولكنا لا نقف عليه كما لا نقف على تسبيحها
قال الله تعالى وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون
تسبيحهم وقيل سميت مطاوعة غير المكلف له فيما
يحدث فيه من أفعاله وتسخيره له سجودا له تشبيها
لطاعته بسجود المكلف الذي كل خضوع دونه أي عنده
وكثير من الناس أي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة
وعبادة أو هو مرفوع على الابتداء ومن الناس صفة له
والخبر محذوف وهو مثاب ويدل عليه وكثير حق
عليه العذاب أي وكثير منهم حق عليه العقاب
بكفره وإبائه السجود ومن يهن الله بالشقاوة
فما له من مكرم بالسعادة إن الله يفعل ما يشاء
من الإكرام والإهانة وغير ذلك وظاهر هذه الآية
والتي قبلها ينقض على المعتزلة قولهم لأنهم يقولون
شاء أشياء ولم يفعل وهو يقول يفعل ما يشاء
هذان خصمان أي فريقان مختصمان فالخصم صفة
وصف بها الفريق وقوله اختصموا للمعنى وهذان
للفظ والمراد المؤمنون والكافرون قال ابن عباس رضي
رجع إلى أهل الأديان المذكورة فالمؤمنون خصم و
سائر الخمسة خصم في ربهم في دينه وصفاته
ثم بين جزاء كل خصم بقوله فالذين كفروا وهو فصل
الخصومة المعني بقوله إن الله يفصل بينهم يوم القيمة
قطعت لهم ثياب من نار كأن الله تعالى يقدر لهم
نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب
الملبوسة واختير لفظ الماضي لأنه كائن لا محالة فهو كالثابت

وقوله تعالى ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض الخ بيان لما يوجب الفصل المذكور من أعمال الفرق المذكورة
مع الإشارة إلى كيفيته وكونه بطريق التعذيب والإثابة والإكرام والإهانة أثر بيان ما يوجبه من كونه تعالى شهيدا على جميع الأشياء
التي من جملتها أحوالهم وأفعالهم والمراد بالرؤية العلم عبر عنه بها إشعارا بظهوره المعلوم والخطاب لكل أحد ممن يتأتى منه الرؤية
بناء على أنه من الجلاء بحيث لا يخفى على أحد والمراد بالسجود هو الانقياد التام لتدبيره تعالى بطريق الاستعارة المبنية على تشبيه
بأكمل أفعال المكلف في باب الطاعة إيذانا بكونه في أقصى مراتب التسخير والتذلل لا سجود الطاعة الخاصة بالعقلاء سواء
جعلت كلمة من عامة لغيرهم أيضا وهو الأنسب بالمقام لإفادته شمول الحكم لكل ما فيهما بطريق القرار فيهما أو بطريق الجزئية منهما
فيكون قوله تعالى والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب إفرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها عادة أو جعلت
خاصة بالعقلاء لعدم شمول سجود الطاعة لكلهم حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وكثير من الناس فإنه مرتفع بفعل مضمر يدل عليه
المذكور أي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ومن قضية انتفاء ذلك عن بعضهم وقيل هو مرفوع على الابتداء
محذوف خبره ثقة بدلالة خبر قسيمه عليه نحو حق له الثواب والأول هو الأولى لما فيه من الترغيب في السجود والطاعة وقد جوز
أن يكون من الناس خبرا له أي ومن الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون وأن يكون قوله تعالى وكثير
معطوفا على كثير الأول للإيذان بغاية الكثرة ثم يخبر عنهم باستحقاق العذاب كأنه قيل وكثير وكثير من الناس حق عليه العذاب

حق عليه العذاب أي بكفره واستعصائه وقرئ حق بالضم وحقا أي حق عليه العذاب حقا ومن يهن الله بأن كتب عليه
الشقاوة حسبما علمه من صرف اختياره إلى الشر فما له من مكرم يكرمه بالسعادة وقرئ بفتح الراء على أنه مصدر ميمي
إن الله يفعل ما يشاء من الأشياء التي من جملتها الإكرام والإهانة هذان بيان لطرفي الخصام وإزاحة لما عسى يتبادر إلى الوهم
من كونه بين كل واحد من الفرق الست وبين البواقي وتحرير لمحله أي فريق المؤمنين وفريق الكفرة المنقسم إلى الفرق الخمس
خصمان أي فريقان مختصمان وإنما قيل اختصموا في ربهم حملا على المعنى أي اختصموا في شأنه تعالى وقيل في دينه وقيل في ذاته
وصفاته والكل من شؤونه تعالى فإن اعتقاد كل من الفريقين بحقية ما هو عليه وبطلان ما عليه صاحبه وبناء أقواله وأفعاله
عليه خصومة للفريق الآخر وإن لم يجر بينهما التحاور والخصام وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقالت اليهود نحن أحق بالله
وأقدم منكم إيمانا بمحمد وبنبيكم وبما أنزل الله تعالى من كتاب وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت فالذين كفروا
تفصيل لما أجمل في قوله تعالى يفصل بينهم يوم القيمة قطعت لهم أي قدرت على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف ثياب من نار
أي نيران هائلة تحيط بهم إحاطة الثياب بلابسها
انتهى أبو السعود رحمه الله

ألم تر أي ألم تخبر في الكتاب أن الله يسجد له أي يخضع له من في السموات من الملائكة عليهم السلام ومن في الأرض من الخلق
وينقاد له الشمس والقمر والنجوم أي لما أراد من التدبير فيها قيل سجودها دورانها في منازلها بأمره سبحانه والجبال والشجر
والدواب قيل سجودها تحول ظلها كل منها وقيل تسخيرها لما أريد منها وفيه مبالغة في سجود الأشياء له تعالى ويسجد سجود طاعة
كثير من الناس أي المؤمنون بسجوده تعالى بالإخلاص وعطفه على من وإن عمهم تفصيلا ويجوز أن يرفع بالابتداء صفته من الناس
وخبره محذوف وكثير منهم مثاب يدل عليه قوله وكثير منهم حق عليه العذاب أي وجب بترك السجود لله تعالى في الدنيا كالمشركين
وبترك الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وإن سجد لله تعالى كاليهود والنصارى ومن يهن الله أي يخذل بالشقاوة في قضائه فما له من مكرم
أي لغيره بالسعادة إن الله يفعل ما يشاء من الإهانة والإكرام في خلقه قوله هذان خصمان نزل في حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث
حين بارزوا يوم بدر إلى عتبة وشيبة والوليد بن عتبة والخصم صفة يوصف بها الفريق أو الطائفة أي طائفتان اختصموا
بالجمع رد إلى المعنى الفاء للتغيير وقطع الخصومة أي الذين جحدوا دين الإسلام قطعت أي هيئت لهم ثياب
يلبسونها من نار انتهى العيون
أي تجادلوا في ربهم أي في دينه ثم بين مصير كل من الفريقين بقوله فالذين كفروا الخ
جاكلياه

يصب من فوق رؤوسهم بكسر الهاء والميم بصرى وبضمهما حمزة وعلى وخلف وبكسر الهاء وضم الميم غيرهم الحميم الماء الحار عن ابن عباس رضى لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها يصهر يذاب به بالحميم ما فى بطونهم والجلود اى يذيب امعاءهم واحشاءهم كما يذيب جلودهم فيؤثر فى الظاهر والباطن ولهم مقامع سياط مختصة بهم من حديد يضربون بها كلما ارادوا ان يخرجوا منها من النار من غم بدل الاشتمال من منها باعادة الجار والاولى لابتداء الغاية والثانية بمعنى من اجل يعنى كلما ارادوا الخروج من النار من اجل غم يلحقهم فخرجوا والقائل فى كلما اعيدوا فيها بالمقامع ومعنى الخروج عند الحسن ان النار تضربهم بلهبها فتلقيهم الى اعلاها فضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا والمراد اعادتهم الى معظم النار لا انهم ينفصلون عنها بالكلية ثم يعودون اليها وذوقوا عذاب الحريق اى وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق هو الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك ثم ذكر جزاء الخصم الاخر فقال ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور جمع اسورة جمع سوار من ذهب ولؤلؤا بالنصب مدنى وعاصم على ويؤتون لؤلؤا وبالجر غيرهم عطفا على من ذهب ولباسهم فيها حرير ابو نعيم وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد اى ارشدوا هو كلمة فى الدنيا الى كلمة التوحيد والى صراط الحميد اى الاسلام او هدوا فى الاخرة والهمهم ان يقولوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وهداهم فى الاخرة الى الطريق الجنة والحميد الله المحمود بكل لسان انتهى المدارك

يصب خبر ثان او حال من الضمير فى لهم من فوق رؤوسهم الحميم الماء الحار يصهر به كائنا من الحميم او من الضمير فيهم والتصهر الاذابة وقرئ بالتشديد للتكثير ما فى بطونهم من الشحوم والجلود فان الحميم اى يؤثر من فرط حرارته فى باطنهم تاثيره فى ظاهرهم فيذاب به ما فى باطنهم وظاهرهم ولهم مقامع من حديد سياط منه جمع مقمعة وحقيقتها ما يقمع به اى يكف بعنف كلما ارادوا ان يخرجوا منها من النار من غم بدل اشتمال من منها باعادة الجار والاولى لابتداء الغاية والثانية بمعنى من اجل يعنى كلما ارادوا الخروج من اجل غم يلحقهم وارادة الخروج كناية عن القرب منه كقوله يريد ان ينقض اعيدوا فيها بالمقامع والمراد اعادتهم الى معظم النار لا انهم يخرجون منها ثم يعودون اليها لقوله تعالى وما هم بخارجين منها ونحو قوله فى دونهم الى وذوقوا اى وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق النار البالغة فى الاحراق ثم ذكر جزاء الخصم الاخر بقوله ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار تغيير النظم فى التفصيل بترك العطف واستيناف الكلام وادخال حرف التاكيد واسناد الادخال الى الله تعالى تعظيم شان المؤمنين واجلال حالهم يحلون من حليت المراة اذا البست الحلى فهى حالية شدد للنقل وقرئ مخففا مبنيا للفاعل من اساور صفة مفعول محذوف والاساور جمع اسورة وهى جمع سوار من ذهب بيان له ولؤلؤا عطف على اساور لا على ذهب على انها مرصعة وقرئ منصوبا على اضمار فعل اى ويلبسون او يؤتون او عطفا على محل الجار والمجرور ولباسهم فيها حرير تغيير الاسلوب فيه للدلالة على ان الحرير لباسهم المعتاد مع رعاية الفاصلة وهدوا الى الطيب من القول ابهم الفاعل ولم يقل هداهم الله ايضا لحق التعظيم وابهم القول وجيء بالطيب ثم بين تفخيما لشانه وايماء الى انه هو المطلب بالطيب وهو قولهم الحمد لله الذى صدقنا وعده او كلمة التوحيد وهدوا الى صراط الحميد كرر هدوا تنبيها على ان كل واحد منهما امر جزئى بالاصالة تام معتد به فى الهداية اليه واختير اسم الحميد من اسمائه تعالى للاشارة الى خصوصية القول الطيب الى طريق الجنة واضيف الى الله تعالى تكريما للجنة بنسبتها اليه وان طريقها طريقه انتهى كاكا

يصب من فوق رؤوسهم الحميم اى الماء الحار الذى انتهت حرارته قال ابن عباس رضى الله عنهما لو قطرت قطرة منه على جبال الدنيا لاذابتها والجملة مستأنفة او خبر ثان للموصول او حال من ضمير لهم يصهر به اى يذاب ما فى بطونهم من الامعاء والاحشاء وقرئ يصهر بالتشديد والجلود عطف على ما وتاخيره عنه اما لمراعاة الفواصل او للاشعار بغاية شدة الحرارة بايهام ان تاثيرها فى الباطن اقدم من تاثيرها فى الظاهر مع ان ملابستها على العكس والجملة حال من الحميم ولهم للكفرة اى لتعذيبهم واجلهم مقامع من حديد جمع مقمعة وهى آلة القمع كلما ارادوا ان يخرجوا منها اى اشرفوا على الخروج من النار ودنوا منه حسبما يروى انها تضربهم بلهيبها فترفعهم حتى اذا كانوا فى اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا من غم اى غم شديد من غمومها وهو بدل اشتمال من الهاء باعادة الجار والرابط محذوف كما اشير اليه او مفعول له للخروج اعيدوا فيها اى فى قعرها بان ردوا من اعاليها الى اسافلها من غير ان يخرجوا منها وذوقوا على تقدير قول معطوف على اعيدوا اى وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق اى الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار بيان لحسن حال المؤمنين اثر بيان سوء حال الكفرة وقد غير الاسلوب فيه باسناد الادخال الى الله عز وجل ٥

٥ وتقدير الجملة بحرف التحقيق ايذانا بكمال مباينة حالهم لحال الكفرة واظهار لمزيد العناية بامر المؤمنين ودلالة على تحقق مضمون الكلام يحلون فيها على البناء للمفعول بالتشديد من التحلية وقرئ بالتخفيف من الاحلاء بمعنى الالباس اى يحليهم الملائكة بامره تعالى وقرئ يحلون من حليت المراة اذا البست حليا ومن فى قوله تعالى من اساور اما للتبعيض اى بعض اساور وهى جمع اسورة جمع سوار او للبيان لما ان ذكر التحلية مما ينبئ عن الحلى المبهم فقيل زائدة وقيل نعت لمفعول محذوف ليحلون فانه بمعنى يلبسون من ذهب بيان للاساور ولؤلؤا عطف على محل من اساور او على المفعول المحذوف او منصوب بفعل مضمر يدل عليه يحلون اى يؤتون وقرئ بالجر عطفا على اساور وقرئ لولوا بقلب الهمزة الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوا ثم قلب الثانية ياء ولوليا بقلبهما ياء ولباسهم فيها حرير غير الاسلوب حيث لم يقل ويلبسون فيها حريرا لكن للدلالة على ان الحرير ثيابهم المعتادة او لمجرد المحافظة على هيئات الفواصل بل للايذان بان ثبوت اللباس لهم امر محقق غنى عن البيان اذ لا يمكن عراؤهم عنه وانما المحتاج الى البيان ان لباسهم ماذا بخلاف الاساور واللؤلؤ فانها ليست من اللوازم الضرورية فجعل بيان تحليتهم بها مقصودا بالذات ولعل هذا هو الباعث الى تقديم بيان التحلية على بيان حال اللباس وهدوا الى الطيب من القول وهو قولهم الحمد لله الذى صدقنا وعده واورثنا الجنة وهدوا الى صراط الحميد اى المحمود نفسه او عاقبته وهى الجنة ووجه تاخير هذه الهداية عن ذكر الهداية الى القول المذكور المتاخر عن دخول الجنة المتاخر عن الهداية الى طريقها رعاية الفواصل وقيل المراد بالحميد الحق المستحق لذاته لغاية الحمد وهو الله عز وجل وصراطه الاسلام ووجه التاخير حينئذ ان ذكر الحمد يستدعى ذكر المحمود انتهى ابو السعود

يصب من فوق رؤوسهم الحميم اى الماء الذى انتهى حره قيل يقرب الملك راس الكافر بالمقمع من حديد فيثقب راسه ثم يصب عليه الحميم يصهر به اى يذاب بالحميم المصبوب على رؤوسهم ما فى بطونهم من شحوم وغيرها فيقطعها فيخرج من ادبارهم والجلود اى يذاب الجلود ايضا فيسلخ ولهم مقامع من حديد وهى سياط مختصة بهم يضربون بها على هاماتهم اى وسط رؤوسهم كلما ارادوا ان يخرجوا منها اى من النار من غم بدل منها اى من الشدة التى ادركتهم من ضرب المقامع اعيدوا فيها اى ردوا اليها وقال لهم ذوقوا عذاب الحريق اى المحرق بالدوام قيل اذا ضربهم الزبانية بالمقامع يسقطون الى قعر النار سبعين خريفا ثم تضربهم النار بلهبها فتلقيهم الى اعلاها فيقصدون الخروج منها فيعيدون بالضرب عليهم كذلك هذا جزاء احد الخصمين ثم بين جزاء الخصم الاخر بقوله ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار يحلون اى يلبسون الحلى فيها اى فى الجنة من اساور جمع سوار وهو القلب ومن للتبعيض اى بعضها قلبه من ذهب ومن للبيان ولؤلؤا اى ويؤتون لؤلؤا ولا يجوز عطفه بالنصب على محل من اساور ولا على لفظها على قراءة الجر ايضا اذ اللؤلؤ لا يلبس فينتصب محله بفعل يدل عليه يحلون كما ذكرنا ومن فى لؤلؤ بالجر للتبعيض وقيل النصب والجر عطف على اساور فيكون اللؤلؤ ملبوسا ولباسهم فيها حرير وهو الابريسم المحرم لبسه على الرجال هنا وهدوا اى هداهم الله والهمهم الى الطيب من القول وهو كلمة التوحيد او هو القران او الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الدنيا او الحمد لله الذى صدقنا وعده فى الاخرة وهدوا الى صراط الحميد اى المحمود نفسه فعاله وهو طريق الجنة الى دين الاسلام انتهى العيون

إن الذين كفروا خبر إن محذوف دل عليه جواب الشرط اي إن الذين كفروا
نذيقهم من عذاب اليم ويصدون عن سبيل الله عطف على كفروا والمراد
في موضع آخر إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اي لوا الحق
على الصدود ومعنا الوقف عن الخير خاصة وليس المراد الحال والاستقبال
بل استمرار وجود الصد منهم في جميع الازمان كقولهم فلان يحسن
الفقرآ. ويكرم الضيفان ولذلك حسن عطفه على الماضي والمسجد الحرام
عطف على سبيل الله الذي جعلناه للناس مطلقا من غير فرق بين حاضر وباد
فان اريد بالمسجد الحرام مكة ففيه دليل على انه لا يجوز بيع ارض مكة ولا
اجارتها ولا تملكها ... الذين اخرجوا من ديارهم لان الاضافة
باعتبار انهم يملكون البنآ. وكما اشترى عمر رضي الله عنه دار السجن فهي
لانه اشترى البنآ دون الارض وان اريد به البيت فالمعنى انه
قبلة لجميع الناس والاول معنى الظاهر لقوله تعالى سواء العاكف فيه
المقيم بمكة والباد اي الناس في البدو اي ليس لاحد ان يمنع
احدا عنه قيل كانت بيوت مكة لا يتخذ لها ابواب حتى ظهرت
السرقة فيهم فقال عمر رضي الله عنه لرجل منهم وهو يعمل من اتخذ بابا
اتخذت بابا لتحتجب به فقال لا ولكن احرزت المتاع عن السرقة
فقال ان لا تحل لاهل مكة ان ياخذوا اجور بيوتهم وفي جواز
بيع ارض مكة في حنيفة روايتان قال صاحب الجامع الصغير لا يجوز
وروى ابو زياد عنه انه يجوز للناس مفعول ثان لجعلناه وسوآء
خبر مقدم والعاكف مبتدأ والجملة حال او مفعول ثان وللناس حال
وقرئ سوآ بالنصب على انه مفعول ثان او حال والعاكف مرفوع به
على الفاعلية اي مستويا العاكف فيه والباد وقرئ العاكف بالجر
على انه بدل من الناس ومن يرد فيه ترك مفعوله ليتناول كل متناول
وقرئ بالفتح من الورود بالحاد الالحاد العدول عن القصد
واصله الحاد الحافر بظلم بغير حق وهما حالان مترادفان او الثاني
بدل من الاول باعادة الجار او صلة له اي ملحدا بسبب الظلم
كالاشراك واقتراف الاثام وعلى قرآءة فتح اليآء في يرد
يكون البآء في بالحاد للتعدية اي ومن اتى فيه بالحاد للتعدية
اي ومن اتى فيه بالحاد ظالما نذقه من عذاب اليم جواب لمن انتهى

إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله اي يمنعون عن
الدخول في الاسلام ويصدون حال من فاعل كفروا اي
وهم يصدون اي الصدود منهم مستمر دائم كما يقال
فلان يحسن الفقرآ. فانه يراد به استمرار وجود الاحسان
منه لا الحال والاستقبال والمسجد الحرام اي ويصدون عن
المسجد الحرام مكة ففيه دليل على انه لا تباع دور مكة
وان اريد به البيت فالمعنى انه قبلة لجميع الناس سوآء
بالنصب حفص مفعول ثان لجعلناه اي جعلناه مستويا
العاكف المقيم فيه والباد وغير المقيم بالبآء مكي
ووافقه ابو عمرو في الوصل وغيره بالرفع على انه خبر
والمبتدأ مؤخر اي العاكف فيه والباد سوآء والجملة
مفعول ثان وللناس حال ومن يرد فيه في المسجد الحرام
بالحاد بظلم حالان مترادفان ومفعول يرد متروك
ليتناول كل متناول كانه قال ومن يرد فيه مرادا ما
عادلا عن القصد ظالما فالالحاد العدول عن القصد
نذقه من عذاب اليم في الاخرة وخبر ان محذوف
لدلالة جواب الشرط عليه تقديره ان الذين كفروا و
يصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب اليم
وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك انتهى المدارك

إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله ليس المراد به حالا ولا استقبالا
وانما هو استمرار الصد ولذلك حسن عطفه على الماضي كما في قوله تعالى
الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وقيل هو حال من فاعل كفروا اي
وهم يصدون وخبر ان محذوف لدلالة آخر الآية الكريمة عليه فان من
الحد في الحرم حيث عوقب بالعذاب الاليم فلان يعاقب من جمع الى
الكفر والصد عن سبيل الله ما هو اشد من ذلك احق واولى والمسجد الحرام
عطف على سبيل الله قيل المراد به مكة بدليل وصفه بقوله تعالى الذي
جعلناه للناس اي كائنا من كان من غير فرق بين مكي وآفاقي سواء العاكف فيه والباد اي المقيم والطارئ وسواء اي مستويا
مفعول ثان لجعلناه والعاكف مرتفع به واللام متعلق به ظرف له وفائدة وصف المسجد الحرام بذلك زيادة تشنيع الصادين عنه
وقرئ سواء بالرفع على انه خبر مقدم والعاكف مبتدأ والجملة مفعول ثان للجعل وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس ومن يرد
فيه مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول كانه قيل ومن يرد فيه مرادا ما بالحاد بعدول عن القصد بظلم بغير حق وهما حالان
مترادفان والثاني بدل من الاول باعادة الجار او صلة له اي ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الاثام نذقه من عذاب اليم
جواب لمن
انتهى ابو السعود

إن الذين كفروا اي اهل مكة ويصدون عن سبيل الله اي يصرفون الناس عن دين الاسلام ولم يقل صدوا كما قال كفروا لارادة الصد مستمر دائم
وعن المسجد الحرام وذلك منعهم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه في الحديبية عن زيارة الكعبة ثم وصف المسجد الحرام بقوله الذي جعلناه للناس
اي صيرناه لهم سوآء بالنصب مفعول ثان للجعل وبالرفع خبر لما بعده والجملة في محل النصب لكونها مفعولا ثانيا للجعل والمعنى جعلنا
المسجد الحرام مستويا العاكف اي المقيم فيه والباد بلا يآء في الوصل والقطع وبها فيهما او في الوصل فقط اي الطارئ عليه الوارد الى
لا يختص بعضنا دون بعض في تعظيم حرمته وقضاء النسك به فليس اهل مكة احق به من النازع اليه عينا انه لا يزعج احد عن منزله
اذا سبق اليه عند ابي حنيفة رحمه الله مقيما كان او مسافرا ويختص عند الشافعي رحمه الله للمقيم بمنزلة هذا ان اريد بالمسجد الحرام الحرم
ولا يجوز بيع دور مكة عند ابي حنيفة رحمه الله وجوزه الشافعي رحمه الله وان اريد به البيت فالمعنى انه قبلة لجميع الناس والمقيم والغريب
سوآء ومن يرد فيه بالحاد بظلم قيل مفعول يرد محذوف ه

ه والمجرور ان بالبآء حالان مترادفان او ومن يرد في المسجد الحرام مرادا ما ملتبسا بالحاد اي بميل عن الحق كالشرك وملتبسا بالظلم
على الناس كالاحتكار وهو منع الطعام من البيع والشتم للخادم وقيل البآء في بالحاد زائدة اي الحادا فهو مفعول يرد وبظلم حال من ضمير يرد
اي من يقصد الحادا ظالما نذقه من عذاب اليم جواب الشرط وخبر ان في ان الذين كفروا محذوف اي نعذبهم بدل عليه جواب الشرط
وهو نذقه قيل نزل في عبد الله بن انيس حين قتل انصاريا افتخر على المهاجرين في النسب فهرب الى مكة مرتدا فامر النبي صلى الله عليه وسلم
يوم فتح مكة بقتله فقتل انتهى الصاوي

وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت واذكر يا محمد حين جعلنا لإبراهيم مكان البيت مباءة أي مرجعاً يرجع إليه للعمارة والعبادة • وقد رفع البيت إلى السماء أيام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فأعلم الله تعالى إبراهيم مكانه بريح أرسلها فكنست مكان البيت فبناه على أسه القديم أن هي المفسرة للقول المقدر أي قائلين له لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي من الأصنام والأقذار وبفتح الياء مدني وحفص للطائفين لمن يطوف به والقائمين والمقيمين بمكة والركع السجود أي المصلين جمع راكع وساجد وأذن في الناس بالحج ناد فيهم • والحج هو القصد البليغ إلى مقصد منيع روي أنه صعد أبا قبيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم فأجاب من قدر له أن يحج من الأصلاب والأرحام بلبيك اللهم لبيك • وعن الحسن أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع والأول أظهر وجواب الأمر يأتوك رجالاً مشاة جمع راجل كقائم وقيام وعلى كل ضامر حال معطوفة على حال كأنه قال رجالاً وركباناً • والضامر البعير المهزول • وقدم الرجال على الركبان إظهاراً لفضيلة المشاة كما ورد في الحديث • يأتين من كل فج صفة لكل ضامر لأنه في معنى الجمع • والفج الطريق عميق بعيد قال محمد بن ياسين قال لي شيخ في الطواف من أين أنت فقلت من خراسان قال كم بينكم وبين البيت قلت مسيرة شهرين أو ثلاثة قال فأنتم جيران البيت فقلت من أين جئت قال من مسيرة خمس سنوات وخرجت انتهى المدارك

وإذ بوأنا مكان البيت أي واذكر حين جعلنا لإبراهيم مكان البيت مباءة أي مرجعاً يرجع إليه للعمارة والعبادة ولما كان المقصود من التبوئة العبادة فسرت بالنهي عن الشرك والأمر بتطهير البيت فقال جل وعلا أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود مفسرة كأنه قيل تعبدنا إبراهيم قلنا له لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي عن الأوثان والأقذار أن تطرح حوله للطائفين والقائمين وإنما عبر عن الصلاة بأركانها للدلالة على أن كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك • وقد اجتمعت وفصل بين الأول والأخيرين بالواو وجمع بين الأخيرين بغير واو لأن القيام تعظيم الله والركوع والسجود تذلل فاتخذ هذان وغايرهما موصولة بالنهي أي فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتي وتطهر بيتي وأذن في الناس ناد فيهم وقرئ آذن من الإيذان بالحج بدعوته والأمر به • والحج القصد البليغ إلى مقصد منيع • روي أنه عليه السلام صعد أبا قبيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم فأجاب من قدر له من الأصلاب والأرحام بلبيك اللهم لبيك • وعن الحسن أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يفعل في حجة الوداع والأول أظهر وجواب الأمر يأتوك رجالاً مشاة جمع راجل كقائم وقيام وعلى كل ضامر معطوف على رجالاً كأنه قال رجالاً أو ركباناً • والضامر البعير المهزول • والأقتاب المعنوية وزيادة لفظ كل للمبالغة في تعميم الأمر لكل من يقدر على المركب ولو ضعيفاً وقدم الرجال على الركبان إظهاراً لفضيلة المشاة كما ورد في الحديث يأتين صفة لكل ضامر لأنه في معنى الجمع وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان أو استئناف فيكون الضمير للناس من كل فج أي طريق واسع عميق بعيد وإنما عبر عن البعيد بالعمق لمناسبة العرض المعتبرة في مفهوم الفج وقرئ معيق والمعنى واحد انتهى البيضاوي

وإذ بوأنا يقال بوأه منزلاً أي أنزله فيه ولما لزمه جعل الثاني مباءة للأول قيل لإبراهيم مكان البيت وعليه مبني قول ابن عباس رضي الله عنهما جعلناه أي اذكر وقت جعلنا مكان البيت مباءة له عليه السلام أي مرجعاً يرجع إليه للعمارة والعبادة • وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت مع أن المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه غير مرة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف كما في أصل الاستعمال أي أنزلناه فيه • قيل رفع البيت إلى السماء أيام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فأعلم الله سبحانه وتعالى إبراهيم عليه السلام مكانه بريح أرسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على أسه القديم • روي أن الكعبة الكريمة بنيت خمس مرات أحدها بناء الملائكة وكانت من ياقوتة حمراء ثم رفعت أيام الطوفان • والثانية بناء إبراهيم عليه السلام • والثالثة بناء قريش في الجاهلية وقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا البناء والرابعة بناء ابن الزبير رضي والخامسة بناء الحجاج وقد أوردنا ما في هذا الشأن من الأقاويل في تفسير قوله تعالى وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت • وأن في قوله تعالى أن لا تشرك بي شيئاً مفسرة لبوأنا من حيث إنه متضمن لمعنى تعبدنا لأن التبوئة للعبادة أو مصدرية موصولة بالنهي وقد مر تحقيقه في أوائل سورة هود أي فعلنا ذلك لئلا تشرك بي في العبادة شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود أي طهره من الأوثان والأقذار لمن يطوف به ويصلي فيه ولعل التعبير عن الصلاة بأركانها للدلالة على أن كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك فكيف وقد اجتمعت • وقرئ يشرك بالياء وأذن في الناس أي ناد فيهم وقرئ آذن بالحج بدعوة الحج والأمر به • روي أنه عليه السلام صعد أبا قبيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم فأسمعه الله تعالى من في أصلاب الرجال وأرحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه تعالى أن يحج • وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بذلك في حجة الوداع ويأباه كون السورة مكية يأتوك جواب الأمر رجالاً أي مشاة جمع راجل كقيام جمع قائم وقرئ بضم الراء وتخفيف الجيم وتشديده ورجالى كعجالى وعلى كل ضامر عطف على رجالاً أي وركباناً على كل بعير مهزول أتعبه بعد الشقة فهزله أو زاد هزاله يأتين صفة لضامر محمولة على المعنى وقرئ يأتون على أنه صفة الرجال والركبان أو استئناف فيكون الضمير للناس من كل فج عميق بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق وبعيدة المعق بمعنى كالجذب والجبذ انتهى أبو السعود

وإذ بوأنا أي اذكر إذ جعلنا لإبراهيم مكان البيت أي مباءة له ولعقبه أي مرجعاً يرجع إليه للعمارة والعبادة لأنه رفع في زمان الطوفان إلى السماء وهو البيت المعمور فكان من ياقوتة حمراء فأعلم الله تعالى إبراهيم مكانه بريح أرسلها يقال لها الخجوج وهي التي تلتوي في هبوبها فكنست ما حوله فبناه على أساسه القديم قال أو بعث الله تعالى سحابة على قدر البيت فقامت على رأسه تكلم يا إبراهيم ابن على قدري وحيالي فأسس البيت عليه مع إسماعيل عليه السلام ثم فسر التبوئة لكونها مقصودة للعبادة بقوله أن لا تشرك كأنه قال تعبدنا إبراهيم وقلنا له لا تشرك بي شيئاً فإنه مفسرة للقول المقدر وطهر بيتي من الأصنام والأقذار أن تطرح حوله للطائفين بالبيت من غير أهل مكة والقائمين أي المقيمين من أهل مكة والركع السجود أي المصلين بالآفاق من كل وجه وأذن أي ناد في الناس بالحج فقام إبراهيم عليه السلام على أبي قبيس جبل من جبال مكة فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم والتفت بوجهه يميناً وشمالاً شرقاً وغرباً فأجابه كل من كتب له أنه يحج من أصلاب الرجال وأرحام الأمهات لبيك اللهم لبيك فيحج من أجاب إبراهيم عليه السلام يومئذ قوله يأتوك رجالاً جواب الأمر جمع راجل أي مشاة وعلى كل ضامر أي ركباناً على كل بعير وربما نزل فلا يدخل بعير ولا غيره الحرم الآن وقد ضمر من طول الطريق قوله يأتين صفة لكل ضامر لأنه في معنى الجمع أي الضوامر من كل فج عميق أي طريق بعيد من نواحي الأرض • روي عن أبي حنيفة رحمه الله مشي الحاج أفضل إن صبر كما روي أن الملائكة عليهم السلام يتلقون أهل القوافل ويصافحون أصحاب البغال والحمير ويعانقون المشاة قيل الركوب أفضل إن كان بيته بعيداً والمشي أحسن إن كان قريباً انتهى العيون

واللام في ليشهدوا ليحضروا يتعلق باذن او بياتوك

منافع لهم اي منافع مختصة بهذه العبادة دينية لا توجد في غيرها من العبادات وهذا لان العبادة شرعت
للابتلاء بالنفس كالصلاة والصوم او بالمال كالزكوة وقد اشتمل الحج عليهما مع ما فيه من تحمل الاثقال وركوب
الاهوال وخلع الاسباب وقطيعة الاصحاب وهجر البلاد والاوطان وفرقة الاولاد والخلان والتنبيه على ما يستمر
اذا انتقل من دار الفناء الى دار البقاء فالحاج اذا دخل البادية لا يتكل فيها الا على عتاده ولا ياكل الا من زاده فكذا
المرء اذا خرج من شاطئ الحيوة وركب بحر الوفاة لا ينفع وحدته الا ما سعى في معاشه لمعاده ولا يونس وحشته
الا ما كان يانس من اوراده واذكاره وغسل من يحرم وتاهبه ولبسه غير المخيط وتطيبه مرآة لما سيأتي
عليه من وضعه على سرير لغسله وتجهيزه مطيبا بالحنوط ملتفا في كفن غير مخيط ثم الحاج يكون اشعث حيران
فكذا يكون يوم الحشر يخرج من القبر لهفان ووقوف الحجيج بعرفات امليين رغبا ورهبا سائلين خوفا وطمعا
وهم من بين مقبول ومخذول كموقف العرصات لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد والافاضة الى المزدلفة بالمساء
هو السوق لفصل القضاء ومنى هو موقف المنى للمذنبين الى شفاعة الشافعين وحلق الراس والتنظيف كالخروج من
السيئات بالرحمة والتخفيف والبيت الحرام الذي كان من دخله امنا من الايذاء والقتال انموذج لدار السلام التي هي
من نزلها بقي سالما من الفناء والزوال غير ان الجنة حفت بالمكاره النفس العادية كما ان الكعبة خصت بمتالف البادية
مرحبا عن جاورها كما الجادة شوقا الى اللقاء يوم التنادي ويذكروا اسم الله عند الذبح في ايام معلومات هي عشر
ذي الحجة عند ابي حنيفة واخرها يوم النحر وهو قول ابن عباس والاكثر المفسرين رضوان الله عليهم اجمعين وعند صاحبيه
هي ايام النحر وهو قول ابن عمر رضي الله عنهم على ما رزقهم من بهيمة الانعام اي على ذبحه وهو موكد قولها والبهيمة مبهمة
في كل ذات اربع في البر والبحر فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والضان والمعز فكلوا منها من لحومها والامر للاباحة
ويجوز الاكل من هدي التطوع والمتعة والقران لانه دم نسك فاشبه الاضحية ولا يجوز الاكل من بقية الهدايا
واطعموا البائس الفقير ضعيفة الاعسار انتهى المدارك

من تفسير ابن الكمال رحمه الله

ليشهدوا ليحضروا متعلق باذن او بياتوك منافع لهم دينية ودنيوية وتنكيرها لان المراد نوع منها مختص بهذه العبادة
ويذكروا اسم الله عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين لا ينفك عنه تنبيها على انه المقصود
مما يتقرب به الى الله في ايام معلومات هي عشر ذي الحجة او ايام النحر على ما رزقهم الله من بهيمة الانعام علق الفعل بالمرزوق
وبينه بالبهيمة تحسينا للكلام بنوع من البلاغة لم توجد في غير هذه العبارة وتنبيها للكناية بالقرينة وتعظيم المرزوق بالابهام
والتوضيح للتحريض على التقرب بها وقد سبق في المائدة ما يتعلق بتفسير بهيمة الانعام فكلوا منها امر اباحة وازاحة لما عليه
اهل الجاهلية من التحرج فيه او ندبا لما فيه من مواساة الفقراء ومساواتهم واستعمال التواضع وهذا في هدي التطوع
والمتعة والقران لانه دم نسك فاشبه الاضحية دون بقية الهدايا واطعموا البائس الذي اصابه باس اي شدة الفقير المحتاج
الامر فيه للوجوب وقد قيل به في الاول

ليشهدوا متعلق بياتوك لا باذن او ليحضروا منافع عظيمة الخطر كثيرة العدد او نوعا من المنافع الدينية والدنيوية
المختصة بهذه العبادة واللام في قوله تعالى لهم متعلق بمحذوف هو صفة لمنافع اي منافع كائنة لهم ويذكروا اسم الله عند
اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وفي جعله غاية للاتيان ايذان بانه الغاية القصوى دون غيره وقيل هو كناية عن الذبح لانه لا ينفك عنه
في ايام معلومات هي ايام النحر كما ينبئ عنه قوله تعالى على ما رزقهم من بهيمة الانعام فان المراد بالذكر ما وقع عند الذبح وقيل
هي عشر ذي الحجة وقد علق الفعل بالمرزوق وبين بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على الذكر فكلوا منها التفات الى الخطاب
والفاء فصيحة لمدخولها على مقدر قد حذف للاشعار بانه امر محقق غير محتاج الى التصريح به كما في قوله تعالى فانفجرت اي فاذكروا اسم الله
على ضحاياكم فكلوا من لحومها والامر للاباحة وازاحة ما كانت عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او للندب الى مواساة الفقراء
ومساواتهم واطعموا البائس اي الذي اصابه بؤس وشدة الفقير المحتاج وهذا الامر للوجوب وقد قيل به في الاول ايضا
انتهى ابو السعود رحمه الله

ليشهدوا صلة لقوله اذن اي ليحضروا منافع لهم دينية ودنيوية او متاجرهم وقضاء مناسكهم ويذكروا اسم الله عند الذبح
في ايام معلومات بالعدد عندهم لانهم كانوا يعدونها لاجل الحج وهي عشر ذي الحجة عند ابي حنيفة رحمه الله اي ايام ليالي العشر
او هي يوم النحر وثلثة بعده عند غيره وقيل المعلومات ايام النحر والمعدودات ايام التشريق وهو طريق الفقهاء وجعلوا الشبه
لانه ذكر في ايام معلومات الذبح وفي ايام معدودات الذكر عند الرمي ورخص بتركه في اليوم الاخير بقوله في سورة البقرة فمن تعجل
في يومين فلا اثم عليه الاكمل على ما رزقهم من بهيمة الانعام اي ليذكروا اسم الله عند الذبح على الابل والبقر والغنم فلا يكون
من غيرها قوله فكلوا منها امر اباحة لان اهل الجاهلية كانوا لا ياكلون من نسائكهم واطعموا البائس اي الشديد البوس الفقير اي
الضعيف بالاعسار انتهى العيون

ثم ليقضوا تفثهم ثم ليزيلوا عنهم ادرانهم وقيل
قضاء التفث قص الشارب والاظفار ونتف الابط
والاستحداد والتفث الوسخ والمراد قضاء ازالة
التفث وقال ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم التفث
مناسك الحج وليوفوا نذورهم مواجب حجهم والعرب
تقول لكل من خرج عما وجب عليه وفى بنذره وان لم ينذر
او ما ينذرونه من اعمال البر في حجهم وليطوفوا طواف
الزيارة الذي هو ركن الحج ويقع به تمام التحلل بالبيت
العتيق القديم لانه اول بيت وضع للناس بناه آدم
ثم جدده ابراهيم عليهما السلام او الكريم ومنه عتاق
الرقيق اي الخروج من ذل العبودية الى كرم الحرية
او لانه اعتق من الغرق لانه رفع زمن الطوفان او من
ايدي الجبابرة كم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله
تعالى او من الملاك فلم يملك قط وهو مطاف اهل
الغبراء كما ان العرش مطاف اهل السماء ذلك
خبر مبتدا محذوف اي الامر ذلك او تقديره ليفعلوا
ذلك ومن يعظم حرمات الله الحرمة ما لا يحل هتكه
وجميع ما كلفه الله تعالى بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها
فيحتمل ان يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل ان يكون خاصا
فيما يتعلق بالحج وقيل حرمات الله البيت الحرام والمشعر الحرام
والشهر الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام فهو التعظيم
خير له عند ربه ومعنى التعظيم العلم بانها واجبة المراعاة
والحفظ والقيام بمراعاتها انتهى المدارك

ثم ليقضوا تفثهم ثم ليزيلوا عنهم ازالته كناية عن تنظيفه والمراد
قضاء ازالته وقيل قضاء التفث قص الشارب والاظفار ونتف
الابط والاستحداد وذلك عند الاحلال وكذلك صدر به
بكلمة التراخي وليوفوا نذورهم مواجب حجهم والعرب تقول
لكل من خرج عما وجب عليه وفى بنذره وان لم ينذروا ما ينذرونه
من اعمال البر في حجهم وليطوفوا طواف الزيارة الذي هو
ركن الحج ويقع به تمام التحلل وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق
القديم لانه اول بيت وضع للناس او الكريم ومنه عتاق الخيل
لكرائمها وعتاق الرقيق الخروج من ذل العبودية الى كرم الحرية
او المعتق من الغرق لانه رفع زمن الطوفان او من تسلط
الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله واما الحجاج
فانه قصد اخراج ابن الزبير رض الذي تحصن به منه دون التسلط
عليه ذلك خبر مبتدا محذوف اي الامر ذلك ونحوه امثاله للفصل
بين كلامين ومن يعظم حرمات الله الحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما
كلفه الله تعالى بهذه الصفة فيجوز ان يكون عاما في جميع احكامه
وان يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وقيل حرماته البيت الحرام
والمشعر الحرام والشهر الحرام فهو اي التعظيم خير له والتعظيم القيام
بمراعاتها مع اعتقاداتها واجبة المراعاة عند ربه يعني في الاخرة انتهى البيضاوي

ثم ليقضوا تفثهم اي ليؤدوا ازالته وصيحهم او ليحكموها بقص
الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال
وليوفوا نذورهم ما ينذرون من البر في حجهم وقيل مواجب
الحج وقرئ بفتح الواو وتشديد الفا وليطوفوا طواف الركن
الذي به تمام التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع
بالبيت العتيق اي القديم فانه اول بيت وضع للناس او المعتق
من تسلط الجبابرة فكاين من جبار سار اليه ليهدمه فقصمه الله
واما الحجاج الثقفي فانما قصد اخراج ابن الزبير رضي الله عنهما منه لا التسلط عليه ذلك اي الامر ذلك وهذا وامثاله يطلق للفصل
بين الكلامين او بين وجهي كلام واحد ومن يعظم حرمات الله اي احكامه وسائر ما لا يحل هتكه بالعلم بوجوب مراعاتها والعمل بموجبها
وقيل الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام فهو خير له اي فالتعظيم خير له ثوابا
عند ربه اي في الاخرة والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير من لتشريفه والاشعار بعلة الحكم انتهى ابو السعود

ثم ليقضوا تفثهم اي ليزيلوا تفثهم يعني اوساخهم او التفث مناسك الحج كالرمي والحلق والذبح ونتف الابط واخذ الشارب وقص الاظافير
وحلق العانة والمراد بقضائه الخروج من الاحرام الى الاحلال بافعاله وليوفوا بالتخفيف من اوفى وبالتشديد من وفى والمعنى واحد
بالتبعية نذورهم يعني كل ما اوجبوا على انفسهم للحج والعمرة من هدي وغيره فاذا نحروا يوم النحر فقد اوفوا نذورهم وليطوفوا
اي بسكون اللام في الثلثة وبكسرها فيها وبكسر اللام في الاول دون الاخير اي ليزوروا طواف الافاضة وهو طواف الزيارة
بالبيت العتيق اي القديم وذلك بعد ما حلق المحرم راسه او قصر وسمي عتيقا لانه اول بيت وضع للناس او لانه عتق من الفيل
النبي والجاجات وغير ذلك في الجاهلية او عتق من الغرق يوم الطوفان او عتق من الجبابرة المتسلطة ولا يملك بتسليط
الحجاج عليه ذلك خبر مبتدا محذوف اي الامر ذلك المذكور من اعمال الحج ومثله فصل لما بعده عما قبله ومن يعظم حرمات الله
الحرمة ما لا يحل هتكه بالعلم بانها واجبة الحفظ بالعمل من مناسك الحج فهو خير له اي ذلك التعظيم اعظم اجرا عند ربه في دار الاخرة
انتهى العيون

واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم الا المتلو عليكم تحريمه وهو ما حرم منها لعارض كالميتة وما اهل به لغير الله فلا تحرموا منها غير ما حرم الله كالبحيرة والسائبة وفي عبارة يتلى اشارة الى ان التحريم لا يكون الا من جهة الشارع بنص متلو فاجتنبوا الرجس من الاوثان صدره بالفاء السببية لانه لما حث على تعظيم حرمات الله تعالى لزم وجوب المحافظة على حدوده التي اعظمها التوحيد فدل وجوب الاجتناب من عبادة الاوثان فيه دخولا اوليا وتسبب عنه ومن للبيان اي الرجس الذي هو الاوثان وهو غاية المبالغة في النهي عن تعظيمها حيث سماها الرجس وعرفه بلام الجنس وامر بالاجتناب عن عينه وبينه بالاوثان كان جنس الرجس ما هو الاوثان كل ذلك تنفيرا عن عبادتها وخصوصا بجعلها الرجس الذي ينفر الانسان عنه بطبعه واجتنبوا قول الزور قرنه بالشرك في وجوب الاجتناب عنه ولم يعطف بل كرر واجتنبوا تنبيها على اصالة تحريمه وتعميما لما ذكرنا فان الشرك يلزمه قول الزور اذ المشرك يدعي الالوهية للوثن ويدخل فيه تحريم البحاير وغيره من مقرباتهم فيكون كالعلة لتحريم الشرك بتحريم لازمه الاعم وقيل المراد بقول الزور الاشراك بالله تلبيتا ويتلو هذه الآية والاظهر العموم ليتناول الشهادة وسائر الاكاذيب والزور من الزور وهو الانحراف كما ان الافك من الافك وهو الصرف فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع حنفاء لله مستقيمي الطريقة على امر الله تعالى واصل الحنف الاستقامة وقيل تمايل المتقدم اخنف تعاء لا الاستقامة غير مشركين به غيره في العبادة وهما حالان من الواو ومن يشرك بالله لما اخذ في التمثيل عدل عن الضمير الى الاسم الظاهر في التفخيم المناسب لمقام التهويل فكانما خر من السماء سقط منها فتخطفه الطير الخطف الاستلاب بسرعة او تهوي به الريح اي تسقط والهوي السقوط في مكان سحيق بعيد شبه حال المشركين في هلاك هلاكا لا خلاص معه بحال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق قطعا في حواصلها او عصفت به الريح فهوت به في بعض المهالك البعيدة هذا اذا جعلته

واحلت لكم الانعام اي اكلها الا ما يتلى عليكم آية تحريمه وذلك قوله تعالى حرمت عليكم الميتة الآية والمعنى ان الله تعالى قد احل لكم الانعام الا ما بين في كتابه فحافظوا ولا تحرموا شيئا مما احل كتحريم البعض البحيرة ونحوها ولا تحلوا ما حرم كاحلالهم اكل الموقوذة والميتة وغيرها ولما حث على تعظيم حرماته اتبعه الامر باجتناب الاوثان وقول الزور بقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور لان ذلك من اعظم الحرمات واسبقها من الاوثان بيان للرجس لان الرجس مبهم يتناول غير شيء كانه قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان وسمى الاوثان رجسا على طريقة التشبيه يعني انكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس فعليكم ان تنفروا عنها وجمع بين الشرك وقول الزور اي الكذب والبهتان او شهادة الزور وهو من الزور وهو الانحراف لان الشرك من باب الزور اذ المشرك زاعم ان الوثن يحق له العبادة حنفاء لله مسلمين غير مشركين به حال الحنفاء ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء اي سقط من السماء الى الارض فتخطفه الطير اي تسلبه بسرعة او تهوي به الريح اي تسقطه والهوي السقوط في مكان سحيق بعيد يجوز ان يكون هذا تشبيها مركبا ويجوز ان يكون مفرقا فان كان مركبا فكانما قال من اشرك بالله تعالى فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس بعده بان صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق قطعا في حواصلها او عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطارح البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي اشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء المردية بالطير المختطفة والشيطان هو الذي يوقعه في الضلال بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة انتهى المدارك

من باب التشبيه المركب وتمثيل صورة حاله بصورة حال من هلك على احدى الصورتين وان جعلته من باب التشبيه المفرق شبهت الفطرة القابلة للتوحيد في علو رتبته بالسماء والمشرك بالساقط والاهواء المردية الموزعة افكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به في تيه الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة والشرك الذي فيه بالمكان السحيق واو للتخيير كما في قوله تعالى او كصيب او للتنويع فان من المشركين من لا خلاص له اصلا ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة لكن على بعد انتهى ابو الكمال

واحلت لكم الانعام وهي الازواج الثمانية على الاطلاق فقوله تعالى الا ما يتلى عليكم اي الا ما يتلى عليكم آية تحريمه استثناء متصل منها على ان ما عبارة عما حرم منها لعارض كالميتة وما اهل به لغير الله تعالى والجملة اعتراض جيء به تقريرا لما قبله من الامر بالاكل والاطعام ودفعا لما عسى يتوهم ان الاحرام يحرمه كما يحرم الصيد وعدم الاكتفاء ببيان عدم كونه من ذلك القبيل بحل الانعام على ما ذكر من الضحايا والهدايا المعهودة خاصة لئلا يحتاج الى الاستثناء المذكور اذ ليس فيها ما حرم لعارض قطعا لمراعاة حسن التخلص الى ما بعده من قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان فانه مترتب على ما يفيده قوله تعالى ومن يعظم حرمات الله من وجوب مراعاتها والاجتناب عن هتكها ولما كان بيان حل الانعام من دواعي التعاطي لا من مبادي الاجتناب عقب

عقب بما يوجب الاجتناب عنه من الحرمات ثم امر بالاجتناب عما هو اقصى الحرمات كانه قيل ومن يعظم حرمات الله فهو خير له والانعام ليست من الحرمات فانها محللة لكم الا ما يتلى عليكم آية تحريمه فانه مما يجب الاجتناب عنه فاجتنبوا ما هو معظم الامور التي يجب الاجتناب عنها وقوله تعالى واجتنبوا قول الزور تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان راس الزور وكانه لما حث على تعظيم الحرمات اتبع ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحاير والسوائب ونحوها والافتراء على الله تعالى بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله تعالى وتلا هذه الآية والزور من الزور وهو الانحراف كالافك المأخوذ من الافك الذي هو القلب والصرف فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع وقيل هو قول اهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك حنفاء لله مائلين عن كل دين زائغ الى الدين الحق مخلصين لله تعالى غير مشركين به اي شيئا من الاشياء فيدخل في ذلك الاوثان دخولا اوليا وهما حالان من واو فاجتنبوا ومن يشرك بالله جملة مبتدأة مؤكدة لما قبلها من الاجتناب من الاشراك واظهار الاسم الجليل لاظهار كمال قبح الاشراك فكانما خر من السماء لانه سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر فتخطفه الطير فان الاهواء المردية توزع افكاره وقرئ فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء وبكسر الخاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما واصلها تختطفه او تهوي به الريح اي تسقطه وتقذفه في مكان سحيق بعيد فان الشيطان قد طوح به في الضلالة واو للتخيير كما في او كصيب او للتنويع ويجوز ان يكون من باب التشبيه المركب فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا شبيها باهلاك احدى الهالكين انتهى ابو السعود رحمه الله

احلت لكم الانعام اي اكلها بعد الذبح الا ما يتلى عليكم تحريمه في قوله تعالى حرمت عليكم الميتة الآية في سورة المائدة وهو استثناء منقطع اذ المتلو ليس من جنس الانعام او متصل بان يكون المحرم منها بعارض كالميتة والموقوذة الى القدر فاجتنبوا الرجس من الاوثان اي اتركوا عبادتها ومن بيانية للرجس لانه يعم الاوثان وغيرها اي اجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان ووجه تسميته الاوثان رجسا هو التشبيه اي انفروا عنها كما تنفر طباعكم من الرجس واجتنبوا قول الزور اي الكذب والبهتان وهو قولهم هذا حلال وهذا حرام او هو الشرك وتلك الزور واصله الانحراف وهو الميل من الحق الى الباطل حنفاء لله اي مخلصين في التلبية والاجتناب عن معصية الله تعالى غير مشركين به شيئا لان اهل الجاهلية كانوا يشركون في تلبيتهم بقولهم لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك ومن يشرك بالله فكانما خر اي سقط من السماء فتخطفه اي تسلبه الطير بسرعة او تهوي به اي تسقطه الريح من السماء في مكان سحيق اي بعيد متلف وهو وادي الضلالة والبعد من الله تعالى لا يمكن خلاصه منه انتهى العقول

ذلك اي الامر ذلك ومن يعظم شعائر الله تعظيم الشعائر
وهي الهدايا لانها من معالم الحج ان يختارها عظام الاجرام
حسانا سمانا غالية الاثمان فانها من تقوى القلوب
اي فان تعظيمها من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه
المضافات وانما ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى لكم فيها
منافع من الركوب عند الحاجة وشرب البانها عند الضرورة
الى اجل مسمى الى ان تنحر ثم محلها اي وقت وجوب نحرها
منتهية الى البيت العتيق والمراد نحرها في الحرم الذي هو في
حكم البيت اذ الحرم حريم البيت ومثله في الاتساع قولك
بلغت البلد وانما اتصل سيرك بحدوده وقيل
الشعائر المناسك كلها ولكل امة جماعة مؤمنة قبلكم
جعلنا منسكا حيث كان بكسر السين بمعنى الموضع على
وجه اي موضع قربان وغيرها بالفتح على المصدر اي
اراقة الدماء وذبح القرابين ليذكروا اسم الله دون
غيره على ما رزقهم من بهيمة الانعام اي عند نحرها و
ذبحها فالهكم اله واحد اي اذكروا على الذبائح اسم الله
وحده فان الهكم اله واحد وفيه دليل على ان ذكر اسم الله شرط
الذبح يعني ان الله تعالى شرع لكل امة ان ينسكوا له اي
يذبحوا له على وجه التقرب وجعل العلة في ذلك ان
يذكر اسمه تقدست اسماؤه على النسائك فله اسلموا اي
اخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه له سالما اي خالصا
لا تشوبوه باشراك وبشر المخبتين المطمئنين بذكر الله
او المتواضعين الخاشعين من الخبت وهو المطمئن من الارض
وعن ابن عباس رضي الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا
وقيل تفسيره ما بعده الذين اذا ذكر الله الخ انتهى

ذلك اي الامر ذلك ومن يعظم شعائر الله معالم دينه اراد بها
الهدايا لانها من معالم الحج وكفى سياق الكلام وسياقه قرينة للتخصيص
وتعظيمها اعتقاده كون التقرب بها من معالم الطاعات واختيارها
حسانا سمانا غالية الاثمان وترك المكاس في شرائها روي
ان عمر رضي الله عنه اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار جزاؤه محذوف
فهم متقون حقا لدلالة التعليل القائم مقامه وهو اذا دخل الفاء
الجزائية عليه والضمير في فانها للتعظيمات من عظموا شعائر الله
من تقوى القلوب اي ناشئة منها واللام عوض عن المضاف اليه
اي من تقوى قلوبهم واضافتها اليها لان اصل التقوى المراقي
لكم فيها منافع كثيرة دينية ودنيوية من درها ونسلها وظهرها
وصوفها والتصدق بفوائدها الى اجل مسمى الى وقت نحرها
ثم محلها الى البيت العتيق ثم موضع حل نحرها منتهي الى البيت او قريب
اليه وهو الحرم وثم يحتمل التراخي في الوقت والتراخي في الرتبة
اي لكم فيها منافع دنيوية الى وقت النحر وبعده منافع دينية اعظم
منها ولكل امة اهل دين جعلنا منسكا متعبدا او قربانا
يتقربون به الى الله تعالى وقرئ بالكسر اي موضع نسك ليذكروا
اسم الله على ما رزقهم علة للجعل منبهة ان المقصود من المناسك
ذكر الله تعالى من بهيمة الانعام فيه تنبيه على ان القربان لا يكون
الا من النعم فالهكم اله واحد فله اسلموا الفاء في الموضعين للسببية
وتقديم له للتخصيص اي لما كان القصد الاصلي من وضع المناسك
ذكر الله تعالى وتوحيده فاعلموا ان الهكم اله جميع الامم اله واحد فله خاصة
اخلصوا الذكر دون غيره واجعلوا له سالما اي خالصا لا تشوبوه بالاشراك
البتة وبشر المخبتين اي المتواضعين الخاشعين من الخبت وهو المطمئن من الارض
انتهى ابن الكمال

ذلك اي الامر ذلك او امتثلوا ومن يعظم شعائر الله اي الهدايا فانها
من معالم الحج وشعائره تعالى كما ينبئ عنه والبدن جعلناها لكم من شعائر الله
وهو الاوفق لما بعده وتعظيمها اعتقاد ان التقرب بها من اجل القربات
وان يختارها حسانا سمانا غالية الاثمان روي انه صلى الله عليه وسلم
اهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وان عمر رضي الله عنه اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فانها اي فان تعظيمها
من تقوى القلوب اي من افعال ذوي تقوى القلوب وتخصيصها بالاضافة لانها مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها
في سائر الاعضاء لكم فيها اي في الهدايا منافع هي درها ونسلها وصوفها وظهرها الى اجل مسمى هو وقت نحرها والتصدق بلحمها والاكل
ثم محلها اي وجوب نحرها او وقت نحرها منتهية الى البيت العتيق اي الى ما يليه من الحرم وثم للتراخي الزماني او الرتبي اي لكم فيها
منافع دينية اعظمها النفع بمحلها اي وجوب نحرها الى البيت العتيق اي منتهية اليه هذا وقد قيل
المراد بالشعائر مناسك الحج ومعالمه والمعنى لكم فيها منافع بالاجر والثواب في قضاء المناسك واقامة شعائر الحج الى اجل مسمى
هو انقضاء ايام الحج ثم محلها اي محل الناس من احرامهم الى البيت العتيق اي منتهية اليه بان يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر
بعد قضاء المناسك فاضافة المحل اليها لادنى ملابسة ولكل امة اي لكل اهل دين جعلنا منسكا اي متعبدا وقربانا يتقربون به
الى الله وقرئ بكسر السين اي موضع نسك وتقديم الجار والمجرور على الفعل للتخصيص اي لكل امة من الامم جعلنا منسكا لا لبعض منهم
دون بعض ليذكروا اسم الله خاصة دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه الكريم علل الجعل به تنبيها على ان المقصود الاصلي من المناسك
ذكر المعبود على ما رزقهم من بهيمة الانعام عند ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان يجب ان يكون من الانعام والخطاب في قوله
فالهكم اله واحد للكل تغليبا والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان جعله تعالى لكل امة من الامم منسكا مما يدل على وحدانيته تعالى وانما قيل
اله واحد ولم يقل واحد لما ان المراد بيان انه تعالى واحد في ذاته كما انه واحد في الهيته للكل والفاء في قوله تعالى فله اسلموا لترتيب ما بعدها
من الامر بالاسلام على وحدانيته تعالى وتقديم الجار والمجرور على الامر للقصر اي فاذا كان الهكم الها واحدا فاخلصوا له التقرب او الذكر
واجعلوه لوجهه خاصة ولا تشوبوه بالشرك وبشر المخبتين تجريد للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اي المتواضعين او المخلصين فان
الاخبات من الوظائف الخاصة بهم انتهى ابو السعود رحمه الله

ذلك تقديره كما مر اي الامر هو المذكور من اجتناب الرجس وقول الزور ومن يعظم شعائر الله وهي الهدايا المشعرة
العلامة لتعرف انها هدي لا يتعرض بها وتعظيمها استسمانها واستحسانها الخ فانها من تقوى القلوب منهم جواب
الشرط اي ان تعظيمها من افعال اصحاب تقوى القلوب والمراد منه اخلاصها والضمير في منهم المقدر راجع
من الجزاء الى الشرط ليصح المعنى لكم فيها اي في البدن منافع من ركوبها وشرب البانها وقطع اوبارها الى اجل
اي الى وقت انقضاء الحج او منافع يوم القيمة وهي المنافع الدينية ثم محلها الى البيت العتيق اي الذي ينحر فيه الهدي
عند البيت القديم او ينتهي اليه وهو جميع الحرم من اطراف مكة لانه في حكم البيت ولكل امة جعلنا منسكا بالكسر
مفعول به بمعنى الظرف اي شرع الله لكل قوم من المؤمنين مكانا ووقتا يذبحون فيه على وجه التقرب واللام للتعليل
الجعل في ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام لعله ذكر اسم الله تعالى عند الذبح وقرئ منسكا بالفتح مصدر
اي شرعنا لكل امة ان يتقرب بالذبح له من الذبائح فالهكم اله واحد فله اي لله تعالى اسلموا اي اخلصوا الذكر
بالتسمية عند الذبيحة وفي التلبية سالما عن شوب الشرك وبشر المخبتين اي المطيعين المتواضعين في العبادة واصل
الخبت الانخفاض من المكان انتهى العيني

الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم من هيبة لاشراق اشعة جلاله عليها والصابرين على ما اصابهم من المحن والمصائب والمقيمي الصلوة في اوقاتها ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير والبدن جمع بدنة كخشب وخشبة واصله الضم وقد قرئ به وانما سميت بالعظم بدنها ماخوذة من بدن بدانة وقيل للابل خاصة وقد دل عليه الحاق رسول الله صلى الله عليه وسلم البقر بالبدنة حين قال البدنة عن سبعة والبقر عن سبعة ولا دلالة فيه على صيرورة البدنة متناولة للجنسين في الشريعة وانتصابه بفعل يفسره جعلناها لكم وقرئ بالرفع على الابتداء كقوله تعالى والقمر قدرناه من شعائر الله اي من اعلام الشريعة التي شرعها الله تعالى واضافها الى اسمه تعظيما لها لكم فيها خير منافع دينية ودنيوية فاذكروا اسم الله عليها بان تقولوا عند النحر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف حال من الهاء اي قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس وهو ان يقوم على ثلث وطرف سنبك الرابعة لانها تعقل احدى يديها فتقوم على ثلث وصوافنا بالتنوين عوضا من حروف الاطلاق عند الوقف وصوافي اي خوالص لوجه الله تعالى وصوافٍ على لغة من يسكن الياء مطلقا نحو مثل العرب اعط القوس باريها فاذا وجبت جنوبها اي سقطت على الارض بعد نحرها قائمة وهو كناية عن موتها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر اي فاذا ماتت فحل لكم الاكل منها والاطعام القانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير سؤال من قنعت قنعا وقناعة ويؤيده انه قرئ المقنع وهو الراضي والمعتر المتعرض بالسؤال وقيل القانع السائل من قنعت اليه اذا خضعت له بمسألته قنوعا والمعتر المتعرض بغير سؤال وقرئ والمعتري يقال عره وعراه واعتره واعتراه بمعنى كذلك مثل ما وصفنا من نحرها قياما سخرناها لكم مع عظمها وفرط قوتها حتى تاخذوها فتعقلوها وتحبسوها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها لعلكم تشكرون انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص

الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم خافت منه هيبة والصابرين على ما اصابهم من المحن والمصائب والمقيمي الصلوة في اوقاتها ومما رزقناهم ينفقون يتصدقون والبدن جمع بدنة سميت لعظم بدنها وفي الشريعة تتناول الابل والبقر وهو كقوله والقمر قدرناه جعلناها لكم من شعائر الله اي من اعلام الشريعة التي شرعها الله تعالى واضافها الى اسمه تعظيما لها ونهى شعائر الله تعالى [illegible] جعلنا لكم فيها خير النفع في الدنيا والاجر في العقبى فاذكروا اسم الله عليها عند نحرها صواف حال من الهاء اي قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن فاذا وجبت جنوبها وجوب الجنوب وقوعها على الارض من وجب الحائط وجبة اي سقط اي اذا سقطت جنوبها على الارض بعد نحرها وسكنت حركتها فكلوا منها ان شئتم واطعموا القانع السائل من قنعت اليه اذا خضعت له وسألته قنوعا والمعتر الذي يريك نفسه ويتعرض ولا يسأل وقيل القانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير سؤال من قنعت قنعا وقناعة والمعتر المتعرض بالسؤال كذلك سخرناها لكم اي كما امرناكم بنحرها سخرناها لكم اي ذللناها لكم مع قوتها وعظم اجرامها لتتمكنوا من نحرها لعلكم تشكرون لكي تشكروا انعام الله عليكم

الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم منه تعالى لاشراق اشعة جلاله عليها والصابرين على ما اصابهم من مشاق التكاليف ومؤنات النوائب والمقيمي الصلوة في اوقاتها وقرئ بنصب الصلوة على تقدير النون وقرئ والمقيمين الصلوة على الاصل ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخيرات والبدن بضم الباء وسكون الدال وقرئ بضمها وهما جمعا بدنة وقيل الاصل ضم الدال كخشب وخشبة والتسكين تخفيف منه وقرئ بتشديد النون على لفظ الوقف وانما سميت بها الابل لعظم بدنها ماخوذة من بدن بدانة وحيث شاركها البقرة في الاجزاء عن سبعة بقوله صلى الله عليه وسلم البدنة عن سبعة والبقر عن سبعة جعلا في الشريعة جنسا واحدا وانتصابه بمضمر يفسره جعلناها لكم وقرئ بالرفع على انه مبتدا والجملة خبره وقوله تعالى لكم فيها خير اي منافع دينية ودنيوية جملة مستانفة مقررة لما قبلها فاذكروا اسم الله عليها بان تقولوا عند ذبحها الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف اي قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلث وعلى طرف سنبك الرابعة لان البدنة تعقل احدى يديها فيقوم على ثلث وقرئ صوافنا بابدال التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف وقرئ صوافي اي خوالص لوجه الله تعالى وصوافٍ على لغة من يسكن الياء على الاطلاق كما في قولهم اعط القوس باريها اي باريها على الحذف ثان فاذا وجبت جنوبها سقطت على الارض وهي كناية عن الموت فكلوا منها واطعموا القانع اي الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسألة ويؤيده انه قرئ القنع اوالسائل اي من قنع اليه قنوعا اذا خضع له في السؤال والمعتر اي المتعرض للسؤال وقرئ المعتري يقال عره وعراه واعتره واعتراه كذلك مثل ذلك التسخير البديع المفهوم من قوله تعالى صواف سخرناها لكم مع كمال عظمها ونهاية قوتها فلا تستعصي عليكم حتى تاخذوها منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها لعلكم تشكرون لتشكروا انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص

انتهى ابو السعود

الذين اذا ذكر الله صفة كاشفة للمخبتين اي هم الذين اذا ذكر الله عندهم وجلت اي خافت قلوبهم والصابرين عطف على الذين اي والذين صبروا على ما اصابهم من المحن والمصائب في اوقاتها والمقيمي الصلوة في اوقاتها باتمام اركانها ومما رزقناهم ينفقون في طاعة الله تعالى فهذه الخصال الاربع للمخبتين والبدن منصوب بمضمر كقوله تعالى والقمر قدرناه جمع بدنة وهي الابل خاصة بدليل الحاق النبي صلى الله عليه وسلم البقرة بالابل حين قال البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة جعلناها لكم من شعائر الله اي من اعلام دينه لكم فيها اي في نحرها خير اي اجر في الاخرة ومنفعة في الدنيا فاذكروا اسم الله عليها عند نحرها صواف حال من الهاء في عليها اي قائمة على القوائم الاربع وقرا ابن عباس رضي الله عنهما صوافن بمعنى على ثلث قد عقلت على الارض بجنبها بعد النحر وسكنت حركتها فكلوا منها اي حل لكم الاكل منها والاطعام وكان المشركون لا ياكلون من ذبائحهم فرخص للمسلمين بقوله فكلوا منها واطعموا القانع اي الذي يقنع بما يعطى من غير سؤال والمعتر اي الذي يتعرض بالسؤال قيل السنة ان ياكل الرجل من لحم اضحيته ثلثا وان يتصدق انتهى

لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم

اى لن يتقبل الله اللحوم والدماء ولكن يتقبل التقوى او لن يصيب رضى الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المراقة بالنحر والمراد اصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضى المضحون والمقربون ربهم الا بمراعاة النية والاخلاص ورعاية شروط التقوى وقيل كان اهل الجاهلية اذا نحروا الابل نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون ارادوا مثل ذلك فنزلت كذلك سخرها لكم اى البدن لتكبروا الله لتسموا الله عند الذبح او لتعظموه على ما هديكم على ما ارشدكم اليه وبشر المحسنين الممتثلين اوامره بالثواب ان الله يدافع اى يبالغ في الدفع عن الذين آمنوا اى يدافع غائلة المشركين عن المؤمنين ونحوه انا لننصر رسلنا والذين آمنوا ثم علل ذلك بقوله ان الله لا يحب كل خوان في امانة الله كفور لنعمة الله اى لا يحب اضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون اماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها اذن للذين يقاتلون اى اذن لهم في القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه بانهم ظلموا بسبب كونهم مظلومين وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مشركو مكة يؤذونهم اذى شديدا وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فانى لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزل الله تعالى هذه الآية وهي اول آية اذن فيها القتال بعد ما نهى عنه في نيف وسبعين آية وان الله على نصرهم لقدير اى على نصر المؤمنين لقادر وهي بشارة للمؤمنين بالنصرة وهو مثل قوله ان الله يدافع عن الذين آمنوا انتهى المدارك

لن ينال الله لن يصيب رضى الله تعالى ولن يقع منه موقع القبول لحومها المتصدق بها ولا دماؤها المراقة عند النحر من حيث انها لحوم ودماء ولكن يناله التقوى منكم ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى التي يدعوكم الى تعظيم امر الله تعالى والتقرب اليه والاخلاص والتحرز عنا قيل كان اهل الجاهلية اذا نحروا البدن نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون ارادوا مثل ذلك فنزلت كذلك سخرها لكم كرر التسخير تذكيرا للنعمة وتعليلا لقوله لتكبروا الله على ما هديكم اى لتعرفوه باقداره اياكم وتعلموا انه القادر على ما لا يقدر عليه غيره فتعظموه بالكبرياء وتشكروه على انعامه عليكم بالهداية الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها فتعديته بعلى لتضمين معنى الشكر وبشر المحسنين المخلصين فيما يأتونه ويذرونه وانا ترك المبشر به للاشارة الى انه مما لا يفيد العبادة ان الله يدافع وقرئ يدافع اى يبالغ في الدفع مبالغة من تغالب فيه عن الذين آمنوا حذف المفعول للتعميم ثم علل بقوله ان الله لا يحب كل خوان في امانة الله تعالى كفور لنعمته اى لانه لا يحب اضدادهم وهم الايماء الى ان اعاديهم الواجب دفعهم هم المشركون والتنصيص يمنعهم بانهم الخوانون الكفارون والتعريض بان اضداد هم المؤمنين هم الامناء الشكورون وان الله يحبهم وعلى مقتضى ما ضمنه اتى بصيغة المبالغة والا فمقتضى الظاهر نفي محبته عن كل خائن وكافر بل اثبات بغضه لهما اذن رخص للذين حذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه بفتح التاء اى للذين يقاتلهم المشركون بانهم ظلموا بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر ثم نزلت هذه الآية وهي اول ما نزل في القتال بعد ما نهى عنه صلى الله عليه وسلم في نيف وسبعين آية وان الله على نصرهم لقدير وعد لهم واورد على سنن كلام الملوك المقتدرين الجبابرة وتأكيد لما سبق من الوعد بدفع اذى الكفار فان النصر ليس مطلق العون بل العون بدفع الشر انتهى

لن ينال الله اى لن يبلغ مرضاته ولن يقع موقع القبول لحومها المتصدق بها ولا دماؤها المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء ولكن يناله التقوى منكم ولكن يصيبه تقوى قلوبكم التي يدعوكم الى الامتثال بامره تعالى وتعظيمه والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية يلطخون الكعبة بدماء قرابينهم فهم به المسلمون فنزلت كذلك سخرها لكم تكرير للتذكير والتعليل بقوله لتكبروا الله اى لتعرفوا عظمته باقتداره على ما يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال او الذبح على ما هداكم اى ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما مصدرية او موصولة اى هدايته اياكم او على ما هداكم اليه وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر وبشر المحسنين اى المخلصين في كل ما يأتون وما يذرون في امور دينهم ان الله يدافع عن الذين آمنوا كلام مستأنف مسوق لتوطين قلوب المؤمنين ببيان ان الله تعالى ناصرهم على اعدائهم بحيث لا يقدرون على صدهم عن الحج ليتفرغوا الى اداء مناسكه وتقديره بكلمة التحقيق لابراز الاعتناء التام بمضمونه وصيغة المفاعلة اما للمبالغة والدلالة على تكرار الدفع فانها قد تجرد عن وقوع الفعل المتكرر من الجانبين فيبقى تكرره كما في الممارسة اى يبالغ في دفع غائلة المشركين وضررهم الذي من جملته الصد عن سبيل الله تعالى مبالغة من يغالب فيه او يدفعها عنهم مرة بعد اخرى حسبما تجدد منهم القصد الى الاضرار بالمسلمين كما في قوله كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله وقرئ يدفع والمفعول محذوف وقوله تعالى ان الله لا يحب كل خوان كفور تعليل لما في ضمن الوعد الكريم من الوعيد للمشركين وايذان بان دفعهم بطريق القهر والخزي ونفي المحبة كناية عن البغض

اي ان الله تعالى يبغض كل خوان في امانة الله تعالى وهي اوامره ونواهيه او في جميع الامانات التي هي معظم الكفور لنعمه وصيغة المبالغة فيهما لبيان انهم كذلك لا لتقييد البغض بغاية الخيانة والكفر وللمبالغة في نفي المحبة على اعتبار النفي اولا وارادة معنى المبالغة ثانيا اذن اى رخص وقرئ على البناء للفاعل اى اذن الله تعالى للذين يقاتلون اى يقاتلهم المشركون والمأذون فيه محذوف لدلالة المذكور عليه فان مقاتلة المشركين اياهم دالة على مقاتلتهم اياهم دلالة نيرة وقرئ على صيغة المبني للفاعل اى يريدون ان يقاتلوا المشركين فيما سيأتي ويحرصون عليه فدلالته على المحذوف اظهر بانهم ظلموا اى بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه صلى الله عليه وسلم بين مضروب ومشجوج ويتظلمون اليه فيقول صلى الله عليه وسلم لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجروا فانزلت وهي اول آية نزلت في القتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية وان الله على نصرهم لقدير وعد لهم بالنصر وتأكيد لما مر من العدة الكريمة بالدفع وتصريح بان المراد به ليس مجرد تخليصهم عن ايدي المشركين بل تغليبهم واظهارهم عليه والاخبار بقدرته تعالى على نصرهم وارد على سنن الكبرياء وتأكيده بكلمة التحقيق واللام لمزيد تحقيق مضمونه وزيادة توطين نفوس المؤمنين انتهى ابو السعود

كذلك اى مثل ذلك التسخير الذي رأيتم وعلمتم من سخرناها لكم ففيه اظهار منة الله تعالى على عباده اى ذللناها طيعة منقادة بان تعقل وتنحر وتركب وتحمل ولولا تسخير الله لم تطق فاعتبروا واعتبروا منه لعلكم تشكرون اى لكي تشكروا ربكم على نعمه وقوله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها نزل حين اراد المسلمون ان يلطخوا بيت الله تعالى بدم النحر ويقولون اللهم تقبل منا كفعل اهل الجاهلية اذا نحروا البدن لينتهوا عنه اى لن يصيب رضا الله تعالى اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المهراقة بالنحر ولكن يناله التقوى منكم اي يناله العمل الخالص له مع الايمان وهو التقوى كذلك سخرها لكم كرره تذكيرا للنعمة بالتسخير تقريرا لها لتكبروا الله اى لتعظموه على ما هداكم اى ارشدكم الى معالم دينه ومناسك حجه والمراد من التكبير الشكر ولذا عدي بعلى وبشر المحسنين وهم الذين فعلوا ما في الآية قبله او الذين احسنوا بذبح غير معيب بالجنة ان الله يدافع اي يدفع اذى المشركين وقرئ يدفع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان اى كل خائن لامانته واورد بلفظ المبالغة لان من ذبح لغير الله تعالى فهو كثير الخيانة لربه كفور لنعمته وفي هذه الآية ايماء الى تحمل اذى المشركين والنصرة عليهم لان كفار مكة كانوا يضربونهم ويشجونهم ويأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويطلبون قتالهم قبل الهجرة فيأمرهم بالصبر ويقول اصبروا على اذاهم فاني لم اومر بقتالهم حتى هاجر فنزلت الآية اعني اذن ونسخت سبعين آية لانها اول آية نزلت والاذن بالقتال اى اذن الله تعالى للذين يقاتلون بفتح التاء مجهولا اى يقاتلهم عدوهم وبكسرها معلوما اى يقاتلون عدوهم بانهم ظلموا اى بسبب ظلم الكفار اياهم وان الله على نصرهم اي نصر المؤمنين على الكافرين لقدير فلما هاجروا اراد الله ان ينصرهم الا ثم بين ظلم الكافر المؤمنين بقوله الذين اخرجوا من ديارهم الا، انتهى

الذين في محل جر بدل من الذين آمنوا او نصب بأعني او رفع باضمارهم
اخرجوا من ديارهم يعني مكة بغير حق يعني موجب استحقوا به الاخراج
الا ان يقولوا ربنا الله ابدال ان يقولوا من حق تأكيد للمدح
بما يشبه الذم على طريق قول النابغة ولا عيب فيهم غير ان
سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب اي بغير موجب
سوى التوحيد الموجب للاعزاز والتمكين والاكرام ولولا دفع
الناس بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين على المشركين بالجهاد
لهدمت الهدم كناية عن الابطال والتعطيل على وجه ابلغ اي
لاستولى المشركون على اهل الملل وعطلوا متعبداتهم صوامع
الصوامع جمع صومعة وهي متعبد الرهبانية وبيع وصلوات
والبيع جمع بيعة وهي متعبد النصارى ومصلاهم والصلوات
وهي كنيسة اليهود سميت صلوة لانه يصلى فيها وقيل كلمة معربة
اصلها بالعبرانية صلوتا ومساجد ومساجد المسلمين انما خص
التعبير بالمسجد بمصلاهم لان السجدة من اركان صلوتهم
صلوة خاصة وانما اخرت من غيرها لا في التقدم من القرب من
التهديم يذكر فيها لا في المساجد خاصة بل في جميع ما ذكر لانه
كالتعليل لصونها عن التهديم بالدفع المذكور اسم الله كثيرا
صفة مصدر محذوف اي ذكرا كثيرا ولينصرن الله من ينصره
اي ينصر دينه ورسله اخبار من الله عن الغيب ووعد انجزه
بتسليط المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة
العجم وقياصرة الروم ان الله لقوي على نصرهم عزيز غالب على ان
وفيه تأكيد لوعده
انتهى ابن كمال

الذين في محل جر بدل من الذين او نصب باعني او رفع
باضمارهم اخرجوا من ديارهم بمكة بغير حق الا ان يقولوا
ربنا الله اي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي ان
يكون موجب التمكين لا موجب الاخراج ومحل ان يقولوا
جر بدلا من حق والمعنى ما اخرجوا من ديارهم الا بسبب
قولهم ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع
وبيع وصلوات ومساجد اي لولا اظهاره وتسليطه المسلمين
على الكافرين بالمجاهدة لاستولى المشركون على اهل الملل
المختلفة في ازمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها
ولم يتركوا للنصارى بيعا ولرهبانهم صوامع ولا لليهود
صلوات اي كنائس وسميت الكنيسة صلوة لانه يصلى
فيها ولا للمسلمين مساجد او لغلب المشركون في امة محمد
صلى الله عليه وسلم وعلى اهل الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا
متعبدات الفريقين وقدم غير المساجد عليها لتقدمها
وجودا او لقربها من التهديم يذكر فيها اسم الله كثيرا في المساجد
او في جميع ما تقدم ولينصرن الله من ينصره اي ينصر
دينه واولياءه ان الله لقوي على نصر اوليائه عزيز على انتقام اعدائه
قاضي

الذين اخرجوا من ديارهم في حيز الجر على انه صفة للموصول الاول
او بدل منه او بيان له او في محل النصب على المدح واراد بديارهم مكة المعظمة بغير حق متعلق باخرجوا اي اخرجوا بغير ما يوجب اخراجهم
وقوله الا ان يقولوا ربنا الله بدل من حق اي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجبا للاقرار والتمكين دون
الاخراج والتسيير لكن لا على الظاهر بل على طريقة قول النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
وقيل الاستثناء منقطع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين على الكافرين في كل عصر وزمان وقرئ دفاع
لهدمت لخربت باستيلاء المشركين على اهل الملل وقرئ هدمت بالتخفيف صوامع للرهبانية وبيع للنصارى وصلوات
اي كنائس لليهود سميت بها لانها يصلى فيها وقيل اصلها صلوثا بالعبرانية فعربت ومساجد للمسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا اي ذكرا كثيرا
او وقتا كثيرا صفة مادحة للمساجد خصت بها دلالة على فضلها وفضل اهلها وقيل صفة للاربع وليس كذلك فان بيان ذكر الله
في الصوامع والبيع والكنائس بعد انتساخ شرعيتها مما لا يقتضيه المقام ولا يرتضيه الافهام ولينصرن الله من ينصره اي وبالله
لينصرن الله من ينصر دينه ولقد انجز الله تعالى وعده حيث سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم
وقياصرة الروم واورثهم ارضهم وديارهم ان الله لقوي على كل ما يريده من مراداته التي من جملتها نصرهم عزيز لا يمانعه شيء
ولا يدافعه ابو السعود

ثم بين ظلم الكافر للمؤمنين بقوله الذين اخرجوا من ديارهم اي من مكة بدل من الذين يقاتلون او نصب على المدح اعني الذين اخرجوا
من ديارهم بغير حق اي بغير جرم الا ان يقولوا استثناء من النفي المقدر اي ما اخرجوا الا ان يقولوا ربنا الله يعني اخرجوهم
بسبب هذا القول الموجب للتمكين لا للاخراج ويدل على تقدير النفي قوله بغير حق ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض اي المشركين بالمؤمنين
لغلب المشركون على المؤمنين وعلى من في ذمتهم فجواب لولا قوله لهدمت اي خربت صوامع للرهبان وبيع للنصارى ومساجد
للمسلمين المعنى لولا دفع الله تعالى عن المتعبدين بالمجاهدين في سبيل الله لانقطعت العبادات وخربت الامكنة التي يذكر فيها اسم الله
كثيرا ولينصرن الله من ينصره اي ينصر دينه ان الله لقوي عزيز اي غالب قادر على ان ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم بغير نصرتهم انتهى [illegible]

الذين محله نصب بدل من من ينصره او جر تابع للذين اخرجوا ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر هو اخبار من الله تعالى عما سيكون عليه سيرة المهاجرين ان مكناهم في الارض وبسط لهم في الدنيا وكيف يقومون بامر الدين وفيه دليل صحة خلافة الخلفاء الراشدين لان الله تعالى اعطاهم التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة وعن الحسن هم امة محمد صلى الله عليه وسلم ولله عاقبة الامور اي مرجعها الى حكمه وتقديره وفيه تاكيد لما وعده من اظهار اوليائه واعلاء كلمتهم وان يكذبوك هذا تسلية لمحمد صلى الله عليه وسلم من تكذيب اهل مكة اياه اي لست باوحدي في التكذيب فقد كذبت قبلهم قبل قومك قوم نوح نوحا وعاد هودا وثمود صالحا وقوم ابراهيم ابراهيم وقوم لوط لوطا واصحاب مدين شعيبا وكذب موسى كذبه فرعون والقبط ولم يقل وقوم موسى لان موسى ما كذبه قومه بنو اسرائيل وانما كذبه غير قومه او كانه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى ايضا مع وضوح اياته وظهور معجزاته فما ظنك بغيره فامليت للكافرين امهلتهم واخرت عقوبتهم ثم اخذتهم عاقبتهم على كفرهم فكيف كان نكير انكاري وتغييري حيث ابدلتهم بالنعم نقما وبالحيوة هلاكا وبالعمارات خرابا نكيري بالوصل يعقوب

الذين بدل ممن ينصره او صفة اخرى للذين يقاتلون قوله ولولا دفع الله اعتراض ان مكناهم في الارض وبسطنا لهم الدنيا اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر قاموا بامر الدين حق القيام وعن عثمان رضي الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء اي اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين ولله عاقبة الامور اي مرجعها الى حكمه وتقديره وفيه ايضا تاكيد لوعده وان يكذبوك تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه اياه اي لست باوحدي في التكذيب فقد كذبت قبلهم قبل قومك قوم نوح نوحا عليه السلام وعاد هودا عليه السلام وثمود صالحا عليه السلام ولم يقل فيهما قوم صالح وقوم هود لان الاصل في التعبير هو العلم والعدول في غيرهما الى التعبير بامر العام لغرض وتحقق العلم وقوم ابراهيم ابراهيم عليه السلام وقوم لوط لوطا عليه السلام واصحاب مدين شعيبا عليه السلام لم يقل هنا وقوم شعيب لان المكذبين له من قومه اصحاب مدين خاصة وكذب موسى غير النظم فيه ولم يقل قوم موسى لان قومه بنو اسرائيل لم يكذبوه وانما كذبه القبط وافرد له الفعل لتعظيمه وبيان ان تكذيبه كان اشنع واياته كانت اعظم واشيع كانه قيل وكذب موسى مع عظم اياته ووضوح معجزاته فما ظنك بغيره وبني الفعل للمفعول اي تم الكلام بالتحديد لما سيق له فامليت للكافرين اي فامهلتهم الزاما للحجة ثم اخذتهم عاقبتهم على كفرهم فكيف كان نكير انكاري عليهم بتغيير النعم نقمة والحيوة هلاكا والعمارة خرابا والبقاء استيصالا انتهى ابن الكمال

الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وصف من الله عز وجل للذين اخرجوا من ديارهم بما سيكون منهم من حسن السيرة عند تمكينه تعالى اياهم في الارض واعطائه اياهم زمام الاحكام مبني عن عدة كريمة على ابلغ وجه والطفه وعن عثمان رضي الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد انه تعالى اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا قالوا وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين لانه تعالى لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لا حظ في ذلك للانصار والطلقاء وعن الحسن رضي الله عنه هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين بدل من قوله من ينصره ولله خاصة عاقبة الامور فان مرجعها الى حكمه وتقديره فقط وفيه تاكيد للوعد باظهار اوليائه واعلاء كلمته وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم متضمنة للوعد الكريم باهلاك من يعاديه من الكفرة وتعيين لكيفية نصره تعالى له الموعود بقوله تعالى ولينصرن الله من ينصره وبيان لرجوع عاقبة الامور اليه وصيغة المضارع في الشرط مع تحقق التكذيب لما ان المقصود تسليته صلى الله عليه وسلم عما يترتب على التكذيب من الحزن المتوقع اي وان تحزن على تكذيبهم اياك فاعلم انك لست باوحدي في ذلك فقد كذبت قبل تكذيبك قومك اياك قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين اي رسلهم ممن ذكر ومن لم يذكر وانما حذف لكمال ظهور المراد او لان المراد نفس الفعل اي فعلت التكذيب قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى غير النظم الكريم بذكر المفعول وبناء الفعل له لا لان قومه بنو اسرائيل وهم لم يكذبوه وانما كذبه القبط لما ان ذلك انما يقتضي عدم ذكرهم بعنوان كونهم قوم موسى لا بعنوان اخر على ان بني اسرائيل ايضا قد كذبوه مرة بعد اخرى حسبما ينطق به قوله تعالى لن نؤمن لك حتى

حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك من الايات الكريمة بل للايذان بان تكذيبهم له كان في غاية الشناعة لكون اياته في كمال الوضوح وقوله فامليت للكافرين اي امهلتهم حتى انصرمت حبال اجالهم والفاء لترتيب امهال كل فريق من فرق المكذبين على تكذيب ذلك الفريق لا لترتيب امهال الكل على تكذيب الكل ووضع الظاهر موضع الضمير العائد الى المكذبين لذمهم بالكفر والتصريح بمكذبي موسى عليه السلام حيث لم يذكروا فيما قبل صريحا ثم اخذتهم اي اخذت كل فريق من فرق المكذبين بعد انقضاء مدة املائه وامهاله فكيف كان نكير اي انكاري عليهم بالاهلاك اي فكان ذلك في غاية ما يكون من الهول والفظاعة

الذين ان مكناهم بدل من الذين اخرجوا وتمكينهم في الارض ان ينصرهم على عدوهم وقيل انزالهم بالمدينة وهم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اقاموا الصلوة المكتوبة واتوا الزكوة المفروضة وامروا بالمعروف اي بالتوحيد واتباع محمد صلى الله عليه وسلم ونهوا عن المنكر والنفاق ولله عاقبة الامور اي اليه يرجع عاقبة امور العباد في الاخرة من الثواب والعقاب ثم قال تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وان يكذبوك اي يكذبك قومك يا محمد فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين فقد كذب الانبياء عليهم السلام قبلك ثم فصرفا وانا قال وكذب موسى مجهولا ولم يقل وكذب قوم موسى عليه السلام لان قومه بني اسرائيل لم يكذبوه وانما كذبه القبط فامليت اي امهلت للكافرين ثم اخذتهم اي عاقبتهم بعد الامهال بالعذاب فكيف كان نكير اي انكاري باهلاكهم يعني وجدوه حقا وسيجده قومك ان لم يؤمنوا ثم ابدل من فكيف كان نكير فكاين من قرية الا عيون

فكاين من قرية منصوب المحل بفعل مقدر يفسره اهلكناها او مرفوع بالابتداء والخبر اهلكناها يعني باهلاك اهلها وهي ظالمة اي اهلها فهي خاوية جملة معطوفة على اهلكناها لا محل لها من الاعراب على الاول وفي محل الرفع على الثاني على عروشها متعلق على خاوية او خبر بعد خبر والخاوي الساقط من خوى المنزل اذا خلا من اهله والعرش كل مرتفع مظل من سقف او خيمة او كرم اي ساقطة على عروشها بان خرت السقوف على الارض ثم سقطت جدرانها فوق السقوف او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها وعلى الوجه الثاني من الاعراب فهي خاوية وهي قائمة مع عروشها او مائلة مشرفة على السقوف ان قطعت بان سقطت السقوف على الارض وبقيت الجدران مشرفة عليها وبئر معطلة عطف على قرية اي وكم بئر عامرة في البوادي فيها الماء عطلت وتركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله وقصر مشيد مجصص من الشيد وهو الجص او مرفوع البنيان من شاد البناء اذا رفعه اخليناه عن ساكنيه حذف لدلالة معطلة عليه والآية تدل على ان معنى خاوية على عروشها خالية اربابها والانهار عن واردها افلم يسيروا في الارض حث لهم على السفر ليعتبروا بما راوا من مصارع المهلكين وبقاء آثارهم وهم وان كانوا قد سافروا ولكنهم لم يعتبروا فكأنهم لم يسافروا لعدم الفائدة لهم فتكون لهم قلوب يعقلون بها ما يجب ان يعقل من توحيد الله تعالى وقدرته عند الاعتبار والاستبصار او آذان يسمعون بها ما يجب ان يسمع من الوحي والتذكير نظرا الى سياق الكلام للاعتبار بالآثار لان المقصود بيان حصول طريقي العلم الاستدلالي والاخذ من افواه الرجال والوصول اليهما بالسير للاعتبار والبصر من وسائل الطريق الاول فلذلك لم يذكر فانها الضمير للقصة وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه فانه على تأويل الشأن ويجوز ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار وفي تعمى راجع اليه او الظاهر اقيم مقامه لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب تاكيد لنفي التجوز فانه يقال القلب لب كل شيء والتنبيه على ان العمى المتعارف الذي في البصر لا اعتبار به وليس بعمى في الحقيقة بالنسبة الى عمى القلب فان العمى الحقيقي هو عمى القلب الذي محله الصدر فهو مقرر لما ذكر ان الامر على خلاف ما عليه الجمهور من ان العمى انما هو في البصر حقيقة وفي القلب استعارة

فكاين من قرية اهلكناها اهلكنا اهلها وهي ظالمة حال اي واهلها مشركون فهي خاوية ساقطة من خوى النجم اذا سقط على عروشها يتعلق بخاوية والمعنى انه ساقط على سقوفها اي خرت سقوفها على الارض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف ولا محل لفهي خاوية من الاعراب لانها معطوفة على اهلكناها وهذا الفعل ليس له محل وهذا اذا جعلنا كاين منصوب المحل على تقدير كثيرا من القرى اهلكناها وبئر معطلة اي متروكة لفقد دلوها ورشائها وفقد تفقدها او هي عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء الا انها عطلت اي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقصر مشيد مجصص من الشيد الجص او مرفوع البنيان من شاد البناء رفعه والمعنى كم قرية اهلكنا البادية والحاضرة جميعا فخلت القصور عن اربابها والآبار عن ورادها والاظهر ان البئر والقصر على العموم افلم يسيروا في الارض هذا حث على السفر ليروا مصارع من اهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها اي يعقلون ما يجب ان يعقل من التوحيد ونحوه ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور الضمير في فانها ضمير القصة او ضمير مبهم يفسره الابصار اي فما عميت ابصارهم عن الابصار بل قلوبهم عن الاعتبار ولكل انسان اربع اعين عينان في راسه وعينان في قلبه فان ابصر ما في القلب وعمي ما في الراس لم يضره وان ابصر ما في الراس وعمي ما في القلب لم ينفعه وذكر الصدور لبيان ان محل العلم القلب ولئلا يقال ان القلب يعني به غير هذا العضو كما يقال القلب لب كل شيء انتهى المدارك

قيل لما نزل من كان في هذه اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في الدنيا اعمى افاكون في الآخرة اعمى فنزلت ويرد عليه انه ح يكون المعنى لا تعمى الابصار في الآخرة ولكن تعمى القلوب ويرده قوله تعالى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا انتهى ابن كمال

فكاين من قرية منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى اهلكناها اي فاهلكنا كثيرا من القرى باهلاك اهلها والجملة بدل من قوله تعالى فكيف كان نكير او مرفوع على الابتداء واهلكناها خبره اي فكثير من القرى اهلكناها وقرئ اهلكتها على وفق قوله تعالى فامليت ثم اخذتهم فكيف كان نكير وهي ظالمة جملة حالية من مفعول اهلكنا وقوله تعالى فهي خاوية عطف على اهلكناها لا على وهي ظالمة لانها حال والاهلاك ليس في حال خوائها فعلى الاول لا محل له من الاعراب كالمعطوف عليه وعلى الثاني في محل الرفع لعطفه على الخبر والخواء اما بمعنى السقوط من خوى النجم اذا سقط فالمعنى فهي ساقطة حيطانها على عروشها اي سقوفها بان تعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف واسناد السقوط على العروش اليها لتنزيل الحيطان منزلة كل البنيان لكونها عمدة فيه واما بمعنى الخلو من خوى المنزل اذا خلا من اهله فالمعنى فهي خالية مع بقاء عروشها او على عروشها خبر بعد خبر اي فهي خالية وهي على عروشها اي قائمة مشرفة على عروشها ٥

على معنى ان السقوف سقطت الى الارض وبقيت الحيطان قائمة مشرفة على السقوف الساقطة واسناد الاشراف الى الكل مع كونه حال الحيطان لما مر آنفا وبئر معطلة عطف على قرية اي وكم بئر عامرة في البوادي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله وقصر مشيد مرفوع البنيان او مجصص اخليناه عن ساكنيه وهذا يؤيد كون معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد بالبئر بئر بسفح جبل بحضرموت وبالقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله تعالى وعطلهما افلم يسيروا في الارض حث لهم على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا فيها ولكنهم حيث لم يسافروا للاعتبار جعلوا غير مسافرين فحثوا على ذلك والفاء لعطف ما بعدها على مقدر يقتضيه المقام اي اغفلوا فلم يسيروا وقوله فتكون لهم بسبب ما شاهدوه من مواد الاعتبار ومظان الاستبصار قلوب يعقلون بها ما يجب ان يعقل من التوحيد او آذان يسمعون بها ما يجب ان يسمع من الوحي او من اخبار الامم المهلكة ممن يجاورهم من الناس فانهم اعرف منهم بحالهم فانها لا تعمى الابصار الضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار وفي تعمى ضمير راجع اليه وقد اقيم الظاهر مقامه ولكن تعمى القلوب التي في الصدور اي ليس الخلل في مشاعرهم وانما هو في عقولهم باتباع الهوى والانهماك في الغفلة وذكر الصدور للتاكيد ونفي توهم التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يختص بالبصر قيل لما نزل قوله تعالى من كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في الدنيا اعمى افاكون في الآخرة اعمى فنزلت انتهى ابو السعود رحمه الله

اهلكناها

ثم ابدل من فكيف كان نكير فكاين اي فكم من قرية اهلكناها وهو منصبة لناصب كاين قرى اهلكناها اي اهلكنا اهلها وهي ظالمة اي مشرك اهلها في محل النصب على الحال ثم عطف على اهلكناها وان لم يكن لهذا الفعل محل قوله فهي خاوية اي ساقطة على عروشها اي سقوفها بان سقطت تلك اولا ثم سقطت عليها الحيطان وبئر بالهمز وقرئ بالتخفيف عطف على قرية اي وكم بئر معطلة اي خالية عن ساكن مع وجود الماء والآلات فيها لهلاك اربابها وقصر مشيد اي مشيد مجصص مرتفع محكم خليقة باهلاك اصحابها يعني وكم بئر عطلناها عن سقاتها وكم قصر مرتفع اخليناه عن ساكنيه فترك ذلك لدلالة معطلة عليه قيل هذا بئر نزل عليها صالح عليه السلام مع اربعة الاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله تعالى من العذاب وهي بحضرموت وسميت البقعة بذلك لان صالحا عليه السلام لما حضرها مات افلم يسيروا اي كفار مكة في الارض فينظروا الى ذلك ويعتبروا فيؤمنوا فتكون اي لتكون بهم لهم قلوب يعقلون بها بالنظر والعبرة او آذان يسمعون بها التخويف فانها الضمير للقصة وما بعده خبره اي ان القصة والشان لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وهو تغيير للضمير وذكر الصدور للتاكيد وتقرير ان مكان العمى هو القلب لا البصر لما ثبت في العرف ان مكان العمى هو البصر فينبغي ذلك الفضل تعريف وتبيين بذكر الصدور انتهى العيون

حسبي الله وحده [illegible]

ويستعجلونك بالعذاب الموعود استهزاء ولن يخلف الله وعده كانه قال ولم يستعجلونه كانهم يجوزون الفوت وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف ولن يخلف الله وعده وما وعده ليصيبنهم ولو بعد حين وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون اي كيف يستعجلون بعذاب من هو صبور واحد من ايام عذابه في طول الف سنة من سنتكم لان ايام الشدائد طوال وكاين من قرية امليت لها وهي ظالمة اي وكم من اهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد انظرتهم حينا ثم اخذتها بالعذاب والي المصير اي المرجع الي فلا يفوتني شيء قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين وانما لم يقل بشير ونذير لذكر الفريقين بعده لان الحديث مسوق الى المشركين ويا ايها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم افلم يسيروا ووصفوا بالاستعجال وانما اقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا او تقديره نذير مبين وبشير يبشر الله تعالى فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم اي حسن ثم انذر تعالى والذين سعوا سعى في امر فلان اذا افسده بسعيه في اياتنا اي القران معاجزين حال معجزين حيث كان مكي وابو عمرو وعاجزه سابقه لان كل واحد منهما في طلب اعجاز الاخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل اعجزه وعجزه والمعنى سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا واساطير مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم اولئك اصحاب الجحيم اي النار الموقدة

انتهى المدارك

ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده لا بالاهمال ولا بالامهال لانه المحال في حق الملك المتعال وحقيقة يستعجلونك اخبار في معنى الاستفهام على سبيل الانكار اي لم تستعجلون بالعذاب المتوعد به كانهم شاكون في وقوعه فمحال ان يخلف الله وعده فلا بد من وقوعه وان طال الزمان وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون اي كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من ايام عذابه في طول الف سنة من سنتكم لان ايام الشدائد طوال وكاين من قرية كرره للتهويل وتصوير حالهم في الاملاء وبيان الظلمة لا يمهلون غير مغترين امهلوا اولكم عجلوا وانما عطف الاول بالفاء لكونه بدلا من قوله فكيف كان نكير وتعاقبها على التسبب وانما حكم هذه فحكم ما تقدم من الجملتين المعطوفتين بالواو وهما ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك على سبيل الاعتراض وبيان ان الاستعجال امر منكر اذ لا بد من تحقق العذاب امليت لها كما امهلتكم وهي ظالمة مثلكم اصل من قرية من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب ورجع اليه الضماير والاحكام مبالغة في الوعيد اي لا الى غيري قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين الخطاب عام للمؤمنين والكفار والمنذر به قيام الساعة وانما كان عليه الصلوة والسلام نذيرا مبينا لان بعثته من اشراطها فاجتمع فيه الانذار بالكلام وبالحال فقوله انا لكم نذير مبين كقوله عليه السلام انا النذير العريان وعدل على ذلك تعقيب الخطاب بالانذار بتفصيل حال الفريقين عند قيامها بقوله فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لذنوبهم عند الحساب لان الحسنات يذهبن السيئات ورزق كريم في الجنة الكريم من كل نوع ما اجتمع فضائله والذين سعوا في اياتنا بالرد والافساد وبالطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا واساطير الاولين وتثبيط الناس عنها يقال سعى في امر كذا اذا اصلحه او افسده بسعيه معاجزين ساعين في الشيء جادين فيه شاقين له او سابقين في زعمهم طامعين ان كيدهم للاسلام هو لهم من عاجزه فاعجزه اذا سابقه فسبقه لان كل واحد من المتسابقين في طلب اعجاز الاخر عن اللحاق به واذا سبقه قيل اعجزه وعجزه وقرئ معجزين على انه حال مقدرة اي مثبطين الناس عن الايمان اولئك اصحاب الجحيم النار الموقدة وقيل اسم دركة من دركاتها

انتهى ابن كمال

ويستعجلونك بالعذاب كانوا منكرين لمجيء العذاب المتوعد به اشد الانكار وانما كانوا يستعجلون به استهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم وتعجيزا له على زعمهم فحكي عنهم ذلك بطريق التخطئة والاستنكار فقوله تعالى ولن يخلف الله وعده اما جملة حالية جيء بها لبيان بطلان انكارهم لمجيئه في ضمن استعجالهم به واظهار خطائهم فيه كانه قيل كيف ينكرون مجيء العذاب الموعود والحال انه تعالى لا يخلف وعده ابدا وقد سبق الوعد فلا بد من مجيئه حتما او اعتراضية مبينة لما ذكر وقوله تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون جملة مستانفة ان كانت الاولى حالية ومعطوفة عليها ان كانت اعتراضية سيقت لبيان خطائهم في الاستعجال المذكور ببيان كمال سعة ساحة علمه تعالى ووقاره واظهار غاية ضيق عطنهم المستتبع لكون المدة القصيرة عنده تعالى مددا طوالا عندهم حسبما ينطق به قوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا ولذلك يرون مجيئه بعيدا ويتخذونه ذريعة الى انكاره ويجترئون على الاستعجال به ولا يدرون ان معيار تقدير الامور كلها وقوعا واخبارا ما عنده تعالى من المقدار وقراءة يعدون على صيغة الغيبة اي يعده المستعجلون اوفق لهذا المعنى وقد جعل الخطاب في القراءة المشهورة لهم ايضا بطريق الالتفات لكن الظاهر انه للرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين وقيل المراد بوعده تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب فيكون الجملة الاولى حالية كانت او اعتراضية مبينة لبطلان الاستعجال به ببيان استحالة مجيئه قبل وقته الموعود والجملة الاخيرة بيانا لبطلانه ببيان ابتنائه على استطالة ما هو قصير عنده تعالى

على الوجه الذي مر بيانه فلا يكون في النظم الكريم حينئذ تعرض لانكارهم الذي دسوه تحت الاستعجال بل يكون الجواب مبنيا على ظاهر مقالهم ويكتفي في رد انكارهم ببيان عاقبة من قبلهم من امثالهم هذا وحمل المستعجل به على عذاب الاخرة وحمل اليوم عبارة عن يوم العذاب المستطال لشدته او عن الايام الاخرة الطويلة حقيقة او المستطالة لشدة عذابها مما لا يساعده سياق النظم الجليل ولا سياقه فان كلا منهما ناطق بان المراد هو العذاب الدنيوي وان الزمان الممتد هو الذي مر عليهم قبل حلوله بطريق الاملاء والامهال لا الزمان المقارن له الا يرى الى قوله تعالى وكاين من قرية الى اخره فانه كما سلف من قوله تعالى فامليت للكافرين ثم اخذتهم صريح في ان المراد هو الاخذ العاجل الشديد بعد الاملاء المديد اي وكم من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل امليت لها كما امليت لهؤلاء حتى انكروا مجيء ما وعدوا من العذاب واستعجلوا به استهزاء برسلهم كما فعل هؤلاء وهي ظالمة جملة حالية مفيدة لكمال حلمه تعالى ومشعرة بطريق التعريض بظلم المستعجلين اي امليت لها والحال انها ظالمة مستوجبة لتعجيل العقوبة كدأب هؤلاء ثم اخذتها بالعذاب والنكال بعد طول الاملاء والامهال وقوله تعالى والي المصير اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ومصرح بما افاده ذلك بطريق التعريض من ان مآل امر المستعجلين ايضا ما ذكر من الاخذ الوبيل اي الى حكمي مرجع الكل جميعا لا الى احد غيري لا استقلالا ولا اشتراكا فافعل بهم ما افعل مما يليق باعمالهم قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين انذركم انذارا بينا بما اوحي من انباء الامم المهلكة من غير ان يكون لي دخل في اتيان ما توعدونه من العذاب حتى تستعجلوني به والاقتصار على الانذار مع بيان حال الفريقين بعده لما ان صدر الكلام ومساق الحديث للمشركين وعقابهم وانما ذكر المؤمنون وثوابهم زيادة في غيظهم فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لما اندر منهم من الذنوب ورزق كريم هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله ويحوز كمالاته والذين سعوا في اياتنا معاجزين اي سابقين او مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم فاصله من عاجزه فاعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يريد اعجاز الاخر عن اللحاق به وقرئ معجزين اي مثبطين الناس عن الايمان على انه حال مقدرة اولئك الموصوفون بما ذكر من السعي والمعاجزة اصحاب الجحيم اي ملازمون النار الموقدة وقيل هو اسم دركة من دركاتها

انتهى ابو السعود رحمه الله

ويستعجلونك الاية نزلت لما قالوا متى هذا الوعد والمستعجل بالعذاب هو النضر بن الحارث ولن يخلف الله وعده في العذاب وان يوما من ايام الله تعالى للعذاب الذي استعجلوه عند ربك كالف سنة مما تعدون بالتاء والياء في الدنيا في الشدة وهذا وصف يومهم وطول عذابهم وبيان انه تعالى يقدر على اخذهم متى شاء ولا يستعجل فاذا كان الامر كذلك فكيف يستعجلونه وكاين بالواو عطف على قوله ولن يخلف الله وعده اي وكم من قرية امليت اي امهلتها وهي ظالمة اي كافرة بمعاصيها ثم اخذتها بالعذاب في الدنيا والي المصير فلا اوخر فتعذب العذاب الاكبر قل يا ايها الناس اي يا اهل مكة انما انا لكم نذير مبين من الله تعالى بلغة تعرفونها فالذين امنوا منكم وعملوا الصالحات اي الطاعات لهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم اي حسن في الجنة والذين سعوا بالتكذيب في اياتنا اي القران معجزين بالتشديد اي مثبطين اي مبعدين الناس عن الايمان وبالتخفيف والالف معاجزين اي معاندين في ابطال اياتنا اولئك اصحاب الجحيم اي اهل النار

تثبطه عن الامر تثبيطا
اي شغله عنه

وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي قد سبق تفسيرهما و
بيان الفرق بينهما بعموم الثاني وخصوص الاول ومن شرط
في الرسول شريعة مجددة فكانه نفى ما زعمه من الدلالة في قوله تعالى
وكان رسولا نبيا على ان الرسول لا يلزم ان يكون صاحب شريعة الا اذا تمنى
قال الشاعر تمنى كتاب الله اول ليله تمنى داود الزبور على رسل
القى الشيطان في امنيته في تلاوته قالوا انه صلى الله عليه وسلم قرأ
في نادي قومه والنجم اذا هوى فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الاخرى
سكت فقال الشيطان تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى
وقرأها متصلا بقراءة النبي صلى الله عليه وسلم وسمع كلامه فقد
روي انه نادى يوم احد الا ان محمدا قد قتل وقال يوم بدر
لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فهذا لا يخل بالوثوق
على القرآن للاندفاع بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي
يذهب به ويبطله ويخبر انه من الشيطان ثم يحكم الله اياته
اي يثبتها ويحفظها عن لحوق النقصان ولحوق الزيادة من
الشيطان ولما كان الاحكام بهذا الوجه على رتبة من النسخ المذكور
صدره بكلمة ثم ولا استحالة ان يكون هذا الكلام ونظائره كقوله
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون من زيادة الشيطان لان
ظهور الاعجاز عند انضمامه الى ما يبلغ به المجموع مقدار اقصر سورة
من القرآن دل على انه من الرحمن لقوله تعالى قل لئن اجتمعت
الانس والجن الاية فلا دلالة في الاية على جواز السهو على
الانبياء عليهم السلام تطرق الوسوسة اليهم والله عليم بما اوحى
الى نبيه صلى الله عليه وسلم وبقصد الشيطان حكيم لا يدعه حتى
يكشف ويزيله ثم ذكر ان ذلك ليفتن الله به قوما بقوله
ليجعل ما يلقي الشيطان انتهى

وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الرسول من بعثه الله تعالى
بشريعة جديدة يدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شريعة
سابقة كانبياء بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى
عليهم السلام ولذلك شبه عليه السلام علماء امته بهم فالنبي
اعم من الرسول ويدل عليه انه عليه السلام سئل عن الانبياء
فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم
فقال ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع
الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له
وقيل الرسول من ياتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن
يوحى اليه في المنام الا اذا تمنى اي هيأ في نفسه ما يهواه
القى الشيطان في امنيته في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا
كما قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة فينسخ الله ما يلقي الشيطان فيبطله ويذهب به
بعصمته عن الركون اليه وارشاده الى ما يزيحه ثم يحكم الله اياته اي يثبت اياته الداعية الى الاستغراق في شهود الحق
وصيغة المضارع في الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددي واظهار الجلالة في موضع الاضمار لزيادة التقرير والايذان
بان الالوهية من موجبات احكام اياته الباهرة والله عليم مبالغ في العلم بكل ما من شانه ان يعلم ومن جملته ما صدر عن العباد
من قول وفعل عمدا او خطأ حكيم في كل ما يفعل والاظهار هاهنا ايضا لما ذكر مع ما فيه من تاكيد استقلال الاعتراض التذييلي
قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان
في ناديهم فنزلت عليه سورة النجم فاخذ يقرأها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى ان قال
تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في اخرها بحيث لم يبق في المسجد

وما ارسلنا من قبلك من لابتداء الغاية من رسول
من زائدة لتاكيد النفي ولا نبي الرسول من جمع الى المعجزة
الكتاب المنزل عليه والنبي من لم ينزل عليه كتاب
وانما امر ان يدعو الى شريعة من قبله وقيل الرسول
واضع شرع والنبي حافظ شرع غيره سئل النبي
صلى الله عليه وسلم عن الانبياء فقال مائة الف واربعة
وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم فقال ثلثمائة و
ثلاثة عشر الا اذا تمنى قرأ قال تمنى كتاب الله اول
ليلة تمنى داود الزبور على رسل القى الشيطان في امنيته
في تلاوته قالوا انه صلى الله عليه وسلم كان في نادي قومه
يقرأ سورة النجم فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الاخرى
جرى على لسانه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى
ولم يفطن له حتى ادركته العصمة فتنبه عليه و
قيل نبهه جبريل عليه السلام فاخبرهم ان ذلك كان
من الشيطان وهذا القول غير مرضي على ما بين في التفاسير
والاصح الاقوال انه صلى الله عليه وسلم سكت عند قوله
ومناة الثالثة الاخرى فتكلم الشيطان بهذه الكلمات
متصلا بقراءة النبي صلى الله عليه وسلم وكان الشيطان
يتكلم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ويسمع كلامه
كما روي انه نادى يوم احد الا ان محمدا قد قتل و
قال يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم
فعند تكلم الشيطان بهذه الكلمات متصلا بقراءة النبي
صلى الله عليه وسلم وقع عند بعضهم انه صلى الله عليه وسلم هو
الذي يتكلم بها فيكون هذا القاء في قراءة النبي صلى الله
عليه وسلم فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهب به
ويبطله ويخبر انه من الشيطان ثم يحكم الله اياته اي
يثبتها ويحفظها عن لحوق الزيادة من الشيطان والله
عليم بما اوحى الى نبيه وبقصد الشيطان حكيم لا يدعه
حتى يكشفه ويزيله ثم ذكر ان ذلك ليفتن الله به قوما
بقوله تعالى ليجعل ما يلقي الشيطان الاية انتهى المدارك

قوله تعالى الا اذا تمنى القى الشيطان فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته والله عليم حكيم متصل بقوله تعالى سعوا في اياتنا معاجزين
اي ان مشركي عصرك يسعون في اياتي المنزلة عليك وكذا كل رسول يسعى الشيطان في الالقاء في قراءته روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يقرأ سورة والنجم في الكعبة او في المسجد بحضرة المؤمنين والمشركين فلما انتهى الى قوله افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة
الاخرى القى الشيطان في قراءته تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فلما فرغ سجد وسجد المسلمون والمشركون وبلغ الخبر من كان
عند النجاشي من المهاجرين فرجع كثير منهم الى مكة لما توهموا من دخول المشركين في دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المشركون
يزعمون ان الاصنام تقربهم الى الله تعالى وتشفع لهم اليه فشبهوها بالطيور التي تعلو وترتفع في السماء والغرنوق ابن الناعم والطير
وقال الحسن رحمه الله ان ثبت تكلم النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمات فهو الانكار عليهم على تقدير اثبات الف الاستفهام في اولها
اي اتلك الغرانيق العلى كما في قوله تعالى هذا ربي اي اهذا ربي والصحيح المعتمد ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتكلم بها بل النبي صلى الله
عليه وسلم سكت عند قوله ومناة الثالثة الاخرى والشيطان حاضر فتكلم الشيطان بهذه الكلمات متصلا بقراءة النبي عليه السلام
من التيسير للشيخ النسفي رحمه الله

[illegible] وذكر ان ذلك لنفيه ان تقول قد [illegible]

مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبّهه جبريل عليه السلام فاغتم به فعزّاه بهذه الآية وهو مردود عند المحققين ولئن صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى بمعنى قرأ كقوله تمنى كتاب الله اول ليلة تمنى داود الزبور على رسل وامنيته قراءته والقاء الشيطان فيها ان تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وقد رد بانه ايضا يخل بالوثوق بالقرآن ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته لانه ايضا يحتمله وفي الآية دلالة على جواز السهو من الانبياء عليهم السلام وتطرق الوسوسة انتهى ابو السعود رحمه الله [illegible]

[illegible]

وما ارسلنا من قبلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم حين حزن بالقاء الشيطان في قراءته تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى وذلك عند قراءته على المنبر كيس سورة النجم حتى انتهى الى قوله افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى فاتاه الشيطان في صورة جبريل فالقى منها التي فاغتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فنزل وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى اي قرأ وتكلم القى الشيطان في امنيته اي في قراءته وكلامه بتمكيننا الشيطان اياه بحكمة نعلمها فلا تهتم بذلك فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهب به الله ويبطله حكيم يحكم بنسخه ولما سمع المشركون انه يقرأ ذلك اعجبهم فلما انتهى الى آخر السورة سجد وسجد المسلمون والمشركون معه فجاءه جبريل عليه السلام فقال ما جئتك بهذا يا رسول الله والغرانيق جمع غرنيق بكسر العين المهملة وهو طويل العنق من طير الماء وقيل انه يعني الساداة واريد بها اللات والمناة والعزى ليجعل علة لتمكين الله الشيطان على التكلم ما القي في قراءة النبي عليه السلام اي مكنته عليه ليجعل الله ما يلقي الشيطان الآية في العيون للشيخ المشهور ذي البكري رحمهم الله

وما ارسلنا قبلك من رسول ولا نبي الآية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى ذات يوم في المسجد والناس يصلون خلفه فقرأ سورة والنجم جهرا فلما بلغ قوله افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وهي الاصنام فجاء الشيطان والقى في امنيته اي في تلاوته تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى والغرانيق طير الماء والواحد غرنوق ويقال للشاب الناعم ايضا غرنوق وغرنوق فشبهوا الاصنام بها حتى قالوا للاصنام وكان فيها مدح اصنامهم منها الشفاعة ترتجى كان موافقا لقول الكفار هؤلاء شفعاؤنا عند الله فلما انتهت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم الى آخر السورة سجد وسجد المؤمنون والكافرون معه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المؤمنون علمنا ان سجودنا لاي شيء ولا نعلم سجودكم لاي شيء قالوا لم يزل محمد يشتم آلهتنا ويعيبها فالآن يذكر آلهتنا بالمدح وقال وتلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى فلهذا سجدنا فقال المؤمنون سمعنا ذلك منه فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم واغتم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزل جبريل عليه السلام قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال جبريل اني لم آتك عليك هذا وهذا قول الشيطان فانزل الله هذه الآية وما ارسلنا قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله الآية قال ابو بكر بن فورك ولا يجوز مثل هذا على الانبياء لان الشيطان ان يقتلهم ويخطوهم عن طريق الهدى والحق لان الانبياء معصومون وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ القرآن وهو سورة النجم فجاء الشيطان فصاح في خلال قراءته بهذا القول تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى فظن المؤمنون والكافرون انه من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن من قراءته بل من صيحة الشيطان واذا كان كذلك فيكون النبي صلى الله عليه وسلم خارجا عن هذه القراءة وهذا اصح الاقاويل وقال اهل الحقائق ان الانبياء عليهم السلام معصومون ولا يجوز عليهم مثل هذا ومعنى قوله تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى يعني الملائكة لان لهم الشفاعة كانه قال افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ليس لها شفاعة وما هم بآلهة بل تلك الغرانيق العلى يعني الملائكة منها الشفاعة ترتجى لا من الاصنام قال اسمعيل النفر سمعت من حبيب يقول سمعت ابا الحسن علي بن مهدي الطبري يقول ليس قوله الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته من القراءة في شيء وانما هو من الامنية التي هي الشهوة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صفرت يده من المال واشتدت حاجته لشيء تمنى الدنيا بقلبه فجاء الشيطان اليه ويوسوس في قلبه حب الدنيا وليس هذا من قراءة القرآن والقى الشيطان في وسط قراءته ينبغي لان الانبياء معصومون فهذا معنى قوله وما ارسلنا قبلك يا محمد من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله يعني يسقط الله ما يلقي الشيطان قول الشيطان تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى لكيلا يعلم به ثم يحكم الله آياته ثم يبقي الله آياته يعني القرآن لنبيه لكي يعلم بها والله عليم بما يلقي الشيطان حكيم حين حكم عليه بالنسخ هذا تفسير قول المفسرين واذا فسرت الآية على قول علي بن مهدي الطبري فينسخ الله ما يلقي الشيطان يعني هذه في الدنيا ويردها على قلبه ثم يحكم الله آياته وينسخ ما يلقي الشيطان ليجعل ما يلقي الشيطان على لسان نبيه عليه السلام فتنة ابتلية للذين في قلوبهم مرض يعني شكا ونفاقا لكي يعلوا به وهم الكافرون والقاسية قلوبهم الآية من تفسير النيسابوري رحمه الله

قال النيسابوري رحمه الله والنبي من كانت نبوته الهاما او رؤيا في منامه ما يأمر وما يفعل او كتاب يوضع على وسادته ومعه نائم تخط غير خط الآدمي وتبيين مكتوب جميع امر ونهي وما يفعل فاذا انتبه من نومه اخذ وادرك وقرأ منه ما يؤمر وينهى ولا يعلم احد [illegible] فهذا معنى النبي عليه السلام [illegible]

وفي تفسير التيسير الشقي قيل الرسول صاحب الشريعة والنبي هو الذي يتبع الرسول في الشريعة كهارون لموسى ولوط لابراهيم عليهم السلام وقيل الرسول المرسل بالوحي والنبي المخبر عن الله تعالى بالوحي اليه او ما اوحي الى الرسول او رآه بلغه او بالرؤيا انتهى رحمه الله

افرأيتم اللات والعزى ومنوة الثالثة الاخرى اي اخبرونا عن هذه الاشياء التي تعبدونها من دون الله تعالى هل لها من القدرة والعظمة التي وصفت بها رب العزة اللات والعزى ومنات اصنام لهم وهي مؤنثات اللات تعبدها قريش والعزى لغطفان قطعها خالد بن الوليد رضي الله عنه ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة قوله الاخرى صفة ذم اي المتأخرة الوضيعة القدر وكانوا يقولون ان الملائكة وهذه الاصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون انهم شفعاء مع كراهتهم البنات فقيل لهم الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى اي جعلكم لله البنات ولكم البنين هذه قسمة جائرة ان هي ما الاصنام الا اسماء ليس تحتها في الحقيقة مسميات سميتموها انتم وآباؤكم من المدارك [illegible]

اي عن ذكر الله تعالى … تنبيه

ليجعل علة لتمكين الله تعالى الشيطان على القائه ما القى في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم اي مكنه عليه ليجعل الله ما يلقي الشيطان
فتنة اي بلية للذين في قلوبهم مرض اي المنافقين والقاسية اي الذين قست قلوبهم عن ذكر الله وهم المشركون وان الظالمين اي
الجاحدين بالقران لفي شقاق بعيد اي لفي خلاف طويل عن الحق وليعلم المؤمنون الذين اوتوا العلم علم التوحيد والقران انه اي
القران الحق من ربك فيؤمنوا به اي يثبتون على ايمانهم ويزيد يقينهم فتخبت اي تطمئن وتسكن له قلوبهم لخلقه وان الله لهادي
الذين امنوا بالقران الى صراط مستقيم اي الى عمل به يعني هو حافظ لقلوبهم عن الاعراض ونزع المعرفة منها عند القاء الشيطان
وسوسته ولا يزال الذين كفروا في مرية منه اي في شك من القران حتى تأتيهم الساعة بغتة اي فجاءة او يأتيهم عذاب يوم
اي عذابا وضع يوم عقيم موضع الضمير اي لا فرج فيه ولا رحمة ولا توبة عن الكفر واصل العقم المنع وهو يوم القيمة وقيل يوم بدر
انتهى العيون

ثم ذكر ان ذلك ليفتن الله به قوما بقوله ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة محنة وابتلاء للذين في قلوبهم مرض شك ونفاق والقاسية قلوبهم هم المشركون المكذبون بعد ما دعاهم شكا وظلمة وان الظالمين اي المنافقين والمشركين لفي شقاق خلاف بعيد عن الحق وليعلم الذين اوتوا العلم بالله وبدينه وبالآيات انه ان القران الحق من ربك فيؤمنوا به بالقران فتخبت فتطمئن له قلوبهم وان الله لهادي الذين امنوا الى صراط مستقيم فيتأولوا ما يتشابه في الدين بالتأويلات الصحيحة ويطلبوا لما اشكل منه المحمل الذي تقتضيه الاصول المحكمة حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة ولا يزال الذين كفروا في مرية شك منه من القران او من الصراط المستقيم حتى تأتيهم الساعة بغتة فجاءة او يأتيهم عذاب يوم عقيم يعني يوم بدر فهو عقيم عن ان يكون للكافرين فيه فرج او راحة كالريح العقيم لا تأتي بخير او شديد لا رحمة فيه او لا مثل له في عظم امره لقتال الملائكة فيه وعن الضحاك انه يوم القيمة وان المراد بالساعة مقدماته
انتهى المدارك

ثم ذكر ان ذلك ليفتن الله تعالى به قوما بقوله ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة محنة وابتلاء للذين في قلوبهم مرض شك وتردد والقاسية قلوبهم الجازمين بمعتقدهم الباطل سيظهر اكان او سترا ومن زعم ان المراد من الاول المنافق فكانه غافل عن ان المنافق اخفى حالا من الكافر المجاهر والظالمين من باب وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا على الفريقين بالظلم لان القياس ان يقول بعد ذكرهما وانهم لفي شقاق خلاف بعيد عن الحق ويلزمه البعد عن الرسول وعن المؤمنين وليعلم الذين اوتوا العلم الاعتقاد المطابق للواقع وهم المؤمنون انه الحق من ربك ان القران هو الحق النازل من عند الله فلا يلتبس ما يلقي الشيطان من الباطل ولا يدخل فيه فيؤمنوا فيعتقدوا به ويطيعوا اياه بمكانه فتخبت له قلوبهم بالخشوع والخضوع والخشية وان الله لهادي الذين امنوا فيما اشكل عليهم بالتوفيق للنظر الصحيح والكشف بنور هدايته الى صراط مستقيم طريق مستقيم هو طريق النبي وكل ما يتشابه على الاصول المحكمة فلا يلحقهم حيرة ولا يعتريهم شبهة ولا يزال الذين كفروا في مرية قد سبق في اول سورة البقرة الفرق بين المرية والشك والريب منه من القران حتى تأتيهم الساعة القيمة والمراد اتيان الموت فانه من طلائعها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته بغتة فجاءة او يأتيهم عذاب يوم عقيم يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر وانما وصف يوم الحرب بالعقم لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كالعقم وقيل العقيم الذي لا خير فيه قال ريح عقيم اذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا انتهى

ليجعل ما يلقي الشيطان علة لما ينبئ عنه ما ذكر من القاء الشيطان من تمكينه تعالى اياه من ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم خاصة كما يعرب عنه سياق النظم الكريم لا ان تمكينه تعالى اياه من الالقاء في حق سائر الانبياء عليهم السلام لا يمكن تعليله بما سيأتي وفيه دلالة على ان ما يلقيه امر ظاهر يعرفه المحق والمبطل فتنة للذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق كما في قوله تعالى في قلوبهم مرض الاية والقاسية قلوبهم اي المشركين وان الظالمين اي الفريقين المذكورين فوضع الظاهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم مع ما وصفوا به من المرض والقساوة لفي شقاق بعيد اي عداوة شديدة ومخالفة تامة ووصف الشقاق بالبعد مع ان الموصوف به حقيقة هو معروضه للمبالغة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وليعلم الذين اوتوا العلم انه اي القران الحق من ربك اي هو الحق النازل من عنده تعالى وقيل ليعلموا ان تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق المتضمن للحكمة البالغة والغاية الجميلة لانه مما جرت به عادته في جنس الانس من لدن آدم عليه السلام لكن لا يلائمه قوله تعالى فيؤمنوا به اي بالقران اي يثبتوا على الايمان به او يزدادوا ايمانا برد ما يلقي الشيطان فتخبت له قلوبهم بالانقياد والخشية والاذعان لما فيه من الاوامر والنواهي ورجع الضمير لا يستقيم الا بتكلف من التمكين الشيطان من الالقاء مما لا وجه له وان الله لهادي الذين امنوا اي في الامور الدينية خصوصا في المداحض والمشكلات التي من جملتها ما ذكر الى صراط مستقيم هو النظر الصحيح الموصل الى الحق الصريح والجملة اعتراض مقرر لما قبله ولا يزال الذين كفروا في مرية اي في شك وجدال منه اي من القران وقيل من الرسول صلى الله عليه وسلم والاول هو الاظهر بشهادة ما سبق من قوله ثم يحكم الله آياته وقوله تعالى انه الحق من ربك فيؤمنوا به وبالحق من قوله تعالى وكذبوا باياتنا واما تجويز كون الضمير لما القى الشيطان في امنيته فمما لا مساغ له لان ذلك ليس من هنات بهم التي يستمر الى الامد المذكور بل انما هي مريتهم في شأن القران ولا يجدي حمل ما على السببية دون الابتدائية لما ان مريتهم المستمرة كما انها ليست مبتدأة من ذلك ليست ناشئة منه ضرورة انها مستمرة منهم من لدن نزول القران الكريم حتى تأتيهم الساعة اي القيامة نفسها كما يؤذن به قوله تعالى بغتة اي فجاءة فانها الموصوفة بالاتيان كذلك لا اشراطها وقيل الموت او يأتيهم عذاب يوم عقيم اي يوم لا يوم بعده كان كل يوم يلد ما بعده من الايام فما لا يوم بعده يكون عقيما والمراد به الساعة ايضا كانه قيل او يأتيهم عذابها فوضع ذلك موضع ضميرها لمزيد التهويل ولا سبيل الى حمل الساعة على اشراطها لما عرفته واما ما قيل من ان المراد يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كانهن عقم لم يلدن او لان المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما اي ثكلى فوصف اليوم بوصفها او لانه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا او لانه لا مثل له لقتال الملائكة عليهم السلام فيه فمما لا يساعده سياق النظم الكريم اصلا كيف لا وان تخصيص الملك والتصرف الكلي فيه بالله عز وجل ثم بيان ما يقع فيه من حكمه تعالى بين الفريقين بالثواب والعذاب الاخروي يقضي بان المراد به يوم القيمة قضاء بينا لا ريب فيه
الملك يومئذ لله
انتهى ابو السعود رحمه الله

الملك يومئذ اي يوم القيمة والتنوين فيه ينوب عن الجملة التي دلت عليها الغاية اي يوم تزول مريتهم لله فلا منازع له فيه يحكم بينهم بالمجازاة والقيد بقسم الفريقين دل عليه الحكم بقوله فالذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين الفاء في خبر الثاني دون الاول تنبيه على ان اثابة المؤمنين بالجنات تفضل من الله وان عقاب الكافرين مسبب عن اعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل في عذاب كما قال في جنات النعيم وفي تقديم الجار والمجرور دلالة على ان العذاب المهين مخصوص بهم لاتيان كفرهم ثم خص قوما من الفريق الاول بفضيلة فقال والذين هاجروا في سبيل الله خرجوا من اوطانهم مجاهدين ثم قتلوا في الجهاد او ماتوا حتف انفهم ليرزقنهم الله رزقا حسنا الرزق الحسن الذي لا يلحقه الم الانقطاع ولا يتبعه تعب الكسب وذلك في البرزخ قبل دخول الجنة لان الرزق الحسن في الجنة لا اختصاص له بالمجاهدين من المؤمنين وانما سوى بين من قتل في الجهاد وبين من مات حتف انفه في الوعد لاستوائهما في القصد وما في وسعهما من العمل وان الله لهو خير الرازقين فانه يرزق بغير حساب ليدخلنهم مدخلا يرضونه هو الجنة دل هذا على ان ما تقدم من الترزيق قبل دخولها بدل من قوله ليرزقنهم الله ويرضونه صفة المدخل وهذا وصف كل جميل لان ما يقع موقع الرضى فقد كمل فان الله لعليم باحوال من قضى نحبه مجاهدا واحوال من مات وهو ينتظر معاهدا حليم بامهال من قاتلهم معاندا روي ان طوائف من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هولاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فانزل الله هاتين الايتين انتهى كلامه

الملك يومئذ اي يوم القيمة والتنوين عوض عن الجملة اي يوم يؤمنون او يوم تزول مريتهم لله فلا منازع له فيه يحكم بينهم اي يقضي ثم بين حكمه بقوله فالذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين ثم خص قوما من الفريق الاول بفضيلة فقال والذين هاجروا في سبيل الله خرجوا من اوطانهم مجاهدين ثم قتلوا في الجهاد فيقتلوا شاهدين او ماتوا حتف انفهم ليرزقنهم الله رزقا حسنا قيل الرزق الحسن الذي لا ينقطع ابدا وان الله لهو خير الرازقين لانه المخترع للخلق بلا مثال المتكفل للرزق بلا ملال ليدخلنهم مدخلا بفتح الميم مكاني والمراد الجنة يرضونه لان فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وان الله لعليم باحوال من قضى نحبه مجاهدا واما من مات وهو ينتظر معاهدا حليم بامهال من قاتلهم معاندا انتهى كمالين

الملك اي السلطان القاهر والاستيلاء التام والتصرف على الاطلاق يومئذ لله وحده بلا شريك اصلا بحيث لا يكون فيه لاحد تصرف من التصرفات في امر من الامور لا حقيقة ولا مجازا ولا صورة ولا معنى كما في الدنيا فان للبعض فيها تصرفا صوريا في الجملة وليس التنوين نائبا عما يدل عليه الغاية من زوال مريتهم كما قيل ولا عما يستلزمه ذلك من ايمانهم كما قيل لما ان القيد المعتبر مع اليوم حيث وسط بين طرفي الجملة يجب ان يكون مدارا لحكمها اعني كون الملك لله عز وجل وما يتفرع عليه من الاثابة والتعذيب ولا ريب في ان ايمانهم او زوال مريتهم ليس مما له تعلق بما ذكر فضلا عن المدارية له فلا سبيل الى اعتبار شيء منهما مع اليوم قطعا وانما الذي يدور عليه ما ذكر اتيان الساعة التي هي منتهى تصرفات الخلق ومبدأ ظهور احكام الملك الحق جل جلاله فاذن هو نائب عن نفس الجملة الواقعة غاية لمريتهم والمعنى الملك يوم اذ تاتيهم الساعة او عذابها لله وقوله يحكم بينهم جملة مستانفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الاخبار بكون الملك يومئذ لله كانه قيل فماذا يصنع بهم حينئذ فقيل يحكم بين فريقي المؤمنين به والممارين فيه بالمجازاة وقوله تعالى فالذين امنوا الخ تفسير للحكم المذكور وتفصيل له اي فالذين امنوا بالقران الكريم ولم يماروا فيه وعملوا الصالحات امتثالا لما امروا في تضاعيفه في جنات النعيم اي مستقرون فيها والذين كفروا وكذبوا باياتنا اي اصروا على ذلك واستمروا فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر والتكذيب وهو مبتدا وقوله تعالى لهم عذاب جملة اسمية من مبتدا وخبر مقدم عليه وقعت خبرا لاولئك او لهم خبر لاولئك وعذاب مرتفع على الفاعلية بالاستقرار في الجار والمجرور لاعتماده على المبتدا واولئك مع خبره على الوجهين خبر للموصول وتقديره بالفاء للدلالة على ان تعذيب الكفار بسبب اعمالهم السيئة كما ان تجريد خبر الموصول الاول عنها للايذان بان اثابة المؤمنين بطريق التفضل لا لايجاب الاعمال الصالحة اياها وقوله تعالى مهين صفة لعذاب مؤكدة لما افادة التنوين من الفخامة وفيه من المبالغة من وجوه شتى ما لا يخفى والذين هاجروا في سبيل الله في الجهاد وصيانة يلوح به قوله تعالى ثم قتلوا او ماتوا اي في تضاعيف المهاجرة ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تعالى ليرزقنهم الله جواب لقسم محذوف والجملة خبره ومن منع وقوع الجملة القسمية وجوابها خبر المبتدا يضمر قولا هو الخبر والجملة محكية به وقوله تعالى رزقا حسنا اما مفعول ثان على انه من باب الرعي والذبح اي مرزوقا حسنا او مصدر مؤكد والمراد به ما لا انقطاع ابدا من نعيم الجنة وانما سوى بينهما في الوعد لاستوائهما في القصد واصل العمل على ان مراتب الحسن متفاوتة فيجوز تفاوت حال المرزوقين حسب تفاوت الارزاق الحسنة وروي ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هولاء الذين قتلوا في سبيل الله قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فنزلت والذين جاهدوا الاية

ك وقيل نزلت في طوائف خرجوا من مكة الى المدينة للهجرة فتبعهم المشركون فقاتلوهم وان الله لهو خير الرازقين فانه يرزق بغير حساب مع ان ما يرزقه لا يقدر عليه احد غيره والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وقوله تعالى ليدخلنهم مدخلا يرضونه بدل من قوله تعالى ليرزقنهم الله او استيناف مقرر لمضمونه مدخلا اسم مكان اريد به الجنة فهو مفعول به للادخال او مصدر ميمي اكد به فعله قال ابن عباس رضي الله عنهما انما قيل يرضونه لانهم يرون فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيرضونه وان الله لعليم باحوالهم واحوال معاديهم حليم لا يعاجلهم بالعقوبة انتهى ابو السعود

الملك اي الولاية والحكم يومئذ اي يوم نزول مريتهم لله يحكم بينهم بالحق لا حاكم غيره في ذلك اليوم فالذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم اي حكمه في حق المؤمنين يومئذ ذلك والذين كفروا وكذبوا باياتنا اي القران فاولئك لهم عذاب مهين اي حكمه في الكافرين يومئذ انهم في عذاب شديد يهانون فيه والذين هاجروا في سبيل الله اي في طاعة الله تعالى من مكة الى المدينة ثم قتلوا بالتشديد والتخفيف اي استشهدوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا اي في الجنة او الغنيمة في الدنيا لمن لم يمت ولم يقتل وان الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا بضم الميم وفتحها يرضونه اي الجنة اذا قتلوا او ماتوا في طاعة الله تعالى لان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وان الله لعليم بدرجات العاملين حليم عن الكسلى فلا يعجل عليه بالعقوبة نزلت الايتان حين قال المهاجرون يا رسول الله ما لنا اذا هاجرنا معك وجاهدنا فقتلنا او متنا فقال والذين هاجروا الخ من العيون

ذلك اي الامر ذلك وما بعده مستأنف ومن عاقب بمثل ما عوقب به سمى الابتداء بالجزاء للملابسة او من حيث انه سببه وذلك مسبب عنه ثم بغى عليه لينصرنه الله اي من جازى بمثل ما فعل به من الظلم ثم ظلم بعد ذلك فحق على الله تعالى ان ينصره ان الله لعفو يمحو آثار الذنوب غفور يستر انواع العيوب وتقريب الوصفين بسياق الآية ان المعاقب مبعوث من عند الله على العفو وترك العقوبة بقوله فمن عفى واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى فحيث لم يؤثر ذلك وانتصف فهو تارك للافضل فكأنه مذنب فنعى العفو انه لا يلومه على ترك الافضل وهو ضامن لنصره في الكرة الثانية اذا ترك العفو وانتقم من الباغي عليه وعرض مع ذلك بما كان اولى به من العفو بذكر هاتين الصفتين او دل بذكر العفو والمغفرة على انه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده كما قيل العفو عند القدرة

ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وان الله سميع بصير اي ذلك النصر للمظلوم بسبب انه قادر على ما يشاء ومن آيات قدرته انه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل اي يزيد من هذا في ذلك ومن ذلك في هذا او بسبب انه خالق الليل والنهار ومصرفهما ولا يخفى عليه ما يجري فيهما على ايدي عباده من الخير والشر والبغي والانصاف وانه سميع لما يقولون ولا يشغله سمع عن سمع وان اختلفت في النهار الاصوات بفنون اللغات بصير بما يفعلون ولا يستر عنه شيء بشيء في الليالي وان توالت الظلمات ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل وان الله هو العلي الكبير اي ذلك الوصف بخلق الليل والنهار والاحاطة بما جرى فيهما وادراك كل قول وفعل بسبب ان الله الحق الثابت الهيته وان كل ما يدعى الها دونه باطل الدعوة وانه لا شيء اعلى منه شأنا واكبر سلطانا

ذلك للفصل بين الكلامين اي الامر ذلك وما بعده مستأنف ومن عاقب بمثل ما عوقب به اي لم يزد في القصاص وانما سميت الجناية المبتدأة باسم جزائها الذي هو العقاب للملابسة بين السبب والمسبب من الطرفين فاطلق اسم المسبب على السبب مجازا وللازدواج وليتصور سرعة اداء السبب اليه ثم بغي عليه بالمعاودة الى العقوبة لينصرنه الله اي من جازى بمثل ما فعل به من الظلم ثم ظلم بعد ذلك فحق على الله تعالى ان ينصره ان الله لعفو يمحو آثار الذنوب غفور يستر انواع العيوب وانما وعد النصر بها لانه اتبع هواه في الانتقام او عرض بما ندب الله تعالى اليه بقوله فمن عفى واصلح فاجره على الله ولمن صبر وغفر ان ذلك من عزم الامور وفيه تعريض بالحث على العفو فان الله تعالى مع كمال قدرته وعلو شأنه لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك اولى وتنبيه على انه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل اي ذلك بسبب ان الله تعالى قادر على التصرف في العالم على وفق مشيئته ومقتضى حكمته وما ذكر من التغيب خاصة في الملوين بتغييب احدهما على الآخر كناية عن التصرف في الافلاك بالتحريك على وجه عليه مدار الكائنات في عالم الكون والفساد كيف يشاء والنصر المذكور من جملة ما تقتضيه الحكمة وان الله سميع لما يقولون ولا يشغله سمع عن سمع وان اختلفت الاصوات في النهار بفنون اللغات بصير بما يفعلون ولا يستتر عنه شيء بشيء في الليالي وان توالت الظلمات ذلك بان الله هو الحق اي ذلك الوصف بكمال القدرة والعلم بسبب ان الله هو الحق الثابت في نفسه الواجب لذاته وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان كونه مبدأ لكل ما يوجد من الموجودات عالما بكل المعلومات او الثابت الالهية ولا يصلح لها الا من كان عالما قادرا وان ما يدعون من دونه دون الله تعالى وقرئ بالتاء على مخاطبة المشركين وبالبناء للمفعول فيكون الواو لما فاته من معنى الالوهية وان الله هو العلي اي العالي على كل شيء بالقهر والسلطان بدون توهم المكان الكبير عن ان يساويه شيء فضلا عن ان يكون اعلى منه شأنا واكبر سلطانا

انتهى

ذلك خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك والجملة لتقرير ما قبله والتنبيه على ان ما بعده كلام مستأنف ومن عاقب بمثل ما عوقب به اي لم يزد في القصاص وانما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو جزاء الجناية للمشاكلة او لكونه سببا له ثم بغي عليه بالمعاودة الى العقوبة لينصرنه الله على من بغى عليه لا محالة ان الله لعفو غفور اي مبالغ في العفو والغفران فيعفو عن المنتصر ويغفر له ما صدر عنه من ترجيح الانتقام على العفو والصبر المندوب اليهما بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور فان فيه حثا بليغا على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته لما كان يعفو ويغفر فغيره اولى بذلك وتنبيها على انه تعالى قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك اشارة الى النصر وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل اي بسبب انه تعالى من شأنه وسنته تغليب بعض مخلوقاته على بعض والمداولة بين الاشياء المتعاندة وعبر عن ذلك بادخال احد الملوين في الآخر بان يزيد فيه ما ينقص عن الآخر بتحصيل احدهما في مكان الآخر لكونه اظهر المواد واوضحها وان الله سميع بكل المسموعات التي من جملتها قول المعاقب بصير بجميع المبصرات ومن جملتها افعاله ذلك اي الاتصاف بما ذكر من كمال القدرة والعلم وما فيه من معنى البعد لما مر آنفا وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بان الله هو الحق الواجب لذاته الثابت في نفسه وصفاته وافعاله وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان كونه مبدأ لكل ما يوجد من الموجودات عالما بكل المعلومات او الثابت الالهية فلا يصلح لها الا من كان عالما قادرا وان ما يدعون من دونه الها وقرئ على البناء للمفعول

على ان الواو لما فاته عبارة عن الالهة وقرئ بالتاء على خطاب المشركين هو الباطل اي المعدوم في حد ذاته او الباطل الوهيته وان الله هو العلي على جميع الاشياء الكبير عن ان يكون له شريك لا شيء اعلى منه شأنا واكبر سلطانا انتهى ابو السعود

ذلك اي الامر ذلك قوله ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه نزل في المسلمين الذين طلب المشركون قتالهم في الشهر الحرام فكره المسلمون قتالهم فلما قاتلهم المشركون فبغوا عليهم وقاتلوهم فنصر الله المسلمين عليهم فوقع في انفس المؤمنين من القتال في الشهر الحرام ما وقع فقال تعالى ومن جازى الظالم بمثل ما ظلمه الظالم ثم تعدي عليه لينصرنه الله على ظالمه وسمي ابتداء الفعل بالعقاب وهو اسم للجزاء والابتداء ليس بجزاء للملابسة به من حيث انه سبب وذلك مسبب عنه والمناسبة في الوصفين للمستتبعة ان الله لعفو للمؤمنين بقتالهم في الاشهر الحرم وتركهم المندوب اليهم وهو العفو عن الجاني لقوله تعالى فمن عفى واصلح فاجره على الله ذلك اي المذكور من القدرة والحكم بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل اي يدخل ظلمة هذا في مكان ذلك بمغيب الشمس ويبدل ضياء ذلك في مكان ظلمة هذا بطلوع الشمس وان الله سميع بصير ذلك اي المذكور من الدلالة على القدرة بان الله هو الحق اي يعبد الحق الذي لا يجوز ان يعبد الاهو وان ما يدعون بالياء والتاء اي تعبدون من دونه من الالهة هو الباطل لا يقدر على شيء وان الله هو العلي الكبير اي هو العلي والكبير من ان يشرك به شيء وينسب اليه الولد او ان يعدل به الباطل انتهى

الم تر ان الله انزل من السماء ماء استفهام تقرير ولهذا رفع فتصبح
الارض مخضرة عطفا على انزل اذ لو نصب جوابا لدل على نفي
الاصفرار كما في قولك الم تر اني انعمت عليك فتشكر والمقصود
اثباته والرفع لعطفه على انزل وتشبيه مثبت البتة كذلك في المثال
لانه عطف على انعمت واما النصب فلا محل له لان التسبب عن
الاستفهام ويدل انه يعني في المثال الى ما رايت ما شكرت ان
لو رايت لشكرت وكذلك في الاية على انه قلما نعلم آخر ومعنى
ان اصباح الارض مخضرة لا يصح ان يتسبب عما بعد الاستفهام
وانما عدل عن الماضي ولم يقل اصبحت لاستحضار الحال الماضية و
التنبيه على كمال صنع الصانع بالشاهد والدلالة على بقاء
اثر المطر زمانا بعد زمان وقرئ مخضرة على مفعلة اى ذات
خضرة كمبقلة ومسبعة ان الله لطيف واصل فضله وعلمه
الى كل شيء خبير بمصالح الخلق ومنافعهم له ما في السموات وما
في الارض ملكا وملكا وان الله لهو الغني في ذاته عن كل شيء
وما سواه محتاج اليه الحميد المستوجب للحمد بصفاته وافعاله
الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض من عملها بتسخيره لنا ما بنا
حاجة اليه في معاشنا من الحيوان وغيره فلا اصلب من الحجارة
والحديد وقد ذللهما نتخذ ما نريد فقوله ما في الارض عام
لكن المراد ما ينفعنا بقرينة قوله لكم والفلك عطف على ما
وقرئ بالرفع على الابتداء تجري في البحر بامره حال منها او خبر
ويمسك السماء بيد القدرة ان تقع من ان تقع او كراهة
ان تقع على الارض الا باذنه الا بمشيئته وفيه رد
لاستمساكها بذاتها واما ما قيل المتساوية لسائر الاجسام
في الجسمية فتكون قابلة للميل الهابط منظور فيه ان الله بالناس
لرؤف رحيم بفتح عليهم ابواب المنافع ودفعه عنهم اسباب
المضار والرؤف ابلغ من الرحيم وانما قدم عليه محافظة
على الفاصلة وكذا تقديم بالناس عليهما لها انتهى ما كتب

الم تر ان الله انزل من السماء ماء من السحاب ماء مطرا
فتصبح الارض مخضرة بالنبات بعد ما كانت مسودة
يابسة وانما صرف الى لفظ المضارع ولم يقل فاصبحت
ليفيد بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول انعم على
فلان فاروح واغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت
لم يقع ذلك الموقع وانما رفع فتصبح ولم ينصب جوابا للاستفهام
لانه لو نصب لبطل الغرض وهذا لان معناه اثبات الاخضرار
فينقلب بالنصب الى نفي الاخضرار ان الله لطيف واصل
علمه او فضله الى كل شيء خبير بمصالح الخلق ومنافعهم او
اللطيف المختص بدقيق التدبير الخبير المحيط بكل قليل وكثير
له ما في السموات وما في الارض ملكا وملكا وان الله
لهو الغني الحميد المحمود بنعمته قبل ثنائه من في السموات
ومن في الارض الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض
من البهائم مذللة للركوب في البر والفلك تجري في البحر بامره
اى ومن المراكب جارية في البحر ونصب الفلك عطفا على ما
وتجري حال لها اى وسخر لكم الفلك في حال جريها ويمسك
السماء ان تقع على الارض اى يحفظها من ان تقع الا باذنه
الا بامره ومشيئته ان الله بالناس لرؤف بتسخير ما في
الارض رحيم بامساك السماء لئلا تقع على الارض عدد
الاء مقرونة باسمائه ليشكروه على الائه ويذكروه
باسمائه وعن ابي حنيفة رضي الله عنه ان اسم الله الاعظم
في الايات الثماني يستجاب لقارئها البتة انتهى المدارك

الم تر ان الله انزل من السماء ماء استفهام تقرير كما يفصح عنه الرفع في قوله فتصبح الارض مخضرة بالعطف على انزل وايثار صيغة الاستقبال
للاشعار بتجدد اثر الانزال واستمراره او لاستحضار صورة الاخضرار ان الله لطيف يصل لطفه او علمه الى كل ما جل
ودق خبير بما يليق من التدابير الحسنة ظاهرا وباطنا له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وتصرفا
وان الله لهو الغني عن كل شيء الحميد المستوجب للحمد بصفاته وافعاله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض اى جعل ما فيها من الاشياء
مذللة لكم معدة لمنافعكم تتصرفون فيها كيف شئتم فلا اصلب من الحجر ولا اشد من الحديد ولا اهيب من النار وهي مسخرة لكم وتقديم الجار
والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم لتعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر والفلك عطف على ما او على اسم ان
وقرئ بالرفع على الابتداء تجري في البحر بامره حال من الفلك على الاول وخبر على الاخير ويمسك السماء ان تقع على الارض
اى من ان تقع او كراهة ان تقع بان خلقها على هيئة متداعية الى الاستمساك الا باذنه اى بمشيئته وذلك يوم القيمة
وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية في الجسمية لسائر الاجسام القابلة للميل الهابط فتقبله كقبول غيرها
ان الله بالناس لرؤف رحيم حيث هيأ لهم اسباب معاشهم وفتح عليهم ابواب المنافع واوضح لهم مناهج الاستدلال
بالايات التكوينية والتنزيلية انتهى ابو السعود
الم تر ان الله انزل من السماء ماء اى مطرا فتصبح الارض اى تصير مخضرة
بالنبات برفع تصبح لان الاستفهام في الم تر بمعنى الخبر فلا يكون له جواب ولو نصب لانقلب النفي اذ لو كان جوابا له يلزم انتفاء كون
الارض مخضرة والحال انه مثبت ولم يقل فاصبحت ليفيد بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان على سبيل الاستمرار ان الله لطيف بانزال المطر
واستخراج النبات به لوصول علمه الى كل شيء خبير بنوعه وشخصه ومقداره ومكانه او خبير بمصالح خلقه ومنافعهم له ما في السموات
وما في الارض من الخلق لا شريك له فيه وان الله لهو الغني عن الخلق وعبادتهم الحميد اى المحمود في فعاله الم تر ان الله سخر لكم اى ذلل لكم
ما في الارض والفلك تجري اى تسير في البحر بامره ويمسك السماء ان تقع اى كراهة ان تقع على الارض الا باذنه اى بامره يوم القيمة ان الله
بالناس لرؤف رحيم مع شركهم وعصيانهم حتى يرزقهم في الدنيا ولا يعجل بالعقوبة انتهى العيون

هو الذي احياكم في الارحام ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم ثم يحييكم اى للبعث ان الانسان اى الكافر بالبعث وهو بديل من ورقا لكفور
لله وبانعمه اى لا يشكره ولا يطيعه قوله لكل امة بدون الواو ولانه لم يجد معطوفا عليه لتباعد المعنى بخلاف نظيره المتقدم بالواو
اى لكل قوم من امتك جعلنا منسكا باختلاف شأن فيه اى مذبحا هم ناسكوه اى ذابحوه فلا ينازعنك في الامر من قولهم نازعته
فنزعه اى غلبته اى لا يجادلنك بالمنازعة في امر الذبيحة او في امر الدين وادع اى ادعهم الى ربك اى الى دينه انك لعلى هدى
اى على دين مستقيم وهو دين الاسلام فاعملوا به نزل حين قال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم كيف تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله لكل امة جعلنا منسكا اى شريعة هم عاملون بها وروي عنه عيدا قال مجاهد وقتادة موضع
قربان يذبحون فيه وقيل موضع عبادة وقيل ما الفا يالفونه والمنسك في كلام العرب الموضع المعتاد لعمل خير او شر فلا ينازعنك
في الامر في امر الذبائح نزلت في بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان ويزيد بن خنيس قالوا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لكم
تاكلون مما تقتلونه بايديكم ولا تاكلون مما قتله الله قال الزجاج فلا ينازعنك اى لا تنازعهم انت كما يقال لا يخاصمنك فلان اى لا تخاصمه
وهو جائز فيما يكون بين الاثنين وذلك لان المنازعة والمخاصمة لا تتم الا باثنين فاذا ترك احدهما فلا مخاصمة هناك من العالم
قال القشيري قدس الله روحه الشريف جعل لكل فريق شريعة هم واردوها ولكل جماعة طريقة هم سالكوها ومقاما هم سكانه ومحلا هم
قطانه ربط كلا بما اهله له واوصل كلا الى ما جعله محله فبساط التعبد موطوءة باقدام العابدين ومشاهد الاجتهاد معمورة
باصحاب التكلف من المجتهدين ومجالس اصحاب المعارف مانوسة بلزوم العارفين ومنازل المحبين ماهولة بحضور الواجدين
انتهى تبيين

وهو الذي أحياكم في أرحام أمهاتكم ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم ثم يحييكم لإيصال جزائكم إن الإنسان لكفور لجحود لما أفاض عليه من ضروب النعم ودفع عنه صنوف النقم أو لا يعرف نعمة الإنشاء المبدي للوجود والإفناء المقرب إلى الموعود والإحياء الموصل إلى المقصود لكل أمة أهل دين جعلنا منسكا وهو ردّ لقول من يقول إن الذبح ليس بشريعة الله إذ هو شريعة كل أمة هم ناسكوه عاملوه فلا ينازعنك فلا يجادلنك والمعنى فلا تلتفت إلى قولهم ولا تمكنهم من أن ينازعوك في الأمر أمر الذبائح أو الدين نزلت حين قال المشركون للمسلمين ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله يعني الميتة وادع الناس إلى ربك إلى عبادة ربك إنك لعلى هدى مستقيم طريق قويم ولم يذكر الواو في لكل أمة بخلاف ما تقدم لأن تلك وقعت مع ما يناسبها من الآي الواردة في أمر النسائك فعطفت على أخواتها وهذه وقعت مع أباعد عن معناها فلم تجد معطفا انتهى

وهو الذي أحياكم بعد أن كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة ومضغة ثم يميتكم إذا جاء آجالكم ثم يحييكم في الآخرة إن الإنسان لكفور لجحود لما أفاض عليه من النعم مع ظهورها لكل أمة جعلنا منسكا كرره بغير واو للتأكيد والتعميم وتعليق الزيادة به وجيء بالواو في الأول لأنها وقعت مناسبا من الآي الواردة في أمر المناسك فعطف عليها وأما هذه فواقعة مع أجانب من معناها فلم يجد متعطفا هم ناسكوه هم عاملون به فلا ينازعنك سائر أرباب الملل في الأمر في أمر الدين والمناسك لأنهم جهال أو أهل فساد أو لأن أمر دينك أظهر من أن يقبل النزاع وقيل المراد نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التعرض لمنازعتهم بالمناظرة المؤدية إلى نزاعهم فإنها إنما تنفع طالب الحق وهم أهل مراء وعناد أي لا تلتفت إليهم ولا تمكنهم من أن ينازعوا أو من منازعتهم كما تقول لا يضاربنك فلان أي لا تضاربه البتة وهذا إنما يجوز في الفعل الذي بين اثنين وروي أنها نزلت في الخزاعيين قالوا للمسلمين ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله يعني الميتة وقرئ فلا ينزعنك أي اثبت في دينك ثباتا لا يمكنهم أن يزيلوك عنه والمراد زيادة التثبيت بما يهيج حميته ويلهب غضبه لله ولدينه وقال الزجاج هو من باب المغالبة أي لا يغلبنك في المنازعة من نازعته فنزعته أي غلبته في النزاع وادع الناس إلى ربك إلى عبادة ربك إنك لعلى هدى مستقيم طريق إلى الحق سوي

انتهى

وهو الذي أحياكم بعد أن كنتم جمادا عناصر ونطفا حسبما فصّل في مطلع السورة الكريمة ثم يميتكم عند مجيء آجالكم ثم يحييكم عند البعث إن الإنسان لكفور أي جحود للنعم مع ظهورها وهذا وصف للجنس بوصف بعض أفراده لكل أمة كلام مستأنف جيء به لزجر معاصريه عليه السلام من أهل الأديان السماوية عن منازعته عليه السلام ببيان حال ما تمسكوا به من الشرائع وإظهار خطائهم في النظر أي لكل أمة معينة من الأمم الخالية والباقية جعلنا أي وضعنا وعينا منسكا أي شريعة خاصة لا لأمة أخرى منهم على معنى عينا كل شريعة لأمة معينة من الأمم بحيث لا تتخطاها أمة منهم شريعتها المعينة لها إلى شريعة أخرى لا استقلالا ولا اشتراكا وقوله تعالى هم ناسكوه صفة لمنسكا مؤكدة للقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور على الفعل والضمير لكل أمة باعتبار خصوصها أي تلك الأمة المعينة ناسكوه والعاملون به لا أمة أخرى فالأمة التي كانت من مبعث موسى إلى مبعث عيسى عليهما السلام منسكهم التوراة هم ناسكوها والعاملون بها لا غيرهم والتي كانت من مبعث عيسى إلى مبعث النبي عليهما السلام منسكهم الإنجيل هم ناسكوه والعاملون به لا غيرهم وأما الأمة الموجودة عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم من الموجودين إلى يوم القيامة فهم أمة واحدة منسكهم الفرقان ليس إلا والفاء في قوله تعالى فلا ينازعنك في الأمر لترتيب النهي على ما قبلها فإن تعيينه تعالى لكل أمة من الأمم التي من جملتهم هؤلاء الأمة شريعة مستقلة بحيث لا تتخطاها أمة منهم شريعتها المعينة لها موجب لطاعة هؤلاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم منازعتهم إياه في أمر الدين زعما منهم أن شريعتهم ما عين لآبائهم الأولين من التوراة والإنجيل فإنهما شريعتان لمن مضى من الأمم قبل انتساخهما وهؤلاء أمة مستقلة منسكهم القرآن المجيد فحسب والنهي إما على حقيقته أو كناية عن نهيه عليه السلام عن منازعتهم فلا يساعده المقام وقرئ فلا ينزعنك على تهييج عليه السلام والمبالغة في تثبيته وأيا ما كان فمحل النزاع ما ذكرناه وتخصيصه بأمر النسائك وجعله عبارة عن قول الخزاعيين وغيرهم للمسلمين ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله تعالى مما لا سبيل إليه أصلا كيف لا وأنه يستدعي أن يكون أكل الميتة وسائر ما يدينونه من الأباطيل من جملة المناسك التي جعلها الله تعالى لبعض الأمم ولا يرتاب في بطلانه عاقل وادع أي وادعهم أو وادع الناس كافة على أنهم داخلون فيهم دخولا أوليا إلى ربك إلى توحيده وعبادته حسبما بين لهم في منسكهم وشريعتهم إنك لعلى هدى مستقيم أي طريق موصل إلى الحق سوي والمراد به إما الدين والشريعة أو أدلتها

انتهى أبو السعود رحمه الله

وان جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون اي وان ابوا الا المجادلة بعد وضوح ذلك واصرارك في ترك النزاع فادفعهم بان الله اعلم بما تعملون من الجدال الباطل والعناد فمجازيكم عليها وهذا وعيد مع رفق يحكم بينكم يفصل بينكم بثواب المؤمنين وعقاب الكافرين يوم القيمة كما فصل في الدنيا بالايات والبينات فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين الخطاب عام وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما يلقى منهم ومن تمام التسلية تقرير علمه بمضمون ذكره بقوله الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض من الغيب والشهادة ان ذلك في كتاب هو اللوح المحفوظ كتبه فيه قبل حدوثه وتنكيره لانه ليس من جنس الكتب المتعارفة فلكان الاثبات في اللوح المحفوظ مظنة للحاجة في الحفظ الى الكتبة دفعه بقوله ان ذلك اي الاحاطة به واثباته في اللوح على الله يسير لعدم الحاجة الى الالة فان علمه من ذاته فلا يخفى عليه شيء فلا يهمنك امرهم ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم ما لم يتمسكوا في جوازه ببرهان نازل بالوحي من عند الله ولا بعلم ضروري او نظري اي ليس لهم في ذلك مستند لا من جهة النقل ولا من جهة العقل وانا قدم وجه النقلي لانه الاصل في امر العبادة وفي العبارة عنه بما ذكر اشارة الى انه مع انقسامه الى اربعة اقسام في علم الاصول مرجعه الى الوحي واعادة عبارته مانع عدم الحاجة اليها في افادة المعنى المذكور كما عادته في قوله ما لا يضره وما لا ينفعه وما للذين ظلموا الظلم الشنيع من نصير يعينهم بدفع العذاب عنهم ووضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل على المشركين بالظلم انتهى ابو السعود

وان جادلوك مراء وتعنتا كما يفعله السفهاء بعد اجتهادك ان لا يكون بينك وبينهم تنازع وجدال فقل الله اعلم بما تعملون اي فلا تجادلهم وادفعهم بهذا القول والمعنى ان الله اعلم باعمالكم وبما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم وهذا وعيد وانذار ولكن برفق ولين وتاديب يجاب به كل متعنت الله يحكم بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون هذا خطاب من الله للمؤمنين والكافرين اي يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة لرسوله صلى الله عليه وسلم مما كان يلقى منهم الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض وكيف يخفى عليه ما يعملون ومعلوم عندنا العلماء بالله انه يعلم كل ما يحدث في السموات والارض ان ذلك الموجود فيهما في كتاب في اللوح المحفوظ ان ذلك على الله يسير علمه بجميع ذلك عليه يسير ثم اشار الى جهالة الكفار لعبادتهم غير المستحق لها بقوله ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا بنزل مكي وبصري حجة وبرهانا وما ليس لهم به علم اي لم يتمسكوا في عبادتهم لها ببرهان سماوي من جهة الوحي ولا حملهم عليها دليل عقلي وما للظالمين من نصير وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من احد ينصرهم ويصوب مذهبهم انتهى

وان جادلوك بعد ظهور الحق بما ذكر من التحقيق ولزوم الحجة عليهم فقل لهم على سبيل الوعيد الله اعلم بما تعملون من الاباطيل التي منه جملة المجادلة الله يحكم بينكم يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين يوم القيمة بالثواب والعقاب كما فصل في الدنيا بالحجج والايات فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين الم تعلم استئناف مقرر لمضمون ما قبله والاستفهام للتقرير اي قد علمت ان الله يعلم ما في السماء والارض فلا يخفى عليه شيء من الاشياء التي من جملتها ما يقولوا الكفرة وما يعملونه ان ذلك اي ما في السماء والارض في كتاب هو اللوح قد كتب قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا له ان ذلك اي ما ذكر من العلم والاحاطة به واثباته في اللوح او الحكم بينكم على الله يسير فان علمه وقدرته مقتضى ذاته فلا يخفى عليه شيء ولا يعسر عليه مقدور ويعبدون من دون الله حكاية لبعض اباطيل المشركين واحوالهم الدالة على كمال سخافة عقولهم وركاكة اراءهم من بناء امر دينهم على غير مبني من دليل سمعي او عقلي واعراضهم عما القي عليهم من سلطان بين هو اساس الدين وقاعدته اشد اعراض اي يعبدون متجاوزين عبادة الله تعالى ما لم ينزل به اي بجواز عبادته سلطانا اي حجة وما ليس لهم به اي بجواز عبادته علم من ضرورة العقل او استدلاله وما للظالمين اي الذين ارتكبوا مثل هذا الظلم العظيم الذي يقضي ببطلانه وكونه ظلما بديهة العقول من نصير يساعدهم بنصرة مذهبهم وتقرير رايهم او بدفع العذاب الذي يعتريهم بسبب ظلمهم انتهى ابو السعود

وان جادلوك في امر الذبائح او في امر الدين فقل الله اعلم بما تعملون فيجازيكم وبين ذلك بقوله الله يحكم بينكم اي يقضي بالحق يعني بالثواب والعقاب يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون من امر الذبيحة او الدين الم تعلم يا محمد ان الله يعلم ما في السماء والارض من الخلق واعمالهم ان ذلك في كتاب اي مكتوب في اللوح المحفوظ ان ذلك اي العلم على الله يسير هين حفظه وكتابته لا يفوت عنه شيء ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به جهالة المشركين بعبادتهم ما ليس بمستحق لها ما لم ينزل به سلطانا اي حجة لهم بذلك وما ليس لهم به علم اي علم معقول ولا عذر منقول وما للظالمين من نصير يمنعهم من العذاب واذا تتلى عليهم اياتنا بينات اي واضحات يعني القران تعرف يا محمد في وجوه الذين كفروا المنكر اي الانكار والكراهية يكادون يسطون اي يقعون به اي يبطشوه ويثبوا بالضرب والبطش بالشدة لو قدروا بالذين يتلون عليهم اياتنا اي القران وهم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قل افانبئكم بشر من ذلكم اي باسوء واشد من غيظكم وبطشكم او مخيظكم على تالي القران هو النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير وقيل النار مبتدا خبره وعدها يا ايها الناس ضرب مثل اي بين شبه كما نسميه مثلا وهو ليس بمثل بل صفة او قصة مستحسنة لانه القصة اذا كانت مستغربة عندهم شبهوها ببعض الامثال التي

ونستهم فالمراد قطع جدالهم بايات الله وايقاع عيوب الهتهم في اسماعهم وتبيين جهالتهم الفاحشة فقال ان الذين تدعون اي تعبدونهم من دون الله من الالهة لن يخلقوا ذبابا اي لن يقدروا على خلق ذباب من الذباب ولو اجتمعوا له اي على تخليقه الجملة في محل النصب على الحال كانه قال يستحيل ان يخلقوه مشروطا عليهم لخلقه ثم ذكر من امر الهتهم ما هو اضعف من خلق الذباب بقوله وان يسلبهم الذباب شيئا من حلي الاصنام مع ضعف الذباب لا يستنقذوه منه لعجزهم روي ان الكفار كانوا يطلون اصنامهم بالعسل والزعفران فاذا جف سلبه الذباب فتعجز الاصنام وعابدوها عن اخذه منه ضعف الطالب اي العابد والمطلوب اي المعبود انتهى العيون

وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات يعني القرآن تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر الإنكار بالعبوس والكراهة والمنكر مصدر يكادون يسطون يبطشون والسطو الوثب والبطش بالذين يتلون عليهم آياتنا هم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قل أفأنبئكم بشر من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم أو مما أصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلي عليكم النار خبر مبتدأ محذوف وعدها الله الذين كفروا استيناف كلام وبئس المصير النار يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له لضرب هذا المثل إن الذين تدعون من دون الله آلهة لن يخلقوا ذبابا لن تأكيد نفي المستقبل وتأكيده هنا للدلالة على أن خلق الذباب منهم مستحيل كأنه قال محال أن يخلقوا وتخصيص الذباب لمهانته وضعفه واستقذاره وسمي ذبابا لأنه كلما ذب استقذارا آب استكبارا ولو اجتمعوا له لخلق الذباب ومحله النصب على الحال كأنه قيل مستحيل منهم أن يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه وهذا من أبلغ ما أنزل في تجهيل قريش حيث وصفوا بالإلهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها والإحاطة بالمعلومات عن آخرها صورا وتماثيل يستحيل منها أن تقدر على أقل ما خلقه الله تعالى وأذله ولو اجتمعوا لذلك وإن يسلبهم الذباب شيئا ثاني مفعولي يسلبهم لا يستنقذوه منه أي هذا الخلق الأقل الأذل لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه لم يقدروا عليه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤوسها بالعسل فإذا سلبه الذباب عجز الأصنام عن أخذه ضعف الطالب أي الصنم بطلب ما سلب منه والمطلوب الذباب بما سلب وهذا كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف ولو حققت وجدت الطالب أضعف وأضعف فإن الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذلك مغلوب انتهى

وإذا تتلى عليهم آياتنا من القرآن بينات واضحات الدلالة على العقائد الحقة تعرف في وجوه الذين كفروا أي تظهر فيها ظهورا بينا حتى يعرفه كل من يراه المنكر الإنكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لأباطيل أخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة وللإشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير أو الأمر المنكر الفظيع من آثار الغيظ وما يقصدونه من الشر يكادون يسطون السطو الوثب والبطش بالذين يتلون عليهم آياتنا هم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم قل أفأنبئكم بشر من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم أو مما أصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما يتلى عليكم النار خبر مبتدأ محذوف كأن قائلا قال ما هو فقيل النار أو مبتدأ خبره وعدها الله الذين كفروا وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر بدل من شر وعلى هذين الوجهين يحتمل أن يكون الجملة حالا بإضمار قد وأن يكون استينافا كما إذا وقعت خبرا وبئس المصير النار يا أيها الناس ضرب مثل لكم حالة غريبة سميت مثلا على سبيل الاستعارة لأن الأمثال إنما سيرت لكونها مستغربة فلهذا نودي الناس لها وأكد غرابتها بقوله فاستمعوا له وأنهم وبين إن الذين تدعون أي تدعونه وقرئ يدعون مبنيا للمفعول من دون الله آلهة لن يخلقوا ذبابا الذباب من الذب لأنه يذب سمي ذبابا لأنه كلما ذب استقذارا آب استكبارا وتخصيصه بمهانته وضعفه وتأكيد النفي بلن للدلالة على استحالة خلق الذباب كأنه قال محال أن يخلقوه ولو اجتمعوا له لجوابه المقدر وله المدلول عليه بالمذكور في موضع الحال جيء بها للمبالغة أي لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف إذا كانوا منفردين وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه أي هذا الخلق الأذل الأقل لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه لم يقدروا عليه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤوسها بالعسل فإذا سلب الذباب عجز الأصنام عن أخذه والظاهر أن المراد جعل امتناع خلقهم ذبابا وامتناع استنقاذهم منه عند سلبه شيئا منهم مثلا لانتفاء قدرتهم المستلزمة لانتفاء الألوهية التي تستلزم الاقتدار على جميع المقدورات ويستحق بها العبادة فإن ما لا يقدر على خلق أصغر شيء بل على الاستنقاذ منه كيف يستحق أن يعبد عبادة من له كمال قدرة على إيجاد كل شيء وتسخيره وهذا غاية في تجهيلهم وإشراكهم عقولهم ضعف الطالب والمطلوب الصنم الطالب للاستنقاذ والذباب المطلوب أن يستنقذ منه وفي هذا التذييل إيهام التسوية وتحقيق أن الطالب يعني الصنم أضعف لأنه قدم عليه أي هذا الخلق الأذل صار مثله وذلك طالب خاب عنه طلبه ولما أجراهم مجرى العقلاء بإثبات الطلب لهم وبين أنهم أضعف لأنه أذل الحيوان فقد نبه على مكان التهم في ذلك انتهى

وإذا تتلى عليهم آياتنا عطف على يعبدون وما بينهما اعتراض وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددي بينات أي حال كونها واضحات الدلالة على العقائد الحقة والأحكام الصادقة أو على بطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام أو على كونها من عند الله تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر أي الإنكار كالمكرم بمعنى الإكرام أو الفظيع من التجهم والبسور أو الشر الذي يقصدونه بظهور مخايله من الأوضاع والهيئات وعدل [illegible] بقوله يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا أي يثبون ويبطشون بهم من فرط الغيظ والغضب لأباطيل أخذوها تقليدا وهل جهالة أعظم وأظلم من أن يعبدوا ما لا يوهم صحة عبادته شيء ما أصلا مع [illegible] بطلانها العقل والنقل ويظهروا لمن يهديهم إلى الحق البين بالسلطان البين مثل هذا المنكر الشنيع كلا [illegible]

ولهذا وضع الذين كفروا موضع الضمير قل ردا عليهم وإقناطا لهم عما يقصدونه من الإضرار بالمسلمين أفأنبئكم أي أخاطبكم فأخبركم بشر من ذلكم الذي فيكم من غيظكم على التالين وسطوتهم بهم أو مما تبغونهم من الغوائل أو مما أصابكم من الضجر بسبب ما تلوه عليكم النار أي هو النار على أنه جواب لسؤال مقدر كأنه قيل ما هو وقيل هو مبتدأ خبره قوله تعالى وعدها الله الذين كفروا وقرئ النار بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فيكون الجملة الفعلية استينافا كالوجه الأول أو حالا من النار بإضمار قد وبئس المصير أي النار يا أيها الناس ضرب مثل أي بين لكم حال مستغربة أو قصة بديعة رائعة حقيقة بأن تسمى مثلا وتسير في الأمصار والأعصار أو جعل لله مثل أي مثل في استحقاق العبادة وأريد بذلك ما حكي عنهم من عبادتهم للأصنام فاستمعوا له أي للمثل نفسه استماع تدبر وتفكر أو فاستمعوا لأجله ما أقول فقوله تعالى إن الذين تدعون من دون الله إلى آخره بيان للمثل وتفسير له على الأول وتعليل لبطلان جعلهم الأصنام مثلا لله سبحانه في استحقاق العبادة على الثاني وقرئ بياء الغيبة مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول والراجع إلى الموصول على الأولين محذوف لن يخلقوا ذبابا أي لن يقدروا على خلقه أبدا مع صغره وحقارته فإن لن بما فيها من تأكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه ولو اجتمعوا له أي لخلقه وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على شرطية أخرى محذوفة ثقة بدلالة هذه عليها أي لو لم يجتمعوا عليه لن يخلقوه ولو اجتمعوا له لن يخلقوه كما مر تحقيقه مرارا وهما في موضع الحال كأنه قيل لن يخلقوا ذبابا على كل حال وإن يسلبهم الذباب شيئا بيان لعجزهم عن الامتناع عما يفعل بهم الذباب بعد بيان عجزهم عن خلقه أي أن يأخذ الذباب منهم شيئا لا يستنقذوه منه مع غاية ضعفه ولقد جهلوا غاية التجهيل في إشراكهم بالقادر على جميع المقدورات المتفرد بإيجاد كافة الموجودات تماثيل هي أعجز الأشياء وبين ذلك بأنها لا تقدر على أقل الأحياء وأذلها ولو اتفقوا عليه بل لا تقوى على مقاومة هذا الأقل الأذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه منها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الأبواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله ضعف الطالب والمطلوب أي عابد الصنم ومعبوده أو الذباب الطالب لما يسلبه عن الصنم من الطيب والصنم المطلوب منه ذلك أو الصنم والذباب كأنه يطلبه ليستنقذ منه ما يسلبه ولو حققت وجدت الصنم أعجز من الذباب بدرجات وعابده أجهل من كل جاهل وأضل من كل ضال

ابو السعود رحمه الله

ما قدروا الله حق قدره ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به
وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء عنه مناسبة واوغل في الاتصاف
باضداد صفاته ان الله لقوي قادر على خلق الممكنات كلها عزيز غالب
على كل شيء ولا يغلبه شيء فكيف يشرك به شيء سيما احقر الاشياء
واعجزها واذلها ولما قرر الوحدانية ونفى الالهية الانداد
واراد ان ينفي عنهم ما يدعونه لها من التوسل بها الى الله تعالى
والتقرب اليه بتوسطها قال الله يصطفي يختار من الملائكة
رسلا يتوسطون بينه وبين الانبياء عليهم السلام بالوحي ومن
الناس رسلا يبلغون رسالته اي من دونهم ويدعونهم
اليه ويشفعون لهم فلا وسيلة غير هذين الصنفين ولا تقرب
الى الله بغيرهما ففيه نفي لما ادعوه في قولهم ما نعبدهم الا
ليقربونا الى الله زلفى وقولهم الملائكة بنات الله ورد لمذهبهم
واعتقادهم ان الرسول لا يكون من البشر ان الله سميع لاقوال الرسل
فيما يقبله العقول بصير باحوال الامم والرد والقبول يعلم ما بين
ايديهم وما خلفهم ما مضى وما غبر لا يخفى منهم خافية والى الله ترجع
الامور واليه مرجع الامور كلها لانه مالكها ومدبرها فلا اعتراض
لاحد على حكمه وتدبيره واختيار رسله يا ايها الذين امنوا اركعوا
واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير درج في هذه الاوامر من
الاخص الى الاعم فامر بالصلوة المشتملة على اصناف الطاعات
من القلبيات والقوليات والبدنيات وعبر عنها بالركوع
والسجود لانهما اعظم اركانها ثم بمطلق العبادات كالصوم والزكوة
والحج ثم بسائر الخيرات كصلة الارحام ومكارم الاخلاق والاصلاح
بين الناس وامثالها وقيل كان الناس في اول الاسلام يركعون
بلا سجود ويسجدون بلا ركوع فامروا بالجمع بينهما في الصلوة
لعلكم تفلحون افعلوا هذا كله وانتم راجون الفلاح غير متيقنين به
متكلين على اعمالكم وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قلت
يا رسول الله في سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما فلا تقراها
وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فضلت سورة الحج بسجدتين
وبذلك احتج الشافعي رحمه الله فراى السجدتين فيها وابو حنيفة
واصحابه رحمهم الله لا يرون فيها الا سجدة واحدة لانهم يقولون
قرن السجود بالركوع فدل ذلك على انها سجدة صلوة لا سجدة تلاوة
انتهى

ما قدروا الله حق قدره ما عرفوه حق معرفته حيث
جعلوا هذا الصنم الضعيف شريكا له ان الله لقوي عزيز
اي ان الله قادر غالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب
شبيها به او لقوي بنصر اوليائه عزيز ينتقم من اعدائه
الله يصطفي من الملائكة رسلا كجبرئيل وميكائيل
واسرافيل وغيرهم ومن الناس رسلا كابرهيم وموسى
وعيسى ومحمد وغيرهم عليهم السلام هذا رد لما انكروه
من ان يكون الرسول من البشر وبيان ان رسل الله على
ضربين ملك وبشر وقيل نزلت حين قالوا أأنزل
عليه الذكر من بيننا ان الله سميع لقولهم بصير بمن
يختاره لرسالته او سميع لاقوال الرسل فيما تقبله
العقول بصير باحوال الامم في الرد والقبول
يعلم ما بين ايديهم ما مضى وما خلفهم ما لم يات
او عملوه وما سيعملونه او امر الدنيا وامر الاخرة
والى الله ترجع الامور اي اليه ترجع الامور كلها
الذي هو بهذه الصفات لا يسئل عما يفعل وليس لاحد
ان يعترض عليه في حكمه وتدبيره واختيار رسله
ترجع تاتي وترجع وعلى يا ايها الذين امنوا اركعوا
واسجدوا في صلوتكم وكانوا اول ما اسلموا يصلون
بلا ركوع وسجود فامروا ان يكون صلوتهم بركوع وسجود
وفيه دليل على ان الاعمال ليست من الايمان وان هذه السجدة
للصلوة لا للتلاوة واعبدوا ربكم واقصدوا بركوعكم
وسجودكم وجه الله لا الصنم وافعلوا الخير قيل لما كان
للذكر مزية على غيره من الطاعات دعا المؤمنين اولا الى
الصلوة التي هي ذكر خالص لقوله اقم الصلوة لذكري
ثم الى العبادة بغير الصلوة كالصوم والحج وغيرهما ثم عم
بالحث على سائر الخيرات وقيل اريد به صلة الارحام
ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اي كي تفوزوا ما صلحوا
هذا كله وانتم راجون للفلاح غير مستيقنين ولا متكلين على اعمالكم
انتهى مدارك

وما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء عنه مناسبة
ان الله لقوي على خلق الممكنات باسرها وافناء الموجودات عن اخرها عزيز غالب على جميع الاشياء وقد عرفت حال الهتهم المقهورة
لاذلها العجزة عن اقلها والجملة تعليل لما قبلها من نفي معرفتهم له تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا يتوسطون بينه تعالى وبين الانبياء
عليهم السلام بالوحي ومن الناس وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون بكلا العالمين الروحاني
والجسماني يتلقون من جانب ويلقون الى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق فيدعونهم الى الله
بما انزل عليهم ويعلمونهم شرائعه واحكامه كانه تعالى لما قرر وحدانيته في الالوهية ونفى ان يشاركه فيها شيء من الاشياء
بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادته تعالى وهو اعلى الدرجات واقصى الغايات لمن عداه
من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم لو شاء الله لانزل ملائكة وقولهم انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى
وقولهم الملائكة بنات الله وغير ذلك من الاباطيل ان الله سميع بصير

ان الله سميع بصير عليم بجميع المسموعات والمبصرات فلا يخفى عليه شيء من الاقوال والافعال يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور
لا احد غيره لا اشتراكا ولا استقلالا يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا اي في صلوتكم امرهم بهما لما انهم ما كانوا يفعلونهما اول الاسلام
او صلوا عبر عن الصلوة بهما لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله تعالى وخروا له سجدا واعبدوا ربكم بسائر ما تعبدكم به وافعلوا الخير
وتحروا ما هو خير واصلح في كل ما تاتونه وما تذرونه كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون
اي افعلوا هذه كلها وانتم راجون بها الفلاح غير متيقنين له واثقين باعمالكم والاية اية سجدة عند الشافعي رحمه الله لظاهر ما فيها
من الامر بالسجود ولقوله صلى الله عليه وسلم فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقراها
انتهى ابو السعود

ما قدروا الله حق قدره اي ما عظموه حق عظمته حيث اشركوا به غيره وما عرفوه حق معرفته حيث لم يعلموا ربوبيته
والاية نزلت في حق اليهود الذين قالوا خلق الله السماء والارض في ستة ايام ثم استلقى واستراح ووضع احدى رجليه
على الاخرى وكذب اعداء الله في وصفه تعالى ان الله لقوي في امره وخلقه ليس معبودهم بلا قوة عزيز اي منيع في ملكه ومنتقم
لا يتجدد الله يصطفي اي يختار من الملائكة رسلا الى خلقه كجبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت والحفظة الكتبة
عليهم الصلوة والسلام ومن الناس عطف على الملائكة اي يختار منهم رسلا كمحمد وعيسى وموسى وابراهيم ونوح عليهم الصلوة والسلام
يرسلهم الى خلقه ليدعوهم الى دينه ففيه بيان ان رسل الله تعالى على ضربين ملائكة وبشر ان الله سميع لمقالتهم بصير بمن يصلح
لرسالته فيختاره ويجعله رسولا رد لقول الوليد بن المغيرة حين قال أأنزل عليه الذكر من بيننا يعلم ما بين ايديهم
من امر الاخرة ويعلم ما خلفهم من امر الدنيا والى الله ترجع الامور اي الامر كله اليه لا يسئل عما يفعل في حكمه وتدبيره و
اختيار رسله او اليه عواقب امور العباد في الاخرة من الثواب والعقاب يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا اي صلوا
بالركوع والسجود وانما امرهم بذلك لانهم اول ما اسلموا كانوا يسجدون بغير ركوع واعبدوا اي وحدوا ربكم واطيعوه بالصوم والزكوة
والجهاد وافعلوا الخير اي افعلوا سائر الخيرات واكثروا ما استطعتم لعلكم تفلحون اي افعلوا راجين الفلاح من عذاب الله تعالى

وجاهدوا في الله اي اعملوا لله حق جهاده اي حق عمله وهو ان تؤدي جميع ما امر الله به وتجتنب ما نهاك الله عنه وان تترك
رغبة الدنيا لرهبة الاخرة والاضافة الى الضمير كانت بادنى ملابسة لان الجهادة مفعول لاجل الله تعالى والافضل حق الجهاد
قال النبي صلى الله عليه وسلم اي الجهاد افضل قال كلمة عدل عند السلطان وقيل حق جهاده جهاد الكفار وقيل جهاد النفس وهو الاكبر
هو اي الله تعالى اجتباكم اي اختاركم لدينه ونصرته وما جعل الله تعالى عليكم في الدين من حرج اي ضيق بل فتح عليكم باب التوبة
ان اجرمتم واذنبتم وفسح بانواع الرخص والكفارات ان اجرمتم المعنى انه جعله واسعا من غير كلفة ورخص الافطار
في السفر والحضر بالمرض والقعود في الصلوة عند العلة والايما فيه عند العذر ونحو قوله ملة ابيكم نصب على الاختصاص
اي اعني بالدين ملة ابيكم واتبعوا ملة ابيكم ابراهيم بدل من ابيكم لانه ملة سمحة سهلة لا عسرة فيها ولم يكن ابا لكل الامة
وانما كان ابا النبي صلى الله عليه وسلم فكان ابا الامة لان امته في حكم اولاده هو اي الله تعالى سماكم المسلمين او ابراهيم والاول اصح
قوله من قبل اي قبل القران يعني في الكتب المتقدمة وفي هذا اي القران ايضا والجملة بدل من قوله هو اجتباكم وانما
سماكم الله تعالى بهذا الاسم الاعز ليكون الرسول اي محمد صلى الله عليه وسلم شهيدا اي شاهدا عليكم بانه بلغكم وبانكم صدقتموه ٨

وجاهدوا أمر بالغزو او بمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر او هو كلمة حق عند امير جائر في الله اي في ذات الله ومن اجله حق جهاده وهو ان لا يخاف في الله لومة لائم يقال هو حق عالم وجد عالم اي عالم حقا وجدا ومنه حق جهاده وكان القياس حق الجهاد فيه او حق جهادكم فيه لكن الاضافة تكون لادنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مفعول لاجله ومن اجله صحت اضافته اليه ويجوز ان يتسع في الظروف كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا هو اجتبيكم اختاركم لدينه ولنصرته وما جعل عليكم في الدين من حرج ضيق بل رخص لكم في جميع ما كلفكم من الطهارة والصلوة والصوم والحج بالتيمم وبالايماء وبالقصر والافطار لعذر السفر والمرض وعدم الراحلة ملة ابيكم ابرهيم اي اتبعوا ملة ابيكم او نصب على الاختصاص اي اعني بالدين ملة ابيكم وسماه ابا وان لم يكن ابا للامة كلها لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ابا لامته لان امة الرسول في حكم اولاده قال صلى الله عليه وسلم انما انا لكم كالوالد هو سميكم المسلمين اي الله بدليل قراءة ابي الله سمكم من قبل في الكتب المتقدمة وفي هذا اي في القرآن اي فضلكم على سائر الامم وسماكم بهذا الاسم الاكرم ليكون الرسول شهيدا عليكم انه قد بلغكم رسالة ربكم وتكونوا شهداء على الناس بتبليغ الرسل رسالات الله اليهم واذا خصكم بهذه الكرامة والاثرة فاقيموا الصلوة بواجباتها واتوا الزكوة بشرائطها واعتصموا بالله وثقوا بالله وتوكلوا عليه لا بالصلوة والزكوة هو موليكم مالككم وناصركم ومتولي اموركم فنعم المولى حيث لم يمنعكم رزقكم بعصيانكم ونعم النصير اي الناصر هو حيث اعانكم على طاعتكم وقد افلح من هو مولاه وناصره انتهى المدارك

وجاهدوا في الله في شانه ومن اجله بالغزو او بمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر لقوله صلى الله عليه وسلم عند رجوعه من غزوة تبوك رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر حق جهاده اصله حق جهاد فيه فاضيف الحق الى الجهاد للمبالغة كقولك هو حق عالم ثم اضيف الجهاد الى الضمير به اما للاتساع او لاختصاصه به من حيث انه مفعول لاجله او للاتساع في الظرف هو اجتبيكم اختاركم لدينه ولنصرته وبناء الفعل على الضمير للاختصاص المفيد لوجوب الجهاد اي هو وحده اجتباكم دون غيره والذي اجتباه الله بنفسه لا بد له من الجهاد الاكبر لقضاء حق القرب والولاية والاصغر لقوة يقينه ووثوقه بحفظه وكلائه ولاعلاء كلمته واعزاز دينه ففيه دليل على المقتضي للجهاد في قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج ضيق بتكليف ما يشتد القيام به عليكم على انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه وجمة الاشارة الى الرخصة في اعتقال بعض امرهم به حيث يشق عليهم لقوله صلى الله عليه وسلم اذا امرتكم بشي فاتوا به ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لكم من كل ذنب مخرجا بان رخص في المضائق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات في حقوقه والديات في حقوق العباد فلا ذنب الا وقد جعل لكم منه مخرجا ويرد عليه ان الحرج لا ينتفي بوجود المخرج في الجملة لما عرفت انه عبارة عن الضيق لا عن عدم المخلص ملة ابيكم نصب على الاختصاص اي اعني بالدين ملة ابيكم او على الاغراء اي الزموا ملة ابيكم او بمضمون ما تقدم على المصدر اي وسع دينكم توسعة ملة ابيكم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ابرهيم عطف بيانه وانما جعله ابا لان كل نبي ابو امته من حيث الحقيقة وهو كان ابا محمد صلى الله عليه وسلم واب الاب اب او لان اكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم هو اي الله سبحانه وتعالى سمكم المسلمين من قبل القرآن في الكتب المتقدمة وفي هذا اي في القرآن وقيل الضمير لابرهيم عليه السلام وهو ان لم يسمهم فيه المسلمين لكن سموا به بسبب تسمية اياهم مسلمين من قبل في قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقوله وفي هذا بيان تسميته اياكم مسلمين ويشهد للاول قراءة ابي رضي الله عنه سماكم بهذا الاسم اي هو خصكم بالاجتباء وسماكم بهذا الاسم الاكرم ليكون الرسول يوم القيمة متعلق بسماكم او باجتباكم شهيدا عليكم بانه بلغكم او بعصيان من عصى وطاعة من اطاع وتكونوا شهداء على الناس بان الرسل قد بلغتهم فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة اي واذ قد خصكم بهذه الكرامة والشرف فاعبدوه وتوبوا اليه بانواع الطاعات واعتصموا بالله وثقوا به في مجامع اموركم هو موليكم فلا تطلبوا النصر والولاية الا منه فنعم المولى ونعم النصير حيث لا يمنعكم رزقكم بعصيانكم ويعينكم على جميع الناس ويدفع عنكم الفساد والله اعلم بالصواب ابو الكمال

جاهدوا في الله اي لله ولاجل اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه صلى الله عليه وسلم انه رجع عن غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر حق جهاده اي جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا او لانه مختص به من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله هو اجتبيكم اي هو اختاركم لدينه ولنصرته لا غيره وفيه تنبيه على ما يقتضي الجهاد ويدعو اليه وما جعل عليكم في الدين من حرج ضيق بتكليف ما يشق عليكم اقامته اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه او الى الرخصة في اغفال بعض ما امرهم به حيث شق عليهم لقوله صلى الله عليه وسلم اذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص في المضائق وفتح عليهم باب التوبة وسوغ لهم الكفارات في حقوقه والاروش والديات في حقوق العباد ملة ابيكم ابرهيم نصب على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبله بحذف المضاف اي وسع عليكم دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء ○

○ او على الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحياتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الآخرة او لان اكثر العرب كانوا من ذريته صلى الله عليه وسلم فغلبوا على غيرهم هو سمكم المسلمين من قبل في الكتب المتقدمة وفي هذا اي في القرآن والضمير لله تعالى ويؤيده انه قرئ الله سماكم او لابرهيم وتسميتهم بالمسلمين في القرآن وان لم يكن منه عليه السلام كانت بسبب تسميته من قبل في قوله تعالى ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل في هذا تقديره في هذا بيان تسميتي اياكم مسلمين ليكون الرسول متعلق بسماكم شهيدا عليكم بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى وتكونوا شهداء على الناس بتبليغ الرسل اليهم فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة اي فتقربوا الى الله تعالى بانواع الطاعات وتخصيصهما بالذكر لانافتهما وفضلهما واعتصموا بالله اي ثقوا به في مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه هو موليكم ناصركم ومتولي اموركم فنعم المولى ونعم النصير اذ لا مثل له في الولاية والنصرة بل لا مولى ولا نصير في الحقيقة سواه عز وجل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وما بقي انتهى ابو السعود رحمه الله

[illegible]

٨ وتكونوا شهداء على الناس اي على سائر الامم ان الرسل قد بلغوا الرسالة فاقيموا الصلوة اي اتموها في مواقيتها واتوا الزكوة اي ادوها عن طيبة نفس واعتصموا بالله اي ثقوا به في كل الامور واعبدوه لما خصكم بهذه الكرامة فهو موليكم اي ان الله يتولاكم هو اي المتولي عليكم ناصركم في الدين فلا تطلبوا النصر من غيره ولا الولاية الا منه فنعم المولى ينصركم على الاعداء ونعم النصير ينصركم فلا يغلبه احد انتهى العيون للشيخ عمر السهروردي البكري رحمه الله

سورة المؤمنين بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المؤمنون قد تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه واذا دخلت على الماضي دلت على ثبات والفلاح الظفر بالمطلوب والنجاة عن المهروب اى فازوا بما طلبوا ونجوا عما هربوا • وافلح دخل في الفلاح كابشر دخل في البشارة ويقال قد افلحه اذا وصله الى الفلاح وعليه قراءة قد افلح على البناء للمفعول • وقرئ قد افلح بالقاء حركة الهمزة الى الدال وحذفها • وقرئ قد افلحوا على الابهام والتفسير او على لغة اكلوني البراغيث • وافلح بتقدير الضمة اكتفاء بها عن الواو • لما كان المؤمنون متوقعين مثل هذه البشارة من فعل الله بشروا بما دل على ثبوت ما توقعوه • والمؤمنون في اللغة المصدقون واما في الشريعة فقد اختلف فيه على اقوال قد سبق تفصيلها في تفسير سورة البقرة الذين هم في صلوتهم خاشعون الخشوع في الصلوة خشية القلب مع التواضع والقاء البصر موضع السجود روى انه عليه السلام كان يصلي رافعا بصره الى السماء فنزلت فنظر نحو سجده والذين هم عن اللغو معرضون لما بهم من الجد ما يشغلهم عن اللغو وهو ما لا يعنيك من قول وفعل كالهزل وكل ما توجب المروة الغاؤه لما ذكر الخشوع اتبعه الاعراض عن اللغو ليجمع بين فعل ما ينبغي ان يترك وهما الاصلان اللذان عليهما مدار التكليف وبالغ في اوصاف المؤمنين بايراد الصلات جملا اسمية وتقديم صلة الاعراض والتعبير بالاسم دون الفعل وايراد الاعراض مكان الترك لان اصله ان يكون في عرض غير عرضه ليدل على التجنب والتعد بالكلية مباشرة وتسببا وميلا وحضورا وكذلك قوله والذين هم للزكوة فاعلون اي للتزكية فاعلون لان الفاعل لا يفعل الا الحدث الذي هو القدر وهذا سمي الفعول المطلق ويمكن ان يفسر بالعين ويقدر مضاف اى لاداء الزكوة وانما لم يقل مؤدون لان في الزيادة فاعلون دلالة على المداومة

انتهى ما كان

قد نقيضه لما هي يثبت المتوقع ولما تنفيه وكان المؤمنون يتوقعون مثل هذه البشارة وهي الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه • والفلاح الظفر بالملك والنجاة من المهروب اى فازوا بما طلبوا • وفي الشرع كل من نطق بالشهادتين مواطئا قلبه لسانه فهو مؤمن قال صلى الله عليه وسلم خلق الله الجنة فقال لها تكلمي فقال قد افلح المؤمنون ثلاثا انا حرام على كل بخيل مرائي لانه بالرياء ابطل العبادات البدنية وبالبخل عبادة مالية الذين هم في صلوتهم خاشعون خائفون بالقلب ساكنون بالجوارح • وقيل الخشوع في الصلوة جمع الهمة لها والاعراض عما سواها وان لا يجاوز بصره مصلاه وان لا يلتفت ولا يعبث ولا يسدل ولا يفرقع اصابعه ولا يقلب الحصى ونحو ذلك • وعن ابي الدرداء هو اخلاص المقال واعظام المقام واليقين التام وجمع الاهتمام • واضيفت الصلوة الى المصلين لا الى المصلى له لانتفاع المصلي بها وحده وهي عدته وذخيرته واما المصلى له فهو غني عنها والذين هم عن اللغو معرضون اللغو كل كلام ساقط حقه ان يلغى كالكذب والشتم والهزل • يعني ان بهم من الجد ما شغلهم عن الهزل • ولما وصفهم بالخشوع في الصلوة اتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على النفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف والذين هم للزكوة فاعلون مؤدون ولفظ فاعلون يدل على المداومة بخلاف المؤدي وقيل الزكوة اسم مشترك يطلق على العين وهو القدر الذي يخرجه المزكي من النصاب الى الفقير وعلى المعنى وهو فعل المزكي الذي هو التزكية وهو المراد هنا ودخل اللام لتقدم الفعل وضعف اسم الفاعل في العمل

انتهى

سورة المؤمنين مكية وهي مائة وتسع عشرة آية عند الكوفيين بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المؤمنون الفلاح الفوز بالمرام والنجاة عن المكروه • وقيل البقاء في الخير والافلاح الدخول في ذلك كالابشار الذي هو الدخول في البشارة • وقد يجيء متعديا بمعنى الادخال فيه وعليه قراءة من قرأ على البناء للمفعول • وكلمة قد ههنا لافادة ثبوت ما كان متوقع الثبوت من قبل لا متوقع الاخبار ان المتوقع من حال المؤمنين ثبوت الفلاح لهم لا الاخبار بذلك • فالمعنى قد فازوا بكل خير ونجوا من كل ضير مما كانوا متوقعين من حالهم فان ايمانهم وما تفرع عليه من اعمالهم الصالحة من دواعي الفلاح بموجب الوعد الكريم خلا انه ان اريد بالفلاح حقيقة الدخول في الفلاح الذي لا يتحقق الا في الآخرة فالاخبار به على صيغة الماضي للدلالة على تحققه لا محالة بتنزيله منزلة الثابت وان اريد كونهم بحال تستتبعه البتة فصيغة الماضي في محلها • وقرئ افلحوا على الابهام والتفسير • او على لغة اكلوني البراغيث • وقرئ افلح بضمة اكتفى بها عن الواو كما في قول من قال • ولو ان الاطباء كان حولي • والمراد بالمؤمنين اما المصدقون بما علم ضرورة انه من دين نبينا صلى الله عليه وسلم من التوحيد والنبوة والبعث والجزاء • ونظائرها فقوله تعالى الذين هم في صلوتهم خاشعون وما عطف عليه صفات مخصصة لهم واما الآتون بفروعه ايضا كما ينبئ عنه اضافة الصلوة اليهم فهي صفات موضحة او مادحة حسب اعتبار ما ذكر في حيز الصلة من المعاني مع الايمان اجمالا او تفصيلا كما مر في اوائل سورة البقرة والخشوع الخوف والتذلل اى خائفون من الله تعالى متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم روي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى

[illegible] ببصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو سجده وانه رأى مصليا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه والذين هم عن اللغو اى عما لا يعنيهم من الاقوال والافعال معرضون اى في عامة اوقاتهم كما ينبئ عنه الاسم الدال على الاستمرار فيدخل في ذلك اعراضهم عنه حال اشتغالهم بالصلوة دخولا اوليا ومدار اعراضهم عنه ما فيه من الحالة الداعية الى الاعراض عنه من الجد والاشتغال بالجد في امور الدين كما قيل فاتك ربما يوهم ان لا يكون في اللغو نفسه ما يزجرهم عن تعاطيه وهو ابلغ من ان يقال لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية • وبناء الحكم على الضمير • والتعبير عنه بالاسم • وتقديم الصلة عليه • واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على تباعدهم عنه رأسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان اصله ان يكون في عرض غير عرضه والذين هم للزكوة فاعلون وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلوة للدلالة على انهم بلغوا الغاية القاصية من القيام بالطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما يوجب المروة اجتنابه • وتوسيط حديث الاعراض بينهما لكمال ملابسته بالخشوع في الصلوة • والزكوة مصدر لانه الامر الصادر عن الفاعل لا المحل الذي هو موقعه ومعنى الفعل فيه تحقيقه في تفسير قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ويجوز ان يكون بها العين على تقدير المضاف

انتهى ابو السعود رحمه

سورة المؤمنون مكية بسم الله الرحمن الرحيم عن عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انزلت على عشر آيات من اقامهن دخل الجنة اى عمل بها ثم قرأ قد افلح المؤمنون الى قوله هم فيها خالدون • افلح اى دخل في الفلاح وهو الظفر بالمراد الفالح وقد فيه لاثبات المتوقع ولما نقيضه قد اى لنفيه • ولا شك ان المؤمن يتوقع هذه البشارة وهو الاخبار بثبوت الفلاح لهم • والمؤمن هو الناطق بالشهادتين بالاخلاص الذين هم في صلوتهم خاشعون وصفهم الذي به يستحقون الفلاح اى الذين هم في صلوتهم خاشعون متواضعون لا يلتفتون يمينا ولا شمالا لا قيل الخشوع في الصلوة خشية القلب والزام البصر موضع السجود واضيف الصلوة الى المؤمنين دون الله تعالى لان المصلي هو المنتفع بها وحده لكونها ذخيرته والمصلى له غني عن الحاجة اليها والانتفاع بها والذين هم عن اللغو اى عن كل باطل معرضون اي لا يلتفتون اليه قيل كل كلام او عمل لا يحتاج اليه فهو لغو والذين هم للزكوة اي المفروضة في اموالهم فاعلون اى مؤدون

انتهى العيون

والذين هم لفروجهم حافظون الفرج يشتمل سوءة الرجل والمرأة الا على ازواجهم في موضع الحال اي الا والين على ازواجهم او قوامين عليهن والمعنى انهم لفروجهم حافظون في جميع احوالهم الا في حال تزوجهم وتسريهم او تعلق بمحذوف يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون الا على ازواجهم اي لا يلامون على كل مباشر الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين عليه وقال الفراء الا من ازواجهم اي زوجاتهم او ما ملكت ايمانهم اي اماءهم ولم يقل ومن ملكت ايمانهم لان المملوك يجري مجرى غير العقلاء ولهذا يباع كما يباع الراتع فانهم غير ملومين اي لا لوم عليهم ان لم يحفظوا فروجهم عن نسائهم واماءهم فمن ابتغى وراء ذلك اي طلب قضاء شهوة من غير هذين فاولئك هم العادون الكاملون في العدوان وفيه دليل تحريم المتعة والاستمناء بالكف لارادة الشهوة والذين هم لاماناتهم وعهدهم سمي الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه امانة وعهدا والمراد به العموم في كل ما ائتمنوا وعوهدوا من جهة الله ومن جهة الخلق راعون حافظون والراعي القائم على الشيء بحفظ واصلاح كراعي الغنم والذين هم على صلواتهم يحافظون يداومون في اوقاتها واعادة ذكر الصلوة لانها اهم ولان الخشوع فيها غير المحافظة عليها ولانها وحدت اولا ليفاد الخشوع في جنس الصلوة اية صلوة كانت وجمعت اخرا ليفاد المحافظة على انواعها من الفرائض والسنن والواجبات والنوافل

انتهى

والذين هم لفروجهم حافظون الفرج يشتمل على سوءة الرجل والمرأة حافظون من قولهم على عنان فرسي بمعنى امسك ولا بد فيه من تضمين معنى النفي ليصح الاستثناء اي يمسكونها لا يطلقونها على احد الا على ازواجهم حال اي والين على ازواجهم او قوامين عليهن والمعنى حافظون في كل حال الا في حال ولايتهم على ازواجهم او متعلق بمحذوف دل عليه فانهم غير ملومين اي يلامون على كل مباشرة الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين او ما ملكت ايمانهم اي اماءهم ولم يقل من اجراء المماليك مجرى غير العقلاء اذ الملك اصل في غيرهم والرتبة فيهم او لانه اريد الاناث لنقصان عقلهن من جنس غيرهم وانما قال ما ملكت ايمانهم ولم يقل ما ملكوا لان ملك اليمين في مقابلة ملك المتعة من قرينه اشعارا باختصاص سبب حل الوطئ في الملكين المذكورين لا يتعدى الى ملك الرقبة فانها اذا خلت عن ملك اليمين كما في المكاتب لا يوجد الحل المذكور فانهم غير ملومين الضمير لحافظون او لمن دل عليه الاستثناء اي فان اطلقوها لازواجهم او امائهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون جعل المستثنى حدا وجب الوقوف عنده وحذف مفعول الابتغاء للتعميم وجاء باسم الاشارة اي فاولئك المبتغون ووسط الضمير وعرف العادون اي من احدث وراء ذلك الحد بعد فقد الفسحة والاتساع فاولئك الكاملون في العدوان المتناهون فيه كل ذلك مبالغة في التحذير عن الزنا وافرده بالذكر بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو معرضون لان المباشرة اشهى الملاهي الى النفس واعظمها خطرا والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون قيل لما يؤتمنون عليه ويعاهدون عليه من جهة الحق او الخلق وفيه انه لا حاجة الى الصرف عن الظاهر فان العهد وكذا الامانة مما يراعى راعون الراعي القائم على الشيء بالحفظ والاصلاح كراعي الغنم والرعية وقرئ لامانتهم على الافراد لانها في الاصل مصدر او لامن الالباس والذين هم على صلواتهم يحافظون يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها وجاء بلفظ الفعل معها لما فيه من التجدد والتكرار والفعل المضارع في الجملة الاسمية يدل على دوام التجدد وقرئ بلفظ الجمع هنا ليفيد المواظبة على اعدادها وانواعها ولم يفرد فيما سبق لان الكلام هناك في الخشوع وهو مطلوب في جنس الصلوة وفي بدء الاوصاف وختمها بذكرها تعظيم لشانها واعلاء لقدرها

انتهى [illegible]

والذين هم لفروجهم حافظون ممسكون لها فالاستثناء في قوله الا على ازواجهم من نفي الارسال الذي ينبئ عنه الحفظ اي لا يرسلونها [illegible] احد الا على ازواجهم وفيه ايذان بان قوتهم الشهوية داعية لهم الى ما لا يخفى وانهم حافظون لها من استيفاء مقتضاها وبذلك يتحقق كمال العفة ويجوز ان يكون على [illegible] واليه ذهب الفراء كما في قوله تعالى اذا اكتالوا على الناس اي حافظون لها من كل احد الا من ازواجهم وقيل متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير حافظون اي حافظون لها في جميع الاحوال الا حال كونهم والين او قوامين على ازواجهم وقيل بمحذوف يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون على كل مباشر الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين وحمل الحفظ [illegible] القصر عليهن لتكون المعنى حافظون فروجهم على الازواج لا يتعدونهن ثم تعال عنها فيلبن الا عليهن تأكيدا على تأكيد [illegible] على تكلف او ما ملكت ايمانهم اي سراريهم عبر عنهن بما اجراء لمملوكيتهن مجرى غير العقلاء او لانوثتهن [illegible] عن القصور وفوايتها فانهم غير ملومين تعليل لما يفيده الاستثناء من عدم حفظ فروجهم منهن اي فانهم غير ملومين [illegible] عدم حفظها منهن فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون الكاملون في العدوان المتناهون فيه وليس فيه ما يدل على تحريم المتعة حسبما نقل عن القاسم بن محمد فانه قال انها ليست زوجة له فوجب ان لا تحل له اما انها ليست زوجة له لانهما لا يتوارثان بالاجماع ولو كانت زوجة له لحصل التوارث لقوله تعالى ولكم نصف ما ترك ازواجكم فوجب ان لا تحل لقوله تعالى الا على ازواجهم لان لهم ان يقولوا انها زوجة له في الجملة واما ان كل زوجة ترث فهم لا يسلمونه واما ما قيل من انه ان اريد انها زوجة حال الحيوة لم يفد وان اريد بعد الموت فالملازمة ممنوعة فليس له معنى محصل نعم لو عكس لكان له وجه والذين هم لاماناتهم وعهدهم لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق او الخلق راعون اي قائمون عليها حافظون لها على وجه الاصلاح

وقرئ لامانتهم

المفروضة عليهم يحافظون

والذين هم على صلوتهم يواظبون عليها يؤدونها في اوقاتها ولفظ الفعل فيه لما في الصلوة من التجدد والتكرر [illegible] التسبير وجمعها وليس فيه تكرير لما ان الخشوع في الصلوة غير المحافظة عليها وفضلها للايذان بان كلا منهما فضيلة مستقلة على حيالها ولو قرنا في الذكر لربما توهم ان مجموع الخشوع والمحافظة فضيلة واحدة انتهى [illegible]

من بعد المفروضة والواجبة

والذين هم لفروجهم حافظون عن الحرام الا على ازواجهم الاربع او ما ملكت ايمانهم من السراري ولم يقل من مكان ما لانه قد يجري بعض العقلاء مجرى غير العقلاء وهو الاناث في كثير من الاشياء فانهم غير ملومين في اتيانهن في المأوى [illegible] لانه حلال لهم فمن ابتغى اي طلب وراء ذلك اي بعد ذلك مع فسحته وهو اباحة اربع من الحرائر ومن الاماء ما [illegible] فاولئك هم العادون اي المعتدون من الحلال الى الحرام والذين هم لاماناتهم جمع امانة وقرئ بالوحدة كل ما يؤتمن عليه [illegible] واسرار وعهدهم وهو المعاهد عليه من جهة الله او من جهة الخلق راعون اي حافظون من الخيانة والنكث قيل الراعي هو القائم على الشيء بحفظ واصلاح وامانة الشرع اولى بالحفظ والذين هم على صلواتهم وقرئ بالجمع يحافظون اي يداومون برعاية اوقاتها واتمامها من غير سهو عنها والمراد من الصلوة هو المفروضة والنوافل الراتبة واصحابها الذين لا تلهيهم [illegible] ولا بيع عن ذكر الله وكررت لانها اعظم العبادات بعد الايمان

انتهى المقصود

اولئك الجامعون لهذه الاوصاف هم الوارثون هم الاحقاء
بان يسموا وراثا دون غيرهم الذين يرثون الفردوس اي
يصلون اليه والى ما فيه من النعيم المقيم بلا تعب الكسب
ويبقى في ايديهم بان الوراثة اقوى سبب التملك حيث
لا يعقب بفسخ ولا استرجاع ولا يبطل برد ولا اسقاط
والفردوس هو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر وفي
اطلاق الوارثين تقييدهم وما ترى من التفخيم لما يرثونه
وتعظيمه واستعارة الوراثة وايراد اسم الاشارة
اشعار بانهم استحقوا ذلك الخطب الجليل من تلك الاعمال
والصفات لا الاستحالة بل بمقتضى وعده وهذا القدر
يكفي في التحريض هم فيها خالدون انث الضمير على تاويل الجنة او
الطبقة فانه اوسط الجنان واعلاها طبقة ومن صفاتها تبتني
ان ما قيل انهم يرثون من الكفار منازلهم حيث فوتوها
على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة
ومنزلا في النار لا يناسب المقام ولقد خلقنا الانسان
من سلالة السلالة صفوة الشيء التي تخرج منه كانها تسيل منه
كالصفاوة فعالة بمعنى مفعول فيه معنى القلة كالعلاقة
والعلامة والسلامة ومن هنا للابتداء متعلقة بخلقنا
وفي قوله من طين للبيان صفة لسلالة من طين والانسان
آدم عليه السلام ثم جعلناه ثم جعلنا نسله على حذف المضاف
لقوله تعالى وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله
من سلالة من ماء مهين او الجنس لانه لما خلق اولهم ومنه
من سلالة من طين وسائر افراده خلقوا من ذلك الفرد
كان الجنس مخلوقا من سلالة من طين واما ما قيل المراد بالطين
آدم عليه السلام لانه خلق منه والسلالة نطفة فلا وجه له

اولئك الجامعون لهذه الاوصاف هم الوارثون الاحقاء
بان يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين
بقوله الذين يرثون من الكفار في الحديث ما منكم من احد
الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فان مات
ودخل الجنة ورث اهل النار منزله وان مات ودخل النار
ورث اهل الجنة منزله الفردوس هو البستان الجامع لكل
اصناف الثمر وقال قطرب هو اعلى الجنان هم فيها خالدون
انث الفردوس بتاويل الجنة ولقد خلقنا الانسان آدم عليه السلام
من سلالة من للابتداء والسلالة الخلاصة لانها تسل من بين
الكدر وقيل انما سمي التراب الذي خلق آدم منه سلالة لانه
سل من كل تربة من طين من للبيان ثم جعلناه اي نسله
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه لان آدم لم يصر
نطفة وقيل الانسان بنو آدم والسلالة النطفة والعرب
تسمي النطفة سلالة اي ولقد خلقنا الانسان من سلالة
يعني من نطفة مسلولة اي خالصة ماخوذة من طين
اي من مخلوق من طين وهو آدم عليه السلام نطفة ماء
قليلا في قرار مستقر يعني الرحم مكين حصين ثم خلقنا
صيرناها بدلالة تعديته الى مفعولين والخلق يتعدى
الى مفعول واحد علقة قطعة دم والمعنى احلنا النطفة
البيضاء علقة حمراء فخلقنا العلقة مضغة لحما قدر
ما يمضغ فخلقنا المضغة عظاما فصيرناها عظاما فكسونا
العظام لحما فانبتنا عليها اللحم فصار لها كاللباس

لما قيل من اخراجه عليه السلام من جنس المذكور حيث جعل مخلوقا من نطفة نطفة بان خلقناه منها في قرار مكين مستقر حصين
يعني الرحم سمي المستقر بالقرار مبالغة كانه نفس القرار ووصف بالمكانة التي هي صفة المستقر فيه على الاسناد المجازي
تتميما لامر المبالغة ثم خلقنا النطفة علقة بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء بتدريج بعد زمان فخلقنا العلقة مضغة
فصيرناها قطعة لحم فخلقنا المضغة عظاما بان صلبناها فكسونا العظام لحما فانبتنا عليها لحما فصار لها كاللباس وقرئ
للواحد موضع الجمع لعدم اللبس واختلاف العواطف لاستحالات والتكونات في التراخي وعدمه فثم للاستحالة الزمانية
فالفاء للتكوين الآني في قوله ثم انشأناه
فانها استحالات لما بين الخلقين من التفاوت

اولئك اشارة الى المؤمنين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات وايثارها على الاضمار للاشعار بامتيازهم بها عن غيرهم
ونزولهم منزلة المشار اليهم حسا وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد درجتهم في الفضل والشرف اي اولئك
بالنعوت الجليلة المذكورة هم الوارثون اي الاحقاء بان يسموا وراثا دون من عداهم ممن ورث رغائب الاموال والذخائر
وكرائمها الذين يرثون الفردوس بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها وتفسير لها بعد ابهامها تفخيما لشانها ورفعا
لمحلها وهي استعارة لاستحقاقهم الفردوس باعمالهم حسبما يقتضيه الوعد الكريم للمبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار
منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار هم فيها اي في الفردوس والتانيث
لانه اسم للجنة او لطبقتها العليا وهو البستان الجامع لاصناف الثمر روي انه تعالى بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة
من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وفي رواية ولبنة من مسك مذري وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان خالدون لا يخرجون
منها ابدا والجملة اما مستانفة مقررة لما قبلها واما حال مقدرة من فاعل يرثون او مفعوله اذ فيها ذكر كل منهما ومعنى
لا يموتون ولا يخرجون منها ولقد خلقنا الانسان شروع في بيان مبدأ خلق الانسان وتقلبه في اطوار الخلقة واكوار الفطرة
اجماليا اثر بيان حال بعض افراد السعداء واللام جواب قسم والواو ابتدائية وقيل عاطفة على ما قبلها والمراد بالانسان
الجنس اي وبالله لقد خلقنا جنس الانسان في ضمن خلق آدم عليه السلام خلقا اجماليا حسبما تحققه في سورة الحج وغيرها

واما كونه مخلوقا من سلالات جعلت نطفا بعد ادوار واطوار فبعيد من سلالة السلالة ما سل من الشيء
واستخرج منه فان فعالة اسم لما يحصل من الفعل فتارة يكون مقصودا منه كالخلاصة واخرى غير مقصود منه
كالقلامة والكناسة والسلالة من قبيل الاول فانها مقصودة بالسل ومن ابتدائية متعلقة بالخلق وما في قوله تعالى من طين
بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسلالة اي خلقناه من سلالة كائنة من طين ويجوز ان يتعلق
بسلالة على انها بمعنى مسلولة فهي ابتدائية كالاولى وقيل المراد بالانسان آدم عليه السلام فانه الذي خلق من صفوة
سلت من الطين وقد وقفت على التحقيق ثم جعلناه اي الجنس باعتبار افراده المغايرة لآدم عليه السلام او جعلنا
نسله على حذف المضاف ان اريد بالانسان آدم عليه السلام نطفة بان خلقناه منها او ثم جعلنا السلالة نطفة والتذكير
بتأويل الجوهر او المسلول او الماء في قرار اي مستقر وهو الرحم عبر عنها بالقرار الذي هو مصدر مبالغة وقوله تعالى مكين
وصف لها بصفة ما استقر فيها مثل طريق سائر او بمكانتها في نفسها فانها مكنت بحيث هي واحرزت ثم خلقنا النطفة علقة
بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء فخلقنا العلقة مضغة اي قطعة لحم لا استبانة ولا تمايز فيها
فخلقنا المضغة اي غالبها ومعظمها او كلها عظاما بان صلبناها وجعلناها عمودا للبدن على هيئات واوضاع مخصوصة
تقتضيها الحكمة فكسونا العظام المعهودة لحما من بقية المضغة او مما انبتنا عليها بقدرتنا مما يصل اليها اي كسونا
كل واحد من تلك العظام ما يليق به من اللحم على مقدار لائق به وهيئة مناسبة له واختلاف العواطف
لتفاوت الاستحالات وجمع العظام لاختلافها وقرئ على التوحيد فيهما اكتفاء بالجنس وبتوحيد الاول
وجمع الثاني وبتوحيد الثاني فحسب
انتهى ابو السعود رحمه الله

ثم بين ثوابهم فقال اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس اي منازل الكفار من الجنة لان لكل واحد من الن[اس]
منزلتين في الجنة ومنزل في النار فالمؤمن يرث منزل الكافر من الجنة والكافر يرث منزل المؤمن من النار والفردوس [illegible]
الواسع الجامع لاصناف الثمر بناؤه لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وقيل لم يكن احد [illegible]
الجنة الاول ونصيب في الفردوس لان فيه بساتين كثيرة واشجارا كثيرة عليها حيطانه هم فيها اي في الفردوس [illegible]
بتأويل الجنة خالدون فلا لا يخرجون عنها ولقد خلقنا الانسان اي آدم عليه السلام من سلالة اي خلاصة سُلّت اي [illegible]
من بين الكدر من جميع الارض فقوله من طين بيان لسلالة والسلالة الماء الذي انسلّ من بين الاصابع اذا [illegible]
وقيل الانسان ابن آدم لانه من نطفة سُلّت من طين والطين هو آدم عليه السلام فقوله من طين صفة لسلالة [illegible]
ثم جعلناه ابن آدم نطفة يعني جعل الله جوهر الانسان اولا طينا ثم جعل جوهره نطفة في قرار مكين اي [illegible]
فيه حصين وهو الرحم اي اخرجت ثم خلقنا النطفة علقة اي حولناها قطعة دم فخلقنا العلقة مضغة [illegible]
مضغة لحم فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما فخلقنا ههنا بمعنى صيّرنا فلذلك عدّي الى مفعولين و[illegible]
في المواضع الثلاثة لكون الاول سببا للثاني فترتيب ترتب المسبب على السبب فالفاء معنى التعقيب [illegible]
السلالة برلنسه دنا صيرپلوب چيقن نطفه سلاله در زيرا [illegible]

[illegible] خلقا آخر هي صورة البدن او الروح او القوى بنفخه فيه او المجموع • وثم لكمال التفاوت بين الخلقين واحتج به
[ابو] حنيفة رحمه الله على ان من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر فتبارك الله فتعالى شانه في
[كم]ال قدرته الباهرة والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة والاشعار بان ما ذكر من الافاعيل
[illegible] من احكام الالوهية وللايذان بان حق كل من سمع ما فصّل من آثار قدرته عز وعلا او لاحظه ان يسارع
[الى التكلم] به اجلالا واعظاما لشؤونه تعالى احسن الخالقين بدل من الجلالة وقيل نعت له بناء على ان الاضافة ليست
[لفظية] وقيل خبر مبتدأ محذوف اي هو احسن الخالقين خلقا اي المقدرين تقديرا حذف المميز لدلالة الخالقين عليه
[كما حذف] المأذون فيه في قوله تعالى اذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة عليه اي احسن الخالقين خلقا فالحسن للخلق قيل
[كقوله] عليه السلام ان الله جميل يحب الجمال اي جميل فعله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا
روي ان عبد الله بن سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي فلما انتهى عليه السلام الى قوله خلقا آخر
سارع عبد الله الى النطق به قبل املائه عليه السلام فقال عليه السلام اكتب هكذا نزلت فشك عبد الله فقال
[ان] كان محمد يوحى اليه فانا كذلك فلحق بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح وقيل مات على كفره وروى سعيد بن جبير
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما نزلت هذه الآية قال عمر رضي الله عنه فتبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هكذا انزل يا عمر • وكان رضي الله عنه يفتخر بذلك ويقول وافقت ربي في اربع الصلوة خلف
المقام • وضرب الحجاب على النسوة وقولي لهن او ليبدّله الله خيرا منكن فنزل قوله تعالى عسى ربه ان طلقكن الآية
والرابع فتبارك الله احسن الخالقين انظر كيف وقعت هذه الواقعة سببا لسعادة عمر رضي الله عنه وشقاوة
ابن ابي سرح حسبما قال تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا لا يقال فقد تكلم البشر ابتداء بمثل نظم القرآن وذلك
قادح في اعجازه لما ان الخارج عن قدرة البشر ما كان مقدار اقصر السورة على ان اعجاز هذه الآية الكريمة منوط بما قبلها
[ك]ما لا يعزب عنه الفطن فانها اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله ثم انكم بعد ذلك اي بعد [illegible] المشعر بعلو رتبة المشار اليه
وبعد منزلته في الفضل والكمال وكونه بذلك حقيقا منزلا منزلة الامور الحسية لميتون

لميتون لصائرون الى الموت لا محالة كما يؤذن به صيغة النعت الدالة على الثبوت دون الحدوث الذي يفيده صيغة الفاعل وقد قرئ
لمائتون ثم انكم يوم القيمة اى عند النفخة الثانية تبعثون من قبوركم للحساب والمجازاة بالثواب والعقاب ولقد خلقنا فوقكم
بيان لخلق ما يحتاج اليه بقاؤهم اثر بيان خلقهم اى خلقنا في جهة العلو من غير اعتبار فوقيتها لهم لان تلك النسبة انما تعرض لها
بعد خلقهم سبع طرائق هي السموات السبع سميت بها لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل فان كل ما فوقه مثله
فهو طريقة او لانها طرائق الملائكة او الكواكب فيها مسيرها وما كنا عن الخلق عن ذلك المخلوق الذي هو السموات او عن جميع
المخلوقات التي من جملتها او عن الناس غافلين مهملين امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها
من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشية وينزل اليها ما في الارض منافعها كما ينبئ عنه قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء
هو المطر او الانهار الخارجة من الجنة قيل هي خمسة سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل
انزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس
في فنون معايشهم ومن ابتدائية متعلقة بانزلنا وتقديمها على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم
والتشويق الى المؤخر والعدول عن الاضمار لان الانزال لا يعتبر فيه عنوان كونها طرائق بل مجرد كونها جهة العلو بقدر
بتقدير لائق لاستجلاب منافعهم ودفع مضارهم او بمقدار ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم فاسكناه في الارض
اى جعلناه ثابتا قارا فيها وانا على ذهاب به اى ازالته بالافساد او التصعيد او التعويق بحيث يتعذر استنباطه
لقادرون كما كنا قادرين على انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد به ولذلك جعل ابلغ
من قوله تعالى قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين فانشأنا لكم به اى بذلك الماء جنات من نخيل واعناب
لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة تتفكهون بها ومنها ومن الجنات تاكلون تغذيا او ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم
فلان ياكل من حرفته ويجوز ان يعود الضميران للنخيل والاعناب اى لكم في ثمراتها انواع من الفواكه الرطب والعنب
والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تاكلونه انتهى ابو السعود

ثم انشأناه خلقا آخر اى حيوانا بنفخ الروح فيه بعد الجماد وناطقا بعد الابكم وسميعا بعد الاصم وبصيرا بعد كونه اكمه فتبارك الله اى تعاظم وتعالى
عن الشريك احسن الخالقين اى احسن المقدرين تقديرا وتفصيلا والمراد تفصيل خلق الانسان وترك ذكر المميز وهو تقدير الدلالة الخالقين
عليه وهو تمييز افعل التفضيل لا للتاكيد لانه ينصب اسما منكرا على التمييز خاصة واحسن بدل من الله وليس بصفة لانه نكرة وان اضيف
الى المعرفة لان المضاف اليه عوض من كلمة من روي ان عبد الله بن ابي السرح كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم بذلك اى بقوله احسن الخالقين
قبل ان يمليه عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبه هكذا انزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى الي فلحق بمكة مرتدا ثم اسلم
بعد الفتح وقيل هذه الرواية غير صحيحة لان هذه الآية مكية وارتداده كان بالمدينة ثم انكم بعد ذلك اى بعد تمام خلقكم لميتون اى تموتون
عند انقضاء آجالكم ثم انكم يوم القيمة تبعثون اى تحيون بعد الموت فلا تكونوا منكرين بذلك كما لا تنكرون ابتداء خلقكم وذكر الحيوة ثانيا ليستدلوا به على انه قادر
لا ينبغي الثالثة وهي حيوة القبر ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق بعد ما ذكر قدرته خلق ما هو اعظم من خلقهم
على بعثهم بعد الموت اى خلقنا سبع سموات مع ما فيها من النيرات التي تطلع وتغرب وسميت طرائق لتطارق بعضها فوق بعض
وكل شيء فوقه مثله فهو طريقة كطارقة النعل او هي طرق الملائكة او الكواكب لان سيرها فيها قيل كل سماء غلظها مسيرة
خمسمائة عام وما بين كل سماءين كذلك وما كنا عن الخلق غافلين اى لا نغفل عن خلق السموات ونحفظهن من ان تقع عليهم عند الله
او الخلق الناس اى انما خلقنا فوقهم ليفتح عليهم الارزاق وما ينفعهم من انواع المنافع وانزلنا من السماء ماء بقدر بمقدار معلوم
او وزره يامنون معه من الضرر ويصلون الى المنفعة اى بمقدار يكفيهم في مصالحهم ومعايشهم قيل ليست سنة
امطر من سنة ولكن الله يصرفه حيث يشاء فاسكناه اى فادخلنا ذلك الماء في الارض فاخرجنا منه ينابيع قيل منه الغدران
والركايا وكل ما في الارض من السماء وانا على ذهاب به اى على ازالته لقادرون بان يغور في الارض ٩٨
قوله فاسكناه فاثبتناه في الارض قيل هو النيل والدجلة والفرات وسيحان وجيحان وقيل هي جميع المياه في الارض وحين

١

ثم انشأناه خلقا آخر اي خلقا مباينا للخلق الاول
حيث جعله حيوانا وكان جمادا او ناطقا وسميعا وبصيرا
وكان بضد هذه الصفات ولهذا قلنا اذا غصب بيضة
فافرخت عنده يضمن البيضة ولا يرد الفرخة لانه
خلق آخر سوى البيضة فتبارك الله فتعالى امره
في قدرته وعلمه احسن الخالقين اي احسن المقدرين
تقديرا فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه ثم انكم
بعد ذلك لميتون اي بعد ما ذكرنا من امركم لميتون
عند انقضاء آجالكم ثم انكم يوم القيمة تبعثون تحيون
للجزاء والحساب ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق جمع طريقة
وهي السموات لانها طرق الملائكة ومتقلباتهم وما كنا
عن الخلق غافلين اراد بالخلق السموات كانه قال خلقنا
فوقهم وما كنا عنها غافلين وعن حفظها او اراد به
الناس وانه انما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الارزاق
والبركات منها وما كان غافلا عنهم وعما يصلحهم وانزلنا
من السماء ماء مطرا بقدر بتقدير يسلمون معه من
المضرة ويصلون الى المنفعة او بمقدار ما علمنا من
حاجاتهم فاسكناه في الارض كقوله فسلكه ينابيع
في الارض وقيل جعلناه ثابتا في الارض فماء الارض كله
من السماء ثم استأدى شكرهم بقوله وانا على ذهاب به
لقادرون اي كما قدرنا على انزاله فقدرنا على اذهابه
فقيدوا هذه النعمة بالشكر فانشأنا لكم به بالماء جنات
من نخيل واعناب لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة سوى
النخيل والاعناب ومنها تأكلون اي من الجنات اي من
ثمارها كانه قال وهذه الجنات وجوه ارزاقكم ومعايشكم
فيها ترزقون وتعيشون انتهى المدارك

وقرئ عظما وعظاما ووضعا للواحد موضع الجمع لعدم اللبس واختلاف العواكف
لاستحالة المكونات في التراخي وعدمه فثم للاستحالة الزمانية
فالفاء للتكوين الآتي في قوله ثم انشأناه فانها مستعارة لما بين
الخلقتين من التفاوت خلقا آخر التنكير للتنويع اي نوعا آخر من
الخلق مباينا للخلق الاول بنفخ الروح فيه وجعله حيوانا مباينا لما
ما بعدها اذ كان جمادا فجعله حساسا سميعا بصيرا اذا اعضاء ظاهرة وباطنة
في كل واحد منها عجائب حكمه وغرائب صنعه ولطائف لا يبلغ وصف
واصف ولا يبلغها شرح شارح واحتج به ابو حنيفة على ان من
غصب بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر
فتبارك الله فتعالى الله شانه في قدرته وحكمته احسن بدل او خبر مبتدأ
محذوف وليس بصفة لانه نكرة وان اضيف لان المضاف اليه عوض
منه من الخالقين المقدرين تقديرا فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه
روي ان عبد الله بن سعد بن ابي كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فنطق بذلك قبل املائه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا
انزلت قال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى الي فلحق
بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح وهذه الرواية غير صحيحة لان السورة
مكية وارتداده كان بالمدينة على ما اعترف به الراوي ثم انكم بعد
ذلك لميتون لصائرون الى الموت لا محالة ولذلك ذكر النعت الذي
للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ به ثم انكم يوم القيمة تبعثون
للمحاسبة والجزاء ومعنى التراخي قد علم من الطرف فايراد اداته ليس للعادة
بل لافادة حق البلاغة ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق سماوات لانه
بعضها طورق فوق بعض مطارقة النعل وكل شيء فوقه مثله فهو طريقة
واما العرش والكرسي فليسا من الطريق لعدم المماثلة بينها وبينها وما كنا
غافلين وفي التعبير عنها بالخلق فضل مبالغة في تعظيم شأنها وزيادة كما
لاستمرار النفي لا النفي الاستمرار وانا على ذهاب به على ازالته بالافساد
او التصعيد او التعميق بحيث يتعذر استنباطه لقادرون
كما قدرنا على انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء على كثرة طرقه وانواعه
ومبالغة في الايعاد وتعديته بالباء تأكيد له دال على ذهاب هو معه
بمعه من الظهور ليس في الاذهاب ذلك وهو في غاية البلاغة
زعموا انه ليس في قول ان اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين هذه المبالغة والبلاغة وليس الامر كما زعموا على ما تقف عليه في موضعه باذن الله
فانشأنا لكم به بالماء جنات من نخيل واعناب لكم فيها فواكه كثيرة من غير الجنسين المذكورين تتفكهون بها ومنها ومن الجنات ثمارها وزروعها تأكلون
تغذيا او ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز ان يكون المراد لكم في النخيل والاعناب انواع من الفواكه
كالرطب والعنب والتمر والزبيب والبسر والحصرم والدبس والعصير وغير ذلك وما طعام تأكلونه انتهى بالكمال

لقادرون بان يغور في الارض فلا يقدرون عليه فيموتون مع دوابهم عطشا فيجب عليهم ان يستعظموا نعمة الماء
بشكر منعمه دائما ويخافوا نفارها اذ المرء يكره عليها فانشأنا لكم به اي بالماء جنات اي بساتين من نخيل واعناب لكم
فيها فواكه كثيرة اي انواع سوى النخيل والاعناب ومنها تأكلون انتهى العيون

وشجرة عطف على جنات وقرئت بالرفع على الابتداء اى ومما انشئ لكم
به من شجرة تخرج من طور سيناء جبل موسى عليه السلام اما اسم مركب
من المضاف والمضاف اليه كامرئ القيس وأما اسم مضاف الى
بقعة اسمها سيناء ونحو كسر سين سيناء منعه من الصرف
للتعريف والعجمة والتانيث على تاويل البقعة لا للالف لانه
الف فعلا ليست للتانيث فانه فيعال كدياس من السناء
وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال من السين
كعلياء وحرباء ومن فتح السين منعه لالف التانيث كصحراء
تنبت بالدهن في موضع الحال اى تنبت ملتبسة بالدهن ويجوز
ان تكون الباء للتعدية كما في قولك ذهبت بزيد ويؤيده قراءة
ابن مسعود رضي الله عنه تخرج الدهن وصبغ للآكلين وقرئ
تنبت بالدهن من الانبات وهو بمعنى تنبت واصل دخل
في النبات وأما حذف مفعوله اى تنبت زيتونها
ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول فهو كالاول وصبغ
للآكلين معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف احد
وصفي الشئ على الآخر اى تنبت بالدهن الجامع بين كونه دهنا
يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اى يغمس فيه
للايتدام وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ وانما خص الانواع
الثلاثة بالذكر من بين الثمار لانها اكرم الشجر وافضلها فان
النخيل والعنب مجمعان للتفكه والتغذي والزيتون
يجمع للاصطباح والاصطباغ وان لكم في الانعام لعبرة
تعتبرون بها وتستدلون بها نسقيكم مما في بطونها من الالبان
على ما نص عليه في سورة النحل استئناف لبيان العبرة ولكم
فيها منافع كثيرة سوى الالبان ومنها تأكلون فتنتفعون باعيانها
وعليها في البر وعلى الفلك في البحر تحملون في اسفاركم وقد غلب
استعمال الانعام في الابل ولذلك قرنت بالفلك لانها سفائن البر انتهى بالكمال

وشجرة عطف على جنات وهي شجرة الزيتون تخرج من طور سيناء
طور سيناء وطور سينين لا يخلو اما ان يضاف الطور الى بقعة
اسمها سيناء وسينون واما ان يكون اسما للجبل مركبا من مضاف
ومضاف اليه كامرئ القيس وهو جبل فلسطين وسيناء
غير منصرف بكل حال مكسور السين كقراءة الحجازي وابي عمرو
للتعريف والعجمة او مفتوحها كغيرهم لان الالف للتانيث
كصحراء تنبت بالدهن قال الزجاج الباء للحال اى تنبت
ومعها الدهن او تنبت مكي وابو عمرو فانبت بمعنى نبت
او مفعول محذوف اى تنبت زيتونها وفيه الدهن وصبغ
للآكلين اى ادام لهم قال مقاتل جعل الله تعالى في هذه
اداما ودهنا فالادام الزيتون والدهن الزيت قيل هي
اول شجرة تنبت بعد الطوفان وخص هذه الانواع الثلاثة
لانها اكرم الشجر وافضلها واجمعها للمنافع وان لكم في الانعام
جمع نعم وهو الابل والبقر والغنم لعبرة نسقيكم مما في
بطونها اى نخرج لكم من بطونها لبنا سائغا ولكم فيها منافع
كثيرة سوى الالبان من اصوافها واوبارها واشعارها
ومنها تأكلون لحومها وعليها على الانعام في البر وعلى الفلك
في البحر تحملون في اسفاركم وهذا يشير الى ان المراد بالانعام
الابل لانها هي المحمول عليها في العادة فلهذا قرنها بالفلك التي هي
السفائن وانها سفائن البر انتهى المدارك
رشيدي
على قرئ

وشجرة بالنصب عطف على جنات وقرئ بالرفع على انه مبتدأ محذوف خبره دل عليه ما قبله اى ومما انشئ لكم به شجرة وتخصيصها بالذكر
من بين سائر الاشجار لاستقلالها بمنافع معروفة قيل هي اول شجرة نبتت بعد الطوفان وقوله تخرج من طور سيناء فاما ان يكون الطور
اسم الجبل وسيناء اسم البقعة اضيف اليها او المركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة او التانيث على تاويل البقعة
لا للالف لانه فيعال كدياس من السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال كعلياء من السين اذ لا فعلاء بالالف
التانيث بخلاف سيناء فانه فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء اذ لا فعلال بالفتح للتانيث في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر والجملة صفة لشجرة
وتخصيصها بالخروج منه مع خروجها من سائر البقاع ايضا لتعظيمها ولانه المنشأ الاصلي لها وقوله تنبت بالدهن صفة اخرى لشجرة
والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا منها اى تنبت ملتبسة به ويجوز كونها صلة معدية اى تنبته بمعنى تتضمنه وتحصله فان النبات حقيقة
صفة للشجرة لا للدهن وقرئ تنبت من الانبات وهو اما من الافعال بمعنى النبات كما في قول زهير رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم
قطينا لهم حتى اذا انبت البقل او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وتنبت بالدهان وصبغ للآكلين معطوف على
الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفي الشئ على الآخر اى تنبت بالشئ الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما
يصبغ فيه الخبز اى يغمس للايتدام وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ وان لكم في الانعام لعبرة بيان للنعم الفائضة عليهم من جهة الحيوان
اثر بيان النعم الواصلة اليهم من جهة الماء والنبات وقد بين انها مع كونها في نفسها نعمة ينتفعون بها على وجوه شتى عبرة لا بد من
ان يعتبروا بها ويستدلوا باحوالها على عظيم قدرة الله تعالى وسابغ رحمته ويشكروه ولا يكفروه وخص هذا بالحيوان لما ان محل العبرة
فيه اظهر مما في النبات وقوله نسقيكم مما في بطونها تفصيل لما فيها من مواضع العبرة وما في بطونها عبارة اما عن الالبان فمن تبعيضية
والمراد بالبطون الجوف او عن العلف الذي يتكون منه اللبن فمن ابتدائية والبطون على حقيقتها وقرئ بفتح النون وبالتاء اى تسقيكم
الانعام ولكم فيها منافع كثيرة غير ما ذكر من اصوافها واشعارها ومنها تأكلون فتنتفعون باعيانها كما تنتفعون بما يحصل منها وعليها اى على
الانعام فان الحمل عليها لا يقتضي الحمل على جميع انواعها بل يتحقق بالحمل على البعض كالابل ونحوها وقيل المراد هي الابل خاصة
لانها هي المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها

والاكثر فيه كما في قوله تعالى وبعولتهن احق بردهن وعلى الفلك تحملون اى في البر والبحر وفي الجمع بينها وبين الفلك في ايقاع الحمل عليها
مبالغة في تحملها الحمل وهو الداعي الى تاخير ذكره هنا ذكر السفينة مع كونها من المنافع الحاصلة منها مع ذكر منفعة الاكل المتعلقة بعينها انتهى ابو السعود

والاكل وشجرة نصب على جنات تخرج من طور سيناء بكسر السين وفتحها هو جبل فلسطين او جبل بين مصر وايلة ومنه نودي
موسى عليه السلام واضيف طور الى بقعة تسمى سيناء وهو في سورة والتين بسينين وتلك الشجرة شجرة الزيتون
وخص الانواع الثلاثة النخيل والعنب والزيتون بالذكر لانها اكثر الاشجار نفعا عندهم تنبت بالدهن بضم التاء وكسر الباء
من الانبات فالباء زائدة فيه ليدل على ملازمة الانبات للدهن وبفتح التاء للدهن وبفتح التاء وضم الباء من النبات
والباء وصبغ للآكلين بالجر عطف على بالدهن وهو الادام وهو ما يؤكل بالخبز وان لم يصبغ اللقمة وان لكم في الانعام اى في
الابل والبقر والغنم لعبرة اى لعظة لمن يعتبر بها نسقيكم بضم النون وفتحها مما في بطونها اى من البانها التي تخرج من فرث ودم
ولكم فيها منافع كثيرة اى في ظهورها من الاصواف والاشعار ومنها تاكلون من لحومها واولادها والبانها وعليها وعلى الفلك
تحملون اى في ظهورها
انتهى الجلالين

٨ يقتضيه المقام اي أتعرفون ذلك اي يقصوه قوله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون عذابه بسبب اشراككم به في …
ما لا يستحق الوجود لولا ايجاد الله اياه فضلا عن استحقاق العبادة فالمنكر عدم الاتقاء مع تحقق ما يوجبه او الا …
ذلك فلا تتقونه فالمنكر كلا الامرين فالمبالغة حينئذ في الكمية وفي الاول في الكيفية فقال الملأ اي الاشراف الذين كفروا
من قومه وصف الملأ بما ذكر مع اشتراك الكل فيه للايذان بكمال عراقتهم في الكفر وشدة شكيمتهم فيه اي قالوا لعوامهم ما هذا الا بشر
مثلكم اي في الجنس والوصف من غير فرق بينكم وبينه وصفوه عليه السلام بذلك مبالغة في وضع رتبته العالية وحطها عن منصب
النبوة يريد ان يتفضل عليكم اي يريد ان يطلب الفضل عليكم ويتقدمكم بادعاء الرسالة مع كونه مثلكم وصفوه بذلك اغ…
للمخاطبين عليه عليه الصلوة والسلام واغراء لهم على معاداته عليه السلام كقوله ولو شاء الله لانزل ملائكة بيان لعدم
رسالة البشر على الاطلاق على زعمهم الفاسد بعد تحقيق بشريته عليه السلام اي ولو شاء الله تعالى ارسال الرسول لارسل رسلا
من الملائكة وانما قيل لانزل لان ارسال الملائكة لا يكون الا بطريق الانزال فمفعول المشية مطلق الارسال المفهوم من الجواب لا نفس
مضمونه كما في قوله ولو شاء الله لهديكم ونظايره ما سمعنا بهذا اي بمثل هذا الكلام الذي هو الامر بعبادة الله تعالى خاصة وترك
عبادة ما سواه وقيل بمثل نوح عليه السلام في دعوى النبوة في آبائنا الاولين اي الماضين قبل بعثته عليه السلام قالوه اما
لانهم وآباءهم كانوا في فترة متطاولة واما لفرط غلوهم في التكذيب والعناد وانهماكهم في الغي والفساد واياما كان فقولهم …
ينبغي ان يكون هو المقارن عنهم في مبادي دعوته عليه السلام كما ينبئ عنه الفاء في قوله فقال الملأ الخ وقيل معناه ما سمعنا
به عليه السلام انه نبي فالمراد بآبائهم الاولين الذين مضوا قبلهم في زمن نوح عليه السلام وقولهم المذكور هو الذي صدر
في آخر امره عليه السلام وهو المناسب لما بعده من حكاية دعائه عليه السلام وقولهم ان هو اي ما هو الا رجل به جنة اي جنون
او جن يخيلونه ولذلك يقول ما يقول فتربصوا به اي احتملوه واصبروا عليه وانتظروا حتى حين لعله يفيق
مما فيه محمول حينئذ على ترامي احوالهم في المكابرة والعناد واضرابهم عما وصفوه عليه السلام به من البشرية وارادة التفضل
الى وصفه عليه السلام بما ترى وهم يعرفون انه عليه السلام ارجح الناس عقلا وارزنهم قولا وعلى الاول على تناقض مقا…
الفاسدة قاتلهم الله انى يؤفكون قال

رب … استيناف مبني على سؤال نشأ من حكاية كلام الكفرة كأنه قيل فماذا قال عليه السلام بعدما سمع منهم هذه الاباطيل فقيل
قال … لما رأى انهم قد اصروا على الكفر والتكذيب وتمادوا في الغواية والضلال حتى يئس من ايمانهم بالكلية وقد اوحي اليه انه
لن يؤمن من قومك الا من قد آمن رب انصرني باهلاكهم بالمرة فانه حكاية اجمالية لقوله عليه السلام رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا الخ بما كذبون اي بسبب تكذيبهم اياي او بدل تكذيبهم فاوحينا اليه عند ذلك ان اصنع الفلك ان
مفسرة لما في الوحي من معنى القول باعيننا ملتبسا بحفظنا وكلائتنا كأن معه عليه السلام منه عز وجل حفاظا وحراسا
يكلؤونه باعينهم من التعدي او من الزيغ في الصنعة ووحينا وامرنا وتعليمنا لكيفية صنعها والفاء في قوله فاذا جاء امرنا
لترتيب مضمون ما بعدها على تمام صنع الفلك والمراد بالامر العذاب كما في قوله لا عاصم اليوم من امر الله لا الامر بالركوب
… قيل ومجيئه كمال اقترابه او ابتداء ظهوره اي اذا جاء اثر تمام الفلك عذابنا وقوله تعالى وفار التنور عطف بيان
… الامر روي انه قيل له عليه السلام اذا فار التنور اركب انت ومن معك وكان تنور آدم عليه السلام فصار الى نوح
… فلما نبع منه الماء اخبرته امرأته فركبوا واختلف في مكانه فقيل كان في مسجد الكوفة اي في موضع على يمين الداخل
مما يلي باب كندة اليوم وقيل كان في عين وردة من الشام وقد مر تفصيله في تفسير سورة هود عليه السلام انتهى ابو السعود

ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله
وحدوه ما لكم من اله معبود غيره بالرفع على المحل وعلى
بالجر على اللفظ الجملة استيناف تجري مجرى التعليل للامر
بالعبادة افلا تتقون افلا تخافون عقوبة الله الذي
هو ربكم وخالقكم اذا عبدتم غيره مما ليس من استحقاق العبادة
في شيء فقال الملأ الذين كفروا من قومه اشرافهم لعوامهم
ما هذا الا بشر مثلكم ياكل ويشرب يريد ان يتفضل عليكم
ان يطلب الفضل عليكم ويترأس ولو شاء الله ان يرسل رسولا
لانزل ملائكة لارسل ملائكة ما سمعنا بهذا اي بان يرسل البشر رسولا
او بما يامرنا به من التوحيد وسب الهتنا والعجب منهم
رضوا بالالوهية للحجر ولم يرضوا للنبوة للبشر في
آبائنا الاولين ان هو الا رجل به جنة جنون فتربصوا به
حتى حين فانتظروا واصبروا عليه الى زمان حتى ينجلي
امره فان افاق من جنونه والا فاقتلوه قال رب
انصرني بما كذبون لما ايس من ايمانهم دعا الله تعالى بالانتقام
منهم والمعنى اهلكهم بسبب تكذيبهم اياي اذ في نصرته
اهلاكهم او انصرني بدل ما كذبوني والمعنى ابدلني
من غم تكذيبهم سلوة النصرة عليهم فاوحينا اليه ان
اصنع الفلك باعيننا اي تصنعه وانت واثق بحفظ
الله لك ورؤيته اياك او بحفظنا وكلاءتنا كان معك
من الله حفاظا يكلؤنك بعيونهم لئلا يتعرض لك ولا يفسد
عليك مفسد عملك ووحينا امرنا وتعليمنا اياك
صنعتها روي انه اوحي اليه ان يصنعها على جؤجؤ الطائر
فاذا جاء امرنا اي عذابنا بامرنا وفار التنور اي فار
الماء من تنور الخبز اي اخرج سبب الغرق من موضع
الحرق ليكون ابلغ في الانذار والاعتبار روي انه
قيل لنوح عليه السلام اذا رايت الماء يفور من التنور
فاركب انت ومن معك في السفينة فلما نبع الماء من التنور
اخبرته امراته فركب وكان تنور آدم عليه السلام فصار
الى نوح عم وكان من حجارة واختلف في مكانه فقيل في
مسجد الكوفة وقيل بالشام وقيل بالهند انتهى المدارك

ولقد ارسلنا نوحا الى قومه يا قوم اعبدوا الله فقصته
وسائر القصص سوق لبيان كفران من الناس النعم المتكاثرة حتى
ابتلوا بزوالها ما لكم من اله معبود غيره بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ
والجملة استيناف يجري مجرى التعليل للامر بالعبادة افلا تتقون
افلا تخافون بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ ان يزيل نعمته عنكم وربكم
بعذابه بترككم عبادته بعبادتكم غيره وكفرانكم نعمته التي لا تحصونها
والهمزة الداخلة على الفاء للانكار التعقيب بل التعقيب للانكار فقال
الملأ الاشراف الذين كفروا من قومه قد سبق في تفسير سورة الاعراف
وجه توصيف الملأ بهذا الوصف ما هذا الا بشر مثلكم كناية على زعمهم
عن نفي الرسالة عنه يريد ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل ويترفع
عليكم بالرياسة ولو شاء الله الا يرسل رسولا لانزل ملائكة رسلا
ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين بكون البشر رسولا او بنوح وبنبوته او
بما امرهم من تخصيص الله تعالى بالعبادة ونفي كل من دونه من الالهة
اي بمثل هذا الكلام وذلك لكونهم في فترة متطاولة او لعنادهم وانهماكهم
في الغي فكذبوا في ذلك لانه يدفعوا الحق بما امكنهم ولهذا جننوه
حيث قالوا ان هو الا رجل به جنة مع علمهم انه ارجح الناس عقلا
والجنة الجنون فتربصوا به فانتظروا حتى حين اي هو مجنون فلا تعجلوا
في عقوبته بل دعوه الى مدة فاما ان يموت او يرجع عن هذا
او تفعلون به ما شئتم قال رب انصرني عليهم بانجاز ما وعدتهم
من العذاب بما كذبون بسبب تكذيبهم اياي فاوحينا اليه
اي اجبنا دعاءه فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا مبالغة
في الحفظ كان معه من الله حفاظ يحفظونه بعيونهم لئلا يفسد عليه
مفسد عمله ووحينا وامرنا وتعليمنا كيف يصنع فاذا جاء امرنا عذابنا
والمراد من مجيئه ظهور طليعته وهو فوران الماء من التنور وانما قال
وفار التنور مبالغة اخرج سبب الغرق من موضع الحرق ليكون
ابلغ في الانذار والاعتبار روي انه قيل لنوح عليه السلام اذا
رايت الماء يفور من التنور فاركب انت ومن معك في السفينة
فلما نبع الماء من التنور اخبرته امراته فركب انتهى بالكمال

ولقد ارسلنا نوحا الى قومه شروع في بيان اهمال الامم السابقة وتركهم النظر
والاعتبار فيما عدد من النعم الفائتة للحصر وعدم تذكرهم بتذكير رسلهم
وما حاق بهم لذلك من فنون العذاب تحذيرا للمخاطبين وتقديم قصة نوح
عليه السلام على سائر القصص مما لا يخفى وجهه وفي ايرادها اثر قوله تعالى
وعلى الفلك تحملون من حسن الموقع ما لا يوصف والواو ابتدائية واللام
جواب قسم محذوف وتقدير القصة به لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها اي وبالله لقد ارسلنا نوحا الى قومه ونسبه الكريم وكيفية بعثه وكمية لبثه فيما بينهم
قد مر تفصيله في سورة الاعراف وسورة هود فقال متعطفا عليهم ومستميلا لهم الى الحق يا قوم اعبدوا الله اي اعبدوه وحده كما يفصح عنه قوله تعالى
في سورة هود الا تعبدوا الا الله وترك التقييد به للايذان بانها هي العبادة فقط واما العبادة بالاشراك فليست من العبادة في شيء راسا
وقوله تعالى ما لكم من اله غيره استيناف سوق لتعليل العبادة المامور بها او تعليل الامر بها وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذي هو الرفع
على انه فاعل او مبتدا خبره لكم او محذوف ولكم للتخصيص والتبيين اي ما لكم في الوجود او في العالم اله غيره تعالى وقرئ بالجر باعتبار لفظه
افلا تتقون اي افلا تتقون انفسكم عذابه الذي يستوجبه ما انتم عليه من ترك عبادته تعالى كما يفصح عنه قوله تعالى اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم
وقوله تعالى عذاب يوم اليم وقيل افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه الخ وفيه ما فيه والهمزة لانكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر

ولقد ارسلنا نوحا الى قومه كما ارسلناك الى قومك فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون اي اتقوه
ووحدوه فقال الملأ الذين كفروا اي اشرافهم من قومه اي قوم نوح عليه السلام ما هذا الا بشر مثلكم ياكل ويشرب
كما تاكلون وتشربون يريد ان يتفضل عليكم بالرسالة ويترأس ولو شاء الله ان يرسل الينا رسولا لانزل ملائكة
ما سمعنا بهذا اي بالتوحيد الذي يدعونا اليه في آبائنا الاولين ان اي ما هو الا رجل به جنة اي جنون فتربصوا
اي انتظروا به لتتبين لكم امره حتى حين اي حتى يموت او يفيق من جنونه فنجوا منه فلما لم يؤمنوا به دعا
عليهم بعد العلم به قال رب انصرني اي اعني عليهم باهلاكهم بما كذبون اي بسبب تكذيبهم اياي فاوحينا
اي الى نوح عليه السلام ان اصنع الفلك باعيننا اي بمنظر منا يعني بحفظنا لانه كان يعمل في الفلك ولا يخ
في عملها ولا يفسد عليه مفسد عمله وهو نصب على الحال ووحينا اي بالهامنا اليك كيف تصنع او بامرنا فاذا
جاء امرنا اي عذابنا وفار التنور اي نبع الماء من اسفله وهو لتنوح عليه السلام او كان لادم عليه السلام فصار
الى نوح عليه السلام فلما نبع الماء من التنور اخبرته امراته انتهى العيون

فاسلك فادخل فيها سلكت يجي لازما ومتعديا وجاء اسلكه
بالنقل من اللازم من كل بالتنوين اي من كل امة زوجين و
اثنين تاكيد وبالاضافة اي من كل امتي الذكر والانثى واحدتين
من زوجين واهلك اي اهل بيتك ومن آمن معك الا من سبق
عليه القول اي القول من الله تعالى بهلاكه بكفره وانما جي بعلى لان
السابق ضار كما جي باللام حيث كان نافعا في قوله ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى منهم من اهلك وهنا باي عن تخصيص تغيره
بمن آمن ولا تخاطبني في الذين ظلموا وهذا نهي عن الدعاء لهم بالانجاء
على وجه ابلغ ومن خص الخطاب بالدعاء فقد اخل بحق البلاغة
جعل النهي عن الدعاء معللا بالظلم فلذلك وضع الموصول مع الصلة
موضع الضمير ولم يقل فلا تخاطبني فيهم ايماء الى العلة ولما لوح ان الحكمة
تقتضي هلاك الظالم استانف قوله انهم مغرقون بالتاكيد اي
لا محالة لظلمهم بالاشراك والمعاصي ثم بالغ في ذلك بامره بالحمد
على اهلاكهم والنجاة منهم عقيب النهي عن الدعاء فاذا استويت
انت ومن معك على الفلك فاذا تمكنتم عليها راكبين فقل الحمد لله
الذي نجانا من القوم الظالمين امره بالحمد على نجاته ونجاة من معه
اشارة الى ان نجاة اتباعه ايضا نعمة جليلة في حقه وامتنانا لها
ايضا ولو قال فقولوا لم يحصل هذا المعنى وايضا كبرياء الربوبية
تقتضي ان لا يترقى الى الخطاب بحضرتها الا من مثله وان كان
كلامه يغني عن كلامهم ولا يستاهل الاجابة الا مثله وقل رب
لما نهاه عن الدعاء لانجائهم امره بدعاء هو اهم وانفع وهو ان ينزل
منزلا مباركا انزلني في الارض من السفينة لا في السفينة لانه عبر عنه
سابقا بعبارة تدل على الصعود وقد حصل الفراغ وعن
الحرار الامتنان بما ترتب عليه من نعمه التي منزلا مباركا يبارك
لي فيه ويتسبب لزيادة خير الدارين وقرئ منزلا بمعنى انزالا
او موضع انزال وانت خير المنزلين ثناء مطابق لمسئلته امره
بان يشفعه بالمبالغة فيه وتوسلا به الى الاجابة انما امره بالقولين
المذكورين لا بالحمد والدعاء تعليما لطريقتهما والمراد الفضيلة الحمد والدعاء
بالعبارتين المذكورتين ان في ذلك فيما فعل بنوح وقومه لآيات
يستدل بها ويعتبر اولوا الابصار والاعتبار وان هي المخففة من
الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والمعنى ان الشان و
القصة كنا لمبتلين لمختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر
ويذكر لقوله ولقد تركناها آية فهل من مدكر وقيل لمصيبين قوم نوح
ببلاء عظيم وليس في الاخبار به كثير فائدة انتهى ابن كمال

فاسلك فيها فادخل في السفينة من كل زوجين من كل امتي
زوجين وهما امة الذكر وامة الانثى كالجمال والنوق والحصن
والحصان والرمكة ويعني انه لم يحمل الا ما يلد ويبيض
من كل حفص والمفضل اي من كل امة زوجين
اثنين واثنين تاكيد وزيادة بيان واهلك ونساءك
واولادك الا من سبق عليه القول من الله بهلاكه
وهو ابنه واحدى زوجتيه فجيء بعلى مع سبق الضار
كما جيء باللام مع سبق النافع في قوله ولقد سبقت كلمتنا
لعبادنا المرسلين ونحوه لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون
ولا تسألني نجاة الذين كفروا فاني اغرقهم فاذا استويت
انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من
القوم الظالمين امر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم ولم يقل
فقولوا وان كان فاذا استويت انت ومن معك في
معنى فاذا استويتم لانه نبيهم وامامهم فكان قوله قولهم
مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة وقل حين ركبت
على السفينة او حين خرجت منها رب انزلني منزلا مباركا
اي انزلني انزالا او موضع انزال منزلا ابو بكر
اي مكانا وانت خير المنزلين فالبركة في السفينة النجاة
فيها وبعد الخروج منها كثرة النسل وتتابع الخيرات
ان في ذلك فيما فعل بنوح وقومه لآيات لعبر ومواعظ
وان كنا لمبتلين ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي
الفارقة بينها وبين النافية اي وان الشان والقصة
كنا لمبتلين لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب
او مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر و
يذكر لقوله ولقد تركناها آية فهل من مدكر
اي ولقد تركنا السفينة او الفعلة اي جعلناها
آية يعتبر بها وعن قتادة ابقاها الله بارض الجزيرة
وقيل على الجودي دهرا طويلا حتى نظر اليها اوائل هذه الامة انتهى المدارك

فاسلك فيها اي ادخل فيها يقال سلك فيه اي دخل فيه وسلكه فيه اي ادخله فيه ومنه قوله تعالى ما سلككم في سقر من كل اي من كل امة زوجين
اي فردين مزدوجين كما يعرب عنه قوله تعالى اثنين فانه نص في الفردين دون الجمعين اي الفريقين وقرئ بالاضافة على ان
المفعول اثنين اي من كل امتي زوجين وهما امة الذكر وامة الانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك وهذا صريح في
ان الامر كان قبل صنعة الفلك وفي سورة هود حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين فالوجه ان يحمل
اما على انه حكاية لامر آخر تنجيزي ورد عند فوران التنور الذي نيط به الامر التعليقي اعتناء بشان المامور به او على
ان ذلك هو الامر السابق بعينه لكن لما كان الامر التعليقي قبل تحقق المعلق به في حق ايجاب المامور به بمنزلة العدم جعل كانه
انما حدث عند تحققه فحكي على صورة التنجيز وقد مر في تفسير قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم واهلك

منصوب بفعل معطوف على فاسلك لا بالعطف على زوجين او اثنين وعلى القراءتين لادائه الى اختلال المعنى
اي واسلك اهلك والمراد به امرأته وبنوه وتاخير الامر بادخالهم عما ذكر من ادخال الازواج فيها لكونه عريقا فيما امر به من الادخال
فانه يحتاج الى مزاولة الاعمال منه عليه السلام والى معاونة من اهله واتباعه واما هم فانما يدخلونها باختيارهم بعد ذلك ولان في المؤخر
ضرب تفصيل بذكر الاستثناء وغيره فتقديمه يؤدي الى الاخلال بتجاذب اطراف النظم الكريم الا من سبق عليه القول منهم اي القول
بالاهلاك لكفره وانما جيء بعلى لكون السابق ضارا كما جيء باللام في قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى لكونه نافعا ولا تخاطبني في الذين
ظلموا بالدعاء لانجائهم انهم مغرقون تعليل للنهي او لما ينبئ عنه من عدم قبول الدعاء اي انهم مقضي عليهم بالاغراق لا محالة
لظلمهم بالاشراك وسائر المعاصي ومن هذا شانه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف لا وقد امر بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم
بقوله فاذا استويت انت ومن معك اي من اهلك واشياعك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين
على طريقة قوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقل رب انزلني في السفينة او منها منزلا مباركا اي
انزالا او موضع انزال يستتبع خيرا كثيرا وقرئ منزلا اي موضع نزول وانت خير المنزلين امر عليه السلام بان يشفع
دعاءه بما يطابقه من ثنائه تعالى توسلا به الى الاجابة وافراده عليه السلام بالامر مع شركة الكل في الاستواء والنجاة
لاظهار فضله عليه السلام والاشعار بان في دعائه وثنائه مندوحة عما عداه ان في ذلك الذي ذكر مما فعل به عليه السلام
وبقومه لآيات جليلة يستدل بها اولوا الابصار ويعتبر بها ذووا الاعتبار وان كنا لمبتلين ان مخففة من ان واللام فارقة
بينها وبين النافية وضمير الشان محذوف اي وان الشان كنا مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد او مختبرين بهذه
الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويتذكر كقوله تعالى ولقد تركناها آية فهل من مدكر انتهى ابو السعود رحمه الله

ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين من بعد قوم نوح قرنا قوما آخرين هم عاد قوم هود لقوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح والمخاطبون هم قوم هود فارسلنا فيهم والارسال يتعدى بالى وفي قوله كذلك ارسلناك في امة لكن الامة جعلت موضعا للارسال رسولا هو هود منهم من قومهم ان مفسرة اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون

لارسلنا اى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله وقال الملأ من قومه ذكر مقال قوم هود في جوابه في الاعراف وهود بغير واو لانه على تقدير سؤال سائل قال فما قال قومه فقيل له قالوا كيت كيت وههنا مع الواو لانه عطف لما قالوه على ما قاله الرسول ومعناه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل وليس بجواب للنبي متصل بكلامه فلم يكن بالفاء الذين كفروا صفة للملأ اولئك قومه وكذبوا بلقاء الآخرة اى بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك واترفناهم ونعمناهم في الحيوة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون اى منه حذف لدلالة ما قبله عليه اى حيث ادعى الرسالة اهو من بينكم وهو مثلكم ولئن اطعتم بشرا مثلكم فيما يأمركم به وينهاكم انكم اذا لخاسرون بالانقياد لمثلكم ومن حمقهم انهم ابوا اتباع مثلهم وعبدوا اعجز منهم
انتهى المدارك

ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين عادا قوم هود لقوله واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح فانه قول هود عليه السلام لا قول صالح عليه السلام ومجيء قصة هود اثر قصة نوح عليهما السلام في سورة الاعراف وهود والشعراء فارسلنا فيهم اى بين ظهرانيهم وفي زمرتهم ولم يأتهم من موضع آخر رسولا التنكير للتعظيم منهم من قبيلتهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان مفسرة لارسلنا اى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله افلا تتقون عذابه واذ حال الموجه على العلة لانكار عدم التقوى بعد العلم بانه لا اله لهم غيره وفيه تنزيل لهم منزلة العالم به لتمكنهم من العلم وتنبيه على ظهور الدلالة على ذلك وقال الملأ من قومه الذين كفروا لا تغني ارسلنا معنى القول عطف عليه قولهم بالواو اى اجتمع في الحصول ذلك الحق وهذا الباطل وكذبوا بلقاء الآخرة اى بلقاء ما فيها من الحساب والجزاء اعني بالبعث واترفناهم ونعمناهم في الحيوة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد ما هذا الا بشر مثلكم في الحال والصفة يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير للمماثلة ولذلك ترك في قصة نوح عليه السلام لترك قيد المماثلة وما خبرية وحذف العائد الثاني لدلالة ما قبله اولشايع حذف المنصوب اى ويشربونه ولئن اطعتم بشرا مثلكم فيما يأمركم به وينهاكم عنه انكم اذا واقع في جزاء الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم لخاسرون بالانقياد لمثلكم ومن حمقهم انهم ابوا اتباع امثالهم وعبدوا اعجز منهم انتهى ابن كمال
هذا الوجه لا ما ذكره القاضي من عدم اتصال كلامهم بكلامه لانه انما يصلح وجها لعدم التصدير بالفاء لا للتصدير بالواو لبقاء احتمال الفصل على الاستيناف
منه

ثم انشأنا من بعدهم اى من بعد اهلاكهم قرنا آخرين هم عاد حسبما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما وعليه اكثر المفسرين وهو الاوفق لما هو المعهود في سائر السور الكريمة من ايراد قصتهم اثر قصة قوم نوح وقيل هم ثمود فارسلنا فيهم جعلوا موضعا للارسال كما في قوله تعالى كذلك ارسلناك في امة ونحوه لا غاية له كما في مثل قوله تعالى لقد ارسلنا نوحا الى قومه للايذان من اول الامر بان من ارسل اليهم لم يأتهم من غير مكانهم بل انما نشأ فيما بين اظهرهم كما ينبئ عنه قوله تعالى رسولا منهم اى من جملتهم نسبا فانهما عليهما السلام كانا منهم وان في قوله تعالى ان اعبدوا الله مفسرة لارسلنا لتضمنه معنى القول اى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله وقوله تعالى ما لكم من اله غيره تعليل للعبادة المأمور بها او للامر بها او لوجوب الامتثال به افلا تتقون اى عذابه الذي يستدعيه ما انتم عليه من الشرك والمعاصي والكلام في العطف كالذي مر في قصة نوح عليه السلام وقال الملأ من قومه حكاية لقولهم الباطل اثر حكاية القول الحق الذي تكلم به حكاية ارسال الرسول بطريق العطف على ان المراد حكاية مطلق تكذيبهم له عليه السلام اجمالا لا حكاية ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من المحاورة والمقاولة تفصيلا حتى يحكى بطريق الاستيناف المبني على السؤال كما ينبئ عنه ما سيأتي من حكاية سائر الامم اى وقال الاشراف من قومه الذين كفروا في محل الرفع على انه صفة للملأ وصفوا بذلك ذما لهم وتنبيها على غلوهم في الكفر وتأخيره عن من قومه لعطف قوله تعالى وكذبوا بلقاء الآخرة وما عطف عليه على الصلة الاولى اى كذبوا بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب او بمعادهم الى الحيوة الثانية بالبعث واترفناهم ونعمناهم في الحيوة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد اى قالوا لاعقابهم مضلين لهم ما هذا الا بشر مثلكم اى في الصفات والاحوال وانما قالوا مثلكم على ما هو المبالغة في تهوين امره عليه السلام وتوهينه يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثاني منصوب محذوف او مجرور قد حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم اى فيما ذكر من الاحوال والصفات اى ان امتثلتم باوامره انكم اذا اى على تقدير الاتباع لخاسرون عقولكم ومغبونون في آرائكم حيث اذللتم انفسكم انظر كيف جعلوا اتباع الرسول الحق الذي يوصلهم الى السعادة الدارين خسرانا دون عبادة الاصنام التي لا خسران وراءها قاتلهم الله انى يؤفكون واذا واقع بين اسم ان وخبرها لتأكيد مضمون الشرط والجملة جواب لقسم محذوف قبل ان الشرطية المصدرة باللام الموطئة اى وبالله لئن اطعتم بشرا انكم اذا لخاسرون
انتهى ابو السعود

فاسلك فيها اى ادخل في السفينة من كل اى من كل امة بالتنوين وغيره اى من كل صنف زوجين من كل صنفين اثنين الذكر والانثى روى انه لم يحمل الا ما يلد ويبيض واهلك اى وادخل اهل بيتك الا من سبق عليه القول منهم اى وجب العذاب قرن بعلى السبق الضار كما قرن باللام السبق النافع في قوله سبقت لهم منا الحسنى قيل هو ابنه كنعان ولا تخاطبني اى لا تراجعني بالدعاء في الذين ظلموا انفسهم بالكفر انهم مغرقون بالطوفان وانما نهاه عن الدعاء لهم بالنجاة لكونه اقتضى اغراقهم وحكم على المفسدة في استبقائهم لكونهم ظالمين بعد لزوم الحجة البالغة عليهم ثم امره ان يدعوه بدعاء هو انفع له فقال فاذا استويت انت اى ركبت انت ومن معك من اهل الايمان على الفلك فقل ولم يقل فقولوا استويتم فقولوا لانه نبيهم فكان قوله قولهم مع الاشعار بفضل النبوة الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين اى الفاسدين بالشرك والمعصية وقل اذا نزلت من الفلك الى البر واذا دخلت فيها رب انزلني منزلا بالضم مع الفتح بطن الفلك وبالفتح مع الفتح مصدر اى انزالا مباركا وبركته النجاة فيها وانت خير المنزلين بكسر الزاء وبعد اغراق الكافرين وانجاء المؤمنين قال ان في ذلك اى في هلاك قوم نوح عليه السلام ونجاته مع المؤمنين لآيات اى لعبرات لمن بعدهم وان كنا لمبتلين اى قد كنا لمختبرين الناس بالطاعة والمعصية او كنا مبتلين قوم نوح عليه السلام بالبلاء ليعتبر من بعدهم
انتهى العيون

ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين وهم قوم عاد فارسلنا فيهم ولم يقل اليهم مع حق الارسال ان يعدى بالى لان الامة او القرية جعلت موضعا للرسالة مجاز اقترنت بفي لان حقه التعدي بفي اى بعثنا فيهم رسولا اى هودا عليه السلام منهم ان اعبدوا الله اى قال لهم اعبدوه ووحدوه ما لكم من اله غيره افلا تتقون اى اتقوا وآمنوا ثم عطف على قول نوح بالواو بقوله وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة اى البعث واترفناهم اى انعمنا عليهم بنعم كثيرة في الحيوة الدنيا قوله ما هذا مقول القول اى قالوا ما هو الا بشر مثلكم انكم اذا لخاسرون اذن جواب شرط محذوف اى انكم ان اطعتموه اذن تخسرون عقولكم وتغبنون آراءكم
انتهى العيون

أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما لما كان كونه ترابا معلوما بطريق العقل وكونهم عظاما شاهدا معلوما بطريق الحس كان الثاني أشد دفعا في الاستبعاد عند العامة فلذلك أخره بل نقول لولا مشاهدة العظام لكان الوهم يعارض العقل في كونه ترابا فهو كالتتميم للأول ولذلك تراه يذكر مؤخرا في جميع المواضع أنكم مخرجون من العدم إلى الوجود تارة أخرى وثنى أنكم للتأكيد وحسن ذلك لطول الفصل بين الأول والثاني ومخرجون خبر عن الأول وإذا لمحض الظرفية أو محذوف الجواب لدلالة أن مع اسمها وخبرها عليه أو أنكم مخرجون مبتدأ خبره الظرف والجملة خبر أن الأول أي أنكم إذا متم وقع إخراجكم هيهات هيهات من أسماء الأفعال واقع موقع بعد وما على مقدر أي بعد التصديق أو الوقوع واللام في لما توعدون للبيان كما في هيت لك كأنهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل فما الذي له هذا الاستبعاد قالوا لما توعدون أو دخلا على ما توعدون واللام زائدة أي بعد ما توعدون من البعث وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون قرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على أنه جمع هيهية وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وبإبدال التاء هاء إن هي إلا حياتنا الدنيا أصله أن الحيوة إلا حياتنا الدنيا فوضع هي موضع الحيوة لدلالة الخبر عليها حذرا عن التكرار وإشعارا بأن تعيينها مغن عن التصريح كقوله هي النفس ما حملتها تتحمل والمعنى لا حيوة إلا هذه الحيوة الدنيا لأن إن النافية دخلت على هي التي بمعنى الجنس فوازنت لا التي تنفي الجنس نموت ونحيا يموت بعض ويولد بعض وما نحن بمبعوثين بعد الموت إن هو أي ما هو إلا رجل افترى على الله فيما يدعيه من الرسالة وفيما يعد من البعث والمفتري قد يكون صادقا في نفسه ويكون الكذب في نسبته إلى المفتري عليه فقوله كذبا لدفع هذا الاحتمال وهذا غاية الضلال وما نحن له بمؤمنين بمصدقين وتقديم له للمحافظة على الفاصلة قال رب انصرني عليهم وانتقم منهم بما كذبون قد سبق تفسيره فأجاب الله تبارك وتعالى دعوته حيث قال عما قليل عن متعلق بيصبحن وما زائدة لتوكيد معنى القلة أو بمعنى شيء أو زمن وقليل صفة له وجواب القسم المحذوف ليصبحن نادمين إذا عاينوا ما يحل بهم فأخذتهم الصيحة صيحة صالح عليه السلام

أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون مبعوثون للسؤال والحساب والثواب والعقاب وثنى أنكم للتوكيد وحسن ذلك لفصل ما بين الأول والثاني بالظرف ومخرجون خبر عن الأول والتقدير أيعدكم أنكم مخرجون إذا متم وكنتم ترابا وعظاما هيهات هيهات اسم للفعل واقع موقع بعد أي بعد التصديق أو الوقوع لما توعدون من العذاب أو فاعلها واللام زائدة أي بعد ما توعدون من البعث إن هي هذا ضمير لا يعلم ما يعنى إلا بما يتلوه من بيانه وأصله إن الحيوة إلا حياتنا الدنيا ثم وضع موضع الحيوة لأن الخبر يدل عليها ويبينها والمعنى لا حيوة إلا هذه الحيوة التي نحن فيها ودنت منا نموت ونحيا أي يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن ويأتي قرن آخر أو فيه تقديم وتأخير أي نحيا ونموت في قراءة أبي وابن مسعود رضي وما نحن بمبعوثين بعد الموت إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا أي ما هو إلا مفتر على الله فيما يدعيه من استنبائه له وفيما يعدنا من البعث وما نحن له بمؤمنين قال رب انصرني بما كذبون فأجاب الله دعاء الرسول بقوله قال عما قليل ما زائدة أو بمعنى شيء أو زمن وقليل بدل منها وجواب القسم المحذوف ليصبحن نادمين إذا عاينوا ما يحل بهم فأخذتهم الصيحة أي صيحة جبريل عليه السلام فدمرهم بالحق بالعدل من الله فجعلناهم غثاء شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي واسود من الورق والعيدان فبعدا فهلكوا يقال بعد بعدا وبعدا أي هلك وهو من المصادر المنصوبة بأفعال لا يستعمل إظهارها للقوم الظالمين بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو هيت لك

بالحق باستحقاقهم ذلك أو بالوجه الثابت الذي لا دافع له أو بالعدل من الله أو بالوعيد الصدق فجعلناهم غثاء شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي واسود من الورق والعيدان وهذا التشبيه مناسب حال قوم هود عليه السلام فبعدا مصدر بعد إذا هلك وهو من المصادر المنصوبة بأفعال لا يستعمل إظهارها واللام في للقوم الظالمين لبيان من دعي عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع المضمر للتعليل ويحتمل الإخبار انتهى المدارك

أيعدكم استئناف مسوق لتقرير ما قبله من زجرهم عن اتباعه عليه السلام بإنكار وقوع ما يدعوهم إلى الإيمان به واستبعاده أنكم إذا متم بكسر الميم من مات يمات وقرئ بضمها من مات يموت وكنتم ترابا وعظاما نخرة مجردة عن اللحوم والأعصاب أي كان بعض أجزائكم من اللحم ونظائره ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب لعراقته في الاستبعاد وانقلابه من الأجزاء البادية أو كان متقدموكم ترابا صرفا ومتأخروكم عظاما وقوله تعالى أنكم تأكيد للأول لطول الفصل بينه وبين خبره الذي هو قوله تعالى مخرجون أي من القبور أحياء كما كنتم وقيل أنكم مخرجون مبتدأ وإذا متم خبره على معنى إخراجكم إذا متم ثم أخبر بالجملة عن أنكم وقيل رفع أنكم مخرجون بفعل هو جزاء الشرط كأنه قيل إذا متم وقع إخراجكم ثم أوقعت الجملة الشرطية خبرا عن أنكم والذي يقتضيه جزالة النظم الكريم هو الأول وقرئ أيعدكم إذا متم بإسقاط أنكم هيهات هيهات تكرير لتأكيد البعد أي بعد الوقوع أو الصحة لما توعدون وقيل اللام لبيان المستبعد ما هو كما في هيت لك كأنهم صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل لما ذا هذا الاستبعاد فقيل لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على أنه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين

وبالسكون على لفظ الوقف وإبدال التاء هاء إن هي إلا حياتنا الدنيا أصله إن الحيوة إلا حياتنا فأقيم الضمير مقام الأولى لدلالة الثانية عليها حذرا من التكرار وإشعارا بإغنائها عن التصريح كما في هي النفس تتحمل ما حملت وهي العرب تقول ما شاءت وحيث كان الضمير بمعنى الحيوة الدالة على الجنس كانت إن النافية بمنزلة لا النافية للجنس وقوله تعالى نموت ونحيا جملة مفسرة لما ادعوه من أن الحيوة هي الحيوة الدنيا أي يموت بعضنا ويولد بعض إلى انقراض العصر وما نحن بمبعوثين بعد الموت إن هو أي ما هو إلا رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من إرساله وفيما يعدنا من أن الله تعالى يبعثنا وما نحن له بمؤمنين بمصدقين فيما يقوله قال أي هود عليه السلام عند يأسه من إيمانهم بعد ما سلك في دعوتهم كل مسلك متضرعا إلى الله تعالى رب انصرني عليهم وانتقم منهم بما كذبون أي بسبب تكذيبهم إياي وإصرارهم عليه قال تعالى إجابة لدعائه وعدة بالقبول عما قليل أي عن زمان قليل وما زائدة بين الجار والمجرور لتأكيد معنى القلة كما زيدت في قوله تعالى فبما رحمة من الله أو نكرة موصوفة أي عن شيء قليل ليصبحن نادمين على ما فعلوا من التكذيب وذلك عند معاينتهم للعذاب فأخذتهم الصيحة لعلهم حين أصابتهم الريح العقيم أصيبوا في تضاعيفها بصيحة هائلة أيضا وقد روي أن شدادا بن عاد حين أتم بناء إرم سار إليها بأهله فلما دنا منها بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا وقيل الصيحة نفس العذاب والموت وقيل هي العذاب المصطلم قال قائلهم صاح الزمان بآل برمك صيحة خروا لشدتها على الأذقان بالحق متعلق بالأخذ أي بالأمر الثابت الذي لا دافع له أو بالعدل من الله تعالى أو بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء أي كغثاء السيل وهو حميله فبعدا للقوم الظالمين إخبار أو دعاء وبعدا من المصادر التي لا يكاد يستعمل ناصبها والمعنى بعدوا بعدا أي هلكوا واللام لبيان من قيل له بعدا ووضع الظاهر موضع الضمير للتعليل انتهى أبو السعود رحمه الله

ايعدكم انكم اذا متم وكنتم اي صرتم ترابا وعظاما انكم كرر للتاكيد المستحسن لوقوع الفصل بالظرف بين الاول والثاني مخرجون
خبر عن الاول اي ايعدكم بانكم مخرجون من قبوركم اذا متم ودفنتم في الارض هيهات هيهات اي بعد جدا اسم فعل فاعله مضمر
اي بعد التصديق لما توعدون من البعث اي بعد كونه وقيل الفاعل ما واللام زائدة لبيان المستبعد فلا محل لهيهات
من الاعراب على تقدير الفعل وقيل بمعنى المصدر تقديره البعد لما توعدون فهو مبتدا وخبر وقرئ هيهات بالفتح والضم
بتنوين وغيره وبالسكون على الوقف ان هي الا حياتنا اي ما الحيوة الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيى اي نحيى فنموت بعد الحين
وما نحن بمبعوثين بعد الموت كما تزعم يا هود ثم قالوا ان هو اي ما هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين اي
بمصدقين بالبعث قال هود عليه السلام رب انصرني عليهم بما كذبون قال الله تعالى عما قليل اي عن زمان قليل وما زائدة
لتاكيد قلة المدة ليصبحن اي ليصيرن على تكذيبهم نادمين واللام في جواب القسم المحذوف فاخذتهم الصيحة اي صيحة جبريل عليه السلام
بالحق اي بالعذاب الواجب الوقوع فجعلناهم اي صيرناهم غثاء اي يابسا او هالكا كغثاء السيل لا ينتفع به وهو ما يحمله السيل
على وجهه من الزبد والورق والعود ونحوها فبعدا للقوم الظالمين مصدر منصوب بفعل وجب حذفه لانه من المصادر التي
وضعت مواضع افعالها ومعناه بعدوا بعدا اي اهلكوا من رحمة الله تعالى يعني فاهلكناهم بالعذاب في الدنيا

وجعلناهم احاديث لم يبق منهم الا الحكايات يعتبر بها المعتبرون وهو اسم جمع للحديث او جمع احدوثة وهي ما يتحدث به تلهيا
كالاعاجيب جمع اعجوبة وهي ما يتعجب منه اي جعلناهم احاديث يتحدث بها تلهيا وتعجبا فبعدا لقوم لا يؤمنون اقتصر ههنا على
وصفهم بعدم الايمان حسبما اقتصر على حكاية تكذيبهم اجمالا واما القرون الاولون فحيث نقل عنهم ما مر من الغلو وتجاوز الحد
في الكفر والعدوان وصفوا بالظلم ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا هي الايات التسع من اليد والعصا والطوفان والجراد
والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات والطاعون ولا مساغ لعد فلق البحر منها اذ المراد هي الايات التي كذبوها واستكبروا
عنها وسلطان مبين اي حجة واضحة ملزمة للخصم وهي اما العصا وافرادها بالذكر مع اندراجها في الايات لما انها ام آياته عليه السلام
وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها ثعبانا وتلقفها لما افكته السحرة حسبما فصل في سورة طه واما التعرض لانفلاق البحر
وانفجار العيون من الحجر بضربها وحراستها وصيرورتها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء وغير ذلك مما ظهر منها من قبل
ومن بعد في غير مشهد فرعون وقومه فغير ملائم لمقتضى المقام واما نفس الايات كقوله الى الملك القرم وابن الهمام عبر عنها
بذلك على طريقة العطف تنبيها على جمعها لعنوانين جليلين وتنزيلا لتغايرهما منزلة التغاير الذاتي الى فرعون وملائه اي اشراف قومه
خصوا بالذكر لان ارسال بني اسرائيل منوط بآرائهم لا بآراء اعقابهم فاستكبروا عن الانقياد وتمردوا وكانوا قوما عالين
متكبرين متمردين فقالوا عطف على استكبروا وما بينهما اعتراض مقرر للاستكبار اي كانوا قوما عادتهم الاستكبار والتمرد اي قالوا فيما بينهم
بطريق المناصحة انؤمن لبشرين مثلنا ثني البشر لانه يطلق على الواحد كقوله تعالى بشرا سويا كما يطلق على الجمع كما في قوله تعالى فاما ترين من
البشر احدا ولم يثن المثل نظرا الى كونه في حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تدل على ان مدار شبه المنكرين للنبوة قياس حال
الانبياء على احوالهم بناء على جهلهم بتفاصيل شؤون الحقيقة البشرية وتباين طبقات افرادها في مراقي الكمال ومهاوي النقصان
بحيث يكون بعضها في اعلى عليين وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون لصفاء جواهرهم
بكلا العالمين الروحاني والجسماني يتلقون من جانب ويلقون الى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى
جناب الحق وبعضها في اسفل سافلين كاولئك الجهلة الذين هم كالانعام بل هم اضل سبيلا وقومهما يعنون بني اسرائيل
لنا عابدون اي خادمون منقادون كالعبيد وكانهم قصدوا بذلك التعريض بشانهما عليهما السلام وحط رتبتهما العلية ۝

ثم انشانا من بعدهم قرونا اخرين قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ما تسبق من امة من صلة اي ما تسبق احد اجلها المكتوب لها او الوقت الذي حد لهلاكها وكتب وما يستاخرون لا يتاخرون عنه ثم ارسلنا رسلنا تترى فعلى والالف للتانيث كسكرى لان الرسل جماعة ولذا لا ينون وهو نصب على الحال اي متتابعين واحدا بعد واحد وتاؤها بدل من الواو اصلها وترى من الوتر وهو الفرد قلبت تاء كتراث كلما جاء امة رسولها كذبوه الرسول يلابس المرسل والمرسل اليه والاضافة تكون بالملابسة فتصح اضافتها اليهما فاتبعنا الامم والقرون بعضهم بعضا في الاهلاك وجعلناهم احاديث اخبارا يتسمر بها ويتعجب منها والاحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه احاديث النبي صلى الله عليه وسلم وتكون جمعا للاحدوثة وهي ما يتحدث الناس تلهيا وتعجبا وهو المراد هنا فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه هرون بدل من اخاه بآياتنا التسع وسلطان مبين وحجة ظاهرة الى فرعون وملائه فاستكبروا عن قبول الايمان ترفعا وتكبرا وكانوا قوما عالين متكبرين مترفعين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا البشر يكون واحدا وجمعا ومثل وغير يوصف بها الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث وقومهما اي بنو اسرائيل لنا عابدون خاضعون مطيعون وكل من دان لملك فهو عابد له عند العرب فكذبوهما فكانوا من المهلكين بالغرق انتهى كذا ذكر

ثم انشانا من بعدهم قرونا اخرين قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم عليهم السلام ما تسبق من مزيدة للاستغراق امة اجلها الوقت الذي عين لهلاكها وكتب وما يستاخرون الاجل ثم ارسلنا رسلنا تترى فعلى والالف للتانيث لان الرسل جماعة وقرئ تترا بالتنوين على انه مصدر بمعنى المتواترة وقع حالا والتاء بدل من الواو كما في تولج وسور اي متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد كلما جاء امة رسولها كذبوه اضاف الرسل الى المرسل ومع المجيء الى المرسل اليهم لان مبتدا الرسالة منه ومنتهى المجيء اليهم فالرسول يلابسهما جميعا فتصح اضافته اليهما فاتبعنا بعضهم فاتبعنا بعض الامم او القرون بعضا في الاهلاك وجعلناهم احاديث اخبارا يتسمر بها ويتعجب منها والاحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه احاديث الرسول عليه الصلوة والسلام ويكون جمعا للاحدوثة وهي ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو المراد هنا فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه هرون للاشعار بانه ارسل عليه السلام كان تبعا لموسى عليه السلام تعرض لاخوته له وتنزل ذلك الوصف منزلة الاصل حيث جعل اسمه بدلا عنه بآياتنا بالآيات التسع وسلطان مبين وحجة واضحة تبطلان المخالف ويجوز ان يراد به العصا وافرادها بالذكر لانها ام المعجزات واولها وتعلقت بها معجزات شتى كما ذكرنا الست بعقرها لما استندت به من الفضل ويجوز ان يراد بالآيات انفسها لا الآيات وحجة بينة الى فرعون وملائه لاستخلاص بني اسرائيل عن ايديهم على ما افصح عنه في سورة الشعراء حيث قال فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين ان ارسل معنا بني اسرائيل اي خلهم يذهبوا معنا الى الشام فاستكبروا عن تعقيبهما في الرسالة المذكورة وعن الآيات بانهم لا عن المتابعة لانهما عليهما السلام لم يدعوهم اليها ذل على ذلك قولهما خلهم يذهبون معنا الى الشام وكانوا قوما عالين متكبرين فقالوا انؤمن اتذعن وننقاد لبشرين مثلنا البشر اسم الجنس كما يطلق على الجمع كقوله فاما ترين من البشر احدا يطلق على الواحد كقوله بشرا سويا وبهذا الاعتبار يثنى ومثل كغير يوصف به الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث كقوله انكم اذا مثلهم ومن الارض مثلهن ويقال ايضا هما مثلاه وهم امثالهم وقومهما يعني بني اسرائيل لنا عابدون على الحقيقة كانه كان يدعي الالهية فادعى للناس العبادة فكذبوهما فكانوا من المهلكين بالغرق انتهى ابي السعود

ثم انشانا من بعدهم اي بعد هلاكهم قرونا اخرين هم قوم صالح ولوط وشعيب عليهم السلام وغيرهم ما تسبق من امة اجلها اي ما تتقدم امة من الامم المهلكة الوقت الذي عين لهلاكهم اي ما تهلك امة قبل مجيء اجلها وما يستاخرون ذلك الاجل ساعة وقوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا عطف على انشانا لكن لا على معنى ان ارسالهم متراخ عن انشاء القرون المذكورة جميعا بل على معنى ان ارسال كل رسول متاخر عن انشاء قرن مخصوص بذلك الرسول كانه قيل ثم انشانا من بعدهم قرونا اخرين قد ارسلنا الى كل قرن منهم رسولا خاصا به والفصل بين المعطوفين بالجملة المعترضة الناطقة بعدم تقدم الامم اجلها المضروب لهلاكهم للمسارعة الى بيان هلاكهم على وجه اجمالي تترى اي متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كما في تولج وتيقور والالف للتانيث باعتبار ان الرسل جماعة وقرئ بالتنوين على انه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا وقوله كلما جاء امة رسولها كذبوه استيناف مبين لمجيء كل رسول لامته ولما صدر عنهم عند تبليغ الرسالة والمراد بالمجيء اما التبليغ واما حقيقة المجيء للايذان بانهم كذبوه في اول الملاقاة واضافة الرسل الى الامة مع اضافة كلهم فيما سبق الى نون العظمة لتحقيق ان كل رسول جاء امته الخاصة به لا ان كلهم جاؤا كل الامم وللاشعار بكمال شناعتهم وضلالهم حيث كذبت كل واحدة منهم رسولها المعين لها وقيل لان الارسال لائق بالمرسل والمجيء بالمرسل اليهم فاتبعنا بعضهم بعضا في الهلاك حسبما تبع بعضهم بعضا في مباشرة الاسباب التي هي الكفر والتكذيب وسائر المعاصي وجعلناهم احاديث

عن منصب الرسالة من وجه آخر غير البشرية والكلام في لنا متعلقة بعابدون قدمت عليه رعاية للفواصل والجملة حال من فاعل نؤمن مؤكدة لانكار الايمان لهما على زعمهم الفاسد المؤسس على قياس المناصب الدينية على الرياسات الدنيوية الدائرة على التقدم في نيل الحظوظ الدنية من المال والجاه كدأب قريش حيث قالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وقالوا لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وجهلهم بان مناط الاصطفاء للرسالة هو السبق في حيازة ما ذكر من النعوت العلية واحراز الملكات السنية جبلة واكتسابا فكذبوهما اي فتموا على تكذيبهما واصروا واستكبروا واستكبارا فكانوا من المهلكين بالغرق في بحر قلزم ابي السعود

ثم انشانا اي خلقنا من بعدهم قرونا اخرين كقوم صالح ولوط وشعيب عليهم السلام ما تسبق اي ما يتقدم من امة اي امة اجلها يعني لا تموت قبل اجلها المكتوب لها وهو الوقت الذي عين لهلاكها وما يستاخرون بعد اجلها ساعة ثم ارسلنا رسلنا تترا متواترة من المتواترة وهي التعاقب في موضع الحال اي متواترين واحدا بعد واحد وقرئ تترى بغير تنوين يعني المنون فالفه بدل من التنوين والتاء بدل من الواو لانه فوعل لا تفعل اذ لا وجود له اسما في الكلام وقيل هو فعلى وترى من تواتر الخبر فالفه للتانيث لان الرسل جماعة والمعنى ارسلنا الرسل الى امم تابعا بعضهم بعضا كلما جاء امة رسولها كذبوه فاتبعنا القرون بعضهم بعضا في الهلاك وجعلناهم اي بعد اهلاكهم احاديث يتحدث بها الناس بعدهم للتعجب والعبرة وقيل لو بقي واحد منهم لم يكونوا احاديث والاحاديث جمع احدوثة كالاعجوبة وقيل اسم جمع للحديث بمعنى الخبر فبعدا لقوم لا يؤمنون اي اهلكناهم جميعا ثم ارسلنا موسى واخاه هرون بآياتنا التسع وسلطان مبين اي بحجة ظاهرة كالعصا وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وغير ذلك الى فرعون وملائه فاستكبروا اي تعظموا عن الايمان والطاعة وكانوا قوما عالين اي متكبرين فقالوا انؤمن اي نصدق لبشرين مثلنا في البشرية وصف بالمثل الاثنان لانه بمعنى المصدر وقومهما لنا عابدون اي الحال انهم يعني بني اسرائيل مسخرون وذليلون لنا فكذبوهما اي موسى وهرون عليهما السلام فكانوا اي صار قوم فرعون من المهلكين في البحر بالغرق ابي السعود

عليه السلام

ولقد آتينا بعد اهلاكهم موسى الكتاب التورية لما كان ايتاؤه موسى
في حكم ايتائه قومه قال لعلهم يهتدون بشرايعها ومواعظها فان الاهتدا
بالكتب الالهية انما يحصل بالعمل بما فيها لا بعلمها وجعلنا ابن مريم عبر عنه
بكنيته دون اسمه لما فيه من الاشارة الى وجه كونه آية وهو ولادته
من غير اب وذلك ان الاصل في النسب هو الاب فلا يعدل عنه
الا عند فقده وامه آية بولادتها اياه من غير مسيس فحذف الاولى
فيهما مقالة واحدة او وجعلنا ابن مريم آية بان تكلم في المهد وظهرت
منه معجزات اخر وامه آية بان ولدت من غير مسيس فحذف الاولى
لدلالة الثانية عليها وآويناهما الى ربوة هي الارض المرتفعة قيل هي
بيت المقدس وقيل غيره ذات قرار مستقر من ارض منبسطة
وقيل ذات ثمار وزروع فان ساكنيها تستقر فيها لاجلها
ومعين الماء الجاري على وجه الارض مفعول من عانه اذا
ادركه بالعين نحو ركبه اذا ضربه بالركبة اي يدرك بالعين
لظهوره فميمه على هذا زايدة او فعيل من معن الماء اذا جرى
واصل الايعاد في الشي او من الماعون الذي هو المنفعة اي نفاع
فميمه اصلية يا ايها الرسل كلوا من الطيبات هذا النداء والخطاب ليس
على ظاهرهما لانهم ارسلوا متفرقين في ازمنة مختلفة وانما المعنى
الاعلام بان كل رسول في زمانه نودي لذلك ووصي به ليعتقد
السامع ان امرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق ان يوخذ به
ويعمل عليه او خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم لفضله وقيامه
مقام الكل في زمانه وكان ياكل من الغنائم او لعيسى عليه السلام
لاتصال الآية وكان ياكل من غزل امه وهو اطيب الطيبات
والمراد من الطيبات ما حل والامر للتكليف او ما يستطاب
ويستلذ والامر للترفيه والاباحة ومع الاحتمال لا يتم الاحتجاج
به على الرهبانية في رفض الطيبات بالمعنى الثاني واعملوا
صالحا موافقا للشريعة اني بما تعملون عليم فاجازيكم على اعمالكم انتهى

ولقد آتينا موسى اي قوم موسى الكتاب اي التورية لعلهم يهتدون
يعملون بشرايعها ومواعظها وجعلنا ابن مريم وامه آية
تدل على قدرتنا على ما نشا لانه خلق من غير نطفة ووحد
لان الاعجوبة فيهما واحدة او المراد وجعلنا ابن مريم آية
وامه آية فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها وآويناهما
اي جعلنا ماويهما اي منزلهما الى ربوة ارض مرتفعة وهو
بيت المقدس او دمشق او الرملة او مصر ذات قرار
مستقر من ارض مستوية منبسطة او ذات ثمار وزروع
يعني انه لاجل ثمارها يستقر فيها ساكنوها ومعين وماء ظاهر
جار على وجه الارض وانه مفعول اي مدرك بالعين لظهوره
من عانه اذا ادركه بعينه او فعيل لانه نفاع لظهوره وجريه
من الماعون وهو المنفعة يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
هذا الخطاب ليس على ظاهره لانهم ارسلوا متفرقين في ازمنة
مختلفة وانما المعنى الاعلام بان كل رسول في زمانه نودي
بذلك ووصي به ليعتقد السامع ان امرا نودي له جميع الرسل
ووصوا به حقيق ان يوخذ به ويعمل عليه او خطاب
لمحمد صلى الله عليه وسلم لفضله وقيامه مقام الكل في زمانه
وكان ياكل من الغنائم او لعيسى عليه السلام لاتصال الآية
بذكره وكان ياكل من غزل امه وهو اطيب الطيبات والمراد
بالطيبات ما حل والامر للتكليف او ما يستطاب ويستلذ
والامر للترفيه والاباحة واعملوا صالحا موافقا للشريعة
اني بما تعملون عليم فاجازيكم على اعمالكم انتهى المدارك

ولقد آتينا اي بعد اهلاكهم وانجاء بني اسرائيل من ملكتهم موسى الكتاب اي التورية وحيث كان ايتاؤه عليه السلام اياها
لارشاد قومه الى الحق كما هو شان الكتب الالهية جعلوا كانهم اوتوها فقيل لعلهم يهتدون اي الى طريق الحق بالعمل بما فيها من الشرايع
والاحكام وقيل اريد آتينا قوم موسى فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه كما في قوله تعالى على خوف من فرعون وملائهم اي
من آل فرعون وملائهم ولا سبيل الى عود الضمير الى فرعون وقومه لظهور ان التورية انما نزلت بعد اغراقهم لبني اسرائيل والاستشهاد
على ذلك بقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى مما لا سبيل اليه ضرورة ان ليس المراد بالقرون
الاولى ما يتناول قوم فرعون بل من قبلهم من الامم المهلكة خاصة كقوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط كما سياتي في
سورة القصص وجعلنا ابن مريم وامه آية دالة على عظيم قدرتنا بولادته منها من غير مسيس بشر فالآية امر واحد نسب
اليهما او وجعلنا ابن مريم آية بان تكلم في المهد وظهرت منه معجزات جمة وامه آية بانها ولدته من غير مسيس فحذف الاولى لدلالة الثانية عليها
والتعبير عنهما بما ذكر من العنوانين وهما كونه عليه السلام ابنها وكونها امه عليه السلام للايذان من اول الامر بحيثية كونهما آية فان نسبته
عليه السلام اليها مع ان النسب الى الآباء دالة على انه لا اب له اي جعلنا ابن مريم وحدها من غير ان يكون له اب وامه التي ولدته
خاصة من غير مشاركة الاب آية وتقديمه عليه السلام لاصالته فيما ذكر من كونه آية كما ان تقديم امه في قوله تعالى وجعلناها وابنها آية
للعالمين لاصالتها فيما نسب اليها من الاحصان والنفخ وآويناهما الى ربوة اي ارض مرتفعة قيل هي ايليا ارض بيت المقدس فانها مرتفعة
وانها كبد الارض واقرب الارض الى السما بثمانية عشر ميلا على ما يروى عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وقيل فلسطين والرملة
وقيل مصر فان قراها على الربى وقرئ بكسر الراء وضمها ورباوة بالكسر والضم ذات قرار مستقر من ارض منبسطة سهلة يستقر عليها
ساكنوها وقيل ذات ثمار وزروع لاجلها يستقر فيها ساكنوها ومعين وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى واصله
الابعاد في المشي او من الماعون وهو النفع لانه نفاع او مفعول من عانه اذا ادركه بالعين فانه لظهوره يدرك بالعيون ط

[...] عطف على كلوا وقرئ بكسر ان على الابتداء وبالفتح على ولان متعلقا بما تقوون وبان مخففة من الثقيلة اي ولان
[...] امتكم يعني هذه الملة وهي دين الاسلام امة واحدة حال اي دينا واحدا عليه جميع الانبياء عليهم السلام
[...]ون بهم وانا ربكم اي الحكم الذي شرعته لكم فاتقون اي خافوا من عذابي والمطيعون فتقطعوا اي
[...] اي الاتباع امرهم اي دينهم الذي امرتهم به بينهم زبرا بفتح الباء وضمها اي قطعا يعني جعلوا دينهم اديانا
[...] فتحزبوا كل حزب بما لديهم من الدين فرحون اي راضون بباطل معتقدون انه الحق ثم سلى نبيه
[...] عليه وسلم وهددهم بقوله فذرهم اي اتركهم في غمرتهم اي في جهلهم وعمايتهم حتى حين اي حتى يقتلوا
[...]وا على الباطل وفيه نهي للنبي صلى الله عليه وسلم عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تاخيره ايحسبون اي ايظنون
[...]هم اي ان الذي نعطيهم اياه ونزيدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات اي في الطاعات
[...]ون اي لا يعقلون كالبهائم ان ذلك استدراج ومكر لزيادة الاثم ولكنهم يتوهمون انه تعجيلا
[...] لطاعتهم ثم اخبر عن المسارعين في الخيرات والاعمال الصالحة من المؤمنين فقال ان الذين هم الا، انتهى العيون

وصف ماؤها بذلك للايذان بكونه جامعا لفنون المنافع من الشرب وسقي ما يسقى من الحيوان والنبات بغير كلفة
نزهة بمنظره المونق يا ايها الرسل كلوا من الطيبات حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه الاجمال لما خوطب به كل رسول في عصره
انه حكاية ايواء عيسى عليه السلام وامه الى الربوة ايذانا بان ترتيب مبادي التنعم لم يكن من خصائصه عليه السلام بل اباحة الطيبات
قديم جرى عليه جميع الرسل عليهم السلام ووصوا به اي وقلنا لكل رسول كل من الطيبات واعمل صالحا فعبر عن تلك الاوامر المتعددة
المتعلقة بالرسل بصيغة الجمع عند الحكاية اجمالا للايجاز وفيه من الدلالة على بطلان ما عليه الرهابنة من رفض الطيبات ما لا يخفى
وقيل حكاية لما ذكر لعيسى عليه السلام وامه عند ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل في تناول ما رزقا وقيل نداء وخطاب له
للتعظيم وعن الحسن والمجاهد وقتادة والسدي والكلبي رحمهم الله انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحده على دأب العرب
في مخاطبة الواحد بلفظ الجمع وفيه ابانة لفضله وقيامه مقام الكل في حيازة كمالاتهم والطيبات ما يستطاب ويستلذ
من المباحات المآكل والفواكه حسبما ينبئ عنه سياق النظم الكريم فالامر للترفيه واعملوا صالحا اي عملا صالحا فانه المقصود منكم
انتهى ابو السعود رحمه الله
والنافع عند ربكم اني بما تعملون من الاعمال الظاهرة والباطنة عليم فاجازيكم عليه
ولقد آتينا موسى الكتاب اي التورية لعلهم يهتدون اي قوم موسى عم بالتورية يعني بالعمل بشرايعها ومواعظها وجعلنا ابن مريم اي عيسى عم
وامه آية اي عبرة لبني اسرائيل بعد موسى عم لان عيسى عم تكلم في المهد واحيى الموتى باذن الله تعالى ومريم ولدته من غير مسيس
اياه قطعا فيكون هذا من قبيل الاكتفاء بذكر احدهما وآويناهما اي انزلناهما الى ربوة بفتح الراء وضمها اي الى مكان مرتفع
بيت المقدس قيل كبد الارض واقرب الى السماء بثمانية عشر ميلا ذات قرار اي ارض منبسطة مستوية يستقر عليها ساكنوه
ومعين اي ذات ماء جار ظاهر على وجه الارض من المعين وهو الاسراع او من عانه اذا ادركه بعينه فالميم زائدة
يا ايها الرسل قيل هو خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم وامته على سبيل التغليب وقيل خطاب للمرسلين اي قلنا لكل منهم ذلك
كلوا من الطيبات
من الامم وفيه اعلام بان كل رسول في زمانه نودي بذلك ووصي به تحقيق انه يؤخذ به ويعمل عليه
من الحلالات وقيل الطيبات من الرزق هي الحلال والصافي والقوام اي الذي لا يعصى الله فيه والذي لا ينسى ذكره والذي
يحفظ العقل والبدن واعملوا صالحا اي عملا صالحا اني بما تعملون عليم اي قبل ان تعملوا قيل ان عيسى عم كان ياكل من غزل امه وكان رزق
نبينا صلى الله عليه وسلم من الغنايم وهو اطيب الطيبات قال صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس ان الله طيب لا يقبل الا طيبا
انتهى العيون

وانّ هذه كوفي على الاستيناف وانّ حجازي وبصري اي لانّه
تعالى عليم بانّ هذه او واعلموا انّ هذه امّتكم اي ملّتكم
وشريعتكم التي انتم عليها امّة واحدة ملّة واحدة وهي شريعة
الاسلام وانتصابها على الحال اي وانّ الدين دين واحد
وهو الاسلام كقوله انّ الدين عند الله الاسلام وانا ربّكم
وحدي فاتقون فخافوا عقابي في مخالفتكم امري فتقطّعوا
امرهم بينهم تقطّع بمعنى قطع اي فتقطّعوا امر دينهم زبرا
جمع زبور اي كتبا مختلفة يعني جعلوا دينهم اديانا مختلفة
وقيل تفرّقوا في دينهم فرقا كل يتحل كتابا وعن الحسن
تقطّعوا كتاب الله قطعا وحرّفوه كل حزب كل فرقة من فرق
هؤلاء المختلفين المتقطّعين دينهم بما لديهم من الكتاب
والدين او من الهوى والراي فرحون مسرورون معتقدون
انّهم على الحق فذرهم في غمرتهم حتى حين في جهالتهم
وغفلتهم الى ان يقتلوا او يموتوا ايحسبون انّما نمدّهم به من
مال وبنين ما بمعنى الذي وخبرانّ نسارع لهم في الخيرات
والعائد من خبرانّ الى اسمها محذوف اي نسارع لهم به
والمعنى انّ هذا الامداد ليس الا استدراجا لهم الى
المعاصي وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات ومعاجلة
في الثواب جزاء على حسن صنيعهم وهذه الآية حجّة على المعتزلة
في مسئلة الاصلح لانّهم يقولون انّ الله تعالى لا يفعل بأحد
من الخلق الّا ما هو الاصلح له في الدين وقد اخبر انّ ذلك
ليس بخير لهم في الدين ولا اصلح بل لا يشعرون استدراك
لقوله ايحسبون اي بل هم اشباه البهائم لا شعور لهم حتى
يتاملوا في ذلك انه استدراج او مسارعة في الخيرات
انتهى

وانّ هذه بالكسر على الاستيناف وبالفتح بمعنى ولانّ والمعلل
فاتقون او هو معطوف على ما قبله اي بما تعملون عليم وبانّ هذه
او تقديره واعلموا انّ هذه وقرئ بالتخفيف امّتكم ملّتكم
وطريقتكم امّة واحدة في اصول الشرائع والمعتقدات او جماعتكم
جماعة واحدة متفقة في التوحيد والايمان ونصبها على الحال وانا ربّكم
وحدي فاتقون في شقّ العصا ومخالفة الكلمة فتقطّعوا انقطع بمعنى
قطع والضمير لما دلّ عليه الامّة من اربابها او لها امرهم بينهم ما امروا به
من الشرائع والاحكام زبرا جمع زبور اي كتبا مختلفة يعني جعلوا دينهم
اديانا وقيل تفرّقوا في دينهم كل ينتحل كتابا وعن الحسن قطعوا
كتاب الله قطعا وقرئ قراءة زبرا بفتح الباء جمع زبرة مستعار
من زبر الحديد ويجوز ان يكون حالا من امرهم او من الواو كل حزب
كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المنقطعين دينهم بما لديهم من
الكتاب والدين او من الهوى والراي فرحون معجبون معتقدون
على الحق فذرهم في غمرتهم في جهالتهم شبّهها في غلبتها على الماء الذي
يغمر القامة لانّهم مغمورون فيها او شبّهوا باللاعبين في غمرة الماء
لما هم عليه من الباطل حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا اسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ونهي عن الاستعجال بعذابهم ايحسبون انّما نمدّهم به
انّما نعطيهم ونجعله مددا لهم من مال وبنين بيان لما وليس الاعتراض كانّه
غير معاتب عليه وانّما المعاتب عليه اعتقادهم انّ ذلك خير لهم مجد
نسارع لهم في الخيرات والعائد من خبره الى اسمها محذوف اي نسارع
لهم به والمعنى انّ هذا الامداد ليس الا استدراجا لهم الى المعاصي
وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات ومعاجلة بالثواب جزاء لهم
على حسن صنيعهم ويجوز ان يراد في جزاء الخيرات كما يفعل باهل الخير
من المسلمين بل اضراب عما يحسبون لا يشعرون اي هم اشباه البهائم
لا فطنة بهم ولا شعور حتى يتاملوا ويتفكروا في ذلك ليعلموا انه
استدراج لا مسارعة في الخيرات انتهى بالكمال

الرسل
وانّ هذه استيناف داخل فيما خوطب به الرسل عليهم السلام على الوجه المذكور مسوق لبيان انّ ملّة الاسلام والتوحيد مما اوتيه كلّه الرسل والامم وانّما اشير اليها بهذه للتنبيه على كمال ظهور امرها في الصحّة والسداد وانتظامها بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة امّتكم اي ملّتكم وشريعتكم ايّها الرسل امّة واحدة اي ملّة وشريعة متحدة في اصول الشرائع التي لا تتبدّل بتبدّل الاعصار وقيل هذه اشارة الى الامم المؤمنة للرسل والمعنى انّ هذه جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد في العبادة وانا ربّكم فاتقون اي في شقّ العصا والمخالفة بالاخلال بمواجب ما ذكر من اختصاص الربوبيّة بي للرسل والامم جميعا على انّ الامر في حقّ الرسل للتهييج والالهاب وفي حقّ الامم للتحذير والايجاب والفاء لترتيب الامر او وجوب الامتثال به على ما قبله من اختصاص الربوبيّة به تعالى واتحاد الامّة فانّ كلّا منهما موجب للاتقاء حتما وقرئ وانّ هذه بفتح الهمزة على حذف اللام اي ولانّ هذه امّتكم امّة واحدة وانا ربّكم فاتقون اي اتقوا فاتقون كما مرّ في قوله تعالى واياي فارهبون وقيل على العطف على ما اي اني عليم بانّ هذه امّتكم امّة الخ وقيل على حذف فعل عامل فيه اي واعلموا انّ هذه امّتكم الخ وقرئ وانّ هذه على انّها مخففة من انّ فتقطّعوا امرهم حكاية لما ظهر من امم الرسل بعدهم من مخالفة الامر وشقّ العصا والضمير لما دلّ عليه الامّة من اربابها او لها على التفسير الثاني والفاء لترتيب عصيانهم على الامر لزيادة تقبيح حالهم اي تقطّعوا امر دينهم مع اتحاده وجعلوه قطعا متفرّقة واديانا مختلفة بينهم زبرا اي قطعا جمع زبور بمعنى الفرقة ويؤيّده قراءة زبرا بفتح الباء جمع زبرة وهو حال من امرهم او من واو تقطّعوا

او مفعول ثان له فانّه متضمّن معنى جعلوا وقيل كتبا فيكون مفعولا ثانيا او حالا من امرهم على تقدير المضاف اي مثل زبر وقرئ
بتخفيف الباء كرسل في رسل كل حزب من اولئك المتحزّبين بما لديهم من الدين الذي اختاروه فرحون معجبون معتقدون
انّه الحق فذرهم في غمرتهم شبّه ما هم فيه من الجهالة بالماء الذي يغمر القامة لانّهم مغمورون فيها لاعبون بها وقرئ في غمراتهم والخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والفاء لترتيب الامر بالترك على ما قبله من كونهم فرحين بما لديهم فانّ انهماكهم فيما هم فيه واصرارهم عليه
من مخايل كونهم مطبوعا على قلوبهم اي اتركهم على حالهم حتى حين هو حين قتلهم او موتهم على الكفر او عذابهم فهو وعيد
لهم بعذاب الدنيا والآخرة وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونهي له عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تاخيره
وفي التنكير والابهام ما لا يخفى من التهويل ايحسبون انّما نمدّهم به اي نعطيهم اياه ونجعله مددا لهم فما موصولة وقوله
من مال وبنين بيان لها وتقديم المال على البنين مع كونهم اعزّ منه قد مرّ وجهه في سورة الكهف لا خبر لانّه وانّما الخبر قوله
نسارع لهم في الخيرات على حذف الراجع الى الاسم اي ايحسبون انّ الذي نمدّهم به من المال والبنين نسارع لهم به فيما فيه
خيرهم والهمزة على انّ الهمزة لانكار الواقع واستقباحه وقوله بل لا يشعرون عطف على مقدّر ينسحب عليه الكلام
اي كلّا لا نفعل ذلك بل هم لا يشعرون بشيء اصلا كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتاملوا ويعرفوا انّ ذلك الامداد
استدراج لهم واستجرار الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات وقرئ يمدّهم على الغيبة وكذلك
يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممدّ به وقرئ يسارع مبنيا للمفعول انتهى ابو السعود

منه ك

ان الذين هم من خشية ربهم الخشية خوف يشوبه التعظيم مشفقون
خايفون من الهيبة والعظمة على حذر ورقبة والاشفاق خوف
مع اعتناء والذين هم بايات ربهم المنصوبة يؤمنون يصدقون
مدلولها وتحققها عند الله والذين هم بربهم لا يشركون
شركا جليا ولا خفيا والذين يؤتون ما اتوا يعطون ما اعطوه
من الصدقات وقرئ ياتون ما اتوا اى يفعلون ما فعلوه
من الطاعات وقلوبهم وجلة ان لا يقبل منهم وان لا يقع على
الوجه اللايق فيواخذ به والوجل اضطراب النفس لتوقع ما
يكره انهم الى ربهم راجعون لان مرجعهم اليه او من ان مرجعهم

شي ط

اليه وهو يعلم ما يخفى عليهم اولئك يسارعون فى الخيرات
يرغبون فيها اشد الرغبة فيبادرونها والاحسن طباق لما تقدم
والاشد وفاقا لان المعنى انهم يسارعون فى نيل الخيرات الدنيوية
ويتعجلون فى الدنيا المنافع ووجوه الاكرام لانهم اذا سورع بها
لهم فقد سارعوا فى نيلها وتعجلوها لقوله فاتاهم الله
ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة لان فيه اثبات ما نفى عن الكفار
للمؤمنين وهم لها سابقون اى لاجلها فاعلون السبق او سابقون
الناس لاجلها او اياها سابقون اى ينالون قبل الاخرة حيث
عجلت لهم فى الدنيا حال من فاعل يسارعون او عطف به
اولئك يسارعون عطف الجملة على الجملة لها صلة سابقون
او علته او خبرهم سابقون خبر بعد خبر ولا نكلف نفسا الا
وسعها قدر طاقتها يريد به التحريض على ما وصف به الصالحين
وتسهيله على النفوس ولدينا كتاب اى ما عملوه غير ضايع
بل مثبت فى كتاب اى اللوح او صحيفة الاعمال ينطق بالحق
يبين بالصدق لا يوجد فيه ما يخالف الواقع وهم لا يظلمون
بزيادة عقاب او نقصان ثواب وتقديمهم للمحافظة على الفاصلة
ثم عاد الى ذكر الكافرين فقال بل قلوبهم فى غمرة فى غفلة غامرة
من هذا من الذى وصف الذين سبقوا ولهم اعمال خبيثة
من دون ذلك متجاوزة عما وصفوا به والاشارة بذلك
للتعظيم وهم لها عاملون معتادون فعلها انتهى باختصار

ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون خايفون
والاشفاق دوام الخوف مع الترحم والذين هم بايات
ربهم اى مكتوباته تعالى كلها لا يفرقون بين كتبه كالذين
تقطعوا امرهم بينهم وهم اهل الكتاب والذين هم بربهم يؤمنون
لا يشركون كمشركى العرب والذين يؤتون ما اتوا يعطون
ما اعطوا من غير الزكوات والصدقات وقلوبهم وجلة
خايفة ان لا تقبل منهم لتقصيرهم انهم الى ربهم راجعون
الجمهور على ان التقدير لانهم وخبر ان الذين اولئك
يسارعون فى الخيرات يرغبون فى الطاعات فيبادرونها
وهم لها سابقون اى لاجل الخيرات سابقون الى الجنات
او لاجلها سبقوا الناس قال ابن عباس رض معناه سبقت
لهم من الله السعادة العظمى وقال الكلبى سبقوا الامم الى الجنات
ولا نكلف نفسا الا وسعها اى طاقتها يعنى ان الذى
وصف به الصالحون غير خارج من حد الوسع والطاقة
وكذلك كل ما كلفه عباده وهو رد على من جوز تكليف
ما لا يطاق ولدينا كتاب اى اللوح او صحيفة الاعمال
ينطق بالحق وهم لا يظلمون لا يقرؤن منه يوم القيمة
الا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان ولا يظلم
منهم احد بزيادة عقاب او نقصان ثواب او بتكليف ما
لا وسع له بل قلوبهم فى غمرة من هذا بل قلوب الكفرة فى
غفلة غامرة لها مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين
ولهم اعمال من دون ذلك اى ولهم اعمال خبيثة متجاوزة
متخطية لذلك اى لما وصف به المؤمنون هم لها عاملون
وعليها مقيمون لا يفطمون عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب انتهى

ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون استيناف مسوق لبيان من له المسارعة فى الخيرات اثر اقناط الكفار عنها وابطال
حسبانهم الكاذب اى من خوف عذابه حذرون والذين هم بايات ربهم يؤمنون المنصوبة والمنزلة بتصديق مدلولها والذين هم بربهم لا يشركون
شركا جليا ولا خفيا ولذلك اخر عن الايمان بالايات والتعرض لعنوان الربوبية فى المواقع الثلثة للاشعار بعليتها للاشفاق والايمان
وعدم الاشراك والذين يؤتون ما اتوا اى يعطون ما اعطوه من الصدقات وقرئ ياتون ما اتوا اى يفعلون ما فعلوه من
الطاعات وايا ما كان فصيغة الماضى فى الصلة الثانية للدلالة على التحقق كما ان صيغة المضارع فى الاولى للدلالة على الاستمرار
وقلوبهم وجلة حال من فاعل يؤتون او ياتون اى يؤتون ما اتوه او يفعلون من العبادات ما فعلوه والحال ان قلوبهم خائفة اشد
الخوف انهم الى ربهم راجعون اى من ان رجوعهم اليه عز وجل على ان مناط الوجل ان لا يقبل منهم ذلك وان لا يقع على الوجه
اللايق فيواخذوا به حينئذ لا مجرد رجوعهم اليه تعالى وقيل لان مرجعهم اليه تعالى والموصولات الاربعة عبارة عن طائفة واحدة
متصفة بما ذكر من الاوصاف المذكورة كانه قيل ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون وبايات ربهم يؤمنون الى آخره
وانما كرر الموصول ايذانا باستقلال كل واحدة من تلك الصفات بفضيلة باهرة على حيالها وتنزيلا لاستقلالها منزلة استقلال
الموصوف بها اولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بها وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد رتبتهم فى الفضل اى اولئك
المنعوتون بما فصل من النعوت الجليلة خاصة دون غيرهم يسارعون فى الخيرات اى فى نيل الخيرات التى من جملتها الخيرات
العاجلة الموعودة على الاعمال الصالحة كما فى قوله تعالى فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة وقوله تعالى واتيناه اجره فى الدنيا
وانه فى الاخرة لمن الصالحين هـ

فقد اثبت لهم ما نفى عن اضدادهم خلا انه غير الاسلوب حيث لم يقل اولئك نسارع لهم فى الخيرات بل اسند المسارعة
اليهم ايماء الى كمال استحقاقهم لنيل الخيرات بمحاسن اعمالهم وايثار كلمة فى على كلمة الى للايذان بانهم متقلبون فى فنون الخيرات
لا انهم خارجون عنها متوجهون اليها بطريق المسارعة كما فى قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الاية وهم لها سابقون
اى اياها سابقون واللام لتقوية العمل كما فى قوله تعالى هم لها عاملون اى ينالونها قبل الاخرة حيث عجلت لهم فى الدنيا
وقيل المراد بالخيرات الطاعات والمعنى يرغبون فى الطاعات والعبادات اشد الرغبة وهم لاجلها سابقون الناس والاول
هو الاولى ولا نكلف نفسا الا وسعها جملة مستانفة سيقت للتحريض على ما وصف به السابقون من فعل الطاعات المؤدى
الى نيل الخيرات ببيان سهولته وكونه غير خارج عن حد الوسع والطاقة اى عادتنا جارية على ان لا نكلف نفسا من
النفوس الا ما فى وسعها على ان المراد استمرار النفى بمعونة المقام لا نفى الاستمرار كما مر مرارا او للترخيص فيما هو قاصر على
درجة اعمال اولئك الصالحين ببيان انه تعالى لا يكلف عباده الا ما فى وسعهم فان لم يبلغوا فى فعل الطاعات مراتب
السابقين فلا عليهم بعد ان يبذلوا طاقتهم ويستفرغوا وسعهم قال صلى الله عليه وسلم من لم يستطع القيام فليصل قاعدا
ومن لم يستطع القعود فليؤم ايماء وقوله تعالى ولدينا كتاب الخ تتمة لما قبله ببيان احوال ما كلفوه من الاعمال واحكامها
المترتبة عليها من الحساب والثواب والعقاب والمراد بالكتاب صحايف الاعمال التى يقرؤنها عند الحساب حسبما يعرب
عنه قوله تعالى ينطق بالحق كقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون اى عندنا كتاب قد اثبت
فيه اعمال كل احد على ما هى عليه او اعمال السابقين والمقتصدين جميعا لا انه اثبت فيه اعمال الاولين واهمل اعمال الاخرين
ففيه قطع معذرتهم ايضا وقوله تعالى بالحق متعلق بينطق اى يظهر الحق المطابق للواقع على ما هو عليه ذاتا ووصفا ويبينه
للناظر كما يبينه النطق ويظهره للسامع فيظهر هنالك جلائل اعمالهم ودقائقها ويرتب عليها اجزيتها ان خيرا فخير وان شرا
فشر وقوله تعالى وهم لا يظلمون بيان لفضله تعالى وعدله فى الجزاء اثر بيان لطفه فى التكليف وكتب الاعمال اى لا يظلمون
فى الجزاء بنقص ثواب او بزيادة عذاب بل يجزون بقدر اعمالهم التى كلفوها ونطقت بها صحايفها بالحق ط

ثم اخبر عن المسرعين في الخيرات والاعمال الصالحة من المؤمنين فقال ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون
اي من عذابه خائفون والذين هم بآيات ربهم اي بالقرآن يؤمنون اي يصدقون والذين هم بربهم لا يشركون معه غيره
اي يوحدونه ويعبدونه بالاخلاص والذين يؤتون ما آتوا اي يعطون ما اعطوا من الزكوات والصدقات
وقلوبهم اي والحال ان قلوبهم وجلة اي خائفة ان لا تقبل منهم انهم اي لانهم الى ربهم راجعون يعني يوقنون بقدومهم
بعد الموت للحساب والجزاء اولئك اي الموصوفون بهذه الصفات يسارعون في الخيرات اي في الاعمال الصالحة
ويرغبون فيها اشد الرغبة خوفا من فوتها وقيل المسارع في الخيرات المتعلل من الدنيا وترك الاهتمام بها وهم لها سابقون
اي لاجلها فاعلون السبق لنيلها في الدنيا والآخرة نزل منزلة اللازم بلا تقدير المفعول وقيل سابقون الناس لاجلها
تقدير المفعول ولا نكلف نفسا الا وسعها اي لا نظلم منهم احدا بل نأمر كل نفس بقدر طاقتها وان لم تبلغ الى تعيين
الدنيا ولدينا كتاب اي عندنا كتاب حافظ هو اللوح ينطق بالحق بما سطر فيه من الاعمال والاقوال وهم لا يظلمون اي
لا يزادون في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم بل قلوبهم اي قلوب اهل مكة في غمرة اي في غفلة من هذا اي من الايمان
بالقرآن او من الذي اعد لهم من العذاب او من الوصف الذي ذكرنا للمؤمنين ولهم اي للمؤمنين اعمال من دون ذلك
اي سوى ما عملوا من الخيرات هم لها عاملون بعد فيثابون لانها صارت عادة لهم فلا يستعظمون عملها استثنى العموم

قوله حتى اذا اخذنا حتى فيه هي التي يبتدأ بها الكلام وهو الجملة الشرطية مترفيهم اي متنعميهم بالعذاب وهو قتلهم بالسيف
يوم بدر او بالجوع حين دعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وهم اهل قريش حين قال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم
سنين كسني يوسف عليه السلام فقحطوا حتى اكلوا الجيف والكلاب والعظام المحرقة اذا هم يجأرون جواب اذا الشرطية واذا فيه
معنى المفاجأة الجزائية اي يصيحون ويتضرعون الى الله استغاثة حين نزل بهم العذاب قلنا لا تجأروا اي لا تضرعوا اليوم
انكم منا لا تنصرون من عذابنا قد كانت آياتي تتلى عليكم اي القرآن يعرض عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون اي ترجعون
الى شرككم مستكبرين به اي متعظمين بالبيت العتيق واستكبارهم به انهم كانوا يقولون لا يغلب احد علينا لانا اهل
بيت الله ويفتخرون به ولم يسبق ذكر البيت لكونه معلوما عندهم او الضمير في به للقرآن او لمحمد صلى الله عليه وسلم اي
مكذبين به لانهم اذا سمعوا القرآن او رأوا محمدا صلى الله عليه وسلم كذبوهما واذا داروا قولهم سامرا حال بعد حال
فاعلوا اسم جمع كالحاضر والسمر الحديث بالليل لانهم كانوا يسمرون بالقرآن وطعنه حول البيت بالليل وكذا بمحمد صلى الله عليه وسلم
وطعنه بتسميته شاعرا او ساحرا او قوله تهجرون حال اخرى من هجر اذا ترك اي تهجرون الايمان بالله والقرآن والهجر
بالفتح الهذيان وهو ترك الصواب وبالضم الفحش في المنطق افلم يدبروا القول اي القرآن والتدبر احضار القلب
للفهم اي افلم يتفكروا بقلوبهم في القرآن ليعلموا انه الحق فيؤمنوا به وبمن جاء به ام جاءهم اي بل جاءهم من الامان من العذاب
ما لم يأت آباءهم الاولين صح

ط وقد جوز ان يكون تقريرا لما قبله من التكليف وكتب الاعمال اي لا يظلمون بتكليف ما ليس في وسعهم ولا بعدم كتب
بعض اعمالهم التي من جملتها اعمال المقتصدين بناء على قصورها عن درجة اعمال السابقين بل يكتب كل منها على
مقادير هاوطبقاتها والتعبير عما ذكر من الامور بالظلم مع ان شيئا منها ليس بظلم على ما تقرر من ان الاعمال
الصالحة لا توجب اصل الثواب فضلا عن ايجاب مرتبة معينة منه حتى يعد الاثابة بما دونها نقصا وكذلك
الاعمال السيئة لا توجب درجة معينة من العذاب حتى يعد التعذيب بما فوقها زيادة وكذا تكليف ما في الوسع
وكتب الاعمال ليس مما يجب عليه سبحانه حتى يعد تركهما ظلما لكمال تنزيه ساحة السبحان عنها بتصويرها بصورة ما
يستحيل صدوره عنه تعالى وتسميتها باسمه وقوله تعالى بل قلوبهم في غمرة من هذا اضراب عما قبله والضمير للكفرة لا للكل
كما قبله اي بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها من هذا الذي بين في القرآن من ان لدينا كتابا ينطق بالحق ويظهر لهم اعمالهم
السيئة على رؤوس الاشهاد فيجزون بها كما ينبئ عنه ما سيأتي من قوله تعالى قد كانت آياتي تتلى عليكم الخ وقيل مما عليه
اولئك الموصوفون بالاعمال الصالحة ولهم اعمال سيئة كثيرة من دون ذلك الذي ذكر من كون قلوبهم في غفلة عظيمة
مما ذكر وهي فنون كفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما سيأتي من طعنهم في القرآن حسبما ينبئ عنه قوله تعالى مستكبرين به سامرا
تهجرون وقيل متخطية لما وصف به المؤمنون من الاعمال الصالحة المذكورة وفيه انه لا مزية في وصف اعمالهم الخبيثة
بالتخطي للاعمال الحسنة للمؤمنين وقيل متخطية عما هم عليه من الشرك ولا يخفى بعده لعدم جريان ذكره وهم لها عاملون
مستمرون عليها معتادون فعلها ضارون بها لا يكادون يرجعونها حتى اذا اخذنا مترفيهم انتهى ابو السعود

وتخصيص مترفيهم بما ذكر من الاخذ بالعذاب ومفاجاة الجؤار مع عمومه لغيرهم ايضا لغاية ظهور انعكاس حالهم
وانتكاس امرهم وكون ذلك اشق عليهم ولانهم مع كونهم متمنعين محميين بحماية غيرهم من المنعة والحشم حين لقوا
ما لقوا من الحالة الفظيعة فلأن يلقاها من عداهم من الحماة والخدم اولى واقدم لا تجأروا اليوم على اضمار القول
مسوق لردهم وتبكيتهم واقناطهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة من الاغاثة والاعانة من جهته تعالى
وتخصيص اليوم بالذكر للتهويل والايذان بتفويتهم وقت الجؤار وقد جوز كونه جواب الشرط وانت خبير بان المقصود
الاصلي في الجملة الشرطية هو الجواب فيؤدي ذلك الى ان يكون مفاجاتهم الى الجؤار بيان عدم افادته ونفعه
اي لا يلحقكم من جهتنا نصرة تنجيكم مما دهمكم وقيل لا تغاثون ولا تمنعون منا ولا يساعده سباق النظم الكريم
لان جؤارهم ليس الى غيره تعالى حتى يرد عليهم بعدم منصوريتهم من قبله ولا سياقه فان قوله تعالى قد كانت
آياتي تتلى عليكم الخ صريح في انه تعليل لما ذكر من عدم لحوق النصر من جهته تعالى بسبب كفرهم بالآيات ولو كان
النصر المنفي متوهما من الغير لعلل بعجزه وذله او بعزة الله تعالى وقوته اي قد كانت آياتي تتلى عليكم في الدنيا
فكنتم على اعقابكم تنكصون اي تعرضون عن سماعها اشد الاعراض فضلا عن تصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع
قهقرى مستكبرين به اي بالبيت الحرام او بالحرم والاضمار قبل الذكر لاشتهار استكبارهم وافتخارهم بانهم خدامه
وقوامه او بكتابي الذي عبر عنه بآياتي على تضمين الاستكبار معنى التكذيب او لان استكبارهم على المسلمين
حدث بسبب استماعه ويجوز ان يتعلق بقوله تعالى سامرا اي تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه وكانوا
كانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكان عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا والسامر كالحاضر في
الاطلاق على الجمع وقيل هو مصدر جاء على لفظ الفاعل وقرئ سمرا وسمارا وان تعلق بقوله تعالى تهجرون
من الهجر بالفتح بمعنى الهذيان او الترك اي تهذون في شان القرآن او تتركونه او من الهجر بالضم وهو الفحش
ويؤيده قراءة تهجرون من اهجر في منطقه اذا افحش فيه وقرئ تهجرون من هجر الذي هو مبالغة في هجر اذا هذى
افلم يدبروا القول الهمزة لانكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي افعلوا
ما فعلوا من النكوص والاستكبار والهجر فلم يدبروا القرآن ليعرفوا بما فيه من اعجاز النظم وصحة المدلول والاخبار
عن الغيب انه الحق من ربهم فيؤمنوا به فضلا عما فعلوا في شانه من القبائح وام في قوله تعالى ام جاءهم ما لم يات
منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عن التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ باخر والهمزة لانكار
آباءهم الاولين الوقوع لا لانكار الواقع اي بل اجاءهم من الكتاب ما لم يات آباءهم الاولين حتى استبدعوه واستبعدوه فوقعوا
فيما وقعوا فيه من الكفر والضلال يعني ان مجيء الكتب من جهته تعالى الى الرسل عليهم السلام سنة قديمة له تعالى لا تكاد تنكر
وان مجيء القرآن على طريقته فمن اين ينكرونه ٧٧

وقيل ام جاءهم من الامن من عذابه تعالى ما لم يات آباءهم الاولين كاسمعيل عليه السلام واعقابه من عدنان وقحطان
ومضر وربيعة وقيس والحارث بن كعب واسد بن خزيمة وتميم بن مرة وتبع وضبة بن اد فامنوا به تعالى وبكتبه ورسله
واطاعوه ام لم يعرفوا رسولهم اضراب وانتقال من التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بوجه آخر والهمزة لانكار الوقوع ايضا
اي بل الم يعرفوه عليه السلام بالامانة والصدق وحسن الاخلاق وكمال العلم مع عدم التعلم من احد وغير ذلك مما حازه
من الكمالات اللائقة بالانبياء عليهم السلام فهم له منكرون اي جاحدون بنبوته فجحودهم بها مترتب على عدم معرفتهم
بشانه عليه السلام ومن ضرورة انتفاء المبني بطلان ما بني عليه او فهم غير عارفين له عليه السلام فهو تاكيد لما قبله
غير مقصود اصلي وقوله تعالى انكم منا لا تنصرون تعليل للنهي عن الجؤار

انتهى ابو السعود افندي رحمه الله

حتى اذا اخذنا مترفيهم متنعميهم بالعذاب عذاب
الدنيا وهو القحط سبع سنين حين دعا عليهم النبي صلى الله
عليه وسلم او قتلهم يوم بدر وحتى هي التي يبتدأ
بعدها الكلام والكلام جملة الشرطية اذا هم يجأرون
يصرخون استغاثة والجؤار الصراخ باستغاثة فيقال
لهم لا تجأروا اليوم فان الجؤار غير نافع لكم انكم منا
لا تنصرون اي من جهتنا لا يلحقكم نصر ومعونة قد
كانت آياتي تتلى عليكم اي القرآن فكنتم على اعقابكم
تنكصون ترجعون القهقرى والنكوص ان يرجع
القهقرى وهو اقبح مشية لانه لا يرى ما وراءه
مستكبرين به متكبرين على المسلمين بالبيت او بالحرم
وهو حال من تنكصون وهم يقولون لا يظهر علينا احد
لانا اهل الحرم والذي سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار
بالبيت او باياتي لانها في معنى كتابي ومعنى استكبارهم
بالقرآن تكذيبهم به استكبارا ضمن معنى مستكبرين
معنى مكذبين فعدي تعديته او يتعلق الباء بقوله
سامرا اي تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه وكانوا
يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة
سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا والسامر
نحو الحاضر في الاطلاق على الجمع او بقوله تهجرون
وهو من الهجر الهذيان تهجرون نافع من اهجر في
منطقه اذا افحش افلم يدبروا القول افلم يتدبروا
القرآن ليعلموا انه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به
ام جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين اي بل اجاءهم
فلذلك انكروه واستبدعوه ام لم يعرفوا رسولهم
محمدا بالصدق والامانة ووفور العقل وصحة النسب
وحسن الاخلاق اي عرفوه بهذه الصفات الجميلة فهم له
منكرون بغيا وحسدا انتهى المدارك

حتى اذا اخذنا مترفيهم متنعميهم بالعذاب وهو القتل يوم بدر
او الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد
وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله
بالقحط حتى اكلوا الجيف والكلاب والعظام المحرقة والقد والاولاد
اذا هم يجأرون الجؤار الصراخ بالاستغاثة اي فاجأوا به وهو
جواب الشرط والجملة مبتدأة ويجوز ان يكون الجواب لا تجأروا
اليوم فانه مقدر بالقول اي يقال لهم لا تجأروا اليوم انكم منا
لا تنصرون تعليل للنهي اي لا تجأروا فانه لا ينفعكم اذ لا تمنعون
منا ولا يلحقكم نصر من جهتنا قد كانت آياتي يعني القرآن تتلى عليكم
اي قبل ذلك تتجدد تلاوته عليكم وقتا بعد وقت فكنتم على
اعقابكم تنكصون معرضون عنها اي عن سماعها وتصديقها والعمل بها
على اشنع وجه مستمرين على ذلك والنكوص ان يرجع القهقرى
وهو اقبح مشية لانه لا يرى ما وراءه مستكبرين على المسلمين به
بالبيت او بالحرم لانهم يقولون لا يظهر علينا احد لانا اهل الحرم
والذي سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت او باياتي
لانها في معنى كتابي ومعنى استكبارهم تكذيبهم به استكبارا
على التضمين او مستكبرين بسببه لانه اذا تلي عليهم حدث
بسببه استكبارهم او تتعلق الباء بقوله سامرا اي تسمرون
بذكر القرآن وبالطعن فيه وذلك انهم كانوا يجتمعون حول البيت
يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا او شعرا
والسامر نحو الحاضر في الاطلاق على الجمع او بقوله تهجرون وهو
من الهجر بالفتح الهذيان وبالضم الفحش وقرئ تهجرون من اهجر في
منطقه اذا افحش ومن الهجر الذي هو مبالغة في هجر اذا هذى اي
تعرضون عن القرآن وتهذون في شانه او تفحشون افلم يدبروا
القول القرآن ليعلموا عند تدبره انه الحق المبين فيصدقوا به
وبمن جاء به او يخافوا عند تأمل اقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم
من المكذبين والهمزة للتقرير والتنويع اي ابعد وضوح آياتي
المتلوة عليهم لم يتدبروه وام في قوله ام جاءهم ما لم يأت آباءهم
الاولين منقطعة اي عدم تدبرهم مع اجائهم ما لم يأت آباءهم الاقدمين
من كتاب او رسول او امن من عذاب ابدي فلم يخافوا كما خاف
آباؤهم الاقدمون كاسمعيل عليه السلام واعقابه فالهمزة هنا للانكار
ويجوز ان يكون المراد بالاولين الذين مضوا ممن سبقوا هم من الاقربين
الذين مقلدوهم فيكون الهمزة للتقرير ايضا ام لم يعرفوا رسولهم
...ان عما ذكر وانكار لعدم معرفتهم اياه لانهم عرفوه بالامانة والصدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم الى غير ذلك مما هو
...الانبياء فهم له منكرون تفريع على عدم معرفتهم اياه فيدخل تحت الاضراب والانكار ولا وجه لما قيل لا احد هذه الوجوه لان الآية
بعده من جملة الوجوه فلا وجه للفصل بينهما بما ذكر انتهى

حتى اذا اخذنا مترفيهم اي متنعميهم وهم الذين امدهم الله تعالى بما ذكر من المال والبنين وحتى مع كونها غاية لاعمالهم المذكورة مبتدأ لما بعدها
من الجملة الشرطية اي لا يزالون يعملون اعمالهم الى حيث اخذنا رؤساءهم بالعذاب قيل هو القتل والاسر يوم بدر وقيل هو الجوع
الذي اصابهم حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا
حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة والاولاد والحق انه العذاب الاخروي اذ هو الذي يفاجئون عنده الجؤار فيجابون
بالاقناط عن النصر واما عذاب يوم بدر من القتل والاسر حتما واما عذاب الجوع فان ابا سفيان وان تضرع فيه الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم لكن لم يرد عليه بالاقناط حيث روي انه صلى الله عليه وسلم قد دعا بكشفه عنهم ذلك اذا هم يجأرون اي فاجأوا
الصراخ بالاستغاثة من الله تعالى كقوله فاليه تجأرون وهو جواب الشرط وتخصيص مترفيهم

ما لم يأت آباءهم الاولين اي الامم المتقدمة ولذلك انكروه او المعنى بل اجاءهم من الامر الشديد ما لم يأت آباءهم
الاولين كابراهيم واسمعيل واولاده حين خافوا الله فآمنوا به وبكتبه ورسله واطاعوه فان هؤلاء من عدنان
وقحطان ام لم يعرفوا رسولهم اي بل الم يعرفوا نسب رسولهم محمد صلى الله عليه وسلم فهم له منكرون اي جاحدون
وهو استفهام توبيخ وانكار عليهم لاعراضهم عنه بعد معرفتهم اياه بصحة نسبه وامانته وصدقه وعقله وان
بانه خير فتيان قريش انتهى العيون

أم يقولون به جنة إضراب وانكار ايضا لقولهم به جنة لانهم
كانوا يعلمون انه ارجحهم عقلا واتقنهم رأيا واصوبهم نظرا
ويجوز ان يكون الهمزة للاستفهام وأم هي المتصلة ويكون الكلام على
طريق المجادلة بالتي هي احسن اي هذه الامور كائن كما تقول
المناظرة الامر لا يخلو من احد هذه الاقسام كلها باطلة الا القسم
الاول وهو عدم التدبر وعبر عنه بقوله بل جاءهم بالحق
واكثرهم للحق كارهون لمخالفة اهواءهم فلذلك لم يتدبروه
وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا
من توبيخ او لقلة فطنة ولعدم فكرة لا لكراهة الحق ولو اتبع
الحق على سبيل الفرض والتقدير كما يرضى الحالات اهواءهم
في الشرك بان كانت في الوجود آلهة شتى لفسدت السموات
والارض كما سبق تقريره في تفسير قوله لو كان فيهما آلهة الا الله
لفسدتا او ولو اتبع الحق الذي قام به السموات والارض
اهواءهم لانقلب باطلا ولذهب ما قام به العالم فلا يبقى شيء
منه او ولو اتبع الحق الذي جاء به محمد عليه السلام وهو الاسلام
اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيمة واهلك العالم من فرط
غضبه ولم يؤخر وانما ما قيل معناه ولو كان الله الها يتبع
اهواءهم ويأمر بالشرك والمعاصي لما كان الها ولكن شيطانا
ففيه ما لا يخفى وسوء ادب كما لا يخفى ومن فيهن خص العقلاء
تنبيها على ان وجود الغير تبع لهم بل اتيناهم بذكرهم بالكتاب
الذي هو ذكرهم اي وعظهم او وصيتهم وفخرهم او بالذكر الذي
كانوا يتمنونه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين فهم
عن ذكرهم معرضون لا يلتفتون اليه وانما اعاد الذكر
باسمه تفخيما وأم في قوله ام تسألهم خرجا منقطعة والخرج
ما تخرجه الى الامام من زكوة ارضك والى كل عامل من
اجرته وجعله وقيل ما يتبرع به والخراج ما لزمك اداؤه
والوجه ان الخرج اخص من الخراج كقولك خراج القرية
وخرج الكردة زادوا واللفظ لزيادة المعنى ولهذا احسنت وزيادته
القراءة الاولى يعني ام تسألهم على هدايتك لهم قليلا

أم يقولون به جنة جنون وليس كذلك لانهم يعلمون انه
ارجحهم عقلا واتقنهم ذهنا بل جاءهم بالحق الابلج والصراط
المستقيم وبما خالف شهواتهم واهواءهم وهو التوحيد والاسلام
ولم يجدوا له مردا ولا مدفعا فلذلك نسبوه الى الجنون واكثرهم
للحق كارهون وفيه دليل على ان اقلهم ما كان كارها للحق بل كان
تاركا للايمان به انفة واستكبارا من توبيخ قومه او ان يقولوا
صبا وترك دين آبائه كابي طالب ولو اتبع الحق اي الله اهواءهم
فيما يعتقدون من الالهة لفسدت السموات والارض
كما قال لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ومن فيهن خص العقلاء
بالذكر لان غيرهم تبع بل اتيناهم بذكرهم بالكتاب الذي هو ذكرهم
اي وعظهم او شرفهم لان الرسول منهم والقرآن بلغتهم او بالذكر
الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين
فهم عن ذكرهم معرضون بسوء اختيارهم ام تسألهم خرجا
فخراج ربك خير خرجا فخرج شامي خرجا فخراج حمزة وعلي
خراجا فخراج غيرهم وهو ما تخرجه الى الامام من زكوة ارضك
والى كل عامل من اجرته وجعله والخرج اخص من الخراج تقول
خراج القرية وخرج الكردة فزيادة اللفظ لزيادة المعنى
ولذلك حسنت القراءة الاولى يعني ام تسألهم على هدايتك
لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير وهو خير
الرازقين افضل المعطين وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم
وهو دين الاسلام تحقيقا له تحسينا لك وان الذين لا يؤمنون
بالآخرة عن الصراط لناكبون لعادلون عن هذا الصراط الذي
هو الصراط المستقيم ومائلون الى الباطل فمن مال الى الباطل
فقد هلك عقباه ولم ينج ابدا انتهى المدارك

من عطاء الخلق والكثير من عطاء الخالق خير ففيه مندوحة لك عن عطائهم وهو خير الرازقين تقرير لخيرية
وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم قد سبق تفسيره في الفاتحة والتنكير هنا للتعظيم وانا الزمهم الحجة وازاح العلة
التي تقتضي الانكار والارتياب وبين انتفاءها الا عدم التدبر وكراهتهم الحق لمخالفة اهواءهم واقام الدليل على امتناع
ما هم عليه من التقليد واتباع الهوى لما يلزم ذلك من الفساد الكلي ثبت ان ما عليه هو الصراط المستقيم الذي استقامته
بشهادة العقول السليمة والفطرة الصافية وانه يدعوهم اليه وانهم لكفرهم على الصراط المذكور لعادلون وانما عدل في قوله
وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون عن الضمير الى الموصول للتنصيص على علة عدولهم ويكون كالتعليل
على عدولهم لدخولهم في الموصول دخولا اوليا انتهى [illegible]

أم يقولون به جنة انتقال الى توبيخ آخر والهمزة لانكار الواقع كالاولى اي بل أيقولون به جنة اي جنون مع انه ارجح الناس عقلا
واثقبهم ذهنا واتقنهم رأيا واوفرهم رزانة ولقد روعي في هذه التوبيخات الاربعة التي اثنان منها متعلقان بالقرآن
والباقيان به عليه الصلوة والسلام الترقي من الادنى الى الاعلى حيث وبخوا اولا بعدم التدبر وذلك يتحقق مع كون القرآن
غير متعرض له بوجه من الوجوه ثم بتوقع شيء لو اتصف به القول لكان سببا لعدم تصديقهم به ثم وبخوا بما يتعلق
بالرسول صلى الله عليه وسلم من عدم معرفتهم به عليه السلام وذلك يتحقق بعدم المعرفة بخير ولا شر ثم بما لو كان فيه عليه السلام
ذلك لقدح في رسالته عليه السلام بل جاءهم بالحق اضراب عما يدل عليه ما سبق اي ليس الامر كما زعموا في حق القرآن والرسول
عليه السلام بل جاءهم عليه السلام بالحق اي الصدق الثابت الذي لا محيد عنه اصلا ولا مدخل فيه بوجه من الوجوه للقدح واكثرهم
للحق من حيث هو حق اي حق كان لا لهذا الحق فقط كما ينبئ عنه الاظهار في موقع الاضمار كارهون لما في جبلتهم من الزيغ
والانحراف المناسب للباطل ولذلك كرهوا هذا الحق الابلج وزاغوا عن الطريق لا

من الطريق الانهج وتخصيص اكثرهم بهذا الوصف لا يقتضي الا عدم كراهة الباقين لكل حق من الحقوق وذلك
لا ينافي كراهتهم لهذا الحق المبين فتأمل وقيل تقييد الحكم بالاكثر لانه منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه
او لقلة فطنته وعدم تفكره لا لكراهة الحق وانت خبير بان التعرض لعدم كراهة بعضهم للحق مع اتفاق الكل على الكفر به
مما لا يساعده المقام اصلا ولو اتبع الحق اهواءهم استيناف مسوق لبيان ان اهواءهم الزائغة التي ما كرهوا الحق
الا لعدم موافقته اياها مقتضية للطامة اي لو كان ما كرهوه من الحق الذي من جملته ما جاء به عليه السلام موافقا
لاهوائهم الباطلة لفسدت السموات والارض ومن فيهن وخرجت عن الصلاح والانتظام بالكلية لان مناط النظام
ليس الا ذلك وفيه من تنويه شأن الحق والتنبيه على سمو مكانه ما لا يخفى واما ما قيل لو اتبع الحق الذي جاء به
عليه السلام اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله تعالى بالقيمة ولاهلك العالم ولم يؤخر ففيه انه لا ايلاء فرض مجيئه عليه السلام به
لما قيل لو كان في الواقع الهان لا يناسب المقام واما ما قيل لو اتبع الحق اهواءهم لخرج عن الالهية مما احتماله لا
بل اتيناهم بذكرهم انتقال من تشنيعهم بكراهة الحق الذي به يقوم العالم الى تشنيعهم بالاعراض عما جبل عليه
كل نفس من الرغبة فيما فيه خيرها والمراد بالذكر القرآن الذي هو فخرهم وشرفهم حسبما ينطق به قوله تعالى وانه لذكر لك
ولقومك اي بل اتيناهم بفخرهم وشرفهم الذي كان يجب عليهم ان يقبلوا عليه اكمل اقبال فهم بما فعلوا من النكوص
عن فخرهم وشرفهم خاصة معرضون لا عن غير ذلك مما لا يوجب الاقبال عليه والاعتناء به وفي وضع الظاهر
موضع الضمير زيادة تشنيع لهم وتقريع والفاء لترتيب ما بعدها من اعراضهم عن ذكرهم على ما قبلها من اتيان ذكرهم
لا لترتيب الاعراض على الاتيان مطلقا فان المستتبع لكون اعراضهم عن ذكرهم هو اتيان ذكرهم لا الاتيان مطلقا
واسناد الاتيان بالذكر الى نون العظمة بعد اسناده الى ضميره عليه السلام تنويه لشأن النبي صلى الله عليه وسلم
وتنبيه على كونه بمثابة عظيمة منه عز وجل وفي ايراد القرآن الكريم عند نسبته اليه عليه السلام بعنوان الحقيقة

ام يقولون به جنة اي جنون وهم يعلمون انه من ارجحهم عقلا بل جاءهم بالحق اي القرآن والرسالة من عند الله ان لا تعبدوا الا الله
وما فيه من الشرائع للاسلام وهو يخالف اهوائهم واكثرهم للحق كارهون اي حاسدون واقلهم لا يكرهون لانه فيهم من
ترك الايمان استنكافا فاما من توبيخ قومه وان يقولوا صبا وترك دين آبائه ولو اتبع الحق اي الله تعالى او القرآن
اهواءهم بان شرعت الشرائع او نزل القرآن بمراداتهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن لانقلبت باطلا الاقوام لها
لانه لم يكن الها يقدر ان يمسكهما من ان تزولا او هلكت بالشرك ولم تؤخر بمجيء الله يوم القيمة بل اتيناهم بذكرهم اي بما يذكرهم
ويخوفهم وهو القرآن ليؤمنوا به فهم عن ذكرهم اي وعظهم بالقرآن معرضون بترك الايمان ام تسألهم خرجا اي تدعوهم
يا محمد الى الباطل ام تسألهم جعلا يمتنعون لذلك عن الايمان فخراج ربك اي ثوابه خير او رزقه من الحلال خير من جعلهم
وقرئ في الموضعين خراجا فخراج وخرجا فخراج والفرق بينهما ان الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه وهو خير
الرازقين اي افضل المعطين الرزق لاهله وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم وهو دين الاسلام لا عوج فيه وان الذين
لا يؤمنون بالآخرة اي البعث عن الصراط لناكبون اي عادلون عن الدين المستقيم
انتهى القبول

ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر اي من قحط وجوع نزل حين جاء ابو سفيان الى النبي صلى الله عليه وسلم وسأل منه ان يدعو
ربه ليرفع القحط عن قريش فقال الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء
بالجوع فادع ربك ليدفع الضر عنهم فاراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يدعو الله ليكشف الضر عنهم فقال الله ولو رحمناهم وكشفنا عنهم
الضر ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة الرسول والمؤمنين فقوله للجوا جواب لو اي لتمادوا
في طغيانهم وكفرهم يعمهون اي يتحيرون ويترددون ولقد اخذناهم اي الكفار بالعذاب اي الاسر والقتل ببدر
فما استكانوا من استفعل من الكون ومعنى استكان انتقل من كون الى كون اي وما انتقلوا من حالهم وما خضعوا لربهم
وما يتضرعون اي لم يتضرعوا وعادوا الى كونهم ولم يقل وما تضرعوا كقوله فما استكانوا ليدل على ان عادتهم ان لا يتضرعون
حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد كالجوع الذي هو اشد من القتل ببدر والاسر صح

(ن) وعقد نسبته اليه بعنوان الذكر من النكتة السرية والحكمة العبقرية ما لا يخفى فان التصريح بحقية المستلزمة لحقية ما جاء
هو الذي يقتضيه مقام حكاية ما قاله المبطلون في شأنه واما التشريف فانما يليق به تعالى لا اشعار رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصدا لمشرفين وقيل المراد بالذكر ما تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين وقيل وعظهم ليس في مثابة اعراضهم عن
شرفهم او عن ذكرهم الذي يتمنونه في الشناعة والقباحة ام تسألهم انتقال من توبيخهم بما ذكر من قولهم ام يقولون به جنة
الى التوبيخ بوجه آخر كانه قيل ام تزعمون انك تسألهم على اداء الرسالة خرجا اي جعلا فلاجل ذلك لا يؤمنون بك
وقوله فخراج ربك خير اي رزقه في الدنيا وثوابه في الآخرة تعليل لنفي السؤال المستفاد من الانكار اي لا تسألهم
فان ما رزقك الله في الدنيا والعقبى خير لك من ذلك وفي التعريض بعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
من تعليل الحكم وتشريفه عليه السلام ما لا يخفى والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك والخراج غالب في الضريبة
الارض وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك وقيل الخرج اخص من الخراج وفي النظم الكريم اشعار بالكثرة
وقرئ خرجا فخرج وخراجا فخراج وهو خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه تعالى وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم يشهد العقول
باستقامته ليس فيه شائبة اعوجاج توجب اتهامهم لك ولقد الزمهم الله تعالى وازاح عللهم
الآيات حيث حصر اقسام ما يؤدي الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهتهم للحق وقلة فطنتهم
لا يؤمنون بالآخرة وصفوا بذلك تشنيعا لهم بما هم عليه من الانهماك في الدنيا وزعمهم ان لا حيوة الا الحيوة
الدنيا واشعارا بعلة الحكم فان الايمان بالآخرة وخوف ما فيها من الدواهي من اقوى الدواعي الى طلب الحق
عن الصراط اي جنس الصراط لناكبون لعادلون فضلا عن الصراط المستقيم او عن الصراط المستقيم الذي
اليه والاول ادل على كمال ضلالهم وغاية غوايتهم لما انه ينبئ عن كون ما ذهبوا اليه مما لا يطلق عليه اسم
ولو كان معوجا

ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر لما اخذهم الله تعالى
بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال انشدك الله والرحم الست
تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال
قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت
والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو القحط الذي
اصابهم برحمته عليهم ووجدوا الخصب للجوا لتمادوا
في طغيانهم يعمهون يترددون اي لعادوا
الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولذهب عنهم هذا
التملق بين يديه ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا
لربهم وما يتضرعون استشهد على ذلك بانا اخذناهم
اولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر فما وجدت
بعد ذلك منهم استكانة اي خضوع ولا تضرع. و
ما يتضرعون عبارة عن دوام حالهم اي هم على ذلك
بعد ولذا لم يقل وما تضرعوا. واستكان
استفعل من الكون اي انتقل من كون الى كون
ومن حال الى حال حتى اذا فتحنا عليهم بابا
ذا عذاب شديد اي باب الجوع الذي هو اشد
من الاسر والقتل اذا هم فيه مبلسون متحيرون
آيسون من كل خير وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار
والافئدة خصها بالذكر لانه يتعلق بها من المنافع
الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها قليلا ما تشكرون
اي تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتاكيد بمعنى
حقا والمعنى انكم لم تعرفوا عظم هذه النعم وضيعتموها
عن مواضعها فلم تعملوا ابصاركم واسماعكم في آيات
الله تعالى وافعاله ولم تستدلوا بقلوبكم فتعرفوا المنعم
ولا تشركوا به شيئا انتهى المدارك

ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر القحط للجوا لتمادوا في طغيانهم
في افراطهم في الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين اي لعادوا الى ما كانوا عليه من اللجاج في الطغيان ولذهب
عنهم هذا الابلاس والتمسكن والتملق بين يديه ثم حمّوا يعمهون
عمهانين عن الهدى ثم استشهد على ذلك بقوله ولقد اخذناهم
بالعذاب اي القتل والاسر يوم بدر فما استكانوا لربهم وما لربهم
وما يتضرعون فما خضعوا وما تذللوا ولم يوجد منهم تضرع
استكان استفعل من الكون لان كونه كالمستحيل للمنتقل من حال
الى حال او افتعل من السكون اشبعت فتحته حتى اذا فتحنا
عليهم بابا ذا عذاب شديد باب الجوع الذي هو اشد من القتل
والاسر اذا هم فيه مبلسون الابلاس اليأس من كل خير وقيل
السكوت مع التحير اي فابلسوا ساعتئذ وخضعت رقابهم
حتى جاء اغناهم يستعطف روي انه لما اسلم ثمامة ابن اثال
الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من اهل مكة واخذهم الله
بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين
فقال بلى قال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت
وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون
قليلا نصب على المصدر وما زائدة للتوكيد بمعنى حقا اي شكرا قليلا
تشكرون حقا وانما خص السمع والابصار والافئدة بالذكر في مقام
الامتنان لانها اصول المدركات المنتفع بها في المنافع الدينية
والدنيوية ولا يكون الاستكمال الا بها فانه موقوف على الاعتبار
والاستماع والاستبصار بالنظر والاستدلال فهي اصول النعم الموجبة
للشكر ولما كان العمدة في الشكر استعمالها فيما خلقت لاجله ومقدمته
الاقرار بواجبها ومنشئها قال وهو الذي ذرأكم الآية ابو الكمال

ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر اي قحط وجدب للجوا
لتمادوا في طغيانهم افراطهم في الكفر والاستكبار وعداوة
الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يعمهون اي عامهين عن الهدى روي انه لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع
الميرة عن اهل مكة واخذهم الله بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له انشدك الله
والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت والمعنى لو كشفنا عنهم
ما اصابهم من القحط والهزال برحمتنا اياهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الافراط في الكفر والاستكبار ولذهب
عنهم هذا التملق والابلاس وقد كانوا كذلك وقوله تعالى ولقد اخذناهم بالعذاب استئناف مسوق للاستشهاد على مضمون
الشرطية والمراد بالعذاب ما نالهم يوم بدر من القتل والاسر وما اصابهم من فنون العذاب التي من جملتها القحط المذكور واللام جواب
قسم محذوف اي وبالله لقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم بذلك اي لم يخضعوا ولم يتذللوا على انه اما استفعال
من الكون لان الخاضع ينتقل من كون الى كون او افتعال من السكون قد اشبعت فتحته كمنتزاح في منتزح بل اقاموا على ما كانوا
عليه من العتو والاستكبار وقوله تعالى وما يتضرعون اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي وليس من عادتهم التضرع اليه تعالى
حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد هو عذاب الآخرة كما ينبئ عنه التهويل بفتح الباب والوصف بالشدة وقرئ فتحنا
شديدا اذا هم فيه مبلسون اي متحيرون آيسون من كل خير اي محناهم بكل محنة من القتل والاسر والجوع وغير ذلك فما روي منهم
لين مقادة وتوجه الى الاسلام قط واما ما اظهره ابو سفيان فليس من الاستكانة له تعالى هذا

هذا اذا هم فيه مبلسون اي آيسون من كل خير ورزق وقيل الابلاس السكوت مع التحير ثم ذكر ما ينبههم به عن
الاستدلال العقلي ليؤمنوا بالله ويوحدوه من قوله وهو الذي انشأ لكم اي خلق السمع والابصار والافئدة
لتعرفوا هذه النعم وتشكروا ربكم وانما خص هذه الثلثة لتعلق اكثر المنافع الدينية والدنيوية بها فمن
لم يعملها فيما خلقت له بمنزلة عادمها قليلا ما تشكرون اي لم تشكروه الا قليلا او لا اكثر انتهى العيون

هذا والتفرع اليه تعالى في شئ وانما هو نوع خضوع الى ان يتم غرضه فحاله كما قيل اذا جاع ضغا واذا شبع طغا واكثرهم
مستمرون على ذلك لياه يروا عذاب الآخرة فيه يبلسون وقيل المراد بالباب الجوع فانه اشد واعم من القتل والاسر
والمعنى اخذناهم اولا بما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم فما وجد منهم تضرع واستكانة حتى فتحنا
عليهم باب الجوع الذي هو اطم واتم فابلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاء كاعتاهم واشدهم شكيمة
في العناد يستعطف والوجه هو الاول وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار لتشاهدوا بها الآيات
التنزيلية والتكوينية والافئدة لتتفكروا بها ما تشاهدونه وتعتبروا اعتبارا لائقا قليلا ما تشكرون
اي شكرا قليلا غير معتد به تشكرون تلك النعم الجليلة لما ان العمدة في الشكر صرف تلك القوى التي هي في انفسها
نعم باهرة الى ما خلقت هي له وانتم تخلون بذلك اخلالا عظيما انتهى ابو السعود

ولما كان التعرض لشكر استعمالها فيما خلقت لاجله وهو مقدمة الايمان كان
لو اصلها وتشبثنا قال وهو الذي ذراكم في الارض خلقكم و
بثكم فيها بالتناسل واليه تحشرون تجمعون يوم القيمة بعد تفرقكم
وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار قد تشتق تغيير
اي هو المختص باعترافكم بانشاء الجوارح المذكورة وانشاءكم
والمختص بالاحياء والاماتة وله خاصة اختلاف الليل والنهار
وهو متولية لا يقدر على تصريفهما غيره والاختصاص مستفاد
من تقديم الظرف والقيد افلا تعقلون انعدم هذه الدلائل
الواضحة لا يعقلون بالنظر والاستدلال واستعمال المدركات
المذكورة ان الكل منا وان قدرتنا تعم الممكنات كلها وان البعث
من جملتها فلا ينكرونه والالتفات من التكلم الى الغيبة مما لا يخفى
فائدته من التعظيم كانه تنبيه وقرع العصا بالتكرير والافتنان
فيه وقرئ بالياء يعقلون على الالتفات ايضا او على ان
الخطاب اولا لتغليب المؤمنين بل قالوا اي كفار مكة مثل ما قال
الاولون كما قال الكفار قبلهم قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما
قد تشبق وجه تاخير قوله عظاما من قوله ترابا ائنا لمبعوثون
تكرار الهمزة للمبالغة في الانكار والاستبعاد والتاكيد بان و
اللام لتوجيه الانكار الى الجزم بالبعث واعتقاد تحققه
والايقان به كما عليه الرسول عليه السلام والمؤمنون ويخبرون عنه
لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا اي البعث من قبل من قبل مجيء محمد
صلى الله عليه وسلم ان هذا الا اساطير الاولين الاساطير جمع اسطورة
وهذا البناء لما يتلهى به كالاضحوكة والاعجوبة والعوبة وقيل
جمع اسطار جمع سطر وهي ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له
قل لمن الارض ومن فيها انما قيل من تغليبا للعقلاء اولانه يلزم
ان يكون له غيره من طريق الاولى ان كنتم تعلمون اي ان كنتم من
اهل العلم او من العالمين بذلك زيادة استهانة بهم وتقرير لفرط
جهالتهم سيقولون لله لانه مقرون بانه الخالق اي بعد ما قالوه
افلا تذكرون فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها كان قادرا على

وهو الذي ذراكم خلقكم وبثكم بالتناسل في الارض
واليه تحشرون تجمعون يوم القيمة بعد تفرقكم وهو الذي
يحيي ويميت اي يحيي النسم بالانشاء ويميتها بالافناء
وله اختلاف الليل والنهار اي مجيء احدهما عقيب الاخر
واختلافهما في الظلمة والنور او في الزيادة والنقصان
وهو مختص به ولا يقدر على تصريفهما غيره افلا تعقلون
فتعرفوا قدرتنا على البعث او فتستدلوا بالصنع على
الصانع فتؤمنوا بل قالوا اهل مكة مثل ما قال الاولون
اي الكفار قبلهم ثم بين ما قالوا بقوله قالوا ائذا متنا وكنا
ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون بتثنيتها نافع وحمزة وعلي وحفص
لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا اي البعث من قبل من قبل محمد
صلى الله عليه وسلم ان هذا الا اساطير الاولين جمع اسطار
جمع سطر وهي ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له او جمع اسطورة
ومحاورته تم امر بنبيه صلى الله عليه وسلم باقامة الحجة على
المشركين بقوله قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون
فانهم سيقولون لله لانهم مقرون بانه الخالق فاذا قالوها
قل لهم افلا تذكرون فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها
كان قادرا على اعادة الخلق وكان حقيقا بان لا يشرك
به بعض خلقه بالربوبية افلا تذكرون بالتخفيف حمزة وعلي
وحفص قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم
سيقولون لله قل افلا تتقون افلا تخافونه فلا
تشركوا به او افلا تتقونه في جحودكم قدرته على البعث مع اعترافكم
بقدرته على خلق هذه الاشياء انتهى المدارك

اعادة الخلق وكان حقيقا بان لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم في توصيفه بالعظيم
تصغير للسموات السبع مع هذه العظمة في جنبه وهذا غاية التعظيم سيقولون لله لان ذلك ايضا قد تقرر عند العرب باخبار اهل الكتاب
وقرئ الله بغير لام فيه وفيما بعده على ما يقتضيه لفظ السؤال والاول محمول على المعنى لان قوله معناه لله هذه الاشياء وهذا جواب صحيح
كما قال الشاعر اذا قيل من رب العباب بموقف ورب الجياد والجرد قيل لخالد قل افلا تتقون افلا تخافونه فلا تشركوا به ولا تنكروا قدرته على
مقدور

وهو الذي ذراكم في الارض اي خلقكم وبثكم فيها بالتناسل واليه تحشرون اي تجمعون يوم القيمة بعد تفرقكم لا الى غيره فما لكم لا تؤمنون به ولا تشكرونه
وهو الذي يحيي ويميت من غير ان يشاركه في ذلك شيء من الاشياء وله خاصة اختلاف الليل والنهار اي هو المؤثر في اختلافهما اي تعاقبهما او اختلافهما
ازديادا وانتقاصا او اثره وقضائه اختلافهما افلا تعقلون اي الا تتفكرون فلا تعقلونه او اتتفكرون فلا تعقلون بالنظر والتامل
ان الكل منا وان قدرتنا تعم جميع الممكنات التي من جملتها البعث وقرئ يعقلون على ان الالتفات الى الغيبة لحكاية سوء حال المخاطبين لغيرهم وقيل
على ان الخطاب الاول لتغليب المؤمنين وليس بذاك بل قالوا عطف على مضمر يقتضيه المقام اي فلم يعقلوا بل قالوا مثل ما قال الاولون اي اباؤهم ومن
دان بدينهم قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون تفسير لما قبله من المبهم وتفصيل لما فيه من الاجمال وقد مر الكلام فيه لقد وعدنا نحن
هذا اي البعث من قبل متعلق بالفعل من حيث اسناده الى ابائهم لا اليهم اي ووعدنا اباؤنا من قبل او بمحذوف وقع حالا من اباؤنا اي كائنين
من قبل ان هذا اي ما هذا الا اساطير الاولين اي اكاذيبهم التي سطروها جمع اسطورة كاحدوثة واعجوبة وقيل جمع اسطار جمع سطر
قل لمن الارض ومن فيها من المخلوقات تغليبا للعقلاء على غيرهم ان كنتم تعلمون جوابه محذوف ثقة بدلالة الاستفهام عليه اي ان كنتم تعلمون
فاخبروني به فان ذلك كاف في الجواب وفيه من المبالغة في وضوح الامر وفي تجهيلهم بالاخفى او ان كنتم تعلمون ذلك فاخبروني به وفيه استهانة
وتقرير لجهلهم ولذلك اخبر بجوابهم قبل ان يجيبوا حيث قيل سيقولون لله لان بديهة العقل تضطرهم الى الاعتراف بانه تعالى خالقها

قل اي عند اعترافهم بذلك تبكيتا لهم افلا تذكرون اي اتعلمون ذلك او اتقولون ذلك فلا تتذكرون ان من فطر الارض
وما فيها ابتداء قادر على اعادتها ثانيا فان البدء ليس باهون من الاعادة بل الامر بالعكس في قياس العقول وقرئ تتذكرون
على الاصل قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم اعيد الرب تنويها لشان العرش ورفعا لمحله من ان يكون تبعا للسماوات
وجودا وذكرا ولقد روعي في الامر بالسؤال الترقي من الادنى الى الاعلى سيقولون لله باللام نظرا الى معنى السؤال فان
قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد وقرئ هو وما بعده بغير لام نظرا الى لفظ السؤال قل اقحاما لهم وتوبيخا افلا تتقون
اي اتعلمون ذلك ولا تتقون انفسكم عقابه بعدم العمل بموجب العلم حيث تكفرون وتنكرون البعث وتثبتون له شريكا في الربوبية
انتهى ابو السعود

وهو الذي ذرءكم اي خلقكم في الارض واليه تحشرون في الاخرة وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار
اي ذهابه ومجيئه افلا تعقلون صنع ربكم فتوحدوه وتؤمنوا بالبعث الذي اخبركم عنه بالقران بل قالوا مثل ما قال الاولون
قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون اي انبعث بعد ما كنا ترابا وعظاما لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا
من قبل اي قبل محمد ان اي ما هذا القول الا اساطير الاولين اي احاديثهم بالكذب قل يا محمد لكفار مكة لمن الارض تحرزون
تحت السماء ومن فيها من انواع الخلق ان كنتم تعلمون ان احدا يفعل ذلك غير الله سيقولون لله لا غير قل افلا تذكرون
اي الا تتعظوا فتتذكرون الادلة الدالة على الصانع فتؤمنوا بانه قادر على اعادة الخلق بعد الموت انتهى الخبوي

يشاركه في الالوهية كما يقول عبدة الاوثان وغيرهم اذن لذهب كل اله بما خلق جواب لمحاجتهم وجزاء الشرط قد حذف لدلالة ما قبله
عليه اي لو كان معه الهة كما يزعمون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم التغالب
والتحارب كما هو الجاري فيما بين الملوك ولعلا بعضهم على بعض فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء وهو باطل لا يقول به
عاقل قط مع قيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب الوجود واحد بالذات سبحان الله عما يصفون اي يصفونه
من ان يكون له اندادا واولادا عالم الغيب والشهادة بالجر على انه بدل من الجلالة وقيل صفة لها وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا
محذوف واياما كان فهو دليل اخر على انتفاء الشريك بناء على توافقهم في تفرده تعالى بذلك ولذلك رتب عليه بالفاء قوله
فتعالى الله عما يشركون فان تفرده تعالى موجب لتعاليه عن ان يكون له شريك   انتهى ابو السعود

قل من بيده ملكوت كل شيء اي خزائنه او قدرته خلقه وهو يجير اي يغيث ويؤمن من العذاب ولا يجار عليه اي لا يغاث عليه
او هو يقضي ولا يقضى عليه ان كنتم تعلمون ذلك سيقولون الله قل فانى تسحرون اي تخدعون بالشيطان والهوى
وتصرفون عن الايمان بالحق وقرئ لله باللام دون الالف وهو مطابق لقوله لمن الارض وقوله الله مطابق لقوله من رب
السموات وكذا قوله الله الاخير موافق لقوله من بيده وقرئ الاخيرتان باللام ايضا حملا على المعنى لانك اذا قلت من رب هذا
فكانك لمن هذا باللام ليوافق الجواب السؤال بل اتيناهم بالحق اي بالتوحيد او بالقراءة (?) وانهم لكاذبون في ادعائهم الشريك
وتكذيب الرسل واكد كذبهم بقوله ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اي من شريك قوله اذا يدخل على جواب وجزاء
وهو لذهب كل اله بما خلق ولم يتقدمه شرط لكن قوله وما كان معه من اله يدل على شرط محذوف تقديره ولو كان معه
الهة لانفرد كل اله بما خلق واستبد به دون الاله الاخر ولعلا اي لغلب بعضهم على بعض كما ترون حال ملوك الدنيا
ولاختل نظام العالم بالتماس بعضهم قهر بعض وطلب الجمع الى امر نفسه كل ما خلق بالاستيلاء وحيث لم يختل فاعلموا
انه اله واحد بيده ملكوت كل شيء سبحان الله عما يصفون له من الشريك والولد عالم الغيب والشهادة اي عالم السر
والعلانية فتعالى اي تنزه عما يشركون به مما لا يعلم شيئا من الغيب والشهادة وقرئ عالم بالجر نعت لله في قوله سبحان
وبالرفع خبر المبتدا المحذوف   انتهى العيون (?)

قل من بيده ملكوت كل شيء الملكوت الملك والواو والتاء
للمبالغة فينبئ عن عظم الملك وهو يجير ولا يجار عليه
ان كنتم تعلمون اجرته فلانا على فلان اذا اغثته منه
ومنعته يعني وهو يغيث من يشاء ممن يشاء
ولا يغيث احد منه احدا سيقولون لله قل فانى
تسحرون تخدعون عن الحق او عن توحيده والخادع
هو الشيطان والهوى الاول بالاجماع اذ السؤال لمه (?)
وكذا الثاني والثالث عند غير اهل البصرة على المعنى
لانك اذا قلت من رب هذا فمعناه لمن هذا فيجاب
لفلان ومن قرا بحذفه فعلى الظاهر لانك اذا قلت
من رب هذا فجوابه فلان بل اتيناهم بالحق بان نسبة
الولد اليه محال والشرك باطل وانهم لكاذبون
في قولهم اتخذ الله ولدا وادعائهم الشريك ثم اكد
كذبهم بقوله ما اتخذ الله من ولد لانه منزه عن النوع
والجنس وكذا الرجل من جنسه وما كان معه من اله
وليس معه شريك في الالوهية اذا لذهب كل اله بما خلق
لانفرد كل واحد من الالهة بالذي خلقه واستبد به
وتميز كل واحد منهم عن الاخر ولعلا بعضهم على بعض
ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم
متمايزة وهم متغالبون وحين لم تروا اثرا لتمايز الممالك
والتغالب فاعلموا انه اله واحد بيده ملكوت كل شيء سبحان
الله عما يصفون من الانداد والاولاد عالم الغيب بالجر صفة
لله وبالرفع مدني وكوفي غير حفص خبر مبتدا محذوف
والشهادة اي العلانية فتعالى عما يشركون من الاصنام وغيرها   انتهى المدارك
ولا يقال اذن لا يدخل الا على كلام هو جزاء وجواب
وهنا وقع لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل
لان الشرط محذوف تقديره لو كان معه الهة لدلالة وما كان
معه من اله عليه وهو جواب لمن حاجه من المشركين   مدارك

قل من بيده ملكوت كل شيء مالكيته ومدبريته قيل الملكوت
الملك والواو والتاء للمبالغة فينبئ عن عظم الملك وهو يجير وهو
يغيث من يشاء ممن يشاء من اجرت فلانا على فلان اذا اغثته منه
ومنعته ولا يجار عليه ولا يغيث احد منه احدا وتعديته بعلى
لتضمين معنى النصرة ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى
تسحرون تخدعون فتصرفون عن توحيده وطاعته مع ظهور
الامر وتظاهر الادلة وفي هذه الاسولة استهانة بهم وتقرير
لفرط جهالتهم في الامور الدينية حيث جهلوا مثل هذا الجلي الواضح
والزام بما لا يمكن لمن له ادنى مسكة من العلم انكاره ولذلك
اخبر عن جوابهم قبل ان يجيبوا بقوله سيقولون لله لان العقل
الصريح قد اضطرهم الى الاجابة بما اجاب به فلا يمكن عاقلا ان
يجيب بجواب اخر ثم انه روعي في السؤال قضية الترقي فسئل
عمن له الارض وما فيها ثم سئل عمن بيده ملكوت كل شيء فاتى
باعم العام وكلمة الاحاطة واوثر الملكوت وهو الملك الواسع
وقيل بيده تصويرا وتخييلا وكذلك روعي هذه النكتة في
الفواصل فعبروا بعدم التذكير فان ادنى النظر يكفي في الخلال (?)
ما عندهم ثم بعدم الاتقاء وفيه وعيد ثم بالتعجب من خدع
عقولهم بتخيل الباطل حقا والحق باطلا واني لها التذكير والخوف
بل اتيناهم بالحق بالتوحيد واستحالة نسبة الولد والشريك اليه
وانهم لكاذبون حيث انكروا ذلك وادعوا اليه ولدا ومعه شريكا
ما اتخذ الله من ولد لتقدسه على مماثلة احد وما كان معه
في الوجود من اله يساهمه في الالوهية اذا جواب لمحاجتهم
وجزاء لشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه اي لو كان معه الهة
كما يقولون اذا لذهب كل اله بما خلق لانفرد بخلقه الذي خلقه
واستبد به ولرأيتم امتياز ملك كل واحد عن ملك الاخرين
ووقع بينهم التحارب والتغالب ولعلا بعضهم على بعض
ويغلب بعضهم بعضا كما هو حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم
متغالبون وحين لم تروا اثر تمايز الممالك والتغالب فاعلموا
انه اله واحد بيده ملكوت كل شيء واما ما قيل فلم يكن بيده ملكوت كل شيء ولم يكن واحد منهم الها مطلقا واللازم باطل بالاجماع والاستقراء
وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب واحد فيرد عليه ان الاجماع والاستقراء لا يناسب المقام واما البرهان
فانما قام على وجوب انتهاء سلسلة الموجودات الى واجب بالذات ولا يلزم منه ان لا يتعدد الواجب ولا يكون في الوجود
سلاسل تنتهي بعضها الى واجب وبعضها الى واجب اخر سبحان الله عما يصفون عما يصفونه به من نسبة الولد والشريك اليه
لما سبق من الدليل على فساده عالم الغيب والشهادة خبر مبتدا محذوف وقرئ بالجر على الصفة دليل اخر على نفي الشريك بناء
على توافقهم في انه المتفرد بذلك ولذلك رتب عليه فقال فتعالى الله عما يشركون بالفاء   انتهى بكماله

قل من بيده ملكوت كل شيء مما ذكر ومما لم يذكر اي ملكه التام القاهر وقيل خزائنه وهو يجير اي يغيث غيره اذا شاء ولا يجار عليه اي ولا يغيث احد
عليه اي لا يمنع احد منه بالنصر عليه ان كنتم تعلمون اي شيئا ما او ذلك فاجيبوني على ما سبق سيقولون لله اي لله ملكوت كل شيء وهو الذي
يجير ولا يجار عليه قل فانى تسحرون اي فمن اين تخدعون وتصرفون عن الرشد مع علمكم به الى ما انتم عليه من الغي فان من لا يكون مسحورا
مختل العقل لا يكون كذلك بل اتيناهم بالحق الذي لا محيد عنه من التوحيد والوعد بالبعث وانهم لكاذبون فيما قالوا من الشرك وانكار
البعث ما اتخذ الله من ولد كما يقوله النصارى والقائلون ان الملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وما كان معه من اله

الثبة ... ربي ... من يبعث ... ربي ... رب ارجعون ... يوم يبعثون

قل رب اما ترينّي ما يوعدون ان هي للشرطية وما والنون مؤكدان بمعنى الشرط وجواب الشرط فلا تجعلني اي كان لا بد من ان ترينّي ما نعدهم من العذاب في الدنيا او في الآخرة رب تكراره بين الشرط والجزاء ندآء معترض للتنبيه على فضل التضرع والجواب فلا تجعلني في القوم الظالمين اي فلا تجعلني قرينا لهم في العذاب عن الحسن اخبره الله تعالى ان له في امته نقمة ولم يخبره اذ في حيوته ام بعد موته فامره ان يدعوا بهذا الدعاء وهو اما لهضم النفس والقيام بحق العبودية مع علمه بانه لا يفعله واما للاعلام بان شوم الظلمة قد يحيق بمن ورائهم لقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون كانوا يستعجلون العذاب انكارا وعنادا ويضحكون منه استهزاء فقيل لهم ان الله تعالى قادر على انجاز ما وعد عاجلا لكن يؤخره علما بان بعضهم او بعض اعقابهم يؤمنون او لا يعذبهم وانت فيهم وقيل قد اراه يوم بدر او يوم فتح مكة ادفع بالتي هي احسن السيئة حثه على مكرمة هي افضل المكارم ما لم يؤمروا اي عم في الدين او في الدين او ازراء بالمروة وهو ابلغ من ان يقال بالحسنة السيئة لما فيه من صيغة التفضيل والاجمال والتفصيل بابهام الموصول وبتبيين الصلة اي رد على الصفح عن الاسائة المقابلة السيئة بما يمكن من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح والاحسان وبذل الوسع فيه كانت حسنة مضاعفة بازاء سيئة ودفعا لها بالتي هي احسن نحن اعلم بما يصفون اي بما يصفونك به من صفات السوء او بوصفهم لك وسوء ذكرهم وهو وعيد لهم وتسلية له عليه السلام اي والله اعلم تعويهم وفعلهم وهو مجازيهم وقل رب اعوذ بك امره بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل الى ربه المكرر لندائه تفرعا وابتهالا وبالتعوذ من ان يحضروه او يحوموا حوله من همزات الشياطين شبه حث الشياطين الناس على المعاصي بالوساوس بهمز المراضة للدواب على المشي بالمهماز والجمع اما لتعدد الوساوس او لتنوعها او لتنوع المضاف اليه وتعددهم واعوذ بك رب ان يحضرون عن ابن عباس تلاوة القرآن وعن عكرمة رض عند النزع وقيل عند الصلوة والتخصيص باحدها لانها احرى الاحوال بان يخاف عنه

قل رب اما ترينّي ما يوعدون ما والنون مؤكدتان اي ان كان لا بد من ان ترينّي ما تعدهم في العذاب في الدنيا او في الآخرة رب فلا تجعلني في القوم الظالمين اي فلا تجعلني قرينا لهم ولا تعذبني بعذابهم عن الحسن اخبر الله تعالى ان له في امته نقمة ولم يخبره وقتها فامر ان يدعو بهذا الدعاء ويجوز ان يسأل النبي المعصوم ربه ما علم انه يفعله وان يستعيذ به مما علم انه لا يفعله اظهارا للعبودية وتواضعا لربه واستغفاره صلى الله عليه وسلم اذا قام من مجلسه سبعين مرة لذلك والفاء للجواب ورب اعتراض بينهما للتاكيد وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه فقيل لهم ان الله قادر على انجاز ما وعد ان تاملتم فما وجه هذا الانكار ادفع بالتي هي احسن السيئة هو ابلغ من ان يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كانه قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى الصفح عن اسائتهم ومقابلتها بما امكن من الاحسان وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي شهادة ان لا اله الا الله والسيئة الشرك او الفحش بالسلام او المنكر بالموعظة وقيل هي منسوخة باية السيف وقيل هي محكمة اذ المداراة محثوث عليها ما لم تؤد الى ثلم دين نحن اعلم بما يصفون من الشرك او بوصفهم لك وسوء ذكرهم فنجازيهم عليه وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين من وساوسهم ونخساتهم والهمز النخس والهمزات جمع المرة ومنه مهماز الرائض والمعنى ان الشياطين يحثون الناس على المعاصي كما يهمز الراضة الدواب حثا لها على المشي واعوذ بك رب ان يحضرون امر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل الى ربه المكرر انتهى المدارك

قل رب اما ترينّي اي ان كان لا بد من ان ترينّي ما يوعدون من العذاب الدنيوي المستاصل واما العذاب الاخروي فلا يناسبه المقام رب فلا تجعلني في القوم الظالمين اي قرينا لهم فيما هم فيه من العذاب وفيه ايذان بكمال فظاعة ما وعدوه من العذاب وكونه بحيث يجب ان يستعيذ منه من لا يكاد يمكن ان يحيق به ورد لانكارهم اياه واستعجالهم به على طريقة الاستهزاء به وقيل امر به عليه السلام هضما لنفسه وقيل لان شوم الكفرة قد يحيق بمن وراءهم كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وروي انه تعالى اخبر نبيه عليه السلام بان له في امته نقمة ولم يطلعه على وقتها فامره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل من الشرط والجزاء به لابراز كمال الضراعة والابتهال وانا على ان نريك ما نعدهم من العذاب لقادرون ولكنا نؤخره لعلمنا بان بعضهم او بعض اعقابهم سيؤمنون او لانا لا نعذبهم وانت فيهم وقيل قد اراه ذلك وهو ما اصابهم يوم بدر او فتح مكة ولا يخفى بعده فان المتبادر ان يكون ما يستحقونه من العذاب الموعود عذابا هائلا مستاصلا لا يظهر على يديه صلى الله عليه وسلم للحكمة الداعية اليه ادفع بالتي هي احسن السيئة هو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها لكن لا بحيث يؤدي الى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل وتقديم الجار والمجرور على المفعول للاهتمام نحن اعلم بما يصفون اي بما يصفونك به او بوصفهم اياك على خلاف ما انت عليه وفيه وعيد لهم بالجزاء والعقوبة وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وارشاد له صلى الله عليه وسلم الى تفويض امره اليه وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين اي وساوسهم المغرية على خلاف ما امرت به من المحاسن التي من جملتها دفع السيئة بالحسنة واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم للناس على المعاصي بهمز الرائض الدواب على الاسراع او الوثب والجمع للمرات او لتنوع الوساوس او لتعدد المضاف اليه واعوذ بك رب ان يحضرون امر صلى الله عليه وسلم بان يعوذ به وعرض الابتهال في الاستدعاء اي اعوذ بك من ان يحضروني ويحوموا حولي في حال من الاحوال وتخصيص حال الصلوة وقراءة القرآن كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وحال حلول الاجل كما روي عن عكرمة رح لانها احرى الاحوال بالاستعاذة منها حتى جاء الا

ابو السعود رحمه الله

قل رب اما ترينّي بزيادة ما والنون المؤكدتين اي ان ترينّي ما يوعدون من العذاب فامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يطلب ان لا يقارنهم في العذاب بعد علمه بالوعد انه تعالى يفعله بهم يعني ان ترينّي عذابهم البتة في الدنيا وفي الآخرة رب فلا تجعلني في القوم الظالمين بعذابهم وكرر رب لفضل التضرع له وانما امره بهذا الدعاء مع انه معصوم هضما لنفسه واظهارا للعبودية وانا على ان نريك ما نعدهم من العذاب لقادرون وقد اراه ببدر وفتح مكة وغيرهما قوله ادفع امر من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بالعفو عنهم اي ادفع بالتي هي احسن السيئة اي بالخصلة التي هي احسن الخصال اي بحلمك جهلهم والاغضاء والصفح عن اسائتهم او بالسلام اذا لقيتهم وقيل ادفع بقول لا اله الا الله السيئة اي الشرك منهم وهذه منسوخة باية السيف ثم هددهم بقوله نحن اعلم بما يصفون لنا من الشريك والولد فلا تعجل انت وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين اي من وساوسهم التي يحثون الناس بها على المعاصي واعوذ اي اعتصم بك رب ان يحضرون اي من ان يحضروني مطلقا او عند تلاوة القرآن او عند الموت او عند الصلوة واصله ان يحضروني فحذف احدى النونين بان تم حذف ياء المتكلم اكتفاء بالكسرة انتهى العيون

والجمع باعتبار المعنى لانه في حكم كلهم كما ان الافراد في الضماير الاول باعتبار اللفظ برزخ حايل بينهم وبين الرجعة الى يوم يبعثون يوم القيمة
وهو اقناط كلي عن الرجعة الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجعة يومئذ الى الحيوة الاخروية فاذا نفخ في الصور
لقيام الساعة وهي النفخة الثانية التي يقع عندها البعث والنشور وقيل المعنى فاذا نفخ في الاجساد ارواحها على ان الصور
جمع الصورة لا القرن ويؤيده القراءة بفتح الواو وبه مع كسر الصاد فلا انساب بينهم تنفعهم لزوال التراحم و
التعاطف من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه او لا انساب
يفتخرون بها يومئذ كما هي بينهم اليوم ولا يتساءلون اي لا يسئل بعضهم بعضا لاشتغال كل منهم بنفسه ولا ينافيه
قوله فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون لان هذا عند ابتداء النفخة الثانية وذلك بعد ذلك فمن ثقلت موازينه

[انتهى ابو السعود رحمه الله]

حتى اذا جاء احدهم الموت اي انهم لا يزالون يشركون بالله الى وقت مجيء الموت اليهم فحتى متعلق بيصفون
وما بينهما اعتراض لتاكيد اغضائه عنهم مستعينا بالله من ان يستزله الشيطان عن الحلم او تقديره امهلهم في كفرهم حتى
اذا حضر احدهم الموت كافرا قال رب ارجعون خطاب لله بلفظ الجمع للتعظيم اي الكافر يقول ردوني الى الدنيا
وقيل خطاب لملك الموت واعوانه لعلي اعمل صالحا اي خالصا فيما تركت من الايمان في الدنيا يعني لعلي اومن واعمل فيه عملا
صالحا يرضي به ربي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا عاين المؤمن الملايكة قالت له نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار
الاحزان والهموم بل قدوما الى الله وأما الكافر فيقول رب ارجعون الى الدنيا فقال الله كلا هو ردع عن طلب الرجعة
واستبعاد بذلك اي انه لا يرد الى الدنيا انها اي مقالته وهي لعلي اعمل صالحا كلمة هو قائلها تحسرا على تفريطه قيل
لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه او هو قائلها وحده لا يجاب اليها ولا يسمع منه ومن ورائهم برزخ
الضمير للجماعة اي من امامهم حاجز يصدهم عن الرجوع وهو القبر الى يوم يبعثون يعني لا يرجعون ابدا وهو اقناط كلي
لهم عن الرجوع لما علم انه لا رجعة بعد البعث الا الى الاخرة او البرزخ ما بين النفختين فاذا نفخ في الصور وهي النفخة الاخيرة
فلا انساب بينهم اي لا ينفعهم النسب يومئذ يعني اذا بعث الناس فلا انساب بينهم يتواصلون او يتفاخرون
اذ الانساب ينقطع بينهم يوم القيمة حيث يتفرقون للعقاب او للثواب الا نسب الدين لزوال التراحم والتعاطف
بين الاقارب لشدة اليوم لانه يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه ولا يتساءلون اي يسئل حميم حميما
ولا يشكل هذا بقوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون لان للساعة مواطن لا يسألون في موطن اذ كل مشغول
عن سؤال صاحبه بحاله لشدة الهول فلا يتعارفون وفي موطن يفيقون فيتساءلون لانهم فيه يتعارفون

[انتهى العيون]

حتى اذا جاء احدهم الموت حتى يتعلق بما يصفون اي
لا يزالون يشركون الى وقت مجيء الموت او لا يزالون
على سوء الذكر الى هذا الوقت وما بينهما مذكور على
وجه الاعتراض والتاكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله
تعالى على الشيطان ان يستزله عن الحلم ويغريه
على الانتصار منهم قال رب ارجعون ردوني
الى الدنيا خاطب الله بلفظ الجمع للتعظيم كخطاب
الملوك لعلي اعمل صالحا فيما تركت في الموضع الذي تركت
وهو الدنيا لانه ترك الدنيا وصار الى العقبى قال قتادة
ما تمنى ان يرجع الى اهل ولا الى عشيرة ولكن ليتدارك
ما فرط كلا ردع عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد
انها كلمة المراد بالكلمة الطايفة من الكلام المنتظم بعضها
مع بعض وهو قوله رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت
هو قائلها لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء
الحسرة والندم عليه ومن ورائهم اي امامهم و
الضمير للجماعة برزخ حايل بينهم وبين الرجوع الى الدنيا
الى يوم يبعثون ولم يرد انهم يرجعون الى الدنيا
يوم البعث وانما هو اقناط كلي لما علم انه لا رجوع
بعد البعث الا الى الاخرة فاذا نفخ في الصور قيل انها
النفخة الثانية فلا انساب بينهم يومئذ يعني يقع
التقاطع بينهم حيث يتفرقون مثابين ومعاقبين
ولا يكون التواصل بينهم بالانساب اذ يفر المرء
من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه وانما يكون
بالاعمال ولا يتساءلون سؤال تواصل كما كانوا
يتساءلون في الدنيا لان كلا مشغول عن سؤال
صاحبه بحاله ولا تناقض بين هذا وبين قوله
واقبل بعضهم على بعض يتساءلون فللقيمة مواطن
ففي موطن يشتد عليهم الخوف فلا يتساءلون
وفي موطن يفيقون فيتساءلون

[انتهى]

حتى اذا جاء احدهم الموت يتعلق بيصفون غاية لها
اي لا يزالون يذكرونك بسوء الى هذا الوقت وما بينهما اعتراض
للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان ان يستنزله عن
الحلم ويغريه على الانتصار منهم او بقوله انهم لكاذبون
قال تحسرا على تفريط السابق لما اطلع على الامر اللاحق رب
ارجعون ردوني الى الدنيا والخطاب بلفظ الجمع للتعظيم
او لتكرير ارجعني كما قيل في قفا واطرق وهو يناسب
الجواب والتفرع لعلي اعمل صالحا فيما تركت في الايمان
الذي تركته اي لعلي اتي بما تركته من الايمان واعمل فيه صالحا
وقيل فيما تركت من المال او في الموضع الذي تركت كلا ردع
عن طلب الرجعة واستبعاد لها انها كلمة اي طايفة من الكلام
المنتظم بعضها مع بعض وهو قول رب ارجعون الخ هو قائلها
لا محالة لا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة والندامة عليه
او هو قائلها وحده لا يجاب اليها ولا تسمع منه ومن ورائهم
امامهم والضمير للجماعة برزخ البرزخ قال الضحاك هو الحاجز
بين الدنيا والاخرة وقيل بينهم وبين الرجوع الى الدنيا واياه
قول الى يوم يبعثون لانه لا يصلح غاية لعدم الرجوع
المذكور والعلم بانه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا يفيد
الاقناط الكلي عن الرجوع الى الدنيا ولكنه لا يصلح امر الغاية
فاذا نفخ في الصور للبعث والنشور والقراءة بفتح الواو
وبه وبكسر الصاد تريد ان الصورة ايضا جمع الصورة اذ
الاصل في القراءة التوافق فلا انساب بينهم يومئذ
المنفي نفع الانساب لا نفسها فان لكل احد يومئذ نسبا
اكتسب لا ما انتسب قيل لزوال التعاطف والتراحم من
فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه
وامه وابيه وصاحبته وبنيه وفيه نظر ولا يتساءلون
كما يفعلون اليوم وهذا ليس عقيب نفخة البعث بل بعد زمان
لقوله يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا فانه صريح في انهم يتساءلون
وقوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال ابن عباس رضي الله عنه
ذلك عند القيام بالنفخة الثانية والفاء الجزائية لا تدل على التعقيب

[انتهى ابو السعود رحمه الله]

[انتهى]

حتى اذا جاء احدهم الموت حتى هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهي
مع ذلك غاية لما قبلها متعلقة بيصفون وما بينهما اعتراض مؤكد للاغضاء والاستعاذة به تعالى من الشياطين ان يزلوه عليه السلام عن الحلم
ويغروه على الانتقام لكن لا بمعنى انه العامل فيه لفساد المعنى بل بمعنى انه معمول لمحذوف يدل عليه ذلك ويتعلق بكاذبون في غاية
البعد لفظا ومعنى اي يستمرون على الوصف المذكور حتى اذا جاء احدهم اي احد كان الموت الذي لا مرد له وظهرت له احوال
الاخرة قال تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة رب ارجعون اي ردني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعني كما قيل في
قفا نبك ونظايره لعلي اعمل صالحا فيما تركت اي في الايمان الذي تركته لم ينظمه في سلك الرجاء كساير الاعمال الصالحة بان يقول لعلي
اومن فاعمل الخ للاشعار بانه امر مقرر الوقوع غني عن الاخبار بوقوعه قطعا فضلا عن كونه مرجو الوقوع اي لعلي اعمل في الايمان الذي اتي به
البتة عملا صالحا وقيل فيما تركته من المال او من الدنيا وعنه صلى الله عليه وسلم اذا عاين المؤمن الملايكة قالوا انرجعك الى الدنيا فيقول
الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله واما الكافر فيقول ارجعوني الخ كلا ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها انها اي قوله رب ارجعون الخ
كلمة هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة عليه ومن ورائهم اي امامهم والضمير لاحدهم

[الاعمال]

فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم قد سبق تفسيره في سورة الاعراف في جهنم خالدون بدل من خسروا انفسهم والجملتان في حكم الصلة فلا محل لها من الاعراب او خبر بعد خبر لاولئك فهو في محل الرفع كالذين خسروا انفسهم او خبر مبتدا محذوف تلفح وجوههم النار تحرقها قال الزجاج اللفح كالنفخ الا ان اللفح اشد تاثيرا وهم فيها كالحون من شدة الاحتراق والكلوح ان تتقلص الشفتان وتشمرا عن الاسنان كما ترى الرؤوس المشوية روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تشويه النار فتتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته الم تكن اياتي تتلى عليكم على اضمار القول اي يقال لهم الم تكن اياتي تتلى عليكم في الانذار فكنتم بها تكذبون تعنيف وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب بسببه قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ملكتنا من قولك غلبني فلان على كذا اذا اخذه منك وامتلكه والشقاوة سوء العاقبة وقرئ شقوتنا وشقاوتنا بفتح الشين وكسرها كالسعادة والكتابة اي غلبت علينا الاعمال الردية والاحوال القبيحة التي شقينا بها وكنا قوما ضالين عن الحق والصواب وليس هذا باعتذار بل هو اعتراف منهم بسوء الصنيع ولا صحة لما قيل غلبت علينا ما كتب علينا من الشقاوة لانه انما يكتب ما يفعل العبد وما يعلم انه يختاره ولا يكتب غير الذي علم انه مختار والعلم تابع للمعلوم لا العكس فلا يكون مغلوبا ومضطرا في الفعل بسبب التقدير الازلي قال ربنا اخرجنا منها من النار فان عدنا الى الكفر والتكذيب فانا ظالمون لانفسنا قال اخسؤوا فيها انزجروا فيها اذلاء انزجار الكلاب اذا زجرت يقال خسا الكلب وخسا ته لازما ومتعديا شبهوا بالكلب في الذلة والهوان فطردوا باخسؤوا ولا تكلمون في رفع العذاب او ولا تكلمون اصلا قيل هو اخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون

انتهى ابو حيان

فمن ثقلت موازينه جمع موزون وهي الموزونات من الاعمال الصالحة التي لها وزن وقدر عند الله تعالى من قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه بالسيئات والمراد الكفار فاولئك الذين خسروا انفسهم غبنوها في جهنم خالدون بدل من خسروا انفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها او خبر بعد خبر لاولئك او خبر مبتدا محذوف تلفح وجوههم اي تحرق النار وهم فيها كالحون عابسون فيقال لهم الم تكن اياتي اي القران تتلى عليكم في الدنيا فكنتم بها تكذبون وتزعمون انها ليست من الله تعالى قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ملكتنا شقاوتنا حمزة وعلي وكلاهما مصدر اي شقينا باعمالنا السيئة التي عملناها وقول اهل التاويل غلبت علينا من الشقاوة لا يصح لانه انما يكتب ما يفعل العبد وما يعلم انه يختاره ولا يكتب غير الذي علم انه يختاره فلا يكون مغلوبا مضطرا في الفعل وهذا لانهم انما يقولون ذلك اعتذارا لما كان منهم من التفريط في امره فلا يحتمل ان يطلبوا لانفسهم عذرا فيما كان منهم وكنا قوما ضالين عن الحق والصواب ربنا اخرجنا منها من النار فان عدنا الى الكفر والتكذيب فانا ظالمون لانفسنا قال اخسؤوا فيها اسكتوا سكوت ذلة وهوان ولا تكلمون في رفع العذاب عنكم فانه لا يرفع ولا يخفف قيل هو اخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير ويصير لهم عواء كعواء الكلب لا يفهمون ولا يفهمون روي عن عبد الله بن عمرو ان اهل جهنم يدعون مالكا خازن جهنم اربعين عاما يا مالك ليقض علينا ربك فلا يجيبهم ثم يقول انكم ماكثون ثم ينادون ربهم ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيدعهم مثل عمر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم اخسؤوا فيها ولا تكلمون فما ينبس القوم بعد ذلك بكلمة ان كان الا الزفير والشهيق وقال القرطبي اذا قيل لهم اخسؤوا فيها ولا تكلمون انقطع رجاؤهم واقبل بعضهم ينبح في وجه بعض واطبقت عليهم كذا في المعالم

فمن ثقلت موازينه موزونات حسناته من العقايد والاعمال اي فمن كانت له عقايد صحيحة واعمال صالحة يكون لها وزن وقدر عند الله فاولئك هم المفلحون الفايزون بكل مطلوب الناجون عن كل مهروب ومن خفت موازينه اي ومن لم يكن له من العقايد والاعمال ما له وزن وقدر عنده تعالى وهم الكفار لقوله تعالى ولا نقيم لهم يوم القيمة وزنا وقد مر تفصيل ما في هذا المقام من الكلام في تفسير سورة الاعراف فاولئك الذين خسروا انفسهم ضيعوها بتضييع زمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها واسم الاشارة في الموضعين عبارة عن الموصول وجمعه باعتبار معناه كما ان افراد الضميرين في الصلتين باعتبار لفظه في جهنم خالدون بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك تلفح وجوههم النار تحرقها واللفح كالنفخ الا انه اشد تاثيرا منه وتخصيص الوجوه بذلك لانه اشرف الاعضاء فبيان حالها ازجر عن المعاصي المؤدية الى النار وهو السر في تقديمها على الفاعل وهم فيها كالحون

ازجر

من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين من الاسنان وقرئ كلحون الم تكن اياتي تتلى عليكم على اضمار القول اي يقال لهم تعنيفا وتوبيخا وتذكيرا لما به استحقوا ما ابتلوا به من العذاب الم تكن اياتي تتلى عليكم في الدنيا فكنتم بها تكذبون حينئذ قالوا ربنا غلبت علينا اي ملكتنا شقوتنا التي اقترفناها بسوء اختيارنا كما ينبئ عنه اضافتها الى انفسهم وقرئ شقوتنا بالفتح وشقاوتنا ايضا بالفتح والكسر وكنا بسبب ذلك قوما ضالين عن الحق ولذلك فعلنا ما فعلنا من التكذيب وهذا كما ترى اعتراف منهم بان ما اصابهم قد اصابهم بسوء صنيعهم واما ما قيل من انه اعتذار منهم بغلبة ما كتب عليهم من الشقاوة الازلية فمع انه باطل في نفسه لما انه لا يكتب عليه من السعادة والشقاوة الا ما علم الله تعالى انهم يفعلونه باختيارهم ضرورة ان العلم تابع للمعلوم يرده قوله تعالى ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون اي اخرجنا من النار وارجعنا الى الدنيا فان عدنا بعد ذلك الى ما كنا عليه من الكفر والمعاصي فانا متجاوزون الحد في الظلم ولو كان اعتقادهم انهم مجبورون على ما صدر عنهم لما سالوا الرجعة الى الدنيا ولما وعدوا الايمان والطاعة بل قولهم فان عدنا صريح في انهم حينئذ على الايمان والطاعة وانما الموعود على تقدير الرجعة الى الدنيا الثبات عليهما لا احداثهما قال اخسؤوا فيها اي اسكتوا في النار سكوت هوان وذلوا وانزجروا انزجار الكلاب اذا زجرت من خسات الكلب اذا زجرته فخسا اي انزجر ولا تكلمون اي باستدعاء الاخراج من النار والرجع الى الدنيا وقيل لا تكلمون في رفع العذاب ويرده التعليل الاتي وقيل لا تكلمون راسا وهو اخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلب لا يفهمون ولا يفهمون ويرده الخطابات الاتية قطعا

ابو السعود رحمه الله

فمن ثقلت موازينه اي اعمال الصالحة على الاعمال السيئة فاولئك هم المفلحون اي الناجون من العذاب في الاخرة ومن خفت موازينه اي ثقلت اعماله السيئة على اعماله الصالحة فاولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون اي دائمون قوله في جهنم خالدون بدل من خسروا انفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها من الاعراب قيل الكفار ياتون يوم القيمة باعمال كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا لقوله فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا تلفح من لفحته النار او السموم اذا تغيرت منه لون البشرة يعني تنفخ وتحرق وجوههم النار وهم فيها اي في النار كالحون اي عابسون بادية اسنانهم كما ترى الرؤوس المشوية والكلوح ان تتقلص الشفتان وتشمرا عن الاسنان روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان النار تشويه فتتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته ثم يقال لهم الم تكن اياتي تتلى عليكم اي الم يقرا القران الذي فيه بيان هذا اليوم وشدته فكنتم بها اي بالايات تكذبون اي تنكرون قالوا اي اجابوا بقولهم ربنا غلبت علينا اي ملكتنا شقوتنا وقرئ شقاوتنا اي سوء العاقبة الذي كتب علينا في اللوح المحفوظ وكنا اي وصرنا قوما ضالين عن الهدى بعد دخولهم النار يقولون ربنا اخرجنا منها اي النار فان عدنا اي ان رجعنا الى الكفر او الى العقاب فانا ظالمون فلا يجابون مدة الدنيا مرتين قال اي ثم يقول لهم ملك اخسؤوا فيها اي ابعدوا في جهنم اذلاء

انه ان الامر والشان كان فريق من عبادي يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا مفعول ثان وبالضم مدني وحمزة وعلي وكلاهما مصدر سخر كالسخر الا ان في ياء النسبة مبالغة قيل هم الصحابة وقيل اهل الصفة خاصة رضي الله عنهم ومعناه اتخذتموهم هزوا وتشاغلتم بهم ساخرين حتى انسوكم بتشاغلكم بهم على تلك الصفة ذكري فتركتموه اي كان التشاغل بهم سببا لنسيانكم ذكري وكنتم منهم تضحكون استهزاء بهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا بصبرهم انهم هم الفائزون ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا اي جزيتهم اليوم فوزهم لان جزى يتعدى الى اثنين وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا انهم حمزة وعلي على الاستيناف اي انهم هم الفائزون لا انتم قال الله او المامور بسؤالهم من الملائكة قل مكي وعلي امر للملك ان يسألهم كم لبثتم في الارض الدنيا عدد سنين اي كم عدد سنين لبثتم فكم نصب بلبثتم وعددكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصروا مدة لبثهم في الدنيا بالاضافة الى خلودهم ولما هم فيه من عذابها لان الممتحن يستطيل ايام محنته ويستقصر ما مر عليه من ايام الدعة فسأل العادين الحساب او الملائكة الذين يعدون اعمار العباد واعمالهم فسل بلا همز مكي وعلي قال ان لبثتم الا قليلا اي ما لبثتم الا زمنا قليلا او لبثا قليلا لو انكم كنتم تعلمون صدقهم الله في تقالهم لسني لبثهم في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها قل ان حمزة وعلي

انتهى المدارك

انه كان اي الشان وقرئ بالفتح اي لانه كان تعليل لوجوب اندراجهم فريق من عبادي يعني المؤمنين وقيل هم الصحابة رضي الله عنهم وقيل اهل الصفة خاصة يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا في تفريع طلب المغفرة والرحمة على الايمان دلالة على كفايته فيهما وانت ارحم الراحمين فاتخذتموهم سخريا هزوا اي تشاغلتم باستهزائهم حتى انسوكم بكثرة تشاغلكم بهم ذكري اي تركتم ان تذكروني فتخافوني في اوليائي والسخري بالضم والكسر مصدر سخر كالسخر الا ان في ياء النسب زيادة قوة في الفعل ومبالغة كما قيل الخصوصية في الخصوص وعن الكسائي والفراء ان المكسور من الهزؤ والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية اي تسخيرهم واستبعدوهم والاول مذهب الخليل وسيبويه وكنتم منهم تضحكون استهزاء بهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا على اذاكم انهم بالفتح ثاني مفعول جزيتهم وبالكسر استيناف كانه لما ابهم الجزاء للتعظيم ولم يبينه الجهة ان يسأل سائل كيف حالهم قال انهم هم الفائزون مخصوصون بالفوز بجميع مراداتهم قال اي الله او المامور بسؤالهم من الملائكة وقرئ على الامر للملك ولبعض رؤساء اهل النار كم لبثتم في الارض في الدنيا احياء وامواتا في القبور عدد سنين اي كم عدد سنين لبثتم فكم نصب بلبثتم وعدد بكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصروا مدة لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم في النار او لانها كانت ايام سرورهم وايام السرور قصار او لانها منقضية والمنقضي في حكم المعدوم الذي يستحق ان يعبر عنه بالقلة فسأل العادين الذين يتمكنون من عد ايامها ان اردت تحقيقها فانا لما نحن فيه من العذاب مشغولون من تذكرها واحصائها او الملائكة الذين يعدون اعمار الناس ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالفتح ضعيف اي الظلمة فانهم يقولون ما نقول وقرئ العادين اي القدماء المعمرين فانهم يستقصرونها فكيف عن دونهم قال وقرئ قل ان لبثتم الا قليلا اي ما لبثتم الا زمنا قليلا لو انكم كنتم تعلمون صدقهم الله في تقليلهم لسني لبثهم في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها انتهى البيضاوي

انه تعليل لما قبله من الزجر عن الدعاء اي ان الشان وقرئ بالفتح اي لان الشان كان فريق من عبادي وهم المؤمنون وقيل هم الصحابة وقيل اهل الصفة رضوان الله عليهم اجمعين يقولون في الدنيا ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا اي اسكتوا عن الدعاء بقولكم ربنا الخ لانكم كنتم تستهزؤون بالداعين بقولهم ربنا امنا الخ وتشاغلتم باستهزائهم حتى انسوكم اي الاستهزاء بهم ذكري من فرط اشتغالكم باستهزائهم وكنتم منهم تضحكون وذلك غاية الاستهزاء وقوله اني جزيتهم اليوم بما صبروا بسبب صبرهم على اذيتكم وقوله انهم هم الفائزون ثاني مفعولي استيناف لبيان حسن حالهم وانهم انتفعوا بما اذوهم اي جزيتهم فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وقرئ بكسر الهمزة على انه تعليل للجزاء وبيان لكونه في غاية ما يكون من الحسن قال اي الله عز وجل او الملك المامور بذلك تذكيرا لما لبثوا فيما سألوا الرجوع اليه من الدنيا بعد التنبيه على استحالته بقوله اخسؤوا فيها الخ وقرئ قل على الامر للملك كم لبثتم في الارض التي تدعون ان ترجعوا اليها عدد سنين تمييز لكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصارا لمدة لبثهم فيها فاسأل العادين اي المتمكنين من العد فانا بما دهمنا من العذاب بمعزل من ذلك او الملائكة العادين لاعمار العباد 5

واعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي المعتدين فانهم ايضا يقولون ما نقول كانهم الاتباع يسمون الرؤساء بذلك لظلمهم اياهم باضلالهم وقرئ العاديين اي القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرون مدة لبثهم قال اي الله تعالى او الملك وقرئ قل كما سبق ان لبثتم الا قليلا تصديقا لهم في ذلك لو انكم كنتم تعلمون اي تعلمون شيئا او لو كنتم من اهل العلم والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اي لعلمتم يومئذ قلة لبثكم فيها كما علمتم اليوم ولعملتم بموجبه ولم تخلدوا اليها انتهى ابو السعود رحمه الله

انه كان فريق من عبادي وهم المؤمنون تعليل لاستحقاقهم ذلك العذاب اي لان الشان كان جماعة من المؤمنين يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا قرئ بضم السين من التسخير والخدمة اي سخرتموهم واستعبدتموهم وبالكسر بمعنى الهزؤ ويؤكده قوله وكنتم منهم تضحكون يعني استهزأتموهم حتى انسوكم اي انساكم استهزاؤكم ذكري اي ذكركم اياي والخوف مني والعمل بطاعتي وكنتم منهم تضحكون في الدنيا وهم جماعة من المسلمين كبلال وعمار وسلمان وصهيب رضي الله عنهم كان المشركون يسخرون بهم وبسلامهم ويؤذونهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا اي النعيم المقيم بصبرهم على اذاكم انهم هم الفائزون بمطلوبهم قرئ بكسر ان وبفتحها على انه مفعول الجزاء ثم قرئ قال اي الله تعالى وهو يسألهم وقرئ امر للملك ان يسألهم كم لبثتم في الارض عدد سنين في الدنيا او في القبر فاستقصروا مدة لبثهم ويشكوا فلهذا قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قرئ بالهمز وتركه قوله فاسأل العادين اي الملائكة المحصين اعمال الخلق واعمارهم ونحن لا نعلم عدد تلك السنين لانا مشغولون عن ذلك بما يأتينا من شدة العذاب قيل انساهم ما كانوا فيه من العذاب ما بين النفختين قال اي الملك ان لبثتم في الدنيا او في القبر الا لبثا قليلا لان ايام السرور قليلة وايام المحنة طويلة لو انكم كنتم تعلمون مدة لبثكم لما اجبتم بهذا الجواب انتهى العيون

الجرة

أفحسبتم توبيخ أخر على تغافلهم وتجهيل مع انكار أنما خلقناكم عبثا
حال أي عابثين أو مفعول له أي ما خلقناكم للعبث وانما خلقناكم
لنعيدكم ونجازيكم على أعمالكم وهو كالدليل على البعث وأنكم إلينا
لا ترجعون عطف على أنما خلقناكم ويجوز أن يكون معطوفا
على عبثا أي للعبث ولترككم غير مرجوعين وقرئ ترجعون
بفتح التاء فتعالى الله من أن يخلق عبثا تعليل لما تقدم
الملك الحق الذي يحق له الملك لأن كل شيء منه وإليه
أو الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه ومن عداه
مملوك بالذات مالك بالعرض زائل الملك لا إله إلا هو
فإن ما عداه عبيده رب العرش الذي يحيط بالأجرام الكريم
بالجر على أنه صفة العرش وإنما وصف بالكريم لأن الرحمة و
الخير والبركة الإلهية تنزل منه ويجوز أن يكون توصيفه
بالكرم لنسبته إلى أكرم الأكرمين مجازا كما يقال بيت كريم
إن كان ساكنوه كراما وقرئ بالرفع على أنه صفة الرب
ومن يدع مع الله إلها آخر يعبده إفرادا أو إشراكا
لا برهان له به صفة أخرى لإله أي لا حجة له عليه لأن البرهان
عقلي أو نقلي وليس في واحد منهما ما يجوز أن يكون معه
إله آخر وهذا وإن كان مذكورا في موضع الصفة فليس
للتمييز لأن الباطل يعجز أن يكون له دليل ضعيف فضلا
عن برهان ولكنه جيء به للتأكيد وبناء الحكم بالوعيد عليه
تنبيها على أن التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عما دل
الدليل على خلافه أو اعتراض بين الشرط والجزاء لبيان
الملازمة كقولك من أحسن إلى زيد لا أحق بالإحسان
منه مثله قوله فإنما حسابه عند ربه كناية عما ذكر أي
فهو مجاز إنما يستحقه إنه أي أن الشأن وقرئ بالفتح أي لأنه
أو على أنه خبر أي حسابه هو أنه لا يفلح الكافرون من
باب وضع الظاهر موضع المضمر إذ أصله حسابه أنه لا يفلح
هو لأن من يدع في معنى الجمع فمعنى حسابه أنه لا يفلح
حسابهم أنهم لا يفلحون فغير تفظيعا لشأنهم وتفضيحا لصورة

أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا حال أي عابثين أو
مفعول له للعبث وأنكم إلينا لا ترجعون بفتح التاء
وكسر الجيم حمزة وعلي ويعقوب وهو معطوف على أنما خلقناكم
أو على عبثا أي للعبث ولترككم غير مرجوعين بل خلقناكم
للتكليف ثم للرجوع من دار التكليف إلى دار الجزاء
فنثيب المحسن ونعاقب المسيء فتعالى الله عن أن يخلق عبثا
الملك الحق الذي يحق له الملك لأن كل شيء منه وإليه
أو الثابت الذي لا يزول ملكه لا إله إلا هو رب العرش الكريم
وصف العرش بالكرم لأن الرحمة تنزل منه أو لنسبته إلى أكرم
الأكرمين وقرئ شاذا برفع الكريم صفة للرب ومن يدع
مع الله إلها آخر لا برهان له به اعتراض بين الشرط
والجزاء كقولك من أحسن إلى زيد لا أحق منه بالإحسان
منه فالله مثيبه أو صفة لازمة جيء بها للتوكيد كقوله
يطير بجناحيه لا أن يكون في الآلهة ما يجوز أن يقوم عليه
برهان فإنما حسابه أي جزاؤه وهذا جزاء الشرط عند ربه
أي فهو مجاز له لا محالة إنه لا يفلح الكافرون جعل فاتحة
السورة قد أفلح وخاتمتها إنه لا يفلح الكافرون فشتان
ما بين الفاتحة والخاتمة ثم علمنا سؤال المغفرة والرحمة بقوله
وقل رب اغفر وارحم المؤمنين في الرحمة زيادة على المغفرة
ثم قال وأنت خير الراحمين لأن رحمته إذا أدرك أحدا
أغنته عن رحمة غيره ورحمة غيره لا تغنيه عن رحمته انتهى المدارك
نفى الفلاح للكفار مطلقا ووعد الفلاح للمؤمنين المطيعين
مطلقا فلما كان المؤمن العاصي على خوف أن تكذيب منه أمر نبيه
صلى الله عليه وسلم بهذا الدعاء تعليما لأمته أن يقولوا ليغفر الله
لهم ذنوبهم فيصلوا إلى الفلاح وهو أمر له صلى الله عليه وسلم
أن يقول رب اغفر أي للمؤمنين والمؤمنات وارحمهم فيكون
الدعاء منه ولكن لهم كذا في التيسير

حالهم وإيماء إلى أن عدم الفلاح لكفرهم وصيغة الجمع للتنبيه على أنه لا يغني اجتماعهم وإن كان الظاهر أن يؤتى بصيغة الإفراد
لأن الفلاح منتف عن جنسهم وزاد بين فاتحة السورة وخاتمتها بقوله قد أفلح المؤمنون في الفاتحة وإنه لا يفلح الكافرون
في الخاتمة ثم علمنا سؤال المغفرة والرحمة بقوله وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين لأن رحمته إذا أدركت أحدا أغنته
عن رحمة غيره ورحمة غيره
لا تغني عن رحمته
انتهى كلامه رحمه الله

أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا أي ألم تعلموا شيئا فحسبتم أنما خلقناكم بغير حكمة بالغة حتى أنكرتم البعث
فعبثا حال من نون العظمة أي عابثين أو مفعول له أي أنما خلقناكم للعبث وأنكم إلينا لا ترجعون عطف على أنما
فإن خلقكم بغير بعث من قبيل العبث وإنما خلقناكم لنعيدكم ونجازيكم على أعمالكم وقرئ ترجعون بفتح التاء من الرجوع
فتعالى الله استعظام له تعالى ولشؤونه التي تصرف عليها عباده من البدء والإعادة والإثابة والعقاب بموجب الحكمة البالغة
أي ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين في ذاته وصفاته وأحواله وأفعاله وعن خلو أفعاله عن الحكم والمصالح والغايات الحميدة
الملك الحق الذي يحق له الملك على الإطلاق إيجادا وإعداما بدءا وإعادة وإحياء وإماتة وعقابا وإثابة وكل ما سواه مملوك له
مقهور تحت ملكوته لا إله إلا هو فإن كل ما عداه عبيده رب العرش الكريم فكيف بما تحته ومحاط به من الموجودات

كائنا ما كان ووصفه بالكرم إما لأنه ينزل الوحي الذي منه القرآن الكريم أو الخير والبركة والرحمة أو لنسبته إلى أكرم الأكرمين
وقرئ الكريم بالرفع على أنه صفة الرب كما في قوله تعالى ذو العرش المجيد ومن يدع مع الله إلها آخر يعبده إفرادا أو إشراكا
لا برهان له به صفة لازمة لإلها كقوله تعالى يطير بجناحيه جيء بها للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على أن التدين
بما لا دليل عليه باطل فكيف بما شهدت بديهة العقول بخلافه أو اعتراض بين الشرط والجزاء كقولك من
أحسن إلى زيد لا أحق منه بالإحسان فالله مثيبه فإنما حسابه عند ربه فهو مجاز له على قدر ما يستحقه إنه لا يفلح الكافرون
أي أن الشأن إنه لا يفلح الكافرون وقرئ بالفتح على أنه تعليل أو خبر ومعناه حسابه عدم الفلاح والأصل حسابه
أنه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لأن من يدع في معنى الجمع وكذلك حسابه أنه لا يفلح في معنى حسابهم
أنهم لا يفلحون بدئت السورة الكريمة بتقرير فلاح المؤمنين وختمت بنفي الفلاح عن الكافرين ثم أمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالاستغفار والاسترحام فقيل وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين إيذانا بأنهما من أهم الأمور الدينية
حيث أمر به من قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكيف بمن عداه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر عينه عند نزول ملك الموت وعنه عليه السلام أنه قال لقد
أنزلت علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر وروي أن أولها وآخرها
من كنوز الجنة من عمل بثلاث آيات من أولها واتعظ بأربع من آخرها نجا وأفلح   انتهى أبو السعود رحمه الله

أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا أي تخلقكم عابثين أو للعبث أي لتلعبوا وتكونوا كالبهائم بل الحكمة اقتضت ذلك وهو أن تعرفونا
وتعبدونا والمعنى أحسبتم أنكم تهملون فلا تؤمرون ولا تنهون وأنكم إلينا لا ترجعون عطف على أنما يعني أظننتم أنكم لا ترجعون
إلينا في الآخرة فنجازيكم وقرئ بفتح التاء وكسر الجيم وبضم التاء وفتح الجيم فتعالى الله أي تعاظم عن الخلق بالعبث
الملك الحق الذي لا تزال ذاته ولا ملكه لأنه لا يخلق الأشياء كائنة بالحق لا بالباطل لا إله إلا هو رب العرش الكريم أي السرير
الذي ينزل منه الرحمة والبركة ومن يدع مع الله إلها آخر شرط وقوله لا برهان له به أي بدعائه معه ذلك تأكيد لا كطائر
يطير بجناحيه يعني صفة لازمة له لا أن يكون في الآلهة ما يجوز أن يقوم عليه برهان وقوله فإنما حسابه عند ربه
جواب من يدع إنه لا يفلح الكافرون بيان للجزاء أي إنه لا ينجو من عذابه ووضع الكافر موضع الضمير لأن من يدع في معنى
الجمع أو حسابه عند ربه عدم الفلاح قوله وقل رب اغفر وارحم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يسأل المغفرة والرحمة
لنفسه وللمؤمنين تعريضا للكفار أي يا رب تجاوز عني وعن جميع من آمن بي وأنت خير الراحمين أي أنت أرحم من غيرك
وإنما جمع بين المغفرة والرحمة لأنه قد يوجد مغفرة بلا رحمة كما لأصحاب الأعراف هذا ما أورده   انتهى العيون

سورة النور مدنية بسم الله الرحمن الرحيم قوله سورة خبر مبتدأ محذوف أي ما أوحينا إليك سورة أو مبتدأ محذوف الخبر وأنزلناها
صفة لها أي فيما أوحينا إليك سورة أنزلناها وفرضناها بالتخفيف أي أوجبنا العمل بما فيها من الفروض وبالتشديد أي
فصلنا أحكامها التي فيها وأنزلنا فيها آيات أي في هذه السورة آيات بالأمر والنهي بينات أي بلغتكم لعلكم تذكرون أي لكي تتعظوا
فتؤمنوا قوله الزانية والزاني مبتدأ أن خبرهما محذوف عند سيبويه أي فيما فرضنا عليكم الزانية والزاني أي جلدهما أو الخبر فاجلدوا
وادخلت فيه الفاء لكون الألف واللام بمعنى الذي وهو متضمن معنى الشرط كأنه قيل من زنى فاجلدوا وهو في حكم من ليس بمحصن فإن حكم
المحصن الرجم لا يقال إنه عام يتناول المحصن وغيره فيقتضي تعليق الحكم بهما جميعا لأنا نقول الزانية والزاني يدلان على معنى الجنسية
وهو قائم في الكل والبعض وإنما قصد المتكلم فلا يراد عليه كالمشترك يعني أمرنا كل واحد منهما مائة جلدة وقدم الزانية على الزاني
هنا لكونها مادة الجناية الناشئة عنها ومائة نصب على المصدرية والجلد ضرب الجلد كقولك بطنه وظهره ورأسه
وشرائط الإحصان عند أبي حنيفة رحمه الله ستة الإسلام والحرية والعقل والبلوغ والنكاح الصحيح والدخول فلا إحصان
عند فقد واحد منها وعند الشافعي رحمه الله ليس الإسلام شرطا لأن النبي صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين وحجة أبي حنيفة رض
قوله صلى الله عليه وسلم من أشرك بالله فليس بمحصن وأجيب بأن المراد منه ليس بمحصن بإحصان الزنا ولا تأخذكم بهما رأفة قرئ
بالحركة بالأمرين وبها كوجه المد وهي المرحمة والشفقة أي لا يأخذكم اللين والميل في استيفاء حدود الله كما منها ولكن
تصلبوا في دين الله أي في حكمه اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها قوله إن كنتم
تؤمنون بالله واليوم الآخر تهييج أي تحريك وإلهاب للغضب لله ولدينه وفي الحديث صلا

مع ما عطف عليه صفات لها مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة من حيث الذات بالفخامة من حيث الصفات • واما كونها مبتدا محذوف الخبر على ان يكون التقدير فيما اوحينا اليك سورة انزلناها فيأباه ان مقتضى المقام بيان شان هذه السورة الكريمة لا ان في جملة ما اوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم سورة شانها كذا وكذا • وحملها على السورة الكريمة بمعونة المقام يوهم ان غيرها من السور الكريمة ليست على تلك الصفات • وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره انزلناها فلا محل له حينئذ من الاعراب • او على تقدير اقرأ ونحوه او دونك عند من يسوغ حذف اداة الاغراء • فمحل انزلناها النصب على الوصفية وفرضناها اي اوجبنا ما فيها من الاحكام ايجابا قطعيا • وفيه من الايذان بغاية وكادة الفرضية ما لا يخفى • وقرئ فرضناها بالتشديد لتأكيد الايجاب او لتعدد الفرائض او لكثرة المفروض عليهم من السلف والخلف وانزلنا فيها اي اردنا الايات التي نيطت بها الاحكام المفروضة وهو الاظهر فكونها في السورة ظاهر ومعنى كونها بينات وضوح دلالتها على احكامها لا على معانيها على الاطلاق فانها اسوة لسائر الايات في ذلك • وتكرير انزلنا مع استلزام انزال السورة لانزالها لابراز كمال العناية بشانها وان اريد جميع الايات فالظرفية باعتبار اشتمال الكل على كل واحد من اجزائه • وتكرير انزلنا مع ان جميع الايات عين السورة وانزالها عين انزالها لاستقلالها بعنوان رائق داع الى تخصيص انزالها بالذكر بانه لخطرها ورفعا لمحلها كقوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ بعد قوله تعالى نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا لعلكم تذكرون بحذف احدى التائين • وقرئ بادغام الثانية في الذال اي تتذكرونها فتعملون بموجبها عند وقوع الحوادث الداعية الى اجراء احكامها • وفيه ايذان بان حقها ان تكون على ذكر منهم بحيث متى مست الحاجة اليها استحضروها الزانية والزاني شروع في تفصيل ما ذكر من الايات البينات وبيان احكامها • والزانية هي المراة المطاوعة للزنا الممكنة منه كما ينبئ عنه الصيغة لا المزنية كرها • وتقديمها على الزاني لانها الاصل في الفعل لكون الداعية فيها اوفر ولولا تمكينها منه لم يقع ورفعهما على الابتداء والخبر قوله تعالى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط اذ اللام بمعنى الموصول والتقدير التي زنت والذي زنا كما في قوله تعالى واللذان ياتيانها منكم فآذوهما وقيل الخبر محذوف اي فيما انزلنا او فيما فرضنا الزانية والزاني اي حكمهما وقوله تعالى فاجلدوا الخ بيان لذلك الحكم وكان هذا عاما في حق المحصن قطعا ويكفينا في تعيين الناسخ القطع بانه عليه السلام قد رجم ماعزا وغيره فيكون من باب نسخ الكتاب بالسنة المشهورة وفي الايضاح الرجم حكم ثبت بالسنة المشهورة المتفق عليها فجازت الزيادة بها على الكتاب • وروي عن علي رضي الله عنه جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نسخ باية منسوخة التلاوة هي الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم • ويأباه ما روي عن علي رضي الله عنه ولا تأخذكم بهما رافة وقرئ بفتح الهمزة وبالمد ايضا على فعالة اي رحمة ورقة في دين الله في طاعته واقامة حده فتعطلوه او تسامحوا فيه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سرقت فاطمة لقطعت يدها ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر من باب التهييج والالهاب فان الايمان بهما يقتضي الجد في طاعته تعالى والاجتهاد في اجراء احكامه • وذكر اليوم الاخر لتذكير ما فيه من العقاب في مقابلة المسامحة والتعطيل وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين اي لتحضره زيادة في التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة حول الشيء من الطوف واقلها ثلاثة كما روي عن قتادة وعن ابن عباس رضي الله عنهما اربعة الى اربعين وعن الحسن عشرة والمراد جمع يحصل به التشهير والزجر انتهى ابو السعود رحمه الله

صح وفي الحديث يؤتى بوال نقص من حد سوطا فيقال له لم نقصت فيقول رحمة لعبادك فيقال له انت ارحم مني فانطلقوا به الى النار ويؤتى بوال زاد سوطا فيقال له لم زدت فيقول لينتهوا عن معاصيك فيؤمر به الى النار • وعن ابي هريرة رضي الله عنه اقامة حد بارض خير لاهلها من مطر اربعين ليلة فيجلد الرجل قائما وليس عليه الا ازاره جلدا وسطا لا مبرحا ولا هينا مفرقا على الاعضاء كلها الا الوجه والراس والفرج والمراة تجلد قاعدة ولا ينزع من ثيابها الا الحشو والفرو • وبهذه الاية استشهد ابو حنيفة رحمه الله على ان الجلد حد غير المحصن بلا تغريب • واحتج الشافعي رحمه الله على وجوب التغريب بقوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام • وقيل انه محمول على وجه التعزير والتاديب من غير وجوب وليشهد عذابهما اي حدهما طائفة من المؤمنين اقلهم واحد او اثنان او اربعة او عشرة على الاختلاف ليكون ردعا للامام ان احتاج اليهم وانه ابلغ في الزجر وافضح انتهى العيون

في فتح المصنف رحمه الله

١٤ محرم الحرام

سورة النور اربع وستون اية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة خبر مبتدا محذوف اي هذه سورة انزلناها صفة لها وقرئ طلحة سورة على اتل سورة والسورة الجامعة لجملة ايات بفاتحة لها وخاتمة واشتقاقها من سور المدينة وفرضناها اي فرضنا احكامها التي فيها • واصل الفرض القطع اي جعلناها مقطوعا بها وانزلنا فيها ايات بينات اي دلائل واضحات لعلكم تذكرون لكي تتعظوا • ثم فصل احكامها فقال الزانية والزاني ورفعهما على الابتداء • والخبر محذوف اي فيما فرض عليكم الزانية والزاني اي جلدهما • او الخبر فاجلدوا ودخلت الفاء لكون الالف واللام بمعنى الذي وتضمينه معنى الشرط وتقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوهما فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة الجلد ضرب الجلد • وفيه اشارة الى انه لا يبالغ ليصل الالم الى اللحم والخطاب للائمة لان اقامة الحد من الدين • وهي على الكل الا انه لا يمكن الاجتماع فينوب الامام منابهم وهذا حكم حر ليس بمحصن اذ حكم المحصن الرجم وشرائطه العقل والحرية والبلوغ والاسلام والتزوج بنكاح صحيح والدخول ولا تأخذكم بهما رافة رحمة وقيل الرافة في دفع المكروه والرحمة في ايصال المحبوب والمعنى ان الواجب على المؤمنين ان يتصلبوا في دين الله ولا يأخذهم اللين في استيفاء حدوده تعالى فيعطلوا الحدود او يخففوا الضرب في دين الله في طاعته اي حكمه ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر من باب التهييج والهاب الغضب لله وليشهد عذابهما وليحضر موضع حدهما • وتسميته عذابا دليل على انه عقوبة طائفة فرقة يمكن ان تكون حلقة ليعتبروا وينزجروا واقلها ثلاثة او اربعة وهي صفة غالبة كانها الجماعة الحافة حول الشيء • وعن ابن عباس رضي الله عنهما اربعة الى اربعين رجلا من المؤمنين من المصدقين بالله • وقال الحسن امر الله بذلك لتعظيم الحدود • وقال نصر بن علقمة اما ان ربكم لم يرد الفضيحة ولكن ليدعى لهما بالتوبة والرحمة انتهى مدارك

الميسر رحمه الله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ليكون ذلك عليه اشد وانكى تحويفا للمتعاطي مثل هذا الفعل ثم من حق الذين يشهدون ويذكرون ان يذكروا عظيم نعمة الله عليهم والجلد بلسان الحيوانات ثم انه يضرب بالخشب ضرب الحمر ويرمي بالحجارة رمي الكلاب انتهى

سورة النور مدنية ستون واربع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم سورة خبر مبتدا محذوف او مبتدا لانها مخصصة بالنكرة الدال على التعظيم كقولهم شر اهر ذا ناب انزلناها صفة او خبر ومن نصبها جعلها مفسرة لناصبها فلا يكون لها محل الا اذا قدر اتل ونحوه ولا يجوز تقدير دونك لان اداة الاغراء لا تحذف وفرضناها اي فرضنا ما فيها من الاحكام وقرئ بالتشديد للتكثير او للمبالغة وانزلنا فيها ايات بينات اي دلائل واضحات لعلكم تذكرون لكي تتعظوا الزانية اي المراة التي مكنت من الزنا • فالمكرهة خارجة عن حدها قدمت هنا لاصالتها في الزنا • فذكرها لان حرمة الوطء التي بها يتحقق الزنا منشاؤها خلو المحل عن الملكين وشبههما كما قدم الزاني في الحكم الاتي ذكره لاصالته فيه والزاني رفعهما بالابتداء • والخبر فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة والفاء لتضمنها معنى الشرط لان اللام بمعنى الذي وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر والجلد ضرب الجلد وفيه اشارة الى انه لا يبالغ ليصل الاثر الى اللحم والخطاب لجماعة المسلمين الا انه لا يمكنهم الاجتماع فينوب الامام منابهم • وعموم الاية يتناول المحصن وغير المحصن ثم خص منه المحصن بحديث الرجم العقل والبلوغ والاسلام والحرية والدخول بنكاح صحيح وهما على صفة الاحصان ورجمه صلى الله عليه وسلم يهوديين قد زنيا كان بحكم التورية ثم نسخ يؤيده قوله صلى الله عليه وسلم من اشرك بالله فليس بمحصن والتغريب المروي منسوخ بهذه الاية كالحبس والاذى في قوله تعالى فامسكوهن في البيوت وقوله تعالى فآذوهما لان الفاء انما تدخل على الجزاء وهو اسم للكافي ولا تأخذكم بهما رافة الرافة رقة القلب والرحمة واخذها كناية عن تاثيرها في النفس بحيث يظهر اثرها في العمل فرجع النهي الى المسامحة في اقامة الحد كما ينبغي في دين الله في طاعته او في حكمه وانما قال بهما ليعلم حكم الرافة باحدهما بطريق الدلالة ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر فان الايمان يوجب الاتمار باوامر الله وهذا من باب التهييج والهاب الغضب لله تعالى ولدينه وجواب الشرط مضمر اي فاقيموا الحد ولا تسامحوا فيه وليشهد عذابهما وليحضر موضع حدهما • وتسميته عذابا دليل على انه عقوبة طائفة فرقة يمكن ان تكون حلقة وهي صفة غالبة كانها الجماعة الحافة حول الشيء من المؤمنين لتعتبروا وينزجروا فان التفضيح قد ينكل اكثر مما ينكل التعذيب انتهى ابن كمال

سورة النور مدنية وهي ثنتان وستون اية وقيل اربع وستون بسم الله الرحمن الرحيم سورة خبر مبتدا محذوف اي هذه سورة وانما اشير اليها مع عدم سبق ذكرها لانها باعتبار كونها في شرف الذكر في حكم الحاضر المشاهد وقوله تعالى انزلناها

الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة اي لا يمكن الا من نكاح واحد منهما ووجهه الى نفي ميلها عن نكاح غيرها فالقرينتان على سنن واحد • وانما عدل في الثانية عن التصريح الى الكناية كراهة اسناد النكاح اليها ووجه ما ذكر ان المشاكلة علة الالفة والتضام والمخالفة سبب للنفرة والافتراق • وهو نظير قوله تعالى الخبيثات للخبيثين الآية • فالآية تزهيد في نكاح البغايا اذ جعل الزنا فيها عديل الشرك في القبح وحرم ذلك على المؤمنين لما فيه من التشبه بالفساق وحضور مواقع التهمة والتسبب لسوء المقال فيه والغيبة والطعن في النسب ومخالطة الزواني كم فيها من التعرض لاقتراف الفاسد والآثام فكيف بمزاوجتهن ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه • او منسوخ بقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم فانه يتناول المسافحات • ويؤيده انه صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال والذين يرمون المحصنات اي يقذفونهن الحرائر العفاف المسلمات المكلفات بالزنا لوصف المقذوفات بالاحصان • وذكرهن عقيب الزواني واشتراط اربعة شهداء بقوله ثم • وانما عدل عن القذف الى الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمي والقيد المذكور ان اعتبارها لا يناسب المقام ثم كلمة التراخي دل على انه لا يجب عليه الاتيان بالشهود على الفور ثم لم يأتوا باربعة شهداء يشهدون على زنى المقذوفة لان القذف بغير الزنا يكفي فيه الشاهدان ولايجاب الحد بقوله فاجلدوهم ثمانين جلدة لان القذف بغير الزنا لا يوجب الحد بل يوجب التعزير كقذف غير المحصن بالزنا • وتنصب ثمانين نصب المصادر كنصب مائة وتنصب جلدة على التمييز ولا فرق فيه بين الذكر والانثى • وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة ولان قذفهن كان اغلب • هذا ما قالوا وانا اقول اريد الانفس المحصنات كما في قوله تعالى والمحصنات من النساء فلا تخصيص ولا يشترط اجتماع الشهود عند الاداء والاشهاد زوج المقذوفة ولكن يشترط طلب المقذوف لان فيه حقه من حيث دفع العار ولا خلاف فيه لابي حنيفة رحمه الله وضربه اخف من ضرب الزنا . قيل لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده ويرد عليه النقض بضرب التعزير فيما اذا كان المقذوف غير محصن فانه اشد من ضرب الزنا . فيما العلة المذكورة فيه ولا تقبلوا لهم شهادة نكر شهادة في موضع النفي فتعم كل شهادة ورد شهادتهم ليس لانه مفتر والا لما تخلف عنه وقذف غير المحصن بل لابد من تمام الحد فيتعلق باستيفاء الحد او بعضه خلافا للشافعي فيهما لا بحاله قبل الحد اسوء حالا لانه ان اريد انه كذلك عند الناس فممنوع وان اريد انه كذلك عند الله تعالى فلا يجدي لان المعتبر ما عند الناس حتى قيل تقبل شهادة الفاسق الوجيه واصل الكلام ولا تقبلوا شهادتهم وانما غير النظم بزيادة اللام لا لفائدة التنكير لانها تحصل بالتعريف الاستغراقي على وجه اقوى بل لاظهار وجه كون الرد المذكور من الحد باشعار ان في قبول الشهادة نفعا للشاهد لانه يتضمن الاكرام وضده يتضمن الاهانة ابدا الى آخر اوقات اهليتهم للشهادة لا الى آخر عمره ولذلك تقبل شهادة الكافر المحدود في قذف بعد اسلامه لحدوث اهلية اخرى للشهادة بالاسلام ولا خلاف للشافعي هنا وانما خلافه في انصرافه الاستثناء الآتي ذكره اولئك هم الفاسقون كلام مستانف غير داخل في حيز جزاء الشرط لانه حكاية حال الرامين عند الشرع الحاكم بالظاهر لا عند الله العالم بالسرائر بعد انقضاء الجملة الشرطية انتهى ابو السعود

الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة اي الخبيث الذي من شانه الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء وانما يرغب في خبيثة من شكله او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك والخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة او المشركين • فالآية تزهيد في نكاح البغايا اذ الزنا عديل الشرك في القبح • والايمان قرين العفاف والتحصن • وهو نظير قوله تعالى الخبيثات للخبيثين الآية • وقيل كان نكاح الزانية محرما في الاسلام ثم نسخ بقوله تعالى وانكحوا الايامى الآية • وقيل المراد بالنكاح الوطء لان غير الزاني يستقذر الزانية ولا يشتهيها وهو الصحيح لكنه يفضي الى قولك الزاني لا يزني الا بزانية والزانية لا يزني بها الا زان • سئل النبي صلى الله عليه وسلم عمن زنى بامرأة ثم تزوجها فقال اوله سفاح وآخره نكاح وحرم ذلك على المؤمنين اي الزنا او نكاح البغايا لقصد التكسب بالزنا او لما فيه من التشبه بالفساق وحضور مواقع التهمة والتسبب لسوء المقالة فيه والغيبة ومجالسة الخاطئين كم فيها من التعرض لاقتراف الآثام فكيف بمزاوجة الزواني والقحاب والذين يرمون المحصنات ويكون الصاد على ما اي يقذفون بالزنا الحرائر العفائف المسلمات المكلفات • والقذف يكون بالزنا وبغيره • والمراد هنا قذفهن بالزنا بان يقول يا زانية لذكر المحصنات عقيب الزواني ولاشتراط اربعة شهداء ثم لم يأتوا باربعة شهداء يشهدون على الزنا . وشروط احصان القذف الحرية والعقل والبلوغ والاسلام والعفة عن الزنا والمحصن والمحصنة سواء في وجوب حد القذف فاجلدوهم ثمانين جلدة ان كان القاذف حرا ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا نكر شهادة في موضع النفي فتعم كل شهادة واولئك هم الفاسقون كلام مستانف غير داخل في حيز جزاء الشرط لانه حكاية حال الرامين عند الله تعالى انتهى المدارك

٨

❁ لمعنيا الجملتين امران متغايران صفة الزاني والآخر صفة الزانية وقدم الزاني على الزانية فيما لان الرجل اصل في النكاح من حيث انه هو الطالب ومنه يبدأ الخطبة وحرم ذلك اي نكاح الزانية ورغبته فيه على المؤمنين الممدوحين عند الله تعالى لما فيه من التشبه بالفساق وحضور موضع التهمة والغيبة قيل كان التحريم في اول الاسلام ثم نسخ بقوله وانكحوا الايامى منكم فدخلت الزانية في ايامى المسلمين عن ابن مسعود رضي الله عنه انه كان يحرمه ويقول اذا تزوج الزاني بالزانية فهما زانيان وقيل نسخه الاجماع والذين يرمون اي الذين يقذفون المحصنات اي العفائف ثم لم يأتوا باربعة شهداء يشهدون بالقذف فاجلدوهم ثمانين جلدة ان كان القاذف حرا واربعين ان كان عبدا والمراد القذف بالزنا لذكره اربعة شهود فان القذف بغيره يكفي فيه شاهدان وان كان المقذوف زانيا عزر القاذف ولم يحد الا ان يكون القذوف مشهورا بما يقذف به فلا حد على القاذف ولا تعزير ومعنى القذف بالزنا ان يقول الحر العاقل البالغ المحصنة يا زانية او للمحصن يا زاني او يا ابن الزاني او يا ابن الزانية والقذف بغير الزنا ان يقول يا آكل الربا يا شارب الخمر فعليه التعزير ولا يبلغ ادنى الحد اي حد العبد وهو اربعون بل ينقص منه وشروط احصان القذف خمسة الحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة واجتماع الشهود في الشهادة شرط عند ابي حنيفة رحمه الله ويجوز ان يحضروا متفرقين عند الشافعي رحمه الله ولا يجوز ان يكون زوج المقذوفة واحدا منهم عنده خلافا لابي حنيفة رحمه الله ولا ينزع عنه من الثياب الا ما ينزع عن المراة من الحشو والفرو والقاذفة ايضا في كيفية الجلد مثل الزانية ولا تقبلوا لهم اي للقاذفين شهادة ابدا عطف على قوله فاجلدوهم فرد بعضهم شهادة القاذف المحدود مؤبدا وان تاب وحسنت حالته بعد الآية لكن اسم الفسق يزول عنه اذا استانف قوله اولئك هم الفاسقون اي العاصون عند ربهم ثم استثنى منهم الا الذين تابوا

الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك حكم مؤسس على الغالب المعتاد جيء به لزجر المؤمنين عن نكاح
الزواني بعد زجرهم عن الزنا بهن وقد رغب بعض من ضعفة المهاجرين في نكاح موسرات كانت بالمدينة من بغايا المشركين
فاستاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فنفروا عنه ببيان انه من افعال الزناة وخصائص المشركين كانه قيل
الزاني لا يرغب الا في نكاح احديهما والزانية لا يرغب في نكاحها الا احدهما فلا تحوموا حوله كيلا تنتظموا في سلكهما
او تتسموا بسمتهما فايراد الجملة الاولى مع ان مناط التنفير هي الثانية اما للتعريض بقصرهم الرغبة عليهن حيث استاذنوا
في نكاحهن او لتاكيد العلاقة بين الجانبين مبالغة في الزجر والتنفير وعدم التعرض في الجملة الثانية للمشركة للتنبيه على ان مناط
الزجر والتنفير هو الزنا لا مجرد الاشراك وانما تعرض لها في الاولى اشباعا في التنفير عن الزانية بنظمها في سلك المشركة وحرم ذلك
اي نكاح الزواني على المؤمنين لما ان فيه من التشبه بالفسقة والتعرض للتهمة والتسبب لسوء القالة والطعن في النسب
واختلال امر المعاش وغير ذلك من المفاسد مما لا يكاد يليق باحد من الاداني والاراذل فضلا من المؤمنين ولذلك عبّر
عن التنزيه بالتحريم مبالغة في الزجر وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والتحريم على حقيقته والحكم اما مخصوص بسبب النزول
او منسوخ بقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم فانه متناول للمسافحات ويؤيده ما روي انه عليه السلام سئل عن ذلك
فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وما قيل من ان المراد بالنكاح هو الوطء بين البطلان والذين
يرمون المحصنات بيان لحكم العفائف اذا نسبن الى الزنا بعد بيان حكم الزواني ويعتبر في الاحصان هٰهنا مع مدلوله الوضعي الذي
هو العفة عن الزنا الحرية والبلوغ والاسلام وفي التعبير عن التفوه بما قالوا في حقهن بالرمي المنبئ عن صلابة الادلة وايلام المرمي
وبعده عن الرامي ايذان بشدة تاثيره فيهن وكونه رجما بالغيب والمراد به رميهن بالزنا لا غير وعدم التصريح به للاكتفاء بايراده عقيب
الزواني ووصفهن بالاحصان الدال بالوضع على نزاهتهن عن الزنا خاصة فان ذلك بمنزلة التصريح بكون رميهن به
لا محالة ولا حاجة في ذلك الى الاستشهاد باعتبار الاربعة من الشهداء على ان فيه مؤنة بيان تاخر نزول الآية عن قوله تعالى
فاستشهدوا عليهن اربعة ولا بعدم وجوب الحد بالرمي بغير الزنا على ان فيه شبهة المصادرة كانه قيل والذين يرمون
العفائف المنزهات عما رمين به من الزنا ثم لم ياتوا باربعة شهداء يشهدون عليهن بما رموهن به وفي كلمة ثم اشعار بجواز
تاخير الاتيان بالشهود كما ان في كلمة لم اشارة الى تحقق العجز عن الاتيان بهم وتقرره لا ان اجتماع الشهود لا بد منه عند الاداء
خلافا للشافعي فانه جوز التراخي بين الشهادات كما بين الرمي والشهادة ويجوز ان يكون احدهم زوج المقذوفة خلافا له ايضا وقرئ
باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة لظهور كذبهم وافترائهم بعجزهم عن الاتيان بالشهداء لقوله تعالى فاذ لم ياتوا بالشهداء
فاولئك عند الله هم الكاذبون وانتصاب ثمانين كانتصاب المصادر ونصب جلدة على التمييز وتخصيص رميهن بهذا الحكم
مع ان حكم رمي المحصنين ايضا كذلك لخصوص الواقعة وشيوع الرمي فيهن ولا تقبلوا لهم شهادة عطف على اجلدوا داخل
في حكم تتمة له لما فيه من معنى الزجر لانه مؤلم للقلب كما ان الجلد مؤلم للبدن وقد آذى المقذوف بلسانه فعوقب باهدار
منافعه جزاء وفاقا واللام في لهم متعلقة بمحذوف هو حال من شهادة قدمت عليها لكونها نكرة ولو تأخرت عنها لكانت صفة لها
وفائدتها تخصيص الرد بشهاداتهم الناشئة عن اهليتهم الثابتة لهم عند الرمي وهو السر في قبول شهادة الكافر المحدود في القذف
بعد التوبة والاسلام لانها ليست ناشئة من اهليته السابقة بل من اهلية حدثت له بعد اسلامه فلا يتناولها الرد فتدبر
ودع عنك ما قيل من ان المسلمين لا يعبأون بسبّ الكفار فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه
بقذف المسلم فان ذلك بدونه ما مرّ من الاعتبار تعليل في مقابلة النص ولا يخفى حاله فالمعنى لا تقبلوا منهم شهادة من الشهادات
كائنا حاصلة لهم عند الرمي ابدا اي مدة حياتهم وان تابوا واصلحوا لما عرفت من انه تتمة للحد كانه قيل فاجلدوهم وردوا
شهادتهم اي فاجمعوا لهم الجلد والرد فيبقى كاصله واولئك هم الفاسقون كلام مستأنف مقرر لما قبله ومبين لسوء حالهم
عند الله تعالى وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد اي اولئك هم المحكوم عليهم لا غيرهم من الفسقة

ابو السعود
انتهى

الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة نزل حين استاذن اصحاب الصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينكحوا الزواني في المدينة
كانت لهن علامات يعرفن بها وكن اكثر اهل المدينة خيرا والمدينة غالية السعر وقد اصابهم الجهد والفاقة وقالوا اذا
اغنانا الله بالخير تطلقهن وتنكح المسلمات فمنعهم الله تعالى عن ذلك بهذه الآية ومعناها ان الزاني لا يرغب في نكاح الصالحة من
النساء وانما يرغب في فاسقة زانية من شكله او في مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وكذا لا يرغب في
نكاحها الصالح من الرجال وينفر عنها وانما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة او المشركين فمعنيا الجملتين

وقوله الا الذين تابوا استثناء من الفاسقين كما ينبئ عنه التعليل الآتي ومحل المستثنى النصب لانه عن موجب وقوله تعالى من بعد ذلك
لتهويل المتوب عنه اي من بعد ما اقترفوا ذلك الذنب العظيم الهائل واصلحوا اي اصلحوا اعمالهم التي من جملتها ما فرط منهم بالتلافي
والتدارك ومنه الاستسلام للحد والاستحلال من المقذوف فان الله غفور رحيم تعليل لما يفيده الاستثناء من العفو
عن المؤاخذة بموجب الفسق كانه قيل فحينئذ لا يؤاخذهم الله تعالى بما فرط منهم ولا ينظمهم في سلك الفاسقين لانه تعالى
مبالغ في المغفرة والرحمة هذا وقد علق الشافعي رحمه الله الاستثناء بالنهي فمحل المستثنى حينئذ الجر على البدلية من الضمير
في لهم وجعل الابد عبارة عن مدة كونه قاذفا فتنتهي بالتوبة فتقبل شهادته بعدها والذين يرمون ازواجهم بيان لحكم
الرامين لازواجهم خاصة بعد بيان حكم الرامين لغيرهن لكن لا بان يكون هذا مخصصا للمحصنات بالاجنبيات ليلزم بقاء
الاية السابقة ظنية فلا يثبت بها الحد فان من شرائط التخصيص ان لا يكون المخصص متراخي النزول بل بكونه ناسخا
لعمومها ضرورة تراخي نزولها كما سيأتي فيبقى الاية السابقة قطعية الدلالة فيما بقي بعد النسخ لما بين في موضعه ان دليل
النسخ غير معلل ولم يكن لهم شهداء يشهدون بما رموهن به من الزنا وقرئ بتانيث الفعل الا انفسهم بدل من شهداء
او صفة لها على ان الا بمعنى غير جعلوا من جملة الشهداء ايذانا من اول الامر بعدم الغاء قولهم بالمرة ونظمه في سلك الشهادة
في الجملة وبذلك ازداد حسن اضافة الشهادة اليهم في قوله تعالى فشهادة احدهم اي شهادة كل واحد منهم وهو مبتدا وقوله تعالى
اربع شهادات خبره اي فشهادتهم المشروعة اربع شهادات بالله متعلق بشهادات وقرئ بالنصب على المصدر والعامل فيه شهادة على
انها اما خبر لمبتدا محذوف اي فالواجب شهادة احدهم واما مبتدا محذوف الخبر اي فشهادة احدهم واجبة انه لمن الصادقين
اي فيما رماها به من الزنا واصله على انه فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنها للتاكيد والخامسة اي الشهادة الخامسة
للاربع المتقدمة اي الجاعلة لها خمسا بانضمامها اليهن وافرادها عنهن مع كونها شهادة ايضا لاستقلالها بالفحوى ووكادتها
في افادة ما يقصد بالشهادة من تحقيق الخبر واظهار الصدق وهي مبتدا خبره ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فيما رماها به
من الزنا فاذا لاعن الزوج حبست الزوجة حتى تعترف فترجم او تلاعن ويدرأ عنها العذاب اي العذاب الدنيوي وهو الحبس المغيا
على احد الوجهين بالرجم الذي هو اشد العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه اي الزوج لمن الكاذبين اي فيما رماني به من الزنا
والخامسة بالنصب عطفا على اربع شهادات ان غضب الله عليها ان كان اي الزوج من الصادقين اي فيما رماني به من الزنا
وقرئ والخامسة بالرفع على الابتداء وقرئ ان بالتخفيف في الموضعين ورفع اللعنة والغضب وقرئ ان غضب الله وتخصيص
الغضب بجانب المرأة للتغليظ عليها لما انها مادة الفجور ولان النساء كثيرا ما يستعملن اللعن فربما يجترئن على التفوه به
لسقوط وقعه عن قلوبهن بخلاف غضبه تعالى روي ان اية القذف لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر
فقام عاصم بن عدي الانصاري رحمه الله فقال جعلني الله فداك ان وجد رجل مع امرأته رجلا فاخبر جلد ثمانين وردت
شهادته وفسق وان ضربه بالسيف قتل وان سكت سكت على غيظ والى ان يجيء باربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته
ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن امية او عويمر فقال ما وراءك قال شر وجدت على امرأتي خولة وهي بنت عاصم
شريك بن سحماء فقال والله هذا سؤالي ما اسرع ما ابتليت به فرجعا فاخبرا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم خولة فانكرت
فنزلت فلاعن بينهما والفرقة الواقعة باللعان في حكم التطليقة البائنة عند ابي حنيفة ومحمد رحمهما الله تعالى ولا يتابد حكمها
حتى اذا اكذب الرجل نفسه بعد ذلك فحد جاز له ان يتزوجها وعند ابي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي رحمهم الله
هي فرقة بغير طلاق توجب تحريما مؤبدا ليس لهما اجتماع بعد ذلك ابدا ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم التفات الى خطاب
الرامين والمرميات بطريق التغليب لتوفية مقام الامتنان حقه وجواب لولا محذوف لتهويله والاشعار بضيق العبارة
عن حصره كانه قيل لولا تفضله تعالى عليكم ورحمته وانه تعالى مبالغ في قبول التوبة حكيم في جميع افعاله واحكامه التي من جملتها
ما شرع لكم من حكم اللعان لكان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان ومن جملته انه تعالى لو لم يشرع ذلك لوجب على الزوج
حد القذف مع ان الظاهر صدقه لانه اعرف بحال زوجته وانه لا يفتري عليها لاشتراكهما في الفضاحة وبعد ما شرع
لهم ذلك لو جعل شهاداته موجبة لحد الزنا عليها لفات النظر لها ولا ريب في خروج الكل عن سنن الحكمة والفضل
والرحمة فجعل شهادات كل منهما مع الجزم بكذب احدهما حتما دارئة لما توجه اليه من الغائلة الدنيوية وقد ابتلي
الكاذب منهما في تضاعيف شهاداته من العذاب بما هو اتم مما درأته عنه واطم وفي ذلك من احكام الحكم
البالغة وآثار التفضل والرحمة ما لا يخفى اما على الصادق فظاهر واما على الكاذب فهو امهاله والستر عليه
في الدنيا ودرء الحد عنه وتعريضه للتوبة حسبما ينبئ عنه التعرض لعنوان توابيته سبحانه ما اعظم شانه
واوسع رحمته وادق حكمته انتهى ابو السعود

مستثنى منه الا الذين تابوا من بعد ذلك اي بعد القذف وحده نحو القذف واصلحوا حالهم بالعمل الصالح فيكون المستثنى
منصوبا لانه من كلام موجب وان جعل الاستثناء من قوله ولا تقبلوا لهم شهادة فلا وقف على ابدا ويكون المستثنى مجرورا
بدلا من هم في لهم فتقبل شهادة القاذف المحدود اذا تاب وحسنت حاله عند جماعة منهم الشافعي ومالك فعندهما
يتعلق رد الشهادة بنفس القذف فاذا تاب عاد مقبول الشهادة وعند ابي حنيفة رحمه الله يتعلق الرد
باستيفاء الحد فاذا شهد قبل الحد او قبل استيفائه قبلت شهادته واذا استوفي لم تقبل ابدا وان تاب
وتمسك الكل بالاية فابو حنيفة رحمه الله جعل جزاء الشرط الجلد ورد الشهادة عقيب الجلد على التابيد فكان
القاذف مردود الشهادة في مدة حيوته وجعل قوله واولئك الاية كلاما مستانفا غير داخل في حيز الجزاء
كانه حكاية حال الرامين عند الله والا الذين استثناء من الفاسقين ويدل عليه فان الله غفور رحيم
يغفر ذنوبهم فلا ينسبون الى الفسق بعد الجلد ورد الشهادة عنهم والشافعي رحمه الله جعل جزاء الشرط الجملتين
ايضا غير انه صرف الابد الى مدة كونه قاذفا وهي تنتهي بالتوبة عن القذف وجعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية
وظاهر النص تدل على ان الجمل الثلث جواب الشرط بالعطف تقديره من قذف المحصنات فاجلدوه وردوا
شهادته وفسقوه فتكون الجملة الثالثة في معنى الامر فيصح العطف على ما قبله واعلم ان الكافر اذا قذف
وتاب عن الكفر تقبل شهادته بالاجماع لان المسلمين لا يعبؤن بسب الكفار لانهم شهروا بالعداوة والطعن
بالباطل لاهل الاسلام فلا يلحق المقذوف عار وشين بقذفهم قيل اشد الضرب التعزير ثم حد الزنا
ثم حد شرب الخمر ثم حد القاذف لان سبب عقوبته محتمل بالصدق والكذب وانما عوقب صيانة للاعراض
واذا تاب قبل توبته قبل وسقط الحد والذين يرمون اي يقذفون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء يشهدون
بالقذف الا انفسهم بالرفع صفة لشهداء اي غير انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله والباء يتعلق بشهادات
لا بشهادة لئلا يفصل بينهما بالخبر وقرئ اربع بالنصب لفعل مقدر وخبر المبتدا محذوف تقديره فشهادة احدهم واجب
ان يشهد اربع شهادات بالله ليدرأ اي ليدفع عنه الحد ان لم يكن الاعتراف ومعمول شهادات قوله انه لمن الصادقين

انه لمن الصادقين واللام في الخبر يمنع فتح انه والخامسة اي الشهادة الخامسة ان لعنة الله عليه بتشديدان وغضب الاسم وتخفيفه ورفع الاسم اي ان يلعن الزوج نفسه ان كان من الكاذبين فيما قذف زوجته به من الزنا فاذا لاعن الزوج وجب عليها الحد ويدرؤا اي يدفع عنها العذاب اي حد الزنا ان تشهد اربع شهادات فان مع ما بعدها فاعل يدرا قوله بالله يتعلق بتشهد وقوله انه لمن الكاذبين فيما قذفها به نصب بتشهد والخامسة بالرفع والنصب اي الشهادة الخامسة من المرأة ان تشهد ان غضب الله عليها ان كان الزوج من الصادقين فيما قذفها به من الزنا وتخصيص غضب الله تعالى بالمرأة في الخامسة للتغليظ عليها لانها منبعة الفجور واصله كما مر من قبل قيل قاذف امرأته اذا كان مسلما حرا بالغا عاقلا غير محدود في القذف والمرأة بهذه الصفة مع العفة صح اللعان بينهما اذا قذفها بصريح الزنا وهو ان يقول لها يا زانية او زنيت او نحو ذلك ولا يصح الا عند الحاكم او نائبه وينبغي للحاكم ان يلقن الرجل كلمات اللعان فيقول قل اشهد بالله اني لمن الصادقين فيما رميت به فلانا من الزنا ويقول الزوج كما يلقنه الحاكم ويقول في الخامسة علي لعنة الله ان كنت من الكاذبين فيما رميت به فلانة واذا اتى بكلمة منها بلا تلقين الحاكم لم يحسب فاذا فرغ من اللعان وقعت الفرقة بينهما وحرمت عليه ابدا وانتفى عنه النسب وسقط عنه حد القذف ووجب عليها الرجم ان كانت محصنة والجلد والتغريب ان لم تكن محصنة عند الشافعي رحمه الله وقال ابو حنيفة رحمه الله لا تقع الفرقة الا بتفريق الامام لا بنفس اللعان ويدرؤ عنها الحد اذا لاعن الزوج بان تشهد اربع شهادات بالله ان زوجي لمن الكاذبين فيما رماني به وتقول في الخامسة وغضب الله علي ان كان من الصادقين فيما رماني ويكون ذلك بتلقين الحاكم واذا لاعن الزوج وامتنعت الزوجة حبست حتى تلاعن او تعترف ومن صحت يمينه صح لعانه حرا كان او عبدا مسلما كان او كافرا وعند ابي حنيفة رحمه الله لا لعان الا بين المسلمين حرين غير محدودين ويقام الرجل قائما حتى يشهد والمرأة قاعدة وتقام المرأة والرجل قاعد حتى تشهد والفرقة في حكم التطليقة البائنة عند ابي حنيفة رحمه الله لا يتابد حكمها فاذا كذب الرجل نفسه بعد ذلك فحد جاز ان يتزوجها وعند الشافعي رحمه الله فرقة بغير طلاق يتابد حكمها ليس لهما ان يجتمعا بعد ذلك بوجه علا

قال المفسرون رحمهم الله نزلت هذه الآية في هلال بن امية وامرأته حين وجدها رجلا وقيل امية بن هلال قذف امرأته بشريك بن سحماء فلاعن بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولولا فضل الله عليكم ورحمته اي لولا تفضل الله تعالى ونعمته عليكم ولولا ان الله تواب حكيم حكم بينكم بالملاعنة لعذبكم وهو جواب لولا انتهى العيون

الا الذين تابوا من بعد ذلك اى القذف واصلحوا احوالهم استثناء
من الفاسقين ويدل عليه فان الله غفور رحيم اى يغفر ذنوبهم
ويرحمهم وحق الاستثناء ان يكون منصوبا عندنا لانه عن موجب
والذين يرمون ازواجهم اى يقذفون زوجاتهم بالزنا.
ولم يكن لهم شهداء اى لم يكن لهم على تصديق قولهم من
يشهد لهم به الا انفسهم رفع على البدل من شهداء
فشهادة احدهم اربع بالرفع كوفى غير ابى بكر على انه
خبر والمبتدا. فشهادة احدهم وغيرهم بالنصب لانه فى
حكم المصدر بالاضافة الى المصدر والعامل فيه المصدر
الذى هو فشهادة احدهم وعلى هذا خبره محذوف اى
فواجب شهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين
فيما رماها به من الزنا والخامسة بلا خلاف فى رفع الخامسة هنا فى
المشهور وعلى التقدير والشهادة الخامسة ان لعنة الله
عليه فهى مبتدا وخبر ان كان من الكاذبين فيما رماها به من
الزنا ويدرؤا عنها العذاب ويدفع الحبس وفاعل يدرؤا
ان تشهد اربع شهادات بالله انه اى الزوج لمن الكاذبين
فيما رماني به من الزنا والخامسة ان غضب الله عليها
ان كان اى الزوج من الصادقين فيما رماني به من
الزنا. نصب حفص الخامسة عطفا على اربع وغيره
رفعها بالابتدا. وان غضب الله خبره وخفف نافع ان
لعنة الله وان غضب الله بكسر الضاد وهما فى حكم المثقلة
وان غضب الله يعقوب وخص الغضب فى جانبها
لان النساء يستعملن اللعن كثيرا كما ورد به الحديث فربما
يجترئن على الاقدام لكثرة جرى اللعن على السنتهن
وسقوط وقعه عن قلوبهن فذكر الغضب فى جانبهن
ليكون رادعا لهن والاصل ان اللعان عندنا شهادات
مؤكدات بالايمان مقرونة باللعن قائمة مقام حد
القذف فى حقه ومقام حد الزنا فى حقها لان الله
سماه شهادة فاذا قذف الزوج زوجته بالزنا وهما
من اهل الشهادة صح اللعان بينهما وعند زفر تقع بتلاعنهما
والفرقة تطليقة بائنة وعند ابى يوسف وزفر والشافعى
رحمهم الله تحريم مؤبد ونزلت اية اللعان فى هلال او
عويمر حيث قال وجدت على بطن امرأتى خولة شريك
بن سحماء فكذبته فلاعن النبى صلى الله عليه وسلم بينهما
ولولا فضل الله تفضله عليكم ورحمته نعمته وان الله
تواب حكيم جواب لولا محذوف اى لفضحكم وعاجلكم وهذه الاية تشير الى كمال الفضل على عباده بان احلهم بالعقوبة الى الخ...
عليهم ليتوبوا فى الدنيا فيغفر لهم وستر عليهم عاجلا ورفع عنهم الحد باللعان حكمة منه وهى انه كما ستر عليهم فى الدنيا ولم يفضحهم
اى صدقهم وكذبهم واجلهم بالعقوبة لذكر التوبة كذلك جعل سنة اللعان باقية بين المسلمين ليكون حكمة باقية بينهم والله اعلم

الا الذين تابوا من بعد ذلك اى القذف واصلحوا احوالهم
بالاستسلام للحد او الاستحلال عن المقذوف استثناء من
الفاسقين ويدل عليه تعليل الاستثناء بقوله فان الله غفور رحيم
اى يغفر ذنوبهم ويرحمهم وان الشافعى رحمه الله جعل جزاء الشرط
الجملتين ايضا وجعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية
وحق المستثنى عنده ان يكون مجرورا بدلا من هم فى لهم
وحقه عندنا ان يكون منصوبا لانه عن موجب تام والذين
يرمون ازواجهم معناه بيان حكم قذف الزوجات بالزناء
ولم يكن لهم شهداء يشهدون لهم به الا انفسهم بدل من شهداء
وصفة لهم على ان الا بمعنى غير فشهادة احدهم اربع قرئ بالرفع
على انه خبر والمبتدا. فشهادة احدهم وبالنصب لانه فى حكم المصدر
بالاضافة الى المصدر وهو شهادات والعامل فيه المصدر الذى
هو شهادة فى قوله فشهادة احدهم وعلى هذا خبره محذوف
تقديره فواجب شهادة احدهم اربع شهادات بالله متعلق
بشهادات لقربها وقيل بشهادة لتقدمها انه لمن الصادقين
اى فيما رماها من الزنا. واصله على انه فحذف الجار وكسرت ان
وعلق العامل عنه باللام تاكيدا والخامسة والشهادة الخامسة
ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فى الرمى ويدرؤا
عنها العذاب ويدفع عنها الحبس والحد ان تشهد اربع
شهادات بالله انه اى الرامى لمن الكاذبين فى الرمى
والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين
فيه قرئ الخامسة بالنصب عطفا على اربع وبالرفع على الابتداء
وما بعدها الخبر وخص الغضب فى جانبها لان النساء
يستعملن اللعن كثيرا كما ورد به الحديث فربما يجترئن على
الاقدام لكثرة جرى اللعن على السنتهن وسقوط وقعه
عن قلوبهن فذكر الغضب فى جانبهن ليكون رادعا لهن
واذا التعنا كما بين فى النص لا تقع الفرقة حتى تفرق
القاضى بينهما وعند زفر والشافعى رحمهما الله تقع بتلاعنهما
الفرقة تطليقة بائنة عند ابى حنيفة رحمه الله ومحمد رحمه الله
وعند ابى يوسف رحمه الله وزفر والشافعى رحمهم الله تحريم مؤبد
واما ان حكم لعان الزوج سقوط حد القذف عنه وثبوت
حد الزنا عليها فالنص ساكت عنه ولولا فضل الله عليكم
ورحمته وان الله تواب حكيم ترك جواب لولا وهو ابلغ لان
النفس تذهب فى تقدير جوابه كل مذهب ولقد احسن من قال
رب سكوت ابلغ من النطق انتهى بالكمال

ان الذين جاؤا بالافك وهو ابلغ ما يكون من الكذب والافتراء واصله من الافك وهو القلب وقول منقلب عن وجهه والمراد ما افك به على ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها وقصته معروفة عصبة جماعة قيل من العشرة الى الاربعين اربعة يقال تعصب القوم اذا اجتمعوا على هيئة فشد بعضهم بعضا ومنه العصبة لانه يجمعهم التعصب ففي عبارة العصبة هنا حسن موقع جمالها على عبارة الجماعة من جهة الدلالة على الكم والكيف وهم عبد الله بن ابي رأس النفاق ورئيس التعصبين وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم منكم من المعدودين من اهل ملتكم وهم ظنوا ان الافك وقع من الكفار وفيه اظهار لوجه غاية ذلك الافك وخبر ان عصبة وقوله لا تحسبوه مستأنف والخطاب لرسول صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعائشة رضي الله عنها وصفوان رضي ومن ساءه ذلك من المؤمنين والمؤمنات والهاء للافك شرا لكم الذي ما زاد ضرره على نفعه والخير ضده بل هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله تعالى بانزال ثماني عشرة اية في براءتكم وتعظيم شانكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم اي لكل امرئ من العصبة جزاء اثمه على مقدار خوضه فيه مختصا به وكان بعضهم ضحك وبعضهم تكلم فيه وبعضهم سكت وليس في عبارة امرئ اخراج حمنة بنت جحش عن هذا الحكم بل ترك ذكرها احالة لمعرفة حالها على الدلالة تنبيها لشانها وتحقيرا لها والذي تولى كبره معظمه وقرئ بالضم وهو لغة فيه اي قرب من اخرجه ولم يبعد عن المعاصي خصوصا عن مثل هذه المعصية منهم من الحاضرين في الافك وهو ابن ابي فانه بداه واذاعه عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم له عذاب عظيم في الآخرة ودي ابدا وعن عائشة رضي الله عنها قالت لما نزل عذري قام النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك وتلا القرآن فلما نزل من المنبر امر بالرجلين والمرأة فضربوا حدهم وهم حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش كل منهم ثمانين وانما لم يحد عبد الله بن ابي لان الله تعالى قد اعد له في الآخرة عذابا عظيما فلو حد في الدنيا لكان نقصا

ان الذين جاؤا بالافك وهو ابلغ ما يكون من الكذب والافتراء واصله الافك وهو القلب لانه قول مافوك عن وجهه والمراد ما افك به على عائشة رضي الله عنها قالت عائشة رضي الله عنها فقدت عقدا في غزوة بني المصطلق فتخلفت ولم يعرف خلو الهودج لخفتي فلما ارتحلوا اناخ لي صفوان بن المعطل بعيره وساقه حتى اتاهم بعدما نزلوا فهلك في من هلك فاعتللت شهرا وكان عليه السلام يسأل كيف انت ولا ارى لطفا كنت اراه حتى عثرت خالة ام مسطح فقالت تعس مسطح فانكرت عليها فاخبرتني بالافك فلما ازددت مرضا وبت عند ابوي لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم وهما يظنان ان الدمع فالق كبدي حتى قال ابشري يا حميراء فقد انزل الله تعالى براءتك فقلت بحمد الله لا بحمدك عصبة جماعة من العشرة الى الاربعين واعصوصبوا اجتمعوا وهم عبد الله بن ابي رأس النفاق وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم منكم اي من جماعة المؤمنين وهم ظنوا ان الافك وقع من الكفار دون من كان من المؤمنين لا تحسبوه شرا لكم عند الله بل هو خير لكم لان الله اثابكم عليه وانزل في البراءة عندنا ثماني عشرة اية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعائشة وصفوان ومن ساءه ذلك من المؤمنين رضي الله عنهم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم اي على كل امرئ من العصبة جزاء اثمه على مقدار خوضه وكان بعضهم ضحك وبعضهم تكلم فيه وبعضهم سكت والذي تولى كبره اي عظمه عبد الله بن ابي منهم من العصبة له عذاب عظيم اي جهنم يحكى ان صفوان مر بهودجها عليه وهو في ملأ من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة فقال والله ما نجت منه ولا نجا منها انتهى المدارك

واعلم ان الاية تشير الى انه تعالى لا يجري على خواص عباده الا ما يكون حقيقة اللطف وان كان في صورة القهر تاديبا وتهذيبا لهم وموجبا لرفعة درجاتهم وزيادة في قرباتهم وان قصة الافك وان كانت في صورة القهر لكن كانت في حق النبي صلى الله عليه وسلم وفي حق عائشة وابويه وجميع الصحابة ابتلاء وامتحانا وتربية وتهذيبا فان البلاء للولاء كاللهب للذهب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل وقال صلى الله عليه وسلم يبتلى الرجل على قدر دينه فان الله غيور على قلوب خواص عباده المحبوبين فاذا حصلت مساكنة لبعض يجري الله تعالى ما يرد كل واحد منهم عن صاحبه ويرده الى حضرته وان النبي صلى الله عليه وسلم لما قيل له اي الناس احب اليك قال صلى الله عليه وسلم عائشة فساكنها وقال يا عائشة حبك في قلبي كالعقدة وفي بعض الاخبار ان عائشة قالت يا رسول الله اني احبك واحب قربك فاجرى الله سبحانه وتعالى حديث الافك حتى رد رسول الله صلى الله عليه وسلم قلبه عنها الى الله تعالى بانحلال عقدة حبها عن قلبه وردت عائشة قلبها عنه الى الله تعالى حيث قالت لما ظهرت براءة ساحتها بحمد الله لا بحمدك فكشف الله تعالى غيابة تلك المحنة وازال الشك واظهر براءة ساحتها حين ادبهم وهذبهم وقربهم وزاد في رفعة درجاتهم وقرباتهم

ان الذين جاؤا بالافك اي بابلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك واصله الافك وهو القلب لانه مافوك عن وجهه وسننه والمراد به ما افك به الصديقة ام المؤمنين رضي الله عنها وفي لفظ الجمع اشارة الى انهم اظهروه من عند انفسهم من غير ان يكون له اصل وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه فايتهن خرجت قرعتها استصحبها قالت عائشة رضي الله عنها فاقرع بيننا في غزوة غزاها قبل غزوة بني المصطلق فخرج سهمي فخرجت معه صلى الله عليه وسلم بعد نزول اية الحجاب فحملت في هودج فسرنا حتى اذا قفلنا ودنونا من المدينة نزلنا منزلا ثم نودي بالرحيل فقمت ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شاني اقبلت الى رحلي فلمست صدري فاذا عقدي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمسته فحبسني ابتغاؤه واقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري وهم يحسبون اني فيه لخفتي فلم يستنكروا خفة الهودج وذهبوا بالبعير ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلي وظننت اني سيفقدونني ويعودون في طلبي فبينا انا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت فكان صفوان بن المعطل السلمي من وراء الجيش فلما راني عرفني فاستيقظت باسترجاعه فخمرت وجهي بجلبابي والله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى اناخ راحلته فوطئ على يديها فقمت اليها فركبتها وانطلق يقود بي الراحلة حتى اتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول وافتقدني الناس حتى نزلوا وماج القوم في ذكري فبينا الناس كذلك اذ هجمت عليهم فخاض الناس في حديثي فهلك من هلك وقوله عصبة منكم خبر ان اي جماعة من العشرة الى الاربعين وكذا العصابة وهم عبد الله بن ابي وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وقوله لا تحسبوه شرا لكم استئناف خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعائشة وصفوان تسلية لهم من اول الامر والضمير للافك بل هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله تعالى بانزال ثماني عشرة اية في نزاهة ساحتكم وتعظيم شانكم وتشديد الوعيد فيمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا لكل امرئ منهم اي من اولئك العصبة ما اكتسب من الاثم بقدر ما خاض فيه والذي تولى كبره اي معظمه وقرئ بضم الكاف وهي لغة فيه منهم من العصبة وهو ابن ابي فانه بدأ به واذاعه بين الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو حسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به فافراد الموصول حينئذ باعتبار الفوج او الفريق او نحوهما له عذاب عظيم اي في الآخرة او في الدنيا ايضا فانهم جلدوا وردت شهادتهم وصار ابن ابي مطرودا مشهودا عليه بالنفاق وحسان اعمى واشل اليدين ومسطح مكفوف البصر وفي التعبير عنه بالذي وتكرير الاسناد وتنكير العذاب ووصفه بالعظم من تهويل الخطب ما لا يخفى

انتهى ابو السعود رحمه الله

اللهم الا ان يكون ذلك كفارة فيتخلص من عذاب الآخرة وانما حد هؤلاء المسلمون ليكفر عنهم اثم ما صدر عنهم من القذف حتى لا يبقى عليهم تبعة في الآخرة وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحدود انها كفارة لمن اقيمت عليه ففي قوله عذاب عظيم اشارة الى عدم وجوب الحد على ابن ابي وكذلك لم يحده النبي صلى الله عليه وسلم ثم وبخ الخائضين فيه فقال لولا اذ سمعتموه

انتهى ابن كمال

قوله ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم نزل في شان عائشة رضي الله عنها بصفوان الافك الافتراء والعصبة الجماعة من العشرة الى الاربعين لا تحسبوه اي الافك اي القذف فوق شرا لكم بل هو خير لكم بان تثابوا ويظهر براءتكم لكل امرئ منهم اي من الآفكين وهم عبد الله بن ابي وزيد بن رفاعة ومسطح بن اثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم ما اكتسب من الاثم اي العقوبة بقدر ما شرع فيه لان بعضهم تكلم بالافك وبعضهم ضحك وبعضهم سكت ولم ينههم والذي تولى كبره اي كبر الافك والكبر بكسر الكاف وضمها معظم الشيء اي الذي تحمل معظم الافك منهم اي من الآفكين وهو حسان او ابن ابي له عذاب عظيم اما حسان فعمي بعد ذلك اما ابن ابي فمات منافقا وكان رأس النفاق

انتهى العيون

وقالوا في ذلك الآن هذا افك مبين اي ظاهر مكشوف كونه افكا كيف بالصديقة ابنة الصديق ام المومنين حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
لولا جاوا عليه باربعة شهداء. اما من تمام القول المحضض عليه مسوق لحث السامعين على الزام المستمعين وتكذيبهم اثر
تكذيب ما سمعوه منهم بقولهم هذا افك مبين وتوبيخهم على تركه اي هلا جاء الخائضون باربعة شهداء يشهدون
على ما قالوا فاذ لم ياتوا بهم وانما قيل بالشهداء لزيادة التقرير فاولئك اشارة الى الخائضين وما فيه من معنى البعد
للايذان بغلوهم في الفساد وبعد منزلتهم في الشر اي اولئك المفسدون عند الله اي في حكمه وشرعه المؤسس على الدلائل
الظاهرة المتقنة هم الكاذبون الكاملون في الكذب المشهود عليهم بذلك المستحقون لاطلاق الاسم عليهم دون غيرهم
ولذلك رتب عليه الحد خاصة واما كلام مبتدا مسوق من جهته تعالى للاحتجاج على كذبهم بكون ما قالوه قولا لا يساعده
الدليل اصلا

ولولا اي هلا اذ سمعتموه اي الافك وهو قذف عائشة رضي الله عنها بصفوان ظننتم كما ظن المومنين والمومنات بانفسهم
اي بامثالهم او اهل دينهم خيرا لانهم كنفس واحدة يعني هلا ظننتم كظنهم وقلتم كقولهم فيه البنات والاخوات ان تعال ظننتم
بانفسهم بالخطاب وانما عدل عنه ليبالغ في التوبيخ بطريق الالتفات ان الايمان يقتضي ذلك فاذا سمع مومن او مومنة
قالت في حق اخيه او اخته شيئا الامر فيل على ظنه به الخير كما هو شان المومنين وقالوا هذا اي هذا القذف افك مبين
اي ظاهر ثم بين الحكم في القذف فقال لولا جاوا عليه بلفظ الماضي والمراد المستقبل اي هلا يجيئون على القذف
باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون في قوله يعني الطلبوا منهم اربعة شهداء فان لم ياتوا بها
فاقيموا الحد عليهم بما بيناه انتهى العيون

ولولا فضل الله عليكم ايها الكاذبون بالامهال لان تتوبوا ورحمته بان تراحم عليكم في الدنيا والاخرة لمسكم فيما افضتم اي
خضتم فيه من حديث الافك عذاب عظيم اي دائم في الاخرة ولولا هذه هي الامتناعية والاولى بمعنى هلا قوله اذ تلقونه
ظرف لافضتم او لمسكم اي اذ يأخذ الافك بعضكم من بعض بالسنتكم برواية البعض عن البعض وتقولون بافواهكم
ما ليس لكم به علم ومعنى بافواهكم مع ان القول لا يكون الا بالفم وهو ان المعلوم مثل الشيء يكون علمه في القلب اولا ثم
يجري على اللسان وهذا الافك ليس الا قولا يجري على السنتكم من غير علم به في القلب وتحسبونه اي ذلك القول هينا
اي صغيرة وهو عند الله عظيم كثير الوزر اي كبيرة انتهى العيون

وبخ الخائضين فقال لولا هلا اذ سمعتموه اي الافك
ظن المومنون والمومنات بانفسهم بالذين منهم فالمومنون
كنفس واحدة وهو كقوله ولا تلمزوا انفسكم خيرا عفافا
وصلاحا وذلك نحو ما يروى ان عمر رضي الله عنه قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا قاطع بكذب المنافقين لان
الله تعالى عصمك عن وقوع الذباب على جلدك لانه يقع على
النجاسات فيتلطخ بها فلما عصمك الله تعالى عن ذلك القدر
فكيف لا يعصمك عن صحبة من تكون متلطخة بمثل هذه
الفاحشة وقال عثمان رضي الله عنه ان الله تعالى ما اوقع
ظلك على الارض لئلا يضع انسان قدمه على ذلك الظل
فلما لم يمكن احدا من وضع القدم على ظلك كيف يمكن
احدا من تلويث عرض زوجتك وكذا قال علي رضي الله عنه
ان جبريل عليه السلام اخبرك ان على نعلك قذرا وامرك
باخراج النعل عن رجلك بسبب ما التصق به من القذر
فكيف لا يامرك باخراجها بتقدير ان تكون متلطخة بشيء
من الفواحش وروي ان ابا ايوب الانصاري رضي الله عنه
قال لامرأته الا ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان
اكنت تظن بحرمة رسول الله سوءا فقال لا قالت ولو كنت
انا بدل عائشة رضي الله عنها ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعائشة خير مني وصفوان خير منك وانما عدل عن الخطاب
الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر ولم يقل ظننتم بانفسكم خيرا
وقلتم ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليدل التصريح
بلفظ الايمان على ان الاشتراك فيه يقتضي ان لا يصدق
مومن على اخيه ولا مومنة على اختها قول عائب ولا طاعن
وهذا من الادب الحسن الذي قل القائم به وكيتك تجد
من يسمعه فيسكت ولا تشيعه باخوات وقالوا هذا
افك مبين كذب ظاهر لا يليق بها لولا جاوا عليه باربعة شهداء
هلا جاوا على القذف لو كانوا صادقين باربعة شهداء فاذ
لم ياتوا بالشهداء الاربعة فاولئك عند الله اي في حكمه وشريعته
هم الكاذبون اي القاذفون لان الله تعالى جعل التفصلة
بين الرمي الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود
الاربعة وانتفاءها والذين رموا عائشة رضي الله عنها لم يكن
لهم بينة على قولهم فكانوا كاذبين انتهى

ثم وبخ الخائضين فيه فقال لولا هلا اذ سمعتموه اي الافك
ظن المومنون والمومنات بانفسهم بالذين منهم فالمومنون
كنفس واحدة وهو كقوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم خيرا عفافا
وصلاحا وانما عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر
ولم يقل ظننتم بانفسكم ليبالغ التصريح في التوبيخ بطريق الالتفات
وليدل التصريح بلفظ الايمان على ان الاشتراك فيه يقتضي ان
لا يصدق مومن على اخيه ولا مومنة على اختها قول عائب
ولا طاعن ومن الادب الحسن قل القائم به وانما جاز الفصل
بين لولا وفعله بالظرف لانه منزل منزلته من حيث انه
لا ينفك عنه ولذلك يتسع فيه ما لا يتسع في غيره وذلك
للاهتمام بالظرف والايذان بانه لا يخلو في اول وقت السماع
بالاتيان بالمحضض عليه وقالوا كما يقول المستيقن المطلع
على حقيقة الحال قرن بالظن التصريح بالقول ليفيد ان اللائق
للمومن ان يبني قوله على ظن الخير في اول وقت السماع هذا افك
مبين كذب ظاهر لولا جاوا عليه باربعة شهداء هلا جاوا على
القذف لو كانوا صادقين باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء
الاربعة فاولئك عند الله اي في حكمه وشريعته وفي عنايته
عند تعظيم لما في احكام الشرع من معنى العمل بالظاهر هم الكاذبون
من جملة القول تقرير لكونه كذبا فان ما لا حجة عليه كذب
في حكم الشرع ولذلك رتب عليه الحد انتهى ابو الليث

لولا اذ سمعتموه تكوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ووجه الى الخائضين بطريق الالتفات لتشديد ما في لولا
التحضيضية من التوبيخ ثم العدول عنه الى الغيبة في قوله
ظن المومنون والمومنات بانفسهم خيرا لتاكيد التوبيخ والتشنيع
لكن لا بطريق الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم على وجه
المباثة بل بالتوسل بذلك الى وصفهم بما يوجب الاتيان
بالمحضض عليه ويقتضيه اقتضاء تاما ويزجرهم عن ضده
زجرا بليغا فان كون وصف الايمان مما يحملهم على احسان
الظن ويكفهم عن اساءته بانفسهم اي بابناء جنسهم
النازلين منزلة انفسهم كقوله تعالى ثم انتم هولاء تقتلون
انفسكم وقوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم مما لا ريب فيه فاخلالهم
بموجب ذلك الوصف اقبح واشنع والتوبيخ عليه ادخل
مع ما فيه من التوسل به الى التصريح بتوبيخ الخائضات
ثم انه ان كان المراد بالايمان الايمان الحقيقي فايجابه لما ذكر واضح
والتوبيخ خاص بالمومنين وان كان مطلق الايمان الشامل
لما يظهره المنافقون ايضا فايجابه له من حيث انهم كانوا يحترزون عن اظهار ما ينافي مدعاهم فالتوبيخ حينئذ متوجه الى الكل
وتوسيط الظرف بين لولا وفعلها لتخصيص التحضيض باول زمان سماعهم وقصر التوبيخ على تاخير الاتيان بالمحضض عليه
عن ذلك الآن والتردد فيه ليفيد ان عدم الاتيان به راسا في غاية ما يكون من القباحة والشناعة اي كان الواجب ان يظن
المومنون والمومنات اول ما سمعوه ممن اخترعه بالذات او بالواسطة من غير تلعثم وتردد بمثلهم من آحاد المومنين خيرا
وقالوا هذا افك مبين

ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لولا هذه لامتناع الشيء لوجود غيره اي لولا اني قضيت ان اتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الامهال للتوبة وان ارحم عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة بسبب توبتكم واستسلامكم للحد لمسكم عاجلا فيما افضتم فيه يقال افاض في الحديث وخاض واندفع عذاب عظيم تستحقر دونه اللوم والجلد اذ ظرف لمسكم او لافضتم تلقونه التلقي كالتلقن والتلقف الا ان التلقي معنى الاستقبال وفي التلقن للحذف في التناول وفي التلقف الاحتيال في التناول وذكر الراغب ولا اختصاص له بالكلام فلذلك قال بألسنتكم اي ان بعضكم كان يقول لبعض هل بلغك حديث عائشة رضي الله عنها حتى شاع فيما بينهم وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد الا طار فيه وتقولون بافواهكم انما قيد بالافواه مع ان القول لا يكون الا بالفم لان المراد بيان انهم يقولون كلاما خاليا عن العلم بادني درجات في العلم فالتنكير في قوله ما ليس لكم به علم للتقليل وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة له فهو ثلثة آثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم تلقي الافك بالالسنة والتحدث به من غير علم واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم في الوزر ثم اخذ يوبخهم على التكلم به وكان الواجب عليهم اذ سمعوه ان لا يفوهوا به فقال ولولا اذ سمعتموه الآية انتهى ابن الكمال

ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم لولا هذه لامتناع الشيء لوجود غيره بخلاف لما تقدم اي ولولا اني قضيت ان اتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الامهال للتوبة وان اترحم عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك يقال افاض في الحديث وخاض واندفع اذ ظرف لمسكم او لافضتم تلقونه بألسنتكم يأخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه بألسنتكم اي ان بعضكم كان يقول لبعض هل بلغك حديث عائشة حتى شاع فيما بينهم وانتشر فلم يبق فيه بيت ولا ناد الا طار وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم انما قيد بالافواه مع ان القول لا يكون الا بالفم لان الشيء المعلوم يكون علمه في القلب ثم يترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولا يدور في افواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب وتحسبونه اي خوضكم في عائشة هينا صغيرا وهو عند الله عظيم كبير وجزع بعضهم عند الموت فقيل له في ذلك فقال اخاف ذنبا لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم وفي معالم التنزيل اي عذاب لا انقطاع له يعني في الآخرة لانه ذكر عذاب الدنيا من قبل فقال والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم وقد اصابه فانه قد جلد وحد روت عمرة عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآيات حد اربعة نفر عبد الله بن ابي وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش

ولولا فضل الله عليكم خطاب للسامعين والمسمعين جميعا ورحمته في الدنيا والآخرة من ضروب الآلاء التي من جملتها الامهال للتوبة من ضروب الآلاء التي من جملتها العفو والمغفرة بعد التوبة لمسكم عاجلا بسبب ما خضتم فيه من حديث الافك والابهام لتهويل امره والاستهجان بذكره يقال افاض في الحديث وخاض واندفع وهضب بمعنى عذاب عظيم يستحقر دونه التوبيخ والجلد اذ تلقونه بحذف احدى التائين ظرف لمسكم اي لمسكم ذلك العذاب وقت تلقيكم اياه من المخترعين بألسنتكم والتلقي والتلقف والتلقن معان متقاربة خلا ان في الاول معنى الاستقبال وفي الثاني معنى الخطف والاخذ بسرعة وفي الثالث معنى الحذف والمهارة وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القاء بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الولق والالق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته فوجدته وتقفونه اي تتبعونه وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم اي تقولون قولا مختصا بالافواه من غير ان يكون له مصداق في القلوب لانه ليس بتعبير عن علم به في قلوبكم كقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم وهو عند الله والحال انه عنده عظيم لا يقادر قدره في الوزر واستجرار العذاب ولولا اذ سمعتموه الآية انتهى ابو السعود

ولولا اذ سمعتموه قلتم فصل بين لولا وقلتم بالظرف اتساعا اذ الظرف تتنزل من الاشياء منزلة انفسها لانها لا محالة لا تنفك عنها وانما قدم الظرف للاهتمام بالتحامي عن التكلم بالافك اول السماع ما يكون اي لا ينبغي لنا ان نتكلم بهذا اي بهذا الافك سبحانك هذا بهتان عظيم فيه بيان فضل عائشة رضي الله عنها لان الله تعالى نزهها بلفظ نزه به نفسه وهو قوله سبحانك اي سبحان الله ان تكون زوجة النبي صلى الله عليه وسلم زانية يعظكم الله ايها الخائضون في امر عائشة رضي الله عنها بنهيكم الله عنه ان تعودوا اي كراهة ان تعودوا لمثله اي الخوض ابدا ان كنتم مؤمنين بالله ورسوله واليوم الآخر ويبين الله لكم الآيات اي آيات الامر والنهي والله عليم يعلم احوال الخلق حكيم يحكم بينهم بالحق انتهى العيون

ولولا وهلا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا فصل بين لولا وقلتم بالظرف وفائدة التقديم بيان انه كان الواجب عليهم ان يتفادوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم قدم والمعنى هلا قلتم اذ سمعتم الافك ما يصح لنا ان نتكلم بهذا سبحانك للتعجب من عظم الامر ومعنى التعجب في كلمة التسبيح ان الاصل ان يسبح الله عند رؤية المتعجب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه او لتنزيه الله تعالى من ان يكون حرم نبيه صلى الله عليه وسلم فاجرة وانما جاز ان تكون امرأة النبي كافرة كامرأة نوح وامرأة لوط عليهما السلام ولم يجز ان تكون فاجرة لان النبي مبعوث ليدعوهم فيجب ان لا يكون معه ما ينفرهم عنه والكفر غير منفر عندهم واما الكشخنة فمن اعظم المنفرات هذا بهتان عظيم زور يبهت من يسمع وذكر فيما تقدم هذا افك مبين ويجوز ان يكونوا امروا بهما مبالغة في التبري يعظكم الله ان تعودوا في ان تعودوا لمثله لمثل هذا الحديث القذف والاستماع ابدا ما دمتم احياء مكلفين ان كنتم مؤمنين فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو الايمان الصاد عن كل قبيح ويبين الله لكم الآيات اي الكلمات الواضحات او الاحكام والشرائع والآداب الجميلة والله عليم بكم وباعمالكم حكيم يجزي على وفق اعمالكم او عليم صدق نزاهتها وحكيم ببراءتها انتهى المدارك

ثم اخذ يوبخهم على التكلم به وكان الواجب عليهم اذ سمعوه ان لا يفوهوا به فقال ولولا وهلا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ما ينبغي وما يصح لنا ان نتكلم بهذا قد تقدم فائدة تقديم الظرف ووجه الفصل بين لولا وقلتم سبحانك للتعجب من عظم الامر ومعنى التعجب في كلمة التسبيح ان الاصل ان يسبح الله تعالى عند رؤية العجب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه او لتنزيه الله تعالى من ان يكون حرم نبيه صلى الله عليه وسلم فاجرة فان فجورها تنفر عنه ويخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما تقدم وتمهيدا لما تأخر هذا بهتان عظيم زور مبهت من يسمع عظيم وفي الاخبار ان امرأة ابي ايوب قالت لابي ايوب الانصاري رضي الله عنهم اما بلغك ما يقول الناس في عائشة رضي الله عنها فقال ابو ايوب سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت الآية على وفق قوله يعظكم الله اي يحذركم ان تعودوا لمثله في ان تعودوا لمثل ما فعلتم من القول به وسماعه وتلقيه ابدا ما دمتم احياء مكلفين ان كنتم مؤمنين فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو الايمان الصاد عن كل قبيح ويبين الله لكم الآيات الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب كي يتعظوا ويتأدبوا والله عليم بما يأمره وينهى حكيم فيه انتهى ابن الكمال

ولولا اذ سمعتموه من المخترعين او الشايعين لهم قلتم تكذيبا لهم وتهويلا لما ارتكبوه ما يكون لنا ما يمكننا ان نتكلم بهذا وما يصدر عنا ذلك بوجه من الوجوه وحاصله نفي وجود التكلم به لا نفي وجوده على وجه الصحة او الاستقامة والانبغاء وهذا اشارة الى ما سمعوه وتوسيط الظرف بين لولا وقلتم كما مر لتخصيص التحضيض باول وقت السماع وقصر التوبيخ واللوم على تأخير القول المذكور عن ذلك الآن ليفيد انه المحتمل للوقوع المفتقر الى التحضيض على تركه واما ترك القول نفسه رأسا فمما لا يتوهم وقوعه حتى يحضض على فعله ويلام على تركه وعلى هذا ينبغي ان يحمل ما قيل ان المعنى انه كان الواجب عليهم ان يتفادوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم وجب التقديم واما ما قيل من ان ظروف الاشياء منزلة منزلة انفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها فهي ضابطة ربما تستعمل فيما اذا وضع الظرف موضع المظروف بان جعل مفعولا صريحا لفعل مذكور كما في قوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء او مقدر كما في عامة الظروف المنصوبة باضمار اذكر واما ههنا فلا حاجة اليها الا لتحقيق ان مناط التقديم توجيه التخصيص اليه فذلك يتحقق في جميع متعلقات الفعل كما في قوله تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها سبحانك تعجب ممن تفوه به واصله ان يذكر عند معاينة العجيب من صنائعه تعالى تنزيها له سبحانه من ان يصعب عليه امثاله ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه او تنزيه له تعالى من ان يكون حرمة نبيه فاجرة فان فجورها تنفر عنه ويخل بمقصود الزواج فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله تعالى هذا بهتان عظيم لعظمة المبهوت عليه واستحالة صدقه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها يعظكم الله اي ينصحكم ان تعودوا لمثله اي كراهة ان تعودوا او يزجركم من ان تعودوا او في ان تعودوا من قولك وعظته في كذا فتركه ابدا اي مدة حياتكم ان كنتم مؤمنين فان الايمان وازع عنه لا محالة وفيه تهييج وتقريع ويبين الله لكم الآيات الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب دلالة واضحة لتتعظوا وتتأدبوا بها اي ينزلها كذلك اي مبينة ظاهرة الدلالة على معانيها لا انه يبينها بعد ان لم تكن كذلك وهذا كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل اي خلقهما صغيرا وكبيرا ومنه قولك ضيق فم الركية ووسع اسفلها واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتفخيم شأن البيان والله عليم باحوال جميع المخلوقات جلائلها ودقائقها حكيم في جميع تدابيره وافعاله فانى يمكن صدق ما قيل في حق حرمة من اصطفاه لرسالته وبعثه الى كافة الخلق ليرشدهم الى الحق ويزكيهم ويطهرهم تطهيرا واظهار الاسم الجليل ههنا لتأكيد استقلال الاعتراض التذييلي والاشعار بعلية

ان الذين يحبون يؤثرون ان تشيع ان تنتشر الفاحشة اي ما قبح جدا
والمعنى يحبون شيوعها ويشيعونها لان عذاب الدنيا لا يكون
الا بعد اشاعتها وليس هذا من قبيل الكناية ولا من قبيل المجاز
المرسل لان كلا من معنى المحبة والاشاعة مقصود بل من قبيل
الاكتفاء عن ذكر الشيء بذكر ما يقتضيه تنبيها على القوة في
المقتضي ويجوز ان يكون المعنى يشيعون الفاحشة بحبهم
شيوعها على التفنن في الذين آمنوا في حق المؤمنين وهم
المقذوفون منهم او فيما بين المؤمنين لهم عذاب اليم في الدنيا
بالحد والآخرة بالنار والله يعلم بواطن الامور وسرائر
الصدور وانتم لا تعلمون فعاقبوا في الدنيا على ما دل عليه
الظاهر والله يعاقب على السرائر من حب الاشاعة وغيره
ان لم يتوبوا عنها ولولا فضل الله عليكم ورحمته لعجل لكم العذاب
كرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب مع حذف الجواب مبالغة
في تعظيم الجريمة والتوبيخ لهم وان الله رؤف حيث اظهر
براءة المقذوف واثاب رحيم بغفران جناية القاذف
اذا تاب وهذا لان الرأفة رقة الرحمة وحتى تناسب
حال المقذوف يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا الاتباع
الاقتداء بالداعي الذاهب في جهة باقتفاء اثره في
الذهاب في تلك الجهة فالمتبع في الحقيقة نفس الداعي
الى اثره وانما اضيف الاتباع هنا الى الاثر تنزيلا له
منزلة الداعي مبالغة خطوات الشيطان اريد بخطوة الشيطان تعدية حدود الله وتجاوزه على الوسوسة
خطوات الشيطان حذف جزائه لظهوره واقيم علته مقامه فانه يأمر تعليل للجزاء المحذوف والجملة الشرطية قائمة مقام
النهي بالفحشاء ما افرط قبحه والمنكر ما انكره الشرع فى الجملة فهو تعميم بعد التخصيص وفائدته التنبيه بتقديم الـ
على اختصاصه بزيادة الاعتناء في شأنه من جهة الاخر ولولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيق التوبة الماحية للذنوب و
الحدود والكفرة لها ما زكى ما طهر من دنيه منكم من احد ابدا ما دام حيا مكلفا ولكن الله يزكي من يشاء بحمله على الـ
وقبولها والله سميع بمقالاتهم عليم بنياتهم انتهى ابن كمال

ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا اي قبح
جدا فالمعنى يشيعون الفاحشة عن قصد الى الاشاعة ومحبة لها
لهم عذاب اليم في الدنيا بالحد ولقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم
ابن ابي وحسانا ومسطحا الحد والآخرة بالنار وغيرها ان لم يتوبوا
والله يعلم بواطن الامور وسرائر الصدور وانتم لا تعلمون
اي انه عليم بمحبة من احب الاشاعة وهو معاقبه عليها ولولا فضل الله
عليكم ورحمته لعجل لكم العذاب وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب
مع حذف الجواب مبالغة في المنة عليهم والتوبيخ لهم وان الله
رؤف حيث اظهر براءة المقذوف واثاب رحيم بغفران
جناية القاذف اذا تاب يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا
خطوات الشيطان اي آثاره ووساوسه بالاصغاء الى
الافك والقول به ومن يتبع خطوات الشيطان فانه اي الشيطان
يأمر بالفحشاء ما افرط قبحه والمنكر ما تنكره النفوس
فتنفر عنه ولا ترتضيه ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى
منكم من احد ابدا ولولا ان الله تفضل عليكم بالتوبة الممحصة
لما طهر منكم احد آخر الدهر من دنس اثم الافك ولكن الله
يزكي من يشاء يطهر التائبين بقبول توبتهم اذا محصوها
والله سميع لقولهم عليم بضمائرهم واخلاصهم
انتهى الكازروني

ان الذين يحبون اي يريدون ويقصدون ان تشيع الفاحشة اي تنتشر الخصلة المفرطة في القبح وهي الفرية والرمي بالزنا او نفس
فالمراد بشيوعها شيوع خبرها اي يحبون شيوعها ويتصدون مع ذلك لاشاعتها وانما لم يصرح به اكتفاء بذكر المحبة فانها مستتبعة
لاحالة في الذين آمنوا متعلق بتشيع اي تشيع فيما بين الناس وذكر المؤمنين لانهم العمدة فيهم او بمضمر هو حال من الفاحشة فالموصول
عبارة عن المؤمنين وفي شأنهم لهم بسبب ما ذكر عذاب اليم في الدنيا من الحد وغيره مما يتفق من البلايا الدنيوية ولقد ضرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي وحسانا ومسطحا حد القذف وضرب صفوان حسانا ضربة بالسيف وكف بصره
من عذاب النار وغير ذلك مما يعلم الله تعالى والله يعلم جميع الامور التي من جملتها ما في الضمائر من المحبة المذكورة وانتم لا تعلمون
ما يعلمه تعالى بل انما تعلمون ما ظهر لكم من الاقوال والافعال المحسوسة فابنوا امركم على ما تعلمونه وعاقبوا في الدنيا على ما شاهدتم
من الاحوال الظاهرة والله سبحانه وتعالى هو المتولي للسرائر فيعاقب في الآخرة على ما تكنه الصدور هذا اذا جعل العذاب
العظيم في الدنيا عبارة عن حد القذف او منتظما له كما اطبق عليه الجمهور اما اذا ابقى على اطلاقه بان اريد بالمحبة نفس
ان تقارنه التصدي للاشاعة وهو الانسب بسياق النظم الكريم فيكون ترتيب العذاب عليها تنبيها على ان عذاب
مباشر الاشاعة ومتولاها اشد واعظم ويكون الاعتراض التذييلي اعني قوله تعالى والله يعلم وانتم لا تعلمون تقريرا لثبوت
العذاب العظيم لهم وتعليلا له ولولا فضل الله عليكم ورحمته تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للتنبيه على كمال عظم الجريمة
وان الله رؤف رحيم عطف على فضل الله واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والاشعار باستتباع صفة الالوهية للرأفة والرحمة
وتغيير سبكه وتصديره بحرف التحقيق لما ان المراد بيان اتصافه تعالى في ذاته بالرأفة التي هي كمال الرحمة وبالرحيمية التي هي المبالغة في

على الدوام والاستمرار لا بيان حدوث تعلق رأفته ورحمته بهم كما ان المراد بالمعطوف عليه وجواب لولا محذوف لدلالة
ما قبله عليه يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تسلكوا مسالكه في كل ما تأتون وما تذرون من الافاعيل
التي من جملتها اشاعة الفاحشة وحبها وقرئ خطوات بسكون الطاء وبفتحها ايضا ومن يتبع خطوات الشيطان وضع
الظاهران موضع ضميريهما حيث لم يقل ومن يتبعها او ومن يتبع خطواته لزيادة التقرير والمبالغة في التنفير والتحذير
فانه يأمر بالفحشاء والمنكر علة للجزاء وضعت موضعه كأنه قيل فقد ارتكب الفحشاء والمنكر لان دأبه المستمر ان يأمر بهما
فمن اتبع خطواته فقد امتثل بأمره قطعا والفحشاء ما افرط قبحه كالفاحشة والمنكر ما ينكره الشرع وضمير انه
للشيطان وقيل للشأن على رأي من لا يوجب عود الضمير من الجملة الجزائية الى اسم الشرط او على الاصل بأمره وقيل
هو عائد الى من اي فان ذلك المتبع يأمر الناس بهما لان شأن الشيطان هو الاضلال فمن اتبعه يترقى من رتبة
الضلال والفساد الى رتبة الاضلال والافساد ولولا فضل الله عليكم ورحمته بما من جملته هاتيك البيانات
والتوفيق للتوبة الماحصة للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ما زكى اي ما طهر من دنسها وقرئ ما زكى بالتشديد
اي ما طهر الله تعالى ومن في قوله تعالى منكم بيانية وفي قوله تعالى من احد زائدة واحد في حيز الرفع على الفاعلية على
القراءة الاولى وفي محل النصب على المفعولية على القراءة الثانية ابدا الا الى نهاية ولكن الله يزكي يطهر من يشاء
من عباده بافاضة آثار فضله ورحمته عليه وحمله على التوبة ثم قبولها منه كما فعل بكم والله سميع مبالغ في سمع الاقوال
التي من جملتها ما اظهروه من التوبة عليم بجميع المعلومات التي من جملتها نياتهم وفيه حث لهم على الاخلاص في التوبة
واظهار الاسم الجليل للايذان باستدعاء الالوهية للسمع والعلم مع ما فيه من تأكيد استقلال الاعتراض التذييلي
انتهى ابو السعود رحمه الله

قوله ان الذين يحبون نزل في ابن ابي واصحابه الذين يريدون ان تشيع اي تظهر الفاحشة اي الزنا في الذين آمنوا
بنسبتها اليهم وهم العصبة لهم عذاب اليم في الدنيا بالحد وفي الآخرة بالنار والله يعلم براءة عائشة رضي الله عنها وكذب
القائلين وانتم لا تعلمون ذلك ونزل في مسطح من المهاجرين ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤف رحيم
الجواب لعذبكم وفي تكرير ولولا فضل الله عليكم وحذف الجواب زيادة مبالغة في المنة عليهم والتوبيخ لهم
يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان اي تزيينه في قذف عائشة رضي الله عنها وصفوان رضي الله عنه
وسائر المؤمنين ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء اي بالقبيح بالافراط والمنكر وهو ما لا يعرف شرعا
وتنفر عنه النفوس قوله فانه يأمر اقيم مقام الجواب اي وقع في الفحشاء والمنكر لان الشيطان يأمر بهما ولولا فضل الله عليكم
ورحمته بكم في الدارين ما زكى اي ما طهر من الدنس واثم الافك منكم من احد ابدا ومن زائدة واحد فاعل
ولكن الله يزكي اي يطهر التائبين بقبول توبتهم اذا اخلصوها من يشاء والله سميع لقولهم عليم بضمائرهم انتهى
العيوه

الآية على العموم عند بعض المفسرين قالوا اخبر الله تعالى انه لولا فضله ورحمته بالعصمة ما صلح منكم احد وقال قوم هذا الخطاب
للذين خاضوا في الافك ومعناه ما طهر من هذا الذنب ولا صلح امره بعد الذي فعل وهذا قول ابن عباس في رواية
عطاء قال ما قبل توبة احد منكم معالم
ولا يأتل اي لا يحلف افتعال من الالية وقيل لا يقصر من الالو والاول هو الاظهر لنزوله في شأن الصديق رضي الله عنه
حين حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان ينفق عليه لكونه ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين ويعضده قراءة
من قرأ ولا يتأل اولوا الفضل منكم في الدين وكفى به دليلا على فضل الصديق رضي الله عنه والسعة في المال ان يؤتوا
اي على ان يؤتوا وقرئ بتاء الخطاب على الالتفات اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله صفات لموصوف
واحد جيء بها بطريق العطف تنبيها على ان كلا منها علة مستقلة لاستحقاقه الايتاء وقيل لموصوفات اقيمت
هي مقامها وحذف المفعول الثاني لغاية ظهوره اي على ان لا يؤتيهم شيئا وليعفوا ما فرط منهم وليصفحوا بالاغضاء
عنه وقد قرئ الاول ايضا بتاء الخطاب على وفق قوله تعالى الا تحبون ان يغفر الله لكم اي بمقابلة عفوكم وصفحكم واحسانكم
الى من اساء اليكم والله غفور رحيم مبالغ في المغفرة والرحمة مع كمال قدرته على المؤاخذة وكثرة ذنوب العباد
الداعية اليها وفيه ترغيب عظيم في العفو ووعد كريم بمقابلته كأنه قيل الا تحبون ان يغفر الله لكم فهذا من موجباته

روي انه صلى الله عليه وسلم قرأها على ابي بكر رضي الله عنه فقال بلى احب ان يغفر الله لي فرجع الى مسطح نفقته وقال والله لا انزعها
ابدا ان الذين يرمون المحصنات اي العفائف مما رمين به من الفاحشة الغافلات عنها على الاطلاق بحيث لم يخطر
ببالهن شيء منها ولا من مقدماتها اصلا ففيها من الدلالة على كمال النزاهة ما ليس في المحصنات او السليمات
الصدور النقيات القلوب عن كل سوء المؤمنات اي المتصفات بالايمان بكل ما يجب ان يؤمن به من الواجبات
والمحظورات وغيرها ايمانا حقيقيا تفصيليا كما ينبئ عنه تأخير المؤمنات عما قبلها مع اصالة وصف الايمان
فانه للايذان بان المراد بها المعنى الوصفي المعرب عما ذكر لا المعنى الاسمي المصحح لاطلاق الاسم في الجملة كما هو
المتبادر على تقدير التقديم والمراد بها عائشة الصديقة رضي الله عنها والجمع باعتبار ان رميها رمي لسائر
امهات المؤمنين لاشتراك الكل في العصمة والنزاهة والانتساب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى
كذبت قوم نوح المرسلين ونظائره وقيل امهات المؤمنين فيدخل فيهن الصديقة دخولا اوليا واما ما
قيل من ان المراد هي الصديقة والجمع باعتبار استتباعها للمتصفات بالصفات المذكورة من نساء الامة
فيأباه ان العقوبات المرتبة على رمي هؤلاء عقوبات مختصة بالكفار والمنافقين ولا ريب في ان رمي غير
امهات المؤمنين ليس بكفر فيجب ان يكون المراد اياهن على احد الوجهين فانهن قد خصصن من بين سائر
المؤمنات فجعل رميهن كفرا ابرازا لكرامتهن على الله تعالى وحماية لحمى الرسالة على ان يحوم حوله احد بسوء حتى
ان ابن عباس رضي الله عنه جعله اغلظ من سائر افراد الكفر حين سئل عن هذه الآيات فقال من اذنب
ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض في امر عائشة رضي الله عنها وهل هو منه رضي الله عنه الا تهويل
امر الافك والتنبيه على انه كفر غليظ لعنوا بما قالوا في حقهن في الدنيا والآخرة حيث يلعنهم اللاعنون
من المؤمنين والملائكة ابدا ولهم مع ما ذكر من اللعن الابدي عذاب عظيم هائل لا يقادر قدره لغاية عظم
ما اقترفوه من الجناية وقوله تعالى يوم تشهد عليهم الى آخره اما متصل بما قبله مسوق لتقرير العذاب المذكور
بتعيين وقت حلوله وتهويله ببيان ظهور جناياتهم الموجبة له مع سائر جناياتهم المستتبعة لعقوباتها
على كيفية هائلة وهيئات خارقة للعادات فيوم ظرف لما في الجار والمجرور المتقدم من معنى
الاستقرار لا للعذاب وان اغضينا عن وصفه لاخلاله بجزالة المعنى واما منقطع عنه مسوق لتهويل
اليوم بتهويل ما يحويه على انه ظرف لفعل مؤخر قد ضرب عنه الذكر صفحا للايذان بقصور العبارة عن
تفصيل ما يقع فيه من الطامة التامة والداهية العامة كأنه قيل يوم تشهد عليهم ألسنتهم وايديهم وارجلهم
بما كانوا يعملون يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به حيطة المقال على ان الموصول المذكور عبارة
عن جميع اعمالهم السيئة وجناياتهم القبيحة لا عن جناياتهم المعهودة فقط ومعنى شهادة الجوارح المذكورة
بها انه تعالى ينطقها بقدرته فتخبر كل جارحة منها بما صدر عنها من افاعيل صاحبها لا ان كلا منها تخبر بجناياتهم
المعهودة فحسب والموصول المحذوف عبارة عنها وعن فنون العقوبات المرتبة عليها كافة لا عن
احداها خاصة ففيه من ضروب التهويل بالاجمال والتفصيل ما لا مزيد عليه وجعل الموصول المذكور
عبارة عن خصوص جناياتهم المعهودة وحمل شهادة الجوارح على اخبارها بها فقط تحجير للواسع وتهوين
لامر الوازع والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرارهم عليها في الدنيا وتقديم عليهم على
الفاعل للمسارعة الى بيان كون الشهادة ضارة لهم مع ما فيه من التشويق الى المؤخر كما مر مرارا
وقوله تعالى يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق اي يوم اذ تشهد جوارحهم باعمالهم القبيحة يعطيهم الله تعالى جزاءهم
الثابت الذي يحق ان يثبت لهم لا محالة وافيا كاملا كلام مبتدأ مسوق لبيان ترتيب حكم الشهادة
عليها متضمن لبيان ذلك المبهم المحذوف على وجه الاجمال ويجوز ان يكون يوم تشهد ظرفا ليوفيهم ويومئذ
بدلا منه وقيل هو منصوب على انه مفعول لفعل مضمر اي اذكر يوم تشهد وقرئ يوم يشهد بالتذكير للفصل
ويعلمون عند معاينتهم الاهوال والخطوب حسبما نطق به القرآن الكريم ان الله هو الحق الثابت الذي يحق ان يثبت
لا محالة في ذاته وصفاته وافعاله التي من جملتها كلماته التامات المنبئة عن الشئون التي يشاهدونها منطبقة عليها
المبين المظهر للاشياء كما هي في انفسها او الظاهر انه هو الحق وتعبيره نظهور الوهيته تعالى

[illegible] ومشاركة الغير له فيها وعدم قدرة ما سواه على الثواب والعقاب ليس له كثير مناسبة للمقام كما ان تفسير
[illegible] بذي الحق المبين اي العادل الظاهر عدله كذلك ولو تتبعت ما في القرآن المجيد من آيات الوعيد الواردة
في حق كل كفار مريد وجبار عنيد لا تجد شيئا منها فوق هاتيك القوارع المشحونة بفنون التهديد و
التشديد وما ذاك الا لاظهار منزلة النبي صلى الله عليه وسلم في علو الشأن والنباهة وابراز رتبة
الصديقة رضي الله عنها في العفة والنزاهة انتهى ابو السعود رحمه الله

[illegible] ولا يأتل اولوا الفضل منكم نزل في ابي بكر رضي الله عنه حين حلف ان يقطع نفقته عن مسطح بن خالته لخوضه
[illegible] عائشة رضي الله عنها وكان فقيرا بدريا مهاجرا ينفق عليه ابو بكر رضي الله عنه من الايتلاء وهو الحلف اي لا يحلف اولوا الفضل
والسعة في المال ان يؤتوا اي على ان يقطعوا وعلى ان لا يحسنوا الى المستحقين للاحسان لجناية اقترفوها ومفعول
يؤتوا اي يعطوا اولي القربى اي على ذوي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا اي ليتجاوزوا عن خطاياهم
وليصفحوا اي ليعرضوا عن ذنوبهم فالمعنى لا يحلفوا على ان لا يحسنوا اليهم ولا يقصروا فيه فليعودوا عليهم بالعفو والصفح
الا تحبون ان يغفر الله لكم اذا عفوتم فقال ابو بكر رضي الله عنه بلى احب ان يغفر الله لي ورد الى مسطح نفقته والله غفور
رحيم اي يغفر ذنوب المؤمنين ويرحمهم قوله تعالى ان الذين يرمون المحصنات نزل في شأن قذف ابن ابي عائشة
رضي الله عنها قال بالجمع لان امهات المؤمنين جمعت ارادة لها ولبنات من نساء الامة الموصوفات بالاحصان اولاه
[illegible] قذف واحدة منها فكأنه قذف جميعا اي ان الذين يقذفون المحصنات وهي العفائف عن الفواحش الغافلات
عن الاهتمام بالفاحشة المؤمنات اي السليمات القلوب التي ليس فيهن مكر النساء وحيلهن لعنوا في الدنيا والآخرة
اي جعل الله القذفة ملعونين في الدارين جميعا ولهم عذاب عظيم اي ليس لهم توبة فالمراد من المحصنات
[illegible] زوجات النبي صلى الله عليه وسلم لان من قذف مؤمنة غير حقه فقد جعل الله له توبة وقيل المراد منها عائشة
رضي الله عنها وانما جمع لان من قذف واحدة من نساء النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه قذف جميعا

ولا يأتل ولا يحلف من ائتلى اذا حلف افتعال من الالية او ولا يقصر من الالو اولوا الفضل منكم في الدين والسعة في الدنيا ان يؤتوا اي لا يؤتوا ان كان من الالية اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله اي لا يحلفوا على ان لا يحسنوا الى المستحقين للاحسان او لا يقصروا في ان يحسنوا اليهم وان كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفوها وليعفوا وليصفحوا العفو الستر والصفح الاعراض اي وليتجاوزوا عن الجفاء وليعرضوا عن العقوبة الا تحبون ان يغفر الله لكم فليفعلوا بهم ما يرجون ان يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم والله غفور رحيم فتأدبوا بأدب الله تعالى واغفروا وارحموا نزلت في ابي بكر رضي الله عنه حين حلف ان لا ينفق على مسطح بن خالته لخوضه في عائشة رضي الله عنها وكان مسكينا بدريا مهاجرا ولما قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على ابي بكر قال بلى احب ان يغفر الله لي ورد الى مسطح نفقته ان الذين يرمون المحصنات العفائف الغافلات السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لانهن لم يجربن الامور المؤمنات بما يجب الايمان به عن ابن عباس رضي الله عنهما هن ازواجه عليه السلام وقيل هن جميع المؤمنات اذ العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب وقيل اريدت عائشة رضي الله عنها وحدها وانما جمع لان من قذف واحدة من نساء النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه قد قذفهن لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم جعل القذفة ملعونين في الدارين وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة ان لم يتوبوا والعامل في يوم تشهد عليهم يعذبون وبالياء حمزة وعلي ألسنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون اي بما افكوا وبهتوا والعامل في يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق بالنصب صفة للدين وهو الجزاء اي يوفيهم جزاءهم الحق الثابت الذي هم اهله وقرأ مجاهد بالرفع صفة لله كقراءة ابي يوفيهم الله الحق دينهم وعلى قراءة النصب يجوز ان يكون الحق وصفا لله بأن ينتصب على المدح ويعلمون عند ذلك ان الله هو الحق المبين لارتفاع الشكوك وحصول العلم الضروري ولم يغلظ الله في القرآن في شيء من المعاصي تغليظه في افك عائشة رضي الله عنها فأوجز في ذلك واشبع وفصل واجمل واكد وكرر وما ذاك الا لامر وعن ابن عباس رضي الله عنهما من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا في امر عائشة رضي الله عنها وهذا منه مبالغة وتعظيم لامر الافك ولقد برأ الله تعالى اربعة باربعة برأ يوسف عليه السلام بشاهد من اهلها وموسى عليه السلام من قول اليهود

٢

ولا يأتل ولا يحلف افتعال من الالية يرشد اليه انه قرئ ولا يتأل وانه نزل في ابي بكر وقد حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان من فقراء المهاجرين اولوا الفضل منكم في الدين وفيه دليل على فضل ابي بكر رضي الله عنه والسعة في المال ان يؤتوا كراهة ان يؤتوا وقرئ بالتاء على الالتفات اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله صفات لموصوف واحد اي ناسا جامعين لها لان الكلام فيمن كان كذلك او لموصوفات اقيمت مقامها فيكون ابلغ في تعليل المقصود وليعفوا ما فرط منهم وليصفحوا الصفح الاعراض اي وليتجاوزوا عن الجفاء وليعرضوا عن العقوبة الا تحبون ان يغفر الله لكم هذا غاية تلطف في الخطاب اي فاذا احببتم مغفرة الله لكم فاغفروا للغير والله غفور رحيم اي فتأدبوا بأدب الله تعالى واعفوا وارحموا ولما نزل الا تحبون قال ابو بكر رضي الله عنه بلى يا رب ثم عاد لمسطح الى ما كان وكفر يمينه ان الذين يرمون المحصنات العفائف الغافلات مما قذفن به كناية عن براءتهن منه المؤمنات بما يجب الايمان استباحة لعرضهن وطعنا في الرسول والمؤمنين كابن ابي اريدت عائشة رضي الله عنها وحدها وانما جمع لان من قذف واحدة من نساء النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه قذفهن واعاد الكلام دفعا لما عسى ان يسبق الى الافهام من قضية مسطح ان قذفة عائشة رضي الله عنها مغفورون بالجلد والتوبة لعنوا في الدنيا والآخرة يلعنهم المؤمنون في الدنيا بلعنهم والملائكة في الآخرة ولهم عذاب عظيم لعظم ذنوبهم وقدر ذلك على معنى يعذبون وهو العامل في يوم تشهد الا العذاب لانه موصوف وقرئ بالياء للتقدم والفصل ألسنتهم هذا في حق القذفة وقوله اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم الا في حق المشركين فلا منافاة وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يعترفون بما انطاق الله تعالى على ما نطق به قوله تعالى قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء بغير اختيار منهم على ما دل عليه قولهم لم شهدتم علينا وفي ذلك تهويل العذاب يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق جزاءهم بالنصب وصفا لله تعالى على المدح لقراءة مجاهد وقراءة ابي يوفيهم الله الحق دينهم والاصل في القراءات التوافق ويعلمون عند ذلك ان الله هو الحق المبين الثابت براءته الظاهر الوهيته لا يشاركه في ذلك غيره لارتفاع الشكوك وحصول العلم الضروري ولم يغلظ الله تعالى في القرآن في شيء من المعاصي تغليظه في افك عائشة رضي الله عنها فأوجز في ذلك واشبع وفصل واجمل واكد وكرر وما ذاك الا لامر

اسعی ابن الکمال

يوم اي اذكر يوم تشهد عليهم ألسنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون من الافك والزنا وغيرهما قوله يومئذ نصب بقوله يوفيهم يعني يتمم الله دينهم الحق بالنصب صفة الدين وبالرفع صفة الله جزاءهم الواجب الذي يجازون عليه اعدل الجزاء يوم القيمة ويعلمون ان الله هو الحق المبين اي لا يشكون في انه هو العادل الظاهر لا ظلم في حكمه ومن هذا وصفه فحق مثله ان يتقى ويجتنب محارمه

اسعی العيون

الخبيثات من القول والعمل للخبيثين من الرجال وعلى هذا بقيته وقيل الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال وكذا بقيته والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات وفيه تنزيه عائشة رضي الله عنها لما انها زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي طيبة لزوج طيب وامرأة المنافق القاذف خبيثة لزوجه خبيث اولئك مبرؤن مما يقولون اي فيهم واولئك اشارة الى الطيبين وانهم مبرؤن مما يقوله الخبيثون من خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة رضي الله عنها وما رميت اذ رميت من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب ويكون ان يكون اولئك اشارة الى اهل البيت وانهم مبرؤن مما يقول اهل الافك لهم مغفرة في الحشر مستانفا او خبر بعد خبر ورزق كريم في الجنة يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم التي اختص بكم سكناها اسكنتم فيها او لم تسكنوا اي لا تدخلوا بيوتا ليسكنها غيركم وهذا يعم مسكن الام فانه لا يجوز ان يدخل عليها روي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم استاذن على امي قال نعم قال لا خادم لها غيري استاذن عليها كلما دخلت قال صلى الله عليه وسلم اتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستاذن وهو ثابت ويرجع الى التحرز عن الاطلاع على عورة الغير حتى تستانسوا اي تستعلموا من في البيت باي وجه امكن قال الله تعالى فان آنستم منهم رشدا اي علمتم وفي سنن ابن ماجه عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه قال قلنا يا رسول الله هذا السلام فما الاستيناس قال يتكلم الرجل تسبيحة وتكبيرة وتحميدة ويتنحنح ويؤذن اهل البيت وتسلموا على اهلها بان تقولوا السلام عليكم ءادخل ثلث مرات فان اذن له دخل والا رجع وقيل ان تلاقيا تقدم التسليم والا فالاستيذان ذلكم اي الاستعلام والتسليم خير لكم من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير اذن وكان الرجل من اهل الجاهلية اذا دخل بيت غيره يقول حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما اصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد لعلكم تذكرون متعلق بمحذوف اي انزل التكليم او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتعملوا بما هو اصلح لكم انتهى

وقوله الخبيثات الى آخره كلام مستانف مؤسس على قاعدة السنة الالهية الجارية فيما بين الخلق على موجب ان لله تعالى ملكا يسوق الاهل الى الاهل اي الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال اي مختصات بهم لا يكدن يتجاوزنهم الى غيرهم على ان اللام للاختصاص والطيبات منهن للطيبين منهم والطيبون ايضا للطيبات منهن بحيث لا يكادون يتجاوزونهن الى ما عداهن وحيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب الاطيبين وخيرة الاولين والآخرين صلا

الخبيثات من القول تقال للخبيثين من الرجال والنساء والخبيثون منهم يتعرضون للخبيثات من القول وكذلك والطيبات من القول للطيبين من الرجال والنساء والطيبون للطيبات اولئك مبرؤن مما يقولون اي فيهم واولئك اشارة الى الطيبين وانهم مبرؤن مما يقول اهل الافك الخبيثون من خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة رضي الله عنها وما رميت به من قول لا يطابق حالها من النزاهة والطيب ويجوز ان يكون اولئك اشارة الى اهل البيت وانهم مبرؤن مما يقول اهل الافك وان يراد بالخبيثات والطيبات النساء اي الخبائث يتزوجن الخباث والخباث الخبائث وكذلك اهل الطيب لهم مغفرة مستانف او خبر بعد خبر ورزق كريم في الجنة ودخل ابن عباس على عائشة رضي الله عنهم في مرضها وهي خائفة من القدوم على الله فقال لا تخافي فانك لا تقدمين الا على مغفرة ورزق كريم وتلا الآية فغشي عليها فرحا بما تلا وقالت عائشة رضي الله عنها لقد اعطيت تسعا ما اعطيتهن امرأة نزل جبريل بصورتي في راحته حين امر عليه السلام ان يتزوجني وتزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري وتوفي عليه السلام ورأسه المبارك في حجري وقبر في بيتي وينزل عليه الوحي وانا في لحافه وانا ابنة خليفته وصديقه ونزل عذري من السماء وخلقت طيبة عند طيب ووعدت مغفرة ورزقا كريما يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم اي بيوتا لستم تملكونها ولا تسكنونها حتى تستانسوا اي تستاذنوا عن ابن عباس رضي وقد قرأ به والاستيناس في الاصل الاستعلام والاستكشاف استفعال من انس الشيء اذا ابصره ظاهرا مكشوفا اي حتى تستعلموا ايطلق الدخول ام لا وذلك بتسبيحة او تكبيرة او تحميدة او تنحنح وتسلموا على اهلها والتسليم ان يقول السلام عليكم ءادخل ثلث مرات فاذا اذن له والا رجع وقيل ان تلاقيا تقدم التسليم والا فالاستيذان ذلكم اي الاستيذان او التسليم خير لكم من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير اذن وكان الرجل من اهل الجاهلية اذا دخل بيت غيره يقول حييتم وحييتم مساء ثم يدخل فربما اصاب الرجل مع امرأته في لحاف لعلكم تذكرون اي قيل لكم هذا لكي تذكروا وتتعظوا وتعملوا امرتم به في باب الاستيذان انتهى المدارك

تبيين كون الصديقة رضي الله عنها من اطيب الطيبات بالضرورة واتضح بطلان ما قيل في حقها من الخرافات حسبما نطق به قوله اولئك مبرؤن مما يقولون على ان الاشارة الى اهل البيت المنتظمين للصديقة انتظاما اوليا وقيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والصديقة وصفوان وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليهم وبعد منزلتهم في الفضل اي اولئك الموصوفون بعلو الشان مبرؤن مما يقوله اهل الافك في حقهم من الاكاذيب الباطلة وقيل الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والنساء اي مختصة ولائقة بهم لا ينبغي ان يقال في حق غيرهم وكذا الخبيثون من الفريقين احقاء بان يقال في حقهم خبائث القول والطيبات من الكلم للطيبين من الفريقين مختصة وحقيقة بهم وهم احقاء بان يقال في شانهم طيبات الكلم اولئك الطيبون مبرؤن مما يقول الخبيثون في حقهم فحاله تنزيه الصديقة ايضا وقيل خبيثات القول مختصة بالخبيثين من فريقي الرجال والنساء لا تصدر عن غيرهم والخبيثون من الفريقين مختصون بخبائث القول متعرضون لها والطيبات من الكلام للطيبين من الفريقين اي مختصة بهم لا تصدر عن غيرهم والطيبون من الفريقين مختصون بطيبات الكلام لا يصدر عنهم غيرها اولئك الطيبون مبرؤن مما يقوله الخبيثون من الخبائث اي لا يصدر عنهم مثل ذلك فحاله تنزيه القائلين سبحانك هذا بهتان عظيم لهم مغفرة عظيمة لما لا يخلو عنه البشر من الذنب ورزق كريم هو الجنة يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم اثر ما فصل الزواجر عن الزنا وعن رمي العفائف عنه شرع في تفصيل الزواجر عما عسى يؤدي الى احدهما من مخالطة الرجال بالنساء ودخولهم عليهن في اوقات الخلوات وتعليم الآداب الجميلة والافاعيل المرضية المستتبعة لسعادة الدارين ووصف البيوت بمغايرة بيوتهم خارج مخرج العادة التي هي سكنى كل احد في ملكه والا فالآجر والمعير ايضا منهيان عن الدخول بغير اذن وقرئ بيوتا غير بيوتكم بكسر الباء لاجل الياء حتى تستانسوا اي تستاذنوا من يملك الاذن من اصحابها من الاستيناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء اذا ابصره فان المستاذن مستعلم للحال مستكشف انه هل يؤذن له او من الاستيناس الذي هو خلاف الاستيحاش لما ان المستاذن مستوحش خائف ان لا يؤذن له فاذا اذن استانس وتسلموا على اهلها عند الاستيذان روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان التسليم ان يقول السلام عليكم ءادخل ثلث مرات فان اذن له دخل والا رجع ذلكم اي الاستيذان مع التسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتة او على تحية الجاهلية حيث كان الرجل منهم اذا اراد ان يدخل بيتا غير بيته يقول حييتم صباحا حييتم مساء فيدخل فربما اصاب الرجل مع امرأته في لحاف وروي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم استاذن على امي قال نعم قال ليس لها خادم غيري استاذن عليها كلما دخلت قال صلى الله عليه وسلم اتحب ان تراها عريانة قال لا قال صلى الله عليه وسلم فاستاذن لعلكم تذكرون متعلق بمضمر اي امرتم به او قيل لكم هذا كي تتذكروا او تتعظوا وتعملوا بموجبه انتهى ابو السعود رحمه الله

الخبيثات اي الاعمال الخبيثات تعد للخبيثين من الناس والخبيثون منهم للخبيثات وكذا الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات وانما كررت الصيغتان لقصد التاكيد والايذان بان كل واحد من افرادها لا يميل الا الى صاحبه ويكون ان يراد بالخبيثات والطيبات النساء اي الزناة تتزوجون الزواني وبالعكس وكذا اهل الطيب اي العفائف للعفيفين وبالعكس اولئك اي الطيبون والطيبات او عائشة رضي الله عنها وصفوان رضي لان اقل الجمع اثنان مبرؤن اي منزهون مما يقولون اي الخبيثون والخبيثات فيهم من القذف لهم مغفرة من ذنوبهم لاجل الافتراء عليهم ورزق كريم اي الجنة ثم قال الله تعالى تعليما للادب ودفعا للتهمة عن اهل الايمان يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم اي لا تدخلوا غير بيوتكم حتى تستانسوا فحتى غاية لنهي الدخول اي حتى تستاذنوا من الاستيناس الذي هو الاستعلام ويجوز ان يكون من الاستيناس الذي هو ضد الاستيحاش لان من يطرق باب غيره لا يدري ايؤذن له ام لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه فاذا اذن له استانس وعن النبي صلى الله عليه وسلم في معنى الاستيناس حين سئل عنه فقال هو ان يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة ويتنحنح ليؤذن اهل البيت وتسلموا على اهلها والتسليم ان يقول السلام عليكم ءادخل ثلث مرات فان اذن له والا رجع ذلكم اي الاستيذان والتسليم خير لكم من تركه ومن تحية الجاهلية وهي حييتم صباحا وحييتم مساء ومن دخول البيت بلا اذن لانه اذا دخل بلا اذن فربما صادف الرجل مع امرأته في ثوب واحد فنهوا عن ذلك بهذه الآية قال بعضهم ان رأى انسانا قدم التسليم وان لم ير قدم الاستيذان ثم سلم روي ان رجلا قال يا رسول الله استاذن على امي قال نعم فقال ليس لها خادم غيري استاذن عليها كلما دخلت قال اتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستاذن لعلكم تذكرون اي تتعظون انتهى العيون

كما في الثاني فان ذلك مما يجلب الكراهة في قلوب الناس ويقدح في المروءة اي قدح هو اي الرجوع ازكى لكم اي اطهر مما
لا يخلو عنه اللج والعناد والوقوف على الابواب من دنس الدناءة والرذالة والله بما تعملون عليم فيعلم ما تاتونه وما تذرون
مما كلفتموه فيجازيكم عليه ليس عليكم جناح ان تدخلوا اي بغير استيذان بيوتا غير مسكونة اي غير موضوعة لسكنى طائفة
مخصوصة فقط بل ليتمتع بها من يضطر اليها كائنا من كان من غير ان يتخذها سكنا كالربط والخانات والحوانيت والحمامات
ونحوها فانها معدة لمصالح الناس كافة كما ينبئ عنه قوله تعالى فيها متاع لكم فانه صفة للبيوت او استيناف جار مجرى
التعليل لعدم الجناح اي فيها حق تمتع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والرحال والشرى والبيع
والاغتسال وغير ذلك مما يليق بحال البيوت وداخليها فلا باس بدخولها بغير استيذان من داخليها من قبل
ولا ممن يتولى امرها ويقوم بتدبيرها من قوام الرباطات والخانات واصحاب الحوانيت ومتقبلي الحمامات ونحوهم
ويروى ان ابا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله ان الله تعالى قد انزل عليك اية في الاستيذان وانا نختلف في تجاراتنا
فننزل هذه الخانات افلا ندخلها الا باذن فنزلت وقيل هي الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز والظاهر ان من جملة ما
ينتظم البيوت لا انها المرادة فقط وقوله تعالى والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد لمن يدخل مدخلا من هذه المداخل
لفساد او اطلاع على عورات قل للمؤمنين شروع في بيان احكام كلية شاملة للمؤمنين كافة يندرج فيها حكم المستاذنين
عند دخولهم البيوت اندراجا اوليا وتلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفويض ما في حيزه من الاوامر
والنواهي الى رايه صلى الله عليه وسلم لانها تكاليف متعلقة بامور جزئية كثيرة الوقوع حقيقة بان يكون الامر آمرا بها وقد حذف
تعويلا على دلالة جوابه عليه اي قل لهم غضوا يغضوا من ابصارهم عما يحرم ويقتصروا به على ما يحل ويحفظوا فروجهم
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وتقييد الغض بمن التبعيضية دون الحفظ لما في امر النظر من السعة وقيل المراد
بالحفظ ههنا خاصة هو الستر ذلك اي ما ذكر من الغض والحفظ ازكى لهم اي اطهر لهم من دنس الريبة ان الله خبير
بما يصنعون لا يخفى عليه شيء مما يصدر عنهم من الافاعيل التي من جملتها اجالة النظر واستعمال سائر الحواس وتحريك الجوارح
وما يقصدون بذلك فليكونوا على حذر منه في كل ما ياتونه ويذرون انتهى ابو السعود رحمه الله

فان لم تجدوا فيها اي في البيوت احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم في الدخول وان قيل لكم عند الاستيذان للدخول ارجعوا فارجعوا اي
ولا تلحوا في الدخول هو اي الرجوع ازكى لكم اي اطهر لقلوبكم من الريبة والدخول بغير اذن ولا تقفوا على الابواب منتظرين
لان هذا مما يجلب الكراهة ويقدح في قلوب الناس واذا نهي عن ذلك لادائه الى الكراهة وجب الانتهاء عن مقدماته
من قرع الباب بعنف والتصيح لصاحب الدار وغير ذلك من العادات مما يستنكر عندهم فان عرض امر في دار
من حريق او هجوم سارق او ظهور منكر يجب انكاره جاز الدخول بغير اذن لانه مستثنى بالدليل والله بما تعملون عليم
من خير وشر ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع اي منفعة لكم كالاستكنان من الحر والبرد وحفظ الامتعة
والله يعلم ما تبدون وما تكتمون اي ما تظهرون وما تسترون قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم من تبعيض لان المراد المنع
من النظر الى ما لا يحل الا ترى ان المحارم لا باس بالنظر اليها وكذلك الجواري المستعرضات ويحفظوا فروجهم عن الزنا
ولم يدخل فيه من لان امر الفرج مضيق اذ لا رخصة للزنا فيه بوجه ما بخلاف امر النظر فانه اوسع لجواز النظر الى صدور
المحارم وايديها واقدامها وكذا الجواري الاجنبية وقدم غض البصر عليه لان النظر بريد الزنا ويجوز ان يراد من حفظ
الفرج ان يسترها من النظر اليها ذلك اي غض البصر وحفظ الفرج ازكى لهم اي اطهر لقلوبهم ان الله خبير بما يصنعون انتهى النسفي

فان لم تجدوا فيها في البيوت احدا من الآذنين فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم حتى تجدوا من ياذن لكم او فان لم تجدوا
فيها احدا من اهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها الا باذن اهلها
لان التصرف في ملك الغير لا بد من ان يكون برضاه وان قيل لكم
ارجعوا اي اذا كان فيها قوم فقالوا ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا
في اطلاق الاذن ولا تلحوا في تسهيل الحجاب ولا تقفوا على
الابواب لان هذا مما يوجب الكراهة واذا نهي عن ذلك
لادائه الى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما ادى اليها
من قرع الابواب بعنف والتصيح بصاحب الدار وغير ذلك
وعن ابي عبيد ما قرعت بابا على عالم قط هو ازكى لكم
اي الرجوع اطيب لكم لما فيه من سلامة الصدور والبعد
عن الريبة او انفع وانمى خيرا والله بما تعملون عليم
وعيد للمخاطبين بانه عالم بما ياتون ويذرون
مما خوطبوا به فموف جزاءه عليه ليس عليكم جناح ان
تدخلوا في ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة استثنى
من البيوت التي يجب الاستيذان على داخلها ما ليس
بمسكون فيها كالخانات والربط وحوانيت التجار
فيها متاع لكم اي منفعة كالاستكنان من الحر
والبرد وايواء الرحال والسلع والشراء والبيع
وقيل الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز والله
يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد قل للمؤمنين
يغضوا من ابصارهم من للتبعيض والمراد غض البصر
عما يحرم والاقتصار به على ما يحل ويحفظوا فروجهم
عن الزنا ولم يدخل من هنا لان الزنا لا رخصة فيه
بوجه ويجوز النظر الى وجه الاجنبية وكفيها
وقدميها في رواية والى راس المحارم والصدر و
الساقين والعضدين ذلك اي غض البصر وحفظ
الفرج ازكى لهم اي اطهر من دنس الاثم ان الله خبير بما
يصنعون فيه ترغيب وترهيب يعني انه خبير
باحوالهم وافعالهم وكيف يجيلون ابصارهم والله يعلم
خائنة الاعين وما تخفي الصدور فعليهم اذا عرفوا
ذلك ان يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون
انتهى المدارك

فان لم تجدوها احدا ياذن لكم وانما قال فان لم تجدوا دون
فان لم يكن لمكان ان تتعقد المامور به في ضمن الامر بالاستيناس
فلا تدخلوها يعني ان كان لكم فيها حاجة حتى يؤذن لكم لا لان
التصرف في ملك الغير بغير اذنه محظور لانه لا ينتظم ما اذا كان
الداخل مغيرا بل لان المانع عن الدخول ليس الاطلاع
على العورات فقط بل وعلى ما يخفيه الناس عادة
والمراد من الاذن ما يعم الاذن دلالة كما اذا عرض حرق او غرق
او نحو ذلك واما الذي فيه منكر فلا يكون خاليا فلا يكون
في معرض الاستثناء وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا
هو ازكى لكم الرجوع اطهر لكم مما لا يخلو عنه الالحاح من الكراهة
والله بما تعملون عليم يعلم ما تاتونه وما تذرونه مما خوطبتم به
فيجازيكم عليه ليس عليكم جناح ان تدخلوا في ان تدخلوا
بيوتا غير مسكونة كالخانات والرباطات والحوانيت
فيها متاع استمتاع لكم كالاستكنان من الحر والبرد و
ايواء الرحال والسلع والجلوس للمشتري والبيع وذلك
استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها
والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد لمن دخل مدخلا
لفساد او تطلع على عوراته قل للمؤمنين يغضوا من
ابصارهم ويحفظوا فروجهم لم يذكر ما يغض البصر عنه
ويحفظ الفرج لان ذلك معلوم بالعادة فان من سمعه يعلم
ان المراد منه المحرم دون الحلال فلا حاجة الى الاستثناء
وليس كل المحرم مما يجب فيه غض البصر عنه بخلاف حفظ
الفرج فان كل ما يحرم يجب حفظه عنه فلذلك ادخل حرف
التبعيض في الاول واطلق الثاني ذلك ازكى لهم لما فيه
من البعد عن دنس الاثم ان الله خبير بما يصنعون
من اجالة النظر واستعمال سائر الاعضاء والالات وما يقصدون
بها فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون انتهى

فان لم تجدوا فيها احدا اي ممن الاذن على ان من لا يملكه من النساء
والولدان وجدانه كفقدانه او واحدا اصلا على ان مدلول النص
الكريم عبارة هو النهي عن دخول البيوت الخالية لما فيه من
الاطلاع على ما يعتاد الناس اخفاءه مع ان التصرف
في ملك الغير محظور مطلقا واما حرمة دخول ما فيه النساء
والولدان فثابتة بدلالة النص لان الدخول حين حرم
مع ما ذكر من العلة فلان يحرم عند انضمام ما هو اقوى منه
اليه اعني الاطلاع على العورات اولى فلا تدخلوها واصبروا
حتى يؤذن لكم اي من جهة من يملك الاذن عند اتيانه ومن فسره بقوله حتى ياتي من ياذن لكم او حتى تجدوا من ياذن لكم فقد
ابرز القطعي في معرض الاحتمال ولما كان جعل النهي مغيا بالاذن مما يوهم الرخصة في الانتظار على الابواب مطلقا بل في
تكرير الاستيذان ولو بعد الرد دفع ذلك بقوله تعالى وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا اي ان امرتم من جهة اهل البيت بالرجوع سواء
كان الامر ممن يملك الاذن اولا فارجعوا ولا تلحوا بتكرير الاستيذان كما في الوجه الاول ولا تلجوا بالاصرار على الانتظار الى ان ياتي الاذن

وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن
انما قدم غض الابصار على حفظ الفروج لان النظر بريد الزنا
ورائد الفجور وبذر الهوى طموح العين ولا يبدين زينتهن
الزينة ما تزينت به المرأة من حلي او كحل او خضاب والنهي
اظهار مواضع الزينة اذ اظهار عينها مباح فالمراد بها مواضعها
مجازا او اظهارها وهي في مواضعها لاظهار مواضعها لا الاظهار
اعيانها الا ما ظهر منها اي بلا اظهار منهن كما اذا هبت الريح
وكشفت عن الستر والاستثناء عن الحكم الثابت بطريق
الاشارة وهو الاستحقاق بالمؤاخذة في دار الجزاء
بسبب ظهورها وقد مر وجه هذا النوع من الاستثناء
في تفسير قوله الا ما قد سلف من سورة النساء وما ظهر
باظهارهن لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة ونحو ذلك في
حكم ما ظهر بلا اظهار منهن واما جريان العادة والجبلة على
ظهوره فلا يصلح وجها للاستثناء المذكور وليضربن وليضعن
من قولك ضربت بيدي على الحائط اذا وضعتها عليه بخمرهن جمع خمار
على جيوبهن كانت جيوبهن واسعة تبدو منها صدورهن وما
حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فأمرن
ان يسدلنها من قدامهن حتى يغطينها ولا يبدين زينتهن
كرره لبيان من يحل له الابداء ومن لا يحل له الا لبعولتهن
لازواجهن او آبائهن ويدخل فيهم الاجداد او آباء بعولتهن
فقد صاروا محارم ايضا او ابنائهن ويدخل فيهم النوافل
او ابناء بعولتهن فقد صاروا محارم ايضا او اخوانهن او بني
اخوانهن او بني اخواتهن ويدخل فيهم النوافل وسائر المحارم
كالاعمام والاخوال وغيرهم دلالة او نسائهن اي الحرائر المؤمنات
فان مطلق هذا اللفظ للحرائر والاضافة لاخراج الكافرات
فانهن لا يتحرجن عن وصفهن للرجال انتهى بالكمال

وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن
امرهن بغض الابصار عما يحرم فلا يحل للمرأة ان تنظر من الاجنبي
الى ما تحت سرته الى ركبته وان اشتهت غضت بصرها رأسا
ولا تنظر الى المرأة الا الى مثل ذلك وغضها بصرها من الاجانب
اصلا اولى بها وانما قدم غض الابصار على حفظ الفروج
لان النظر بريد الزناء ورائد الفجور فبذر الهوى طموح العين
ولا يبدين زينتهن الزينة ما تزينت به المرأة من حلي
او خضاب والمعنى ولا يظهرن مواضع الزينة اذ اظهار عين
الزينة وهي الحلي ونحوها مباح فالمراد بها مواضعها او اظهارها
وهي في مواضعها لاظهار مواضعها لا اظهار اعيانها ومواضعها
الرأس والاذن والعنق والصدر والعضدان والذراع
والساق فهي للاكليل والقرط والقلادة والوشاح والدملج
والسوار والخلخال الا ما ظهر منها الا ما جرت العادة والجبلة
على ظهوره وهو الوجه والكفان والقدمان ففي سترها
حرج بين فان المرأة لا تجد بدا من مزاولة الاشياء
بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها خصوصا في الشهادة
والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشي في الطرقات
وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن وليضربن
وليضعن من قولك ضربت بيدي على الحائط اذا وضعتها عليه
بخمرهن جمع خمار على جيوبهن بضم الجيم مدني وبصري وعاصم
كانت جيوبهن واسعة تبدو منها صدورهن وما حواليها وكن
يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فأمرن بان يسدلنها
من قدامهن حتى تغطيها ولا يبدين زينتهن اي مواضع الزينة
الباطنة كالصدر والساق والرأس ونحوها الا لبعولتهن لازواجهن
جمع بعل او آبائهن ويدخل فيهم الاجداد او آباء بعولتهن فقد
صاروا محارم او ابنائهن ويدخل فيهم النوافل او ابناء بعولتهن
فقد صاروا محارم ايضا او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن
ويدخل فيهم النوافل وسائر المحارم كالاعمام والاخوال وغيرهم
دلالة او نسائهن اي الحرائر لان مطلق هذا اللفظ يتناول الحرائر

وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن فلا ينظرن الى ما لا يحل
لهن النظر اليه ويحفظن فروجهن بالتستر او التصون
عن الزنا وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور
ولا يبدين زينتهن كالحلي والثياب والاصباغ فضلا عن مواضعها لمن لا يحل ان تبدى له
المبالغة في النهي عن ابداء مواقع الزينة الا ما ظهر منها
عند مزاولة الامور التي لا بد منها عادة كالخاتم والكحل والخضاب ونحوها فان في سترها حرجا بينا وقيل المراد بالزينة
مواضعها على حذف المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة وليضربن
بخمرهن على جيوبهن ارشاد الى كيفية اخفاء بعض مواقع الزينة بعد النهي عن ابدائها وقد كانت النساء على عادة الجاهلية
يسدلن خمرهن من خلفهن فتبدو نحورهن وقلائدهن من جيوبهن لوسعها فأمرن بارسال خمرهن الى جيوبهن سترا
لما يبدو منها وقد ضمن الضرب معنى الالقاء فعدي بعلى وقرئ بكسر الجيم كما تقدم ولا يبدين زينتهن كرر النهي لاستثناء
بعض مواد الضرورة باعتبار المنظور الا لبعولتهن فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الموضع
المعهود او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن لكثرة المخالطة
الضرورية بينهم وبينهن وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في طباع الفريقين من النفرة عن مماسة القرائب ولهم ان ينظروا
منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وعدم ذكر الاعمام والاخوال لما ان الاحوط ان يتستر عنهم حذرا من ان يصفوهن

وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن عن النظر الى الحرام ويحفظن فروجهن عن الزنا ولا يبدين زينتهن اى لا يظهرن الاشياء
التي من الزينة المستترة كالسوار والخلخال والقلادة لمن لا يحل له النظر اليها ونهيه عن كشف الزينة تحريض على التحفظ التام
لو اجمع الزينة الا ما ظهر منها اى من الزينة التي لا تستر غالبا كالثياب والخاتم والكحل والخضاب فانه لا باس باظهاره للاجانب
لان في النهي عن النظر اليه حرج وليضربن بخمرهن جمع خمار وهو ما يستر به كمقنعة ونقاب على جيوبهن اى صدورهن
ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن اى لازواجهن او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن
او بني اخوانهن او بني اخواتهن فيجوز النظر لهولاء كلهم من النسب والرضاع الى الزينة الباطنة ولا ينظرون الى ما بين السرة والركبة
الا الزوج ويكره له النظر الى ذات الفرج او نسائهن اى نساء دينهن قيل ولم يذكر الاعمام والاخوال لئلا يصفوا لهن عند ابنائهم
وكذا الحكم مشتركة لهما لا يبدين زينتهن الا للنساء الحرائر والاماء المسلمة فيجوز للمسلمة النظر الى المسلمة سوى ما بين السرة
والركبة ولا يجوز للمسلمة ان تنكشف للكافرة لانها ليست من نسائهن ويجوز كشف بدنها الى امة مشتركة لها او ما ملكت

او ما ملكت ايمانهن اى الا الذي ملكت ايمانهن من العبيد اذا كان عفيفا فيجوز له النظر الى بدن مولاته سوى ما بين السرة والركبة
لظاهر الاية وقيل المراد من الامة الصغار منهم وقيل الاماء دون العبيد فحولا كانوا او غيرهم او التابعين اى التابعين لكم
غير اولي الاربة من الرجال بالنصب استثناء من التابعين وهم الذين يتبعونكم لاجل طعامكم او حال وبالجر صفة التابعين او بدل منه
والارب والاربة الحاجة والمراد من غير اولي الاربة غير ذوي الحاجة الى النساء بانه لا يطيق غشيانهن اى جماعهن ولا يشتهيهن
ولا شهوته لانهم لا يعرفون شيئا من امرهن او شيوخ صلحاء اذا كانوا معهن غضوا ابصارهم او يكون بهم عنة او الطفل
اى الاطفال بدليل الذين لم يظهروا اى لم يطلعوا على عورات النساء اى لا يعرفون ما العورة كما يعرف البالغ قوله ولا يضربن
بارجلهن نزل نهيا عن الاعلام بالخلخال اذا كانت المراة تضرب احدى رجليها بالاخرى ليعلم ما يخفين من زينتهن اى ليعرف
انها ذات خلخال قوله وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون وصية لجميع المؤمنين بالتوبة ورجاء الفلاح بعدها
من كل ما وقع التقصير منهم في الامر والنهي باعتبار ضعف قدرة العبد على رعاية الامر والنهي اذ لا يخلو عن تقصيرها

قرئ بضم الهاء وفتحها — ايها المؤمنون

او ما ملكت ايمانهن اي اماءهن ولا يحل لعبدها ان ينظر الى هذه المواضع منها خصيا كان او عنينا او فحلا وقال سعيد بن المسيب لا تغرنكم سورة النور فانها في الاماء دون الذكور وعن عائشة انها اباحت النظر الى عبدها او التابعين غير بالنصب شامي على الاستثناء او الحال وغيرهم بالجر على البدل او الوصفية اولي الاربة الحاجة اي الى النساء قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم الى النساء لانهم بله لا يعرفون شيئا من امورهن او شيوخ صلحاء او العنين او الخصي او المخنث وفي الاثر انه المجبوب والاول الوجه من الرجال حال او الطفل الذي هو جنس فصلح ان يراد به الجمع لم يظهروا على عورات النساء اي لم يطلعوا لعدم الشهوة او لم يبلغوا اوان القدرة على الوطي ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن كانت المراة تضرب الارض برجلها اذا مشت لتسمع قعقعة خلخالها فتعلم انها ذات خلخال فنهين عن ذلك اذ استماع صوت الزينة كاظهارها ومنه سمي صوت الحلي وسواسا وتوبوا الى الله جميعا ايه المؤمنون ايه شامي اتباعا للضمة قبلها بعد حذف الالف لالتقاء الساكنين وغيره على فتح الهاء لان بعدها الفا في التقدير لعلكم تفلحون العبد لا يخلو عن سهو وتقصير في اوامره ونواهيه وان اجتهد فلذا وصى المؤمنين جميعا بالتوبة وبتاميل الفلاح اذا تابوا وقيل احوج الناس الى التوبة من توهم انه ليس له حاجة الى التوبة فظاهر الاية يدل على ان العصيان لا ينافي الايمان ٥ انتهى المدارك

او ما ملكت ايمانهن يعم الاماء والعبيد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم اتى فاطمة رضي الله عنها بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ راسها فقال صلى الله عليه وسلم انه ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك وقال سعيد بن المسيب لا تغرنكم سورة النور فانها في الاماء دون الذكور ويرد عليه انه ح يلزم ان يكون في المذكور اطناب مخل واللازم منتف بلا شبهة او التابعين الذين يتبعون القوم فيا كلون معهم ويرتفقون بهم غير بالنصب على الاستثناء او الحال وبالجر على البدل او على الوصفية اولي الاربة الحاجة الى النساء وهم لا يشتهون النساء فلا يحتاجون اليهن من هذه الجهة وهذا ليس بواقع على الخصي والمجبوب والمخنث لانهم يشتهون ويشتهون او الطفل الذين هو جنس فصلح به ان يراد به الجمع بدلالة الوصف لم يظهروا على عورات النساء بعد تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم الى حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة ولا يضربن اي الارض بارجلهن عند المشي ليعلم ما يخفين من زينتهن ليستمع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال وانما نهي عنه لان سماع هذه الزينة اشد تحريكا للشهوة من ابدائها فلا دلالة فيه على ان ابداء الزينة نفسه مقصود بالنهي فيما تقدم وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون اذ لا يكاد يخلو احدكم من تفريط سيما في الكف عن الشهوات وقوله لعلكم تفلحون بيان انه امرهم بالتوبة ليشتغلوا بذلك لا ان يكون للحق سبحانه به تجمل انتهى ابو الليث

الاجنبي

او ما ملكت ايمانهن اي من الاماء فان عبد المراة بمنزلة الاجنبي منها وقيل من الاماء والعبيد لما روي انه صلى الله عليه وسلم اتى فاطمة رضي الله عنها بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ راسها فقال صلى الله عليه وسلم انه ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك او التابعين غير اولي الاربة من الرجال اي اولي الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الهم والممسوحون وفي المجبوب والخصي خلاف وقيل هم البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من امور النساء وقرئ غير بالنصب على الحالية او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن اي ما يخفينه من الرؤية اي لا يضربن بارجلهن الارض ليتقعقع خلخالهن فيعلم انهن ذوات خلخال فان ذلك مما يورث الرجال ميلا اليهن ويوهم ان لهن ميلا اليهم وفي النهي عن ابداء صوت الحلي بعد النهي عن ابدائها عينا من المبالغة في الزجر عن ابداء مواضعها ما لا يخفى وتوبوا الى الله جميعا تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكل بطريق التغليب لابراز كمال العناية بما في حيزه من امر التوبة وانها من معظمات المهمات الحقيقية بان يكون سبحانه وتعالى هو الامر بها لما انه لا يكاد يخلو احد من المكلفين عن نوع تفريط في اقامة مواجب التكاليف كما ينبغي وناهيك بقوله صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود لما فيها من قوله تعالى فاستقم كما امرت لا سيما اذا كان المامور به الكف عن الشهوات وقيل توبوا عما كنتم تفعلونه في الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكن يجب الندم عليه والعزم على تركه كلما خطر بباله وفي تكرير الخطاب بقوله تعالى ايها المؤمنون تاكيد للايجاب وايذان بان وصف الايمان موجب للامتثال حتما وقرئ ايه المؤمنون لعلكم تفلحون تفوزون بذلك سعادة الدارين انتهى ابو السعود

قوله او نسائهن يعني النساء المؤمنات فلا تحل لامراة مسلمة ان تتجرد وتبدي بدنها بين يدي امراة مشركة الا ان تكون المشركة مملوكة لها وعن او ما ملكت
... تعقيب ...

وانكحوا الايامى منكم الايامى جمع ايم وهو من لا زوج له رجلا كان او امرأة بكرا كانت او ثيبا واصله ايايم فقلبت والخطاب للاولياء والسادة والامر للندب لا ايجاب في الاية دليل على ان تزويج النساء الايامى الى الاولياء كما ان تزويج العبيد والاماء الى الموالي لانا نقول الرجل الايم الا باذنه فكذا لا يلي على المرأة الا باذنها لان الايم ينتظم ولا فارق من جهة النظم والصالحين تخصيصهم لان احصان دينهم والاهتمام بشأنهم اهم من عبادكم وامائكم اي من غلمانكم وجواريكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وعد من الله بالاغناء لقوله صلى الله عليه وسلم التمسوا الرزق بالنكاح والله واسع ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق عليم يبسط الرزق ويقدر على ما تقتضيه حكمته وليستعفف وليجتهد في العفة وقمع الشهوة كان المستعفف طالب من نفسه العفاف الذين لا يجدون نكاحا استطاعة تزوج من المهر والنفقة حتى يغنيهم الله من فضله انظر كيف رتب هذه الاوامر فامر اولا بما يعصم من الفتنة ويبعد من مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين المغني عن الحرام ثم بعزف النفس الامارة بالسوء عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى ان يقدر عليه والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم اي والمماليك الذين يطلبون الكتابة فالذين مرفوع بالابتداء او منصوب بفعل يفسره فكاتبوهم وهو للندب ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة وانما سمي ذلك العقد به لان السيد كتب على نفسه عتقه اذا ادى المال ويجوز حالا ومنجما وغير منجم لاطلاق الامر وعدم المال لا يستلزم العجز عن الاداء في الحال لانه قادر على الاستقراض ان علمتم فيهم خيرا قدرة على الكسب او امانة او ديانة والندبية متعلقة بهذا الشرط كما ان الندبية في انكاح الايامى متعلقة بشرط الصلاح انتهى بيضاوي

وانكحوا الايامى منكم جمع ايم وهو من لا زوج له رجلا كان او امرأة بكرا كان او ثيبا واصله ايايم فقلبت والصالحين اي الخيرين او المؤمنين والمعنى زوجوا من تأيم منكم من الاحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح من عبادكم وامائكم اي من غلمانكم وجواريكم والامر للندب اذ النكاح مندوب ان يكونوا فقراء من المال يغنهم الله من فضله بالكفاية والقناعة او باجتماع الرزقين وفي الحديث التمسوا الرزق بالنكاح وعن عمر رضي الله عنه مثله والله واسع غني ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق عليم يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقيل في الاية دليل على ان تزويج النساء والايامى الى الاولياء كما ان تزويج العبيد والاماء الى الموالي قلنا الرجل لا يلي على الرجل الايم الا باذنه وكذا لا يلي على المرأة الا باذنها لان الايم ينتظمهما وليستعفف وليجتهد في العفة كان المستعفف طالب من نفسه العفاف الذين لا يجدون نكاحا استطاعة تزوج من المهر والنفقة حتى يغنيهم الله من فضله حتى يقدروا على المهر والنفقة قال صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة اي النكاح فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء فانظر كيف رتب هذه الاوامر اولا بما يعصم من الفتنة ويبعد عن مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح المحصن للدين المغني عن الحرام ثم بعزف النفس الامارة بالسوء عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى ان يقدر عليه والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم اي في المماليك الذين يطلبون الكتابة فالذين مرفوع بالابتداء او منصوب بفعل يفسره فكاتبوهم وهو للندب ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط والكتاب والمكاتبة وهو ان يقول لمملوكه كاتبتك على الف درهم فان اديتها عتقت ومعناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت بالمال ان علمتم فيهم خيرا قدرة على الكسب او امانة وديانة والندبية متعلقة بهذا الشرط

وانكحوا الايامى منكم بعد ما زجر تعالى عن السفاح ومبادئه القريبة والبعيدة امر بالنكاح فانه مع كونه مقصودا بالذات من حيث كونه مناط البقاء النوعي خير زاجر عن ذلك والايامى مقلوب ايايم جمع ايم وهو من لا زوج له من الرجال والنساء بكرا كان او ثيبا كما يفصح عنه قول من قال فان تنكحي انكح وان تتأيمي وان كنت افتى منكم اتأيم اي زوجوا من لا زوج له من الاحرار والحرائر والصالحين من عبادكم وامائكم على ان الخطاب للاولياء والسادات واعتبار الصلاح في الارقاء لان من لا صلاح له منهم بمعزل من ان يكون خليقا بان يعتني مولاه بشأنه ويشفق عليه ويتكلف في نظم مصالحه بما لا بد منه شرعا وعادة من بذل المال والمنافع بل حقه ان لا يستبقيه عنده واما عدم اعتبار الصلاح في الاحرار والحرائر فلان الغالب فيهم الصلاح على انهم مستبدون في التصرفات المتعلقة بانفسهم واموالهم فاذا عزموا النكاح فلا بد من مساعدة الاولياء لهم اذ ليس عليهم في ذلك غرامة حتى يعتبر في مقابلتها غنيمة عائدة اليهم عاجلة او اجلة وقيل المراد هو الصلاح للنكاح والقيام بحقوقه ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ازاحة لما عسى يكون وازعا عن النكاح من فقر احد الجانبين اي لا يمنعن فقر الخاطب او المخطوبة من المناكحة فان في فضل الله عز وجل غنية عن المال فانه غاد ورائح يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب

او وعد منه سبحانه بالاغناء لقوله صلى الله عليه وسلم اطلبوا الغنى في هذه الاية لكنه مشروط بالمشية كما في قوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء والله واسع عليم غني ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق اذ لا نفاد لنعمته ولا غاية لقدرته ومع ذلك عليم يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة الذين لا يجدون نكاحا اي اسباب نكاح او لا يتمكنون مما ينكح به من المال حتى يغنيهم الله من فضله عدة كريمة بالتفضل عليهم بالغنى ولطف بهم في استعفافهم وتقوية لقلوبهم وايذان بان فضله تعالى اولى بالاعفاء وادنى من الصلحاء والذين يبتغون الكتاب بعد ما امر بانكاح صالحي المماليك الاحقاء بالانكاح امر بكتابة من يستحقها منهم والكتاب مصدر كاتب كالمكاتبة اي الذين يطلبون المكاتبة مما ملكت ايمانكم عبدا كان او امة وهي ان يقول المولى لمملوكه كاتبتك على كذا درهما تؤديه الي وتعتق ويقول المملوك قبلته او نحو ذلك فان اداه اليه عتق قالوا معناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك ان تفي بذلك او كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق عنده والتحقيق ان المكاتبة اسم للعقد الحاصل من مجموع كلاميهما كسائر العقود الشرعية المنعقدة بالايجاب والقبول ولا ريب في ان ذلك لا يصدر حقيقة الا من المتعاقدين وليس وظيفة كل منهما في الحقيقة الا الاتيان باحد شطريه معربا عما يتم من قبله ويصدر عنه من الفعل الخاص به من غير تعرض لما يتم من قبل صاحبه ويصدر عنه من فعله الخاص به الا ان كلا من ذينك الفعلين لما كان بحيث لا يمكن تحققه في نفسه الا منوطا بتحقق الاخر ضرورة ان التزام العتق بمقابلة البدل من جهة المولى لا يتصور تحققه وتحصله الا بالتزام البدل من طرف العبد كما ان عقد البيع الذي هو تمليك المبيع بالثمن من جهة البائع لا يمكن تحققه الا بتملكه به من جانب المشتري لم يكن بد من تضمين احدهما الاخر وقت الانشاء فكما ان قول البائع بعت انشاء للعقد البيع على معنى انه ايقاع لما يتم من قبله اصالة ولما يتم من قبل المشتري ضمنا ايقاعا متوقفا على رأيه توقفا شبيها بتوقف عقد الفضولي كذلك قول المولى كاتبتك على كذا انشاء لعقد الكتابة اي ايقاع لما يتم من قبله من التزام العتق بمقابلة البدل اصالة ولما يتم من قبل العبد من التزام البدل ضمنا ايقاعا متوقفا على قبوله فاذا قبل تم العقد ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره فكاتبوهم والفاء لتضمنه معنى الشرط او النصب على انه مفعول لمضمر يفسره هذا والامر فيه للندب لان الكتابة عقد يتضمن الارفاق فلا يجب كغيرها ويجوز حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم وعند الشافعي رحمه الله لا يجوز الا مؤجلا منجما وقد فصل في موضعه ان علمتم فيهم خيرا اي امانة ورشدا وقدرة على اداء البدل بتحصيله من وجه حلال وصلاحا لا يؤذي الناس بعد العتق واطلاق العنان انتهى ابو السعود

وانكحوا الايامى منكم اي زوجوا من لا زوج له من الرجال والنساء بكرا كان او ثيبا جمع ايم واصلها ايايم فقلبت قلبا مكانيا فصار ايامى وهو امر ندب لقوله صلى الله عليه وسلم من احب فطرتي فليستن بسنتي وهي النكاح وعنه صلى الله عليه وسلم اذا اتى على امتي مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزوبة والعزلة والترهب على رؤوس الجبال روي عن الشافعي رحمه الله ان التخلي للعبادة افضل وعند ابي حنيفة رحمه الله النكاح افضل وانكحوا الصالحين من عبادكم وامائكم اي ومن كان فيه صلاح من غلمانكم وجواريكم وهو القيام بحقوق النكاح وانما خص الصالحين بالانكاح ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله اي من رزقه وفيه دليل على ان للعبد ملكا عن النبي صلى الله عليه وسلم التمسوا الرزق بالنكاح والله واسع اي غني ذو سعة عليم يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وليستعفف اي ليطلب العفة عن الزنا الذين لا يجدون نكاحا اي لا يقدرون على النكاح او سبب النكاح من مهر ونفقة حتى يغنيهم الله من فضله اي حتى يوسع عليهم من رزقه وهو وعد وترجية للمستعففين ليكون انتظاره ربطا على قلوبهم ولطفا لهم في استعفافهم الى ان يرزقوا الوسعة فيه والذين يبتغون الكتاب اي يطلبون الكتاب اي المكاتبة مما ملكت ايمانكم وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا درهما تؤدي ذلك في نجمين او اكثر مؤجلا ولا يجيزه الشافعي رحمه الله حالا او على نجم واحد وجوزه ابو حنيفة حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم فاذا اديت الي ذلك فانت حر ويقبل العبد فاذا اداه عتق وملك كسبه ويتبعه اولاده الحاصلة في حال الكتابة في العتق وولاؤه لمولاه فان عجز فلمولاه فسخ الكتابة ورده الى الرق فكاتبوهم امر ندب عند الاكثرين ان علمتم فيهم خيرا اي صدقا واداء امانة انتهى العيون

بتحقيق المأمور به كما في قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فإن ملاحظة وصول المال إليهم من جهته تعالى مع كونه هو المالك
الحقيقي له من أقوى الدواعي إلى صرفه إلى الجهة المأمور بها وقيل هو أمر بإعطاء سهمهم من الصدقات فالأمر للوجوب
حتما والإضافة والوصف لتعيين المأخذ وقيل هو أمر ندب لعامة المسلمين بإعانة المكاتبين بالتصدق عليهم
ويحل ذلك للمولى وإن كان غنيا لتبدل العنوان حسبما ينطق به قوله صلى الله عليه وسلم في حديث بريرة هو لها صدقة
ولنا هدية ولا تكرهوا فتياتكم أي إماءكم فإن كلا من الفتى والفتاة كناية مشهورة عن العبد والأمة وعلى ذلك مبني قوله
صلى الله عليه وسلم ليقل أحدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وأمتي ولهذه العبارة في هذا المقام باعتبار مفهومها الأصلي
حسن موقع ومزيد مناسبة لقوله تعالى على البغاء وهو الزنا من حيث صدوره عن النساء لأنهن اللاتي يتوقع
منهن ذلك غالبا دون من عداهن من العجائز والصغائر وقوله تعالى إن أردن تحصنا ليس لتخصيص النهي بصورة
إرادتهن التعفف عن الزنا وإخراج ما عداها من حكمه كما إذا كان الإكراه بسبب كراهتهن الزنا لخصوص الزاني
أو لخصوص الزمان أو لخصوص المكان أو لغير ذلك من الأمور المصححة للإكراه في الجملة بل للمحافظة على عادتهم المستمرة
حيث كانوا يكرهونهن على البغاء وهن يردن التعفف عنه مع وفور شهوتهن الآمرة بالفجور وقصورهن في
معرفة الأمور الداعية إلى المحاسن الزاجرة عن تعاطي القبائح فإن عبد الله بن أبي كانت له ست جوار يكرههن على الزنا
وضرب عليهن ضرائب فشكت اثنتان منهن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفيه من زيادة تقبيح حالهم
وتشنيعهم على ما كانوا يفعلونه من القبائح ما لا يخفى فإن من له أدنى مروءة لا يكاد يرضى بفجور من يحويه حرمه من
إمائه فضلا عن أمرهن به أو إكراههن عليه لا سيما عند إرادتهن التعفف فتأمل ودع عنك ما قيل من أن ذلك
لأن الإكراه لا يتأتى إلا مع إرادة التحصن وما قيل من أنه إن جعل شرطا للنهي لا يلزم من عدمه جواز الإكراه لجواز
أن يكون ارتفاع النهي لامتناع المنهي عنه فإنهما بمعزل من التحقيق وإيثار كلمة إن على إذا مع تحقق الإرادة في مورد
النص حتما للإيذان بوجوب الانتهاء عن الإكراه عند كون إرادة التحصن في حيز التردد والشك فكيف إذا كانت
محققة الوقوع كما هو الواقع وتعليله بأن الإرادة المذكورة منهن في حيز الشاذ النادر مع خلوه عن الجدوى
بالكلية يأباه اعتبار تحققها إباء ظاهرا وقوله تعالى لتبتغوا عرض الحياة الدنيا قيد للإكراه لكن لا باعتبار أنه مدار
للنهي عنه بل باعتبار أنه المعتاد فيما بينهم كما قبله جيء به تشنيعا لهم فيما هم عليه من إكراههن على البغاء لطلب المتاع السريع
الزوال الوشيك الاضمحلال فالمراد بالابتغاء الطلب المقارن لنيل المطلوب واستيفائه بالفعل إذ هو الصالح
لكونه غاية للإكراه مترتبا عليه لا المطلق المتناول للطلب السابق الباعث عليه ومن يكرههن إلى آخره جملة مستأنفة
سيقت لتقرير النهي وتأكيد وجوب العمل به ببيان خلاص المكرهات عن عقوبة المكره عليه عبارة ورجوع غائلة الإكراه
إلى المكرهين إشارة أي ومن يكرههن على ما ذكر من البغاء فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم أي لهن كما وقع في
مصحف ابن مسعود رضي الله عنه وعليه قراءة ابن عباس رضي الله عنهما وكما ينبئ عنه قوله تعالى من بعد إكراههن أي كونهن مكرهات
على أن الإكراه مصدر من المبني للمفعول فإن توسيطه بين اسم إن وخبرها للإيذان بأن ذلك هو السبب للمغفرة والرحمة
وكان الحسن البصري رحمه الله إذا قرأ هذه الآية يقول لهن والله لهن والله وفي تخصيصهما بهن وتعيين مدارهما مع
سبق ذكر المكرهين أيضا في الشرطية دلالة بينة على كونهم محرومين منهما بالكلية كأنه قيل لا للمكره ولظهور هذا
التقدير اكتفي به عن العائد إلى اسم الشرط فتجويز تعلقهما بهم بشرط التوبة استقلالا أو معهن إخلال بجزالة النظم
الجليل وتهوين لأمر النهي في مقام التهويل وحاجتهن إلى المغفرة المنبئة عن سابقة الإثم إما باعتبار أنهن وإن كن
مكرهات لا يخلون في تضاعيف الزنا عن شائبة مطاوعة ما بحكم الجبلة البشرية وإما باعتبار أن الإكراه قد
يكون قاصرا عن حد الإلجاء المزيل للاختيار بالمرة وإما لغاية تهويل أمر الزنا وحث المكرهات على التثبت في التجافي
عنه والتشديد في تحذير المكرهين ببيان أنهن حيث كن عرضة للعقوبة لولا أن تداركهن في استحقاق العذاب
ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات كلام مستأنف جيء به في تضاعيف ما ورد من الآيات السابقة واللاحقة لبيان جلالة
شؤونها المستوجبة للإقبال الكلي على العمل بمضمونها وصدر بالقسم الذي يعرب عنه اللام لإبراز كمال العناية بشأنه
أي وبالله لقد أنزلنا إليكم في هذه السورة الكريمة آيات مبينات لكل ما بكم حاجة إلى بيانه من الحدود وسائر الأحكام
والآداب وغير ذلك مما هو من مبادي بيانها على أن إسناد التبيين إليها مجازي أو آيات واضحات تصدقها الكتب القديمة
والعقول السليمة على أن مبينات من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين وقرئ على صيغة المفعول

مبينا أي التي بينت وأوضحت في هذه السورة من معاني الأحكام والحدود وقد جوز أن يكون الأصل مبينا فيها الأحكام
فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول ومثلا من الذين خلوا من قبلكم عطف على آيات أي وأنزلنا مثلا كائنا من قبيل
أمثال الذين مضوا من قبلكم من القصص العجيبة والأمثال المضروبة لهم في الكتب السابقة والكلمات الجارية على ألسنة
الأنبياء عليهم السلام فينتظم قصة عائشة رضي الله عنها المحاكية لقصة يوسف عليه السلام وقصة مريم رضي الله عنها وسائر الأمثال
الواردة في السورة الكريمة انتظاما واضحا وتخصيص الآيات المبينات بالسوابق وحمل المثل على القصة العجيبة
فقط يأباه تعقيب الكلام بما سيأتي من التمثيلات وموعظة تتعظون بها وتنزجرون عما لا ينبغي من المحرمات
والمكروهات وسائر ما يخل بمحاسن الآداب فهي عبارة عما سبق من الآيات والمثل لظهور كونهما من المواعظ بالمعنى المذكور
ومدار العطف هو التغاير العنواني المنزل منزلة التغاير الذاتي وقد خصت الآيات بما يبين الحدود والأحكام
والموعظة بما وعظ به من قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله وقوله تعالى لولا إذ سمعتموه وغير ذلك من الآيات
الواردة في شأن الآداب وإنما قيل للمتقين مع شمول الموعظة للكل حسب شمول الإنزال لقوله تعالى أنزلنا إليكم حثا
لكل على الاعتناء بالانتظام في سلك المتقين ببيان أنهم المغتنمون لآثارها المقتبسون من أنوارها
فحسب وقيل المراد بالآيات المبينات والمثل والموعظة جميع ما في القرآن المجيد من الآيات والأمثال والمواعظ
انتهى أبو السعود رحمه الله
وآتوهم من مال الله الذي آتاكم أمر للمؤمنين على وجه الندب وقيل على وجه الوجوب بإعانة المكاتبين وقيل
وجوبا على الموالي أن يحطوا لهم من مال الكتابة وإن لم يفعلوا أجبروا عليه وهو مذهب الشافعي رحمه الله وعن علي رضي الله عنه
يحط الربع وعن ابن عباس رضي يرضخ له من كتابته شيئا ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء أي جواريكم على الزنا إن أردن
تحصنا أي امتناعا عن الزنا وإنما شرط إرادته لأن الإكراه على الزنا لا يجوز إن لم تردن التحصن ط

وآتوهم من مال الله الذي آتاكم امر للسادة على وجه الوجوب
باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم من الزكوة لقوله تعالى
وفي الرقاب وعند الشافعي معناه حطوا من بدل الكتابة
ربعا وهذا عندنا على وجه الندب والاول الوجه لان الايتاء
هو تمليك فلا يقع على الحط سأل صبيح مولاه حويطبا
ان يكاتبه فابى فنزلت ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء
كان لعبد الله بن أبي ست جوار يكرههن على البغاء وضرب عليهن
الضرائب فشكت ثنتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والامة والبغاء
الزنا للنساء خاصة وهو مصدر البغي ان اردن تحصنا
تعففا عن الزناء وانما قيد بهذا الشرط لان الاكراه لا يكون
الا مع ارادة التحصن فامر المطيعة للبغاء لا يسمى مكرها
ولا امره اكراها ولانها نزلت على سبب موقع النهي على
تلك الصفة وفيه توبيخ بالموالي اي اذا رغبن في التحصن
فانتم احق بذلك لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا اي
لتبتغوا باكراههن على الزناء اجورهن واولادهن
ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم
اي لهن وفي مصحف ابن مسعود رضي الله عنه كذلك وكان
الحسن يقول لهن والله ولعل الاكراه دون ما اعتبرته
الشريعة وهو الذي يخاف منه التلف فكانت آثمة او لهم
اذا ما بوا ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات بفتح الياء
حجازي وبصري وابوبكر وحماد والمراد الآيات التي بينت
في هذه السورة واوضحت في معاني الاحكام والحدود
وجاز ان يكون الاصل مبينا فيها فاتسع في الظروف وبكسرها
غيرهم اي بينت هي الاحكام والحدود جعل الفعل
لها مجازا او من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين
الصبح لذي عينين ومثلا من الذين خلوا من قبلكم ومثلا
من امثال من قبلكم اي قصة عجيبة من قصصهم كقصة
يوسف ومريم يعني قصة عائشة رضي الله عنها وموعظة
ما وعظ به من الآيات والمثل من نحو قوله ولا تاخذكم
بهما رافة في دين الله لولا اذ سمعتموه ولولا اذ سمعتموه
يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا للمتقين اي هم المنتفعون
بها وان كانت موعظة للكل انتهى المدارك

وآتوهم من مال الله الذي آتاكم امر للسادة على وجه الوجوب
باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم من الزكوة لقوله تعالى
وفي الرقاب وعند الشافعي معناه حطوا من بدل الكتابة شيئا
قل او كثر ويأباه عبارة الايتاء لانها تقع على التمليك لا على
الحط ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء يكنى بالفتاء والفتاة
عن العبد والامة والبغاء الزنا للنساء خاصة وهو مصدر
البغي ان اردن تحصنا تعففا عن الزنا وانما قيده بهذا الشرط
لان الاكراه لا يتحقق بدونه لانه على تقدير التسليم يكون سببا
للترك لا للذكر بل لانها نزلت في ابن ابي وكانت له جوار يكرههن
على البغاء وفيه توبيخ بالموالي اي اذا رغبن في التحصن فانتم
احق بذلك وايثار ان على اذ لان ارادة التحصن من
الاماء كالشاذ النادر لتبتغوا لا لابتغائكم فان الفعل
ههنا نزل منزلة المفرد كما في قولك تسمع بالمعيدي خير من ان تراه
ونحو ذلك لان الابتغاء المذكور يكون سببا مقدما ولا يكون
غاية متأخرة عرض الحيوة الدنيا من اجورهن واولادهن
ومن يكرههن حذف جوابه اي فعليه وبال الاكراه لا يتعدى
اليهن واقيم تعليل هذا مقامه وهو قوله فان الله من بعد
اكراههن غفور رحيم اي لهن وفي مصحف ابن مسعود رضي الله عنه
كذلك وانما قال من بعد اكراههن لشدة المعاتبة على المكره
فان المكرهة مع قيام العذر اذا كانت بصدد المعاتبة
حتى احتاجت الى المغفرة فما بال المكره وللدلالة على ان حد
الاكراه الشرعي والمصابرة الى ان ينتهي اليه في تكسب ضيق
والله يغفر ذلك بلطفه ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات
المراد الآيات التي بينت في هذه السورة واوضحت في معاني الاحكام
والحدود وجاز ان يكون الاصل مبينا فيها فاتسع في الظرف
وقرئ بالكسر اي بينت هي الاحكام والحدود وجعل الفعل لها مجازا
او من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين ومثلا
من الذين خلوا من قبلكم اي وقصة عجيبة مثل قصصهم وهي قصة
عائشة رضي الله عنها فانها كقصة يوسف ومريم عليهما السلام
وموعظة للمتقين اي هم المنتفعون بها وان كانت الموعظة للكل
انتهى ابن كمال

وآتوهم من مال الله الذي آتاكم امر للموالي ببذل شيء من اموالهم
وفي حكمه حط شيء من مال الكتابة ويكفي في ذلك اقل ما يتمول
وعن علي رضي الله عنه حط الربع وعن ابن عباس رضي الله عنهما
الثلث وهو للندب عندنا وعند الشافعي للوجوب ويرده
قوله عليه السلام المكاتب عبد ما بقي عليه درهم اذ لو وجب الحط
سقط عنه الباقي حتما وايضا لو وجب الحط لكان وجوبه متعلقا بالعقد فيكون العقد موجبا ومسقطا معا وايضا فهو عقد
معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل معنى آتوهم اقرضوهم وقيل هو امر لهم بان ينفقوا اياهم للحث على الامتثال بالامر ○

وانما أورده موقع إذ ليؤذن ان الجوارى الزانية كن يفعلن ذلك بطوع ورغبة غالبا وقيل هو شرط مقحم لتحصيل
المبالغة في النهي عن الاكراه لانه الاكراه لا يتاتى الا مع ارادة التحصن اذ الآمرة الطائعة للبغاء لا يسمى مكرها ولا آمره
اكراها ويختار بعضهم الوقف على البغاء ويبتدى بالشرط بتقدير الجواب وهو ان اردن تحصنا فقد احصن لي
الدين وقيل الشرط يتعلق بقوله وانكحوا واللام في لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا يتعلق بقوله ولا تكرهوا اي لا تجبر
هن على الزنا لتطلبوا اموالها بكسبهن وبيع اولادهن ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم لهن
ولهم ان تابوا واصلحوا وقيل لا حاجة الى تعليق المغفرة بهن لان المكرهة على الزنا غير آثمة أجيب بان المغفرة هنا
بيان عدم الاثم بالاكراه واما الرجل فلا يحل له الزنا بالاكراه عليه لان الفعل من جهته ولا يتاتى الا برغبة منه فكان
كالقتل بغير حق لا يبيحه الاكراه بحال ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات في جميع القرآن اي موضحات الحلال والحرام
او مفصلات بها من الاحكام والحدود قرئ بالكسر والفتح ومثلا اي انزلنا مثلا الذين خلوا اي مضوا من قبلكم
يعني قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم فقصة عائشة منها وموعظة للمتقين وانزلنا ما وعظ به المتقون
من الآيات نحو ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله وقوله ولولا اذ سمعتموه الآيتين انتهى العيون

الله نور السموات والارض بيّن وضوح الدلالة وجلاء البيان
وان من ضل عن الحق فليس لخفاء الدليل واشتباه السبيل
فقال الله تعالى هادي اهل السموات والارض اي الى ما فيه
الحاجة اليه في مصالح دينهم ودنياهم وهي كلمة مطلقة في هذا
المعنى يقال فلان نور بلده اي به يهتدون الى امورهم وعن
رايهم يصدرون الى مصالحهم مثل نوره اي صفة نوره
العجيبة الشأن في الاضاءة والمراد به دلائله التي تهدي به
عباده كمشكوة كصفة مشكوة وهي الكوة في الجدار غير
النافذة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب المصباح في زجاجة
في قنديل من زجاج شامي ازهر الزجاجة كانها كوكب دري
متلألئ بضم الدال وتشديد الياء منسوب الى الدر لفرط
ضيائه وصفائه وقرئ بالكسر والهمز كانه يدرأ الظلام
بضوئه وقرئ بالضم والهمز شبه في زهرته باحد
الكواكب الدراري كالمشتري والزهرة ونحوهما يوقد
بالياء والبناء للمفعول من اوقد وقرئ بالفوقانية
كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرئ
توقد بمعنى تتوقد بحذف التاء لاجتماع الزائدين من
شجرة اي ابتداء ثقوبه من شجرة الزيتون يعني زويت
ذبالته بزيتها مباركة كثيرة المنافع ولانها نبتت في الارض
بارك فيها للعالمين زيتونة بدل من شجرة نعتها لا شرقية
ولا غربية اي لا نابتة في شرق المعمورة ولا في غربها بل في
وسطها وهو الشام فان زيتونه اجود او لا في مضحى
تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها او في مقناة تغيب
عنها دائما فتتركها نيا وفي الحديث لا خير في شجرة ولا
في نبات في مقناة ولا خير فيهما في مضحى وقيل اي ليس بحيث
تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول
النهار كالتي تكون على قلة او صحراء واسعة فان ثمرتها
تكون انضج وزيتها اصفى ويرده ما دل عليه الحديث
المذكور من انه لا خير فيها لان اشراق الشمس عليها دائما تحرقها
انتهى ابن الكمال رحمه الله تعالى عليه

نظير قوله تعالى الله نور السموات والارض مع قوله مثل نوره
ويهدي الله لنوره كقولك زيد كرم وجود ثم تقول
ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات
ونور السموات والارض الحق شبهه بالنور في ظهوره
وبيانه كقوله تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور
اي من الباطل الى الحق واضاف النور اليهما للدلالة على سعة
اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له السموات والارض
وجاز ان يراد اهل السموات والارض وانهم يستضيئون به
مثل نوره اي صفة نوره العجيبة الشأن في الاضاءة كمشكوة
كصفة مشكوة وهي الكوة في الجدار غير النافذة فيها مصباح
سراج ضخم ثاقب المصباح في زجاجة في قنديل من زجاج
شامي ازهر الزجاجة كانها كوكب دري منسوب بضم الدال
وتشديد الياء منسوب الى الدر لفرط ضيائه وصفائه
وبالكسر والهمز ابو عمرو وعلي كانه يدرأ الظلام بضوئه
وبالضم والهمز ابو بكر شبهه في زهرته باحد الكواكب الدري
كالمشتري والزهرة ونحوهما توقد بالتخفيف حمزة وعلي
وابو بكر اي الزجاجة ويوقد بالتخفيف شامي ونافع
وحفص وتوقد بصري ومكي اي هذا المصباح من شجرة
اي ابتداء ثقوبه من زيت شجرة الزيتون يعني رويت
ذبالته بزيتها مباركة كثيرة المنافع او لانها تنبت في الارض
التي بارك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم
ابراهيم عليهم السلام زيتونة بدل من شجرة نعتها لا شرقية
ولا غربية اي منبتها الشام يعني ليست من المشرق
ولا من المغرب بل في الوسط منهما وهو الشام واجود الزيتون
زيتون الشام وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت
شروقها او غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشي جميعا

فقوله تعالى الله نور السموات والارض الى آخره حينئذ استيناف
مسوق لتقرير ما قبله من البيان مع الاشعار بكونه في غاية الكمال على الوجه الذي ستعرفه واما على الاول فلتحقيق ان بيانه تعالى ليس مقصورا
على ما ورد في السورة الكريمة بل هو شامل لكل ما يحتاج بيانه من الاحكام والشرائع ومباديها وغاياتها المترتبة عليها في الدنيا والآخرة وغير ذلك
مما له مدخل في البيان وانه واقع منه تعالى على اتم الوجوه واكملها حيث عبر عنه بالتنوير الذي هو اقوى مراتب البيان واجلاها
عنه بالتنوير الذي هو اقوى مراتب البيان واجلاها وعبر عن المنور بنفس النور تنبيها على قوة التنوير وشدة التأثير وايذانا بانه
ظاهر بذاته وكل ما سواه ظاهر باظهاره كما ان النور نير بذاته وما عداه مستنير به واضيف النور الى السموات والارض للدلالة
على كمال شيوع البيان المستفاد له وغاية شموله لكل ما يليق به من الامور التي لها مدخل في ارشاد الناس بواسطة بيان شمول
المستفاد منه لجميع ما يقبله ويستحقه من الاجرام العلوية والسفلية فانهما قطران للعالم الجسماني الذي لا مظهر للتنوير الحسي
او على شمول البيان لاحوالهما واحوال ما فيهما من الموجودات اذ ما من موجود الا وقد بين من احواله ما يستحق البيان اما تفصيلا
او اجمالا كيف لا ولا ريب في بيان كونه دليلا على وجود الصانع وصفاته وشاهدا بصحة البعث او على تعلق البيان

ومحل الجملة الاولى الرفع على انها صفة لمصباح ومحل الثانية الجر على انها صفة لزجاجة واللام مغنية عن الرابط
... فيها مصباح هو في زجاجة هي كانها كوكب دري توقد من شجرة اي يبتدأ ايقاد المصباح من شجرة مباركة اي كثيرة
المنافع بان رويت ذبالته بزيتها وقيل انما وصفت بالبركة لانها تنبت في الارض التي بارك الله فيها للعالمين زيتونة
بدل من شجرة وفي ابهامها ووصفها بالبركة ثم الابدال عنها تفخيم لشأنها وقرئ توقد بالتاء على ان الضمير القائم مقام
الفاعل للزجاجة دون المصباح وقرئ توقد على صيغة الماضي من التفعل اي ابتدأ ثقوب المصباح منها وقرئ على حذف
... احدى التائين من تتوقد على اسناده الى الزجاجة لا شرقية ولا غربية تقع الشمس عليها حينا دون
... بحيث تقع عليها طول النهار كالتي على قلة او صحراء واسعة فتقع الشمس عليها حالتي الطلوع والغروب وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما
... سعيد بن جبير وقتادة وقال الفراء والزجاج لا شرقية وحدها ولا غربية وحدها لكنها شرقية غربية يصيبها الشمس عند
طلوعها وعند غروبها فيكون شرقية وغربية تأخذ حظها من الامرين فيكون زيتها اضوأ وقيل لا نابتة في شرق المعمورة
ولا في غربها بل في وسطها وهو الشام فان زيتونها اجود ما يكون وقيل لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها
ولا في مقناة تغيب عنها دائما فتتركها نيا وفي الحديث لا خير في شجرة ولا نبات في مقناة ولا خير فيهما في مضحى

ابو السعود رحمه الله

الله نور السموات والارض اي الله تعالى ما نشر الحق فيهما وهو كالنور في بيانه وظهوره او هو منورهما بنور الشمس ونور القمر او انه
هادي من فيهما بنوره مثل نوره اي صفة نور الحق في الاضاءة في قلب النبي صلى الله عليه وسلم او في قلب المؤمن كمشكوة اي
كصفة مشكوة وهي الكوة في الجدار غير النافذة فيها مصباح اي سراج ثاقب المصباح في زجاجة اي في قنديل من زجاج
لان الضوء في الزجاج اظهر ثم شبه الكوكب في زهرته فقال الزجاجة كانها كوكب دري بضم الدال بلا همزة ومع همزة
وبكسر الدال مع همز وهو من الكواكب المشهورة كالمشتري والزهرة والمريخ ونسب الكوكب الى الدر بالضم لفرط ضيائه
اي ابيض متلألئ فوزنه فعلي وهو مع المد والهمز من الدرء وهو الدفع لان الكوكب يدفع الظلمة بضيائه
فوزنه فعيل وكذلك مع كسر الدال فيهما توقد

ظلمها كما قال ابن عباس رضي الله عنهما هادي اهل السموات والارض فهم بنوره يهتدون وبهداه من حيرة الضلال ينجون هذا
اذا حمل التنوير على اخراجه من العدم الى الوجود اذ هو الاصل في الاظهار كما ان الاعدام هو الاصل في الاخفاء او على تزيين
السموات بالنيرين وسائر الكواكب وما يفيض عليها من الانوار او بالملائكة عليهم السلام وتزيين الارض بالانبياء
عليهم السلام والعلماء والمؤمنين او بالنبات والاشجار او على تدبيره لهما امورهما وامور ما فيهما فيهما لا يلائم التمام
الا بعد حسن النظام **مثل نوره** اي نوره الفائض منه تعالى على الاشياء المستنيرة به وهو القرآن المبين كما يعرب عنه
اضافته من وصف اياته بالانزال والتبيين وقد صرح بكونه نورا ايضا في قوله تعالى وانزلنا اليكم نورا مبينا وبه قال ابن عباس
رضي الله عنهما والحسن وزيد بن اسلم رحمهم الله وجعله عبارة عن الحق وان شاع استعارته له كاستعارة الظلمة للباطل يأباه
مقام بيان شأن الايات ووصفها بما ذكر من التبيين وعدم سبق ذكر الحق ولان المعتبر في مفهوم النور هو الظهور
والاظهار كما هو شأن القرآن الكريم • واما الحق فالمعتبر في مفهومه من حيث هو حق هو الظهور لا الاظهار والمراد
بالمثل الصفة العجيبة اي صفة نوره العجيبة **كمشكوة** اي كصفة كوة غير نافذة في الجدار في الانارة والتنوير **فيها مصباح**
سراج ضخم ثاقب • وقيل المشكوة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة **المصباح في زجاجة** اي قنديل من الزجاج
الصافي الازهر • وقرئ بفتح الزاء وكسرها في الموضعين **الزجاجة كانها كوكب دري** متلألئ وقاد شبيه بالدر في صفائه وزهرته
والدراري الكواكب عظامها المشهورة • وقرئ دريء بدال مكسورة وراء مشددة وياء ممدودة بعدها همزة على انه فعيل
من الدرء وهو الدفع اي مبالغ في دفع الظلام بضوئه او في دفع بعض اجزاء ضيائه لبعض عند البريق واللمعان
وقرئ بضم الدال والباقي على حاله وفي اعادة المصباح والزجاجة معرفين اثر سبقهما منكرين والاخبار عنهما
بما بعدهما مع انتظام الكلام بان يقال كمشكاة فيها مصباح في زجاجة كانها كوكب دري من تفخيم شانهما ورفع مكانهما
بالتفسير اثر الابهام والتفصيل بعد الاجمال وباثبات ما بعدهما لهما بطريق الاخبار المنبئ عن القصد الاصلي دون
الوصف المبني على الاشارة الى الثبوت في الجملة ما لا يخفى ط

قال ابن عباس رضي الله عنهما **مثل نوره** اي نور الله الذي هدى به المؤمن وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه مثل نوره في قلب المؤمن كمشكاة
وقيل اي مثل نور المؤمن وان هذا مثل ضربه الله لنوره لا يمكن ان يضرب مثلا لنوره اعظم مثلا تنبيها لخلقه الا ببعض خلقه لان الخلق
لقصورهم لا يفهمون الا بانفسهم ومن انفسهم ولولا ذلك ما عرف الله الا الله وحده قال الحسن رضي الله عنه ليست هذه من اشجار الدنيا
ولو كانت في الدنيا لكانت شرقية او غربية وانما هو مثل ضربه الله لنوره • واختلف اهل العلم في معنى هذا التمثيل قال بعضهم
وقع التمثيل لنور محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لكعب الاحبار اخبرني عن قوله تعالى مثل نوره **كمشكاة فيها مصباح المصباح
في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد** نور محمد صلى الله عليه وسلم وامره
يتبين للناس ولو لم يتكلم انه نبي لما يكاد ذلك الزيت **يضيء ولو لم تمسسه نار** ويروى ذلك سالم عن ابن عمر في هذه الرواية
قال المشكوة جوف محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعل الله فيه لا شرقية ولا غربية اي لا يهودي
ولا نصراني توقد من شجرة مباركة ابراهيم عليه السلام **نور على نور** نور قلب ابراهيم ونور قلب محمد عليهما السلام وقال محمد بن
كعب القرظي رحمهما الله المشكاة ابراهيم عليه السلام والزجاجة اسمعيل عليه السلام والمصباح محمد صلى الله عليه وسلم سماه الله
مصباحا كما سماه سراجا فقال سراجا منيرا توقد من شجرة مباركة وهي ابراهيم عليه السلام سماه مباركا لان اكثر الانبياء من
نسله لا شرقية ولا غربية يعني ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما لان اليهود تصلي قبل المغرب
والنصارى قبل المشرق تكاد زيتها تضيء ولو لم تمسسه نار تكاد محاسن محمد صلى الله عليه وسلم تظهر للناس قبل ان يوحى اليه
نور على نور نبي من نسل نبي نور محمد على نور ابراهيم وقال بعضهم وقع هذا التمثيل لنور قلب المؤمن روى ابو العالية
عن ابي بن كعب قال هذا مثل المؤمن فالمشكاة نفسه والزجاجة صدره والمصباح ما جعل الله تعالى من الايمان والقرآن
في قلبه توقد من شجرة مباركة وهي الاخلاص لله وحده فمثله مثل شجرة التف بها الشجر فهي خضراء ناعمة لا تصيبها الشمس
لا اذا طلعت ولا اذا غربت فكذلك المؤمن قد احترس من ان يصيبه شيء من الفتن فهو بين اربع خلال ان اعطي شكر
وان ابتلي صبر وان حكم عدل وان قال صدق يكاد زيتها يضيء اي يكاد قلب المؤمن يعرف الحق قبل ان
يتبين له لموافقته اياه نور على نور قال ابي فهو يتقلب في خمسة انوار قوله نور وعمله نور ومدخله نور
ومخرجه نور ومصيره الى النور يوم القيمة قال ابن عباس رضي الله عنهما هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن

توقد اي الزجاجة او المصباح اذا قرئ بالتاء او الياء مخففا مجهولا وقرئ بفتح التاء والقاف مشددا مع ضم الدال فاصله
تتوقد الزجاجة معلوما بلفظ التانيث اي تتوقد الزجاجة **من شجرة** اي من شجرة زيت **مباركة** كثيرة الخير والنفع لان
زيتها ادام وفاكهة ومفتحة للباسور وهي الدمل في المقعد وحواليه قوله **زيتونه** بدل من شجرة متعلقة بقوله توقد
لا شرقية ولا غربية لان هذه الشجرة لا يصيبها الشمس فهي ناعمة غضة او هي في خط الاستواء بين المشرق والمغرب
فلا يضعف باحد منهما فلا يصل اليها حر ولا برد مفرطين انتهى العيون

كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار فإذا مسته ازداد ضوءاً على ضوئه كذلك يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى
قبل أن يأتيه العلم فإذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونوراً على نور قال الكلبي نور على نور يعني إيمان المؤمن وعمله
وقال السدي نور الإيمان ونور القرآن وقال الحسن وابن زيد هذا مثل للقرآن فالمصباح هو القرآن فكما يستضاء
بالمصباح يهتدى بالقرآن والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة فمه ولسانه والشجرة المباركة شجرة الوحي يكاد زيتها يضيء
تكاد حجة القرآن تتضح وإن لم يقرأ نور على نور يعني القرآن نور من الله لخلقه مع ما أقام لهم من الدلائل والأعلام
قبل نزول القرآن فازدادوا بذلك نوراً على نور كذا في معالم التنزيل

وهذا الأمر مطرد في الخبر الموجب والمنفي فإنك إذا قلت فلان جواد يعطي ولو كان فقيراً أو بخيل لا يعطي ولو كان غنياً تريد بيان تحقق
الإعطاء في الأول وعدم تحققه في الثاني في جميع الأحوال المفروضة والتقدير يعطي لو لم يكن فقيراً ولو كان فقيراً ولا يعطي لو لم يكن
غنياً ولو كان غنياً فالجملة مع ما عطفت هي عليه في حيز النصب على الحالية من المستكن في الفعل الموجب أو المنفي أي يعطي أو لا يعطي
كائناً على جميع الأحوال وتقدير الآية الكريمة يكاد زيتها يضيء لو مسته نار ولو لم تمسسه نار أي يضيء كائناً على كل حال من وجود
الشرط وعدمه وقد حذفت الجملة الأولى حسبما هو المطرد في الباب لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة نور خبر مبتدأ محذوف
وقوله على نور متعلق بمحذوف هو صفة له مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة والجملة فذلكة للتمثيل وتفريع بما حصل منه
وتمهيد لما يعقبه أي ذلك النور الذي عبر به عن القرآن ومثلت صفته العجيبة الشأن بما فصل من صفة المشكاة نور عظيم
على نور كذلك لا على أنه عبارة عن نور واحد معين أو غير معين فوق نور آخر مثله ولا عن مجموع نورين اثنين فقط بل
عن نور متضاعف من غير تحديد لتضاعفه بحد معين وتحديد مراتب تضاعف ما مثل به من نور المشكاة بما ذكر لكونه
مراتب تضاعفه عادة فإن المصباح إذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان أضوأ له وأجمع لنوره بسبب انضمام
المنعكس منه إلى أصل الشعاع بخلاف المكان المتسع فإن الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل أعون شيء على زيادة
وكذلك الزيت وصفاؤه وليس وراء هذه المراتب مما يزيد نورها إشراقاً ويمده بإضاءة مرتبة أخرى عادة هذا
النور عبارة عن النور المشبه به كما لا يليق بشأن التنزيل الجليل يهدي الله لنوره أي يهدي هداية خاصة موصلة إلى
حتماً لذلك النور المتضاعف العظيم الشأن وإظهاره في مقام الإضمار لزيادة تقريره وتأكيد فخامته الذاتية بفخامة
الناشئة من إضافته إلى ضميره عز وجل من يشاء هدايته من عباده بأن يوفقهم لفهم ما فيه من دلائل حقيقته وكونه من
عند الله من الإعجاز والإخبار عن الغيب وغير ذلك من موجبات الإيمان به وفيه إيذان بأن مناط هذه الهداية وملاكها
المشيئة وأن تظاهر الأسباب بدونها بمعزل من الإفضاء إلى المطالب ويضرب الله الأمثال للناس في تضاعيف
الهداية حسبما يقتضي حالهم فإن له دخلاً عظيماً في باب الإرشاد لأنه إبراز للمعقول في هيئة المحسوس وتصوير
المعاني بصورة المأنوس ولذلك مثل نوره المعبر به عن القرآن المبين بنور المشكاة وإظهار الاسم الجليل في
للإيذان باختلاف حال ما أسند إليه من الهداية الخاصة وضرب الأمثال الذي هو من قبيل الهداية العامة كما يفيده
تعليق الأولى بمن يشاء والثانية بالناس كافة والله بكل شيء عليم معقولاً كان أو محسوساً ظاهراً كان أو باطناً
قضيته أن تتعلق مشيئته بهداية من يليق بها ويستحقها من الناس دون من عداهم لمخالفة الحكمة التي عليها مبنى
والتشريع وأن يكون هدايته العامة على فنون مختلفة وطرائق شتى حسبما يقتضيه أحوالهم والجملة اعتراض
مقرر لما قبله وإظهار الاسم الجليل لتأكيد استقلال الجملة والإشعار بعلة الحكم وبما ذكر من اختلاف حال المحكوم به
وتعلقاً في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه لما ذكر شأن القرآن الكريم في بيانه للشرائع والأحكام ومباديها وغاياتها
عليها من الثواب والعقاب وغير ذلك من أحوال الآخرة وأهوالها وأشير إلى كونه غاية ما يكون من التوضيح والإظهار حسبما
فصل من نور المشكاة وأشير إلى أن ذلك النور مع كونه في أقصى مراتب الظهور إنما يهتدي بهداه من تعلقت مشيئة الله
بهدايته دون من عداه عقب ذلك بذكر الفريقين وتصوير بعض أعمالهم المعربة عن كيفية حالهم في الاهتداء وعدمه
بالبيوت المساجد كلها حسبما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل هي المساجد التي بناها نبي من الأنبياء الكعبة التي بناها
إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ومسجد المدينة ومسجد قباء اللذان بناهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنكيرها للتفخيم والمراد
في رفعها الأمر ببنائها رفيعة لا كسائر البيوت وقيل هو الأمر برفع مقدارها بعبادة الله تعالى فيها فيكون عطف الذكر عليه من
العطف التفسيري وأياً ما كان ففي التعبير عنه بالإذن تلويح بأن اللائق بحال المأمور أن يكون متوجهاً إلى المأمور به
قبل ورود الأمر به ناوياً لتحقيقه كأنه مستأذن في ذلك فيقع الأمر به موقع الإذن فيه

وبيت المقدس الذي بناه داود وسليمان عليهما السلام صح

[...] بذكر اسمه تعالى ما يعم جميع أذكاره تعالى وكلمة في متعلقة بقوله يسبح له وقوله فيها تكرير لها للتأكيد والتذكير لما بينهما
[...] الفاصلة وللإيذان بأن التقديم للاهتمام لا القصر التسبيح على الوقوع في البيوت فقط وأصل التسبيح التنزيه والتقديس
[...] يستعمل باللام وبدونها أيضاً كما في قوله سبح اسم ربك الأعلى قالوا أريد به الصلوات المفروضة كما ينبئ عنه تعيين
[الأ]وقات بقوله بالغدو والآصال أي بالغدوات والعشايا على أن الغدو إما جمع غداة كقني جمع قناة كما قيل
[...] مصدر أطلق على الوقت حسبما يشعر به اقترانه بالآصال وهو جمع أصيل وهو العشي وهو شامل للأوقات
[...] عدا صلاة الفجر المؤداة بالغداة ويجوز أن يراد نفس التنزيه على أنه عبارة عما يقع منه في أثناء الصلوات
[...] وكان للزيادة شرفه وإنافته على سائر أفراده أو عما يقع في جميع الأوقات وإفراد طرفي النهار بالذكر لقيامها
[...] كلها لكونهما العمدة فيها وكونهما مشهودين وكونهما أشهر ما يقع فيه المباشرة للأعمال والاشتغال بالأشغال وقرئ
[...] الإيصال وهو الدخول في الأصيل انتهى أبو السعود رحمه الله

[...] ويذكر فيها أي في البيوت اسمه بالتوحيد كما قال الله تعالى وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً وقال النبي صلى الله عليه وسلم
[...] الذي ينشد الناقة في المسجد أيها الناشد غيرك الواجد إنما بنيت هذه المساجد لذكر الله تعالى ولقراءة القرآن وإنما قال له
[...] بالتاء لأنه راجع إلى الاسم والاسم مذكر يسبح أي يصلي له فيها في البيوت بالغدو والآصال بالغداة يعني صلاة الفجر والآصال
[...] سائر الصلوات وهو جمع الأصيل وهو بعد العصر إلى جنح الليل نيسابوري

[...] يكاد زيتها وصف لزيتونة أي تقرب زيتها لصفائه يضيء ولو لم تمسسه نار فكأنه لفرط ضيائه نور على نور أي نور
[...] المصباح على نور الزجاجة يعني نور متضاعف تناصر فيه المشكاة والمصباح والزجاجة والزيت لأن المصباح إذا كان في مكان ضيق
[...] أجمع للضوء بخلاف الواسع لأنه ينتشر فيه والقنديل أعون على زيادة الإنارة وكذا الزيت بصفائه وتلألؤه

وهذا تمثيل للحق الذي هو ضد الباطل شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله تعالى الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور
فالمشكاة صدر النبي صلى الله عليه وسلم والزجاج قلبه والمصباح نور النبوة فيه ومن شجرة مباركة شجرة النبوة يكاد نور
اي يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسسه نار وهو تمثيل لنور المعرفة في قلب المؤمن كما ذكرنا فالمشكاة صدره
والزجاجة قلبه والمصباح نور المعرفة والشجرة المباركة كلمة الاخلاص الثابتة فيه التي ليست بقدرية ولا جبرية
وقيل تمثيل للقران فالمصباح القران والزجاجة قلب المؤمن والمشكوة فمه ولسانه والشجرة المباركة الوحي
يكاد زيتها يضيء اي حجة القران تظهر وان لم تقرا نور على نور اي نور من الله على خلقه مع ما اتاهم من الدلائل
قبل نزول القران فيزدادوا بذلك نورا على نور يهدي الله لنوره اي لهذا النور الثابت من يشاء من عباده اي يوفق
لاصابة الحق بنور البصيرة ويضرب الله اي يبين الامثال للناس منة عليهم ليفهموا فيؤمنوا لان المثل كالمراة يظهر
عنده الحق والله بكل شيء عليم اي لا يخفى عليه شيء مما من ضرب الامثال وغيره في بيوت يتعلق بمحذوف
اي سبحوا فيها او يتعلق بيسبح بعده او بما قبله من قوله توقد اي مثل نوره كما يرى يتوقد في بيوت هي المساجد
من نور القناديل او بالمشكوة او بالمصباح اي كمشكوة في بيوت او المصباح في بيوت اذن الله ان ترفع
اي تعظم او تبنى والمراد بالاذن الامر ويذكر فيها اسمه وهو عام في كل ذكر وقيل يتلى فيها كتابه وقيل يوحد فيها ذاته
تعالى قيل هي المساجد كلها لقول ابن عباس رضي الله عنهما المساجد بيوت الله تعالى في الارض يضيء لاهل السماء
كما يضيء النجوم لاهل الارض وقيل هي اربعة مكة بناها ابراهيم عليه السلام وبيت المقدس بناها سليمان وداود
عليهما السلام ومسجد المدينة ومسجد قبا بناهما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يسبح له فيها بالغدو والاصال على البناء
للمفعول وله قايم مقام الفاعل
اسهل العيون

يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وصف الزيت
بالصفاء والوبيص وانه لتلالؤه يكاد يضيء من غير نار
نور على نور اي هذا النور الذي شبه به الحق نور
متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح
والزيت حتى لم يبق بقية مما يقوي النور وهذا
لان المصباح اذا كان في مكان متضايق كالمشكاة
كان اجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فان الضوء
ينتشر فيه والقنديل اعون شيء على زيادة الانارة
وكذلك الزيت وصفاؤه وضرب المثل يكون في تجلي
محسوس معهود لتجلي غير معاين ولا مشهود يهدي
الله لنوره اي لهذا النور الثاقب من يشاء من عباده
اي يوفقه لاصابة الحق من يشاء من عباده بالهام من الله
او بنظره في الدليل ويضرب الله الامثال للناس تقريبا
الى افهامهم ليعتبروا فيؤمنوا والله بكل شيء عليم فيبين
كل شيء بما يمكن ان يعلم به في بيوت يتعلق بمشكاة اي
كمشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد كانه قيل
مثل نوره كما ترى في المسجد نور المشكاة التي من صفتها
كيت وكيت او بتوقد اي يوقد في بيوت او بيسبح
اي يسبح له رجال في بيوت وفيها تكرير فيه توكيد
نحو زيد في الدار جالس فيها او بمحذوف اي سبحوا
في بيوت اذن الله ان ترفع تبنى كقوله بناها رفع
سمكها فسويها او تعظم من الرفعة وعن الحسن ما امر الله
تعالى ان ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم ويذكر فيها اسمه
يتلى فيها كتابه او هو عام في كل ذكر يسبح له فيها بالغدو
والاصال اي يصلي له فيها بالغداة صلوة الفجر و
بالاصال صلوة الظهر والعصر والعشائين وانما
وحد الغدو لان صلوته صلوة واحدة وفي الاصال
صلوات والاصال جمع اصل جمع اصيل وهو العشي رجال
اسهل المدارك

يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وصف الزيت بالصفاء
والوبيص وانه لتلالؤه يكاد يضيء من غير نار نور على نور
اي هذا النور الذي شبه به الحق نور متضاعف قد
تناصر فيه المشكوة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم يبق
بقية مما يقوي النور وهذا لان المصباح اذا كان
في مكان متضايق كالمشكوة كان اجمع لنوره بخلاف
المكان الواسع فان الضوء ينتشر فيه والقنديل اعون
شيء على الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه وضرب المثل
يكون في زيادة تجلي محسوس معهود لتجلي غير معاين ولا مشهود
يهدي الله لنوره اي لهذا النور الثاقب من يشاء فان
الاسباب انما تتمشى بمشيته ويضرب الله الامثال للناس
تقريبا الى افهامهم وتسهيلا لسبيل الادراك والله بكل شيء
عليم فيبين كل شيء بما حقه ان يبين به في بيوت متعلق
بمشكوة اي كمشكوة في بعض بيوت الله تعالى وهي المساجد
او بيوقد اي توقد في بيوت فيكون تقييد المثل به بما
يكون تحرا ومبالغة فان قناديل المساجد تكون اعظم
ولا ينافي جمع البيوت وحدة المشكوة اذ المراد بها ماله
هذا الوصف بلا اعتبار وحدة وكثرة او بيسبح
اي يسبح له رجال في بيوت اذن الله اي امر ان ترفع بالبناء
او التعظيم ويذكر فيها اسمه عام لما يتضمن ذكره حتى المذاكرة في
افعاله والمباحثة في احكامه يسبح له فيها بالغدو والاصال
قال ابن عباس رضي الله عنهما كل تسبيح في القران صلوة اي يصلي له
فيها بالغداة صلوة الفجر وبالاصال سائر الصلوات ولهذا وحد
الغدو وجمع قرينه والاصل في الاصل الوقت الذي بعد العصر
الى المغرب صرح به الجوهري وصدر الافاضل وجمعه اصل واصال
ثم قال والاصال جمع اصل جمع اصيل وهو العشي فقد اخطا وقرئ وقرئ
والايصال وهو الدخول في الاصيل وقرئ يسبح بالفتح على اسناده
الى احد الظروف الثلثة ورفع رجال بما دل عليه يسبح وقرئ بالتاء
مكسورا لتانيث الجمع ومفتوحا على اسناده الى اوقات الغدو
وانما خص الرجال بالذكر اذ ليس على النساء والصبيان الحضور في المساجد
اسهل البيان

ثم الواقع كيت
يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار اي هو في الصفاء والانارة بحيث يكاد يضيء بنفسه من غير مساس نار اصلا وكلمة لو في امثال هذا
بيان انتفاء شيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية الا عند القصد
الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام اثبت من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال
المقارنة له اجمالا بادخالها على ابعدها منه اما لوجود المانع كما في قوله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة واما العدم الشرط
كما في هذه الاية الكريمة ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع ما ينافيه
من وجود المانع وعدم الشرط فلان يتحقق بدون ذلك اولى ولذلك لا يذكر معه شيء اخر من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة
للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال

ورفع رجال بما يدل عليه يسبح وقرئ بالتاء مكسورا لتانيث الجمع و مفتوحا على اسناده الى اوقات الغدو وانما خص الرجال بالذكر اذ ليس على النساء والصبيان الحضور في المساجد لا تلهيهم تجارة لا تشغلهم تجارة اي بالسفر ولا بيع اي في الحضر وجعلنا هما على حدتين ليكون لزيادة افادة لا تتجه داعادة عن ذكر الله اي خالج الصلوة واقام الصلوة اي وعن اقامة الصلوة التاء في اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال اذ الاصل اقوام فلما قلبت الواو الفا اجتمع الفان فحذفت احديهما لالتقاء الساكنين فبقي اقاما فادخلت التاء عوضا عن المحذوف فلما اضيفت اقيمت الاضافة مقام التاء فاسقطت وايتاء الزكوة يعني انهم يسلكوه سبل الكسب ولكن اذا حضر حق الله تعالى او وقت عبادته بدروا به يخافون حال من الضمير في تلهيهم او صفة اخرى لرجال يوما يوم القيمة اي الحامل لهم على اقامة هذه الاشياء خوف القيمة تتقلب فيه القلوب لبلوغها الى الحناجر والابصار بالشخوص والزرقة او تتقلب القلوب الى الايمان بعد الكفر والابصار الى العيان بعد انكاره للطغيان كقوله تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ليجزيهم الله متعلق بيسبح او لا تلهيهم او يخافون احسن ما عملوا و اوزانه المندوب واحترز بالاحسن عن الحسن وهو المباح اذ لا جزاء له ويزيدهم من فضله اي يزيدهم على الثواب الموعود على العمل تفضلا والله يرزق اي يثيب من يشاء بغير حساب ثوابا لا يدخل في حساب الخلق تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشية وسعة الاحسان ابن الكمال

رجال فاعل يسبح شامي وابو بكر ويسند الى احد الظروف الثلثة اعني له فيها بالغدو ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح اي يسبح لا تلهيهم لا تشغلهم تجارة في السفر ولا بيع في الحضر وقيل التجارة الشراء اطلاقا لاسم الجنس على النوع او خص البيع بعدما عم لانه اوغل في الالهاء من الشراء لان الربح في البيعة الرابحة يقين وفي الشراء مظنون عن ذكر الله باللسان والقلب واقام الصلوة وعن اقامة الصلوة التاء في اقامة عوض عن العين الساقطة للاعلال واذ الاصل اقوام فلما قلبت الواو الفا اجتمع الفان احديهما لالتقاء الساكنين فبقي اقاما فادخلت التاء عوضا عن المحذوف فلما اضيفت اقيمت الاضافة مقام التاء فاسقطت وايتاء الزكوة اي وعن ايتاء الزكوة والمعنى لا تجارة لهم حتى تلهيهم كاولياء العزلة او يبيعون ويشترون ويذكرون الله مع ذلك واذا حضرت الصلوة قاموا اليها غير متثاقلين كاولياء العشرة يخافون حال من الضمير في تلهيهم او صفة اخرى لرجال يوما اي يوم القيمة تتقلب فيه القلوب ببلوغها الى الحناجر والابصار بالشخوص والزرقة او تتقلب القلوب الى الايمان بعد الكفر والابصار الى العيان بعد انكاره للطغيان ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله اي يسبحون ويخافون ليجزيهم الله احسن جزاء اعمالهم اي ليجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم على الثواب الموعود على العمل تفضلا والله يرزق من يشاء بغير حساب اي يثيب من يشاء ثوابا لا يدخل في حساب الخلق انتهى المدارك

رجال فاعل يسبح وتاخيره عن الظروف لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ولان في وصفه نوع طول فيخل تقديمه بحسن الانتظام وقرئ يسبح على البناء للمفعول باسناده الى احد الظروف ورجال مرفوع بما ينبئ عنه حكاية الفعل من غير تسمية الفاعل على طريقة قوله ليبك يزيد ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوائح كانه قيل من يسبح له فقيل يسبح له رجال وقرئ تسبح بتانيث الفعل مبنيا للفاعل لان جمع التكسير قد يعامل معاملة المونث ومبنيا للمفعول على ان يسند الى اوقات الغدو والاصال بزيادة الباء وتجعل الاوقات مسبحة مع كونها مسبحا فيها او يسند الى ضمير التسبيحة اي تسبح التسبيحة على المجاز المسوغ لاسناده الى الوقتين كما خرجوا قراءة ابي جعفر ليجزي قوما اي ليجزي الجزاء قوما بل هذا اولى من ذلك اذ ليس هنا مفعول صريح لا تلهيهم تجارة صفة لرجال مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة مفيدة لكمال تبتلهم الى الله تعالى واستغراقهم فيما حكى عنهم من التسبيح من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم كائنا ما كان وتخصيص التجارة بالذكر لكونها اقوى الصوارف عندهم واشهرها اي لا يشغلهم نوع من انواع التجارة ولا بيع اي ولا فرد من افراد البياعات وان كان في غاية الربح وافراده بالذكر مع اندراجه تحت التجارة للايذان بانافته على سائر انواعها لان ربحه متيقن ناجز وربح ما عداه متوقع في ثاني الحال عند المال وكذلك كررت كلمة لا لتذكير النفي وتاكيده وقد نقل الواقدي ان المراد بالتجارة هو الشري لانه اصلها ومبدؤها وقيل هو الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا اي جلبه عن ذكر الله بالتسبيح والتحميد واقام الصلوة اي اقامتها لمواقيتها من غير تاخير وقد اسقطت التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال وعوض عنها الاضافة كما في قوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا اي عدة الامر وايتاء الزكوة اي المال الذي فرض اخراجه للمستحقين وايراده هيهنا وان لم يكن مما يفعل في البيوت لكونه قرينة لا تفارق اقامة الصلوة في عامة المواضع مع ما فيه من التنبيه على ان محاسن اعمالهم غير منحصرة فيما يقع في المساجد وكذلك قوله

يخافون يوما الا

٤

فانه صفة ثانية لرجال او حال من مفعول لا تلهيهم واياما كان فليس خوفهم مقصورا على كونهم في المساجد وقوله يوما مفعول ليخافون لا ظرف له وقوله تتقلب فيه القلوب والابصار صفة ليوما اي تضطرب وتتغير في انفسها من الهول والفزع وتشخص كقوله تعالى واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر او تتغير احوالها وتتقلب فتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعا عليها وتبصر الابصار بعد ان كانت عميا او تتقلب القلوب بعد توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من اي ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم ليجزيهم الله متعلق بمحذوف يدل عليه ما حكي من اعمالهم المرضية اي يفعلون ما يفعلون من المداومة على التسبيح والذكر وايتاء الزكوة والخوف من غير صارف لهم عن ذلك ليجزيهم الله تعالى احسن ما عملوا اي احسن جزاء اعمالهم حسبما وعد لهم بمقابلة حسنة واحدة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف ويزيدهم من فضله اي يتفضل عليهم باشياء لم توعد لهم بخصوصياتها او بمقاديرها ولم يخطر ببالهم كيفياتها ولا كمياتها بل انما وعدت بطريق الاجمال في مثل قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقوله عليه السلام حكاية عنه عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وغير ذلك من المواعيد الكريمة التي من جملتها قوله تعالى والله يرزق من يشاء بغير حساب فانه تذييل مقرر للزيادة ووعد كريم بانه تعالى يعطيهم غير اجزية اعمالهم من الخيرات ما لا يفي به الحساب واما عدم سبق الوعد بالزيادة ولو اجمالا وعدم خطورها ببالهم ولو بوجه ما فيأباه نظمها في سلك الغاية والموصول عبارة عمن ذكرت صفاتهم الجميلة كانه قيل والله يرزقهم بغير حساب ووضعه موضع ضميرهم للتنبيه بما في حيز الصلة على ان مناط الرزق المذكور محض مشيئته تعالى لا اعمالهم المحكية كما انها المناط لما سبق من الهداية لنوره تعالى مع الاشعار بالسبب وللايذان بانهم ممن يشاء الله تعالى ان يرزقهم كما انهم ممن شاء الله تعالى ان يهديهم لنوره حسبما يعرب عنه ما فصل من اعمالهم الحسنة فان جميع ما ذكر من الذكر والتسبيح واقامة الصلوة وايتاء الزكوة وخوف اليوم الاخر واهواله ورجاء الثواب مقتبس من القرآن العظيم الذي هو المعني بالنور وبه يتم بيان احوال من اهتدى بهداه على اوضح وجه واجلاه هذا وقد قيل قوله تعالى في بيوت الخ من تتمة التمثيل وكلمة في متعلقة بمحذوف هو صفة لمشكاة اي كائنة في بيوت وقيل لمصباح وقيل لزجاجة وقيل متعلقة بيوقد والكل مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل كيف لا وان ما بعد قوله تعالى يوقد ولو لم تمسسه نار على ما هو الحق او ما بعد قوله تعالى نور على نور على ما قيل الى قوله تعالى بكل شيء عليم كلام متعلق بالممثل قطعا فتوسيطه بين اجزاء التمثيل مع كونه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه بالاجنبي يؤدي الى كون ذكر حال المنتفعين بالتمثيل المهتدين لنور القرآن الكريم بطريق الاستتباع والاستطراد مع كون بيان حال اضدادهم مقصودا بالذات ومثل هذا مما لا عهد به في كلام الناس فضلا ان يحمل عليه الكلام المعجز انتهى ابو السعود رحمه الله

رجال مرفوع بما دل عليه المجهول وهو يسبح المعلوم وقرئ يسبح معلوما ورجال فاعله والاصال جمع اصل وهو العشي اي يسبح بالبكر والعشايا وقيل التسبيح هنا الصلوات المفروضة فالمراد بالغدو الصبح وبالاصال الظهر والعصر والعشاءان لا تلهيهم تجارة ان بيع وشراء كما هو وصف التاجر الرابح او التجارة الشراء لقوله ولا بيع بعده اي لا يشتغلوا بشيء عن ذكر الله حقيقة او عن الصلوة المكتوبة ولا عن اقام الصلوة لوقتها ولا عن ايتاء اي اعطاء الزكوة لمستحقها عند وجوبها يخافون يوما وهو يوم القيمة تتقلب فيه القلوب والابصار اي ينتقل عن اماكنها لهول ذلك اليوم ليجزيهم الله يتعلق بيسبح او بيخافون والمعنى كان تسبيحهم او خوفهم ليثيبهم الله احسن ما عملوا اي احسن الثواب ويزيدهم من فضله على الثواب وهو العطاء الخالص لا بالعمل والله يرزق من يشاء ما يتفضل به بغير حساب واما الثواب فله حساب لكونه على حسب الاستحقاق

انتهى الشمني

او علمان الاصل قيعة فاشبعت فتحة العين فتولد منها الالف **يحسبه الظمآن ماء** صفة اخرى لسراب وتخصيص الحسبان بالظمآن مع شموله لكل من يراه كائنا من كان من العطشان والريان لتكميل التشبيه بتحقيق شركة طرفيه في وجه الشبه الذي هو المطلع المطمع والمقطع الموئس **حتى اذا جاءه** اي اذا جاء العطشان ما حسبه ماء وقيل موضعه **لم يجده** اي ما حسبه ماء وعلق به رجاءه **شيئا** اصلا لا محققا ولا متوهما كما كان يراه من قبل فضلا عن وجدانه ماء وبه تم بيان احوال الكفرة بطريق التمثيل وقوله تعالى **ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب** بيان لبقية احوالهم العارضة لهم بعد ذلك بطريق التكملة لئلا يتوهم ان قصارى امرهم هو الخيبة والقنوط فقط كما هو شان الظمآن ويظهر انه يعتريهم بعد ذلك من سوء الحال ما لا قدر عنده للخيبة اصلا فليست الجملة معطوفة على لم يجده شيئا بل على ما يفهم منه بطريق التمثيل من عدم وجدان الكفرة من اعمالهم المذكورة عينا ولا اثرا كما في قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كيف لا وان الحكم بان اعمال الكفرة كسراب يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا حكم بانها بحيث يحسبونها في الدنيا نافعة لهم في الآخرة حتى اذا جاؤها لم يجدوها شيئا كانه قيل حتى اذا جاء الكفرة يوم القيمة اعمالهم التي كانوا في الدنيا يحسبونها نافعة لهم في الآخرة لم يجدوها شيئا ووجدوا الله اي حكمه وقضاءه عند المجيء وقيل عند العمل **فوفاهم** اي اعطاهم وافيا كاملا حسابهم اي حساب اعمالهم المذكورة وجزاءها فان اعتقادهم لنفعها بغير ايمان وعملهم بموجبه كفر على كفر موجب للعقاب قطعا. وافراد الضمير من الراجعين الى الذين كفروا اما لارادة الجنس كالظمآن الواقع في التمثيل واما للحمل على كل واحد منهم وكذا افراد ما يرجع الى اعمالهم هذا وقد قيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية كان تعبد في الجاهلية ولبس المسوح والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر **او كظلمات** عطف على كسراب وكلمة او للتنويع اثر ما مثلت اعمالهم التي كانوا يعتقدون عليها اقوى اعتماد ويفتخرون بها في كل واد وناد بما ذكر من حال السراب مع زيادة حساب وعقاب مثلت اعمالهم القبيحة التي ليس فيها شائبة خيرية يغتر بها المغترون بظلمات كائنة **في بحر لجي** اي عميق كثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر وقيل الى اللجة وهي ايضا معظمه **يغشاه** صفة اخرى للبحر اي يستره ويغطيه بالكلية **موج** وقوله تعالى **من فوقه موج** جملة من مبتدا وخبر محلها الرفع على انها صفة لموج او الصفة هي الجار والمجرور وموج الثاني فاعل له لاعتماده على الموصوف والكلام فيه كما مر في قوله تعالى نور على نور اي يغشاه امواج متراكمة بعضها على بعض وقوله تعالى **من فوقه سحاب** صفة لموج الثاني على احد الوجهين المذكورين اي من فوق ذلك الموج سحاب ظلماني من اضواء النجوم وفيه ايماء الى غاية تراكم الامواج وتضاعفها حتى كانها بلغت السحاب **ظلمات** خبر مبتدا محذوف اي هي ظلمات **بعضها فوق بعض** اي متكاثفة متراكمة وهذا بيان لكمال شدة الظلمات كما ان قوله تعالى نور على نور بيان لغاية قوة النور خلا ان ذلك متعلق بالمشبه وهذا بالمشبه به كما يعرب عنه ما بعده وقرئ بالجر على الابدال من الاولى وقرئ باضافة السحاب اليها **اذا اخرج** اي من ابتلي بها واضماره من غير ذكره لدلالة المعنى عليه دلالة واضحة **يده** وجعلها بمرأى منه قريبة من عينه لينظر اليها **لم يكد يراها** وهي اقرب شيء فضلا عن ان يراها

والذين كفروا اعمالهم كسراب وهو تخيل الماء من بعيد انه ماء جار **بقيعة** وهي المنبسطة من الارض **يحسبه الظمآن ماء** **حتى اذا جاءه** اي السراب **لم يجده شيئا** اي ماء فيزداد عطشه فكذا الكافر يحسب ان عمله ينفعه يوم البعث فيغلبه الرجاء اليه فاذا جاءه لم يجد ما رجاه فيزداد انقطاعه **ووجد الله** اي قدرته **عنده** اي عند السراب **فوفاه حسابه** اي جزاء الكفرة فياخذه الزبانية فيلقونه في النار. شبه الاعمال الصالحة التي يحسبها الكافر تنفعه عند الله تعالى وتنجيه من عذابه بسراب يراه العاطش بالمفازة فيحسبه ماء فياتيه فلا يجده ماء فغلبه العطش ولم ينفعه سعيه اليه **والله سريع الحساب** اي انه قادر اذا حاسب فحسابه سريع لا يحتاج الى كتب يد ولا حفظ صدر قيل اذا حاسب الخلق يوم القيمة يحاسبهم جميعا دفعة فيظن كل واحد يحاسبه خاصة. ثم ضرب للكافر مثلا آخر بقوله **او كظلمات** اي او اعمال الكفار مشبهة باعمال اصحاب الظلمات **في بحر لجي** اي عميق واللج معظم الماء والياء للنسبة **يغشاه** اي يعلو البحر **موج من فوقه موج** آخر ركب بعضه بعضا لكثرته **من فوقه** اي من فوق الموج **سحاب** قوله **ظلمات** بالرفع خبر مبتدا محذوف اي هي ظلمات **بعضها فوق بعض** اي ظلمة الموج على ظلمة البحر وظلمة الموج على الموج وظلمة السحاب على الموج. فشبهت اعمال الكفار واغترارهم بها بسراب يغتر به من طلبه. ثم شبهت ثانيا في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة خالية عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر ثم الامواج والسحاب وشبه قلبه بالبحر وما يغشى قلبه من الشرك بالموج والختم على قلبه بالسحاب. وقرئ ظلمات بالجر بدل من ظلمات اولا واضافة سحاب اليها **اذا اخرج** الرجل من البحر **يده لم يكد يراها** فيه مبالغة حيث لم يقل لم يرها اي لم يقارب ان يراها فضلا ان يراها لان كاد بمعنى قرب هنا واذا نفي القرب كان هو لنفي الرؤية انفى وقيل كاد بمعنى النفي واذا دخل عليه نفي وقع الفصل لان نفي النفي ايجاب واذا لم يدخل لم يقع وهذا هو المشهور فيجوز ان يراها بعد بطوء لشدة الظلمة

والذين كفروا اعمالهم كسراب هو ما يرى في الفلاة من ضوء
الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الارض كانه
ماء يجري بقيعة بقاع او جمع قاع وهو المنبسط
المستوي من الارض بجيرة في جار يحسبه الظمآن
يظنه العطشان ماء حتى اذا جاءه اي جاء الى ما توهم
انه ماء لم يجده شيئا اي لم يجده كما ظنه ووجد الله
اي جزاء الله كقوله يجد الله غفورا رحيما اي يجد رحمته
ومغفرته عنده اي الكافر فوفيه حسابه اي اعطاه جزاء
عمله وافيا كافيا ووحد بعد تقدم الجمع حملا على كل واحد
من الكفار والله سريع الحساب لانه لا يحتاج الى عد وعقد
ولا يشغله حساب عن حساب او قريب حسابه لان ما هو
آت قريب شبه ما يعمله من لا يعتقد الايمان ولا يتبع الحق
من الاعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من
عذابه ثم يخيب في العاقبة امله ويلقى خلاف ما قدر بسراب
يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيمة فيحسبه
ماء فياتيه فلا يجد ما رجاه ويجد زبانية الله ياخذونه
فيعتلونه الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين
قال الله تعالى فيهم عاملة ناصبة ويحسبون انهم يحسنون صنعا
نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية كان يترهب ملتمسا
للدين في الجاهلية فلما جاء الاسلام كفر او كظلمات في بحر
او هنا كاو في كصيب لجي عميق كثير الماء منسوب الى اللج
وهو معظم ماء البحر يغشاه يغشى البحر او من فيه اي يعلوه
ويغطيه موج هو ما ارتفع من الماء من فوقه موج اي من
فوق الموج موج اخر من فوقه سحاب اي من فوق الموج الاعلى
سحاب ظلمات اي هذه ظلمات ظلمة السحاب وظلمة الامواج
وظلمة البحر بعضها فوق بعض ظلمة الموج على ظلمة البحر وظلمة
الموج على الموج وظلمة السحاب على الموج اذا اخرج يده اي
الواقع لم يكد يراها مبالغة في لم يرها اي لم يقرب ان يراها
فضلا ان يراها شبه اعمالهم اولا في فوات نفعها وحضور
ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيئا
ولم يكفه خيبة كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية
تعتله الى النار وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها لكونها
باطلة وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة في لج البحر
والامواج والسحاب   اسمعي للمدارك

والذين كفروا اعمالهم كسراب يجد ونه لاغية مخيبة في العاقبة كالسراب
وهو ما يرى في الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة يسري على
وجه الارض كانه ماء يجري بقيعة بمعنى القاع او جمع قاع وهو المستوي
من الارض بجيرة في جار يحسبه الظمآن الظمآن شدة العطش
لا مطلق العطش صرح به في تفسير سورة التوبة ماء الشبيه في شدة
الخيبة عند مس الحاجة حتى اذا جاءه اي جاء الى ما توهم انه ماء
لم يجده شيئا اي لم يجده شيئا نافعا تياك هذا ليس شيء يراد به نفي
نفعه هذا اذا كان المعنى اذا جاء السراب واما اذا كان المعنى
اذا جاء موضعه فمعنى لم يجده شيئا لم يجد في ذلك الموضع
شيئا كان يتراءى لانه لا يرى ذلك اذا حضر وكذلك الكافر
اذا قدم يوم القيمة على اعمال التي هي خيرات عنده لم يجد بها
نافعة او لا يراها لانها صارت هباء منثورا ووجد الله اي
وجد عقاب الله عنده اي يبطل حسناته ويتبع عقاب سيئاته
معد له عند قدومه فوفيه حسابه اي اعطاه جزاء عمله وافيا
كاملا وحد بعد تقدم حملا على كل واحد من الكفار والله سريع
الحساب لانه لا يحتاج الى عد وعقد ولا يشغله حساب
عن حساب قوله ووجد الله عطف على ما تقدم من التمثيل
على سبيل العطف على المعنى ومن غفل عن هذا زعم انه من
تتمة التمثيل فتبعتف في توجيهه او كظلمات في بحر او هنا
كاو في كصيب وما قيل او للتنويع فان اعمالهم ان كانت صالحة
فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات يرد قوله ووجد الله عنده
لان الاعمال الصالحة وان لم يكن نافعة مع الكفر لا يكون في عاقبتها
وخامة لجي عميق كثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم الماء يغشاه
يغشى البحر او من فيه اي يعلوه ويغطيه موج هو ما ارتفع
من الماء من فوقه موج اي من فوق الموج موج اخر من فوقه من فوق
الموج الاعلى سحاب غطى النجوم وحجب انوارها والجملة صفة
اخرى للبحر ظلمات اي هذه ظلمات بعضها فوق بعض ظلمة الموج
على ظلمة البحر وظلمة الموج على الموج وظلمة السحاب على الموج اذا اخرج
يده وهو اقرب ما يرى اليه لم يكد يراها لم يقرب ان يراها
فضلا ان يراها والضمائر للواقع في البحر وان لم يجر ذكره
لدلالة المعنى عليه   اسمعي ابن الكمال عليه الرحمة على الكمال

والذين كفروا عطف على ما ينساق اليه ما قبله كانه قيل الذين آمنوا
اعمالهم حالا ومالا كما وصف والذين كفروا اعمالهم اي اعمالهم التي
هي من ابواب البر كصلة الارحام وفك العناة وسقاية الحاج
وعمارة البيت واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف ونحو ذلك
مما لو قارنه الايمان لاستتبع الثواب كما في قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد الآية كسراب وهو ما يرى في الفلوات من لمعان الشمس عليها
وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب اي يجري بقيعة متعلق بمحذوف وهو صفة لسراب اي كائن في قاع وهي الارض المستوية وقيل
جمع قاع كجيرة جمع جار وقرئ بقيعات بتاء ممدودة كديمات اما على انه جمع قيعة

ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور اى من لم يهده الله لم يهتد عن الزجاج رحمه الله في الحديث خلق الله الخلق في ظلمة ثم رش عليه من نوره فمن اصاب من ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضل الم تر الم تعلم علما يقوم مقام العيان في الايقان ان الله يسبح له ينزه ذاته عن كل نقيص وآفة من في السموات والارض ومن لاسناد التسبيح فلا حاجة الى التغليب هنا وفي يعلمون او اريد به الملائكة و الثقلان والطير على الاول تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر والدليل الباهر ولذلك قيدها بقوله صافات فان اعطاء الاجرام الثقيلة ما به تقوى على الوقوف في الجو صافة باسطة اجنحتها لما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع ولطف تدبيره كل كل واحد مما ذكر او من الطير قد علم الضمير لكل وكذا في صلوته وتسبيحه ولا يبعد ان يلهم الله تعالى الطير دعاءه وتسبيحه كما الهمه سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون اليه والله عليم بما يفعلون من الصلوة والتسبيح وغيرهما ولله ملك السموات والارض لا شريك له فيه والى الله المصير مرجع الكل وانما عدل الى الضمير تفخيما الم تر ان الله يزجي سحابا معنى يزجي يسوق قليلا قليلا ويستعمل في سوق الثقيل برفق كالسحاب والابل والسحاب اسم جنس واحده سحابة والمعنى يسوق سحابة الى سحابة ثم يؤلف بينه تذكيره للفظ اي يضم بعضه الى بعض ثم يجعله ركاما متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق المطر يخرج من خلاله من فتوقه جمع خلل كجبال في جبل

ومن لم يجعل الله له نورا الى فمن اعتراض تذييلي جيء به لتقرير افادة التمثيل من كون اعمال الكفرة كما فصل وتحقيق ان ذلك لعدم هدايته تعالى اياهم لنوره وايراد الموصول للاشارة بما في حيز الصلة الى علة الحكم وانهم ممن لم يشأ الله تعالى هدايتهم اي ومن لم يشأ الله ان يهديه لنوره الذي هو القرآن هداية خاصة مستتبعة للاهتداء حتما ولم يوفقه للايمان به فما له من نور اي فما له هداية ما من احد اصلا انتهى ابن الكمال

ومن لم يجعل الله نورا فما له من نور اي من لم يهده الله لم يهتد عن الزجاج في الحديث خلق الله الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصاب من ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضل انتهى ظاهره ان من لم يخلق الله تعالى الايمان والعمل الصالح ليس له ايمان ولا عمل كما هو مذهب اهل السنة والجماعة لانه تذييل لقوله والذين كفروا اي ليس له نور التوفيق الذي يسبق الايمان والعمل الصالح المترتبين ولا نور العصمة الذي يردف ويلحقهما قال القشيري ظلمات الحسبان وغيوم التفرقة وليالي الجحد وحنادس الشك اذا اجتمعت فلا سراج لصاحبها ولا نجوم ولا اقمار ولا شموس ومن لم يجعل الله نورا فما له من نور اذ لم يسبق لعبد نور القسمة ولم يساعده روح روح الرحمة فجهده وكده وسعيه وجد عقيم من ثمراته مؤيس من نيل بركات والبدايات غالبة للنهايات فالقبول لاهله غير مجتلب والرد لاهله غير مكتسب انتهى الم تر الم تعلم يا محمد علما يقوم مقام العيان في الايقان ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير عطف على من صافات حال من الطير اي يصففن اجنحتهن في الهواء كل قد علم صلوته وتسبيحه الضمير في علم لكل او لله وكذا في صلوته وتسبيحه والصلوة الدعاء ولا يبعد ان يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما الهم سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون اليها والله عليم بما يفعلون لا يعزب عن علمه شيء ولله ملك السموات والارض لانه خالقهما ومن ملك شيئا فبتمليكه اياه والى الله المصير مرجع الكل الم تر ان الله يزجي يسوق الى حيث يريد سحابا جمع سحابة ذيله ثم يؤلف بينه وتذكيره للفظ اي يضم بعضه الى بعض ثم يجعله ركاما متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق المطر يخرج من خلاله من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل انتهى المدارك

الم تر الخ استيناف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم للايذان بانه قد افاض عليه صلى الله عليه وسلم اعلى مراتب النور واجلاها وبين له من اسرار الملك والملكوت ادقها واخفاها والهمزة للتقرير اي قد علمت علما يقينيا شبيها بالمشاهدة في القوة والرصانة بالوحي الصريح والاستدلال الصحيح ان الله يسبح له اي ينزهه تعالى على الدوام في ذاته وصفاته وافعاله عن كل ما لا يليق بشانه الجليل من نقص وخلل من في السموات والارض اي ما فيهما اما بطريق الاستقرار فيهما من العقلاء وغيرهم كائنا ما كان او بطريق الجزئية منهما تنزيها معنويا يفهمه العقول السليمة فان كل موجود من الموجودات الممكنة مركبا كان او بسيطا فهو من حيث ماهيته ووجوده واحواله يدل على وجود صانع واجب الوجود متصف بصفات الكمال مقدس عن كل ما لا يليق بشانه من شؤونه الجليلة وقد نبه على كمال قوة تلك الدلالة وغاية وضوحها حيث عبر عنها بما يخص العقلاء من التسبيح الذي هو اقوى مراتب التنزيه واظهرها تنزيلا للسان الحال منزلة لسان المقال

ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور اي ومن لم يهد الله تعالى ايمانا في الدنيا لم يهتد في الآخرة الى الجنة قيل من لم يعطه نور توفيقه فهو في ظلمة الباطل وهذا من باب الكناية عن الاول لان اعطاء نور التوفيق من لوازم الايمان والعمل الصالح قيل نزلت في عتبة بن ربيعة كان يطلب الدين ويتعبد ويلبس المسوح فلما جاء الاسلام كفر الم تر ان الله يسبح له تسبيحا حقيقة يعلمه الله تعالى من في السموات والارض والطير بالرفع عطف على من في قوله صافات حال من الطير اي باسطات اجنحتهن في الهواء ويصففن بها وهو تسبيح عند البعض كل قد علم صلوته وتسبيحه اي كل من المسبحين والمصلين علم عبادته ويجوز ان يكون الضمير في علم لله تعالى ويجوز ان يراد بالصلوة الدعاء ولا يبعد ان يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما الهم سائر مصالحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض والى الله المصير اي المرجع في الآخرة الم تر ان الله يزجي اي يسوق سحابا اي غيما ثم يؤلف بينه اي يضم بينه اي بين اجزاء الغيم فيصل بعضه الى بعض ثم يجعله ركاما اي متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق اي المطر يخرج من خلاله اي من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل انتهى القهستاني

وأكد ذلك بإيثار كلمة من على ما لأن كل شيء مما عز وهان وكل فرد من أفراد الأعراض والأعيان عاقل ناطق ومخبر صادق
بعلو شأنه تعالى وعزة سلطانه وتخصيص التنزيه بالذكر مع دلالة ما فيهما على اتصافه تعالى بنعوت الكمال أيضاً لما أن مساق
الكلام لتقبيح حال الكفرة في إخلالهم بالتنزيه بجعلهم الجمادات شركاء له في الألوهية ونسبتهم إياه إلى اتخاذ الولد تعالى عن ذلك
علواً كبيراً وحمل التسبيح على ما يليق بكل نوع من أنواع المخلوقات بأن يراد به معنى مجازي شامل لتسبيح العقلاء وغيرهم
حسبما هو المتبادر من قوله تعالى كل قد علم صلوته وتسبيحه يرده أن بعضاً من العقلاء وهم الكفرة من الثقلين
لا يسبحونه بذلك المعنى قطعاً وإنما تسبيحهم ما ذكر من الدلالة التي يشاركهم فيها غير العقلاء أيضاً وفيه مزيد تخطئة
لهم وتعيير ببيان أنهم يسبحونه تعالى باعتبار أخس جهاتهم التي هي الجمادية والجسمية والحيوانية ولا يسبحونه باعتبار
أشرف جهاتهم التي هي الإنسانية والطير بالرفع عطفاً على من وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في جملة ما في الأرض لعدم استمرار
قرارها فيها واستقلالها بصنع بارع وإنشاء رائع قصد بيان تسبيحها من تلك الجهة لوضوح إنبائها عن كمال قدرة صانعها
ولطف تدبير مبدعها حسبما يعرب عنه التقييد بقوله تعالى صافات أي تسبحه تعالى حال كونها صافات أجنحتها فإن إعطاءه
تعالى للأجرام الثقيلة ما تتمكن به من الوقوف في الجو والحركة كيف تشاء من الأجنحة والأذناب الخفيفة وإرشادها إلى
كيفية استعمالها بالقبض والبسط حجة نيرة واضحة المكنون وآية بينة لقوم يعقلون دالة على كمال قدرة الصانع المجيد
وغاية حكمة المبدئ المعيد وقوله تعالى كل قد علم صلوته وتسبيحه بيان لكمال عراقة كل واحد مما ذكر في التنزيه ورسوخ قدمه فيه
بتمثيل حاله بحال من يعلم ما يصدر عنه من الأفاعيل فيفعلها عن قصد ونية لا عن اتفاق بلا روية وقد أدمج في
تضاعيفه الإشارة إلى أن لكل واحد من الأشياء المذكورة مع ما ذكر من التنزيه حاجة ذاتية إليه تعالى واستفاضة منه
لما يهمه بلسان استعداده وتحقيقه أن لكل واحد من الموجودات الممكنة في حد ذاته بمعزل من استحقاق الوجود
لكنه مستعد لأن يفيض عليه منه تعالى ما يليق بشأنه من الوجود وما يتبعه من الكمالات ابتداء وبقاء فهو مستفيض
منه تعالى على الاستمرار فيفيض عليه في كل آن من فنون الفيوض المتعلقة بذاته وصفاته ما لا يحيط به نطاق البيان
بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الربانية من العلاقة لانعدم بالمرة وقد عبر عن تلك الاستفاضة المعنوية
بالصلوة التي هي الدعاء والابتهال لتكميل التمثيل وإفادة المزايا المذكورة فيما مر على التفصيل وتقديمها على التسبيح
في الذكر لتقدمها عليه في الرتبة هذا ويجوز أن يكون العلم على حقيقته ويراد به مطلق الإدراك وبما ناب عنه
التنوين في كل أنواع الطير أو أفرادها وبالصلوة والتسبيح ما ألهمه الله تعالى كل واحد منها من الدعاء والتسبيح المخصوصين به
لكن لا على أن يكون الطير معطوفاً على كلمة من مرفوعاً بفعلها فإنه يؤدي إلى أن يراد بالتسبيح معنى مجازي شامل
للتسبيح المقالي والحالي من العقلاء وغيرهم وقد عرفت ما فيه بل بفعل مضمر أريد به التسبيح المخصوص بالطير معطوف
على المذكور كما قرئ في قوله تعالى وكثير من الناس أي وتسبح الطير تسبيحاً خاصاً بها حال كونها صافات أجنحتها وقوله تعالى كل قد علم صلوته
وتسبيحه أي دعاءه وتسبيحه اللذين ألهمهما الله تعالى إياه لبيان كمال رسوخه فيهما وأن صدورهما عنه ليس بطريق الاتفاق
بلا روية بل عن علم وإيقان من غير إخلال بشيء منهما حسبما ألهمه إياه فإن إلهامه تعالى لكل نوع من أنواع المخلوقات
علوماً دقيقة لا يكاد يهتدي إليها جهابذة العقلاء مما لا سبيل إلى إنكاره أصلاً كيف لا وإن القنفذ مع كونه أبعد
الأشياء من الإدراك قالوا إنه يحس بالشمال والجنوب قبل هبوبهما فيغير المدخل إلى جحرها حتى روي أنه كان
بقسطنطينية قبل الفتح الإسلامي رجل قد أثرى بسبب أنه كان ينذر الناس بالرياح قبل هبوبها وينتفعون
بإنذاره بتدارك أمور سفائنهم وغيرها وكان السبب في ذلك أنه كان يقتني في داره قنفذاً يستدل
بأحواله على ما ذكر وتخصيص تسبيح الطير بهذا المعنى بالذكر لما أن أصواتها أظهر وجوداً وأقرب حملاً على التسبيح وقوله تعالى
والله عليم بما يفعلون أي بما يفعلونه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وما على الوجه الأول عبارة عما ذكر من الدلالة
الشاملة لجميع الموجودات من العقلاء وغيرهم والتعبير عنها بالفعل مسنداً إلى ضمير العقلاء لما مر غير مرة وعلى الثاني
إما عبارة عنها وعن التسبيح الخاص بالطير معاً أو عن تسبيح الطير فقط فالفعل على حقيقته وإسناده إلى ضمير العقلاء
لما مر والاعتراض حينئذ مقرر لتسبيح الطير فقط وعلى الأولين لتسبيح الكل هذا وقد قيل إن الضمير في قوله تعالى
قد علم لله عز وجل وفي صلوته وتسبيحه للكل أي قد علم الله تعالى صلوة كل واحد مما في السموات والأرض وتسبيحه

فالاعراض حينئذ مقرر لمعلومه على الوجهين لكن لا على ان يكون ما عبارة عما تعلق به علمه تعالى من صلوته وتسبيحه بل عن جميع احواله العارضة له وافعاله الصادرة عنه وهما داخلتان فيها دخولا اوليا ولله ملك السموات والارض لا لغيره لانه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات وهو المتصرف في جميعها ايجادا واعداما بدءا واعادة وقوله والى الله المصير اي رجوع الكل بالفناء والبعث بيان لاختصاص الملك به تعالى في المعاد اثر بيانه اختصاصه به في المبدأ والاظهار باسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وللاشعار بعلة الحكم الم تر ان الله يزجي سحابا الازجاء سوق برفق وسهولة غلب في سوق شيء يسير او غير معتد به ومنه البضاعة المزجاة ففيه ايماء الى ان السحاب بالنسبة الى قدرته تعالى مما لا يعتد به ثم يؤلف بينه اي بين اجزائه بضم بعضها الى بعض وقرئ يولف بغير همز ثم يجعله ركاما اي متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق اي المطر اثر تراكمه وتكاثفه وقوله تعالى يخرج من خلاله اي من فتوقه حال من الودق لان الرؤية بصرية وفي تعقيب الجعل المذكور برؤيته خارجا لا بخروجه من المبالغة في سرعة الخروج على طريقة قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق ومن الاعتناء بتقرير الرؤية ما لا يخفى والخلال جمع خلل كجبال وجبل وقيل مفرد كحجاب وحجاز ويؤيده انه قرئ من خلله

وقوي البرد اجتمع هناك وصار سحابا وان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر او الثلج وكل ذلك مستند الى ارادة الله تعالى ومشيئته المبنية على الحكم والمصالح فيصيب به اي بما ينزل من البرد من يشاء فيناله ما يناله من ضرر في نفسه وماله ويصرفه عمن يشاء اي يصرفه عنه فينجو من غائلته يكاد سنا برقه اي ضوء برق السحاب الموصوف بما مر من الازجاء والتأليف وغيرهما واضافة البرق اليه قبل الاخبار بوجوده فيه للايذان بظهور امره واستغنائه عن التصريح به وقرئ بالمد بمعنى الرفعة والعلو وبادغام الدال في السين وبرقه بفتح الراء على انه جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع بضمة الباء يذهب بالابصار اي يخطفها من فرط الاضاءة وسرعة ورودها وفي اطلاق الابصار مزيد تهويل لامره وبيان لشدة تاثيره فيها كانه يكاد يذهب بها ولو عند الاغماض وهذا من اقوى الدلائل على كمال القدرة من حيث انه توليد للضد من الضد وقرئ يذهب من الاذهاب على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة الاخر او بتغيير احوالهما بالحر والبرد وغيرهما مما يقع فيهما من الامور التي من جملتها ما ذكر من ازجاء السحاب وما ترتب عليه ان في ذلك اشارة الى ما فصل آنفا وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته لعبرة اي لدلالة واضحة على وجود الصانع القديم ووحدته وكمال قدرته واحاطة علمه بجميع الاشياء ونفاذ مشيئته وتنزهه عما لا يليق بشأنه العلي لاولي الابصار لكل من له بصر والله خلق كل دابة اي كل حيوان يدب على الارض وقرئ خالق كل دابة بالاضافة من ماء هو جزء مادته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل لان من الحيوانات ما يتولد لا عن نطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليست صلة لخلق فمنهم من يمشي على بطنه كالحية وتسمية حركتها مشيا مع كونها زحفا بطريق الاستعارة او المشاكلة انتهى ابو السعود

ويتنزل من السماء من جبال فيها من برد من الاولى ابتدائية والثانية تبعيض والثالثة بيان او زائدة بمعنى ينزل البرد من السماء من جبال فيها فعلى هذا مفعول ينزل من برد وعلى تقدير عدم الزيادة مفعول ينزل من جبال فيجوز ان يكون في السماء جبال برد كما في الارض جبال حجر او يكون الثانية زائدة والهاء في فيها للارض وفي بمعنى على لان الانزال على الارض غالبا فيكون تقديره ينزل من السماء بردا كالجبال على الارض فيذكر الجبال يريد كثرة البرد كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب وقد يراد بالسحاب من السماء فيصيب به اي يهلك بالبرد من يشاء من عباده اذا في مفازة كاهلاك ماله من الزرع وغيره ويصرفه عمن يشاء فلا يضره يكاد سنا برقه اي ضوؤه يذهب بالابصار اي يختطفها من شدة نوره يقلب الله الليل والنهار اي يذهب باحدهما ويجيء بالاخر وينقص من احدهما ويزيد في الاخر ان في ذلك اي في التقليب لعبرة لاولي الابصار اي لاصحاب العقول والله خلق كل دابة وقرئ خالق كل دابة بالاضافة اي الله خلق كل ذي روح سوى الملك والجن من ماء فخلق بها وهو النطفة وهي تعم العقلاء وغيرهم لكنه غلب العقلاء فكان الدواب كلهم مميزون فلذلك جاء بمن للعقلاء في قوله فمنهم من يمشي على بطنه كالحيات

وينزل وينزل مكي وبصري من السماء لابتداء الغاية لان ابتداء الانزال من السماء من جبال للتبعيض لان ما ينزله الله بعض تلك الجبال التي فيها في السماء من برد للبيان او الاوليان للابتداء والاخرة للتبعيض ومعناه انه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلى الاول مفعول ينزل من جبال اي بعض جبال منها من برد ان يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الارض جبال حجر او يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من الذهب فيصيب به بالبرد من يشاء اي يصيب الانسان وزرعه ويصرفه عمن يشاء فلا يصيبه او يعذب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء فلا يعذب به يكاد سنا برقه ضوؤه يذهب بالابصار يخطفها يذهب يزيد على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار يصرفهما في الاختلاف طولا وقصرا او التعاقب ان في ذلك في ازجاء السحاب وانزال الودق والبرد وتقليب الليل والنهار لعبرة لاولي الابصار لذوي العقول وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته حيث ذكر تسبيح من في السموات والارض وما يطير بينهما ودعاءهم له وتسخير السحاب الى اخر ما ذكر فهي براهين لائحة على وجوده ودلائل واضحة على صفاته لمن نظر وتدبر ثم بين دليلا اخر فقال والله خلق كل دابة كل حيوان يدب على وجه الارض من ماء من نوع من الماء مختص بتلك الدابة او من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام ومنها بهائم ومنها اناسي وهو كقوله تعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وهذا دليل على ان لها خالقا ومدبرا والا لم تختلف لاختلاف الاصل وانما عرف الماء في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي لان المقصود ثمه ان اجناس الحيوان مخلوقة من جنس الماء وانه هو الاصل وان تخللت بينه وبينها وسائط قالوا ان اول ما خلق الله تعالى الماء فخلق منه النار والريح والطين فخلق من النار الجن ومن الريح الملائكة ومن الطين ادم ودواب الارض ولما كانت الدابة تشمل المميز وغيره غلب فاعطي ما وراءه حكمه كان الدواب كلهم مميزون فمن ثم قيل فمنهم من يمشي على بطنه كالحية والحوت سمي الزحف على البطن مشيا استعارة كما قالوا في الامر المستمر قد مشى هذا الامر او على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين انتهى المدارك

ويتنزل من السماء ماء من الغمام وكل ما علاك فهو سماء من جبال فيها من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها من برد بيان للجبال والمفعول محذوف اي ينزل مبتدئا من السماء من الجبال فيها من برد بردا ويجوز ان تكون من الثانية او الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول فيصيب به بالبرد من يشاء فيضر في نفسه او في زرعه ويصرفه عمن يشاء فلا يصيبه يكاد سنا برقه ضوءه يذهب بالابصار بابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك اقوى دليل على كمال القدرة من حيث انه توليد الضد من الضد وقرئ يذهب على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة الاخر ان في ذلك فيما تقدم ذكره لعبرة لدلالة على وجود الصانع القادر العليم وتنبيه على وضوح الدلالة قال لاولي الابصار دون لاولي البصائر ثم بين دليلا اخر فقال والله خلق كل دابة حيوان يدب على وجه الارض وقرئ خالق كل دابة بالاضافة قال الراغب والدبيب اصله حكاية صوت حركة المشي ثم قيل دب اذا مشى وتعال لكل ما يمشي دابة ثم خص العرفي من ماء هو جزء مادته وسبب حيوته على ما اشير اليه في قوله تعالى ومن الماء كل شيء حي وقيل من ماء مخصوص وهو النطفة وتنزيل الغالب منزلة الكل لجواز ان يراد من الدابة ما يخلق بالتوالد بقرينة من ماء اي من نطفة كما اريد من الغني في قوله تعالى ومن الماء كل شيء حي ما به الحيوة بقرينة حي فمنهم من يمشي على بطنه كالحية والحوت سمي الزحف مشيا استعارة لقيامه مقام المشي وليس هذا من قبيل ذكر المقيد وارادة المطلق كما اذا ذكر المشفر واريد به الشفة مطلقا لان خصوصية الزحف مقصودة والمشاكلة البديعية طريقة اخرى لا ينافي اليها عند صحة الاستعارة البيانية انتهى ابو الكلام

وينزل من السماء من الغمام فان كل ما علاك سماء من جبال اي من قطع عظام تشبه الجبال في العظم كائنة فيها وقوله تعالى من برد مفعول ينزل على ان من تبعيضية والاوليان لابتداء الغاية على ان الثانية بدل اشتمال من الاولى باعادة الجار اي ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها بعض برد وقيل المفعول محذوف ومن برد بيان للجبال اي ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من جنس البرد بردا والاول اظهر لخلوه عن ارتكاب الحذف والتصريح ببعضية المنزل وقيل المفعول من جبال على ان من تبعيضية ومن برد بيان للجبال اي ينزل من السماء بعض جبال كائنة فيها من برد اي مشتبهة بالجبال في الكثرة واياما كان فتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما ان في الارض جبالا من حجر وليس في العقل ما ينفيه من قاطع والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء

فمنهم من يمشي على رجلين كالانس والطير ومنهم من يمشي على اربع
كالنعم والوحش قيل ويندرج فيه ما له اكثر من اربع كالعناكب
فان اعتمادها اذا مشت على اربع ولا يخفى ما فيه من التعسف
وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير بمن عن الاصناف
ليوافق التفصيل الجملة قيل قدم ما هو اعرف بالقدرة وهو
الماشي بغير آلة مشي ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على اربع
وفيه نظر لان مبناه الغفول عن ان المشي في الاول مستعار
للزحف يخلق الله ما يشاء كيف يشاء ان الله على كل شيء قدير
فيفعل ما يشاء لقد انزلنا آيات مبينات للحقائق بانواع الدلائل
والله يهدي من يشاء بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها الى صراط مستقيم
هو دين الاسلام الذي يوصل الى جنته والآيات لالزام الحجة لما ذكر
انزال الآيات ذكر بعدها افتراق الناس الى ثلث فرق فرقة
صدقت ظاهرا وكذبت باطنا وهم المنافقون وفرقة صدقت ظاهرا
وباطنا وهم المخلصون وفرقة كذبت ظاهرا وباطنا وهم الكافرون
على هذا الترتيب فبدأ بالمنافقين فقال ويقولون آمنا بالله وبالرسول
بالسنتهم واطعنا الله والرسول ثم يتولى اي يعرض على ان الاعراض
عن الرسول صلى الله عليه وسلم بعدم اطاعته فيما امره اعراض عنه تعالى
فريق منهم من بعد ذلك بعد قولهم هذا وفائدته ثم الاستبعاد اظهارا
لقبح صنيعهم وما اولئك بالمؤمنين اشارة الى القائلين باسرهم
فيكون اعلاما من الله بان جميعهم وان آمنوا بالسنتهم لم يؤمنوا
بقلوبهم لاشتراكهم في فساد الاعتقاد وظهور الاعراض وان كان
من بعضهم فان رضا به من كلهم او الى الفريق المذكور خاصة وانما اتى
بالواو دون الفاء لان عدم ايمانهم ليس لتوليهم بل الامر بالعكس
والتعريف للدلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون
في الايمان او الثابتون عليه وترجع العهد الى وصف الايمان اي الخالص
ولا يخفى ما فيه من التنصيص على نفي ذلك الوصف عنه ثم تعلق وما اولئك
بالمؤمنين لا فيه من احتمال ان يرجع العهد الى الموصوفين به اذ
لا يلزم من عدم كونهم من المعروفين بذلك الوصف ان لا يكونوا
موصوفا به اصلا واذا دعوا الى الله ورسوله الدعوة الى الرسول
صلى الله عليه وسلم تمهيد لتعظيم دعوته صلى الله عليه وسلم واظهار مكانته
وليس هذا طريق الابدال ليحكم بينهم اي ليحكم الرسول صلى الله عليه وسلم
لانه الحاكم ظاهرا وانما لم يقل ليحكم عليهم اشعارا بان اعراضهم
غير مخصوص بصورة الظن بالحكم عليهم بل يشاكل لخصومه الحق
فانهم الاعراض فيما اذا اشتبه الامر حالا وان كان الحكم شاملا
لهم مالا ومن غفل عن هذا الاعتبار اللطيف قال في تفسير قوله تعالى اذا فريق منهم معرضون فاجاء فريق منهم الاعراض
اذا كان الحق عليهم لعلمهم بانك لا تحكم لهم وهو شرح للتولي ومبالغة فيه ولم يدر ان شرحه على وجه ابلغ فيما ذكرناه لا فيما ذكره
وان لم يكن لهم الحق في اعتقادهم ياتوا اليه مذعنين طلبا لحقهم لا رضى بحكم رسولهم قال الزجاج الاذعان الاسراع مع الطاعة
فباعتبار ما في الاسراع من معنى الاتيان يجوز ان يكون الى صلة لمذعنين ويكون تقديمه للاختصاص ومحافظة الفاصلة انتهى

فمنهم من يمشي على رجلين كالانسان والطير ومنهم من يمشي
على اربع كالبهائم وقدم ما هو اعرف في القدرة وهو الماشي
بغير آلة مشي من ارجل او غيرها ثم الماشي على رجلين ثم الماشي
على اربع يخلق الله ما يشاء كيف يشاء ان الله على كل شيء قدير
لا يتعذر عليه شيء لقد انزلنا آيات مبينات والله يهدي
من يشاء بلطفه ومشيئته الى صراط مستقيم دين الاسلام
الذي يوصل الى الجنة والآيات لالزام الحجة لما ذكر انزال الآيات
ذكر بعدها افتراق الناس الى ثلث فرق فرقة صدقت
ظاهرا وكذبت باطنا وهم المنافقون وفرقة صدقت ظاهرا
وباطنا وهم المخلصون وفرقة كذبت ظاهرا وباطنا وهم الكافرون
على هذا الترتيب وبدأ بالمنافقين فقال ويقولون آمنا
بالله وبالرسول بالسنتهم واطعنا الله ورسوله ثم يتولى
عن الانقياد لحكم الله ورسوله فريق منهم من بعد ذلك اي من بعد
قولهم آمنا بالله وبالرسول واطعنا وما اولئك بالمؤمنين
اي المخلصين وهو اشارة الى القائلين آمنا واطعنا لا الى الفريق
المتولي وحده وفيه اعلام من الله بان جميعهم منتف عنهم
الايمان لاعتقادهم ما يعتقد هؤلاء والاعراض وان كان
من بعضهم فالرضى بالاعراض من كلهم واذا دعوا الى الله ورسوله
اي الى رسول الله كقولك اعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد
ليحكم الرسول بينهم اذا فريق منهم معرضون اي فاجاء
من فريق منهم الاعراض نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي
حين اختصما في ارض فجعل اليهودي يجره الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمنافق الى كعب بن الاشرف ويقول
ان محمدا يحيف علينا وان يكن لهم الحق اي اذا كان لهم الحق
على غيرهم ياتوا اليه الى الرسول صلى الله عليه وسلم مذعنين
حال اي مسرعين في الطاعة طلبا لحقهم لا رضى بحكم رسولهم
قال الزجاج الاذعان الاسراع مع الطاعة والمعنى انهم
لمعرفتهم انه ليس معك الا الحق المر والعدل البحت
يمتنعون عن المحاكمة اليك اذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه
من احداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وان ثبت
لهم حق على خصم اسرعوا اليك ولم يرضوا الا بحكومتك
لتأخذ لهم ما وجب لهم في ذمة الخصم افي قلوبهم مرض

فمنهم من يمشي على رجلين كالانس والطير ومنهم من يمشي على اربع كالنعم والوحش وعدم التعرض لما يمشي على اكثر من اربع كالعناكب
ونحوها من الحشرات لعدم الاعتداد بها وتذكير الضمير فيمن لتغليب العقلاء والتعبير عن الاصناف بكلمة من ليوافق
التفصيل الاجمال والترتيب لتقديم ما هو اعرف في القدرة يخلق الله ما يشاء مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا كان او مركبا على ما يشاء
من الصور والاعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقوى والافاعيل مع اتحاد العنصر واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار
لتفخيم شأن الخلق المذكور والايذان بانه من احكام الالوهية ان الله على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء كما يشاء والاظهار ههنا
لما ذكر مع تأكيد استقلال الاستيناف التعليلي لقد انزلنا آيات مبينات اي لكل ما يليق بيانه من الاحكام الدينية
والاسرار التكوينية والله يهدي من يشاء ان يهديه بتوفيقه للنظر الصحيح فيها وارشاده الى التأمل في معانيها الى صراط مستقيم
موصل الى حقيقة الحق والفوز بالجنة ويقولون آمنا بالله وبالرسول شروع في بيان احوال بعض من لم يشأ الله تعالى هدايته الى
الصراط المستقيم قال الحسن نزلت في المنافقين الذين كانوا يظهرون الايمان ويسرون الكفر وقيل نزلت في بشر المنافق
خاصم يهوديا الى كعب بن الاشرف واليهودي يدعوه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في المغيرة بن وائل خاصم عليا
رضي الله عنه في ارض وماء فابى ان يحاكم الى الرسول صلى الله عليه وسلم واياما كان فصيغة الجمع للايذان بان
للقائل طائفة يساعدونه ويتابعونه في تلك المقالة كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم واطعنا
اي اطعناهما في الامر والنهي ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك اي بعد ما صدر عنهم ما صدر من ادعاء الايمان بالله وبالرسول
والطاعة لهما على التفصيل وما في ذلك من معنى البعد للايذان بكونه امرا معتدا به واجب المراعاة وما اولئك
اشارة الى القائلين لا الى الفريق المتولي منهم فقط لعدم اقتضاء نفي الايمان عنهم نفيه عن الاولين بخلاف العكس
فان نفيه عن القائلين مقتض لنفيه عنهم على ابلغ وجه واكده وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم
في الكفر والفساد اي وما اولئك الذين يدعون الايمان والطاعة ثم يتولى بعضهم الذين يشاركونهم في العقد
والعمل بالمؤمنين اي المؤمنين حقيقة كما يعرب عنه اللام اي ليسوا بالمؤمنين المعهودين بالاخلاص في الايمان والثبات
عليه واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم اي الرسول بينهم لانه المباشر للحكم حقيقة وان كان ذلك حكم الله حقيقة
وذكر الله لتفخيمه صلى الله عليه وسلم والايذان بجلالة محله عنده تعالى اذا فريق منهم معرضون اي فاجأ فريق منهم الاعراض
عن المحاكمة اليه عليه السلام لكون الحق عليهم وعلمهم بانه عليه السلام يحكم بالحق عليهم وهو شرح للتولي ومبالغة فيه
وان يكن لهم الحق لا عليهم ياتوا اليه مذعنين منقادين لجزمهم بانه عليه السلام يحكم لهم واليه صلة ليأتوا فان الاتيان
والمجيء يعديان بالى او لمذعنين على تضمين معنى الاسراع والاقبال كما في قوله تعالى فاقبلوا اليه يزفون والتقديم للاختصاص

انتهى ابو السعود رحمه الله

ومنهم من يمشي على رجلين كالانسان والطير قدم من هذه الاجناس الثلثة ما هو اعرف في القدرة وهو الماشي بغير آلة المشي
ثم الماشي على الرجلين ثم الماشي على اربع بقوله ومنهم من يمشي على اربع كالبهائم ولم يذكر الماشي على اكثر منها لانه كالماشي
على اربع في رأي العين او هو يمشي على اربع في الحقيقة وفي خلقه من الماء تعجب للناس واظهار لعظم قدرته ليعرفوه
ويوحدوه لان الخلق من الماء اعجب من كل فعل بينهم لشدة طوعه للفاعل ثم قال يخلق الله ما يشاء
من الوان الخلق ان الله على كل شيء قدير فهو المستحق للعبادة والاطاعة قوله لقد انزلنا آيات مبينات اي يبين للناس
ما فيهم والله يهدي اي يرشد من يشاء اي من كان اهلا لدينه الى صراط مستقيم اي الى دين الاسلام ويقولون آمنا بالله
وبالرسول واطعنا امر الرسول ثم يتولى اي يعرض عن طاعتهما فريق منهم من بعد ذلك اي بعد قولهم آمنا بالله وبالرسول
نزلت في بشر المنافق ويهودي كان بينهما حكومة في ارض فطلب بشر الحكومة الى كعب وطلب اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال بشر ان محمدا يحيف علينا وما اولئك بالمؤمنين حقيقة بدليل الاعراض عن حكمه واذا دعوا الى الله ورسوله اي
الى حكمهما ليحكم بينهم بالقرآن اذا فريق اي طائفة منهم معرضون عن الاتيان اليه خوفا ان يحكم عليهم وان يكن لهم الحق اي
ان يعلموا ان الحق لهم ياتوا اليه مذعنين اي منقادين بسرعة والاذعان الاسراع بالطاعة

انتهى العيون

أفي قلوبهم مرض إنكار واستقباح لإعراضهم المذكور وبيان لمنشئه بعد استقصاء عدة من القبائح المحققة فيهم والمتوقعة منهم
وترديد المنشئية بينها فمدار الاستفهام ليس نفس ما وليته الهمزة وأم من الأمور الثلاثة بل هو منشئيتها له
كأنه قيل أذلك أي إعراضهم المذكور لأنهم مرضى القلوب لكفرهم ونفاقهم أم لأنهم ارتابوا في أمر نبوته صلى الله عليه وسلم
مع ظهور حقيتها أم لأنهم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله ثم أضرب عن الكل وأبطلت منشئيته وحكم بأن المنشأ
شيء آخر من شنائعهم حيث قيل بل أولئك هم الظالمون أي ليس ذلك لشيء مما ذكر أما الأولان فلأنه لو كان لشيء منهما لأعرضوا
عنه عليه السلام عند كون الحق لهم ولما أتوا إليه عليه السلام مذعنين لحكمه لتحقق نفاقهم وارتيابهم حينئذ أيضا وأما الثالث
فلانتفائه رأسا حيث كانوا لا يخافون الحيف أصلا لمعرفتهم بتفاصيل أحواله عليه السلام في الأمانة والثبات على الحق
بل لأنهم هم الظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده فيأبون المحاكمة إليه عليه السلام لعلمهم بأنه
عليه السلام يقضي عليهم بالحق فمناط النفي المستفاد من الإضراب في الأولين هو وصف منشئيتهما للإعراض فقط
مع تحققهما في نفسهما وفي الثالث هو الأصل والوصف جميعا هذا وقد خص الارتياب بما له منشأ مصحح لعروضه
لهم في الجملة والمعنى أم ارتابوا بأن رأوا منه عليه السلام تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم به عليه السلام فمدار النفي
حينئذ نفي الارتياب ومنشئيته معا فتأمل فيما ذكر على التفصيل ودع عنك ما قيل وقيل حسبما يقتضيه
النظر الجليل إنما كان قول المؤمنين بالنصب على أنه خبر كان وأن مع ما في حيزها اسمها وقرئ بالرفع على العكس والأول
أقوى صناعة لأن الأولى للاسمية ما هو أوغل في التعريف وذلك هو الفعل المصدر بأن إذ لا سبيل إليه
للتنكير بخلاف قول المؤمنين فإنه يحتمله كما إذا اختزلت عنه الإضافة لكن قراءة الرفع أقعد بحسب المعنى وأوفى
لمقتضى المقام لما أن مصب الفائدة وموقع البيان في الجمل هو الخبر فالأحق بالخبرية ما هو أكثر إفادة
وأظهر دلالة على الحدوث وأوفر اشتمالا على نسب خاصة بعيدة من الوقوع في الخارج وفي ذهن السامع
ولا ريب في أن ذلك ههنا في أن مع ما في حيزها أتم وأكمل فإذن هو أحق بالخبرية وأما ما يفيده الإضافة من
النسبة المطلقة الإجمالية فحيث كانت قليلة الجدوى سهلة الحصول خارجا وذهنا كان حقها أن تلاحظ ملاحظة
مجملة وتجعل عنوانا للموضوع فالمعنى إنما كان مطلق القول الصادر عن المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم أي الرسول عليه السلام
بينهم أي وبين خصومهم سواء كانوا منهم أو من غيرهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا أي خصوصية هذا القول المحكي عنهم لا قولا آخر
أصلا وأما قراءة النصب فمعناها إنما كان قول المؤمنين أي إنما كان قولا لهم عند الدعوة خصوصية قولهم المحكي عنهم
ففيه من جعل أخص النسبتين وأبعدهما وقوعا وحضورا في الأذهان وأحقهما بالبيان مفروغا عنه عنوانا للموضوع وإبراز
ما هو بخلاف ذلك في معرض القصد الأصلي ما لا يخفى وقرئ ليحكم على بناء الفعل للمفعول مسندا إلى مصدره مجازا والقول
إذا دعوا أي ليفعل الحكم كما في قوله تعالى لقد تقطع بينكم أي وقع التقطع بينكم وأولئك إشارة إلى المؤمنين باعتبار
صدور القول المذكور عنهم وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل أي أولئك
المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل هم المفلحون أي هم الفائزون بكل مطلب والناجون عن كل محذور ومن يطع الله
ورسوله استئناف جيء به لتقرير مضمون ما قبله من حسن حال المؤمنين وترغيب من عداهم في الانتظام في سلكهم أي ومن
يطعهما كائنا من كان فيما أمرا به من الأحكام الشرعية اللازمة والمتعدية وقيل في الفرائض والسنن والأول هو الأنسب
بالمقام ويخش الله ويتقه بإسكان القاف المبني على تشبيهه بكتف وقرئ بكسر القاف والهاء وبإسكان الهاء أي ويخش الله
على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل فأولئك الموصوفون بما ذكر من الطاعة والخشية والاتقاء هم الفائزون بالنعيم المقيم
لا من عداهم وأقسموا بالله حكاية لبعض آخر من أكاذيبهم مؤكدة بالأيمان الفاجرة وقوله تعالى جهد أيمانهم نصب على أنه مصدر
مؤكد لفعله الذي هو في حيز النصب على أنه حال من فاعل أقسموا أي أقسموا به تعالى يجهدون أيمانهم جهدا ومعنى
جهد اليمين بلوغ غايتها بطريق الاستعارة من قولهم جهد نفسه إذا بلغ أقصى وسعها وطاقتها أي جاهدين
بالغين أقصى مراتب اليمين في الشدة والوكادة وقيل هو مصدر مؤكد لأقسموا أي أقسموا أقسام اجتهاد
في اليمين قال مقاتل من حلف بالله فقد اجتهد في اليمين لئن أمرتهم الخ

أبو السعود

أفي قلوبهم مرض أي كفر أم ارتابوا أي شكوا في نبوته يعني هم كذلك فالاستفهام للتقرير أم يخافون أي بل يخافون
أن يحيف الله عليهم ورسوله في الحكم ثم أبطل ذلك بقوله بل أولئك هم الظالمون بإعراضهم عن الحق وطلبهم ما ليس لهم
إنما كان قول المؤمنين بنصب قول خبر كان إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم واسمها أن يقولوا وقرئ برفع قول
اسم كان وأن يقولوا خبرها أي إنما كان قولهم وقت دعائهم إلى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم أن يقولوا سمعنا
وأطعنا أمرك وأولئك أي القائلون هذا القول هم المفلحون قوله ومن يطع الله ورسوله ويخش الله
ويتقه بكسر الهاء وسكون القاف والتخفيف تشبيها لتقه بكتف وبكسر القاف والهاء مع وصل ياء بها وبغير وصلها بكونه
شرط أي ومن يطع الله في فرائضه ورسوله في سننه ويخش الله على ما اقترب من الذنوب ويتقه فيما يستقبل جزاؤه
فأولئك هم الفائزون أي الذين فازوا بالجنة بجمعهم أسباب الفوز وأقسموا بالله جهد أيمانهم نصب على الحال
أي جاهدين أيمانهم ومعناه أن يقسم الرجل بالله تعالى قال ابن عباس رضي الله عنهما من قال أقسم بالله فقد جهد يمينه
[illegible] أقسم اليهود ولئن أمرتهم يا محمد بالخروج إلى الغزو ومن أموالهم ليخرجن فلم يصدقوا فأنزلت قل لهم لا تقسموا بالله
[illegible] علم وعلوتم على خلاف ما أمرتم به طاعة معروفة شرعا بنية خالصة أو طاعة معروفة بنية خالصة خير لكم من قسمكم
[illegible] لعدم صدقكم في القسم فطاعة خبر مبتدأ محذوف الخبر إن الله خبير أي عالم بما في ضمائركم وبما تعملون في الظاهر فيجازيكم به.

أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله
عليهم ورسوله قسّم الامر في صدودهم عن حكومته اذا
كان الحق عليهم بان يكونوا مرضى القلوب منافقين او
مرتابين في امر نبوته او خائفين الحيف في قضائه ثم
ابطل خوفهم حيفه بقوله بل اولئك هم الظالمون
اى لا يخافون ان يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وانما هم
ظالمون يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم وذلك شئ
لا يستطيعونه في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن
ثمه يأبون المحاكمة اليه انما كان قول المؤمنين وعن الحسن
قولُ بالرفع والنصب اقوى لان اولى الاسمين بكونه اسما
لكان اوغلهما في التعريف وان يقولوا اوغل بخلاف
قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم النبي ليحكم
يزيد اى ليفعل الحكم بينهم بحكم الله الذي انزله عليه
ان يقولوا سمعنا قوله واطعنا امره واولئك هم المفلحون
الفائزون ومن يطع الله في فرائضه ورسوله في سننه
ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل
فاولئك هم الفائزون وعن بعض الملوك انه سأل عن آية كافية
فتليت عليه هذه الآية وهي جامعة لاسباب الفوز ويتقه
بسكون الهاء ابو عمرو وابو بكر بنية الوقف وبسكون القاف
وكسر الهاء مختلسة حفص وبكسر القاف والهاء غيرهم
وفي معالم التنزيل قرأ ابو بكر وابو عمرو ويتقه ساكنة الهاء
ويختلسها ابو جعفر وقالون ويعقوب كما في نظائرها
ويشبعها الباقون كسرا وحفص يتقه بسكون القاف
واختلاس الهاء وهذه لغة اذا سقطت الياء للجزم يسكنون
ما قبلها يقولون لم اشتر طعاما بسكون الراء واقسموا بالله
جهد ايمانهم اى حلف المنافقون بالله وهو جهد اليمين لانهم
بذلوا فيها مجهودهم وجهد يمينه مستعار من جهد نفسه
اذا بلغ اقصى وسعها وذلك اذا بالغ في اليمين وبلغ غاية
شدتها ووكادتها وعن ابن عباس رضي الله عنهما من قال
بالله فقد جهد يمينه واصل اقسم جهد اليمين
اقسم يجهد اليمين جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر
فوضع موضعه مضافا الى المفعول كقوله فضرب الرقاب
وحكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قال جاهدين ايمانهم

الجهد بضم الجيم وفتحها الطاقة واجهدها اى الدابة اذا حمل عليها
السير فوق طاقتها وجهد الرجل في كذا اى جد فيه وبالغ وجاهد
في سبيل الله مجاهدة وجهادا مختار

أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله الحيف الجور
بنقص الحق عليهم اى اقدم ذكر الحيف على قوله ورسوله اظهارا
بانه على تقدير وقوعه يكون من الله تعالى شأنه عما يقول الظالمون
ولا يكون فيه دخل الرسول لانه مظهر لا مثبت قسم الامر في صدودهم
عن حكومته اذا لم يعتقدوا ان الحكم لهم بان يكونوا مرضى القلوب
منافقين او مرتابين بان رأوا منك تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم بك
او خائفين الحيف في قضائه ووجه التقسيم ان امتناعهم اما
بخلل فيهم او في الحاكم والثاني اما ان يكون محققا عندهم او
متوقعا وكلاهما باطل لان منصب نبوته وفرط امانته يمنع
فتعين الاول فلذلك اضرب عنه بقوله بل اولئك هم الظالمون
عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم
وميل نفوسهم الى الحيف يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم وذلك
شئ لا يستطيعونه في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ثمه
يأبون المحاكمة اليه هذا ما ادى اليه النظر الدقيق هو انه اضراب
عن نفس التقسيم فانهم هم الكاملون في الظلم الجامعون لتلك
الاوصاف على الكمال فلذلك صدوا عن حكومتك يدل على ذلك
اسم الاشارة والتعريف بلام الجنس وتوسيط ضمير الفصل
والفصل لنفي ذلك عن غيرهم سيما المدعو الى حكمه نزلت في بشر
المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في ارض فجعل اليهودي
يجره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمنافق الى كعب بن الاشرف
ويقول ان محمدا يحيف علينا انما كان قول المؤمنين على عادته تعالى
في اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغي بعد انكاره ما لا ينبغي
وقرئ قول بالرفع والنصب اقوى لان اولى الاسمين بكونه اسما لكان
اوغلهما في التعريف اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم الرسول وقرئ على
البناء للمفعول واسناده الى ضمير مصدره على معنى ليفعل الحكم بينهم بحكم الله
الذي انزل عليه ان يقولوا سمعنا قوله واطعنا امره واولئك هم المفلحون
الفائزون ومن يطع الله ورسوله في الاوامر والنواهي ويخش الله على ما
مضى من ذنوب ويتقه فيما يستقبل فاولئك هم الفائزون بالنعيم المقيم
واقسموا بالله جهد ايمانهم اى حلف المنافقون بالله وهو جهد اليمين
وبلغ غاية شدتها ووكادتها واصل اقسم جهد اليمين اقسم بجهد اليمين جهدا
فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا الى المفعول
كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قال جاهدين
ايمانهم لئن امرتهم بالخروج عن ديارهم واموالهم ليخرجن جواب لاقسموا
على الحكاية قل لا تقسموا على الكذب طاعة الآية انتهى ابن الكمال
لئن امرتهم ليخرجن اى لئن امرتنا يا محمد بالخروج الى الغزو لغزونا اى
بالخروج من ديارنا لخرجنا قل لا تقسموا لا تحلفوا كاذبين لان المقسم عليه
طاعة معروفة امثل واولى بكم من هذه الايمان الكاذبة انتهى المدارك

قل اطيعوا الله في الفرائض واطيعوا الرسول في السنن فان تولوا اى تتولوا خطاب يلتفت من الغيبة لقصد المبالغة
في التبكيت على معنى فان تعرضوا عن طاعة الرسول فما ضررتموه بل ضررتم انفسكم فانما عليه ما حمل اى ما كلفه الله تعالى
من اداء الرسالة وقد اداه وعليكم ما حملتم اى ما كلفتم من الطاعة والقبول وان تطيعوه اى الرسول تهتدوا اى
تحرزوا نصيبكم من الخروج عن الضلالة الى الهداية وان لم تطيعوه فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله تعالى وعذابه
والنفع لكم وما على الرسول الا البلاغ المبين اى التبليغ الظاهر بالحجة ووصفه بالمبين لكونه مقرونا بالآيات والمعجزات
قوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات نزل حين اشتد خوف الصحابة واستبطؤا النصر في خطاب
الرسول صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا ومنكم للبيان تسلية لهم كانه قال وعدهم واقسم ليستخلفنهم في الارض
اى في ارض الكفار بان يجعلهم خلفاء فيها يسكنون فيها بعدهم بنصر الاسلام على الشرك وتوريثهم ارضهم
الراشدون كما استخلف الذين من قبلهم معلوما اى ان الله تعالى استخلف داود وسليمان عليهما السلام وبني اسرائيل
في ارض الجبارين بعد هلاكهم وقرئ مجهولا وليمكنن اى ليظهرن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وهو دين الاسلام
بان يظهره على جميع الاديان وتمكينه تثبيته انتهى العيون

كأنه قال جاهدين أيمانهم لئن أمرتهم بالخروج عن ديارهم و
أموالهم ليخرجن جواب لأقسموا على الحكاية قل لا تقسموا
على الكذب طاعة معروفة للنبي صلى الله عليه وسلم خير من قسمكم
الذي لا تصدقون فيه ولا تصدقون أو الذي يطلب منكم
طاعة معروفة لا اليمين للطاعة النفاقية المنكرة أو لتكن
طاعة وقرئ بالنصب على أطيعوا طاعة إن الله خبير بما تعملون
يعلم ما في ضمائركم ولا يخفى عليه شيء من سرائركم قل أطيعوا الله
وأطيعوا الرسول أمر بتبليغ ما خاطبهم الله تعالى به على الحكاية
في تبكيتهم فإن تولوا فإنما عليه على الرسول ما حمل من التبليغ
وعليكم ما حملتم من الامتثال وإن تطيعوه في أمره ونهيه
تهتدوا إلى الحق وما على الرسول إلا البلاغ المبين وقد أدى
وإنما بقي ما حملتم فإن أديتم فلكم وإلا فعليكم البلاغ بمعنى
التبليغ كالأداء بمعنى التأدية والمبين الظاهر لكونه مقرونا
بالآيات والمعجزات ثم ذكر المخلصين فقال وعد الله الذين
آمنوا منكم وعملوا الصالحات الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
والأمة أو له ولمن معه ومن للبيان ليستخلفنهم في الأرض
ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الأرض تصرف الملوك في ممالكهم
وهو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم الله تعالى وأقسم ليستخلفنهم أو
الوعد لتحققه منزل منزلة القسم كما استخلف الذين من قبلهم
يعني بني إسرائيل استخلفهم في مصر والشام بعد الجبابرة وليمكنن
لهم دينهم الذي ارتضى لهم وهو الإسلام بالتقوية والتثبيت

كأنه قال جاهدين أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن أي لئن أمرتهم
بالخروج إلى الغزو ليغزونا أو بالخروج من ديارنا لخرجنا
قل لا تقسموا لا تحلفوا كاذبين لأنه معصية طاعة معروفة
أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة مبتدأ محذوف الخبر
أو خبر مبتدأ محذوف أي الذي يطلب منكم طاعة معروفة
معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلص من
المؤمنين لا أيمان تقسمون بها بأفواهكم وقلوبكم على خلافها
إن الله خبير بما تعملون يعلم ما في ضمائركم ولا يخفى عليه شيء
من سرائركم وأنه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم
قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول صرف الكلام عن الغيبة
إلى الخطاب على طريقة الالتفات وهو أبلغ في تبكيتهم فإن تولوا
فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم يريد فإن تتولوا فما ضررتموه
وإنما ضررتم أنفسكم فإن الرسول ليس عليه إلا ما حمله الله تعالى
وكلفه من أداء الرسالة فإذا أدى فقد خرج عن عهدة تكليفه
وأما أنتم فعليكم ما كلفتم من التلقي بالقبول والإذعان
فإن لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله
وغضبه وإن تطيعوه تهتدوا والنفع عائد إليكم وما على
الرسول إلا البلاغ المبين أي إلا أن يبلغ ما له نفع في
قبولكم ولا عليه في توليكم والبلاغ بمعنى التبليغ كالأداء
بمعنى التأدية والمبين الظاهر لكونه مقرونا بالآيات والمعجزات
وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم ولمن معه ومنكم للبيان وقيل المراد به المهاجرون
ومن للتبعيض ليستخلفنهم في الأرض أي أرض الكفار
وقيل أرض المدينة والصحيح أنه عام لقوله صلى الله عليه وسلم
ليدخلن هذا الدين على ما دخل عليه الليل كما استخلف
أبو بكر الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم

لئن أمرتهم أي بالخروج إلى الغزو وعن ديارهم وأموالهم كما قيل لأنه حكاية
لما كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أينما كنت نكن معك لئن
خرجت خرجنا وإن أقمت أقمنا وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا وقوله
ليخرجن جواب لأقسموا بطريق حكاية فعلهم لا حكاية قولهم وحيث كانت
مقالتهم هذه كاذبة ويمينهم فاجرة أمر صلى الله عليه وسلم بردها حيث
قيل قل أي ردا عليهم وزجرا لهم عن التفوه بها وإظهارا لعدم القبول
لكونهم كاذبين فيه لا تقسموا أي على ما ينبئ عنه كلامكم من الطاعة وقوله طاعة معروفة خبر مبتدأ محذوف والجملة تعليل للنهي
أي لا تقسموا على ما تدعون من الطاعة لأن طاعتكم طاعة نفاقية واقعة باللسان فقط من غير مواطأة القلب وإنما عبر عنها بمعروفة للإيذان
بأن كونها كذلك مشهور معروف لكل أحد وقرئ بالنصب والمعنى تطيعون طاعة معروفة هذا وحملها على الطاعة الحقيقية بتقدير ما يناسبها
من مبتدأ أو خبر أو فعل مثل الذي يطلب منكم طاعة معروفة حقيقية لا نفاقية أو طاعة معروفة أمثل أو لتكن طاعة معروفة أو أطيعوا
طاعة معروفة مما لا يساعده المقام إن الله خبير بما تعملون من الأعمال الظاهرة والباطنة التي من جملتها ما تظهرونه من الأكاذيب المؤكدة بالأيمان
الفاجرة وما تضمرونه في قلوبكم من الكفر والنفاق والعزيمة على مخادعة المؤمنين وغيرها من فنون الشر والفساد والجملة تعليل للحكم بأن طاعتهم
طاعة نفاقية مشعر بأن مدار شهرة أمرها فيما بين المؤمنين إخباره تعالى بذلك ووعيد لهم بأنه تعالى مجازيهم بجميع أعمالهم السيئة التي منها
نفاقهم قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول كرر الأمر بالقول لإبراز كمال العناية به والإشعار باختلافهما من حيث إن المقول في الأول نهي
بطريق الرد والتقريع كما في قوله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون وفي الثاني أمر بطريق التكليف والتشريع وإطلاق المأمور به عن وصف
الصحة والإخلاص ونحوهما بعد وصف طاعتهم بما ذكر للتنبيه على أنها ليست من الطاعة في شيء أصلا وقوله تعالى فإن تولوا خطاب للمأمورين
بالطاعة من جهته تعالى وارد لتأكيد الأمر بها والمبالغة في إيجاب الامتثال به والحمل عليه بالترهيب والترغيب لما أن تغيير الكلام المسوق

يعني من الغائب وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد بشأنه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من السامع كما أشير إليه
في تفسير قوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا لا سيما إذا كان ذلك بتغيير الخطاب بالواسطة إلى الخطاب بالذات فإن في خطابه تعالى إياهم
بالذات بعد أمره تعالى إياه عليه السلام بوساطته عليه السلام وتصديه لبيان حكم الامتثال بالأمر والتولي عنه إجمالا وتفصيلا من إفادة
ما ذكر من التأكيد والمبالغة ما لا غاية وراءه وتوهم أنه داخل تحت القول مأمور بحكايته من جهته تعالى وأنه أبلغ في التبكيت
تعكيس للأمر والفاء لترتيب ما بعدها على تبليغه عليه السلام إلى تبليغ ما أمر به وعدم الحاجة إلى الذكر أي إن تتولوا عن
الطاعة إثر ما أمرتم بها فإنما عليه أي فاعلموا إنما عليه عليه السلام ما حمل أي أمر به من التبليغ وقد شاهدتموه عند قوله أطيعوا الله
وأطيعوا الرسول وعليكم ما حملتم أي ما أمرتم به من الطاعة ولعل التعبير عنه بالتحميل للإشعار بثقله وكونه مؤنة باقية في عهدتهم بعد
كأنه قيل وحيث توليتم عن ذلك فقد بقيتم تحت ذلك الحمل الثقيل وقوله تعالى ما حمل محمول على المشاكلة وإن تطيعوه أي فيما أمركم به
من الطاعة تهتدوا إلى الحق الذي هو المقصد الأصلي الموصل إلى كل خير والمنجي عن كل شر وتأخيره عن بيان حكم التولي لما في تقديم
الترهيب من تأكيد الترغيب وتقريبه مما هو من بابه من الوعد الكريم وقوله تعالى وما على الرسول إلا البلاغ المبين اعتراض مقرر لما قبله
من أن غائلة التولي وفائدة الإطاعة مقصورتان عليهم واللام إما للجنس المنتظم له صلى الله عليه وسلم انتظاما أوليا أو للعهد
أي ما على جنس الرسول كائنا من كان أو ما عليه عليه السلام إلا التبليغ الموضح لكل ما يحتاج إلى الإيضاح أو الواضح على أن
المبين من أبان بمعنى بان وقد علمتم أنه قد فعله بما لا مزيد عليه وإنما بقي ما حملتم وقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم استئناف
مقرر لما في قوله تعالى وإن تطيعوه تهتدوا من الوعد الكريم ومعرب عنه بطريق التصريح ومبين لتفاصيل ما أجمل فيه من فنون
السعادات الدينية والدنيوية التي هي من آثار الاهتداء ومتضمن لما هو المراد بالطاعة التي نيط بها الاهتداء والمراد
بالذين آمنوا كل من اتصف بالإيمان بعد الكفر على الإطلاق من أي طائفة كان وفي أي وقت كان لا من آمن من طائفة
المنافقين فقط ولا من آمن بعد نزول الآية الكريمة فحسب ضرورة عموم الوعد الكريم للكل كافة فالخطاب في منكم لعامة الكفرة
لا للمنافقين خاصة ومن تبعيضية وعملوا الصالحات عطف على آمنوا داخل معه في حيز الصلة وبه يتم تفسير الطاعة التي
أمر بها ورتب عليها ما نظم في سلك الوعد الكريم كما أشير إليه وتوسيط الظرف بين المعطوفين لإظهار أصالة الإيمان
وعراقته في استتباع الآثار والأحكام والإيذان بكونه أول ما يطلب منهم وأهم ما يجب عليهم وأما تأخيره عنهما في قوله تعالى
وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما فلأن من هناك بيانية والضمير للذين معه عليه السلام
من خلص المؤمنين ولا ريب في أنهم جامعون بين الإيمان والأعمال الصالحة مثابرون عليها فلا بد من ورود بيانهم بعد ذكر
نعوتهم الجليلة بكمالها هذا ومن جعل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وللأمة عموما على أن من تبعيضية أو له عليه السلام
ولمن معه من المؤمنين خصوصا على أنها بيانية فقد نأى عما يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه بمنازل وأبعد عما
يليق بشأنه عليه السلام عن أجل ليستخلفنهم في الأرض جواب للقسم إما بالإضمار أو تنزيل وعده تعالى منزلة القسم لتحقق
إنجازه لا محالة أي ليجعلنهم خلفاء متصرفين فيها تصرف الملوك في ممالكهم أو خلفاء من الذين لم يكونوا على حالهم من الإيمان
والأعمال الصالحة كما استخلف الذين من قبلهم هم بنو إسرائيل استخلفهم الله تعالى في مصر والشام بعد إهلاك فرعون والجبابرة
أو هم ومن قبلهم من الأمم المؤمنة التي أشير إليهم في قوله تعالى ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم
لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات إلى قوله تعالى فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم
ومحل الكاف النصب على أنه مصدر تشبيهي مؤكد للفعل بعد تأكيده بالقسم وما مصدرية أي ليستخلفنهم استخلافا
كائنا كاستخلافه تعالى للذين من قبلهم وقرئ كما استخلف على البناء للمفعول فليس العامل في الكاف حينئذ الفعل المذكور بل ما يدل
هو عليه من فعل مبني للمفعول جار مجرى المطاوع فإن استخلافه تعالى إياهم مستلزم لكونهم مستخلفين لا محالة كأنه قيل
ليستخلفنهم في الأرض فيستخلفن فيها استخلافا أي مستخلفية كائنة كمستخلفية من قبلهم وقد مر تحقيقه في
قوله تعالى كما سئل موسى من قبل ومن هذا القبيل قوله تعالى فأنبتها الله نباتا حسنا على أحد الوجهين أي فنبتت نباتا حسنا
وعليه قول من قال وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحتا أو مجلف أي فلم يبق إلا مسحت أو مجلف
وليمكنن لهم دينهم عطف على ليستخلفنهم منتظم معه في سلك الجواب وتأخيره عنه مع كونه أجل الرغائب الموعودة وأعظمها
لما أن النفوس إلى الحظوظ العاجلة أميل فتقديم الوعد بها في الاستمالة أدخل والمعنى ليجعلن دينهم ثابتا مقررا
بحيث يستمرون على العمل بأحكامه ويرجعون إليه في كل ما يأتون وما يذرون والتعبير عن ذلك بالتمكين الذي هو جعل الشيء
مكانا لآخر يقال مكن له في الأرض

اي جعلها مقراً لهم ومنه قوله تعالى انا مكناله في الارض ونظايره وكلمة في للايذان بان جعل مقرا لهم قطعة منها لا كلها لانه على كمال ثبات الدين ورصانة احكامه وسلامته عن التغيير والتبديل لابتنائه على تشبيهه بالارض في الثبات والقرار مع ما فيه من مراعاة المناسبة بينه وبين الاستخلاف في الارض وتقديم صلة التمكين على مفعوله الصريح للمسارعة الى بيان كون الموعود من منافعهم تشويقاً لهم اليه وترغيباً لهم في قبوله عند وروده ولان في توسيطها بينه وبين وصفه اعني قوله الذي ارتضى لهم وتاخيرها عنه من الاخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وفي اضافة الدين اليهم وهو دين الاسلام ثم وصفه بارتضائه لهم تاليف قلوبهم ومزيد ترغيب فيه وفضل تثبيت عليه انتهى ابو السعود

مثلا المرضية ايضا اي المطيعون في كل ما يامركم به وينهاكم عنه او تكميلا لما قبله من الامرين الخاصين المتعلقين بالصلوة والزكوة على ان المراد بما ذكر ما عداهما من الشرايع اي والمطيعون في سائر ما يامركم به الخ وقوله تعالى لعلكم ترحمون متعلق على الاول بالامر الاخير المشتمل على جميع الاوامر وعلى الثاني بالاوامر الثلثة اي افعلوا ما ذكر من الاقامة والايتاء والطاعة راجين ان ترحموا انتهى ابو السعود

قوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض قال مقاتل وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية شغل قلب الصحابة لانهم كانوا موقنين بدخولهم مكة لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رجعوا اخرنوا فاطعمهم الله تعالى نخل خيبر ووعدهم ان يدخلوا العام المقبل مكة امنين وعد الله الذين امنوا منكم يا اصحاب محمد وعملوا الصالحات ليستخلفنهم لينزلنهم وليجعلنهم خلفاء الارض في ارض مكة كما استخلف الذين من قبلهم يعني ادم وداود عليهما السلام كما قال الله تعالى لادم اني جاعل في الارض خليفة وقال لداود انا جعلناك خليفة في الارض وقال بعضهم وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم ان يجعلكم خلفاء يعني ابا بكر وعمر في ارض مكة كما استخلف الذين من قبلهم يوشع بن نون وكالوب بن يوفنا وزير موسى عليهما السلام استخلفهما بعده وكذلك ابو بكر وعمر رضي الله عنهما استخلفهما بعد النبي صلى الله عليه وسلم قال الاستاذ اسمعيل هذه الاية دليل على صحة خلافة ابي بكر وعمر لان اخبر والخبر لا ينسخ وقد اخبر انه يستخلفهما فلما قعد ابو بكر وعمر للخلافة علمنا ان الله تعالى استخلفهما تقديقا لوعده انتهى بسا

قال محيي السنة في المعالم وفي الاية دليل على خلافة الصديق وامامة الخلفاء الراشدين انتهى

عن سعيد بن جمهان عن سفينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلثون سنة ثم يكون ملكا ثم قال امسك خلافة ابي بكر سنتان وخلافة عمر عشر وعثمان اثنتي عشرة ٢ ١٠ ١٢
وعلي ست الحديث كذا في المعالم للامام البغوي ٦
٣٠

وقال الشيخ عمر النسفي في تفسيره المشهور بالمدارك والاية اوضح دليل على صحة خلافة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم لان المستخلفين الذين امنوا وعملوا الصالحات هم هم انتهى رحمه الله عليه

وليبدلنهم من بعد خوفهم الذي كانوا عليه امنا في نفوسهم قوله يعبدونني لا يشركون بي شيئا حال من ضمير الفاعل في وليبدلنهم فاظهر الله تعالى دينهم ونصرهم وبدلهم من بعد خوفهم امنا قيل مكث الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا الى المدينة كانوا يصبحون ويمسون في السلاح حتى قال رجل منهم يا رسول الله نحن ابدا خائفون هل ياتي يوم نامن فيه ونضع السلاح قال صلى الله عليه وسلم لا تغبرون الا زمانا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتبيا ليس فيه حديدة فانجز الله تعالى وعده واظهرهم على جزيرة العرب كلها ومن كفر اي كفر ان النعمة بعد ذلك اي بعد الامن والتمكين فاولئك هم الفاسقون اي الكاملون في الفسق قوله واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون عطف على قوله تعالى واطيعوا الله واطيعوا الرسول من قبل وكرر طاعة الرسول تاكيدا لوجوبها انتهى العيون

وليبدلنهم وليبدلنهم بالتخفيف مكي وابو بكر من بعد خوفهم امنا وعدهم الله تعالى ان ينصر الاسلام على الكفر ويورثهم الارض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل ببني اسرائيل حين اورثهم مصر والشام بعد اهلاك الجبابرة وان يمكن الدين المرتضى وهو دين الاسلام وتمكينه تثبيته وتوطيده وان يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح و يمسون فيه حتى قال رجل ما ياتي علينا يوم نامن فيه و نضع السلاح فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتبيا ليس فيه حديدة فانجز الله وعده واظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الاكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا والقسم المتلقى باللام والنون في ليستخلفنهم محذوف تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او نزل وعد الله في تحققه منزلة القسم فتلقي بما يتلقى به القسم كانه اقسم الله ليستخلفنهم يعبدونني ان جعلته استينافا فلا محل له كانه قيل ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدونني وان جعلته حالا عن وعدهم اي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم فمحله النصب لا يشركون بي شيئا حال من فاعل يعبدونني يعني موحدين ويجوز ان يكون حالا بدلا من الحال الاولى ومن كفر بعد ذلك اي بعد الوعد والمراد كفران النعمة كقوله فكفرت بانعم الله فاولئك هم الفاسقون هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة العظيمة وجسروا على غمطها اي تحقيرها قيل اول من كفر هذه النعمة قتلة عثمان رضي الله عنه فاقتتلوا بعدما كانوا اخوانا وزال عنهم الخوف والاية اوضح دليل على صحة خلافة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم لان المستخلفين الذين امنوا وعملوا الصالحات هم هم واقيموا الصلوة معطوف على اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا يضر الفصل وان طال واتوا الزكوة واطيعوا الرسول فيما يدعوكم اليه وكررت طاعة الرسول تاكيدا لوجوبها لعلكم ترحمون لكي ترحموا فانها من مستجلبات الرحمة انتهى المدارك

وليبدلنهم من بعد خوفهم من الاعداء امنا منهم بغلبتهم عليهم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى انجز الله تعالى وعده فاظهرهم الله على العرب كلهم وفتح بلاد الشرق والغرب يعبدونني حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد او استيناف لبيان المقتضي للاستخلاف والامن لا يشركون بي شيئا حال من الواو اي يعبدونني غير مشركين الخ ويجوز ان يكون بدلا من الاولى ومن كفر ومن ارتد وكفر هذه النعمة بعد ذلك بعد الوعد او بعد حصول الخلافة فاولئك هم الفاسقون الكاملون في فسقهم حيث كفروا وارتدوا بعد وضوح مثل هذه الايات او كفروا تلك النعمة العظيمة واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الرسول في سائر التكاليف الشرعية بالاوامر والنواهي ولا يبعد عطف ذلك على اطيعوا الله فان الفاصل وعد على المامور به فيكون تكرير الامر بطاعة الرسول للتاكيد وتعليق الرحمة به او بالمندرجة هي فيه بقوله لعلكم ترحمون كما علق به الموعد انتهى

وليبدلنهم بالتشديد وقرى بالتخفيف من الابدال بعد خوفهم اي من الاعداء امنا حيث كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة عشر سنين بل اكثر خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون كذلك حتى قال رجل منهم ما ياتي علينا يوم نامن فيه فقال صلى الله عليه وسلم لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتبيا ليس معه حديدة فانزل الله تعالى هذه الاية وانجز وعده واظهرهم على جزيرة العرب وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وصاروا الى حال يخافهم كل من عداهم وفيه من الدلالة على صحة النبوة للاخبار بالغيب على ما هو عليه قبل وقوعه ما لا يخفى وقيل المراد الخوف من العذاب والامن منه في الاخرة يعبدونني حال من الموصول الاول مفيدة لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد او استيناف ببيان المقتضي للاستخلاف وما انتظم معه في سلك الوعد لا يشركون بي شيئا حال من الواو اي يعبدونني غير مشركين بي في العبادة شيئا ومن كفر اي اتصف بالكفر بان ثبت واستمر عليه ولم يتاثر بما مر من الترهيب والترغيب فان الامر ارتكبه بعد مشاهدة دلائل التوحيد كفر مستانف زائد على الاصل وقيل كفر بعد الايمان وقيل كفر هذه النعمة العظيمة والاول هو الانسب بالمقام بعد ذلك اي بعد ذلك الوعد الكريم بما فصل من المطالب العالية المستوجبة لغاية الاهتمام بتحصيلها والسعي الجميل في حيازتها فاولئك البعداء عن الحق التائهون في تيه الغواية والضلال هم الفاسقون الكاملون في الفسق والخروج عن حدود الكفر والطغيان واقيموا الصلوة واتوا الزكوة عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام فان خطابه تعالى للمامورين الطاعة على طريق الترهيب من التولي بقوله تعالى فان تولوا الخ وترغيبه تعالى اياهم في الطاعة بقوله تعالى وان تطيعوه تهتدوا الخ ووعده تعالى اياهم على الايمان والعمل الصالح بما فصل من الاستخلاف وما يتلوه من الرغائب الموعودة ووعيده على الكفر مما يوجب الامر بالايمان والعمل الصالح والنهي عن الكفر فكانه قيل فامنوا واعملوا صالحا واتقوا او فلا تكفروا واقيموا الخ وعطفه على اطيعوا الله لا يليق بجزالة النظم الكريم واطيعوا الرسول امرهم الله سبحانه بالذات بما امرهم به بواسطة الرسول صلى الله عليه وسلم من طاعته التي هي طاعة الله تعالى في الحقيقة تاكيدا للامر السابق وتقريرا لمضمونه على ان المراد بالمطاع فيه جميع الاحكام الشرعية المنتظمة للاداب مثلا

لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض اي فائتين الله تعالى
بان لا يقدر عليهم فيها فالتاء خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو الفاعل
والمفعولان الذين كفروا معجزين وقرئ بالياء والفاعل النبي صلى الله عليه وسلم
لتقدم ذكره والمفعولان ما ذكر آنفا ومأويهم النار عطف على
من حيث المعنى كانه قيل الذين كفروا ليسوا معجزين ومأويهم النار
لان المقصود من النهي عن الحسبان تحقيق نفي الاعجاز ولبئس المصير
المأوى الذي يصيرون اليه يا ايها الذين امنوا ليستأذنكم الذين
ملكت ايمانكم رجوع الى تتمة الاحكام السالفة بعد الفراغ عن الايات
الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الاحكام وغيره والوعد
عليها والوعيد على الاعراض عنها والمراد به خطاب الرجال والنساء
غلب فيه الرجال لما روي ان غلام اسماء بنت ابي مرثد دخل
عليها في وقت كرهته فنزلت والذين لم يبلغوا الحلم والصبيان
الذين لم يبلغوا فكنى عن البلوغ الى حد الرجولية ببلوغ الحلم
الى الاحلام لانه اقوى دلائله منكم من الاحرار ثلث مرات
في اليوم والليلة من قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع
وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة ومحله
النصب بدل من ثلث مرات او الرفع خبر المحذوف اي هي
من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة بيان
للحين وهي نصف النهار في القيظ فانه وقت وضع الثياب
للقيلولة ومن بعد صلوة العشاء لانه وقت التجرد من ثياب
اليقظة والالتحاف بثياب النوم ثلث عورات لكم اي
هي ثلث اوقات يختل فيها تستركم ويجوز ان يكون مبتدأ
ما بعده خبره وقرئ بالنصب بدلا من ثلث مرات واصل
العورة الخلل ومنها الاعور للمختل العين دخل غلام من
الانصار على عمر رضي الله عنه وقت الظهيرة وهو نائم وقد
انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله عنه وددت ان الله
نهى الدخول في هذه الساعات الا باذن فانطلق الى النبي
صلى الله عليه وسلم وقد نزلت عليه الاية ثم عذرهم في ترك
الاستئذان وراء هذه المرات بقوله ليس عليكم ولا عليهم
جناح بعدهن بعد هذه الاوقات في ترك الاستئذان في حق المماليك
والصبيان تضمن الامر بالاحتياط في حق المخاطبين وليس فيه ما ينافي
اية الاستئذان فينسخ لانه في الصبيان ومماليك المدخول عليه
وتلك في الاحرار البالغين ومماليك الغير واما ما قيل هذا مما
الناس منه في غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة فمنشأه
الغفلة عما حكاه المهدوي عن ابن عباس رضي الله عنهما من انه
كان واجبا اذ كانوا لا غلق لهم ولا ابواب ولو عاد الحال لعاد
الوجوب طوافون عليكم هم طوافون استيناف لبيان العذر
المرخص في ترك الاستئذان وهو شدة المخالطة وكثرة المداخلة
وفيه في الفرق بين الاوقات الثلثة وغيرها بانها عورات
دليل على تعليل الاحكام بعضكم على بعض بعضكم طائف على بعض
او يطوف بعضكم على بعض والجملة مؤكدة لما قبلها ويجوز ان يكون بدلا منه
يعني لا بد لهم من ذلك للخدمة فلو جزم الامر بالاستئذان في كل وقت لافضى الى الحرج كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم الايات
اراد بالايات علل الاحكام يعني كما بين لكم علة الاستئذان يبين العلل في غيره من الاحكام التعليل عند الحاجة اليه والله عليم بمصالح عباده
حكيم في بيان مراده انتهى ابن الكمال رحمه الله تعالى عليه

ثم ذكر الكافرين فقال لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض
اي فائتين الله بان لا يقدر عليهم فيها فالتاء للخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
فهو الفاعل والمفعولان الذين كفروا معجزين وبالياء شامي وحمزة
والفاعل النبي صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره والمفعولان الذين كفروا معجزين
ومأويهم النار معطوف على لا تحسبن الذين كفروا معجزين
كانه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله ومأويهم النار ولبئس
المصير اي المرجع النار يا ايها الذين امنوا ليستأذنكم
الذين ملكت ايمانكم امر ان يستأذن العبيد والاماء
والذين لم يبلغوا الحلم منكم والاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار
وقرئ بسكون اللام تخفيفا ثلاث مرات في اليوم والليلة
وهي من قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع
وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة
وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة وهي نصف النهار
في القيظ وقت وضع الثياب للقيلولة ومن بعد صلوة
العشاء لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف
بثياب النوم ثلاث عورات لكم اي هي اوقات ثلاث
عورات لكم بحذف المبتدأ والمضاف وبالنصب كوفي غير حفص
بدلا عن ثلث مرات اي اوقات ثلث عورات وسمي كل واحدة
من هذه الاحوال عورة لان الانسان يختل تستره فيها
والعورة الخلل ومنها الاعور المختل العين دخل غلام من
الانصار يقال له مدلج بن عمرو على عمر رضي الله عنه وقت
الظهيرة وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله عنه
وددت ان الله تعالى نهى عن الدخول في هذه الساعات الا باذن
فانطلق الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد نزلت عليه الاية ثم عذرهم
في ترك الاستئذان وراء هذه المرات بقوله ليس عليكم جناح
بعدهن اي لا اثم عليكم ولا على المذكورين في الدخول بغير استئذان
بعدهن ثم بين العلة في ترك الاستئذان في هذه الاوقات
بقوله طوافون عليكم اي هم طوافون لحوائج البيت بعضكم
مبتدأ خبره على بعض تقديره بعضكم طائف على بعض وحذف
لدلالة طوافون عليه ويجوز ان يكون الجملة بدلا من التي قبلها
وان تكون مبينة مؤكدة يعني ان بكم وبهم حاجة الى
المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم
للاستخدام فلو جزم الامر بالاستئذان في كل وقت لافضى الى
الحرج وهو مدفوع في الشرع بالنص كذلك يبين الله لكم الايات
اي كما بين حكم الاستئذان يبين لكم غيره من الايات التي احتجتم
الى بيانها والله عليم بمصالح عباده حكيم في بيان مراده

لا تحسبن بالتاء خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وبالياء والفاعل على ضميره او الذين كفروا والمفعول الاول محذوف اي انفسهم
معجزين اي لا يحسبن الكافرون انفسهم فائتين الله بان لا يقدر عليهم في الارض ومأويهم النار لا محالة والمراد منهم هم
الذين جحدوا اياتهم ولبئس المصير اي بئس المرجع النار يا ايها الذين امنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم نزل حين ارسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو وكان غلاما انصاريا وقت الظهر الى عمر رضي الله عنه ليدعوه فدخل عليه وهو نائم
وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله عنه لوددت ان الله نهى اباءنا وابناءنا وخدمنا ان يدخلوا علينا هذه الساعات
الا باذن ثم انطلق معه الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده وقد انزلت عليه هذه الاية فامر بان يستأذن العبيد
والاماء والاطفال الذين لم يبلغوا الحلم منكم من الاحرار في الدخول عليهم ثلث مرات اي في ثلثة اوقات في اليوم والليلة
... من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة اي وقت الظهر للقيلولة والقيلولة النوم في الظهيرة
... والقيلولة الاستراحة نصف النهار وان لم يكن معها نوم ومن بعد صلوة العشاء لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة
والالتحاف بثياب النوم التحف بالثوب تغطى به فالاستئذان مشروع لهؤلاء في هذه الاوقات الثلث ولغيرهم في جميع
الاوقات ثلث عورات لكم بالنصب بدل من ثلث مرات اي اوقات ثلث عورات وبالرفع اي هذه اوقات ثلث عورات
والعورة الخلل وسمي هذه الاوقات بها لانه يختل تستر الناس وتحفظهم فيها ليس عليكم ولا عليهم جناح محله رفع اذا رفع
ثلث عورات صفة له واذا نصب فلا محل له بل هو كلام مقرر للامر بالاستئذان في تلك الاحوال خاصة بعدهن اي
بعد هذه الاوقات يعني بعد الاستئذان فيها اي لا اثم عليكم ولا على المذكورين في الدخول بغير استئذان عدا هذه الاوقات
ثم عذرهم في ترك الاستئذان فقال تعالى هم طوافون عليكم للخدمة وهو وجه العذر

لا تحسبن الذين كفروا لما بين حال من تمت اطاعة صلى الله عليه وسلم وبشر الفوزه بالرحمة المطلقة المستتبعة لسعادة الدارين عقب ذلك ببيان حال
من عصاه صلى الله عليه وسلم ومآل امره في الدنيا والآخرة بعد بيان تناهيه في الفسق تكميلا لامر الترغيب والترهيب • والخطاب اما لكل احد
ممن يصلح له كائنا من كان واما للرسول صلى الله عليه وسلم على منهاج قوله تعالى فلا تكونن من المشركين ونظائره للايذان بان الحسبان
المذكور من القبح والمحذورية بحيث ينهى عنه من يمتنع صدوره عنه فكيف بمن يمكن ذلك منه • ومحل الموصول النصب على انه
مفعول اول للحسبان وقوله تعالى معجزين ثانيهما وقوله تعالى في الارض ظرف لمعجزين لكن لا لافادة كون الاعجاز المنفي فيها
لا في غيرها فان ذلك مما لا يحتاج الى البيان بل لافادة شمول عدم الاعجاز لجميع اجزائها اي لا تحسبنهم معجزين الله عز وجل
عن ادراكهم واهلاكهم في قطر من اقطار الارض بما رحبت وان هربوا منها كل مهرب • وقرئ لا يحسبن بياء الغيبة على ان
الفاعل كل احد • والمعنى كما ذكر اي لا يحسبن احد الكافرين معجزين له سبحانه في الارض • او هو الموصول والمفعول الاول
محذوف لكونه عبارة عن انفسهم كانه قيل لا يحسبن الكافرون انفسهم معجزين في الارض • واما جعل معجزين مفعولا اول وفي
الارض مفعولا ثانيا فمعزل من المطابقة لمقتضى المقام ضرورة ان مصب الفائدة هو المفعول الثاني فلا فائدة في
كون المعجزين في الارض وقد مر في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة • وقوله تعالى ومأواهم النار معطوف على جملة النهي
بتأويلها بجملة خبرية لان المقصود بالنهي عن الحسبان تحقيق نفي الحسبان كانه قيل ليس الذين كفروا معجزين ومأواهم الخ
او على جملة مقدرة وقعت تعليلا للنهي كانه قيل لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض فانهم مدركون ومأواهم الخ
وقيل الجملة المقدرة بل هم مقهورون فتدبر ولبئس المصير جواب لقسم مقدر • والمخصوص بالذم محذوف اي وبالله
لبئس المصير هي اي النار • والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله • وفي ايراد النار بعنوان كونها مأوى لهم اثر نفي فوتهم
بالهرب في الارض كل مهرب من الجزالة ما لا غاية وراءه فلله در شان التنزيل يا ايها الذين آمنوا رجوع الى بيان تتمة الاحكام
السابقة بعد تمهيد ما يوجب الامتثال بالاوامر والنواهي الواردة فيها وفي الاحكام اللاحقة من التمثيلات والترغيب والترهيب
والوعد والوعيد والخطاب اما للرجال خاصة والنساء داخلات في الحكم بدلالة النص او للفريقين جميعا بطريق التغليب
روي ان غلاما لاسماء بنت ابي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو
الانصاري وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر رضي الله عنه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله عنه
لوددت ان الله عز وجل نهى اباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فوجده وقد انزلت عليه هذه الآية ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم من العبيد والجواري والذين لم يبلغوا
الحلم اي الصبيان القاصرون عن درجة البلوغ المعهود والتعبير عنه بالحلم لكونه اظهر دلائله منكم اي من الاحرار ثلاث مرات
اي ثلاثة اوقات في اليوم والليلة • والتعبير عنها بالمرات للايذان بان مدار وجوب الاستئذان مقارنة تلك الاوقات
لمرور المستأذنين بالمخاطبين لا انفسها من قبل صلوة الفجر لظهور انه وقت القيام عن المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس
ثياب اليقظة ومحله النصب على انه بدل من ثلث مرات او الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي احدها من قبل الخ
وحين تضعون ثيابكم اي ثيابكم التي تلبسونها في النهار وتخلعونها لاجل القيلولة وقوله تعالى من الظهيرة وهي شدة الحر عند
انتصاف النهار بيان للحين والتصريح بمدار الامر اعني وضع الثياب في هذا الحين دون الاول والآخر لما ان التجرد
عن الثياب فيه لاجل القيلولة لقلة زمانها كما ينبئ عنها ايرادالحين مضافا الى فعل حادث منقض ووقوعها
في النهار الذي هو مئنة لكثرة الورود والصدور ومظنة لظهور الاحوال وبروز الامور ليس من التحقق والاطراد
بمنزلة ما في الوقتين المذكورين فان تحقق التجرد واطراده فيهما امر معروف لا يحتاج الى التصريح به ومن بعد صلوة
العشاء ضرورة انه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف وليس المراد بالقبلية والبعدية المذكورتين مطلقهما
المتحقق في الوقت الممتد المتخلل بين الصلوتين كما في قوله تعالى وان كنت من قبله لمن الغافلين وقوله من بعد
ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي بل ما يعرض منهما الطرفي ذلك الوقت الممتد المتصلين بالصلوتين المذكورتين
اتصالا عاديا وقوله تعالى ثلث عورات خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى لكم متعلق بمحذوف هو صفة لثلث عورات
اي كائنة لكم والجملة استئناف مسوق لبيان علة وجوب الاستئذان اي هن ثلاثة اوقات يختل فيها التستر عادة
والعورة في الاصل هو الخلل غلب في الخلل الواقع فيما يهم حفظه ويعتني بستره اطلقت على الاوقات المشتملة عليها
مبالغة كانها نفس العورة وقرئ ثلث عورات بالنصب بدلا من ثلث مرات ليس عليكم ولا عليهم

اي ان يكم وبهم حاجة الى المداخلة بينكم لانكم تطوفون عليهم للاستخدام وهم عليكم للخدمة فلو اوجب الاستيذان
في كل وقت لادى الى الحرج قوله بعضكم على بعض مبتدأ . وخبر اي بعضكم طائف على بعض دل عليه السياق
وهذه الجملة مؤكدة مبينة لما قبلها قيل هذه الآية منسوخة وقيل محكمة حتى اوجب الاستيذان على الام والاخت
كذلك اي مثل هذا البيان يبين الله لكم الآيات اي احكام القرآن والله عليم حكيم اي يعلم بصلاح الناس
ويحكم بالاستيذان لئلا يدخل بعضهم على بعض بغير اذنه

ليس عليكم ولا عليهم اي على المماليك والصبيان جناح اي اثم في الدخول بغير استيذان لعدم ما يوجبه من مخالفة الامر والاطلاع على العورات بعدهن اي بعد كل واحدة من تلك العورات الثلث وهي الاوقات المتخللة بين كل اثنتين منهن وايرادها بعنوان البعدية مع ان كل وقت من تلك الاوقات قبل عورة من العورات كما انه بعد اخرى منهن لتوفية حق التكليف الذي هو عبارة عن رفعه اذ الرخصة انما تتصور في فعل يقع بعد زمان وقوع الفعل المكلف والجملة على القراءتين مستانفة مسوقة لتقرير ما قبلها بالطرد والعكس وقد جوز على القراءة الاولى كونها في محل الرفع على انها صفة اخرى لثلث عورات واما على القراءة الثانية فهي مستانفة لا غير اذ لو جعلت صفة لثلث عورات وهي بدل من ثلث مرات لكان التقدير ليستاذنكم هؤلاء في ثلث عورات لا اثم في ترك الاستيذان بعدهن وحيث كان انتفاء الاثم حينئذ مما لم يعلم الشارع الا بهذا الكلام لم يتسن ابرازه في معرض الصفة بخلاف قراءة الرفع فان انتفاء الاثم حينئذ معلوم من صدر الكلام وقوله تعالى طوافون عليكم استيناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستيذان وهي المخالطة الضرورية وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات الثلثة وبين غيرها بكونها عورات بعضكم على بعض اي بعضكم طائف على بعض طوافا كثيرا او بعضكم يطوف على بعض كذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من تفخيم شأن المشار اليه والايذان ببعد منزلته وكونه من الوضوح بمنزلة المشار اليه حسا اي مثل ذلك التبيين يبين الله لكم الآيات الدالة على الاحكام اي ينزلها مبينة واضحة الدلالات عليها لا انه تعالى يبينها بعد ان لم تكن كذلك والكاف مقحمة كما قدم تفصيله في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا ولكم متعلق بيبين وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل يبين علل الاحكام وليس بواضح مع انه مؤد الى تخصيص الآيات بما ذكر هاهنا والله عليم مبالغ في العلم بجميع المعلومات فيعلم احوالكم حكيم في جميع افاعيله فيشرع لكم ما فيه صلاح امر معاشكم ومعادكم

انتهى ابو السعود

والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا انه خص بكشف المراة زينتها ومحاسنها للرجال وان يستعففن بترك الوضع خير لهن من الوضع لبعده من التهمة والله سميع مبالغ في سمع جميع ما يسمع بما يجري بينهن وبين الرجال من المقاولة عليم فيعلم مقاصدهن وفيه من الترهيب ما لا يخفى

انتهى ابو السعود

وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم اي الاحتلام والمراد الاحرار من الغلمان فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم وهو من بلغ قبلهم من الاحرار اي الرجال واعتبار البلوغ بالسن ثماني عشرة سنة للغلام وسبع عشرة سنة للجارية عند ابي حنيفة رحمه الله وخمس عشرة سنة فيهما عند الاكثر كذلك اي كهذا البيان يبين الله لكم آياته اي احكامه من الامر والنهي والله عليم بصلاح الخلق حكيم بحكم بالاستيذان وعدمه بالحكمة قوله والقواعد مبتدا جمع القاعد بلا هاء ومن النساء اللاتي لا يرجون نكاحا بيان للقواعد وهي التي قعدت اي آيست عن الحيض والولد لكبر السن وخبر المبتدا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن من الجلباب والازار فوق الثياب والقناع فوق الخمار ودخل الفاء في فليس لكون الالف واللام في القواعد بمعنى التي وفيه معنى الشرط غير متبرجات بزينة نصب على الحال من فاعل يضعن اي غير مظهرات زينة خفية كالسوار والخلخال والقلادة لكن لطلب التخفيف جاز الوضع لهن قوله وان يستعففن خير لهن مبتدا وخبر اي يطلبن العفة عن التبرج ومنع الثياب خير لهن من تركه والله سميع لما تقول العجائز اذا وضعن جلبابهن وتظهرن زينتهن من قولهن من يرغب فينا عليم بنياتهن وافعالهن

انتهى العيون

وإذا بلغ الأطفال منكم اي من الاحرار دون المماليك الحلم اي الاحتلام اي اذا بلغوا وارادوا الدخول عليكم فليستاذنوا في جميع الاوقات كما استاذن الذين من قبلهم اي الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال او الذين ذكروا من قبلهم في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا الآية والمعنى ان الاطفال ماذون لهم في الدخول بغير اذن الا في العورات الثلث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم بلغوا بالاحتلام او بالسن وجب ان يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على ان يستاذنوا في جميع الاوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن والناس عن هذا غافلون وعن ابن عباس رضي الله عنهما ثلث آيات جحدهن الناس الاذن كله وقوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقوله واذا حضر القسمة وعن سعيد بن جبير يقولون هي منسوخة والله ما هي بمنسوخة كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم بما يبين من الاحكام حكيم بمصالح الانام والقواعد جمع قاعد لانها من الصفات المختصة بالنساء كالطالق والحائض اي اللاتي قعدن عن الحيض والولد لكبرهن من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه وهي في محل الرفع صفة للمبتدا وهي القواعد والخبر فليس عليهن جناح اثم ودخلت الفاء لما في المبتدا من معنى الشرط بسبب الالف واللام ان يضعن في ان يضعن ثيابهن اي الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار غير حال متبرجات بزينة اي غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية كالشعر والنحر والساق ويجوز ذلك ان لا يقصدن بوضعها التبرج ولكن التخفف وحقيقة التبرج تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه وان يستعففن ان يطلبن العفة عن وضع الثياب فيستترن مبتدا خبره خير لهن والله سميع لما يعلن عليم بما يقصدون اسهل المدارك وفي المعالم واختلفوا في حكم هذه الآية فقال قوم هو منسوخ قال ابن عباس رضي الله عنه لم يكن للقوم ستور ولا حجاب وكان الخدم والولائد يدخلون فربما يرون منهم ما لا يحبون فامروا بالاستيذان فقد بسط الله الرزق واتخذ الناس الستور فرأى ان ذلك اغنى عن الاستيذان وذهب قوم الى انها منسوخة وقال سعيد بن جبير في هذه الآية ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس

انتهى

وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم من الاحرار دون المماليك الحلم الاحتلام كناية عن بلوغهم حد الرجولية اي اذا بلغوا وارادوا الدخول عليكم فليستاذنوا في جميع الاوقات كما استاذن الذين من قبلهم اي الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الكبار من الاحرار او الذين ذكروا من قبلهم في قوله يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا الآية والمعنى ان الاطفال ماذون لهم في الدخول بغير اذن الا في العورات الثلث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم بلغوا بالاحتلام او بالسن وجب ان يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على ان يستاذنوا في جميع الاوقات كالكبار من الاحرار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم بالاذن كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم كرره تاكيدا ومبالغة في الامر بالاستيذان والقواعد من النساء العجائز التي قعدت عن الحيض والحمل لكبرهن فقعودهن كناية عن الياس عن التماس الناس فالتوصيف بقوله اللاتي لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه لتقرير هذا المعنى وتاكيده فليس عليهن جناح اثم ودخلت الفاء لما في المبتدا من معنى الشرط بسبب اللام ان يضعن في ان يضعن ثيابهن اي الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار غير متبرجات بزينة اي غير مظهرات زينة يريد الزينة التي امرن باخفائها في قوله ولا يبدين زينتهن الآية اي لا يقصدن بوضعها التبرج ولكن التخفيف وحقيقة التبرج التكلف في اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها الا انه خص بتكشيف المراة زينتها ومحاسنها للرجال وان يستعففن اي يطلبن العفة عن وضع الثياب فيستترن خير لهن من وضعها لانه ابعد من التهمة والله سميع لمقالتهن للرجال عليم بمقاصدهن

اسهل

وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم لما بين فيما مر آنفا حكم الاطفال في انه لا جناح في ترك الاستيذان فيما عدا الاوقات الثلثة عقبت ببيان حالهم بعد البلوغ دفعا لما عسى يتوهم انهم وان كانوا اجانب ليسوا كسائر الاجانب بسبب اعتيادهم الدخول اي اذا بلغ الاطفال الاحرار الاجانب فليستاذنوا اذا ارادوا الدخول عليكم وقوله تعالى كما استاذن الذين من قبلهم في حيز النصب على انه نعت لمصدر مؤكد للفعل السابق والموصول عبارة عمن قيل لهم لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا الآية ووصفهم بكونهم قبل هؤلاء باعتبار ذكرهم لا باعتبار بلوغهم قبل بلوغهم كما قيل لما ان المقصود بالتشبيه بيان كيفية استيذان هؤلاء وزيادة ايضاحه ولا يتسنى ذلك الا بتشبيهه باستيذان المعهودين عند السامع ولا ريب في ان بلوغهم قبل بلوغ هؤلاء مما لا يخطر ببال احد وان كان الامر كذلك في الواقع وانما المعهود المعروف ذكرهم قبل ذكرهم اي فليستاذنوا استيذانا كائنا مثل الاستيذان المذكور قبلكم بان يستاذنوا في جميع الاوقات ويرجعوا ان قيل لهم ارجعوا حسبما فصل فيما سلف كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم الكلام فيه كالذي سبق والتكرير للتاكيد والمبالغة في الامر بالاستيذان واضافة الآيات الى ضمير الجلالة لتشريفها والقواعد من النساء اي العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل اللاتي لا يرجون نكاحا اي لا يطمعن فيه لكبرهن فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن اي الثياب الظاهرة كالجلباب ونحوه والفاء فيه لان اللام في القواعد بمعنى اللاتي او للوصف بها غير متبرجات بزينة غير مظهرات لزينة مما امر باخفائه في قوله ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف في اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها

ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج قال سعيد بن المسيب كان المسلمون اذا خرجوا الى الغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الاعمى والاعرج والمريض وعند اقاربهم ويأذنونهم ان يأكلوا من بيوتهم وكانوا يتحرجون عن ذلك ويقولون نخشى ان لا يكون انفسهم بذلك طيبة فنزلت الآية رخصة لهم ولا على انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم هذا على ظاهره ولم يرد به بيان الحكم فيه بل الظاهر التسوية بين قرينه كقولك تكلم الناس في المهد وكهلا او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم لم يذكر بيوت الاولاد احالة بحالها على الدلالة او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم لان الاذن موصولا ثابت دلالة او ما ملكتم مفاتحه جمع مفتح وهو ما يفتح به الغلق واريد ملكه كونه في يده وحفظه قال ابن عباس رضي الله عنهما وهو وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته له ان يأكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته او صديقكم او بيوت صديقكم وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط وكان الرجل من السلف يدخل دار صديقه وهو غائب ويسأل جاريته كيسه فيأخذ ما شاء فاذا حضر مولاها اعتقها سرورا بذلك فاما الآن فقد غلب الشح على الناس وكان لندرة وجوده عدل فيه عن صيغة الجمع ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا مجتمعين ورد فيمن تحرجوا من الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الاكل وزيادة بعضهم على بعض او اشتاتا متفرقين جمع شت ورد فيمن تحرجوا في الاكل وحده

ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج كانت هؤلاء الطوائف يتحرجون من مؤاكلة الاصحاء حذارا من استقذارهم اياهم وخوفا من تأذيهم بافعالهم واوضاعهم فان الاعمى ربما سبقت يده الى ما سبقت اليه عين اكيله وهو لا يشعر به والاعرج يتفسح في مجلسه فيأخذ اكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو عن حالة تؤذي قرينه وقيل كانوا يدخلون على الرجل لطلب الطعام فاذا لم يكن عنده ما يطعمهم ذهب بهم الى بيوت آبائهم وامهاتهم او الى بعض من سماهم الله عز وجل في الآية الكريمة فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا الى بيت غيره ولعل اهله كارهون لذلك وكذا كانوا يتحرجون من الاكل من اموال الذين كانوا اذا خرجوا الى الغزو خلفوا هؤلاء الضعفاء في بيوتهم ودفعوا اليهم مفاتيحها واذنوا لهم ان يأكلوا مما فيها مخافة ان لا يكون اذنهم عن طيب نفس منهم وكان غير هؤلاء ايضا يتحرجون من الاكل في بيوت غيرهم فقيل لهم ليس على الطوائف المعدودة

ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج قال سعيد بن المسيب كان المسلمون اذا خرجوا الى الغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الاعمى والمريض والاعرج وعند اقاربهم ويأذنونهم ان يأكلوا من بيوتهم فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون نخشى ان لا تكون انفسهم بذلك طيبة فنزلت الآية رخصة لهم ولا على انفسكم اي حرج ان تأكلوا من بيوتكم اي بيوت اولادكم لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه ولذا لم يذكر الاولاد في الآية وقد قال صلى الله عليه وسلم انت ومالك لابيك او بيوت ازواجكم لان الزوجين صارا كنفس واحدة فصار بيت المرأة كبيت الزوج او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم لان الاذن من هؤلاء ثابت دلالة او ما ملكتم مفاتحه جمع مفتح وهو ما يفتح به الغلق قال ابن عباس رضي الله عنهما هو وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته له ان يأكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته واريد بملك المفاتيح كونها في يده وحفظه وقيل اريد به بيت العبد لان العبد وما في يده لمولاه او صديقكم يعني او بيوت اصدقائكم والصديق يكون واحدا وجمعا وهو من يصدقك في مودته وتصدقه في مودتك وكان الرجل من السلف يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيسه فيأخذ ما شاء فاذا حضر مولاها اعتقها سرورا بذلك فاما الآن فقد غلب الشح على الناس فلا يؤكل الا باذن ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا مجتمعين او اشتاتا متفرقين جمع شتيت نزلت في بني ليث بن عمرو وكانوا يتحرجون ان يأكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره الى الليل فان لم يجد من يؤاكله اكل ضرورة او في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا يأكلون الا مع ضيفهم او تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الاكل وزيادة بعضهم على بعض

ولا على انفسكم اي عليكم وعلى من يماثلكم في الاحوال من المؤمنين حرج ان تأكلوا اي تأكلوا انتم وهم معكم وتعميم الخطاب للطوائف المذكورة ايضا يأباه ما قبله وما بعده فان الخطاب فيهما لغير اولئك الطوائف حتما من بيوتكم اي البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد لان بيتهم كبيته لقوله صلى الله عليه وسلم انت ومالك لابيك وقوله صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم وقرئ بكسر الهمزة والميم وبكسر الاولى وفتح الثانية او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه من البيوت التي تملكون التصرف فيها باذن اربابها على الوجه الذي مر بيانه وقيل هي بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وجمع المفتاح مفاتيح وقرئ مفتاحه او صديقكم اي او بيوت صديقكم وان لم يكن بينكم وبينهم قرابة نسبية فانهم ارضى بالتبسط واسر به من كثير من الاقرباء روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الصديق اكبر من الوالدين ان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والامهات بل قالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم والصديق يقع على الواحد والجمع كالخليط والقطين واضرابهما وهذا فيما اذا علم رضى صاحب البيت بصريح الاذن او بقرينة دالة عليه ولذلك

خصص هؤلاء بالذكر لاعتيادهم التبسط فيما بينهم وقوله تعالى ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا كلام مستأنف مسوق لبيان حكم آخر من جنس ما بين قبله حيث كان فريق من المؤمنين كبني ليث بن عمرو بن كنانة يتحرجون ان يأكلوا طعاما منفردين وكان الرجل منهم لا يأكل ويمكث يومه حتى يجد ضيفا يأكل معه فان لم يجد من يؤاكله لم يأكل شيئا وربما قعد الرجل والطعام بين يديه ولا يتناوله من الصباح الى الرواح وربما كانت معه الابل الحفل فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشاربه فاذا امسى ولم يجد احدا اكل وقيل كان الغني منهم يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصداقته فيدعوه الى طعامه فيقول اني اتحرج ان آكل معك وانا غني وانت فقير وقيل كان قوم من الانصار لا يأكلون اذا نزل بهم ضيف الا مع ضيفهم فرخص لهم في ان يأكلوا كيف شاؤوا وقيل كانوا اذا اجتمعوا ليأكلوا طعاما عزلوا للاعمى واشباهه طعاما على حدة فبين الله تعالى ان ذلك ليس بواجب وقوله تعالى جميعا حال من فاعل تأكلوا واشتاتا عطف عليه داخل في حكمه وهو جمع شت على انه صفة كالحق يقال امر شت اي متفرق او على انه في الاصل مصدر وصف به مبالغة اي ليس عليكم ان تأكلوا مجتمعين او متفرقين

ابو السعود رحمه الله

ليس على الاعمى حرج نزل حين طلب ذووا العاهات الجهاد او كرهوا مؤاكلة الاصحاء لئلا ينغصوا عليهم طعامهم او كان الاصحاء يذهبون الى الجهاد ويتركون مفاتحهم عند ذوي العاهات مع الاذن لهم في الاكل من بيوتهم فيتحرجون فقال تعالى ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم اي بيوت اولادكم لقوله صلى الله عليه وسلم انت ومالك لابيك او بيوت الزوجات لانهن كبيوتهم او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم اي لا بأس لكم ان تأكلوا من بيوت هؤلاء بغير اذنهم او من بيوت ما ملكتم مفاتحه اي خزائنه التي في ايديكم وحفظكم فالمراد من الملك قيم الرجل او وكيله الذي يحفظ امواله فله ان يأكل من زرعه وضرعه ان احتاج ولا يدخر او المراد بما ملكتم مفاتحه العبيد لان السيد يملك بيوت عبيده او من بيوت صديقكم وهو من صدقك في مودته فان الاكل من بيته وماله بغير اذنه جائز عند الحسن وقتادة اذا كان بينهما انبساط كما بين الاب والابن او الاخوين والصديق يستعمل للواحد والجمع كالعدو والخليط قوله تعالى ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا نزل في بني ليث ابن عمرو بن كنانة وكل من تحرج من الاكل وحده اي ليس عليكم اثم في الاكل مجتمعين او متفرقين بعد قوله صلى الله عليه وسلم شر الناس من اكل وحده وكان الرجل [illegible] الى الليل فان لم يجد من يؤاكله اكل ضرورة

إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله استئناف جيء به في أواخر الكلام إثر تقريرها وتأكيدا لوجوب مراعاتها وتكميلا لها ببيان
بعض آخر من جنسها وإنما ذكر الإيمان بالله ورسوله في حيز الصلة للموصول الواقع خبرا للمبتدأ مع تضمنه له قطعا تقريرا لما قبله وتمهيدا
لما بعده وإيذانا بأنه حقيق بأن يجعل قرينا للإيمان بهما منتظما في سلكه فقوله تعالى وإذا كانوا معه على أمر جامع إلخ معطوف
على آمنوا بالله ورسوله عن صميم قلوبهم وأطاعوهما في جميع الأحكام التي من جملتها ما فصل من قبل من الأحكام المتعلقة بعامة أحوالهم
المطردة في الوقوع وأحوالهم الواقعة بحسب الاتفاق كما إذا كانوا معه صلى الله عليه وسلم على أمر تهم يجب اجتماعهم في شأنه
كالجمعة والأعياد والحروب وغيرها من الأمور الداعية إلى اجتماع أولي الآراء والتجارب ووصف الأمر بالجمع للمبالغة وقرئ
أمر جميع لم يذهبوا أي من المجمع مع كون ذلك الأمر مما لا يوجب حضورهم لا محالة كما عند إقامة الجمعة ولقاء العدو بل يسوغ التخلف عنه
حتى يستأذنوه عليه السلام في الذهاب لا على أن نفس الاستئذان غاية لعدم الذهاب بل الغاية هي الإذن المنوط برأيه صلى الله عليه وسلم
والاقتصار على ذكره لأنه الذي يتم من قبلهم وهو المعتبر في كمال الإيمان لا الإذن ولا الذهاب المترتب عليه واعتباره في ذلك
لما أنه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص عن المنافق فإن ديدنه التسلل للفرار ولتعظيم ما في الذهاب بغير إذنه عليه السلام
من الجناية وللتنبيه على ذلك عقب بقوله تعالى إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فقضى بأن المستأذنين
هم المؤمنون بالله ورسوله كما حكم في الأول بأن الكاملين في الإيمان هم الجامعون بين الإيمان بهما وبين الاستئذان وفي أولئك
من تفخيم شأن المستأذنين ما لا يخفى فإذا استأذنوك بيان لما هو وظيفته عليه السلام في هذا الباب إثر بيان ما هو وظيفة
المؤمنين وأن الإذن عند الاستئذان ليس بأمر محتوم بل هو مفوض إلى رأيه عليه السلام والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها
أي بعد ما تحقق أن الكاملين في الإيمان هم المستأذنون فإذا استأذنوك لبعض شأنهم أي لبعض أمرهم المهم وخطبهم
فأذن لمن شئت منهم لما علمت في ذلك من حكمة ومصلحة واستغفر لهم الله فإن الاستئذان وإن كان لعذر قوي لا يخلو عن
شائبة تقديم أمر الدنيا على أمر الآخرة إن الله غفور مبالغ في مغفرة فرطات العباد رحيم مبالغ في إفاضة آثار الرحمة عليهم
والجملة تعليل للمغفرة الموعودة في ضمن الأمر بالاستغفار لهم انتهى أبو السعود رحمه الله

فإذا دخلتم بيوتا أي المساجد فسلموا على أنفسكم أي ليسلم بعضكم على بعض نظيره ولا تقتلوا أنفسكم أي ولا يقتل
بعضكم بعضا قال محمد بن سليمان أي دخلتم بيوتكم فإن كان فيها أحد فقولوا سلام عليكم وإن لم تكن فيها أحد فقولوا السلام على
رسول الله أي السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فذلك قوله تعالى فإذا دخلتم بيوتا أي المساجد فسلموا
على أنفسكم تحية

فإذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت للأكل وغيره فسلموا على أنفسكم أي فابدؤوا بالسلام على من
فيها على دينكم وقيل المراد بيوتكم حقيقة فقيل إذا دخلت على أهلك وعيالك فسلم عليهم فهم أحق بذلك
وإذا دخلت بيتا لا أحد فيه أو المسجد فقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
أو المراد المساجد من البيوت قوله تحية مصدر فسلموا من غير لفظه أي تحية مشروعة من عند الله مباركة كثيرة الخير طيبة
أي ذات رزق حلال وإنما وصفت بهما لأن التحية دعاء مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله تعالى زيادة الخير والطيب لما فيها من الأجر
والثواب روي عن أنس بن مالك قال كنت قائما عند النبي صلى الله عليه وسلم أصب الماء على يديه فرفع رأسه فقال ألا أعلمك
ثلاث خصال تنتفع بها قلت بلى بأبي وأمي يا رسول الله قال متى لقيت من أمتي أحدا فسلم عليه يطل عمرك وإذا دخلت بيتك
فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأوابين كذلك أي مثل هذا البيان يبين الله لكم الآيات أي آيات
والنهي في الطعام والشراب وغيرهما لعلكم تعقلون أي تفهمونها وتعملون بها قوله إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله نزل حين
جمع النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين يوم الجمعة ليستشيرهم في أمر الغزو وكان يثقل المقام على البعض عنده فيخرج بغير إذنه فجعل الله عدم الخروج
من عنده بغير إذنه ثابت الإيمان بالله وبرسوله تغليظا عليهم واستعظاما لجنايتهم لئلا يخالفوا أمره فقال إنما المصدقون حقيقة
هم الذين صدقوا بالله في أمره ورسوله في سنته وإذا كانوا معه أي مع النبي صلى الله عليه وسلم على أمر جامع أي أمر جمعهم له وعليه كغزو
وصلاة أو خطب جليل لا بد لرسول الله من اجتماع ذوي الآراء والقوى لم يذهبوا أي لم يتفرقوا عنه صلى الله عليه وسلم حتى يستأذنوه
في الانصراف وقيل قوله وإذا كانوا معه تأكيد لحصر الإيمان بالله ورسوله قوله إن الذين يستأذنونك زيادة تأكيد وتشديد حيث
أعاده على أسلوب آخر وجعل الاستئذان كالمصداق لصحة الإيمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا وقيل نزل
الآية في حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير إذن وقيل بيان حفظ الأدب بأن الإمام إذا جمع الناس لتدبير أمر من أمور
الإسلام لا يرجعون عنه إلا بإذنه قوله أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله

أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله خبران فإذا استأذنوك في الانصراف لبعض شأنهم
أي لبعض حوائجهم فأذن لمن شئت منهم لا اعتراض عليك واستغفر لهم الله إن خرجوا بإذنك
خروجهم عنك إن الله غفور رحيم لمن تاب وأطاع ولا تأذن لمن شئت منهم إذا لم يكن
لهم حاجة في الانصراف كالمنافقين انتهى العيون

فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت لتأكلوا فسلموا على انفسكم
اى فابدؤا بالسلام على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة او بيوتا
فارغة او مسجدا فقولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
تحية نصب بسلموا لانها في معنى تسليما نحو قعدت جلوسا
من عند الله اى ثابتة بامره مشروعة من لدنه او لان التسليم
والتحية طلب سلامة وحيوة للمسلم عليه والتحيا من عنده
مباركة طيبة وصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن
لمؤمن يرتجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق
كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون لكى تعقلوا وتفهموا
انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر
جامع اى الذى يجمع له الناس نحو الجهاد والتدبير في الحرب
وكل اجتماع في الله حتى الجمعة والعيدين لم يذهبوا حتى
يستأذنوه ويأذن لهم ولما اراد تعالى ان يريهم عظم الجناية
في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
بغير اذنه اذا كانوا معه على امر جامع جعل ترك ذهابهم
حتى يستأذنوه ثالث الايمان بالله والايمان برسوله وجعلهما
كالتشبيب له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة
بانما وايقاع المؤمنين مبتدأ مخبرا عنه بموصول احاطت
صلته بذكر الايمانين ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا
حيث اعاده على اسلوب اخر وهو قوله ان الذين يستأذنونك
اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وضمنه شيئا اخر وهو انه
جعل الاستيذان كالمصداق لصحة الايمانين وعرض بحال
المنافقين وتسللهم لواذا فاذا استأذنوك في الانصراف
لبعض شأنهم امرهم فأذن لمن شئت منهم فيه رفع شأنه
صلى الله عليه وسلم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم
وذكر الاستغفار للمستأذنين دليل على ان الافضل
ان لا يستأذنوه قالوا وينبغي ان يكون الناس كذلك
مع ائمتهم ومقدميهم في الدين والعلم يظاهرونهم ولا يتفرقون
عنهم الا باذن قيل نزلت يوم الخندق كان المنافقون يرجعون
الى منازلهم من غير استيذانه اه من المدارك

فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت فسلموا على انفسكم على اهلها
الذين هم منكم دينا وقرابة وهذا كقوله ولا تقتلوا انفسكم اى من هو
من جنسكم تحية نصب بسلموا لانه في معنى تسليما نحو قعدت جلوسا
من عند الله اى ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صلة
للتحية فانها طلب الحيوة وهي من عنده مباركة لانها دعوة مؤمن لمؤمن
بامر الله تعالى ترجى بها زيادة الخير والثواب طيبة يطيب بها نفس المستمع
وفي حديث انس رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم متى لقيت من امتي
احدا فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك
وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار الاوابين كذلك يبين الله لكم
الايات كرره ثالثا لمزيد التاكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاولين
بما هو المقتضي لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال لعلكم تعقلون
اى الحق والخير في الامور انما المؤمنون اى الكاملون في الايمان الذين
امنوا بالله ورسوله من صميم قلوبهم واذا كانوا معه على امر جامع
كالجمعة والاعياد والحروب والمشاورة في الامور ووصف الامر بالجمع
على سبيل المجاز للمبالغة لم يذهبوا حتى يستأذنوه اى ويأذن لهم
ولما اراد ان يريهم عظم الجناية في الذهاب عن مجلسه صلى الله عليه وسلم
اذا كانوا معه على امر جامع جعل ترك الذهاب بلا اذن ثالث الايمان بالله
والايمان برسوله صلى الله عليه وسلم وجعلهما كالتمهيد لذكره ثم عقبه
بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث اعاده على اسلوب اخر ابلغ
فقال ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله
وضمنه شيئا اخر وهو انه جعل الاستيذان كالمصداق لصحة الايمانين
وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا فاذا استأذنوك
في الانصراف لبعض شأنهم ما يعرض لهم من المهام وفيه ايضا مبالغة
وتعسيف للامر فأذن لمن شئت منهم فيه رفع شأنه صلى الله عليه وسلم
بتفويض الامر الى رايه ففيه دلالة على ان بعض الاحكام مفوض
الى رايه صلى الله عليه وسلم وتقييد المشية بان يكون تابعة لعلمه بصدقه
حتى يكون المعنى فأذن لمن علمت ان له عذرا ثم تعسف لظاهر واستغفر لهم
الله بعد الاذن فان الاستيذان ولو لعذر قصور لانه تقديم لامر الدنيا
على امر الدين ان الله غفور لفرطات العباد رحيم بالتيسير عليهم
ابي السعود

فاذا دخلتم شروع في بيان الاداب التي يجب رعايتها عند مباشرة
ما رخص فيه اثر بيان الرخصة فيه بيوتا اى من البيوت المذكورة
فسلموا على انفسكم اى على اهلها الذين بمنزلة انفسكم لما بينكم وبينهم
من القرابة الدينية والنسبية الموجبة لذلك تحية من عند الله اى ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صلة للتحية فانها
طلب الحيوة التي هي من عنده تعالى وانتصابها على المصدرية لانها بمعنى التسليم مباركة مستتبعة لزيادة الخير والثواب ودوامها
طيبة يطيب بها نفس المستمع وعن انس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال متى لقيت احدا من امتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك
فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار الاوابين كذلك يبين الله لكم الايات تكرير لتاكيد الاحكام المختتمة به
وتفخيمها لعلكم تعقلون اى ما في تضاعيفها من الشرائع والاحكام وتعملون بموجبها وتفوزون بذلك سعادة الدارين
وفي تعليل هذا التبيين بهذه الغاية القصوى بعد تذييل الاولين بما يوجبهما من الجزالة ما لا يخفى انما المؤمنون الذين

لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا نهي عن التسوية
بين الدعائين والمقصود النهي عن لوازمها كجواز الاعراض
والمساهلة في الاجابة والرجوع بغير اذنه وذلك لان المبادرة
الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة وحمل الدعاء على النداء
والتسمية او على الدعاء عليه لا يناسب السباق واللحاق
والفصل بين اجزاء الكلام بالاجنبي من السابق يخل بمقتضى البلاغة
وحسن الاتساق قد يعلم الله الذين يتسللون منكم يخرجون
قليلا قليلا من الجماعة ونظير تسلل تدرج وتدخل لواذا ملاوذة
بستر بعضهم ببعض حتى يخرج او يلوذ بمن يؤذن له فينطلق معه
كانه تابعه وانتصابه على الحال اي ملاوذين فليحذر الذين
يخالفون عن امره يخالفون امره بترك مقتضاه وعن لتضمنه
معنى الاعراض او يصدون عن امره دون المؤمنين والضمير لله
لان الامر في الحقيقة له او للرسول صلى الله عليه وسلم لانه المقصود
بالذكر مفعول يحذر ان تصيبهم فتنة محنة في الدنيا او يصيبهم
عذاب اليم في الآخرة واو لمنع الخلو فلا ينافي الجمع والآية
تدل على ان الامر للايجاب الا ان لله ما في السموات والارض
قد يعلم ما انتم عليه ادخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة
عن الدين والنفاق ومرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد
والمعنى ان جميع ما في السموات والارض مختصة به خلقا
وملكا وعلما فكيف يخفى عليه احوال المنافقين وان كانوا يجتهدون
في سترها ويوم يرجعون اليه يوم يرجع المنافقون اليه للجزاء
اي ويعلم يوم يردون الى جزائه وهو يوم القيمة والخطاب
والغيبة في الكلامين المذكورين يجوز ان يكونا جميعا للمنافقين
على طريق الالتفات ويجوز ان يكون الاول عاما والثاني
خاصا فينبئهم يوم القيمة بما عملوا بما ابطنوا من سوء اعمالهم
ويجازيهم حق جزائهم والله بكل شيء عليم فلا يخفى عليه خافية
انتهى ابن كمال

لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم استيناف مقرر لمضمون ما قبله
والالتفات لابراز مزيد الاعتناء بشانه اي لا تجعلوا دعوته صلى الله عليه وسلم
اياكم في الاعتقاد والعمل بها كدعاء بعضكم بعضا اي لا تقيسوا دعاءه
صلى الله عليه وسلم اياكم على دعاء بعضكم بعضا في حال من الاحوال
وامر من الامور التي من جملتها المساهلة فيه والرجوع عن مجلسه
صلى الله عليه وسلم بغير استيذان فان ذلك من المحرمات وقيل
لا تجعلوا دعاءه صلى الله عليه وسلم ربه كدعاء صغيركم كبيركم
يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه مستجاب لا ترد له عند الله
تعالى وتقرير الجملة حينئذ لما قبلها اما من حيث ان استجابته تعالى
لدعائه صلى الله عليه وسلم مما يوجب امتثالهم باوامره عليه السلام
ومتابعتهم له في الورود والصدور اكمل ايجاب واما من حيث
انها موجبة للاحتراز عن التعرض لسخطه عليه السلام المؤدي الى ما يوجب هلاكهم من دعائه عليه السلام عليهم واما ما قيل من ان المعنى
لا تجعلوا نداءه عليه السلام كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت والنداء من وراء الحجرات ولكن بلقبه المعظم مثل يا رسول الله
يا نبي الله مع غاية التوقير والتفخيم والتواضع وخفض الصوت فلا يناسب المقام فان قوله تعالى قد يعلم الله الذين الآية

لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا اي اذا احتاج
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اجتماعكم عنده لامر فدعاكم فلا تفرقوا عنه
الا باذنه ولا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا في الرجوع
عن المجمع بغير اذن الداعي او لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمي
بعضكم بعضا وينادونه باسمه الذي سماه به ابواه ولا تقولوا يا محمد
ولكن قولوا يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت
المخفوض قد يعلم الله الذين يتسللون يخرجون قليلا قليلا منكم لواذا
حال اي ملاوذين واللواذ الملاوذة وهو ان يلوذ هذا بذاك
وذاك بهذا اي يتسللون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة
واستتار بعضهم ببعض فليحذر الذين يخالفون عن امره اي
الذين يصدون عن امره دون المؤمنين وهم المنافقون يقال خالفه
الى الامر اذا ذهب اليه دونه ومنه وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه
وخالفه عن الامر اذا صد عنه دونه والضمير في امره لله سبحانه او للرسول
صلى الله عليه وسلم والمعنى عن طاعته ودينه ومفعول فليحذر
ان تصيبهم فتنة محنة في الدنيا او قتل او زلازل واهوال
او تسليط سلطان جائر او قسوة القلب عن معرفة الرب
او اسباغ النعم استدراجا او يصيبهم عذاب اليم في الآخرة
والآية تدل على ان الامر للايجاب الا ان لله ما في السموات
والارض الا تنبيه على ان لا يخالفوا امر من له ما في السموات
والارض قد يعلم ما انتم عليه ادخل قد ليؤكد علمه بما انتم عليه
من المخالفة عن الدين والنفاق ومرجع توكيد العلم الى توكيد
الوعيد والمعنى ان جميع ما في السموات والارض مختصة به
خلقا وملكا وعلما فكيف يخفى عليه احوال المنافقين وان كانوا
يجتهدون في سترها ويوم يرجعون اليه ونفخ الياء وكسر الجيم
يعقوب اي ويعلم يوم يردون الى جزائه وهو يوم القيمة والخطاب
والغيبة في قوله قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه يجوز
ان يكونا جميعا للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز ان يكون
ما انتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين فينبئهم يوم القيمة
بما ابطنوا من سوء اعمالهم ويجازيهم حق جزائهم والله بكل شيء عليم
فلا يخفى عليه خافية وحكاية ابن عباس رضي الله عنهما قرأ سورة
النور على المنبر في الموسم وفسرها على وجه لو سمعت الروم لاسلمت وعن
بن عروة عن ابيه عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تنزلوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن المغزل
وسورة النور كذا في معالم التنزيل

قد يعلم الله الذين يتسللون منكم الى آخره وعيد لمخالفي امره صلى الله عليه وسلم فيما ذكر من قبل فتوسيط ما ذكر بينهما لما لا وجه له
والتسلل الخروج من البين على التدريج والخفية وقد للتحقيق كما ان رب يجيء للتكثير حسبما بين في مطلع سورة الحجر اي يعلم الله
الذين يخرجون من الجماعة قليلا قليلا على خفية لواذا اي ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج او بان يلوذ بمن يخرج
بالاذن اراءة انه من اتباعه وقرئ بفتح اللام وانتصابه على الحالية من ضمير يتسللون اي ملاوذين او على انه مصدر مؤكد
لفعل مضمر هو الحال في الحقيقة اي يلوذون لواذا والفاء في قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره لترتيب الحذر او الامر به
على ما قبلها من علمه تعالى باحوالهم فانه مما يوجب الحذر البتة اي يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته
وعن اما لتضمينه معنى الاعراض او حمله على معنى يصدون عن امره دون المؤمنين من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه
وحذف المفعول لما ان المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله تعالى لانه الآمر حقيقة او للرسول صلى الله عليه وسلم
لانه المقصود بالذكر ان تصيبهم فتنة اي محنة في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم اي في الآخرة وكلمة او لمنع الخلو دون الجمع
واعادة الفعل صريحا للاعتناء بالتهديد والتحذير واستدل به على ان الامر للايجاب فان ترتيب العذاب على مخالفته كما يعرب
عنه التحذير عن اصابتهما يوجب وجوب الامتثال به حتما الا ان لله ما في السموات والارض من الموجودات بأسرها خلقا
وملكا وتصرفا ايجادا واعداما بدءا واعادة قد يعلم ما انتم عليه ايها المكلفون من الاحوال والاوضاع التي من جملتها الموافقة
والمخالفة والاخلاص والنفاق ويوم يرجعون اليه عطف على ما انتم عليه اي يعلم يوم يرجع المنافقون المخالفون للامر اليه
للجزاء والعقاب وتعليق علمه تعالى بيوم رجعهم لا برجعهم لزيادة تحقيق علمه تعالى بذلك وغاية تقريره لما ان العلم بوقت
وقوع الشيء مستلزم للعلم بوقوعه على ابلغ وجه واكده وفيه اشعار بانه علمه تعالى بنفس رجعهم من الظهور بحيث لا يحتاج الى
البيان قطعا ويجوز ان يكون الخطاب ايضا خاصا بالمنافقين على طريقة الالتفات وقرئ يرجعون مبنيا للفاعل فينبئهم بما عملوا
من الاعمال السيئة التي من جملتها مخالفة الامر فيرتب عليه ما يليق به من التوبيخ والجزاء وقد مر وجه التعبير عن الجزاء بالتنبيه
في قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم الآية والله بكل شيء عليم لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي انتهى ابو السعود رحمه الله

قوله لواذا قال ابن عباس رضي الله عنهما فرارا عن كتاب الله تعالى قال مجاهد لواذا خلافا قال ابن حبيب كثير من اهل النحو يغلطون في لواذا
يظنون انه مصدر لاذ يلوذ لواذا وهذا منهم غلط فاحش لانه لو كان كذلك لقال لياذا كقولهم صام يصوم صياما وقام يقوم قياما
ولاذ يلوذ لياذا فلما دخل فيه الواو علمنا انه لاوذ يلاوذ ملاوذة ولواذا قال الزجاج لواذا اي خلافا نيسابوري

قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم بيان توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لانه كان معلم الخير ففيه ايذان بمعرفة حق كل معلم العلم
الخير اي لا تجعلوا ايها المؤمنون دعاءه اياكم الى الايمان كدعاء بعضكم بعضا لا يلتفتون اليه بل امتثلوا مسرعين او دعاءكم
اياه ... عنده كذلك فاجيبوه بالتفخيم والتعظيم ولا تتفرقوا الا باذنه او لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعائكم على اخوانكم
ان تحذرون فانه مستجاب الدعوة او لا تجعلوا نداءه بينكم وتسميته كالتسمي بعضكم بعضا باسمه الذي سماه ابواه
لا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله يا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض والتواضع قد يعلم الله الذين يتسللون
منكم اي يخرجون الخفية قليلا قليلا قوله لواذا نصب على الحال وهو ان يستتر الشخص بغيره اي ملاوذين وقد فيه
للتحقيق وتاكيد علمه فليحذر الذين يخالفون اي يميلون معرضين عن امره اي عن الله تعالى او امر محمد صلى الله عليه وسلم
... عن رايه قوله ان تصيبهم فتنة مفعول يحذر والفتنة المحنة في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم في الآخرة وقيل
الفتنة القتل او زلازل او مصائب الا ان لله ما في السموات والارض اي جميعه له تختص به خلقا وملكا وعلما
لا يخفى عليه حال من ينافق رسوله وان اجتهد في الستر قد يعلم ما انتم عليه من احوال الايمان والنفاق والاعمال من الخير
والشر وقد فيه كما مر وقيل للتكثير في الموضعين والخطاب في قوله ما انتم عليه عام ويوم يرجعون اليه للمنافقين
وقيل يجوز ان يكونوا جميعا للمنافقين على طريق الالتفات من الخطاب الى الغيبة والعامل فيه فينبئهم اي يخبرهم
يوم يرجعون الى الله تعالى في الآخرة بما عملوا اي بما ابطنوا من سوء اعمالهم ويجازيهم حق جزائهم والله بكل شيء عليم
اي علمه محيط بجميع الاشياء فكيف يخفى عليه احوال الناس وان كانوا يجتهدون في سترها عن العيون واخفائها انتهى العيون

الذي له ملك السموات والارض اي له خاصة دون غيره لا استقلالا ولا اشتراكا كان سلطان القاهر والاستيلاء الباهر عليهما
المستلزماه للقدرة التامة والتصرف الكلي فيهما وفيما فيهما ايجادا واعداما واحياء واماتة وامرا ونهيا حسبما تقتضيه مشيئته
المبنية على الحكم والمصالح ومحله الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف والجملة مستانفة مقررة لما قبلها او على انه نعت للموصول الاول
او بيان له او بدل منه وما بينهما ليس باجنبي لانه من تمام صلته ومغلوبيته مغمورة للكفرة مما لاريب فيه لقوله لهم من رب السموات
السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله ونظائره او مدح له بالرفع او بالنصب ولم يتخذ ولدا كما يزعم الذين يقولون في حق
المسيح والملائكة ما يقولون فسبحان الله عما يصفون وهو معطوف على ما قبله من الجملة الظرفية ونظمه في سلك الصلة للايذان
بان مضمونه من الوضوح والظهور بحيث لا يكاد يجهله جاهل لاسيما بعد تقرر ما قبله ولم يكن له شريك في الملك اي ملك السموات والارض
وهو ايضا عطف على الصلة وافراده بالذكر مع ان ما ذكر من اختصاص ملكهما به تعالى مستلزم له قطعا للتصريح ببطلان
زعم الثنوية القائلين بتعدد الالهة والرد في نحورهم وتوسيط نفي اتخاذ الولد بينهما للتنبيه على استقلاله واصالته
والاحتراز عن توهم كونه تتمة للاول وخلق كل شيء اي احدث كل موجود من الموجودات احداثا جاريا على سنن التقدير
حسبما اقتضته ارادته المبنية على الحكم البالغة بان خلق كلا منها من مواد مخصوصة على صور معينة ورتب فيه قوى
وخواص مختلفة الاثار والاحكام فقدره اي هيأه لما اراد به من الخصائص والافعال اللائقة به تقديرا بديعا
لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه كتهيئة الانسان للفهم والادراك والنظر والتدبر في امور المعاش والمعاد واستنباط
الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة وهكذا احوال سائر الانواع وقيل اريد بالخلق مطلق الايجاد و
الاحداث مجازا من غير ملاحظة معنى التقدير وان لم يخل عنه في نفس الامر فالمعنى اوجد كل شيء فقدره في ذلك الايجاد
واما ما قيل من انه سمي احداثه تعالى خلقا لانه تعالى لا يحدث شيئا الا على وجه التقدير من غير تفاوت ففيه ان ارتكاب المجاز
بحمل الخلق على مطلق الاحداث لتجريده عن معنى التقدير فاعتباره فيه بوجه من الوجوه مخل بالمرام قطعا وقيل المراد بالتقدير
الثاني هو التقدير للبقاء الى الاجل المسمى واياما كان فالجملة جارية مجرى التعليل لما قبلها من الجمل المنتظمة منها في سلك
الصلة فان خلقه تعالى لجميع الاشياء على ذلك النمط البديع كما يقتضي استقلاله تعالى باتصافه بصفات الالوهية
يقتضي انتظام الكل ما سواه كائنا ما كان كذلك فيتوهم كونه ولدا له سبحانه او شريكا في ملكه انتهى ابو السعود رحمه الله

سورة الفرقان مكية

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك اي تزايد خيره او تعظم وتقدس في صفاته وافعاله الذي نزل الفرقان اي القرآن بجبريل
مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما والقرآن يفصل بين الحق والباطل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم ليكون اي القرآن
او عبده للعالمين نذيرا اي منذرا يعني مخوفا للعاقلين من الانس والجن في زمانهم قوله الذي بدل من الذي نزل
ولم يمنعه الفصل لكون ليكون تعليلا لصلة الموصول المبدل منه فيكون من تمامها له ملك السموات والارض اي
خزائنهما ونفاذ الامر فيهما ولم يتخذ ولدا ليرث ملكه لانه حي لا يموت ولم يكن له شريك في الملك لينازعه وخلق اي احدث
كل شيء ينبغي ان يوجد فقدره اي فسواه وهياه لما يصلح له في بابي الدين والدنيا تقديرا اي تسوية محكمة للبقاء الى اجل
معلوم مفهوم عنده تعالى ثم اخبر ان الذين خلقهم لعبادته اشركوا عبادة غيره على عبادته بقوله واتخذوا الاية انتهى العيني

سورة الفرقان سبعون سبعون اية مكية بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك تفاعل من البركة وهي كثرة الخير وزيادته ومعنى تبارك الله
تزايد خيره وتكاثر او تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته و
افعاله وهي كلمة تعظيم لم تستعمل الا لله وحده والمستعمل منه الماضي
فحسب الذي نزل الفرقان هو مصدر فرق بين الشيئين
اذا فصل بينهما وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل والحلال
والحرام او لانه لم ينزل جملة ولكن مفروقا مفصولا بين بعضه
وبعض في الانزال الا ترى الى قوله وقرانا فرقناه لتقراه على الناس
على مكث ونزلناه تنزيلا على عبده محمد صلى الله عليه وسلم ليكون
العبد او الفرقان للعالمين للجن والانس وعموم الرسالة من
خصائصه صلى الله عليه وسلم نذيرا منذرا اي مخوفا او انذارا
كالنكير بمعنى الانكار ومنه قوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر
الذي رفع على انه خبر مبتدا محذوف او على الابدال من الذي
نزل وجوز الفصل بين البدل والمبدل منه بقوله ليكون
لان المبدل منه صلته نزل وليكون تعليل فكان المبدل منه
لم يتم الا به او نصب على المدح له ملك السموات والارض
على الخلوص ولم يتخذ ولدا كما زعم اليهود والنصارى
في عزير وعيسى عليهما السلام ولم يكن له شريك في الملك كما
زعمت الثنوية وخلق كل شيء اي احدث كل شيء وحده
لا كما يقول المجوس والثنوية من النور والظلمة ويزدان
واهرمن ولا شبهة فيه لمن لا يقول ان الله شيء ولا لمن
يقول بخلق القرآن لان الفاعل بجميع صفاته لا يكون
مفعولا له على ان لفظ شيء اختص بما يصح ان يخلق
بقرينة وخلق وهذا اوضح دليل لنا على المعتزلة في
خلق افعال العباد فقدره تقديرا فهياه لما يصلح
له بلا خلل فيه كما انه خلق الانسان على هذا الشكل الذي
تراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به في الدين
والدنيا او فقدره للبقاء الى امد معلوم انتهى المدارك

سورة الفرقان مكية سبعون وسبع ايات بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك تزايد خيره وتكاثر وتزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته
وافعاله وهي كلمة تعظيم لم تستعمل الا لله تعالى وحده والمستعمل منه الماضي
فحسب وترتيبه على انزال القرآن لما فيه من كثرة الخير الذي نزل الفرقان
ثم تنزيله في القرآن على عبده وقرئ على عباده وهم الرسول وامته
او المرسلين بالكتب السماوية على ان الفرقان اسم جنس لها ليكون العبد
او الفرقان للعالمين للثقلين نذيرا منذرا او انذارا كالنكير بمعنى
الانكار وهذه الجملة معلومة للرسول صلى الله عليه وسلم عام ولا يلزم
ان يكون القصة معلومة لكل احد الذي رفع على انه خبر مبتدا محذوف
او على الابدال من الذي نزل او على المدح او نصب عليه له ملك
السموات والارض على الخلوص ولم يتخذ ولدا كما زعم اليهود والنصارى
ومشركو العرب في عزير والمسيح والملائكة ولم يكن له شريك في الملك
كما زعمت الثنوية وخلق كل شيء لا كما قالت المجوس انه تعالى لم يخلق
الظلمة ولا كما قالت المعتزلة انه غير خالق لافعال العباد فقدره تقديرا
اي قدر كل شيء تقديرا يوافق الحكمة في خلقه والغلب لحافظ الفاصل
انتهى

فقدره تقديرا معدود من كل

سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون اية بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي نزل الفرقان البركة النماء والزيادة حسية كانت
او معنوية وكثرة الخير ودوامه ايضا ونسبتها الى الله تعالى
على المعنى الاول وهو الاليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه
في ذاته وصفاته وافعاله التي من جملتها تنزيل القرآن الكريم المعجز
الناطق بعلو شانه تعالى وسمو صفاته وابتناء افعاله على
اساس الحكم والمصالح وخلوها عن شائبة الخلل بالكلية
وصيغة التفاعل للمبالغة فيما ذكر فان ما لا يتصور نسبته اليه سبحانه
حقيقة من الصيغ كالتكبر ونحوه لا ينسب اليه تعالى الا باعتبار غاياتها
وعلى المعنى الثاني باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته لاسيما
على الانسان من فنون الخيرات التي من جملتها تنزيل القرآن المنطوي
على جميع الخيرات الدينية والدنيوية والصيغة حينئذ يجوز
ان يكون لافادة نماء تلك الخيرات وتزايدها شيئا فشيئا
وانا فانا بحسب حدوثها او حدوث متعلقاتها ولاستقلالها
بالدلالة على غاية الكمال وتحققها بالفعل والاشعار بالتعجب
المناسب للانشاء والانباء عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها في حق غيره تعالى ولا استعمال غيرها من الصيغ في حقه تعالى والفرقان مصدر
فرق بين الشيئين اي فصل بينهما سمي به القرآن لغاية فرقه بين الحق والباطل باحكامه او بين المحق والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا
بعضه عن بعض في نفسه او في انزاله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم وايراده صلى الله عليه وسلم بذلك العنوان لتشريفه والايذان بكونه
صلى الله عليه وسلم في اقصى مراتب العبودية والتنبيه على ان الرسول لا يكون الا عبدا للمرسل ردا على النصارى ليكون غاية للتنزيل
والضمير للعبد او للفرقان للعالمين من الثقلين نذيرا اي منذرا او انذارا مبالغا او ليكون تنزيله
انذارا وعدم التعرض للتبشير لانسياق الكلام على احوال الكفرة وتقديم اللام على عاملها لمراعاة الفواصل وابراز تنزيل
الفرقان في معرض الصلة التي لا جرائه مجرى العلوم المسلمة تنبيها على كمال قوة دلائله وكونه بحيث لا يكاد يجهله احد كقوله تعالى
لا ريب فيه الذي له ملك السموات والارض

واتخذوا الضمير للكافرين لدلالة نذيرا عليهم من دونه آلهة لما تضمن الكلام اثبات التوحيد والنبوة اخذ في الرد على المخالفين فيهما لا يخلقون شيئا وهم يخلقون وصف آلهتهم بما يدل على انها لا تستحق العبادة اي لا يقدرون على الخلق ومع ذلك هم مخلوقون وانما قال يخلقون اظهارا لتجدد حدوثها وفيه خطر لعدم استحقاقها العبادة ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ملكهما كناية عن القدرة على التصرف فيهما بالدفع والجلب فلا حاجة الى تقدير مضاف وتقديم الضر لان دفعه اهم من جلب النفع وانما قال لانفسهم اظهارا لغاية عجزهم فان من لا يقدر على ذلك في حق نفسه لا يقدر عليه في حق غيره بدون العكس ولا يملكون موتا قدمه على الحيوة على عكس ترتيب الوجود لتقديم الضر على النفع ولا حيوة ولا نشورا اراد به الاحياء بعد الموت اي انهم بمعزل عن الالوهية لعرائهم عن لوازمها واتصافهم بما ينافيها وجعلها كالعقلاء لزعم عابديها وقال الذين كفروا ان هذا القرآن الا افك كذب مصروف عن وجهه افتراه اختلقه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم واعانه عليه قوم آخرون اي اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم واحوال الاخبار وهو يعبر عنه بعبارته فقد جاؤا يستعمل في معنى فعل فيتعدى تعديته واما حذف الجار وايصال الفعل فلا بد فيه من السماع ظلما بجعل الكلام المعجز افكا مختلقا متلقفا من اليهود وزورا بنسبة ما هو بريء منه اليه والزور القول المائل عن القصد وقالوا اساطير الاولين ما سطره المتقدمون وقد مر بيان الاساطير اكتتبها اي كتبها لنفسه او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه امي واصله كاتب له فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل وبني الفعل للضمير فاستتر فيه فهي تملى عليه من كتابه ليحفظها فاني لا يقدر ان يكرر من الكتاب بكرة اول النهار والمراد من الاصيل آخره بقرينة المقابلة

واتخذوا الضمير للكافرين ممن اندرجهم تحت العالمين او للذين لانه نذيرا لهم المنذر عنه من دونه آلهة اي الاصنام لا يخلقون شيئا وهم يخلقون اي انهم اثروا على عبادة من هو متفرد بالالوهية والملك والخلق والتقدير عبادة عجزة لا يقدرون على خلق شيء ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا لا يستطيعون لانفسهم دفع ضر عنها ولا جلب نفع اليها ولا يملكون موتا اماتة ولا حيوة احياء ولا نشورا احياء بعد الموت وجعلها كالعقلاء لزعم عابديها قال صاحب المعالم اي بعثا بعد الموت وقال صاحب التيسير انشاء بعد موته والاسكت يقدر على ذلك قيل هو الصحيح دخل في ذلك الملائكة والانبياء ولذلك جميع افعالهم بالواو والنون وعلى هذا معنى ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا اي لا يملكون ذلك لانفسهم بل بتمليك الله وقال الذين كفروا ان هذا ما هذا القرآن الا افك كذب افتراه اختلقه واخترعه محمد من عند نفسه واعانه عليه قوم آخرون اي اليهود او عداس ويسار وابو فكيهة الرومي قاله النضر بن الحارث فقد جاؤا ظلما وزورا هذا اخبار من الله تعالى ردا للكفرة فيرجع الضمير الى الكفار وجاء يستعمل في معنى فعل فيتعدى تعديته او حذف الجار واوصل الفعل اي بظلم وظلمهم ان جعلوا العربي من العجمي الرومي كلاما عربيا اعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب والزور ان بهتوه بنسبة ما هو بريء منه اليه وقالوا اساطير الاولين اي هو احاديث المتقدمين وما سطروه كرستم وغيره جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة اكتتبها كتبها لنفسه فهي تملى عليه اي تلقى عليه من كتابه بكرة واصيلا اي غدوة وعشيا ليحفظ ما يملى عليه ثم يتلوه علينا

قوله قوم آخرون قال مجاهد يعني اليهود وقال الحسن عبيد بن حضر الحبشي الكاهن وقيل جبر ويسار وعداس وهم عبيد كانوا من اهل الكتاب فزعم المشركون ان محمدا يأخذ منهم قال الله تعالى فقد جاؤا يعني قائلي هذه المقالة ظلما وزورا اي بظلم وزور فلما حذف الباء انتصب اي جاؤا شركا وكذبا بنسبتهم كلام الله تعالى الى الافك والافتراء وقالوا اساطير الاولين اكتتبها يعني النضر بن الحارث كان يقول هذا القرآن ليس من الله وانما هو مما سطره الاولون مثل حديث رستم واسفنديار اكتتبها انتسخها محمد من جبر ويسار وعداس ومعنى اكتتب اي طلب ان تكتب له لانه كان لا يكتب فهي تملى عليه اي تقرأ عليه ليحفظها لا ليكتبها معالم

واتخذوا من دونه آلهة بعدما بين حقيقة الحق في مطلع السورة الكريمة بذكر تنزيله للفرقان العظيم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفه بصفات الكمال وتنزيهه عما لا يليق بشأنه الجليل عقب ذلك بحكاية اباطيل المشركين في حق المنزل سبحانه والمنزل عليه على الترتيب واظهار بطلانها والالتفات من غير جريان ذكرهم للتنبيه بدلالة ما قبله من نفي الشريك عليهم اي اتخذوا لانفسهم متجاوزين الله الذي ذكر بعض شؤونه العظيمة من اختصاص ملك السموات والارض به تعالى وانتفاء الولد والشريك منه وخلق جميع الاشياء وتقديرها ابدع تقدير آلهة لا يخلقون شيئا اي لا يقدرون على خلق شيء من الاشياء اصلا وهم يخلقون كسائر المخلوقات وقيل لا يقدرون على ان يخلقوا شيئا وهم يخلقون حيث يخلقهم عبدتهم بالنحت والتصوير وقوله ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا لبيان ما لم يدل عليه ما قبله من مراتب عجزهم وضعفهم فان بعض المخلوقين العاجزين عن الخلق ربما يملك دفع الضر وجلب النفع في الجملة كالحيوان وهؤلاء لا يقدرون على التصرف في ضر ما ليدفعوه عن انفسهم ولا في نفع ما حتى يجلبوه اليهم

كيف يملكون شيئا منهما لغيرهم وتقديم ذكر الضر لان دفعه مع كونه اهم في نفسه اول مراتب النفع واقدمها والتنصيص على ذلك ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا اي لا يقدرون على التصرف في شيء منها بامانة الاحياء واحياء الموتى وبعثهم تعديد لعجزهم عما هو اهون من هذه الامور من دفع الضر وجلب النفع للتصريح بعجزهم عن كل واحد مما ذكر على التفصيل والتنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على جميع ذلك وفيه ايذان بغاية جهلهم وسخافة عقولهم كانهم غير عارفين بانتفاء ما نفي عن آلهتهم من الامور المذكورة مفتقرون الى التصريح بذلك وقال الذين كفروا ان هذا الا افك شروع في حكاية اباطيلهم المتعلقة بالمنزل والمنزل عليه معا وابطالها والموصول عبارة عن غلاتهم في الكفر والطغيان وهم النضر بن الحارث وعبد الله بن امية ونوفل بن خويلد ومن ضاهاهم وروي عن الكلبي ومقاتل ان القائل هو النضر بن الحارث والجمع لمشايعة الباقين له في ذلك وانما عبر عنهم ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة والايذان بان ما تفوهوا به كفر عظيم وفي كلمة هذا حط لرتبة المشار اليه اي ما هذا الا كذب مصروف عن وجهه افتراه يريدون انه اختلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم واعانه عليه اي على اختلاقه قوم آخرون يعنون اليهود بان يلقوا اليه اخبار الامم الدارجة وهو يعبر عنها بعبارته وقيل هما جبر ويسار كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التورية والانجيل وقيل هو عداس وقد مر تفصيله في سورة النحل فقد جاؤا ظلما منصوب بجاؤا فان جاء واتى يستعملان بمعنى فعل فيعديان تعديته او بنزع الخافض اي بظلم قاله الزجاج والتنوين للتفخيم اي جاؤا بما قالوا ظلما هائلا عظيما لا يقادر قدره حيث جعلوا الحق البحت الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه افكا مفترى من قبل البشر وهو من جهة نظمه الرائق وطرزه الفائق بحيث لو اجتمعت الانس والجن على مباراته لعجزوا عن الاتيان بمثل آية من آياته ومن جهة اشتماله على الحكم الخفية والاحكام المستتبعة للسعادات الدينية والدنيوية والامور الغيبية بحيث لا يناله عقول البشر ولا تفي بفهمه القوى والقدر وزورا اي كذبا كبيرا لا يبلغ غايته حيث نسبوا اليه صلى الله عليه وسلم ما هو بريء منه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على انها امران متغايران حقيقة يقع احدهما عقيب الآخر او يحصل بسببه بل على ان الثاني هو عين الاول حقيقة وانما الترتيب بحسب التغاير الاعتباري وقد لتحقيق ذلك المعنى فان ما جاؤه من الظلم والزور هو عين ما حكي عنهم لكنه لما كان مغايرا له في المفهوم واظهر منه بطلانا رتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملزوم تهويلا لامره وقالوا اساطير الاولين بعدما جعلوا الحق الذي لا محيد عنه افكا مختلقا باعانة البشر بينوا على زعمهم الفاسد كيفية الاعانة الاساطير جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة وهي ما سطره المتقدمون من الخرافات اكتتبها اي كتبها لنفسه على الاسناد المجازي او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه صلى الله عليه وسلم امي واصله اكتتبها له كاتب فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل لعدم تعلق الغرض العلمي بخصوصه وبني الفعل للضمير المنفصل فاستتر فيه فهي تملى عليه اي تلقى عليه تلك الاساطير بعد اكتتابها ليحفظها من افواه من يمليها عليه من ذلك المكتتب لكونه اميا لا يقدر على ان يتلقاها منه بالقراءة او تملى على الكاتب على ان معنى اكتتبها اراد اكتتابها او استكتابها ورجع الضمير المجرور اليه صلى الله عليه وسلم لاسناد الكتابة في ضمن الاكتتاب اليه صلى الله عليه وسلم بكرة واصيلا اي دائما او خفية قبل انتشار الناس وحين يأوون الى مساكنهم انظر الى هذه الرتبة من الجراءة العظيمة قاتلهم الله انى يؤفكون

اسمعي ابو السعود رحمه الله

ان الذين خلقهم لعبادته اثروا عبادة غيره على عبادته بقوله واتخذوا من دونه آلهة يعبدونهم من الاصنام وغيرها كعيسى لا يخلقون شيئا وهم يخلقون اي لا يقدرون على خلق شيء من الاشياء لانهم عجزة ولا يملكون لا يستطيعون لانفسهم ضرا اي دفع ضر عنها ولا نفعا اي جلب نفع اليها ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا لا يقدرون على اماتة احد ولا احيائه ولا على بعث الاموات لانهم عجزة فكيف يعبدونهم وقال الذين كفروا ان هذا اي ما القرآن الا افك اي كذب افتراه محمد صلى الله عليه وسلم واعانه عليه قوم آخرون اي اليهود او عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار وجبر وهم كانوا بمكة فقد جاؤا ظلما اي كفرا وزورا اي كذبا بنسبتهم القرآن الى غير قائله وقالوا اي المشركون القرآن اساطير الاولين اي ما سطره المتقدمون من نحو احاديث رستم واسفنديار جمع اسطورة كاحدوثة اكتتبها اي انتسخها محمد صلى الله عليه وسلم من جبر واصحابه وهو حال بتقدير قد اي اساطير مكتتبة وقيل اصل النظم ان يقال املت عليه فهو ما اكتتبها واجيب ان المعنى انه طلب من يكتبها له

والرحمة المستبعتين للتأخير فلذلك لا يعجل بعقوبتكم على ما تقولون في حقه مع كمال استيجابكم اياها وغاية قدرته تعالى عليها

وقالوا ما لهذا الرسول شروع في حكاية جناياتهم المتعلقة بخصوصية المنزل عليه وما استفهامية بمعنى انكار الوقوع ونفيه مرفوعة على الابتداء خبرها ما بعدها من الجار والمجرور وفي هذا تصغير لشانه صلى الله عليه وسلم وتسميته رسولا لاجل الاستهزاء به صلى الله عليه وسلم كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم وقوله تعالى يأكل الطعام حال من الرسول والعامل فيها ما عمل في الجار من معنى الاستقرار اي اي شيء واي سبب حصل لهذا الذي يدعي الرسالة حال كونه يأكل الطعام كما نأكل ويمشي في الاسواق لابتغاء الارزاق كما نفعله على توجيه الانكار والنفي الى السبب فقط مع تحقق المسبب الذي هو مضمون الجملة الحالية كما في قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون وقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فكما ان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء امر محقق قد انكر واستبعد تحققه لانتفاء سببه بل لوجود سبب نقيضه كذلك كل من الاكل والمشي امر محقق قد استبعد تحققه لانتفاء سببه بل لوجود سبب عدمه خلا ان استبعاد المسبب وانكار السبب ونفيه في عدم الايمان وعدم الرجاء بطريق التحقيق وفي الاكل والمشي بطريق التهكم والاستهزاء فانهم لا يستبعدونهما ولا ينكرون سببهما حقيقة بل هم معترفون بوجودهما وتحقق سببهما وانما الذي يستبعدونه الرسالة المنافية لهما على زعمهم يعنون انه ان صح ما يدعيه فما باله لم يخالف حاله حالنا وما هو الا لعمههم وركاكة عقولهم وقصور انظارهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو بامور نفسانية كما اشير اليه بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لولا انزل اليه ملك اي على صورته وهيئته فيكون معه نذيرا تنزل منهم من اقتراح ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والشرب الى اقتراح ان يكون معه ملك يصدقه ويكون ردءا له في الانذار وهو يعبر عنه ويفسر ما يقوله للعامة وقوله تعالى او يلقى اليه كنز تنزل من تلك المرتبة الى اقتراح ان يلقى اليه من السماء كنز يستظهر به ولا يحتاج الى طلب المعاش ويكون دليلا على صدقه وقوله تعالى او يكون له جنة يأكل منها تنزل من ذلك الى اقتراح ما هو اقرب من الوقوع وقرئ نأكل بنون الحكاية وفيه مزيد مكابرة وفرط تحكم وقال الظالمون هم القائلون الاولون وانما وضع المظهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد فيما قالوا لكونه اضلالا خارجا عن حد الضلال مع ما فيه من نسبته صلى الله عليه وسلم الى المسحورية اي قالوا للمؤمنين ان تتبعون اي ما تتبعون الا رجلا مسحورا قد سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهي الرئة اي بشرا لا ملكا على ان الوصف لزيادة التقرير والاول هو الانسب بحاله انظر كيف ضربوا لك الامثال استعظام للاباطيل التي اجترؤا على التفوه بها وتعجيب منها اي انظر كيف قالوا في حقك تلك الاقاويل العجيبة الخارجة عن العقول الجارية لغرابتها مجرى الامثال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال الشاذة البعيدة من الوقوع فضلوا اي عن طريق المحاجة حيث لم يأتوا بشيء يمكن صدوره عمن له ادنى عقل وتمييز فبقوا متحيرين فلا يستطيعون سبيلا الى القدح في نبوتك بان يجدوا قولا يستقرون عليه وان كان باطلا في نفسه او فضلوا عن الحق ضلالا مبينا فلا يجدون طريقا موصلا اليه فان من اعتاد استعمال امثال هذه الاباطيل لا يكاد يهتدي الى استعمال المقدمات الحقة

انتهى ابو السعود رحمه

قل يا محمد انزله الذي يعلم السر اي كل سر خفي في السموات والارض فلو تقولون عليه لعلمه فيعاقبه باشد العقاب ومن جملته ما تسرونه من الكيد لرسوله صلى الله عليه وسلم مع ان قولكم باطل وزور في حقه فيجازيكم عليه انه كان غفورا رحيما فلهذا لا يعاجل مع استحقاقكم ان يصب عليكم العذاب صبا وقيل معناه ارجعوا عن القول الباطل وتوبوا فانه يعلم السر ويغفر لمن تاب ويرحم لمن اطاعه ويقدر على العقوبة والرحمة ولا يرحم ولا يعاقب الا القادر عليهما وقالوا اي الكافرون متحكمين ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق مثلنا لطلب المعاش والرسالة تنافيه يعنون انه كان يجب ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش وهو جهل اما اكله عليه السلام الطعام فلانه بشر واما مشيه في الاسواق فلتعففه وحاجته تواضعا وهما لا ينافيان الرسالة ثم نزلوا عن اقتراحهم كونه ملكا الى كونه انسانا معه ملك فقالوا لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا يصدقه بنصب فيكون جواب حرف التحضيض وهو لولا بمعنى هلا او يلقى اليه بالرفع عطف على انزل اي لولا يلقى اليه كنز من السماء يستغني به في مصالحه او لولا تكون له جنة اي بستان يأكل منها بالياء والنون المعنى انه ليس ملكا ولا ملكا ولا غنيا فهو دوننا فكيف نتبعه وقال الظالمون اي المشركون ان تتبعون اي ما تطيعون يا اصحاب محمد الا رجلا مسحورا اي مغلوب العقل او ذا سحر وهي الرئة او مخدوعا قال تعالى انظر كيف ضربوا لك الامثال اي قالوا فيك تلك الاقوال والصفات النادرة كالامثال فضلوا اي بقوا متحيرين ضلالا عن الهدى فلا يستطيعون سبيلا اليه

انتهى العيون

قل يا محمد انزله الذي يعلم السر في السموات والارض اي يعلم كل سر خفي في السموات والارض يعني ان القرآن لما اشتمل على علم الغيب التي يستحيل عادة ان يعلمها محمد من غير تعليم دل ذلك على انه من عند علام الغيوب انه كان غفورا رحيما فيمهلهم ولا يعاجلهم بالعقوبة وان استوجبوها بمكابرتهم وقالوا مال هذا الرسول وقعت اللام في المصحف مفصولة عن الهاء وخط المصحف سنة لا تغير وتسميتهم اياه بالرسول سخرية منهم كانهم قالوا اي شيء لهذا الزاعم انه الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق حال والعامل فيه هذا لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة يأكل منها ان صح انه رسول فما باله يأكل الطعام كما نأكل ويتردد في الاسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون انه كان يجب ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش ثم نزلوا عن ذلك الاقتراح الى ان يكون انسانا معه ملك حتى يتساندا في الانذار والتخويف ثم نزلوا الى ان يكون مرفودا بكنز يلقى اليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم نزلوا الى ان يكون رجلا له بستان يأكل منه كالمياسير او نأكل نحن بقراءة علي وحمزة وحسن عطف المضارع وهو يلقى ويكون على انزل وهو ماض لدخول المضارع وهو فيكون بينهما وانتصب فيكون على القراءة المشهورة لانه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام واراد بالظالمين بقوله وقال الظالمون اياهم باعيانهم غير انه وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوا وهم كفار قريش ان تتبعون الا رجلا مسحورا سحر فجن او ذا سحر وهو الرئة عنوا انه بشر لا ملك انظر كيف ضربوا لك الامثال اي قالوا فيك تلك الاقوال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال من المفترى والمملى عليه والمسحور فضلوا عن الحق فلا يستطيعون سبيلا فلا يجدون طريقا اليه

انتهى المدارك

قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض والسر الخفاء المعنى في القلب والمراد ما في السموات والارض من خفايا الاحوال يعني ان في القرآن اخبارا مما لا يعلمه الا الله تعالى من الجنة والنار وما فيهما ولا تعرض لما في التورية والانجيل ولو كان ماخوذا منهما لما في ايدي اليهود والنصارى لم يزد على ما فيهما وايضا فيه اخبار عن الحوادث السموية والارضية قبل حدوثها وليس فيه احتمال الاخذ من كتب المتقدمين انه كان غفورا ساتر للذنوب ومؤخر للانتقام رحيما بالامهال وعدم الاستعجال واقرار الانعام ليتوب بعضهم ويرجع عن الاصرار ويخرج من اصلاب المصرين اصحاب الاعتبار والاختيار وكان لافادة الدلالة على العادة وقالوا ما ل وقعت اللام في المصحف مفصولة عن الهاء وخط المصحف سنة لا تغير هذا الرسول ما لهذا الذي يزعم انه رسول وفيه استهانة وتهكم يأكل الطعام ويمشي في الاسواق حال والعامل فيه هذا والجملة الاولى كناية عن غاية الاكل ولا يخفى ما فيه من تقبيح الكل الذي تقتضيه سياق الكلام والثانية عن الغرض من المشي في الاسواق وهو طلب اسباب المعاش اي ان صح انه رسول الملك المتعال فما باله يفعل هذه الافعال يعنون انه كان يجب ان يكون ملكا بريئا عن لوازم البشرية ثم تنزلوا عن ذلك الاقتراح الى اقتراح ان يكون انسانا معه ملك حتى يتساندا في الانذار بقولهم لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ثم تنزلوا الى ان يكون مرفودا بكنز يلقى اليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش فقالوا او يلقى اليه كنز ثم تنزلوا فقالوا او يكون له جنة يأكل منها اي ان لم يلق اليه كنز فلا اقل ان يكون له بستان كما للدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه وحسن عطف المضارع وهو يلقى ويكون على انزل وهو ماض دخول المضارع وهو فيكون بينهما وانتصب فيكون لانه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام واراد بالظالمين بقوله وقال الظالمون اياهم باعيانهم غير انه وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم ان تتبعون الا رجلا مسحورا سحر فغلب على عقله فيتخيل اليه الشيطان ملكا وكلامه وحيا انظر كيف ضربوا لك الامثال اي قالوا فيك تلك الامثال الغريبة واخترعوا لك تلك الاحوال النادرة فضلوا عن طريق الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا الى طعن موجه فيتمن اقوال فبقوا كالمتحير في امره لا يدري ما يصنع او فلا يجدون سبيل هدايته ولا يطيقونه لالتباسه عليهم

انتهى ابن كمال

قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض وصفه تعالى باحاطة علمه بجميع المعلومات الجلية والخفية ردا عليهم وتحقيقا للحق للايذان بانطوائه ما انزله على اسرار مطوية عن عقول البشر مع ما فيه من التعريض بمجازاتهم بجناياتهم المحكية التي هي من جملة معلوماته تعالى اي ليس ذلك مما يفترى ويفتعل باعانة قوم وكتابة آخرين من الاحاديث الملفقة واساطير الاولين بل هو امر سماوي انزله الله الذي لا يعزب عن علمه شيء من الاشياء واودع فيه فنون الحكم والاسرار على وجه بديع لا تحوم حوله الاوهام حيث اعجزكم قاطبة بفصاحته وبلاغته واخبركم بمغيبات مستقبلة وامور مكنونة لا يهتدى اليها ولا يوقف عليها الا بتوفيق العليم الخبير وقد جعلتموه افكا مفترى من قبيل الاساطير واستوجبتم بذلك ان يصب عليكم سوط العذاب صبا فقوله تعالى انه كان غفورا رحيما تعليل لما هو المشاهد من تاخير العقوبة اي انه تعالى ازلا وابدا مستمر على المغفرة

تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك اي تكاثر خير الذي
ان شاء وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا ولكن اخره الى الاخرة
لانه خير وابقى وقوله جنات تجري من تحتها الانهار بدل من خيرا
ويجعل لك قصورا عطف على محل الجزاء وقرئ بالرفع لان الشرط
اذا وقع ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع ويجوز ان يكون
استيناف بوعد ما يكون له في الاخرة وقرئ بالنصب على انه
جواب الشرط بالواو بل كذبوا بالساعة عطف على ما حكي عنهم
يقول بل اتوا باعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة
او متصل بما يليه كانه قال بل كذبوا بالساعة وكيف يلتفتون
الى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في
الاخرة وهم لا يؤمنون واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا
وهيأنا للمكذبين بها نارا شديدة الاستعار والاسعار تهيج
النار لشدة الايقاد اذا رأتهم اذا قابلتهم وصارت منهم
بقدر ما يرى منهم الرائي كقولهم دورهم تتراءى اي تتناظر
وتتقابل بحيث يكون احدهما بمرأى من الاخرى على المجاز والتانيث
لانه بمعنى النار او جهنم من مكان بعيد هو اقصى ما يمكن ان يرى منه
سمعوا لها تغيظا وزفيرا صوت تغيظ شبه غليانها
بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا
ما يتراءى في بادي النظر والذي يظهر عند التأمل هو انه
من قبيل المجاز التمثيلي الشائع في كلام البلغاء شبهت النار
بمن له تلك الحال وذلك في غاية البلاغة فمفردات الكلام
على حالها وانما الحالها دون منها او فيها تنصيصا على ما به
يتم التمثيل وهو ان يكون التغيظ والزفير لها لا لما فيها
واذا القوا منها بيان تقدم فصار حالا مكانا في مكان ضيقا
لزيادة العذاب فان الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه يضيق عليهم كما يضيق الزج بالرمح
مقرنين قرنت ايديهم الى اعناقهم في الاغلال او يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي ارجلهم الاصفاد دعوا هنالك
ثبورا هلاكا اي يتمنون الهلاك وينادونه فيقولون واثبوراه اي تعال يا ثبور فهذا حينك فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثبورا
واحدا وادعوا ثبورا كثيرا اي وهم احقاء بان يقال لهم ذلك وان لم يكن هناك قول اي لا تقتصروا على حزن واحد بل احزنوا
حزنا كثيرا وكثرته اما لديمومة العذاب متجددا واما لانه انواع وكل نوع منه يكون ثبورا لشدته وفظاعته

تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها
الانهار ويجعل لك قصورا اي تكاثر خير الذي ان شاء وهب لك
في الدنيا خيرا مما قالوا وهو ان يعجل لك مثل ما وعدك في الاخرة من الجنات
والقصور وجنات بدل من خيرا ويجعل بالرفع مكي وعلى جبهير
وشامي وهو ابن عامر وابو بكر لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز
في جزائه الرفع والجزم بل كذبوا بالساعة عطف على ما حكي عنهم
يقول بل اتوا باعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة
او متصل بما يليه كانه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون
الى هذا الجواب وكيف يصدقونه بتعجيل ما وعدك في الاخرة وهم
لا يؤمنون بها واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا وهيأنا
للمكذبين بها نارا شديدة في الاستعار اذا رأتهم النار اي
قابلتهم من مكان بعيد اي كانت منهم بمرأى الناظر في البعد
سمعوا لها تغيظا وزفيرا اي سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك
بصوت المتغيظ والزافر او اذا رأتهم زبانيتها تغيظوا
وزفروا غضبا على الكفار واذا القوا منها من النار مكانا
ضيقا الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة ولذا وصف
الجنة بان عرضها السموات والارض وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح مقرنين اي وهم مع ذلك
الضيق مسلسلون مقرنون في السلاسل قرنت ايديهم الى
اعناقهم في الاغلال او يقرن مع كل كافر شيطانه في كل سلسلة
وفي ارجلهم الاصفاد دعوا هنالك في ثبورا هلاكا اي
قالوا واثبوراه اي تعالي يا ثبور فهذا حينك فيقال لهم
لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا اي انكم
وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو كثير انتهى المدارك

تبارك الذي اي تكاثر وتزايد خير الذي ان شاء جعل لك في الدنيا عاجلا شيئا خيرا لك من ذلك الذي اقترحوه من ان يكون لك جنة تأكل منها
جنات تجري من تحتها الانهار بدل من خيرا وتحقيق لخيريته مما قالوا لان ذلك كان مطلقا عن قيد التعدد
مثل ما وعدك في الاخرة ودوله من جريان الانهار الذي هو جعل وقرئ بالرفع عطفا على تقدير لان الشرط اذا كان ماضيا جاز في جزائه
الانهار ويجعل لك قصورا عطف على محل الجزاء الذي هو جعل وقرئ بالرفع عطفا على تقدير ويجوز ان يكون استينافا بوعد ما يكون له في الاخرة
كما في قول القائل وان اتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم
وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو لتعليق ذلك بمشيئته تعالى للايذان بان عدم جعلها بمشيئته المبنية على الحكم والمصالح
التعرض لجواب الاقتراح في الاولين للتنبيه على خروجها عن دائرة العقل واستغنائهما عن الجواب لظهور بطلانهما ومنافاتهما للحكمة
التشريعية وانما الذي له وجه في الجملة هو الاقتراح الاخير فانه غير مناف للحكمة بالكلية فان بعض الانبياء عليهم السلام قد اوتي
في الدنيا مع النبوة ملكا عظيما بل كذبوا بالساعة اضراب عن توبيخهم بحكاية جناياتهم السابقة وانتقال منه الى توبيخهم بحكاية
الاخرى للتخلص الى بيان ما لهم في الاخرة بسببها من فنون العذاب بقوله تعالى واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا الى اخره

تبارك الذي اي تكاثر خيره الذي ان شاء جعل لك اي وهب لك في الدنيا خيرا من ذلك اي مما قالوا وهو ان يعجل لك مثل ما وعدك
في الاخرة من جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا في الدنيا او في الاخرة بالجزم عطف على محل جواب الشرط وبالرفع
على جعل لان الشرط ماض فجاز الوجهان في جزائه الجزم والرفع عن النبي صلى الله عليه وسلم عرض علي ربي ليجعل بطحاء مكة
ذهبا فقلت لا يا رب ولكن اشبع يوما واجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت حمدتك
بل كذبوا بالساعة اي ما صدقوك بل كذبوا بالساعة اي بيوم القيمة وهو اعجب من ذلك كله فكيف
يلتفتون الى هذا الجواب الذي هو تعجيل مثل ما وعدك في الاخرة وهم لا يؤمنون بها واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا
نارا شديدة الاشتعال قوله اذا رأتهم من مكان بعيد صفة سعيرا اي اذا كانت السعير منهم بمرأى الناظر في البعد
مسيرة خمسمائة سنة سمعوا لها اي منها تغيظا اي غليانا يعني صوت غليانها وشبه ذلك بصوت
المتغيظ والزافر طلبا للانتقام منهم وزفيرا وهو اول صوت الحمار واذا القوا منها اي من السعير وهو حال من مكانا
ضيقا اي في مكان جهنم يضيق عليهم اذا القوا فيها كما يضيق الزج في الرمح فيكون اشد لعذابهم مقرنين اي وهم مع ذلك
مقرنون مع شياطينهم في السلاسل روي ان كل كافر يقرن معه شيطانه في سلسلة دعوا هنالك ثبورا اي هلاكا
ويقولون واثبوراه اي تعال يا ثبور فهذا حينك فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا لان عذابكم انواع
لا يفني وادعوا ثبورا كثيرا لانكم وقعتم في عذاب لا يكفي فيه ثبور واحد
انتهى العيون

واعتدنا لهم نارا عظيمة شديدة الاشتعال شأنها كيت وكيت بسبب تكذيبهم بها على ما يشعر به وضع الموصول موضع ضميرهم او لكل من
كذب بها كائنا من كان وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا ووضع الساعة موضع ضميرها للمبالغة في التشنيع ومدار اعتاد السعير لهم
وان لم يكن مجرد تكذيبهم بالساعة بل مع تكذيبهم بسائر ما جاء به الشريعة الشريفة لكن الساعة لما كانت هي العلة القريبة لدخولهم السعير
اشير الى سببية تكذيبها لدخولها وقيل هو عطف على قالوا ما لهذا الخ على معنى بل اتوا بأعجب من ذلك حيث كذبوا بالساعة
وانكروها والحال انا قد اعتدنا لكل من كذب بها سعيرا فان جرأتهم على التكذيب بها وعدم خوفهم مما اعد لمن كذب بها من انواع
العذاب اعجب من القول السابق وقيل هو متصل بما قبله من الجواب المبني على التحقيق المنبئ عن الوعد بالجنات
في الآخرة مسوق لبيان ان ذلك لا يجدي نفعا ولا يحلي بطائل على طريقة قول من قال عوجوا لنعم فحيوا دمنة الدار
ماذا تحيون من نؤي واحجار والمعنى انهم لا يؤمنون بالساعة فكيف يقتنعون بهذا الجواب وكيف يصدقون
بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وقيل المعنى بل كذبوا بها فقصرت انظارهم على الحظوظ الدنيوية وظنوا ان الكرامة
ليست الا بالمال وجعلوا فقرك ذريعة الى تكذيبك وقوله تعالى **اذا رأتهم** الخ صفة للسعير اي اذا كانت منهم بمرأى
الناظر في البعد كقوله صلى الله عليه وسلم لا تتراءى ناراهما اي لا تتقاربان بحيث تكون احديهما بمرأى من الاخرى على المجاز
كأن بعضها يرى البعض ونسبة الرؤية اليها لا اليهم للايذان بأن التغيظ والزفير منها لهيجان غضبها عليهم عند رؤيتها
اياهم حقيقة او تمثيلا وفي قوله تعالى **من مكان بعيد** اشعار بأن بعد ما بينها وبينهم من المسافة حين رأتهم خارج
عن حدود البعد المعتاد في المسافات المعهودة وفيه مزيد تهويل لامرها قال الكلبي والسدي من مسيرة عام وقيل من
مسيرة مائة سنة **سمعوا لها تغيظا وزفيرا** اي صوت تغيظ على تشبيه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت
يسمع من جوفه هذا وان الحيوة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله تعالى فيها حيوة فترى وتتغيظ وتزفر
وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف المضاف **اذا القوا منها مكانا** نصب على الظرفية ومنها حال منه لانه في الاصل
صفة له **ضيقا** صفة لمكانا مفيدة لزيادة شدة فان الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة وهو السر في وصف الجنة
بأن عرضها السموات والارض وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله تعالى عنهم تضيق جهنم عليهم كما يضيق الزج على الرمح وسئل النبي
صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال والذي نفسي بيده انهم يستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط قال الكلبي
الاسفلون يرفعهم اللهب والاعلون يحطهم الداخلون فيزدحمون فيها وقرئ ضيقا بسكون الياء **مقرنين** حال
من مفعول القوا اي اذا القوا منها مكانا ضيقا حال كونهم مقرنين قد قرنت ايديهم الى اعناقهم بالجوامع وقيل
مقرنين مع الشياطين كل كافر مع شيطانه وفي ارجلهم الاصفاد **دعوا هنالك** اي في ذلك المكان الهائل
والحالة الفظيعة **ثبورا** اي يتمنون هلاكا وينادونه يا ثبوراه تعال فهذا حينك واوانك **لا تدعوا اليوم**
ثبورا واحدا على تقدير قول اما منصوب على انه حال من فاعل دعوا اي دعوه مقولا لهم ذلك حقيقة بأن يخاطبهم
الملائكة به لتنبيههم على خلود عذابهم وانهم لا يجابون الى ما يدعونه ولا ينالون ما يتمنونه من الهلاك المنجي او
تمثيلا وتصويرا لحالهم بحال من يقال له ذلك من غير ان يكون هناك قول ولا خطاب اي دعوه حال كونهم احقاء
بأن يقال لهم ذلك واما مستأنف وقع جوابا عن سؤال ينسحب عليه الكلام كأنه قيل فماذا يكون عند دعائهم
المذكور فقيل يقال لهم ذلك اقناطا لهم عما علقوا به اطماعهم من الهلاك وتنبيها على ان عذابهم الملجئ لهم الى استدعاء
الهلاك بالمرة ابدي لا خلاص لهم منه اي لا تقتصروا على دعاء ثبور واحد **وادعوا ثبورا كثيرا** اي بحسب كثرة
الدعاء المتعلق به لا بحسب كثرته في نفسه فان ما يدعونه ثبور واحد في حد ذاته لكنه كلما تعلق به دعاء
من تلك الادعية الكثيرة صار كأنه ثبور مغاير لما تعلق به دعاء آخر منها وتحقيقه لا تدعوه دعاء واحدا وادعوه
ادعية كثيرة فان ما انتم فيه من العذاب لغاية شدته وطول مدته مستوجب لتكرير الدعاء في كل آن وهذا
ادل على فظاعة العذاب وهوله من جعل تعدد الدعاء وتجدده لتعدد العذاب بتعدد انواعه والوانه او
لتعدده بتجدد الجلود كما لا يخفى واما ما قيل من ان المعنى انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير
اما لان العذاب انواع والوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته او لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها
فلا غاية لهلاكهم فلا يلائم المقام كيف لا وهم انما يدعون هلاكا ينهي عذابهم وينجيهم منه فلا بد ان يكون الجواب
اقناطا لهم عن ذلك ببيان استحالته ودوام ما يوجب استدعاءه من العذاب الشديد وتقييد النهي والامر
باليوم لمزيد التهويل والتفظيع والتنبيه على انه ليس كسائر الايام المعهودة انتهى ابو السعود

على ربك وعدا مسئولا اى موعودا حقيقا بان يسئال ويطلب لكونه مما يتنافس فيه المتنافسون او مسئولا يسأله الناس
فى دعائهم بقولهم ربنا اتنا ما وعدتنا على رسلك او الملائكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم وما
فى على من معنى الوجوب لامتناع الخلف فى وعده تعالى ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة
بالموعود متقدم على الوعد الموجب للانجاز • وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
من تشريفه والاشعار بانه عليه السلام هو الفائز اثر ذى اثير بمغانم الوعد الكريم ما لا يخفى ويوم يحشرهم نصب
على انه مفعول لمضمر مقدم معطوف على قوله قل اذلك الخ اى واذكر لهم بعد التقريع والتحسير يوم يحشرهم
الله عز وجل • وتعليق التذكير باليوم مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث الهائلة قد مر وجهه
غير مرة او على انه ظرف لمضمر مؤخر قد حذف للتنبيه على كمال هوله وفظاعة ما فيه والايذان بقصور العبارة
عن بيانه اى يوم يحشرهم يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفى ببيانه المقال • وقرئ بنون العظمة بطريق
الالتفات من الغيبة الى التكلم وبكسر الشين ايضا وما يعبدون من دون الله اريد به ما يعم العقلاء وغيرهم
اما لان كلمة ما موضوعة للكل كما ينبئ عنه انك اذا رايت شبحا من بعيد تقول ما هو او لانه اريد به الوصف
لا الذوات كانه قيل ومعبوديهم او لتغليب الاصنام على غيرها تنبيها على انهم مثلها فى السقوط عن رتبة المعبودية
او اعتبارا لغلبة عبدتها او اريد به الملائكة والمسيح وعزير بقرينة السؤال والجواب • او الاصنام ينطقها الله
تعالى او تكلم بلسان الحال كما قيل فى شهادة الايدى والارجل فيقول اى الله عز وجل للمعبودين اثر حشر الكل
تقريعا للعبدة وتبكيتا لهم • وقرئ بالنون كما عطف عليه • وقرئ هذا بالياء والاول بالنون على طريق الالتفات
الى الغيبة ءانتم اضللتم عبادى هؤلاء بان دعوتموهم الى عبادتكم كما فى قوله تعالى ءانت قلت للناس اتخذونى والهى
الهين من دون الله ام هم ضلوا السبيل اى عن السبيل بانفسهم لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد
فحذف الجار واوصل الفعل الى المفعول كقوله تعالى وهو يهدى السبيل والاصل الى السبيل او للسبيل وتقديم الضمير
على الفعلين لما ان المقصود بالسؤال هو المتصدى للفعل لا نفسه انتهى ابو السعود رحمه الله

قل يا محمد صلى الله عليه وسلم لكفار قريش اذلك اى المذكور من صفة النار خير ام جنة الخلد التى وعد المتقون من الشرك وعدا
كانت الجنة لهم معدة فى علمه تعالى جزاء ومصيرا اى ثوابا ومقرا وهو مدح للثواب نحو نعم الثواب وحسنت مرتفقا لهم فيها
اى فى الجنة ما يشاؤن اى يحبونه خالدين فيها حال من ضمير يشاؤن كان على ربك ما وعدوا به من النعيم وعدا مسئولا
اى مطلوبا للمؤمنين بقولهم ربنا اتنا ما وعدتنا على رسلك ويوم نحشرهم اى نجمعهم وما يعبدون من دون الله ما عام
يعم العقلاء وغيرهم كالاصنام لكن المراد هنا العقلاء من الملائكة وعيسى وعزير عليهم السلام والجن فيقول الله تعالى
للمعبودين لاثبات الحجة على العابدين وقرئ نحشرهم فنقول بالنون فيهما وبالياء فيهما وبالنون فى الاول وبالياء
الثانى ومقول القول ءانتم اضللتم عبادى هؤلاء ام هم ضلوا السبيل اى عن السبيل بحذف الجار يعنى هم بانفسهم
اخطأوا الطريق المستقيم وفائدة هذا السؤال عنهم ان يجيبوا بما اجابوا تبكيتا لعابديهم بتكذيبهم اياهم حيث
قالوا اى قال الملائكة والانبياء عليهم السلام وغيرهم من العقلاء سبحانك انتهى المعول

قل اذلك خير اى المذكور من صفة النار خير ام جنة الخلد التى
وعد المتقون اى وعدها فالراجع الى الموصول محذوف
وانما قال اذلك خير ولا خير فى النار توبيخا للكفار كانت
لهم جزاء ثوابا ومصيرا مرجعا وانما قيل كانت لان ما وعد الله
كانه كان لتحققه او كان مكتوبا فى اللوح قبل ان خلقهم
لهم فيها ما يشاؤن اى ما يشاؤنه خالدين حال من ضمير
يشاؤن والضمير فى كان لما يشاؤنه على ربك وعدا موعودا
مسئولا مطلوبا او حقيقا ان يسأل او قد سأله
المؤمنون والملائكة فى دعواتهم ربنا واتنا ما وعدتنا على
رسلك • ربنا اتنا فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة • ربنا
وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم ويوم يحشرهم للبعث
عند الجمهور وبالياء مكى ويزيد ويعقوب وحفص وما يعبدون
من دون الله يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير
وعن الكلبى يعنى الاصنام ينطقها الله وقيل عام وما
يتناول العقلاء وغيرهم لانه اريد به الوصف كانه قيل
ومعبوديهم فيقول وبالنون شامى ءانتم اضللتم عبادى
هؤلاء بدل من عبادى اى المشركين ام هم ضلوا السبيل
والقياس ضلوا عن السبيل الا انهم تركوا الجار كما تركوه فى
هداه الطريق والاصل الى الطريق وللطريق • وضل مطاوع اضله
والمعنى ءانتم اوقعتموهم فى الضلال عن طريق الحق بادخال
الشبهة ام هم ضلوا عنه بانفسهم • وانما لم يقل ءاضللتم
عبادى هؤلاء ام هم ضلوا السبيل وزيد انتم وهم لان السؤال
ليس عن الفعل ووجوده لانه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب
وانما هو عن متوليه فلا بد من ذكره وايلائه حرف الاستفهام
ليعلم انه المسئول عنه • وفائدة سؤالهم مع علمه تعالى بالمسئول
عنه ان يجيبوا بما اجابوا به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم
اياهم فتزيد احسرتهم انتهى المدارك

قل اذلك خير ام جنة الخلد التى وعد المتقون اى وعدها فالراجع
الى الموصول محذوف والاشارة الى مكان العذاب وهو النار وانما قال
اذلك خير ولا خير فى النار توبيخا وتهكما للكفار ويجوز ان يكون الاشارة
الى الكنز والجنة • والمراد من المتقين بقرينة المقابلة من يتقى انواع الكفر
من الشرك والتكذيب واضافة الجنة الى الخلد للمدح لا للدلالة على خلودها
لانه حاصل بقوله خالدين كانت لهم جزاء على اعمالهم بالوعد الازلى
ومصيرا مرجعا لهم فيها ما يشاؤن ما يشاؤنه من انواع الملاذ
والمشتهيات والمشية تتبع العلم فالتفاوت فى درجات
اهل الجنة وانواع تلذذهم بحسب عملهم وانما ذكر فيها مع عدم الحاجة
اليه للتنبيه بتقديمه على ان حصول كل المشتهيات لا يكون الا
فى الجنة خالدين حال من احدهما ثم الضمير فى كان لما يشاؤن
وفى قوله على ربك استعير لما فى منزل الوجوب فى التاكيد
بقرينة الوعد والسؤال • ومن وهم انه على حقيقته لامتناع
الخلف فى وعده تعالى ثم قال ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز
لان تعلق الارادة بالوعد متقدم على الوعد الموجب للانجاز
فقد وهم حيث لم يفرق بين الوجوب على الله والوجوب
منه فان اللازم حينئذ هو الاول والذى صححه ودفع المحذور
عنه انما هو الثانى وعدا مسئولا اى كان ذلك موعودا
حقيقيا بان يسأل ويطلب او مسئولا يسأله الناس
فى دعائهم ويوم يحشرهم للجزاء وما يعبدون من دون الله
تعم كل معبود سواه وما وصف عام ولذلك يطلق لكل شبح يرى
ولا يعرف او يراد به الوصف او لتغليب الاصنام لا لتحقيرها
لان الغلب عليه من الانبياء والملائكة لا يليق ذلك بشانهم
بل اعتبارا لغلبة عبادهم وانا قلنا يعم لكل معبود واذ لا قرينة
للتخصيص لا بالاصنام وذلك ظاهر ولا بالانبياء والملائكة لان
كل شئ ينطق يومئذ فلا يكون السؤال والجواب قرينة له فيقول
للمعبودين ءانتم اضللتم عبادى الاضافة لتعظيم جرمة الاضلال
لا لتشريفهم لانهم المشركون هؤلاء بدل من عبادى ام هم ضلوا السبيل
لاضلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد النصح والاستفهام للتقريع والتبكيت
للعبدة فلذلك قدم الضمير على الفعل ايلاء بحرف الاستفهام المقصود بالسؤال فعل
وهو الفاعل لا الفعل وانما حذف صلة للمبالغة
انتهى بالكاف

قل لهم تهكما بهم وتحسيرا على ما فاتهم اذلك اشارة الى ما ذكر من السعير باعتبار اتصافه
بما فصل من الاحوال الهائلة وما فيه من معنى البعد للاشعار بكونه فى الغاية القاصية من الهول والفظاعة اى قل لهم اذلك الذى
ذكر من السعير التى اعتدت لمن كذب بالساعة وشانها كيت وكيت وشان اهلها ذيت وذيت خير ام جنة الخلد التى وعد المتقون
اى وعدها المتقون واضافة الجنة الى الخلد للمدح وقيل للتمييز عن جنات الدنيا والمراد بالمتقين المتصفون بمطلق التقوى
[illegible] الرتبة الثانية او الثالثة منها فقط كانت تلك الجنة لهم فى علم الله تعالى او فى اللوح او لان ما وعده الله تعالى فهو كائن لا محالة
[illegible] لتحققه ووقوعه جزاء على اعمالهم حسبما مر من الوعد الكريم ومصيرا ينقلبون لهم ما يشاؤن اى ما يشاؤنه من فنون الملاذ والمشتهيات
[illegible] انواع النعيم كما فى قوله تعالى ولكم فيها ما تشتهى انفسكم • ولعل كل فريق منهم يقتنع بما اتيح له من درجات النعيم ولا يمتد اعناق هممهم الى
[illegible] ذلك من المراتب العالية فلا يلزم الحرمان ولا التساوى فى مراتب اهل الجنان خالدين حال من الضمير المستكن فى الجار والمجرور
[illegible] على المبتدا وقيل من فاعل يشاؤن كان اى ما يشاؤنه وقيل الوعد المدلول عليه بقوله تعالى وعد المتقون على ربك وعدا مسئولا

قالوا سبحانك تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة او انبياء معصومون او جمادات لا تقدر على شي او قصدوا به تنزيهه عن الانداد ما كان ينبغي لنا اي ما كان يصح لنا ولا يستقيم ان نتخذ من دونك من اولياء للعصمة او لعدم القدرة فكيف يصح لنا ان ندعوا غيرنا او نتولى احدا دونك وقرئ نتخذ على البناء للمفعول من اتخذ الذي له مفعولان كقوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثاني من اولياء ومن للتبعيض لان من لا تزاد في المفعول الثاني بل في الاول وعلى الاول مزيدة لتاكيد النفي ولما تضمن قولهم ما كان ينبغي لنا ان لم نضلهم ولم نحملهم على الامتناع من الامتناع صلح ان يستدرك بلكن فقالوا ولكن متعتهم واباءهم بالاموال والاولاد وطول العمر والسلامة من العذاب حتى نسوا الذكر حتى غفلوا عن ذكرك والتذكر للآيات والواو الفصيحة في وكانوا للعطف على محذوف تقديره فكفروا وكانوا قوما بورا هالكين مصدر وصف به يستوي فيه الجمع والواحد قال ابن الزبعرى في الواحد يا رسول المليك ان لساني راتق ما فتقت اذ انا بور فقد كذبوكم المعنى فقد كذبكم المعبودون وهذه المفاجاة بالاحتجاج والالزام حسنة رائعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف القول وقد سبق تحقيق هذا في قوله تعالى فقد جاءكم بشير ونذير من سورة المائدة بما تقولون بقولكم فيه انه الهة او هؤلاء اضلونا والباء بمعنى في او مع المجرور بدل من الضمير وقرئ بالياء ومعناه فقد كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا فما يستطيعون وقرئ بالتاء على خطاب العابدين صرفا دفعا للعذاب عنكم ولا نصرا فيعينكم عليه ثم خاطب المكلفين على العموم بقوله ومن يظلم منكم الشرط وان عم كل من كفر او فسق لكنه في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وهو التوبة اجماعا وبالاحباط بالطاعة عندنا في الاخير نذقه عذابا كبيرا وهو عذاب النار وفي عبارة نذقه اشارة الى ان العذاب جسماني انتهى

قالوا استئناف مبني على سؤال نشا من حكاية السؤال كانه قيل فماذا قالوا في الجواب فقيل قالوا سبحانك تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة معصومون او جمادات لا قدرة لها على شي واشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يتاتى منهم اضلال عباده او تنزيها له عن الانداد ما كان ينبغي لنا اي ما صح وما استقام لنا ان نتخذ من دونك اي متجاوزين اياك من اولياء نعبدهم لما بنا من الحالة المنافية له فاني يتصور ان نحمل غيرنا على ان يتخذ وليا او نتخذ من دونك اولياء اي اتباعا فان الولي كما يطلق على المتبوع يطلق

صلا

قالوا سبحانك تعجب منهم مما قيل لهم او قصدوا به تنزيهه عن الانداد وان يكون له نبي او ملك او غيرهما ندا ثم قالوا ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء اي ما كان يصح لنا ولا يستقيم ان نتولى احدا دونك فكيف يصح لنا ان نحمل غيرنا ان يتولوا دونك نتخذ بزيد واتخذ يتعدى الى مفعول واحد نحو اتخذ وليا والى مفعولين نحو اتخذ فلانا وليا قال الله ام اتخذوا الهة من الارض وقال واتخذ الله ابراهيم خليلا فالقراءة الاولى من المتعدي الى واحد وهو من اولياء والاصل ان نتخذ اولياء فزيدت من لتاكيد النفي والقراءة الثانية من المتعدي الى المفعولين فالمفعول الاول ما بني له الفعل والمفعول الثاني من اولياء ومن للتبعيض اي لا نتخذ بعض اولياء لان من لا تزاد في المفعول الثاني بل في الاول تقول ما اتخذت من احد وليا ولا تقول ما اتخذت احدا من ولي ولكن متعتهم واباءهم بالاموال والاولاد وطول العمر والسلامة من العذاب حتى نسوا الذكر اي ذكر الله والايمان به والقرآن والشرائع وكانوا عند الله قوما بورا هلكى جمع بائر كعائذ وعوذ ثم يقال للكفار بطريق الخطاب عدولا عن الغيبة اليه فقد كذبوكم وهذه المفاجاة بالاحتجاج والالزام حسنة رائعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف القول ونظيرها يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل الى قوله فقد جاءكم بشير ونذير وقول القائل قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا بما تقولون بقولكم فيهم انهم الهة والباء على هذا كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كانه قيل فقد كذبوا بما تقولون وعن قنبل بالياء ومعناه فقد كذبوا بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء والباء على هذا كقولك كتبت بالقلم فما يستطيعون صرفا ولا نصرا اي فما تستطيع الهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب او ينصروكم وبالتاء حفص اي فما تستطيعون انتم يا كفار صرف العذاب عنكم ولا نصر انفسكم ثم خاطب المكلفين على العموم بقوله ومن يظلم منكم اي يشرك لان الظلم وضع الشي في غير محله ومن جعل المخلوق شريك خالقه فقد ظلم يؤيده قوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم نذقه عذابا كبيرا في النار وهو يلحق بالمشرك دون الفاسق الا على قول المعتزلة والخوارج

قوله بورا اي هلكى غلب عليهم الشقاء والخذلان تقال رجل بائر وقوم بور واصله من البوار وهو الكساد والفساد ومنه بوار السلعة وهو كسادها وقيل هو اسم كالزور يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث وفي الخبر اذا قال العبد يا كريم يقول الله تعالى عبدي ما ذا من كرمي وانت في السجن اعتبر حتى كرمي في الجنة

على التابع كالمولى يطلق على الاعلى والاسفل ومنه اولياء الشيطان اي اتباعه وقرئ على البناء للمفعول من المتعدي الى مفعولين كما في قوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثاني من اولياء على ان من للتبعيض اي ان نتخذ بعض اولياء وهي على الاول مزيدة وتنكير اولياء من حيث انهم اولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام ولكن متعتهم واباءهم استدراك مسوق لبيان انهم هم الضالون بعد بيان تنزههم عن اضلالهم وقد نعي عليهم سوء صنيعهم حيث جعلوا اسباب الهداية اسبابا للضلالة اي ما اضللناهم ولكنك متعتهم واباءهم بانواع النعم ليعرفوا حقها ويشكروها فاستغرقوا في الشهوات وانهمكوا فيها حتى نسوا الذكر اي غفلوا عن ذكرك او عن التذكر في الآيك والتدبر في اياتك فجعلوا اسباب الهداية بسوء اختيارهم ذريعة الى الغواية وكانوا اي في قضائك المبني على علمك الازلي المتعلق بما سيصدر عنهم فيما لا يزال باختيارهم من الاعمال السيئة قوما بورا اي هالكين على ان بورا مصدر وصف به الفاعل مبالغة ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع او جمع بائر كعوذ في جمع عائذ والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقوله تعالى فقد كذبوكم حكاية لاحتجاجه تعالى على العبدة بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن المعبودين عند تمام جوابهم وتوجيهه الى العبدة مبالغة في تقريعهم وتبكيتهم على تقدير قول مرتب على الجواب اي فقال الله تعالى عند ذلك فقد كذبكم المعبودون ايها الكفرة بما تقولون اي في قولكم انهم الهة وقيل في قولكم هؤلاء اضلونا وياباه ان تكذيبهم في هذا القول لا تعلق له بما بعده من عدم استطاعتهم للصرف والنصر اصلا وانما الذي يستتبعه تكذيبهم في زعمهم انهم الهتهم وناصروهم وياباه ما كان فالياء بمعنى في او هي صلة للتكذيب على ان الجار والمجرور بدل اشتمال من الضمير المنصوب وقرئ بالياء اي كذبوكم بقولهم سبحانك الاية فما تستطيعون اي ما تملكون صرفا اي دفعا للعذاب عنكم بوجه من الوجوه كما يعرب عنه التنكير اي لا بالذات ولا بالواسطة وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف في اموره اي يحتال فيها وقيل توبة ولا نصرا اي فردا من افراد النصر لا من جهة انفسكم ولا من جهة غيركم والفاء لترتيب عدم الاستطاعة على ما قبلها من التكذيب لكن لا على معنى انه لولاه لوجدت الاستطاعة حقيقة بل في زعمهم حيث كانوا يزعمون انهم يدفعون عنهم العذاب وينصرونهم وفيه ضرب تهكم بهم وقرئ يستطيعون على صيغة الغيبة اي ما يستطيع الهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب او يحتالوا لكم ولا ان ينصروكم وترتب ما بعد الفاء على ما قبلها كما مر بيانه ومن يظلم منكم ايها المكلفون كدأب هؤلاء حيث ركبوا متن المكابرة والعناد واستمروا على ما هم عليه من الفساد وتجاوزوا في اللجاج كل حد معتاد نذقه في الاخرة عذابا كبيرا لا يقادر قدره وهو عذاب النار وقرئ يذقه على ان الضمير لله سبحانه وقيل لمصدر الفعل الواقع شرطا وتعميم الظلم لا يستلزم اشتراك الفاسق للكافر في اذاقة العذاب الكبير فان الشرط في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا

انتهى ابو السعود بالعفو

وفائدة هذا السؤال عنهم ان يجيبوا بما اجابوا تبكيتا لعابديهم بتكذيبهم اياهم حيث قالوا اي قال الملائكة والانبياء عليهم وغيرهم من العقلاء المتبرئين منهم سبحانك ما كان ينبغي اي ما يجوز لنا ان نتخذ من دونك قوله من اولياء مفعول اول لاتخاذ بزيادة من لتاكيد النفي ومن دونك مفعوله الثاني فنزهوا الله تعالى وانفسهم عن عبادة غيره تعالى ولكن متعتهم اي اجللتهم بالتمتع في الدنيا واباءهم حتى نسوا الذكر والايمان به وكانوا اي صاروا قوما بورا اي هلكى جمع بائر من البور وهو الهلاك فقد كذبوكم اي معبودوكم من الملائكة وغيرهم ايها المشركون بما تقولون اي بقولكم انهم الهة فما تستطيعون بالياء غيبة اي الكفار وبالتاء للخطاب اي لا تستطيعون انتم ولا معبودوكم صرفا للعذاب عنكم ولا تستطيعون نصرا من العذاب فظهر عجزكم عن جلب نفع ودفع ضر ومن يظلم منكم اي من يكذب منكم محمدا صلى الله عليه وسلم والقرآن الذي انزل اليه نذقه عذابا كبيرا وهو عذاب النار والخطاب عام اذ العذاب الكبير لاحق بكل من ظلم والشرك ظلم لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم

انتهى السعود

صلا

وقيل هي حال والتقدير الا وانهم لياكلون الخ وقرئ يُمشّون على البناء للمفعول اي يمشيهم حوائجهم او الناس **وجعلنا بعضكم** تلوين للخطاب بتعميم لسائر الرسل عليهم السلام بطريق التغليب والمراد بهذا البعض كفار الامم فان اختصاصهم بالرسل وتبعيتهم لهم مصحح لان يعدوا بعضا منهم وبا في قوله تعالى **لبعض** رسلهم لكن لا على معنى جعلنا مجموع البعض الاول **فتنة** اي ابتلاء ومحنة لمجموع البعض الثاني ولا على معنى جعلنا كل فرد من افراد البعض الاول فتنة لكل فرد من افراد البعض الثاني ولا على معنى جعلنا بعضا مبهما من الاولين فتنة لبعض مبهم من الاخرين ان مجموع الرسل من حيث هو مجموع غير مفتون بمجموع ولا كل فرد منهم بكل فرد من الامم ولا بعض مبهم من الاولين ببعض مبهم من الاخرين بل على معنى جعلنا كل بعض معين من الامم فتنة لبعض معين من الرسل كانه قيل وجعلنا كل امة مخصوصة من الامم الكافرة فتنة لرسولها المعين المبعوث اليها وانما لم يصرح بذلك تعويلا على شهادة الحال هذا واما تعميم الخطاب لجميع المكلفين وابقاء البعضين على العموم والابهام على معنى وجعلنا بعضكم ايها الناس فتنة لبعض اخر منكم فيأباه قوله تعالى **اتصبرون** فانه غاية للجعل المذكور ومن البين ان ليس ابتلاء كل احد من احاد الناس مغيا بالصبر بل بما يناسب حاله على ان الاقتصار على ذكره من غير تعرض لما يقابله مما يدل على ان اللائق بحال المفتونين والمتوقع صدوره عنهم هو الصبر لا غير فلا بد ان يكون المراد بهم الرسل فيحصل به تسلية له صلى الله عليه وسلم فالمعنى جرت سنتنا بموجب حكمتنا على ابتلاء المرسلين بامهم وبمناصبتهم لهم العداوة وايذائهم لهم واقاويلهم الخارجة عن حدود الانصاف لنعلم صبركم وقوله تعالى **وكان ربك بصيرا** وعد كريم للرسول صلى الله عليه وسلم بالاجر الجزيل لصبره الجميل مع مزيد تشريف له صلى الله عليه وسلم بالالتفات الى اسم الرب مضافا الى ضميره صلى الله عليه وسلم **وقال الذين لا يرجون لقاءنا** شروع في حكاية بعض اخر من اقاويلهم الباطلة وبيان بطلانها اثر ابطال اباطيلهم السابقة والجملة معطوفة على قوله تعالى وقالوا مال هذا الرسول الخ ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما في حيز الصلة على ان ما يحكى عنهم من الشناعة بحيث لا يصدر عمن يعتقد المصير الى الله تعالى ولقاء الشيء عبارة عن مصادفته من غير ان يمنع مانع من ادراكه بوجه من الوجوه والمراد بلقائه تعالى اما الرجوع اليه تعالى بالبعث والحشر او لقاء حسابه تعالى كما في قوله تعالى اني ظننت اني ملاق حسابيه وبعدم رجائهم اياه عدم توقعهم له اصلا لانكارهم البعث والحساب بالكلية لا عدم املهم حسن اللقاء ولا عدم خوفهم سوء اللقاء لان عدمهما غير مستلزم لما هم عليه من العتو والاستكبار وانكار البعث والحساب راسا اي وقال الذين لا يتوقعون الرجوع الينا او حسابنا المؤدي الى سوء العذاب الذي يستوجبه مقالتهم **لولا انزل علينا الملائكة** اي هلا انزلوا علينا ليخبرونا بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هلا انزلوا علينا بطريق الرسالة وهو الانسب لقولهم **او نرى ربنا** من حيث ان كلا القولين ناشئ عن غاية غلوهم في المكابرة والعتو حسبما يعرب عنه قوله تعالى **لقد استكبروا في انفسهم** اي في شأنها حتى اجترؤوا على التفوه بمثل هذه العظيمة الشنعاء **وعتوا** اي تجاوزوا الحد في الظلم والطغيان **عتوا كبيرا** بالغا اقصى غاياته حيث املوا نيل مرتبة المفاوضة الالهية من غير توسط الرسول والملك كما قالوا لولا يكلمنا الله ولم يكتفوا بما عاينوا من المعجزات الباهرة التي تخر لها صم الجبال فذهبوا في الاقتراح كل مذهب حتى منتهم انفسهم الخبيثة امانيّ لا تكاد ترنو اليها احداق الامم ولا تمتد اليها اعناق الهمم ولا يناله الا اولوا العزائم الماضية من الانبياء عليهم الصلوة والسلام واللام جواب قسم محذوف اي والله لقد استكبروا الاية وفيه من الدلالة على غاية قبح ما هم عليه والاشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم ما لا يخفى

ابو السعود

7

وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق كسرت ان لاجل اللام في الخبر والجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا اكلين وماشين وانما حذف اكتفاء بالجار والمجرور اي من المرسلين ونحوه وما منا الا له مقام معلوم اي وما منا احد الا وله اي قيل هو احتجاج على من قال مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم **وجعلنا بعضكم لبعض فتنة** اي محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما عيروا به من الفقر ومشيه في الاسواق يعني انه جعل الاغنياء فتنة للفقراء يغني من يشاء ويفقر من يشاء **اتصبرون** على هذه الفتنة فتؤجروا ام لا تصبرون فيزداد غمكم وحكي ان بعض الصالحين تبرم بضنك عيشه فخرج ضجرا فرأى خصيا في مواكب ومراكب فخطر بباله شيء فاذا بمن يقرأ هذه الاية فقال بلى نصبر ربنا او جعلناك فتنة لهم لانك لو كنت صاحب كنوز وجنات لكان طاعتهم لك للدنيا او ممزوجة بالدنيا فانا بعثناك فقيرا لتكون طاعة من يطيعك خالصة لنا **وكان ربك بصيرا** عالما بالصواب فيما يبتلي به او بمن يصبر ويجزع **وقال الذين لا يرجون** لا يأملون **لقاءنا** بالخير لانهم كفرة لا يؤمنون بالبعث او لا يخافون عقابنا اما لان الراجي قلق اي اضطرب فيما يرجوه كالخائف او لان الرجاء في لغة تهامة الخوف ومنه قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون لله عظمة **لولا** هلا **انزل علينا الملائكة** فتخبرنا ان محمدا صادق رسلا دون البشر او شهودا على نبوته ودعوى رسالته **او نرى ربنا** جهرة فيخبرنا برسالته واتباعه **لقد استكبروا في انفسهم** اي اضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم **وعتوا** تجاوزوا الحد في الظلم **عتوا كبيرا** وصف العتو بالكبر فبالغ في افراطه اي انهم لم يجسروا على هذا القول العظيم الا انهم بلغوا غاية الاستكبار واقصى العتو واللام جواب قسم محذوف انتهى المدارك قال مقاتل عتوا طغوا قال غلوا في القول والعتو اشد الكفر وافحش الظلم وعتوهم طلبهم رؤية الله حتى يؤمنوا به

انتهى المعالم

تبرم به اي سئمه **والضنك** الضيق **والضجر** القلق من الغم **وخصيت الفحل** **اخصيته خصاء** بالكسر والمد اذا سللت خصيته والرجل خصي **الموكب** القوم يمشون مع الملك بالتبجيل او القوم الركوب على الابل للزينة وكذلك جماعة الفرسان **والركب** اصحاب الابل في السفر

مختار

وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق كسرت ان لاجل اللام في الخبر لان دخولها وخروجها هاهنا سواء بل لانه موضع ابتداء تقديره الا هم ياكلون والجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا اكلين وماشين وانما حذف لدلالة المرسلين عليه ويجوز ان يكون حالا اكتفي فيها بالضمير وهو جواب لقولهم مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق **وجعلنا بعضكم** ايها الناس **لبعض فتنة** ابتلاء ولا دلالة فيه على القضاء والقدر لان قوله **اتصبرون** علة للجعل لا للتقدير والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ليظهر ايكم يصبر ومن الفتنة ان يحسد المبتلى المعافى المبتلى المعافى ويحقر المعافى المبتلى والصبر ان يحبس كلاهما نفسه هذا عن البطر وذاك عن الضجر **وكان ربك بصيرا** بصير من صبر ومن ضجر او بالصواب فيمن ابتلي به وغيره **وقال الذين لا يرجون** الرجاء ترقب الخير الذي يقوى في النفس وقوعه وبهذا القيد الاخير يفارق الامل **لقاءنا** بالخير لكفرهم بالبعث او لا يخافون عقابنا اما لان الراجي قلق فيما يرجوه كالخائف او لان الرجاء في لغة تهامة الخوف واللقاء المصير الى الشيء من غير حائل ولهذا صح لقاء الجزاء لان العباد يصيرون اليه في الاخرة وعلى هذا يصح ان يقال الاثر من لقاء الله **لولا** هلا **انزل علينا الملائكة** رسلا دون البشر او شهودا على نبوته صلى الله عليه وسلم ودعوى رسالته **او نرى ربنا** جهرة فيخبرنا برسالته ويامرنا باتباعه **لقد استكبروا في انفسهم** اي في شانها حتى ارادوا لها ما يتفق للافراد من الانبياء الذين هم اكمل خلق الله في اكمل اوقاتهم وما هو اعظم من ذلك **وعتوا عتوا كبيرا** بالغا اقصى مراتبه حيث عاينوا المعجزات القاهرة فاعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامع النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف وفي الاستيناف بالجملة حسن واشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم فان في فحوى هذا الفعل دليلا على التعجب من غير لفظه الا ترى ان المعنى ما اشد استكبارهم وما اكبر عتوهم

اسرار التاويل

وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق جواب عن قولهم مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق والجملة الواقعة بعد الا صفة لموصوف قد حذف ثقة بدلالة الجار والمجرور عليه واقيمت هي مقامه كما في قوله وما منا الا له مقام معلوم والمعنى وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا اكلين وماشين

صلا

يوم يرون الملائكة ملائكة الموت او العذاب ويوم نصب بما دل عليه لا بشرى اي يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى او يعدم وقوله يومئذ مؤكد ليوم يرون او خبر و للمجرمين تبيين او خبر ثان او ظرف لما يتعلق به اللام او بشرى ان قدرت منونة غير مبنية مع لا فانها لا تعمل او باضمار اذكر ثم اخبر فقال لا بشرى بالجنة يومئذ ولا ينتصب بيرون لان المضاف اليه لا يعمل في المضاف ولا ببشرى لانها مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله ولان المنفي بلا لا يعمل فيما قبل لا للمجرمين ظاهر في موضع ضمير تسجيلا على جرمهم واشعارا بما هو المانع للبشرى والموجب لما يقابلها او عام يتناولهم بحكمه من طريق البرهان ولا يلزم من نفي البشرى لعامة المجرمين حينئذ نفي البشرى بالعفو والشفاعة في وقت آخر ويقولون حجرا محجورا عطف على المدلول اي يقول الكفرة حينئذ هذه الكلمة استعاذة وطلبا من الله ان يمنع لقاءهم وهي مما كانوا يقولونه عند لقاء عدو او هجوم مكروه او يقولها الملائكة بمعنى حراما محرما عليكم الجنة او البشرى وقرئ حجرا بالضم واصله الفتح او الكسر فانهما لغتان فيه غير انه لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك ولذلك لم يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه ووصفه بمحجورا للتاكيد كقولهم موت مائت وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا اي قدوم هنا ولا ما يشبه القدوم ولكن مثلت حال هؤلاء واعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ونحو ذلك بحال من خالف سلطانه وعصاه فقدم الى اسبابه وما تحت يديه فافسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها اثرا وعلى هذا يكون الكلام المذكور تمثيلا على سبيل الاستعارة لا استعارة في مفرداته بخلاف ما اذا كان المعنى وعمدنا الى ما عملوا في كفرهم من المكارم فاحبطناه فانه ح يكون الاستعارة في المفردات لا في الكلام والهباء التي المنبت الذي تراه في البيت من ضوء الشمس والهباء ايضا دقاق التراب ويقال له اذا ارتفع ومنثورا صفته وليس فيه تشبيه على تقدير التمثيل واما على المعنى الثاني فقد شبه عملهم المحبط في حقارته وعدم نفعه بالمنثور منه في انتثاره بحيث لا يقبل الاجتماع ولا ينتفع به الانتفاع اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا تمييز والمستقر المكان الذي يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس والتحادث واحسن مقيلا قال الازهري القيلولة والمقيل الاستراحة في نصف النهار وان لم يكن مع ذلك نوم وروي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار

من الصحاح وهي هنا ... مثل مضى هذا ... (الصحاح)

يوم يرون الملائكة اي يوم الموت او يوم البعث ويوم منصوب بما دل عليه لا بشرى اي يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى وقوله يومئذ مؤكد ليوم يرون او باضمار اذكر اي اذكر يوم يرون الملائكة ثم اخبر فقال لا بشرى بالجنة يومئذ ولا ينتصب بيرون لان المضاف اليه لا يعمل في المضاف ولا ببشرى لانها مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله لان المنفي بلا لا يعمل فيما قبل لا للمجرمين ظاهر في موضع ضمير او عام يتناولهم بعمومه وهم الذين اجترموا الذنوب والمراد الكافرون لان مطلق الاسماء يتناول اكمل المسميات ويقولون اي الملائكة حجرا محجورا حراما محرما عليكم البشرى اي جعل الله ذلك حراما عليكم وانما البشرى للمؤمنين والحجر مصدر والكسر والفتح لغتان بهما وهو من حجره اذا منعه وهو من المصادر المنصوبة بافعال متروك اظهارها ومحجورا لتاكيد معنى الحجر كما قالوا موت مائت وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا هو صفة لهباء ولا قدوم هنا ولكن مثلت حال هؤلاء واعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ونحو ذلك بحال من خالف سلطانه وعصاه فقدم الى اشيائه وقصد الى ما تحت يديه فافسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها اثرا والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار والمنثور المفرق وهو استعارة عن جعله بحيث لا يقبل الاجتماع ولا يقع به الانتفاع ثم بين فضل اهل الجنة على اهل النار فقال اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا تمييز والمستقر المكان الذي يكونون فيه في اكثر اوقاتهم مستقرين يتجالسون ويتحادثون واحسن مقيلا مكانا يأوون اليه للاسترواح الى ازواجهم ولا نوم في الجنة ولكنه سمي مكان استرواحهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه وروي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار ولفظ الاحسن تهكم بهم انتهى المدارك قوله واحسن موضع قائلة يعني ان اهل الجنة لا يمر بهم يوم القيمة الا قدر النهار من اوله الى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة قال ابن مسعود لا ينتصف النهار يوم القيمة حتى يقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وقرأ ثم ان مقيلهم لالى الجحيم قال الازهري القيلولة والمقيل الاستراحة نصف النهار وان لم يكن ذلك مع نوم ولا نوم في الجنة ويروى ان يوم القيمة يقصر على المؤمنين حتى يكون ما بين العصر الى غروب الشمس ... الجنة واهل النار في النار وفي لفظي الخير والاحسن تهكم بهم انتهى ... قال

يوم يرون الملائكة استيناف مسوق لبيان ما يلقونه عند مشاهدتهم لما اقترحوه من نزول الملائكة عليهم السلام بعد استعظامه وبيان كونه في غاية ما يكون من الشناعة وانما قيل يوم يرونهم دون ان يقال يوم ينزل الملائكة ايذانا من اول الامر بان رؤيتهم لهم ليست على طريق الاجابة الى ما اقترحوه بل على وجه آخر غير معهود ويوم منصوب على الظرفية بما دل عليه قوله تعالى لا بشرى يومئذ للمجرمين فانه في معنى لا يبشر يومئذ المجرمون والعدول الى نفي الجنس للمبالغة في نفي البشرى وما قيل من انه بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها تهوين للخطب في مقام التهويل فانه منع البشرى وفقدانها مشعر بان هناك بشرى يمنعونها او يفقدونها واين هذا من نفيها بالكلية وحيث كان نفيها كناية عن اثبات ضدها كما ان نفي المحبة في مثل قوله تعالى والله لا يحب الكافرين كناية عن البغض والمقت دل على ثبوت النذرى لهم على ابلغ وجه واكده وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم عليه اي اذكر يوم رؤيتهم الملائكة ويومئذ على كل حال تكرير للتاكيد والتهويل مع ما فيه من الايذان بان تقديم الظرف للاهتمام لا للقصر نفي البشرى على ذلك الوقت فقط فان ذلك مخل بتفظيع حالهم وللمجرمين تبيين على انه مظهر وضع موضع الضمير تسجيلا عليهم بالاجرام مع ما هم عليه من الكفر وحمله على العموم بحيث يتناول فساق المؤمنين ثم الالتجاء في اخراجهم عن الحرمان الكلي الى ان نفي البشرى حينئذ لا يستلزم نفيه في جميع الاوقات فيجوز ان يبشروا بالعفو والشفاعة في وقت آخر بمعزل من الحق بعيد ويقولون عطف على ما ذكر من الفعل المنفي المنبئ عن كمال فظاعة ما يحيق بهم من الشر وغاية هول مطلعه ببيان انهم يقولون عند مشاهدتهم لهم حجرا محجورا وهي كلمة يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور وهجوم نازلة هائلة يضعونها موضع الاستعاذة حيث يطلبون من الله تعالى ان يمنع المكروه فلا يلحقهم فكان المعنى نسأل الله تعالى ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا وكسر الحاء تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما في قعدك وعمرك وقد قرئ حجرا بالضم والمعنى انهم يطلبون نزول الملائكة عليهم السلام ويقترحونه وهم اذا راوهم كرهوا لقاءهم اشد كراهة وفزعوا منهم فزعا شديدا وقالوا ما كانوا يقولونه عند نزول خطب شنيع وحلول بأس فظيع ومحجورا صفة لحجرا واردة للتاكيد كما قالوا ذيل ذائل وليل اليل وقيل تقولها الملائكة ايضا للكفرة بمعنى حراما محرما عليكم الغفران او الجنة او البشرى اي جعل الله تعالى ذلك حراما عليكم وليس بواضح وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا بيان لحال ما كانوا يعملونه في الدنيا من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على اسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم التي لو كانوا عملوها مع الايمان لنالوا ثوابها بتمثيل حالهم وحال اعمالهم المذكورة بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى اشيائهم وقصد الى ما تحت ايديهم فافنى عليها بالافساد والتحريق ومزقها كل تمزيق بحيث لم يدع لها عينا ولا اثرا اي عمدنا اليها وابطلناها اي اظهرنا بطلانها بالكلية من غير ان يكون هناك قدوم ولا شيء يقصد تشبيهه به والهباء شبه غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهي الغبار ومنثورا صفته شبه به اعمالهم المحبطة في الحقارة وعدم الجدوى ثم بالمنثور منه في الانتثار بحيث لا يمكن نظمه او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كما في قوله تعالى كونوا قردة خاسئين اصحاب الجنة هم المؤمنون المشار اليهم في قوله تعالى قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون الخ يومئذ اي يوم اذ يكون ما ذكر من عدم التبشير وقولهم حجرا محجورا وجعل اعمالهم هباء منثورا خير مستقرا المستقر المكان الذي يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس والتحادث واحسن مقيلا المقيل المكان الذي يؤوى اليه للاسترواح الى الازواج والتمتع بمغازلتهن سمي بذلك لان التمتع به يكون وقت القيلولة غالبا وقيل لانه يفرغ من الحساب في منتصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وفي وصفه بزيادة الحسن مع حصول الخيرية بعطفه على المستقر رمز الى انه مزين بفنون الزين والزخارف والتفضيل المعتبر فيهما اما لارادة الزيادة على الاطلاق اي هم في اقصى ما يكون من خيرية المستقر وحسن المقيل واما بالاضافة الى ما للكفرة المتنعمين في الدنيا او الى ما لهم في الآخرة بطريق التهكم بهم كما مر في قوله تعالى قل اذلك خير الآية هذا وقد جوز ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل من الامكنة والازمنة انتهى ابو السعود رحمه الله

فيقيل

... ... حسرا على ما فعل ...

وأيا ما كان فالجملة بعفاها عاملة في الظرف اي ينفرد الله تعالى بالملك يوم تشقق وقيل الظرف منصوب باذكر فالجملة
حينئذ استيناف مسوق لبيان احواله واهواله وايراده تعالى بعنوان الرحمانية للايذان بان اتصافه تعالى
بغاية الرحمة لا يهون الخطب على الكفرة لعدم استحقاقهم للرحمة كما في قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم
والمعنى ان الملك الحقيقي يومئذ للرحمن وكان ذلك اليوم مع كون الملك فيه لله المبالغ في الرحمة لعباده يوما على
الكافرين عسيرا شديدا لهم وتقديم الجار والمجرور لمراعاة الفواصل واما للمؤمنين فيكون يسيرا بفضل الله
وقد جاء في الحديث انه يهون يوم القيمة على المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلوة مكتوبة صلاها في الدنيا
والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ويوم يعض الظالم على يديه عض اليدين والانامل واكل البنان وحرق الاسنان
ونحوها كنايات من الغيظ والحسرة لانها من روادفها والمراد بالظالم اما عقبة بن ابي معيط على ما قيل من انه كان يكثر
مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فدعاه عليه السلام يوما الى ضيافته فابى عليه السلام ان ياكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين
ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت فقال لا ولكن ابى ان لا ياكل من طعامي وهو في
بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال اني لا ارضى منك الا ان تاتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه فوجده
ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال عليه السلام لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف
فاسر يوم بدر فامر عليا رضي الله عنه فقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت الانصاري وطعن عليه السلام ابيا
يوم احد في المبارزة فرجع الى مكة فمات واما جنس الظالم وهو داخل فيه دخولا اوليا وقوله تعالى
يا ليتني الخ محكي به ويا اما لمجرد التنبيه من غير قصد الى تعيين المنبه او المنادى محذوف اي يا هؤلاء ليتني
اتخذت مع الرسول سبيلا اي طريقا واحدا منجيا من هذه الورطات وهو طريق الحق ولم تتشعب بي
طريق الضلالة او حصلت في صحبته صلى الله عليه وسلم ولم اكن ضالا لا طريق لي قط انتهى ابو السعود رحمه الله
يقول الخ حال من فاعل يعض وقوله

٦

ويوم واذكر تشقق السماء والاصل تتشقق فحذف
كوفي وابو عمرو التاء وغيرهم ادغمها في الشين بالغمام
لما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل
الغمام كانه الذي تشق السماء كما تقول شق السنام
بالشفرة فانشق بها ونزل الملائكة تنزيلا ونزل
الملائكة مكي وتنزيلا على هذا مصدر من غير لفظ الفعل
والمعنى ان السماء تنفتح بغمام ابيض يخرج منها وفي الغمام
الملائكة ينزلون وفي ايديهم صحائف اعمال العباد
الملك مبتدأ يومئذ ظرفه الحق نعته ومعناه الثابت
لان كل ملك يزول يومئذ ولا يبقى الا ملكه للرحمن
خبره وكان ذلك اليوم يوما على الكافرين عسيرا شديدا
يقال عسر عليه فهو عسير وعسر فهو عسر ويفهم منه
يسره على المؤمنين ففي الحديث يهون يوم القيمة على
المؤمنين حتى يكون عليهم اخف من صلوة مكتوبة صلوها
في الدنيا ويوم يعض الظالم على يديه عض اليدين
كناية عن الغيظ والحسرة لانه من روادفهما فتذكر
الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به
في طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده في نفسه
من الروعة ما يجده عند لفظ المكنى عنه واللام في
الظالم للعهد واريد به عقبة لما بينا او للجنس فيتناول
عقبة وغيره من الكفار يقول يا ليتني اتخذت في
الدنيا مع الرسول مع محمد صلى الله عليه وسلم سبيلا طريقا
الى النجاة او الجنة وهو الايمان انتهى المدارك

وذلك ان عقبة كان لا يقدم من سفر الا صنع طعاما فدعا اليه اشراف
قومه وكان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فقدم ذات يوم
من سفر فصنع طعاما فدعا الناس ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما قرب الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انا باكل طعامك
حتى تشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله فقال عقبة اشهد ان
لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاكل صلى الله عليه وسلم من طعامه
وكان عقبة صديقا لابي بن خلف فلما اخبر ابي قال له يا عقبة
صبأت قال لا والله ما صبأت ولكن دخل علي رجل فابى ان
ياكل من طعامي الا ان اشهد له فاستحييت ان يخرج من بيتي
ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال ما انا بالذي ارضى منك ابدا
الا ان تاتيه فتبزق في وجهه ففعل ذلك عقبة فقال صلى الله عليه وسلم
لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فقتل
عقبة يوم بدر صبرا واما ابي بن خلف فقتله رسول الله صلى الله
عليه وسلم بيده يوم احد وقال الضحاك لما بزق عقبة في وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد بزاقه في وجهه فاحترق خداه فكان اثر ذلك
فيه حتى الموت وقال عطاء ياكل يديه حتى يبلغ مرفقيه ثم تنبتان ثم ياكل
هكذا كلما نبتت يداه اكلهما تحسرا على ما فعل معالم

ويوم اذكر يوم تشقق السماء اصله تتشقق فحذف التاء
بعضهم وادغمها في الشين الاخرون بالغمام بسبب طلوع
الغمام منها وهو الغمام المذكور في قوله هل ينظرون
الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ونزل
الملائكة تنزيلا في ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد
الملك يومئذ الحق للرحمن الثابت له لان كل ملك يومئذ
يبطل ولا يبقى الا ملكه تعالى فهو الخبر والرحمن صلته
او تبيين ويومئذ معمول الملك لا الحق لانه متاخر
او صفة والخبر يومئذ او للرحمن وكان يوما على الكافرين
عسيرا شديدا لما ينالهم من الاهوال والتشديد في
السؤال ثم الخزي والنكال ثم في النار والاغلال
ويفهم منه يسره على المؤمنين وفي الحديث يهون يوم
القيمة على المؤمنين حتى يكون عليهم اخف من صلوة
مكتوبة صلوها في الدنيا ويوم يعض الظالم على يديه
من فرط الحسرة وعض اليدين كناية عن الغيظ و
الحسرة لانه من روادفها ولافادته الدلالة على استمرار
تلك الحالة ضمن الفعل المذكور معنى الاستقرار فعداه
بعلى والمراد بالظالم الجنس وقيل عقبة بن ابي معيط
يقول يا ليتني اتخذت في الدنيا مع الرسول تابعا له
سبيلا هداه اليه وتنكيره للاشعار بكمال الاتباع انتهى

ويوم تشقق السماء اي تتفتح واصله تتشقق فحذفت
احدى التائين كما في تلظى وقرئ بادغام التاء في الشين
بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام الذي ذكر في قوله
هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة
قيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرائيل
ونزل الملائكة تنزيلا اي تنزيلا عجيبا غير معهود وقيل تنشق سماء
سماء وتنزل الملائكة خلال ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد
وقرئ ونزلت الملائكة وتنزل وننزل على صيغة المتكلم
من الانزال والتنزيل ونزل الملائكة ونزل الملائكة على
حذف النون الذي هو فاء الفعل من ننزل الملك يومئذ
الحق للرحمن اي السلطنة القاهرة والاستيلاء الكلي العام
الثابت صورة ومعنى ظاهرا وباطنا بحيث لا زوال له
اصلا ثابت للرحمن يومئذ فالملك مبتدأ والحق صفته
وللرحمن خبره ويومئذ ظرف لثبوت الخبر للمبتدأ وفائدة التقييد
ان ثبوت الملك المذكور له تعالى خاصة يومئذ واما فيما عداه
من ايام الدنيا فيكون لغيره ايضا تصرف صوري في الجملة
وقيل الملك مبتدأ والحق خبره وللرحمن متعلق بالحق او بمحذوف
على التبيين او بمحذوف هو صفة للحق ويومئذ معمول
للملك وقيل الخبر يومئذ والحق نعت للملك وللرحمن على ما ذكر

يا ويلتى وقرئ بالياء وهو الاصل لان الرجل ينادي
ويلته وهي هلكته يقول لها تعالي فهذا اوانك ليتني لم اتخذ
فلانا خليلا يعني من اضله وفلان كناية عن الاعلام كما ان
الهن كناية عن الاجناس لقد اضلني عن الذكر عن ذكر الله
او كتابه او موعظة الرسول او كلمة الشهادة بعد اذ جاءني
من الله تعالى اعتراف بالقصور من جانبه وكان الشيطان
يعني الخليل المضل او ابليس لانه حمله على مخالته ومخالفة
الرسول او كل من تشيطن من الجن والانس للانسان
المطيع له خذولا مبالغة في الخذلان اي من عادته تركه
من يواليه وقت حاجته اليه وقال الرسول اي في الدنيا
ولو كان في الاخرة لما عدل عنه لما تقدم يا رب ان قومي
قريشا اتخذوا هذا القران مهجورا متروكا اي تركوه ولم يؤمنوا
به من الهجران وهو مفعول ثان لاتخذوه وفي هذا
تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لان الانبياء عليهم السلام اذا
شكوا اليه تعالى قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا ثم اقبل
مسليا وواعد النصرة عليهم فقال وكذلك اي كما جعلناه لك
جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين فاصبر كما صبروا ومعنى الكلية
الكثرة كما في واو ليعث من كل شيء فلا يشكل بادم عليه السلام
فانه لم يكن مبتلى بعداوة قومه والعدو يجوز ان يكون
واحدا وجمعا وكفى بربك هاديا ونصيرا اي طريق القهر المؤدي
الى النصر والباء زائدة وهاديا تمييز ويجوز ان يكون حالا
اي كفى ربك في حال الهداية ونصره لك عليهم وقال الذين كفروا
اي احبار اليهود لولا هلا نزل عليه القران اي انزل عليه
كخبر بمعنى اخبر بدلالة قوله جملة اي مجتمعا واحدة دفعة
واحدة كالتورية والزبور وهذا من القول
ومماراة بما لا طائل تحته وغفول عن مقتضى اصول
البلاغة من وجوب غاية المطابقة بمقتضى المقام في كل
جملة من الكلام ولا يتيسر تلك الرعاية عند نزول مجموع
القران دفعة واحدة والشريعة من وجوب تقديم المجمل
والعام والمنسوخ وتاخير البيان والخاص والناسخ ولا يتيسر
ذلك ايضا على تقدير المذكور والتذكير من وجوب رعاية
شرط التكرير وهو ان يكون في اوقات متعددة مع انه
لتفرقه فوائد منها ما اشار اليه بقوله كذلك لنثبت الاية
انتهى ابن كمال

يا ويلتى وقرئ بالياء وهو الاصل لان الرجل
ينادي ويلته وهي هلكته يقول لها تعالي فهذا اوانك
وانما قلبت الفا كما في صحاري ومداري ليتني لم اتخذ فلانا
خليلا فلان كناية عن الاعلام فان اريد بالظالم عقبة
لما روي انه اتخذ ضيافة فدعا اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فابى ان ياكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل
فقال له ابي بن خلف هو خليله وجهي من وجهك حرام
الا ان ترجع فارتد فالمعنى ليتني لم اتخذ ابيا خليلا
فكنى عن اسمه وان اريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين
خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة فجعله كناية وقيل
هو كناية عن الشيطان لقد اضلني عن الذكر عن ذكر الله
او القران او الايمان بعد اذ جاءني من الله وكان
الشيطان اي خليله سماه شيطانا لانه اضله كما يضله
الشيطان او ابليس لانه حمله على مخالة المضل ومخالفة
الرسول للانسان المطيع له خذولا هو مبالغة من الخذلان
اي من عادته ترك من يواليه وهذا حكاية كلام الله تعالى
او كلام الظالم وقال الرسول اي محمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا
يا رب ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا متروكا اي
تركوه ولم يؤمنوا به من الهجران وهو مفعول ثان لاتخذوا
وفي هذا تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لان الانبياء عليهم السلام
اذا شكوا اليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا ثم اقبل
عليه مسليا وواعدا النصرة عليهم فقال وكذلك جعلنا
لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا
اي وكذلك كان كل نبي قبلك مبتلى بعداوة قومه وكفاك بي
هاديا الى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصرا لك عليهم
والعدو يجوز ان يكون واحدا وجمعا والباء زائدة اي وكفى ربك
هاديا وهو تمييز وقال الذين كفروا اي قريش او اليهود لولا نزل
عليه القران جملة حال من القران اي مجتمعا واحدة يعني هلا
انزل عليه دفعة واحدة في وقت واحد كما انزلت الكتب الثلثة
وماله انزل على التفاريق وهذا فضول من القول ومماراة
بما لا طائل تحته لان امر الاعجاز والاحتجاج به لا يختلف
بنزوله جملة واحدة وهذا اعتراض فاسد لانهم تحدوا
بالاتيان بسورة واحدة من اصغر السور فابرزوا صفحة عجزهم
حتى لاذوا بالمناصبة وفزعوا الى المحاربة وبذلوا المهج وما مالوا الى الحجج
في الدنيا فان فلانا كناية عن الاعلام كما ان الهن كناية على الاجناس وقيل فلان كناية عن علم ذكور من
يعقل وفلانة عن علم اناثهم وفل كناية عن نكرة من يعقل من الذكور وفلة عمن يعقل من الاناث والفلان
والفلانة عن غير العاقل ويختص فل بالنداء الا في ضرورة كما في قوله في لجة امسك فلانا وقوله خذ احد ثاني
عن فل وفلان وليس فل مرخما من فلان خلافا للفراء صح مدارك
يا ويلتى تقلب ياء المتكلم الفا كما في صحاري ومداري
وقرئ على الاصل يا ويلتي اي هلكتي تعالي واحضري
فهذا اوانك ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يريد من اضله

واختلفوا في لام فل وفلان فقيل واو وقيل ياء هذا فان اريد بالظالم عقبة ففلان كناية عن ابي وان اريد به الجنس
فهو كناية عن علم كل من يضله كائنا من كان من شياطين الانس والجن وهذا التمني منه وان كان مسوقا
لابراز الندم والحسرة لكنه متضمن لنوع تعلل واعتذار بتوريك جنايته الى الغير وقوله تعالى لقد اضلني
عن الذكر تعليل لتمنيه المذكور وتوضيح لتعلله وتصديره باللام القسمية للمبالغة في بيان خطائه واظهار ندمه وحسرته
اي والله لقد اضلني عن ذكر الله او عن القران او عن موعظة الرسول صلى الله عليه وسلم او كلمة الشهادة بعد اذ جاءني و
تمكنت منه وقوله تعالى وكان الشيطان للانسان خذولا اي مبالغا في الخذلان حيث يواليه حتى يؤديه الى الهلاك
ثم يتركه ولا ينفعه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اما من جهته تعالى او من تمام كلام الظالم على انه سمى خليله شيطانا
بعد وصفه بالاضلال الذي هو اخص الاوصاف الشيطانية او على انه اراد بالشيطان ابليس لانه حمله على مخالة
المضلين ومخالفة الرسول الهادي عليه السلام بوسوسته واغوائه فان وصفه بالخذلان يشعر بانه كان يعده
في الدنيا ويمنيه بانه ينفعه في الاخرة وهو اوفق بحال ابليس وقال الرسول عطف على قوله تعالى قال الذين لا يرجون
لقاءنا وما بينهما اعتراض مسوق لاستعظام ما قالوه وبيان ما يحيق بهم في الاخرة من الاهوال والخطوب
وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة لتحقيق الحق والرد على نحورهم حيث كان ما حكي عنهم قدحا في رسالته
اي قالوا اثر ما شاهد منهم غاية العتو ونهاية الطغيان بطريق البث الى ربه تعالى
يا رب ان قومي يعني الذين حكي عنهم ما حكي من الشنائع اتخذوا هذا القران الذي من جملته هذه الايات الناطقة
بما يحيق بهم في الاخرة من فنون العقاب كما ينبئ عنه كلمة الاشارة مهجورا اي متروكا بالكلية ولم يؤمنوا به ولم يرفعوا
اليه رأسا ولم يتاثروا بوعيده وفيه تلويح بان من حق المؤمن ان يكون كثير التعاهد للقران كيلا يندرج تحت
ظاهر النظم الكريم فانه روي عنه صلى الله عليه وسلم من تعلم القران وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة
متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى
اي جعلوه مهجورا فيه اما على زعمهم الباطل واما بان هجروا فيه اذا سمعوه كما يحكى عنهم من قولهم لا تسمعوا
لهذا القران والغوا فيه وقد جوز ان يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول فالمعنى اتخذوه هجرا
وهذيانا وفيه من التحذير والتخويف ما لا يخفى فان الانبياء عليهم السلام اذا شكوا الى الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب
ولم ينظروا وقوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل له على الاقتداء
بمن قبله من الانبياء عليهم السلام اي كما جعلنا لك اعداء من المشركين يقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون
من الاباطيل جعلنا لكل نبي من الانبياء الذين هم اصحاب الشريعة والدعوة اليها عدوا من مجرمي قومهم فاصبر كما صبروا
وكفى بربك هاديا ونصيرا وعد كريم له عليه السلام بالهداية الى كافة مطالبه والنصرة على اعدائه اي كفاك مالك امرك
ومبلغك الى الكمال هاديا لك الى ما يوصلك الى غاية الغايات التي من جملتها تبليغ الكتاب اجله واجراء
احكامه في اكناف الدنيا الى يوم القيمة ونصيرا لك على جميع من يعاديك وقال الذين كفروا حكاية لاقتراحهم الخاص
بالقران الكريم بعد حكاية اقتراحهم في حقه عليه السلام والقائلون هم القائلون اولا وايرادهم بعنوان الكفر لذمهم به والاشعار
بعلة الحكم لولا نزل عليه القران التنزيل ههنا مجرد عن معنى التدريج كما في قوله تعالى يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم
كتابا من السماء ويجوز ان يراد به الدلالة على كثرة المنزل في نفسه اي هلا انزل كله جملة واحدة كالكتب الثلثة
وبطلان هذه الكلمة الحمقاء مما لا يكاد يخفى على احد فان الكتب المتقدمة لم يكن شاهد صحتها ودليل كونها من عند الله
اعجازها واما القران الكريم فبينة صحته واية كونه من عند الله تعالى نظمه المعجز الباقي على مر الدهور المتحقق
في كل جزء من اجزائه المقدرة بمقدار اقصر السور حسبما وقع به التحدي ولا ريب في ان ما يدور عليه فلك الاعجاز
هو المطابقة لما يقتضيه الاحوال ومن ضرورة تغيرها وتجددها تغير ما يطابقها حتما على ان فيه فوائد جمة
قد اشير الى بعض منها بقوله تعالى كذلك الاية
انتهى ابو السعود رحمه الله

مغايراً له لتقوى بذلك التنزيل المفرق فؤادك فان فيه تيسيراً لحفظ النظم وفهم المعاني وضبط الاحكام والوقوف
على تفاصيل ما روعي فيها من الحكم والمصالح المبنية على المناسبة على انها منوطة باسبابها الداعية الى شرعها ابتداء او بدلا
بالنسخ من احوال المكلفين وكذلك عامة ما ورد في القرآن المجيد من الاخبار وغيرها متعلقة بامور حادثة من
الاقاويل والافاعيل ومن قضية تجددها تجدد ما يتعلق بها كالاقتراحات الواقعة من الكفرة الداعية
الى حكايتها وابطالها وبيان ما يؤول اليه حالهم في الاخرة على انهم في هذا الاقتراح كالباحث عن حتفه بظلفه
حيث امروا بالاتيان بمثل نوبة من نوب التنزيل فظهر عجزهم عن المعارضة وضاقت عليهم الارض بما رحبت
فكيف لو تحدوا بكله وقوله تعالى ورتلناه ترتيلا عطف على ذلك المضمر وتنكير ترتيلا للتفخيم اي كذلك نزلناه
ورتلناه ترتيلا بديعا لا يقادر قدره ومعنى ترتيله تفريقه آية بعد آية قاله النخعي والحسن وقتادة وقال ابن عباس
رضي الله عنهما بيناه بيانا فيه ترتيل وتثبت وقال السدي فصلناه تفصيلا وقال مجاهد جعلنا بعضه في اثر بعض
وقيل هو الامر بترتيل قراءته بقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا وقيل قرأناه عليك بلسان جبريل شيئا
فشيئا في عشرين او في ثلث وعشرين سنة على تؤدة وتمهل ولا يأتونك بمثل من الامثال التي من جملتها
ما حكي من اقتراحاتهم القبيحة الخارجة عن دائرة العقول الجارية لذلك مجرى الامثال اي لا يأتونك بكلام
عجيب هو مثل في البطلان يريدون به القدح في حقك وحق القرآن الا جئناك في مقابلته بالحق اي
بالجواب الحق الثابت الذي ينحي عليه بالابطال ويحسم مادة القيل والقال كما مر من الاجوبة الحقة القالعة
لعروق اسئلتهم الشنيعة الدامغة لها بالكلية وقوله تعالى واحسن تفسيرا عطف على الحق اي جئناك باحسن تفسير
او على محل بالحق اي اتيناك الحق واحسن تفسيرا اي بيانا وتفصيلا على معنى انه في غاية ما يكون من الحسن في حد
ذاته لا ان ما يأتون به له حسن في الجملة وهذا احسن منه كما مر والاستثناء مفرغ محله النصب على الحالية اي لا يأتونك
بمثل الا حال ايتائنا اياك الحق الذي لا محيد عنه وفيه من الدلالة على المسارعة الى ابطال ما اتوا به وتثبيت
فؤاده عليه السلام ما لا يخفى وهذا بعبارته ناطق ببطلان جميع الاسولة وصحة جميع الاجوبة وباشارته
مبني عن بطلان السؤال الاخير وصحة جوابه اذ لولا ان تنزيل القرآن على التدريج لما امكن ابطال تلك
الاقتراحات الشنيعة ولما حصل تثبيت فؤاده عليه السلام من تلك الحيثية هذا وقد جوز ان يكون المثل
عبارة عن الصفة الغريبة التي كانوا يقترحون كونه عليه السلام عليها من مقارنة الملك والاستغناء عن الاكل والشرب
وحيازة الكنز والجنة ونزول القرآن عليه جملة واحدة على معنى لا يأتونك بحالة عجيبة يقترحون اتصافك بها
قائلين هلا كان على هذه الحالة الا اعطيناك نحن من الاحوال الممكنة ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا ان تعطاه
وما هو احسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته وهو الذي انت عليه في الذات والصفات ويأباه
الاستثناء المذكور فان المتبادر منه ان يكون ما اعطاه الله تعالى من الحق مترتبا على ما اتوا به من الاباطيل
ودامغا لها ولا ريب في ان ما آتاه الله تعالى من الملكات السنية اللائقة بالرسالة قد آتاه من اول الامر لا بمقابلة
ما حكي عنهم من الاقتراحات لاجل دمغها وابطالها الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اي يحشرون كائنين
على وجوههم يسحبون عليها ويجرون الى جهنم وقيل متعلقين وجوههم على قفاهم وارجلهم الى فوق روي عنه
عليه السلام يحشر الناس يوم القيمة على ثلثة اثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على اقدامهم
ينسلون نسلا واما ما قيل متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها فبعيد لان هول ذلك اليوم ليس بحيث
يبقى لهم عنده تعلق بالسفليات او توجه اليها في الجملة ومحل الموصول اما النصب على الذم او الرفع على الابتداء وقوله
اولئك بدل منه او بيان له وقوله شر مكانا واضل سبيلا خبر له او اسم الاشارة مبتدأ ثان وشر خبره والجملة
خبر للموصول ووصف السبيل بالضلال من باب الاسناد المجازي للمبالغة والمفضل عليه الرسول صلى الله عليه وسلم على منوال
قوله تعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كأنه قيل ان حاملهم على هذه الاقتراحات
تحقير مكانه صلى الله عليه وسلم بتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا وقيل هو متصل
بقوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا انتهى ابو السعود رحمه الله

كذلك جواب لهم اي كذلك انزل مفرقا عشرين سنة او في
ثلث وعشرين سنة وذلك في كذلك اشارة الى مدلول قوله
لولا انزل عليه القرآن جملة واحدة لان معناه لم انزل عليه القرآن
مفرقا فاعلم ان ذلك لنثبت به فؤادك لنقوي بتفريقه
فؤادك حتى تعيه وتحفظه لان المتلقن انما يقوى قلبه على
حفظ العلم شيئا بعد شيء وجزءا عقيب جزء ولو القي عليه
جملة واحدة لعجز عن حفظه ولنثبت به فؤادك عن الضجر
بتواتر الوصول وتتابع الرسول لان قلب المحب يسكن
بتواصل كتب المحب ورتلناه ترتيلا معطوف على الفعل
الذي تعلق به كذلك كانه قال كذلك فرقناه ورتلناه
اي قدرناه آية بعد آية ووقفة عقيب وقفة او امرنا
بترتيل قراءته وذلك قوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا اي
اقرأه بترسل وتثبت او بيناه تبيينا والترتيل
التبيين في ترسل وتثبت ولا يأتونك بمثل بسؤال
عجيب من سؤالاتهم الباطلة كانه مثل في البطلان الا
جئناك بالحق الا اتيناك بالجواب الحق الذي لا محيد عنه
واحسن تفسيرا وبما هو احسن معنى ومؤدى من مثلهم
اي من سؤالهم وانما حذف من مثلهم لان في الكلام دليلا
عليه كما لو قلت رأيت زيدا وعمرا وكان عمرو احسن وجها
فيه دليل على انك تريد من زيد ولما كان التفسير هو
التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا
تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا او ولا يأتونك
بحال وصفة عجيبة يقولون هلا انزل عليه القرآن جملة الا
اعطيناك من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا ان تعطاه وما
هو احسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته يعني
ان تنزيله مفرقا وتحديهم بان يأتوا ببعض تلك التفاريق
كلما نزل شيء منها ادخل في الاعجاز من ان ينزل كله جملة
الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر الذين
مبتدأ واولئك مبتدأ ثان وشر خبر اولئك واولئك مع شر
خبر الذين او التقدير هم الذين او اعني الذين واولئك
مستأنف مكانا اي مكانة ومنزلة او مسكنا ومنزلا
واضل سبيلا واخطأ طريقا وهو من الاسناد المجازي
والمعنى ان حاملكم على هذه السؤالات انكم تضللون
سبيله وتحتقرون مكانه ومنزلته ولو نظرتم بعين
الانصاف وانتم من المسحوبين على وجوههم الى جهنم لعلمتم
ان مكانكم شر من مكانه ومنزلته وسبيلكم اضل من سبيله
وفي طريقته قوله تعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله

من لعنه الله وغضب عليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الناس
يوم القيمة على ثلثة اصناف صنف على الدواب وصنف على
ارجلهم وصنف على وجوههم قيل يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم
فقال عليه الصلوة والسلام ان الذي امشاهم على اقدامهم يمشيهم
على وجوههم
انتهى المدارك

كذلك جواب لهم اي انزلناه مفرقا كذلك والاشارة
الى مدلول قولهم لان معناه لم نزل عليه القرآن مفرقا فاعلم
ان ذلك لنثبت به فؤادك ليقوى بتفريقه فؤادك
حتى تعيه وتحفظ لان المتلقن وان لم يكن اميا انما يقوى قلبه
على حفظ العلم شيئا بعد شيء ولو القي عليه جملة واحدة لعجز
عن حفظه او لنثبت به فؤادك عن الضجر بتواتر الاصول
وتتابع الرسول لان قلب المحب يسكن بتواصل كتب المحبوب
ولانه اذا ترك منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته
زاد ذلك قوة قلبه ومنها ان نزوله بحسب الوقائع يوجب
زيادة بصيرة وغوص في المعنى ومنها انضمام القرائن الحالية
الى الدلالات اللفظية فانه يعين على البلاغة واما الناسخ
والمنسوخ لا يجتمعان وكذا اسباب النزول لا يجتمعون
فليس من الفوائد وان كان من جملة البواعث لذلك
ويحتمل ان يكون كذلك من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف
عليه فيكون حالا والاشارة الى الكتب السالفة واللام
على الوجهين متعلق بمحذوف ورتلناه ترتيلا وقرأناه
عليك شيئا بعد شيء على تؤدة وتمهل واصله الترتيل
في الاسنان وهو تفليجها ولا يأتونك بمثل بسؤال عجيب
من سؤالاتهم الباطلة كانه مثل في البطلان الا جئناك
بالحق الدافع واحسن تفسيرا وبما هو احسن بيانا او تفسيرا
التكشيف عما يدل عليه الكلام الذين يحشرون اي يساقون
ويجرون على وجوههم الى جهنم ذم منصوب او مرفوع
او مبتدأ خبره اولئك شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون
ابلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا واضل سبيلا
ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي للمبالغة والمفضل
عليه هو الرسول عليه السلام على طريقة قولهم قل هل انبئكم بشر
من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه
كأنه قيل ان حاملهم على هذه الاسولة تحقير مكانه بتضليل
سبيله ولا يعلموا حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا
انتهى ابن كمال

قوله كذلك لنثبت به فؤادك فانه استيناف وارد من
جهته تعالى لرد مقالتهم الباطلة وبيان الحكمة في التنزيل التدريجي
ومحل الكاف النصب على انها صفة لمصدر مؤكد لفعل مقدر معلل بما بعده
وذلك اشارة الى ما يفهم من كلامهم اي مثل ذلك التنزيل المفرق
الذي قدحوا فيه واقترحوا خلافه نزلناه لا تنزيلا مغايرا له

ولقد آتينا موسى الكتاب التورية وجعلنا معه في عبارة معه اشارة الى اصالة موسى عليه السلام في امر الدعوة واخاه هارون بدلا او عطف بيان وزيرا هو في اللغة من يرجع اليه ويتحصن برأيه من الوزر وهو الملجأ والوزارة لا تنافي النبوة فقد كان يبعث في الزمن الواحد انبيا ويؤمرون بان تؤازر بعضهم بعضا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا الى فرعون وقومه فدمرناهم تدميرا التدمير الاهلاك بامر عجيب اراد الاختصار فاقتصر على حاشيتي القصة لانهما المقصود منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم فالفاء فصيحة وهي فاء سببية ولا يلزم التعقيب وقوم نوح منصوب بفعل يفسره هذا الظاهر اى اغرقنا قوم نوح والعامل في لما ذلك المحذوف كذبوا الرسل انكروا البعثة مطلقا كالبراهمة اغرقناهم بالطوفان وجعلناهم وجعلنا قصتهم للناس آية عبرة واعتدنا للظالمين لقوم نوح عليه السلام واعتدنا لهم الا انه اراد تظليمهم فاظهر او هو عام لكل من ظلم ظلم شرك ويتناولهم بعمومه عذابا اليما جهنم ولعله عذابهم في البرزخ فغير متراخ عن اغراقهم وعادا وثمودا عطف على هم في جعلناهم او على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين ولانما صرف ثمود على تاويل الحي او لانه اسم الاب الاكبر وقرئ وثمود على تاويل القبيلة واصحاب الرس قوم لشعيب عليه السلام كانوا يعبدون الاصنام فكذبوا شعيبا فبيناهم حول الرس وهو البير غير المطوية انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية فتلوا نبيهم فهلكوا وهم اصحاب الاخدود والرس الاخدود وقرونا واهل اعصار قدمر تفسير القرن في سورة الانعام بين ذلك واشارة الى ما ذكر كثيرا لا يعلمها الا الله وكلا ضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة من الامم التي كانت قبلهم اي حذرنا كل امة ان ينزل بها ما نزل بمن قبلها فلما اصروا هلكوا كما قال وكلا تبرنا تتبيرا اي اهلكنا اهلاكا واصل التتبير التفتيت ومنه التبر لفتات الذهب والزجاج وكلا الاول منصوب لما دل عليه ضربنا له الامثال وهو انذرنا او حذرنا والثاني بتبرنا لانه فارغ له

اسمها بجا كلا

ولقد آتينا موسى الكتاب التوريه كما آتيناك القرآن وجعلنا معه اخاه هرون بدل او عطف بيان وزيرا هو في اللغة من يرجع اليه ويتحصن برأيه من الوزر وهو الملجأ والوزارة لا تنافي النبوة فقد كان في الزمن الواحد انبياء ويؤمرون بان يوازر بعضهم بعضا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا اى فرعون وقومه وتقديره فذهبا اليهم وانذرا فكذبوهما فدمرناهم تدميرا التدمير الاهلاك بامر عجيب اراد اختصار القصة فذكر اولها وآخرها لانهما المقصود من القصة اعنى الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم وقوم نوح اى ودمرنا قوم نوح لما كذبوا الرسل يعني نوحا وادريس وشيثا او كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع اغرقناهم بالطوفان وجعلناهم وجعلنا اغراقهم او قصتهم للناس آية عبرة يعتبرون بها واعتدنا وهيأنا للظالمين لقوم نوح واصله اعتدنا لهم الا انه اراد تظليمهم فاظهر او هو عام لكل من ظلم ظلم شرك ويتناولهم بعمومه عذابا اليما اى النار وعادا ودمرنا عادا وثمود حمزة وحفص على تاويل القبيلة وغيرهما وثمودا على تاويل الحي او لانه اسم للاب الاكبر واصحاب الرس هم قوم شعيب يعبدون الاصنام فكذبوا شعيبا فبيناهم حول الرس وهو البير غير المطوية انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية قتلوا نبيهم فهلكوا او هم اصحاب الاخدود والرس الاخدود وقرونا واهلكنا امما بين ذلك المذكور كثيرا لا يعلمها الا الله ارسل اليهم الرسل فكذبوهم فاهلكوا وكلا ضربنا له الامثال بينا القصص العجيبة من قصص الاولين وكلا تبرنا تتبيرا اي اهلكنا اهلاكا وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو انذرنا وحذرنا والثاني بتبرنا لانه فارغ له اعلم ان العاقل من اتعظ بالمواعظ الربانية فكذلك من لم يتعظ بها ضلوا وهلكوا كالقرون المتقدمة الهالكة وقال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه اى اذلها واستعبدها وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله

ولقد آتينا موسى الكتاب جملة مستأنفة سيقت لتأكيد ما مر من التسلية والوعد بالهداية والنصرة في قوله وكفى بربك هاديا ونصيرا بحكاية ما جرى بين من ذكر من الانبياء عليهم السلام وبين قومهم حكاية اجمالية كافية فيما هو المقصود واللام جواب لقسم محذوف اي وبالله لقد آتينا موسى التورية اي انزلناها عليه بالآخرة وجعلنا معه متعلق بجعلنا وقوله اخاه مفعول اول له وقوله هرون بدل من اخاه او عطف بيان له على عكس ما وقع في سورة طه وقوله وزيرا مفعول ثان له وقد مر تحقيق معنى الوزير اي جعلناه في اول الامر وزيرا له فقلنا لهما اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا هم فرعون وقومه والآيات هي المعجزات التسع المفصلات الظاهرة على يدي موسى عليه السلام

ولم يوصف القوم بهما عند ارسالهما اليهم بهذا الوصف ضرورة تأخر تكذيب الآيات عن اظهارها المتأخر عن ذهابهما المتأخر عن الامر به بل انما وصفوا بذلك عند الحكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بيانا لعلة استحقاقهم لما يحكى بعده من التدمير اي فذهبا اليهم فاريناهم آياتنا كلها فكذبوها تكذيبا مستمرا فدمرناهم اثر ذلك التكذيب المستمر تدميرا عجيبا هائلا لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود وحمل قوله تعالى فدمرناهم على معنى فحكمنا بتدميرهم مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا وجه له اذ لا فائدة يعتد بها في حكاية الحكم بتدمير قد وقع وانقضى والتعرض في مطلع القصة لايتاء الكتاب مع انه كان بعد مهلك القوم ولم يكن له مدخل في هلاكهم كسائر الآيات للايذان من اول الامر ببلوغه عليه السلام غاية الكمال ونيله نهاية الآمال التي هي انجاء بني اسرائيل من ملكة فرعون وارشادهم الى طريق الحق بما في التورية من الاحكام اذ به يحصل تأكيد الوعد بالهداية على الوجه الذي مر بيانه وقرئ فدمرتهم وفدمراهم وفدمرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة وقوم نوح منصوب بمضمر يدل عليه قوله تعالى فدمرناهم اي ودمرنا قوم نوح وقيل عطف على مفعول فدمرناهم وليس من ضرورة ترتب تدميرهم على ما قبله ترتب تدمير هؤلاء عليه لا سيما وقد بين سببه بقوله تعالى لما كذبوا الرسل اى نوحا ومن قبله من الرسل او نوحا وحده لان تكذيبه تكذيب للكل لاتفاقهم على التوحيد والاسلام وقيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى اغرقناهم وانما يتسنى ذلك على تقدير كون كلمة لما ظرف زمان واما على تقدير كونها حرف وجود لوجود فلا لانه حينئذ جواب لها وجواب لما لا يفسر ما قبله مع انه مخل بعطف المنصوبات الآتية على قوم نوح لما ان اهلاكهم ليس بالاغراق فالوجه ما تقدم وقوله تعالى اغرقناهم استيناف مبين لكيفية تدميرهم وجعلناهم اى جعلنا اغراقهم او قصتهم للناس آية اى آية عظيمة يعتبر بها كل من شاهدها او سمعها وهو مفعول ثان لجعلنا وللناس ظرف لغو له او متعلق بمحذوف وقع حالا من آية اذ لو تأخر عنها لكان صفة لها واعتدنا للظالمين اى لهم والاظهار في موقع الاضمار للايذان بتجاوزهم الحد في الكفر والتكذيب عذابا اليما هو عذاب الآخرة اذ لا فائدة في الاخبار باعداد العذاب الذي قد اخبر بوقوعه من قبل او لجميع الظالمين الباقين الذين لم يعتبروا بما جرى عليهم من العذاب فيدخل في زمرتهم قريش دخولا اوليا ويحتمل العذاب الدنيوي والاخروي وعادا عطف على قوم نوح وقيل على المفعول الاول لجعلناهم وقيل على محل للظالمين اذ هو في معنى وعدنا الظالمين وكلاهما بعيد وثمود الكلام فيه وفيما بعده كما فيما قبله وقرئ وثمودا على تاويل الحي او على انه اسم الاب الاقصى واصحاب الرس هم قوم يعبدون الاصنام فبعث الله تعالى اليهم شعيبا عليه السلام فكذبوه فبيناهم حول الرس وهي البير التي لم تطو بعد اذ انهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود بعث اليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل هم اصحاب الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم حنظلة بن صفوان النبي عليه السلام ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقا لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ او دمخ فتنقض على صبيانهم فتخطفهم ان اعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة عليه السلام فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه عليه السلام فاهلكوا وقيل قوم كذبوا رسولهم ودسوه اي دسوه في بير وقرونا اى اهل قرون قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وقيل مائة وعشرون بين ذلك اي بين ذلك المذكور من الطوائف والامم وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على ذلك المذكور وذلك المحسوب كثيرا لا يعلم مقدارها الا العليم الخبير ولعل الاكتفاء في شئون تلك القرون بهذا البيان الاجمالي لما ان كل قرن منها لم يكن في الشهرة وغرابة القصة بمثابة الامم المذكورة وكلا منصوب بمضمر يدل عليه ما بعده فان ضرب المثل في معنى التذكير والتحذير والمحذوف الذي عوض عنه التنوين عبارة اما عن الامم التي لم يذكر اسباب هلاكهم واما عن الكل فان ما حكي عن قوم نوح وقوم فرعون تكذيبهم للآيات والرسل لا عدم التأثر من الامثال المضروبة اى ذكرنا وانذرنا كل واحد من المذكورين ضربنا له الامثال اي بينا له القصص العجيبة الزاجرة عما هم عليه من الكفر والمعاصي بواسطة الرسل وكلا اى كل واحد منهم لا بعضهم دون بعض تبرنا تتبيرا عجيبا هائلا لما انهم لم يتأثروا بذلك ولم يرفعوا له رأسا وتمادوا على ما هم عليه من الكفر والعدوان

ولقد أتوا يعني أهل مكة على القرية سدوم وهي أعظم قرى قوم لوط
وكانت خمسا أهلك الله تعالى أربعا وبقيت واحدة التي أمطرت
مطر السوء أي أمطر الله عليها حجارة يعني أن قريشا مروا مرارا
كثيرة في متاجرهم إلى الشام على تلك القرية التي أهلكت بالحجارة
من السماء ومطر السوء مفعول ثان والأصل أمطرت القرية
مطرا أو مصدر محذوف الزوائد أي إمطار السوء أفلم يكونوا
يرونها أما شاهدوا ذلك بأبصارهم عند سفرهم إلى الشام فيتفكروا
فيؤمنوا بل كانوا لا يرجون نشورا بل كانوا قوما كفرة بالبعث
لا يخافون بعثا فلا يؤمنون أو لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون
لطمعهم في الوصول إلى ثواب أعمالهم وإذا رأوك إن يتخذونك
إن نافية إلا هزوا اتخذه هزوا في معنى استهزأ به والأصل
اتخذه موضع هزء أو مهزوءا به أهذا محكي بعد القول المضمر
وهو استصغار واستهزاء أي قائلين أهذا الذي بعث
الله رسولا والمحذوف حال والعائد إلى الذي محذوف أي
بعثه إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها إن مخففة
من الثقيلة واللام فارقة وهو دليل على فرط مجاهدة رسول الله
صلى الله عليه وسلم في دعوتهم وعرض المعجزات عليهم حتى شارفوا
بزعمهم أن يتركوا دينهم إلى دين الإسلام لولا فرط لجاجهم و
استمساكهم بعبادة آلهتهم وسوف يعلمون حين يرون
العذاب هو وعيد ودلالة على أنهم لا يفوتونه وإن طالت
مدة الإمهال من أضل سبيلا هو كالجواب عن قولهم إن
كاد ليضلنا لأنه نسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى الضلال إذ لا يضل غيره إلا من هو ضال في نفسه
أرأيت من اتخذ إلهه هواه أي من أطاع هواه فيما
يأتي ويذر فهو عابد هواه وجاعله إلهه فيقول لرسوله
هذا الذي لا يرى معبودا إلا هواه كيف تستطيع
أن تدعوه إلى الهدى يروى أن الرجل من أهل الجاهلية
كان يعبد الحجر فإذا مر بحجر أحسن منه ترك الأول وعبد الثاني
وعن الحسن هو في كل متبع هواه أفأنت تكون عليه وكيلا
أي حفيظا تحفظه عن متابعة هواه وعبادة ما يهواه
أو أفأنت تكون عليه موكلا فتصرفه عن الهوى إلى الهدى
عرفه أن إليه التبليغ فقط   انتهى المدارك

ولقد أتوا يعني أهل مكة على القرية سدوم وهي أعظم قرى قوم لوط
عليه السلام التي أمطرت مطر السوء أي أهلكت بالحجارة ومطر
السوء مفعول ثان والأصل أمطرت القرية مطرا أو مصدر
محذوف الزوائد أي إمطار السوء أفلم يكونوا يرونها
في مرار مرورهم فيتعظوا بما يرونها من آثار عذاب الله تعالى
بل كانوا لا يرجون نشورا بل كانوا كفرة لا يخافون نشورا
فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا وإذا رأوك إن يتخذونك
أي ما يتخذونك إلا هزوا موضع هزء أو مهزوءا به
أهذا محكي بعد القول المضمر وهذا استصغار واستحقار
أي قائلين هذا الذي بعث الله رسولا والعائد إلى الذي
محذوف أي بعثه وإخراجه في معرض التسليم بجعله صلة
وهم في غاية الإنكار تهكم واستهزاء إن كاد إنه كاد
ليضلنا عن آلهتنا ليصرفنا عن عبادتها لولا أن صبرنا عليها
فيه دلالة على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم في
دعوتهم وعرض المعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم أن
يتركوا دينهم إلى دين الإسلام ولولا فرط لجاجهم
واستمساكهم بعبادة آلهتهم لما عدوا عبادتهم
الأصنام رشادا واعتقدوا صرفهم عنها ضلالا
أوعدهم الله تعالى فقال وسوف يرون حين يرون العذاب
من أضل سبيلا فيه وعيد ودلالة على أنه لا يهملهم وإن
أمهلهم أرأيت من اتخذ إلهه هواه أي من أطاع هواه
فيما يأتي ويذر فهو عابد هواه وجاعله إلهه فيقول
لرسوله هذا الذي لا يرى معبودا إلا هواه كيف
تستطيع أن تدعوه إلى الهدى وإنما قدم المفعول الثاني
للإشعار بأن المعبود حقه التقديم والتعظيم فهم
قد أخلوا بحقه حيث اتخذوا أهواءهم آلهة أفأنت
تكون عليهم وكيلا أي حفيظا تحفظه عن متابعة
هواه وعبادة ما يهواه أو أفأنت تكون عليه
موكلا فتصرفه عن الهوى إلى الهدى عرفه أن إليه التبليغ
فقط فالاستفهام الأول للتعجب والتقرير والثاني للإنكار
انتهى

ولا شمس معه ولا ظلمة وهو كما قال في ظل الجنة وظل ممدود
اذ لا شمس معه ولا ظلمة **ولو شاء لجعله ساكنا** اى دائما لا يزول
ولا تذهبه الشمس **ثم جعلنا الشمس عليه** على الظل **دليلا**
لانه بالشمس يعرف الظل ولولا الشمس لما عرف الظل
فالاشياء تعرف باضدادها **ثم قبضناه** اى اخذنا ذلك الظل
الممدود **الينا** الى حيث اردنا **قبضا يسيرا** سهلا غير عسير
او قليلا قليلا اى جزءا فجزءا بالشمس التى تاتى عليه وجاء
بثم لتفاضل ما بين الامور فكان الثانى اعظم من الاول
والثالث اعظم من الثانى شبه تباعد ما بينهما في الفضل
بتباعد ما بين الحوادث في الوقت انتهى المدارك

ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون فيجدى لهم الآيات
او الحجج فتهتم بشانهم وتطمع في ايمانهم **ان هم الا كالانعام
بل هم اضل سبيلا** منقطعة معناه بل اتحسب كان هذه
المذمة اشد من التى تقدمتها حتى حقت بالاضراب عنها
اليها وهى كونهم مسلوبى الاسماع والعقول لانهم لا يلقون
الى استماع الحق اذنا ولا الى تدبره عقلا ومشبهين
بالانعام التى هى مثل في الغفلة والضلالة فقد ركبهم
الشيطان بالاستذلال لتركهم الاستدلال ثم ارجح
ضلالة منها لان الانعام تسبح ربها وتطيع من يعلفها
وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها
وتجتنب ما يضرها وتهتدى لمراعيها ومشاربها وهؤلاء
لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة
الشيطان الذى هو عدوهم ولا يطلبون الثواب
الذى هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذى هو
اشد المضار ولا يهتدون للحق الذى هو المشرع
الهنى والعذب الروى وانما ذكر الاكثر لان فيهم من
لم يصده عن الاسلام الا حب الرياسة وكفى به داء
عضالا ولان فيهم من امن **الم تر الى ربك** الم تنظر الى
صنع ربك وقدرته **كيف مد الظل** اى بسطه فعم الارض
وذلك من حين طلوع الفجر الى وقت طلوع الشمس في قول
الجمهور لانه ظل ممدود لا شمس معه ولا ظلمة وهو اطيب
الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر
وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف
به الجنة فقال وظل ممدود **ولو شاء لجعله ساكنا**
ثابتا وانا لا يزول ولا يذهبه الشمس وفيه دليل
على انه تع يفعل بالقدرة والاختيار لا بالايجاب
والاضطرار **ثم جعلنا الشمس عليه دليلا** لانه بالشمس
يعرف الظل ولولا الشمس لما عرف الظل فالاشياء
تعرف باضدادها **ثم قبضناه** القبض جمع المنبسط
من الشئ والمراد ازالته بايقاع الشمس موقعه **الينا** الى حيث اردنا **قبضا يسيرا** سهلا او قليلا قليلا
وجاء بثم في الموضعين لتفاصل الامور انتهى ابن الكمال

**ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا
كالانعام بل هم اضل سبيلا** ام منقطعة معناه
بل اتحسب كان هذه المذمة اشد من التى تقدمتها
حتى حقت بالاضراب عنها اليها وهى كونهم مسلوبى الاسماع
والعقول لانهم لا يلقون الى استماع الحق اذنا ولا الى تدبره
عقلا ومشبهين بالانعام التى هى مثل في الغفلة والضلالة
فقد ركبهم الشيطان بالاستذلال لتركهم الاستدلال
ثم هم ارجح ضلالة منها لان الانعام تسبح ربها وتسجد له
وتطيع من يعلفها وتعرف من يحسن اليها ممن يسئ اليها
وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدى لمراعيها
ومشاربها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه
اليهم من اساءة الشيطان الذى هو عدوهم ولا يطلبون
الثواب الذى هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب
الذى هو اشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذى
هو المشرع الهنى والعذب الروى وقالوا الملائكة
روح وعقل والبهائم نفس وهوى والآدمى مجمع
الكل ابتلاء فان غلبه النفس والهوى فضلته الانعام
وان غلبه الروح والعقل فضل الملائكة الكرام وانما ذكر
الاكثر لان فيهم من لم يصده عن الاسلام الا حب الرياسة
وكفى به داء عضالا ولان فيهم من آمن واعلم ان كل
محجوب بشئ واقف معه فهو محب له ومحب كل شئ غير الله
لا لله وبغير محبة الله عابد له ولهواه وللشيطان متعدد
المعبود متفرق الوجهة حكى ان واحدا من اهل الدنيا قال
للشيخ الشبلى اخبرنى عن الله تعالى فقال عن الهك او عن الهى فقال
ان الهنا واحد فقال الشبلى الهى هو الله تعالى والهك في جيبك
ثم قرأ ارايت من اتخذ الهه هواه الآية قال الدمنورى رحمه الله
الاصنام مختلفة فمنهم من صنمه نفسه ومنهم من صنمه
ولده او زوجته او تجارته او صنعته او ماله ومنهم صنمه
صلوته او حجه او حاله والتبرى من هذه الاصنام ان لا يرى
الانسان لنفسه حالا ولا يعتمد عليها وذكر شخص عند جنيد البغدادى
رحمه الله عن مشايخ خراسان ان الخلق والدنيا والنفس حجب فقال جنيد
انها حجب قلوب العوام واما الخواص فمحجوب بشئ آخر وهو رؤية الاعمال
ومطالعة الثواب عليها عن الحسن البصرى رحمه الله انه قال علم الحقيقة
ترك رؤية العمل لا ترك العمل فان العبد مأمور ومكلف كما قال
واعبد ربك حتى ياتيك اليقين **الم تر الى ربك** الم تنظر الى صنع
ربك وقدرته **كيف مد الظل** اى بسطه فعم الارض وذلك
من حين طلوع الفجر الى وقت طلوع الشمس في قول الجمهور لانه ظل ممدود

وهو الذي جعل لكم الليل لباسا جعل الظلام الساتر كاللباس
والنوم سباتا راحة للأبدان وقطعا للأعمال وأصل السبت
القطع والنائم مسبوت لأنه انقطع عمله وحركته وقيل
السبات الموت والمسبوت الميت لأنه مقطوع الحياة
وهو كقوله وهو الذي يتوفيكم بالليل ويعضده ذكر النشور
في مقابلته وجعل النهار نشورا ذا نشور أي انبعاث من النوم
كنشور الميت أو ينشر فيه الخلق للمعاش وهذه الآية مع دلالتها
على قدرة الخالق فيها إظهار لنعمته على خلقه لأن في الاحتجاب
بستر الليل فوائد دينية ودنيوية وفي النوم واليقظة
المشبهين بالموت والحياة عبرة لمن اعتبر وقال لقمان
لابنه كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وهو الذي
أرسل الرياح الريح مكي والمراد به الجنس نشرا تخفيف
نشر جمع نشور بين يدي رحمته قدام المطر لأنه ريح
ثم سحاب ثم مطر وهذه استعارة مليحة وأنزلنا من السماء
ماء طهورا بليغا في طهارته والطهور صيغة كقولك
ماء طهور أي طاهر واسم كقولك لما يتطهر به طهور كالوضوء
والوقود لما يتوضأ ويوقد به النار ومصدر بمعنى التطهر
كقولك تطهرت طهورا حسنا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
لا صلاة إلا بطهور أي بطهارة وما حكي عن ثعلب هو ما كان طاهرا
في نفسه مطهرا لغيره وهو مذهب الشافعي رحمه الله إن كان هذا
زيادة بيان لطهارته فحسن ويعضده قوله وينزل عليكم
من السماء ماء ليطهركم به وإلا فليس فعول من التفعيل في شيء
وقياسه على ما هو مشتق من الأفعال المتعدية كقطوع و
منوع غير سديد لأن بناء فعول للمبالغة فإن كان الفعل
متعديا فالفعول متعد وإن كان لازما فلازم لنحيي به
بالمطر بلدة ميتا ذكر ميتا على إرادة البلد أو المكان
ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا أي ونسقي الماء
البهائم والناس ومما خلقنا حال من أنعاما وأناسي أي
أنعاما مما خلقنا وسقى وأسقى لغتان وقرأ المفضل
البرجمي ونسقيه والأناسي جمع إنسي على القياس
ككرسي وكراسي أو إنسان وأصله أناسين كسرحان
وسراحين فأبدلت النون ياء وأدغمت وقدم إحياء الأرض
على سقي الأنعام والأناسي لأن حياتها سبب لحياتهما فقدم
ما هو سبب حياتهما على سقيهما وتخصيص الأنعام من بين
الحيوان الشارب لأن عامة منافع الأناسي متعلقة بها
فكان الإنعام بسقي الأنعام كالإنعام بسقيهم وتنكير الأنعام
والأناسي ووصفهما بالكثرة لأن أكثر الناس منيخون بالقرب

من الأودية والأنهار فبهم غنية عن سقي الماء وأعقابهم وهم
كثير يعيشون بما ينزل الله تعالى من رحمته وتنكير البلدة
لأنه يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين عن مظان الماء ولما كان
سقي الأناسي من جملة ما أنزل له الماء وصفه بالطهور
إكراما لهم وبيانا أن من حقهم أن يؤثروا الطهارة في بواطنهم
وظواهرهم لأن الطهورية شرط للإحياء انتهى المدارك

وهو الذي جعل لكم الليل لباسا شبه ظلامه الساتر باللباس
والنوم سباتا راحة للأبدان بقطع المشاغل وأصل
السبت القطع والنائم مسبوت لأنه انقطع عمله وحركته
وجعلنا النهار نشورا ذا نشور أي انبعاث من النوم
كنشور الميت أو ينشر فيه الخلق للمعاش وفي هذه الآية
مع دلالتها على قدرة الخالق إظهار لنعمته على خلقه فإن في
الاحتجاب بستر الليل فوائد دينية ودنيوية وفي النوم
واليقظة المشبهين بالموت والحيوة عبرة لمن اعتبر
وهو الذي أرسل الرياح وقرئ على التوحيد إرادة للجنس
بشرا ناشرات للسحاب جمع نشور وقرئ بالفتح على أنه مصدر
وصف به وقرئ بشرا بتخفيف بشر جمع بشور بمعنى مبشر به
بين يدي رحمته قدام المطر لأنه ريح ثم سحاب ثم مطر
وهذه استعارة مليحة وأنزلنا من السماء ماء طهورا بليغا
في طهارته وذلك أنه لم يشبه شيء بخلاف ما نبع من الأرض
ونحوه فإنه تشوبه أجزاء أرضية من مقره أو ممره
أو مما يطرح فيه وقيل مطهرا لقوله تعالى ليطهركم به وهو
اسم لما يتطهر به كالوضوء لما يتوضأ به قال عليه السلام
التراب طهور المؤمن لنحيي به بالنبات بلدة ميتا
ذكر ميتا على إرادة البلد أو المكان أو لأنه غير جار على
الفعل كسائر أبنية المبالغة فأجري مجرى الجامد ونسقيه
مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا وقرئ نسقيه وسقى وأسقى
لغتان والأناسي لأن حيوتها سبب لحيوتنا جمع إنسي على
القياس ككرسي وكراسي وإنسان وأصله أناسين لأن
حيوتها سبب لحيوتهما فقدم على ما هو سبب حيوتهما على
سقيهما وتخصيص الأنعام من بين الحيوان الشارب
لأن عامة منافع الناس متعلقة بها فكان الأنعام بسقي
الأنعام كالإنعام بسقيهم وتنكير الأنعام والأناسي ووصفها
بالكثرة لأن أكثر الناس منيخون بالقرب من الأودية والأنهار إلخ
ابن كمال

ولقد صرفناه بينهم صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وسائر الكتب المنزلة على الرسل ليذكروا ليتفكروا أو يعتبروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة فيه فيشكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا أي فأبى أكثرهم إلا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها وإنما عدل عن المضمر كيلا يتوهم أن المراد أكثر ذلك الكثير أو صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والأوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة فأبوا إلا الكفور وأن يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله ورحمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما من عام أقل مطرا من عام ولكن الله يصرفه حيث يشاء وقرأ الآية ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا نبيا ينذر أهلها يعني أن المقصود من البعثة إبلاغ الدعوة وإلزام الحجة لا الاهتمام في أمر الهداية وقبولها وإلا لفعلنا ما ضوعف عليك من دعوة كل أهل قرية بنذير مستقل فلا تطع الكافرين أي فلا توافق هواهم في بعض الأمور ابتغاء لقبولهم الدعوة ودخولهم في طريق الهداية وأما ما قيل نبيا ينذر أهلها فيخف عليك أعباء النبوة لكن قصرنا الأمر عليك تعظيما لشأنك وتفضيلا لك على سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة فلا تطع الكافرين فيما يريد ونك عليه فيرد عليه أن موجب ذلك العطف بالواو دون الفاء على ما أفصح عنه من قال فقابل ذلك بالتشديد والتصبر ولا تطع الكافرين ولم يدر أن فيه تغيير النظم القرآن وإثباتا للمقصود فيه وجاهدهم به بترك طاعتهم الذي دل عليه فلا تطع الكافرين يعني أنهم يجتهدون في إبطال حقك فقابلهم بالاجتهاد في مخالفتهم وإزاحة باطلهم جهادا كبيرا لأن مجاهدة كل الكفرة على ما فهم مما سبق من بعثته إلى جميع القرى وجملة الأمم ثم عاد إلى تعداد النعم فقال وهو الذي مرج البحرين الآية أسهى ابن كمال

في كل قرية نذيرا من كونه نذير كافة القرى لأنه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجب على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المجاهدات وبيانا أن بين حقهم أن يوسعوا الطرقات في باطنهم وظواهرهم لأن الطهورية شرط للإحياء انتهى المدارك

ولقد صرفناه بينهم ليذكروا ليذكروا أصله ليتذكروا وعلى بن يزيد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب المنزلة على الرسل وهو ذكر إنشاء السحاب وإنزال القطر ليتفكروا ويعتبروا أو يعرفوا حق النعمة فيه فيشكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا فأبى أكثرهم إلا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث أو صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والأوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة فأبوا إلا الكفر وأن يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله ورحمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما من عام أقل مطرا من عام ولكن الله يصرفه حيث يشاء وقرأ الآية وروي أن الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لأنه لا يختلف ولكن تختلف فيه البلاد وينتزع من هنا جواب في تنكير البلدة والأنعام والأناسي ونسب الأمطار إلى الأنواء وجحد أن تكون هي والأنواء من خلق الله كفر وإن رأى أن الله خالقها وقد نصب الأنواء أمارات ودلالات عليها لم يكفر وفي المعالم قال أكثر الناس إلا كفورا جحودا وكفرانهم هو أنهم إذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا وعن زيد بن خالد الجهني أنه قال صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في إثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين أي ولو شئنا لخففنا عنك أعباء نذارة جميع القرى ولبعثنا في كل قرية نبيا ينذرها ولكن شئنا أن نجمع لك فضائل جميع المرسلين بالرسالة إلى كافة العالمين فقصرنا الأمر عليك وعظمناك فتكون وحدك ككلهم ولذلك خوطب بالجمع يا أيها الرسل فقابل ذلك بالشكر والتشدد والتصبر ولا تطع الكافرين فيما يدعونك إليه من موافقتهم ومداهنتهم وكما آثرتك على جميع الأنبياء فآثر رضائي على جميع الأهواء وأريد به تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم وجاهدهم به أي بالله يعني بعونه وتوفيقه أو بالقرآن أي جادلهم به وقرعهم جهادا كبيرا عظيما موقعه عند الله لما يحتمل فيه من المشاق ويجوز أن يرجع الضمير في به إلى ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا

وهو الذي مرج البحرين خلاهما متجاورين متلاصقين
يقول مرجت الدابة اذا خليتها ترعى وسمى الماءين الكثيرين
الواسعين بحرين هذا اي احدهما عذب فرات صفة
لعذب اي شديد العذوبة حتى يقرب الى الحلاوة وهذا
ملح اجاج صفة لملح اي شديد الملوحة وجعل بينهما برزخا
حائلا من قدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج فهما في الظاهر
مختلطان وفي الحقيقة منفصلان وحجرا محجورا وسترا
ممنوعا عن الاعين كقوله حجابا مستورا وهو الذي
خلق من الماء بشرا اي النطفة انسانا فجعله نسبا وصهرا
اراد تقسيم البشر قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم
فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر اي
اناثا يصاهر بهن وهو كقوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر و
الانثى وكان ربك قديرا حيث خلق من النطفة الواحدة
بشرا نوعين ذكرا وانثى وقيل فجعله نسبا اي قرابة وصهرا
اي مصاهرة يعني الوصلة بالنكاح من باب الانساب لان
التواصل يقع بها وبالمصاهرة لان التوالد يكون بها و
يعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ان عبدوه
ولا يضرهم ان تركوه وكان الكافر على ربه على معصية
ربه ظهيرا معينا ومظاهرا وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز
والظهير والظاهر كالعوين والعاون والمظاهرة المعاونة
والمعنى ان الكافر بعبادة الصنم يتابع الشيطان و
يعاونه على معصية الرحمن والمراد بالكافر الجنس وابو جهل
وقيل هينا مهينا لا وقع له عنده من قولهم ظهرت به اذا
نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر
اليهم هكذا حال من لم يكن حبه وطاعته لله بل لاغراض
الدنيا من صنوف الهوى فيبدل مثل ملك الجنة من زوال
الدنيا وينقلب العلائق في الاخرة فيلعن بعضهم بعضا
كما قال الله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
قال بعضهم لما وقع الازدواج بين آدم وحواء باذن الله
وقع الازدواج بين ابليس والدنيا فظهر من الاول نوع البشر
وتولد من الثاني الهوى والشر فجميع الاخلاق الذميمة
والرسوم المردودة والاديان المختلفة من تاثير ذلك
الهوى فالهوى اصل وجميع الالهة الباطلة من فروع ذلك
وكان ربك قديرا على ما يشاء قادرا قويا من كمال قدرته ان خلق
من الماء بشرا سويا فان امر الجبلة والولادة امر تتحير فيه العقول
لولا زوال الاستبعاد بممارسة الرؤية والالفة انتهى

وهو الذي مرج البحرين خلاهما متجاورين متلاصقين يقول مرجت
الدابة اذا خليتها ترعى وسمى الماءين الكثيرين الواسعين البحرين
هذا عذب فرات قامع للعطش من فرط عذوبته وهذا ملح اجاج
بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل ولعل اصله مالح فخفف كبرد
في بارد وقد نقل الازهري عن الكسائي صحة مالح وان كان
الفصيح مليحا وجعل بينهما برزخا حاجزا من قدرته وحجرا محجورا
وتنافرا بليغا كان كلا منهما يقول للآخر ما يقوله المتعوذ عند
او سترا ممنوعا عن الاعين كقوله حجابا مستورا وهو الذي
خلق من الماء من النطفة بشرا لم يقل انسانا لان حقيقته
وهو الروح لم يخلق منها فجعله نسبا وصهرا اراد تقسيم البشر قسمين
ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان بن فلان
وفلانة بنت فلانة وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن
وهو كقوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا
حيث خلق من النطفة الواحدة توامين ذكرا وانثى
ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ان عبدوه ولا يضرهم
ان تركوه وكان الكافر على ربه على معصية ربه ظهيرا
معينا ومظاهرا يعني للشيطان وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز

وما ارسلناك الا مبشرا للمطيعين ونذيرا للعاصين كافرا كان
او مومنا قل ما اسألكم عليه على التبليغ الذي دل عليه الا مبشرا
ونذيرا من اجر جعل الا من شاء الا فعل من شاء ان يتخذ
الى ربه سبيلا ان يتقرب اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان
والطاعة فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود
فعله واستثناه منه قلعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية
الشفقة حيث اعتد بانتفاعك نفسك بالتعرض للثواب
والتخلص عن العقاب اجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه
واشعارا بان طاعتهم تعود عليهم بالثواب من حيث
انها بدلالته وتوكل على الحي الذي لا يموت اتخذ من لا يموت
وكيلا لا يكلك الى من يموت ذليلا يعني ثق به واسند امرك
اليه في استكفاء شرورهم والاغناء عن اجورهم
فانه الحقيق بان يعتمد عليه في كل امر وسبح ونزهه عن
ان يكل الى غيره من توكل عليه بحمده بتوفيقه الذي
يوجب الحمد وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن
خبيرا مطلعا يعني انه عالم باحوالهم كاف في جزاء اعمالهم
الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام
ثم استوى على العرش قد سبق الكلام فيه وذكره هنا زيادة تقرير
لكونه حقيقا بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق للكل والمتصرف فيه
وتحريض على الثبات والتأني في الامور فانه تعالى مع كمال قدرته
وسرعة نفاذ امره في كل مراد خلق الاشياء على تؤدة وتدرج
الرحمن خبر للذي ان جعل مبتدأ او لمحذوف ان جعل صفة
للحي او بدل من المستكن في استوى وقرئ بالجر صفة للحي
فاسأل به السؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى البحث
والاستفسار يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء وقيل
انه صلة خبيرا اي فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء
عالما يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى او جبريل عليه السلام
او من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه اسهل

وما ارسلناك الا مبشرا للمؤمنين ونذيرا منذرا للكافرين
قل ما اسألكم عليه على التبليغ من اجر من جعل ومال
الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا والمراد الا فعل
من شاء واستثناؤه عن الاجر قول ذي شفقة عليك
قد سعى لك في تحصيل مال ما اطلب منك ثوابا على ما
سعيت الا ان تحفظ هذا المال ولا تضيعه فليس
حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صوره
بصورة الثواب كانه يقول ان حفظت مالك اعتد
حفظك بمنزلة الثواب لي في رضاي به كرضى المثاب
بالثواب ولعمري انه صلى الله عليه وسلم مع امته بهذا
الصدد ومعنى اتخاذهم الى الله سبيلا تقربهم اليه
بالايمان والطاعة او بالصدقة والنفقة وقيل المراد
ولكن من شاء ان يتخذ بالانفاق الى رضى ربه سبيلا
فليفعل وقيل تقديره لا اسألكم على ما ادعوكم اليه اجرا
الا اتخاذ المدعو سبيلا الى ربه بطاعته فذلك اجري
لان الله يا جرني عليه وتوكل على الحي الذي لا يموت
اتخذ من لا يموت وكيلا لا يكلك الى من يموت ذليلا
يعني ثق به واسند امرك اليه في استكفاء شرورهم
ولا تتكل على حي يموت وقرأها بعض الصالحين فقال
لا يصح لذي عقل ان يثق بمخلوق والتوكل الاعتماد
عليه في كل امر وسبح ونزهه عن ان يكل الى غيره
من توكل عليه بحمده بتوفيقه الذي يوجب الحمد او
قل سبحان الله وبحمده او نزهه عن كل العيوب
مثنيا عليه وكفى به بذنوب عباده خبيرا اي كفى الله
خبيرا بذنوب عباده يعني انه خبير باحوالهم كاف في جزائهم
الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام اي في
مدة مقدارها هذه المدة لانه لم يكن ثمة ليل ولا نهار
روي عن مجاهد اولها يوم الاحد وآخرها يوم الجمعة
وانما خلقها في ستة ايام وهو يقدر ان يخلقها في لحظة
تعليما لخلقه الرفق والتثبت ثم استوى على العرش
الرحمن اي هو الرحمن فالرحمن خبر مبتدأ محذوف او بدل
عن الضمير في استوى او الذي خلق مبتدأ والرحمن خبره
فاسأل وبلا همز مكي وعلي به صلة سل كقوله تعالى
سأل سائل بعذاب واقع كما يكون عن صلته في قوله تعالى
ثم لتسألن يومئذ عن النعيم فسأل به كقولك اهتم به
واشتغل عنه وسأل عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه

٨ او صلة خبيرا ويكون خبيرا مفعول سل اي فسل عنه
رجلا عارفا يخبرك برحمته او فسئل رجلا خبيرا به
وبرحمته او الرحمن اسم من اسماء الله تعالى مذكور في
الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فاسأل بهذا
الاسم من يخبرك من اهل الكتاب حتى تعرف من
ينكره ومن ثمة كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذي باليمامة
يعني مسيلمة وكان يقال له رحمان اليمامة اسهی

واذا قيل لهم اي اذا قال محمد صلى الله عليه وسلم للمشركين
اسجدوا للرحمن صلّوا لله وا خضعوا له قالوا وما
الرحمن اي لا نعرف الرحمن فنسجد له فهذا سؤال
عن المسمّى به لانهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال
عن المجهول بما او عن معناه لانه لم يكن مستعملا في كلامهم
كما استعمل الرحيم والراحم والرحوم انسجد لما تامرنا
للذي تامرنا بالسجود له او لامرك بالسجود يا محمد
من غير علم منا به • يأمرنا علي وحمزة كان بعضهم
قال لبعض انسجد لما يامرنا محمد • او يأمرنا المسمى
بالرحمن ولا نعرف من هو • فقد عنا ندعوا لان معناه
عند اهل اللغة ذو الرحمة لا غاية بعدها في الرحمة لان فعلان
من ابنية المبالغة تقول رجل عطشان اذا كان في
نهاية العطش وزادهم قوله اسجدوا للرحمن نفورا تباعدا
عن الايمان تبارك الذي جعل في السماء بروجا هي منازل
الكواكب السبعة السيارة لكل كوكب بيتان يقوى حاله
فيهما • وللشمس بيت • وللقمر بيت • فالحمل والعقرب
بيتا المريخ • والثور والميزان بيتا الزهرة • والجوزاء
والسنبلة بيتا عطارد • والسرطان بيت القمر •
والاسد بيت الشمس • والقوس والحوت بيتا المشتري
والجدي والدلو بيتا زحل • وهذه البروج مقسومة
على الطبايع الاربع فيصيب كل واحد منها ثلثة بروج
فالحمل والاسد والقوس مثلثة نارية والثور و
السنبلة والجدي مثلثة ارضية والجوزاء والميزان
والدلو مثلثة هوائية والسرطان والعقرب والحوت
مثلثة مائية سميت البروج التي هي القصور العالية
بها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق
البرج من التبرج لظهوره عنه قال الحسن وقتادة
ومجاهد البروج هي النجوم الكبار لظهورها وجعل فيها
في السماء سراجا يعني الشمس لتوقدها سرجا حمزة
وعلي اي نجوما وقمرا منيرا مضيئا بالليل وهو الذي
جعل الليل والنهار خلفة فعلة من خلف كالركبة
من ركب وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار
كل واحد منهما الآخر والمعنى جعلهما ذوي خلفة يخلف
احدهما الآخر عند مضيه او يخلفه في قضاء ما فاته
من الورد لمن اراد ان يذكر يتدبر في تسخيرها
واختلافهما فيعرف مدبرهما يذكر حمزة وخلف اي يذكر الله او المنسي فيقضي او اراد شكورا اي يشكر نعمة ربه
عليه فيهما انتهى

في بيان السبعة السيارة

مريخ ١ زهره ٢ عطارد ٣ قمر ٤ شمس ٥ مشتري ٦ زحل ٧

في بيان البروج

حمل • عقرب ١ • ثور • ميزان ٢ • جوزا • سنبلة ٣ • سرطان ٤ • اسد ٥ • قوس • حوت ٦ • جدي • دلو ٧

٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢

واذا قيل لهم للمشركين اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن
اي لا نعرف الرحمن فنسجد له فهذا سؤال عن المسمّى به
لانهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما
او لانهم ظنوا انه اراد به غيره ولذلك قالوا انسجد لما تامرنا
اي للذي تامرنا بالسجود له او لامرك لنا من غير عرفان
وقرئ يامرنا بالياء على انه قول بعضهم لبعض وزادهم
اي الامر المذكور نفورا تباعدا عن الايمان تبارك
الذي جعل في السماء بروجا يعني البروج الاثني عشر
سميت به لظهورها واصله القصور العالية قال الزجاج كل ظاهر مرتفع
يقال له برج وجعل فيها سراجا يعني الشمس لتوقدها قال الله تعالى
وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الكواكب الكبار
وقيل الشمس والكواكب الكبار وعلى هذا يلزم تخصيص
القمر بالذكر بعد دخوله في البرج مع ان حق التخصيص
بالذكر للشمس لظهور فضلها على سائرها وقمرا منيرا اي مضيئا
بالليل وقرئ وقمرا كالرشد والرشد والعرب والعرب وهو
الذي جعل الليل والنهار خلفة جعلهما ذوي خلفة يخلف
كل منهما الآخر بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه او
بان يعتقبا لقوله تعالى واختلاف الليل والنهار وهي
للحالة من خلف كالركبة والجلسة لمن اراد ان يذكر ان
يتذكر الله على ما فيه من النعم انتهى ابا كاهي

او اراد شكورا ... [illegible]

وعباد الرحمن مبتدا خبره في اخر السورة اولئك يجزون الغرفة
او الذين يمشون على الارض واضافتهم الى الرحمن للتخصيص
والتفضيل وقرئ عباد الرحمن على انه جمع عابد كتاجر وتجار
هونا حال او صفة للمشي اى هينين او مشيا هينا
والهون الرفق واللين اى يمشون بسكينة ووقار
وتواضع دون مرح واختيال وتكبر ولذا كره بعض
العلماء الركوب في الاسواق ولقوله ويمشون في الاسواق
واذا خاطبهم الجاهلون اى السفهاء بما يكرهونه قالوا سلاما
سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم او تسلما
منكم نتارككم ولا نجاهلكم فاقيم السلام مقام التسليم قيل
نسختها اية القتال ولا وجه له لان الاغضاء عن السفهاء
مستحسن شرعا ومروة هذا وصف نهارهم ثم وصف
ليلهم بقوله والذين يبيتون لربهم سجدا جمع ساجد
وقياما جمع قايم والبيتوتة خلاف الظلول وهو
ان يدركك الليل نمت فيه او لم تنم وتخصيصها لان
العبادة بالليل احمز وابعد من الرياء وتاخير القيام
لمحافظة الفاصلة والذين يقولون ربنا اصرف عنا
عذاب جهنم ان عذابها كان غراما لازما ومنه الغريم
لملازمته وهو ايذان بانهم مع حسن مخالطتهم مع الخلق
واجتهادهم في عبادة الحق وجلون من العذاب مبتهلون
الى الله في صرفه عنهم لعدم اعتدادهم باعمالهم ووثوقهم على
استمرار احوالهم انها ساءت مستقرا ومقاما ساءت في
حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم
ضمير محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هي و
هذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها
او بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز
والجملة تعليل للعلة الاولى او تعليل ثان وكلاهما يحتملان
الحكاية والابتداء من الله تعالى اسمي ابا محمد

وعباد الرحمن مبتدا خبره الذين يمشون او اولئك يجزون الغرفة
بما صبروا والذين يمشون وما بعده صفة والاضافة الى الرحمن
للتخصيص والتفضيل او وصف اوليائه بعدما وصف اعداءه
على الارض هونا حالا او صفة للمشي اى هينين او مشيا هينا
والهون الرفق واللين اى يمشون بسكينة ووقار وتواضع
دون مرح واختيال وتكبر فلا يضربون باقدامهم و
لا يخفقون بنعالهم اشرا وبطرا ولذا كره بعض العلماء
الركوب في الاسواق ولقوله ويمشون في الاسواق واذا
خاطبهم الجاهلون اى السفهاء بما يكرهون قالوا سلاما
من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم او تسلما منكم
نتارككم ولا نجاهلكم فاقيم السلام مقام التسليم وقيل
نسختها اية القتال ولا حاجة الى ذلك فالاغضاء عن السفهاء
مستحسن شرعا ومروة هذا وصف نهارهم ثم وصف ليلهم
بقوله والذين يبيتون لربهم سجدا جمع ساجد وقياما جمع قائم
والبيتوتة خلاف الظلول وهي ان يدركك الليل نمت
او لم تنم وقالوا من قرا شيئا من القران في صلوة وان قل
فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب
والركعتان بعد العشاء والظاهر انه وصف لهم باحياء الليل
او اكثره والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان
عذابها كان غراما هلاكا لازما ومنه الغريم لملازمته
وصفهم باحياء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه بذكر
دعوتهم هذه ايذانا بانهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون
الى الله في صرف العذاب عنهم انها ساءت مستقرا
ومقاما اى ان جهنم وساءت في حكم بئست وفيها ضمير
مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه
ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير الذي ربط
الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها او بمعنى احزنت وفيها ضمير
اسم ان ومستقرا حال او تمييز ويصح ان يكون التعليلان
متداخلين ومترادفين وان يكونا من كلام الله وحكاية
لقولهم

والذين اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا الحد في النفقة
او لم ياكلوا للتنعم ولم يلبسوا للتصلف • وعن ابن عباس رضي الله عنهما
لم ينفقوا في المعاصي • فالاسراف مجاوزة حد الامر لا مجاوزة
القدر • وسمع رجل رجلا يقول لا خير في الاسراف
فقال لا اسراف في الخير • وقال صلى الله عليه وسلم من
منع حقا فقد قتر • ومن اعطى في غير حق فقد اسرف •
ولم يقتروا بفتح التاء كوفي • وبضم الياء وكسر التاء مدني
وشامي • وبفتح الياء وكسر التاء مكي وبصري • والقتر
والاقتار والتقتير التضييق الذي هو نقيض الاسراف
وكان اي انفاقهم بين ذلك اي الاسراف والتقتير قواما
عدلا بينهما فالقوام العدل بين الشيئين والمنصوبان
اي بين ذلك وقواما خبران • وصفهم بالقصد الذي
هو بين الغلو والتقصير • وبمثله امر صلى الله عليه وسلم
ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط الآية • وسال عبد الملك بن مروان عمر بن
عبد العزيز عن نفقته حين زوجه ابنته فقال
الحسنة بين السيئتين فعرف عبد الملك انه اراد
ما في هذه الآية وقيل اولئك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
كانوا لا ياكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون
ثيابا للجمال والزينة • ولكن لسد الجوعة وستر
العورة ودفع الحر والقر • وقال عمر رضي الله عنه
كفى سرفا ان لا يشتهي رجل شيئا الا اكله والذين لا يدعون
مع الله الها آخر اي لا يشركونه ولا يقتلون النفس التي
حرم الله اي حرمها يعني قتلها الا بالحق بقود او رجم
او ردة او شرك او سعي في الارض بالفساد
وهو متعلق بالقتل المحذوف او بلا يقتلون ولا يزنون
ونفي هذه الكبائر عن عباده الصالحين تعريض لما
كان عليه اعداؤهم من قريش وغيرهم كانه قيل والذين
طهرهم الله تعالى مما انتم عليه ومن يفعل ذلك اي المذكور
يلق اثاما جزاء الاثم يضاعف بدل من يلق لانهما
في معنى واحد اذ مضاعفة العذاب هي لقاء الاثام
كقوله متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا • تجد حطبا جزلا
ونارا تاججا • فجزم تلمم لانه بمعنى تاتنا اذ الاتيان
هو الالمام • يضعف مكي ويزيد ويعقوب • ويضعف
يضعف شامي • يضاعف ابو بكر على الاستئناف
او على الحال ومعنى يضاعف له العذاب يوم القيمة
ان يعذب على مرتكب الآثام في الآخرة عذابا على عذاب • وقيل اذا ارتكب المشرك معاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي
يضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه ويخلد جزمه جازم يضاعف ورفعه رافعه لانه معطوف عليه فيه في العذاب
مكي وحفص بالاشباع وانما خص حفص الاشباع بهذه الكلمة مبالغة في الوعيد والعرب تمد للمبالغة مع ان الاصل في
هاء الكناية الاشباع مهانا حال اي ذليلا انتهى المدارك

والذين اذا انفقوا لم يسرفوا الاسراف مجاوزة الحد في الانفاق
والاقتار التقصير عما لا بد منه وعن ابن عباس رضي الله عنهما
الاسراف الانفاق في معصية الله تعالى قل او كثر والاقتار
منع حق الله تعالى من المال وقال صلى الله عليه وسلم من منع
حقا فقد قتر ومن اعطى في غير حق فقد اسرف ولم يقتروا
بضم التاء وبضم الياء وكسر التاء وبفتح الياء وكسر التاء
والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذي هو ضد الاسراف
وكان اي انفاقهم بين ذلك اي الاسراف والاقتار قواما
القوام بالفتح العدل وبالكسر العماد وهو ما يقام به الحاجة
لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان او حال مؤكدة ويجوز
ان يكون الخبر قواما وبين ذلك لغوا والذين لا يدعون مع الله
الها آخر اي لا يشركون ولا يقتلون النفس التي حرم الله اي حرمها
يعني حرم قتلها وهي نفس الانسان الا بالحق متعلق بالقتل
المحذوف او بلا يقتلون ولا يزنون نفى عنهم امهات القبائح
بعدما اثبت لهم اصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم و
اشعارا بان الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضا
للكفرة باضداده ولذلك عقبه الوعيد تهديدا لهم فقال
ومن يفعل ذلك يلق اثاما قال ابو عبيدة الاثام العقوبة
وقرئ اياما اي شديدا يقال يوم ذو ايام اي صعب
يضاعف له العذاب يوم القيمة بدل من يلق لانهما في معنى
واحد اذ مضاعفة العذاب هي لقي الاثام وقرئ يضاعف
على الاستيناف او على الحال وكذا ويخلد فيه مهانا ذليلا انتهى

الا من تاب عن الكفر وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعمل صالحا
بعد توبته فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات بان
يمحوها سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق
طاعاتهم او يوفقهم للمحاسن بعد القبائح وكان الله غفورا
ولذلك يكفر السيئات رحيما يبدلها بالحسنات ومن تاب
وعمل صالحا ومن خرج من المعاصي ودخل في الطاعة اي
وتاب وحقق توبته بالعمل الصالح فانه بذلك يتوب
الى الله متابا مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا للثواب
والذين لا يشهدون الزور لا يقيمون الشهادة الباطلة
او لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل شركة فيه
لان حضورهم ونظرهم دليل الرضا به وسبب وجود الزيادة
فيه واذا مروا باللغو في كل ما ينبغي ان يلغى ويطرح يعني اذا
مروا باهل اللغو والمشتغلين به مروا كراما معرضين عنه
مكرمين انفسهم عن التلوث به بالوقوف عليه والخوض
فيه والذين اذا ذكروا بآيات ربهم اي قرئ عليهم القرآن
او وعظوا به لم يخروا عليها صما وعميانا هذا ليس بنفي الخرور
بل هو اثبات له ونفي للصمم والعمى ونحو قول الشاعر
بايدي رجال لم يشيموا سيوفهم ولم يكثر القتلى بها
حين سلت اي بايدي رجال شاموا اغمدوا سيوفهم
فقد كثرت القتلى يعني انهم اذا ذكروا بها خروا سجدا
وبكيا سامعين باذان واعية مبصرين بعيون
راعية لما امروا به ونهوا عنه لا كالمنافقين واشباههم
ودليله قوله تعالى وممن هدينا الآية [illegible]

الا من تاب عن الشرك وهو استثناء من الجنس في موضع
النصب وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعمل صالحا بعد توبته
فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات اي يوفقهم
للمحاسن بعد القبائح او يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها
الحسنات الايمان والطاعة ولم يرد به ان السيئة
بعينها تصير حسنة ولكن المراد ما ذكرنا يبدل بمحض
الرحمن وكان الله غفورا يكفر السيئات رحيما يبدلها
بالحسنات ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله
متابا اي ومن تاب وحقق التوبة بالعمل الصالح فانه بذلك
تائب الى الله متابا مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا
للثواب والذين لا يشهدون الزور اي الكذب يعني
ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يحضرونها
تنزها عن مخالطة الشر واهله اذ مشاهدة الباطل
شركة فيه ولذلك قيل في النظارة الى ما لم تسوغه الشريعة
هم شركاء فاعليه في الاثم لان حضورهم ونظرهم
دليل الرضاء به وسبب وجود الزيادة فيه وعن
عيسى عليه السلام اياكم ومجالسة الخطائين او لا يشهدون
شهادة الزور على حذف المضاف وعن قتادة مجالس
الباطل وعن ابن الحنفية لا يشهدون اللهو والغناء
واذا مروا باللغو بالفحش وكل ما ينبغي ان يلقى ويطرح
والمعنى واذا مروا باهل اللغو والمشتغلين به مروا كراما
معرضين عنه مكرمين انفسهم عن التلوث به كقوله تعالى
واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وعن الباقر اذا ذكروا
الفروج كنوا عنها وقال مقاتل اذا سمعوا من الكفار
الشتم والاذى اعرضوا وصفحوا قال السدي هي منسوخة
باية القتال وقال الحسن والكلبي اللغو المعاصي كلها يعني
اذا مروا بمجالس اللهو والباطل مروا كراما مسرعين معرضين
يقال تكرم فلان عما يشينه اذا تنزه واكرم نفسه عنه
والذين اذا ذكروا بآيات ربهم اي قرئ عليهم القرآن او
وعظوا بالقرآن لم يخروا عليها صما وعميانا هذا ليس بنفي الخرور
بل هو اثبات له ونفي للصمم والعمى ونحوه لا يلقاني زيد
هو نفي للسلام لا للقاء يعني انهم اذا ذكروا بها خروا سجدا
وبكيا سامعين باذان واعية مبصرين بعيون راعية لما امروا
به ونهوا عنه لا كالمنافقين واشباههم دليله قوله تعالى
وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا

والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا من
للبيان كأنه قيل هب لنا قرة أعين ثم بينت القرة وفسرت
بقوله من أزواجنا وذرياتنا ومعناه أن يجعلهم الله لهم
قرة أعين وهو من قولهم رأيت منك أسدا أي أنت أسد
أو للابتداء على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من
طاعة وصلاح وذريتنا أبو عمرو وكوفي غير حفص لإرادة
الجنس وغيرهم ذرياتنا قرة أعين وإنما نكر لأجل تنكير
القرة لأن المضاف لا سبيل إلى تنكيره إلا بتنكير المضاف إليه
كأنه قال هب لنا منهم سرورا وفرحا وإنما قيل أعين
على القلة دون عيون لأن المراد أعين المتقين وهي
قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم قال الله تعالى وقليل من
عبادي الشكور ويجوز أن يقال في تنكير أعين إنها أعين
خاصة وهي أعين المتقين والمعنى أنهم سألوا ربهم أن
يرزقهم أزواجا وأعقابا عمالا لله يسرون بمكانهم وتقر
بهم عيونهم وقيل ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن
يرى زوجته وأولاده مطيعين لله وعن ابن عباس رضي الله
عنهما هو الولد إذا رآه يكتب الفقه واجعلنا للمتقين
إماما أي أئمة يقتدى بنا في الدين فاكتفى بالواحد
لدلالته على الجنس ولعدم اللبس أو واجعل كل واحد
منا إماما وقيل في الآية ما يدل على أن الرياسة في الدين
يجب أن تطلب ويرغب فيها أولئك يجزون الغرفة
أي الغرفات وهي العلالي في الجنة فوحد اقتصارا
على الواحد الدال على الجنس دليله قوله وهم في الغرفات
آمنون بما صبروا بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى
أذى الكفار وعلى مجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك و
يلقون فيها ويلقون كوفي غير حفص تحية دعاء
بالتعمير وسلاما ودعاء بالسلامة يعني أن الملائكة
يحيونهم ويسلمون عليهم أو يحيي بعضهم بعضا ويسلم
عليه خالدين فيها حال حسنت أي الغرفة مستقرا ومقاما
وهي في مقابلة ساءت مستقرا ومقاما موضع قرار
وإقامة قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم ما متضمنة
لمعنى الاستفهام وهي في محل النصب ومعناه ما يصنع بكم
ربي لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام أو لولا عبادتكم له
أي أنه خلقكم لعبادته لقوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون أي لا اعتبار عند ربكم لعبادتكم أو ما يصنع
بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة وهو كقوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم فقد كذبتم رسولي يا أهل مكة
فسوف يكون العذاب لزاما أي ذا لزام أو ملازما وضع مصدر لازم موضع اسم الفاعل وقال الضحاك
ما يعبأ ما يبالي بمغفرتكم لولا دعاؤكم معه إلها آخر أسعى المدارك
أي يكترث أي أي وزن وأي مقدار لكم عنده

سورة الشعرآء مكية مائتان وعشرون وسبع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم طسم بتفخيم الالف وامالتها و
اظهار النون وادغامها تلك اشارة الى ايات السورة
ايات الكتاب المبين المظهر الحق من الباطل لعلك باخع
نفسك قاتلها غماً ان لا يكونوا مؤمنين من امتناع قومك
عن الايمان لعل هنا للاشفاق اى اشفق على نفسك
بتخفيف هذا الغم والالم ولما كان مظنة ان يقال الا نعزك
لتنفيذ امر الله تعالى وتحصيل الارادات اللاحقة من الاوامر
والنواهي بدونك دفعه بقوله ان نشا ننزل عليهم من
السماء اية قاهرة قاسرة لهم على الايمان اشار الى ذلك
بقوله عليهم يعني ان ايمانك تلك الطائفة ليس بمرادنا
انما المقصود من بعثك تبليغ احكام التكليف
على ما تقتضيه الحكمة فليس امرنا عن ارادة ولا رهبانيا
عن رأفة فظلت عطف على ننزل عطف اكن على اصدق
لانه لو قيل انزلنا لصح اعناقهم لها خاضعين الخضوع
امارة الانقياد اللازم للاذعان وهو المراد ههنا
بطريق الكناية اصل فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق
لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على اصله وفي الكناية
المقصودة من عبارة الخضوع اشارة الى ان قهر تلك
الاية قهر حجة وبرهان فلا يفوت الاختيار المعتبر في
صحة الايمان وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا
عنه معرضين اى ما يجدد لهم الله تعالى بوحيه على نبيه
موعظة وتذكيرا الا استمروا على ما اعتادوا عليه من الاعراض
فقد كذبوا حذف المفعول اشارة الى ان تكذيبهم تجاوز
عن حد الخصوص الى حد العموم فان تكذيبهم محمدا صلى الله
عليه وسلم كان تكذيبا لسائر الانبياء المخبرين عنه
والمبشرين به بل تكذيبا لله تعالى ايضا والفاء في فسياتيهم
فصيح عن محذوف معطوف على المذكور تقديره واستهزؤا
به انباء ما كانوا به يستهزءون اتيان الخبر عبارة عن وقوع المحذور المنتظر وهذا وعيد لهم وايذان بانهم سيعلمون

سورة الشعراء مائتان وسبع وعشرون اية مكية الا والشعراء يتبعهم الغاوون الى اخر السورة بسم الله الرحمن الرحيم

طسم وطس ويس وحم تمال كوفي غير الاعشى و
البرجمي وحفص ويظهر النون عند الميم يزيد وحمزة و
غيرهما يدغمها تلك ايات الكتاب المبين الظاهر اعجازه
وصحة انه من عند الله تعالى والمراد به السورة او القرآن
والمعنى ايات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك
ايات الكتاب المبين لعلك باخع قاتل ولعل للاشفاق
نفسك من الحزن يعني اشفق على نفسك ان تقتلها
حسرة وحزنا على ما فاتك من اسلام قومك ان لا يكونوا
مؤمنين لئلا يؤمنوا او لامتناع ايمانهم او خيفة ان لا يؤمنوا
ان نشا ايمانهم ننزل عليهم من السماء اية دلالة واضحة
فظلت اى فتظل لان الجزاء يقع فيه لفظ الماضي في معنى
المستقبل تقول ان زرتني اكرمتك اى اكرمك كذا قاله الزجاج
اعناقهم رؤساؤهم ومقدموهم او جماعاتهم يقال جاءنا
عنق من الناس لفوج منهم لها خاضعين منقادين
وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت فينا وفي بني امية
فتكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا اعناقهم بعد
صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة وما ياتيهم من ذكر
من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين اى ما يجدد الله
لهم بوحيه موعظة وتذكيرا الا جددوا اعراضا عنه
وكفرا به فقد كذبوا محمدا فيما اتاهم به فسياتيهم فسيعلمون
انباء اخبار ما كانوا به يستهزءون وهذا وعيد لهم
وانذار بانهم سيعلمون اذا مسهم عذاب الله تعالى يوم بدر
او يوم القيمة ما الشيء الذي كانوا يستهزءون به وهو
القرآن وسياتيهم انباؤه واحواله التي كانت خافية عليهم

اذا مسهم العذاب يوم بدر او يوم القيمة ما الشيء الذي كانوا به يستهزءون

سورة الشعرآء مكية الا قوله والشعرآء الى اخر السورة وهي مائتان وسبع وعشرون اية وفي رواية ست
وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم طسم بتفخيم الالف وبامالتها واظهار النون وبادغامها في الميم وهو
اما مسرود على نمط التعديد بطريق التحدي على احد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له
من الاعراب واما اسم للسورة كما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف وهو اظهر من الرفع
على الابتداء وقد مر وجهه في مطلع سورة يونس عليه السلام او النصب بتقدير فعل لائق بالمقام نحو اذكر او اقرا وتلك
قوله تعالى تلك ايات الكتاب المبين اشارة الى السورة سواء كان طسم مسرودا على نمط التعديد او اسما للسورة حسبما مر
تحقيقه هناك وما في اسم الاشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلة المشار اليه في الفخامة ومحله الرفع على انه
مبتدا خبره ما بعده وعلى تقدير كون طسم مبتدا فهو مبتدا ثان او بدل من الاول والمراد بالكتاب القرآن وبالمبين الظاهر
اعجازه على انه من ابان بمعنى بان او المبين للاحكام الشرعية وما يتعلق بها او الفاصل بين الحق والباطل والمعنى هي ايات
مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمقصود ببيان كونها بعضا منه وصفها بما اشتهر به الكل من النعوت الفاضلة لعلك

المعنى ما ياتيهم شيء من موعظة وتذكير من القرآن الا كانوا عنه اى عن الايمان به
مؤمنين فقد كذبوا بالحق وهو القرآن لما جاءهم اى انكروه حين نزل بهم واستهزؤا به
استخفوا قدره عقيب الانكار فسياتيهم يقينا انباء اخبار ما كانوا به يستهزءون
اى سيعلمون اذا مسهم عذاب الله تعالى يوم بدر او يوم القيمة ما الشيء الذي
استهزؤا واستخفوا به وما احواله التي كانت خافية عليهم وهو القرآن اسمى العيون

لعلك باخع نفسك اي قاتلها واصل البخع ان يبلغ بالذبح البخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى
حد الذبح وقرئ باخع نفسك على الاضافة ● ولعل للاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة
على ما فاتك من اسلام قومك ان لا يكونوا مؤمنين اي لعدم ايمانهم بذلك الكتاب المبين او خيفة ان لا يؤمنوا به وقوله
ان نشأ الخ استيناف سيق لتعليل ما يفهم من الكلام من النهي عن التحسر المذكور ببيان ان ايمانهم ليس مما تعلقت به
مشيئة الله تعالى حتما فلا وجه للطمع فيه والتألم من فواته ● ومفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء اعني قوله
ننزل عليهم من السماء آية اي ملجئة لهم الى الايمان قاسرة عليه ● وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر مرارا
من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فظلت اعناقهم لها خاضعين اي منقادين واصله فظلوا لها خاضعين
فاقحمت الاعناق لزيادة التقرير ببيان موضع الخضوع ● وترك الخبر على حاله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات
العقلاء اجريت مجراهم في الصيغة ايضا كما في قوله تعالى رايتهم لي ساجدين وقيل اريد بها الرؤساء
والجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس اي فوج منهم وقرئ خاضعة وقوله تعالى فظلت عطف على ننزل
باعتبار محله وقوله تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين بيان لشدة شكيمتهم وعدم
ارعوائهم عما كانوا عليه من الكفر والتكذيب بغير ما ذكر من الآية الملجئة لصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحرص على
اسلامهم وقطع رجائه عنه ● ومن الاولى مزيدة لتاكيد العموم ● والثانية لابتداء الغاية مجازا متعلقة بيأتيهم
او بمحذوف هو صفة لذكر وايا ما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه وشناعة ما فعلوا به ● والتعرض لعنوان
الرحمة لتغليظ شناعتهم وتهويل جنايتهم فان الاعراض عما يأتيهم من جنابه عز وجل على الاطلاق شنيع
قبيح وعما يأتيهم بموجب رحمته تعالى لمحض منفعتهم اشنع واقبح ● اي ما يأتيهم من موعظة من المواعظ القرآنية
او من طائفة نازلة من القرآن تذكرهم اكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة اتم تنبيه كانها نفس الذكر من جهته تعالى
بمقتضى رحمته الواسعة محدث تنزيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة الا جددوا اعراضا عنه على وجه التكذيب
والاستهزاء واصرارا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال ● والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال ● محله النصب
على الحالية من مفعول يأتيهم باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور اي ما يأتيهم من ذكر في حال من
الاحوال الا حال كونهم معرضين عنه فقد كذبوا اي كذبوا بالذكر الذي يأتيهم تكذيبا صريحا مقارنا للاستهزاء به
ولم يكتفوا بالاعراض عنه حيث جعلوه تارة سحرا واخرى اساطير واخرى شعرا والفاء في قوله تعالى
فسيأتيهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها والسين لتاكيد مضمون الجملة وتقريره اي فسيأتيهم البتة من غير
تخلف اصلا انباء ما كانوا به يستهزءون عدل عما يقتضيه ظاهر ما سلف من الاعراض والتكذيب للايذان
بانهما كانا مقارنين للاستهزاء كما اشير اليه حسبما وقع في قوله تعالى وما يأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا
عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون وانباؤه ما سيحيق بهم
من العقوبات العاجلة والآجلة عبر عنها بذلك ● اما لكونها مما انبأ بها القرآن الكريم ● واما لانهم بحدوثها
يقفون على حقيقة حال القرآن كما يقفون على الاحوال الخافية عنهم باستماع الانباء ● وفيه تهويل له لان النبأ
لا يطلق الا على خبر خطير له وقع عظيم اي فسيأتيهم لا محالة مصداق ما كانوا يستهزءون به قبل من غير ان يتدبروا
في احواله ويقفوا عليها

انتهى ابي السعود رحمه

سورة الشعراء مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قيل طسم قسم او اسم للسورة وقيل عجز العلماء رحمهم الله تعالى عن تفسيره قوله تلك
اشارة الى آيات هذه الحروف المؤلفة اي تلك الحروف المؤلفة آيات الكتاب المبين اي الظاهر اعجازه او الظاهر
انه من عند الله تعالى يقينا والمراد به التوراة او القرآن لعلك باخع نفسك اي مهلك تماما والبخع ان يبلغ بالذبح النخاع بالباء
وهو عرق مستبطن اي مستتر في الفقار وذلك اقصى حد الذبح قيل في لعل معنى الاشفاق اي اشفق على نفسك
ان تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك قوله الا يكونوا مؤمنين مفعول له اي خيفة ان لا يؤمنوا
بالقرآن نزل حين كذبه اهل مكة فحزن لذلك اي ليس عليك سوى التبليغ فلا تقتل نفسك ان لم يؤمنوا ان نشأ
ننزل عليهم من السماء آية اي علامة قاسرة على الايمان فظلت اي فصارت عطف على ننزل الذي هو جزاء الشرط
اي فتظل اعناقهم اي رؤساؤهم لها اي للآية خاضعين اي ذوي هوان وذلة بعد عزة وصعوبة ولما وصفت
الاعناق بالخضوع جمعت جمع العقلاء الذكور وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث نزوله وهو القرآن فصلا

٨ من الآيات الزاجرة عن الكفر الداعية الى الايمان وكم خبرية منصوبة بما بعدها على المفعولية والجمع بينها وبين كل لافادة
الاحاطة والكثرة معًا ومن كل زوج اي صنف تمييز والكريم من كل شيء مرضيه ومحموده اي كثيرا من كل صنف مرضي
كثير المنافع انبتنا فيها وتخصيص انباته بالذكر دون ما عداه من الاصناف لاختصاصه بالدلالة على القدرة
والنعمة معًا ويحتمل ان يراد به جميع اصناف النبات نافعها وضارها ويكون وصف الكل بالكرم للتنبيه على انه تعالى
ما انبت شيئا الا وفيه فائدة كما نطق به قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا فان الحكيم لا يكاد يفعل
فعلا الا وفيه حكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفة كنهها العاقلون ان في ذلك اشارة
الى مصدر انبتنا او الى كل واحد من تلك الازواج وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في
الفضل لآية اي آية عظيمة دالة على كمال قدرة منبتها وغاية وفور علمه وحكمته ونهاية سعة رحمته موجبة للايمان
وازعة عن الكفر وما كان اكثرهم اي اكثر قومه صلى الله عليه وسلم مؤمنين قيل اي في علم الله تعالى وقضائه حيث
علم ازلا انهم سيصرفون فيما لا يزال اختيارهم الذي يدور عليه امر التكليف الى جانب الشر ولا يتدبرون
في هذه الآيات العظام وقال سيبويه كان اي لفظ كان عليه صلة اي زائدة والمعنى اكثرهم مؤمنين وهو الانسب
بمقام بيان عتوهم وغلوهم في المكابرة والعناد مع تعاضد موجبات الايمان من جهته تعالى وأما نسبة كفرهم
الى علمه تعالى وقضائه فربما يتوهم منها كونهم معذورين فيه بحسب الظاهر لان ما اشير اليه من التحقيق قد خفي
على مهرة العلماء المتقنين كانه قيل ان في ذلك لآية باهرة موجبة للايمان وما اكثرهم مؤمنين مع ذلك لغاية
تماديهم في الكفر والضلالة وانهماكهم في الغي والجهالة ونسبة عدم الايمان الى اكثرهم لان منهم من سيؤمن
وان ربك لهو العزيز الغالب على كل ما يريده من الامور التي من جملتها الانتقام من هؤلاء الرحيم
المبالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يؤاخذهم بغتة بما اجترؤا عليه من العظائم الموجبة لفنون العقوبات
وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من تشريفه والعدة الخفية بالانتقام من
الكفرة ما لا يخفى واذ نادى ربك موسى كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من اعراضهم عما يشاهدونه
من الآيات التكوينية واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم اي واذكر لاولئك
المعرضين المكذبين وقت ندائه تعالى اياه صلى الله عليه وسلم وذكرهم بما جرى على قوم فرعون بسبب تكذيبهم اياه
زجرا لهم عما هم عليه من التكذيب وتحذيرا من ان يحيق بهم مثل ما حاق باضرابهم المكذبين الظالمين حتى
يتضح لك انهم لا يؤمنون بما يأتيهم من الآيات لكن لا بقياس حال هؤلاء بحال اولئك فقط بل لغاية اتصافهم
بذلك كما يلوح به تكرير قوله تعالى ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين عقيب كل قصة وتوجيه الامر
بالذكر الى الوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر سره مرارا ان ائت يعني ائت
على ان ان مفسرة او بان ائت على انها مصدرية حذف عنها الجار القوم الظالمين اي بالكفر والمعاصي واستعباد بني اسرائيل
وذبح ابنائهم وليس هذا مطلع ما ورد في حيز النداء وانما هو ما فصل في سورة طه من قوله تعالى اني انا ربك الى قوله
لنريك من آياتنا الكبرى وايراد ما جرى في قصة واحدة من المقالات بعبارات شتى واساليب مختلفة قد مر تحقيقه
في اوائل سورة الاعراف عند قوله تعالى قال انظرني قوم فرعون بدل من الاول او عطف بيان له جيء به للايذان
بانهم علم في الظلم كان معنى القوم الظالمين وترجمة قوم فرعون والاقتصار على ذكر قومه للايذان بشهرة
ان نفسه اول داخل في الحكم الا يتقون استئناف جيء به اثر ارساله عليه السلام للانذار تعجيبا من غلوهم
في الظلم وافراطهم في العدوان وقرئ بتاء الخطاب على طريقة الالتفات المنبئ عن زيادة الغضب عليهم كأن
ذكر ظلمهم ادى الى مشافهتهم بذلك وهم وان كانوا حينئذ غيبا لكنهم قد اجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل اليهم
من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبتدأ اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبر وتأمل
وقرئ بكسر النون اكتفاء به عن ياء المتكلم وقد جوز ان يكون بمعنى الا يا ناس اتقون نحو الا يا اسجدوا قال
استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية ما مضى كانه قيل فماذا قال موسى عليه السلام فقيل قال متضرعا الى الله
رب اني اخاف ان يكذبون من اول الامر ويضيق صدري ولا ينطلق لساني معطوفان على اخاف فارسل
اي جبريل عليه السلام الى هرون ليكون معي واتعاضد به في تبليغ الرسالة رتب عليه السلام استدعاء ذلك على
الامور الثلاثة خوف التكذيب وضيق الصدر وازدياد ما كان فيه عليه السلام من حبسة اللسان بانقباض الروح
الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة الى معين يقوى قلبه وينوب منابه ٥

اذا اعتراه حبسة حتى لا يختل دعوته ولا ينقطع حجته وليس هذا من التعلل والتوقف
في تلقي الامر في شيء وانما هو استدعاء لما يعينه على الامتثال به وتمهيد عذره فيه وقرئ و
يضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان من جملة ما يخاف منه ولهم علي ذنب
ابو السعود رحمه الله

اولم يروا الى الارض اي الم ينظروا الى عجائب الارض ويتفكروا فيها كم انبتنا فيها مفعول الانبات
من كل زوج كريم اي من كل نوع حسن نفعا في محل النصب على الحال ومن للبيان اي انبتنا في الارض
نباتا كثيرا من كل صنف نافعا حسنا اذ النبات نوعان نافع وضار فذكر النافع لكثرته وخلى الضار
لقلته او كل النبات نافع باقتضاء حكمة الحكيم وان غفل عنها الغافلون والكريم وصف لكل ما يرضى به
ويحمد في بابه ونوعه وجمع بين كم وكل لان كم تدل على كثرة افراد كل زوج وكل تدل على احاطة جميع
الازواج وهي الاصناف من النبات ان في ذلك الانبات او في كل زوج من الازواج لآية اي
آية وما كان اكثرهم مؤمنين اي موحدين في سابق علمنا او كان زائدة وان ربك لهو العزيز اي
المنتقم لمن لم يؤمن الرحيم لمن تاب وآمن واذكر اذ نادى ربك موسى ان ائت تفسير نادى اي
اذهب القوم الظالمين بالكفر واستعباد بني اسرائيل والتذبيح قوم فرعون عطف بيان للظالمين
كأنهما عبارتان عن مؤدى واحد قوله الا يتقون اي الا يخافون مني لعبادتهم غيري يحتمل الاستئناف
الكلام اتبعه الله تعالى بعد بعثة موسى عليه السلام للانذار تعجيبا لموسى عليه السلام من حالهم الشنيعة في
الظلم العظيم وامنهم العاقبة ويحتمل كونه حالا من الضمير في الظالمين

أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا كم نصب بأنبتنا فيها من
كل زوج صنف من النبات كريم محمود كثير المنفعة يأكل منه
الناس والأنعام كالرجل الكريم الذي نفعه عام • و
فائدة الجمع بين كلمتي الكثرة والإحاطة أن كلمة كل تدل على
الإحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل وكم تدل
على أن هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة وبه نبه على
كمال قدرته إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين
أي أن في إنبات تلك الأصناف لآية على أن منبتها قادر
على إحياء الموتى وقد علم الله أن أكثرهم مطبوع
على قلوبهم غير مرجو إيمانهم وإن ربك لهو العزيز
الرحيم لمن آمن منهم • ووحد آية مع الإخبار بكثرتها
لأن ذلك مشار به إلى مصدر أنبتنا أو المراد أن في
كل واحد من تلك الأزواج لآية أي آية وإذ مفعول به
أي اذكر إذ نادى دعا ربك موسى أن ائت أن بمعنى
أي القوم الظالمين أنفسهم بالكفر • وبني إسرائيل
بالاستعباد وذبح الأولاد سجل عليهم بالظلم • ثم
عطف قوم فرعون عليهم عطف البيان كأن معنى
القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون فكأنهما عبارتان
تعتقبان على مؤدى واحد ألا يتقون أي أتيهم
زاجرا فقد آن لهم أن يتقوا وهي كلمة حث وإغراء
ويحتمل أنه حال من الضمير في الظالمين أي يظلمون
غير متقين الله وعقابه فأدخلت همزة الإنكار على الحال
قال رب إني أخاف الخوف غم يلحق الإنسان لأمر سيقع
أن يكذبون ويضيق صدري بتكذيبهم إياي
مستأنف أو عطف على أخاف ولا ينطلق لساني
بأن تغلبني الحمية على ما أرى من المحال وأسمع
من الجدال وبنصبهما يعقوب عطفا على يكذبون
فالخوف متعلق بهذه الثلاثة على هذا التقدير و
بالتكذيب وحده بتقدير الرفع فأرسل إلى هرون
أي أرسل إليه جبريل واجعله نبيا يعينني على
الرسالة وكان هرون بمصر حين بعث موسى نبيا
بالشام • ولم يكن هذا الالتماس من موسى عليه السلام
توقفا في الامتثال بل التماس عون في تبليغ الرسالة
وتمهيد العذر على التماس المعين على تنفيذ الأمر
ليس بتوقف في امتثال الأمر وكفى بطلب العون
دليلا على التقبل لا على التعلل انتهى المدارك

أولم يروا إلى الأرض الواو للعطف على محذوف تقديره
ألم يتأملوا في عجائب قدرته تعالى ولم ينظروا إلى الأرض
كم أنبتنا فيها من كل زوج الزوج اللون قال الفراء وكل
للإحاطة وكم للكثرة كريم كثير المنفعة يأكل منه الناس والأنعام
كالرجل الكريم الذي نفعه عام • وفيه دلالة على كمال القدرة
ولذلك قال إن في ذلك أي إنبات الزوج لآية عظيمة على أن
منبتها تام القدرة والحكمة عام الرحمة والنعمة وما كان أكثرهم
مؤمنين مصدقين وكان هنا صلة في قول سيبويه وهذا
إخبار عن حالهم في الواقع لا عن حالهم في علم الله
وإن ربك لهو العزيز المنيع الذي لا يغالب فليس بعجزه وضعفه
طالت مدة هؤلاء في الشرك والعتو الرحيم فلا يعجل
بعقوبتهم إذ لا يخاف الفوت ويقبل توبة من تاب منهم
قبل الموت • ولما كان مساق الكلام في بيان القدرة قدم
صفة القوة على الرحمة والرحمة إذا كانت عن قدرة كانت
أعظم وقعا وإذ نادى ربك موسى مقدر باذكر أو ظرف
لما بعده أن ائت أن مفسرة أو مصدرية القوم الظالمين
لأنفسهم أو لبني إسرائيل قوم فرعون عطف بيان وليس فيه
اقتصار على قومه بل اكتفاء بالدلالة في جانبه واعتناء
للإشارة إلى أن ظلم قومه لاتباعه لهم ألا يتقون
استيناف للتعجيب من إفراطهم في الظلم واجترائهم عليه
وقرئ بالتاء على الالتفات للتوبيخ والحث وأصل الاتقاء
حرف الأمر بحاجز بينه وبين التصارف • والمراد اتقاء
العقاب بالطاعة قال رب إني أخاف الخوف انزعاج
النفس بتوقع الضرر أن يكذبون ويضيق صدري
لتكذيبهم إياي مستأنف أو عطف على أخاف ولا ينطلق
لساني بأن يغلبني الحمية على ما أرى من المحال وأسمع
من الجدال • وبنصبهما يعقوب عطفا على يكذبون
فالخوف متعلق بهذه الثلاثة على هذا التقدير وبالتكذيب
وحده بتقدير الرفع فأرسل إلى هرون أي أرسل إليه جبريل
واجعله نبيا يعينني على الرسالة • ولم يكن هذا الالتماس منه
عليه السلام توقفا في الامتثال بل التماس عون في تبليغ الرسالة
وتمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذ الأمر وكفى
بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل ومن الدليل
على ذلك وقوع فأرسل معترضا بين الأوائل والرابعة فإنه
لو كان تعللا لأخر ولهم علي الخ انتهى ابن الكمال

أولم يروا الهمزة للإنكار التوبيخي والواو للعطف على مقدر يقتضيه
المقام أي أفعلوا ما فعلوا من الإعراض عن الآيات والتكذيب
٨ والاستهزاء بها ولم ينظروا إلى الأرض أي إلى عجائبها الزاجرة
عما فعلوا الداعية إلى الإقبال على ما أعرضوا عنه وإلى الإيمان به وقوله كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم استيناف مبين لما في الأرض

أي يظلمون غير متقين الله وعقابه وهمزة الإنكار لا تنافي الحال وإنما ينافيها همزة الاستفهام
لتقديرها قال موسى عليه السلام رب إني أخاف أن يكذبون أي ينكروا نبوتي ويضيق
صدري بتكذيبهم إياي في رسالتك ولا ينطلق لساني بالعقدة فيه أو لمهابته
الفعلان معطوفان على خبر أن فأرسل إلى هرون جبريل واجعله معي رسولا يعينني
في الرسالة إلى فرعون وقومه ولهم علي ذنب وهو قتل القبطي انتهى العيون

ولهم علي ذنب دعوى جرم وهو قتل القبطي فاخاف ان يقتلون
كان عنده عليه السلام خوفا خوف تلف النفس وخوف فوات
مصلحة الرسالة وانما قدم الثاني على الاول تقديما لمصلحة الرسالة
على مصلحة نفسه كما هو اللائق لشان اولي العزم من الانبيا عليهم السلام
قال كلا فاذهبا بآياتنا اجابة له الى الطلبتين بوعده للدفع اللازم
وردعه عن الخوف وضم اخيه اليه في الارسال والفاء فصيحة دلت
على محذوف تقديره ظاهر من التفصيل في موضع اخر حيث قال
وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا فقلنا اذهبا الاية فالخطاب
في فاذهبا على تغليب الحاضر لانه معطوف على الفعل الذي
دل عليه كلا لانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت
والذي طلبته وهو هارون انا معكم يعني موسى وهرون
عليهما السلام وفرعون مستمعون الاستماع من السمع بمنزلة النظر
من الرؤية والكلام من قبيل التمثيل والمراد انا لكما ولعدوكما كالناصر
الظهير لكما عليه اذا حضر واستمع ما يجري بينكما وبينه فالمفردات
على حقايقها كما في قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء
منثورا فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين افرد الرسول
هنا وثنى في قوله انا رسولا ربك وذلك لانه كان في هرون
عليه السلام من جهتان جهة الرسالة من الله تعالى وجهة الوزارة لموسى
عليه السلام على ما نطق قوله تعالى وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا
فحين قيل فقولا انا رسولا ربك نظر الى جهة رسالته من الله تعالى
وحين قيل فقولا انا رسول رب العالمين نظر الى جهة وزارته
لموسى عليه السلام ولكون موسى عليه السلام اصلا في باب الرسالة
كان مخاطبة فرعون اياه ومجادلته معه خاصة وانما زيد هنا قوله
له بعدم كاف الخطاب المغني عنه ان ارسل معنا بني اسرائيل اي
بان اطلق بني اسرائيل عن اسر الاستعباد وخلهم يذهبوا
حيث شاؤا وهو كارسال الصيد واهمال الصيد قال فرعون
لموسى بعدما اتياه وقالا له ذلك الم نربك التربية تنشية
الشيء حالا بعد حال فينا في منازلنا وليدا طفلا سمي به لقربه
من الولادة ولبثت فينا من عمرك سنين قيل مكث فيهم ثلثين
سنة وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي وبخه به
معظما اياه بعد ما عدد عليه من نعمته وانما عرض رعاية لآداب
الملوك وقرئ فعلتك بالكسر لانها كانت قتله بالوكز وانت
من الكافرين بنعمتي حيث عاديتني
انتهى ابن كمال

ولهم علي ذنب اي تبعة ذنب بقتل القبطي بحذف المضاف
او سمي تبعة الذنب ذنبا كما سمي جزاء السيئة سيئة فاخاف ان يقتلون
اي يقتلوني به قصاصا وليس هذا تعللا ايضا بل استدفاع
للبلية المتوقعة وفرق بين ان يقتل قبل اداء الرسالة
ولذا وعده بالكلاءة والدفع بكلمة الردع وجمع له
الاستجابتين معا في قوله تعالى كلا فاذهبا لانه استدفعه
بلاءهم فوعده الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه
رسالة اخيه فاجابه بقوله اذهبا اي جعلته رسولا معك
فاذهبا وعطف فاذهبا على الفعل الذي يدل عليه كلا
كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت وهرون
بآياتنا وهي اليد والعصى وغير ذلك انا معكم اي معكما بالعون
والنصرة ومع من ارسلتما اليه بالعلم والقدرة مستمعون
خبر ثان ومعكم لغو او هما خبران اي سامعون والاستماع
في غير هذا الاشياء للسماع يقال استمع الى حديثه اي اصغى اليه
ولا يجوز حمله هيهنا على ذلك فحمل على السماع فاتيا فرعون
فقولا انا رسول رب العالمين ولم يثن الرسول كما ثنى في قوله
انا رسولا ربك لان الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة
فجعل ثمة بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنية وجعل هيهنا
بمعنى الرسالة فيستوي في الوصف به الواحد والتثنية
والجمع ولانهما لاتحادهما واتفاقهما على شريعة واحدة كانهما
رسول واحد او اريد ان كل واحد منا ان ارسل بمعنى
اي ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال وفيه معنى القول
معنا بني اسرائيل يريد خلهم يذهبوا معنا الى فلسطين
وكانت مسكنهما فاتيا فعرف فرعون موسى عليه السلام فعند
ذلك قال الم نربك فينا وليدا وانما حذف فاتيا فرعون
فقالا له ذلك اختصارا والوليد الصبي لقرب عهده من
الولادة اي الم تكن صغيرا فربيناك ولبثت فينا من عمرك
سنين قيل ثلثين سنة وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتل
القبطي فعرض اذا كان مملكا وانت من الكافرين بنعمتي حيث
قتلت خبازي او كنت على ديننا الذي تسميه كفرا وهذا
افتراء منه عليه لانه معصوم من الكفر وكان يعايشهم بالتقية

ولهم علي ذنب اي تبعة ذنب فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
او سمي باسمه والمراد به قتل القبطي وتسميته ذنبا بحسب زعمهم كما ينبئ عنه قوله لهم وهذا اشارة الى قصة مبسوطة في غير موضع
فاخاف اي ان اتيتهم وحدي ان يقتلون بمقابلته قبل اداء الرسالة كما ينبغي وليس هذا ايضا تعللا وانما هو استدفاع للبلية
المتوقعة قبل وقوعها وقوله تعالى قال كلا فاذهبا بآياتنا حكاية لاجابته تعالى الى الطلبتين الدفع المفهوم من الردع عن الخوف
وضم اخيه المفهوم من توجيه الخطاب اليهما بطريق التغليب فانه معطوف على مضمر ينبئ عنه الردع كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن
فاذهب انت ومن استدعيته وفي قوله تعالى بآياتنا رمز الى انها تدفع ما يخافه وقوله تعالى انا معكم مستمعون تعليل للردع عن الخوف
ومزيد تسلية لهما بضمان كمال الحفظ والنصرة كقوله تعالى انني معكما اسمع وارى حيث كان الموعود بحضر من فرعون اعتبر هيهنا
في المعية وقيل اجريا مجرى الجماعة ويأباه ما قبله وما بعده من ضمير التثنية اي سامعون بما يجري بينكما وبينه فنظهر

فتظاهر كما عليه مثل حاله تعالى بحال ذي شوكة قد حضر مجادلة قوم يستمع ما يجري بينهم ليمد اولياءه ويظهرهم على اعدائهم
مبالغة في الوعد بالاعانة او استعير الاستماع الذي هو بمعنى الاصغاء للسمع الذي هو العلم بالحروف والاصوات
وهو خبر ثان او خبر وحده ومعكم ظرف لغو والفاء في قوله تعالى فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين لترتيب ما بعدها
على ما قبلها من الوعد الكريم وليس هذا مجرد تاكيد للامر بالذهاب لان معناه الوصول الى المأتي لا مجرد التوجه اليه
كالذهاب وافراد الرسول اما باعتبار رسالة كل منهما او لاتحاد مطلبهما او لانه مصدر وصف به وان في قوله تعالى
ان ارسل معنا بني اسرائيل مفسرة لتضمن الارسال المفهوم من الرسول معنى القول ومعنى ارسالهم تخليتهم وشانهم
ليذهبوا معهما الى الشام قال اي فرعون لموسى عليه السلام بعدما اتياه وقالا له ما امرا به يروى انهما انطلقا الى باب فرعون
فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان هيهنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك
منه فاديا اليه الرسالة فعرف موسى عليه السلام فقال عند ذلك الم نربك فينا في حجرنا ومنازلنا وليدا اي طفلا عبر عنه
بذلك لقرب عهده بالولادة ولبثت فينا من عمرك سنين قيل لبث فيهم ثلثين سنة ثم خرج الى مدين واقام به
عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله تعالى ثلثين سنة ثم بقي بعد الغرق خمسين وقيل وكز القبطي وهو ابن
ثنتي عشرة سنة وفر منهم على اثر ذلك والله اعلم وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي بعدما
عدد عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال وبخه بما جرى عليه من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه
وقرئ فعلتك بكسر الفاء لانها كانت نوعا من القتل وانت من الكافرين اي بنعمتي حيث عمدت الى قتل رجل
من خواصي او انت حينئذ ممن تكفرهم الان وقد افترى عليه عليه السلام او جهل امره عليه السلام حيث كان
يعايشهم بالتقية والا فاين هو عليه السلام من مشاركتهم في الدين فالجملة حال من احدى التائين ويجوز
ان يكون حكما مبتدأ عليه بانه من الكافرين بالنعم المعتادين لغمطها ومن اعتاد ذلك لا يكون مثل هذه الجناية بدعا منه
انتهى ابو السعود رحمه الله

ولهم علي ذنب وهو قتل القبطي فاخاف ان يقتلون به قودا وطلبه هرون عليه السلام للحرص على التبليغ لا للتعليل
في امتثال امر الله تعالى قال الله تعالى كلا اي ارتدع عن ظنك وخوفك فاني اجيب سؤلك من موازرة اخيك هرون
فاجابه بقوله فاذهبا عطف على معنى كلا من الفعل اي اذهب انت وهرون بآياتنا انا معكم بالنصرة مستمعون اي سامعون
فانصركم عليه ولا يوصف الله تعالى بالاستماع لانه الاصغاء الى الحديث ويوصف بالسمع لانه علم بالمسموع فعبر
بالاستماع عن السمع لكونه سببا لهذا فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين ولم يقل رسولا رب العالمين لان موسى
عليه السلام كان الاصل وهرون عليه السلام تبع له او هو من قبيل الاكتفاء او لاتحادهما في الرسالة وصفا بالواحد
وقيل جنس يطلق على الجميع كما يقال خبر الرسول اعلمهم بنواحي الخبر قوله ان ارسل معنا بني اسرائيل يعني ارسلهم
معنا الى فلسطين وكانت مسكنهما فان مفسرة لتضمن الرسول معنى الارسال وفيه معنى القول كما في المناداة
روي انهما ذهبا الى باب فرعون واخبر البواب ان هيهنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين قيل ان موسى عليه السلام
ضرب عصاه على بابه ففزع من ذلك فقال ائذن له حتى نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف فرعون موسى
عليه السلام فثم قال الم نربك فينا وليدا اي صبيا صغيرا ولبثت فينا من عمرك سنين قيل ثمانية عشرة وقيل
ثلثون وقيل اربعون سنة وفعلت فعلتك التي فعلت اي المرة الواحدة وهي قتل القبطي بالوكز اراد التقريع به
توبيخه بقتل خبازه وتربيته وقال وانت من الكافرين لذلك والواو فيه للحال اي وانت من الكافرين بنعمتي نعمة تربيتي ونعمة
احساني اليك لانك جازيت اي عوضت نعمتي بما فعلت من الفعل الشنيع فحكم عليه بالكفران بنعمه انتهى العيون

وقصدك اياهم بذبح ابنائهم فانه السبب في وقوعي عندك وحصولي في تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار اي
او تلك نعمة تمنها علي وهي ان عبدت بني اسرائيل ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر مبتدا محذوف او بدل من نعمة او الجر
باضمار الباء او النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت عطف بيان لها والمعنى تعبيدك
بني اسرائيل نعمة تمنها علي وتوحيد الخطاب في تمنها وجمعه فيما قبله لان المنة منه خاصة والخوف والفرار منه ومن ملائه
قال فرعون لما سمع منه عليه السلام تلك المقالة المتينة وشاهد تصلبه في امره وعدم تاثره بما قدمه من الابراق والارعاد
شرع في الاعتراض على دعواه عليه السلام فبدا بالاستفسار عن المرسل فقال وما رب العالمين حكاية لما وقع في عبارته
عليه السلام اي اي شيء رب العالمين الذي ادعيت انك رسوله منكرا لان يكون للعالمين رب سواه حسبما يعرب عنه
قوله انا ربكم الاعلى وقوله ما علمت لكم من اله غيري وينطق به وعيده عند تمام اجوبته عليه السلام قال موسى عليه السلام
مجيبا له رب السموات والارض وما بينهما بتعيين ما اراد بالعالمين وتفصيله لزيادة التحقيق والتقرير وحسم مادة
تزوير اللعين وتشكيكه بحمل العالمين على ما تحت مملكته ان كنتم موقنين اي ان كنتم موقنين بالاشيا محققين لها
علمتم ذلك او ان كنتم مومنين بشيء من الاشيا فهذا اولى بالايقان لظهوره وانارة دليله انتهى ابو السعود

قال موسى عليه السلام في جواب فرعون فعلتها اذا اي قتلت القبطي اذ فعلت وانا من الضالين اي الجاهلين والناسين
يعني اذ فعلتها كانت تلك الفعلة صادرة مني بالجهل والنسيان لا بالعلم والقصد فخفت من ذلك الفعل السوء
ففررت منكم لما خفتكم خاطبه بالجمع لان الخوف والفرار يكونان منه وحده ولكن منه ومن ملائه المؤتمرين بقتله
فوهب لي ربي حكما اي نبوة وعلما وجعلني من المرسلين اليكم وتلك نعمة اي املك بالاستفهام للانكار يعني كيف
تكون تلك نعمة تمنها علي فهي اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وتفسيرها ان عبدت بني اسرائيل اي استعبدتهم وهو
عطف بيان لتلك والمعنى تعبيدك قومي نعمة تمنها علي حيث لم تستعبدني مثلهم بين ان سبب حصوله عندهم
وتربيته له كان تعبيد قومه وايذاءهم وهو نقمة لا نعمة يريد انه لولا ذلك لما القيت في اليم فلا تمن علي لاني
انت سببه قال له فرعون اذ قال موسى عليه السلام انا رسول رب العالمين انكارا عليه ان يكون رب سواه وما رب
العالمين اي اي شيء صفته اذ لا سبيل الى معرفة حقيقة ذاته لغيره ولو اراد التعيين لقال ومن رب وقيل
ان فرعون اخطا في حقيقة السؤال فموسى عليه السلام اجاب بحقيقة الجواب وقال هو رب السموات والارض
وما بينهما ان كنتم موقنين اي بايقان يؤدي اليه النظر الصحيح انه خالقهما فتوقنون انتهى العيون

قال فعلتها اذا اي اذ ذاك وانا من الضالين الجاهلين
بانها تبلغ القتل والضالّ عن الشيء هو الذاهب عن معرفته
او الناسين من قوله ان تضل احديهما فتذكر الاخرى
تدفع وصف الكفر عن نفسه ووضع الضالين موضع الكفر
واذا جواب وجزاء معا وهذا الكلام وقع جوابا لفرعون
وجزاء له لان قول فرعون وفعلت فعلتك معناه
انك جازيت نعمتي بما فعلت فقال له موسى عليه السلام
نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله لان نعمته كانت
جديرة بان تجازى بنحو ذلك الجزاء ففررت منكم الى
مدين لما خفتكم ان تقتلوني وذلك حين قال له مؤمن
من آل فرعون ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج الاية
فوهب لي ربي حكما نبوة وعلما فزال عني الجهل والضلال
وجعلني من المرسلين من جملة رسله وتلك نعمة تمنها علي
ان عبدت بني اسرائيل كر على امتنانه عليه بالتربية
فابطله من اصله وابى ان تسمى نعمته الا نقمة حيث بين
ان حقيقة انعامه عليه تعبيد بني اسرائيل لان
تعبيدهم وقصدهم بذبح ابنائهم هو السبب في حصوله
عنده وتربيته ولو تركهم لرباه ابواه فكان فرعون
امتن على موسى بتعبيد قومه واخراجه من حجر ابويه
اذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا ووحد
الضمير في تمنها وعبدت وجمع منكم وخفتكم لان الخوف والفرار
لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملائه المؤتمرين
بقتله بدليل قوله ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك و
اما الامتنان فمنه وحده وكذا التعبيد وتلك اشارة
الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى ما هي الا بتفسيرها
ومحل ان عبدت الرفع عطف بيان لتلك اي تعبيدك
بني اسرائيل نعمة تمنها علي قال فرعون وما رب العالمين
اي انك تدعي انك رسول رب العالمين فما صفته لانك
اذا اردت السؤال عن صفة زيد تقول ما زيد يعني
اطويل ام قصير ام طبيب نص عليه صاحب الكشاف
وغيره قال موسى مجيبا له على وفق سؤاله رب
السموات والارض وما بينهما اي وما بين الجنسين
ان كنتم موقنين اي ان كنتم تعرفون الاشيا بالدليل فكفى
خلق هذه الاشيا دليلا او ان كانت يرجى منكم الايقان
الذي يؤدي اليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب
والا لم ينفع والايقان العلم الذي يستفاد بالاستدلال
ولذا لا يقال الله موقن انتهى المدارك

قال فعلتها اذا اي اذ ذاك وانا من الضالين الجاهلين وقد قرئ
به والمعنى من الفاعلين فعل اولي الجهل او من الذاهبين عما
يؤول اليه الوكز لانه اراد به التاديب والضال عن الشيء
هو الذاهب عن معرفته ففررت منكم الفرار الذهاب على وجه
التحرز من الادراك لما خفتكم ان تقتلوني فوهب لي ربي حكما
حكمة وجعلني من المرسلين من جملة رسله وتلك نعمة تمنها علي ان
عبدت بني اسرائيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى
ما هي الا بتفسيرها ومحل ان عبدت الرفع عطف بيان لتلك
اي تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي كر على امتنانه بالتربية
فابطله من اصله وابى ان يسمى نعمته نقمة حيث بين ان حقيقة
انعامه عليه تعبيد بني اسرائيل لان تعبيدهم وقصدهم بذبح الام
ابنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته ولو تركهم لرباه
ابواه فكان فرعون امتن على موسى عليه السلام بتعبيد
قومه واخراجه من حجر ابويه اذا حققت وتعبيدهم تذليلهم
واتخاذهم عبيدا او وحد الضمير في تمنها وعبدت وجمع في
منكم وخفتكم لان الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكنه
منه ومن ملائه المؤتمرين بقتله قال فرعون وما رب العالمين
لما سمع جواب ما طعن به فيه ورأى انه لم يرع بذلك شرع
في الاعتراض على دعواه فبدا بالاستفسار عن حقيقة
المرسل قال رب السموات وما بينهما عرفه باظهر خواصه
وآثاره لما امتنع تعريف حقيقته ان كنتم موقنين اي ان كنتم
تعرفون الاشيا بالدليل فكفى خلق هذه الاشيا دليلا وان كان
يرجى منكم الايقان الذي يؤدي اليه النظر الصحيح نفعكم
هذا الجواب والا لم ينفع والايقان العلم الذي يستفاد
بالاستدلال ولذا لا يقال الله موقن انتهى ابو الكمال

قال مجيبا له مصدقا له في القتل ومكذبا فيما نسبه اليه من الكفر
فعلتها اذن وانا من الضالين اي من الجاهلين وقد قرئ كذلك
لا من الكافرين كما زعمت افتراء اي من الفاعلين فعل الجهلة
والسفهاء او من المخطئين لانه لم يتعمد قتله بل اراد تاديبه
او الذاهلين عما يؤدي اليه الوكز او الناسين كقوله
ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى ففررت منكم اي
الى ربي لما خفتكم ان تصيبوني بمضرة وتؤاخذوني
بما لا استحقه بجنايتي من العقاب فوهب لي ربي حكما
اي حكمة او نبوة وجعلني من المرسلين ردا اولا بذلك
ما وبخه به قدحا في نبوته ثم كر على ما عده عليه
من النعمة ولم يصرح برده حيث كان صدقا غير قادح
في دعواه بل نبه على ان ذلك كان في الحقيقة
نقمة فقال وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اي تلك التربية
نعمة تمنها علي ظاهرا وهي في الحقيقة تعبيدك بني اسرائيل

قال فرعون لمن حوله من اشراف قومه الا تستمعون متعجبا
قومه من جوابه لانهم يزعمون قدمها وينكرون ان لها ربا فاحتاج
موسى عليه السلام الى ان يستدل لما شاهدوا من حدوثه
وفنائه عدولا الى ما لا مجال للنزاع فيه قال ربكم وانا قال
ورب اباءكم الاولين لان فرعون كان يدعي الربوبية
على اهل عصره دون من تقدمهم قال فرعون ان رسولكم
الذي ارسل اليكم لمجنون اسأله عن شيء ويجيبني بشيء آخر
وسماه رسولا سخرية وترفع عن نسبته الى نفسه ولو سخرية
ولذلك لم يقل الينا قال رب المشرق والمغرب وما بينهما انتقل
الى هذا لان طلوع الشمس من احد الخافقين وغروبها في الآخر
على تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب مستو من اظهر
ما استدل به ولظهوره انتقل الى الاحتجاج به خليل الرحمن
عن الاحتجاج بالاحياء والاماتة على نمرود بن كنعان
ان كنتم تعقلون اي ان كان لكم عقل علمتم انه لا يمكن معرفته
الا بهذا الطريق فلما تحير فرعون ولم يتهيأ له ان يدفع ظهور
آثار صنعه قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين
عدولا الى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع وهكذا ديدن
المعاند المحجوج واللام في المسجونين للعهد اي ممن عرفت
حالهم في سجوني وكان من عادته ان يأخذ من يريد سجنه
فيطرحه في هوة ذاهبة في الارض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها
ولا يسمع وكان ذلك اشد من القتل ولو قيل لاسجننك
لم يؤد هذا المعنى وان كان اخصر انتهى الكشاف

قال اي فرعون عند سماع جوابه عليه السلام خوفا من تاثيره في قلوب
قومه واذعانهم له لمن حوله من اشراف قومه قال ابن عباس رض
وكانوا خمسمائة عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة الا تستمعون
مرائيا لهم ان ما سمعوه من جوابه عليه السلام مع كونه مما لا يليق
بان يعتد به امر حقيق بان يتعجب منه كانه قال الا تستمعون
ما يقوله فاسمعوه وتعجبوا منه حيث يدعي خلاف امر
محقق لا اشتباه فيه يريد به الربوبية لنفسه قال عليه السلام
تصريحا بما كان مندرجا تحت جوابه الاول تعيينا ربكم ورب
اباءكم الاولين وحطا له من ادعاء الربوبية الى مرتبة
المربوبية قال اي فرعون لما واجهه موسى عليه السلام
بما ذكر غاظه ذلك وخاف من تاثر قومه منه فاراهم
ان ما قاله عليه السلام مما لا يصدر عن العقلاء صدا لهم
عن قبوله فقال مؤكدا لمقالته الشنعاء بحرفي التاكيد
ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ليغيظهم بذلك ويصرفهم
عن قبول الحق وسماه رسولا بطريق الاستهزاء واضافه
الى مخاطبيه ترفعا من ان يكون مرسلا الى نفسه قال

قال اي فرعون لمن حوله من اشراف قومه وهم خمسمائة رجل
عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة الا تستمعون
متعجبا قومه من جوابه لانهم يزعمون قدمها وينكرون حدوثها
وان لها ربا فاحتاج موسى عليه السلام الى ان يستدل بما
شاهدوا حدوثه وفناءه فاستدل حيث قال ربكم ورب
اباءكم الاولين اي هو خالقكم وخالق ابائكم فان لم يستدلوا
بغيرهم فبانفسكم وانما قال ورب اباءكم لان فرعون
كان يدعي الربوبية على اهل عصره دون من تقدمهم
قال اي فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون
حيث يزعم ان في الوجود الها غيري وكان ينكر الالهية لغيره
قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون
فتستدلون بما اقول فتعرفون ربكم وهذا غاية الارشاد
حيث عمم اولا بخلق السموات والارض وما بينهما ثم
خصص من العام للبيان انفسهم واباءهم لان
اقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد
منه وما شاهد من احواله من وقت ميلاده الى وقت
وفاته ثم خصص المشرق والمغرب لان طلوع الشمس من
احد الخافقين وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم
في فصول السنة وحساب مستو من اظهر ما استدل به
ولظهوره انتقل الى الاحتجاج به خليل الرحمن عن الاحتجاج
بالاحياء والاماتة على نمرود بن كنعان وقيل
سأله فرعون عن الماهية جاهلا عن حقيقة سؤاله
فلما اجاب موسى بحقيقة الجواب زعم فرعون ان موسى
حاد اي مال عن الجواب حيث سأله عن الماهية وهو
يجيبه عن ربوبيته وآثار صنعه فقال متعجبا لهم من
جواب موسى الا تستمعون فعاد موسى الى مثل قوله الاول
فجننه فرعون زاعما انه حائد اي مائل عن الجواب فعاد
ثالثا الى مثل كلامه الاول مبينا ان الفرد الحقيقي انما يعرف
بالصفات وان السؤال عن الماهية محال واليه الاشارة
في قوله ان كنتم تعقلون اي ان كان لكم عقل علمتم انه لا يمكن
معرفته الا بهذا الطريق قال لئن اتخذت الها غيري
لاجعلنك من المسجونين اي لاجعلنك واحدا
ممن عرفت حالهم في سجوني وكان من عادتهم ان يأخذ من
يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الارض بعيدة
فردا لا يبصر فيها ولا يسمع وكان ذلك اشد من القتل
ولو قيل لاسجننك لم تؤد هذا المعنى وان كان اخصر

عليه السلام رب المشرق والمغرب وما بينهما قاله عليه السلام تكميلا للجواب الاول وتفسيرا له وتنبيها على جهلهم وعدم فهمهم
لمعنى مقالته فان بيان ربوبيته تعالى للسموات والارض وما بينهما ٥

٥ وما بينهما لكن لما لم يكن فيه تصريح باستناد حركات السموات وما فيها وتغيرات احوالها واوضاعها وكون الارض
تارة مظلمة واخرى منورة الى الله تعالى ارشدهم الى طريق معرفة ربوبيته تعالى لما ذكر فان ذكر المشرق منبئ عن
شروق الشمس وغروبها المنوطين بحركات السموات وما فيها على نمط بديع يترتب عليه هذه الاوضاع
الرصينة وكل ذلك امور حادثة مفتقرة الى محدث قادر عليم حكيم لا كذوات السموات والارض
التي ربما يتوهم جهلة المتوهمين باستمرارها عن الموجد المتصرف ان كنتم تعقلون اي ان كنتم تعقلون شيئا
من الاشياء او ان كنتم من اهل العقل علمتم ان الامر كما قلته ٥ وفيه ايذان بغاية وضوح الامر بحيث لا يشتبه على من
له عقل في الجملة وتلويح بانهم بمعزل من دائرة العقل وانهم المتصفون بما رموه عليه السلام به من الجنون
قال لما سمع اللعين منه عليه السلام تلك المقالات المبنية على اساس الحكم البالغة وشاهد شدة حزمه
وقوة عزمه على تمشية امره وانه ممن لا يجارى في حلبة المحاورة ضرب صفحا عن المقاولة بالانصاف
ونأى بجانبه الى عدوة الجور والاعتساف فقال مظهرا لما كان يضمره عند السؤال والجواب لئن اتخذت
الها غيري لاجعلنك من المسجونين لم يقتنع منه عليه السلام بترك دعوى الرسالة وعدم التعرض له
حتى كلفه عليه السلام ان يتخذه الها لغاية عتوه وغلوه فيما يدعيه من دعوى الالوهية وهذا صريح في ان
تعجبه وتعجيبه من الجواب الاول ونسبته عليه السلام الى الجنون في الجواب الثاني كان لنسبته عليه السلام
الربوبية الى غيره ٥ واما ما قيل من ان سؤاله كان عن حقيقة المرسل وتعجبه من جوابه كان لعدم
مطابقته له لكونه بذكر احواله فلا يساعده النظم الكريم ولا حال فرعون ولا مقاله ٥ واللام في المسجونين
للعهد اي لاجعلنك ممن عرفت احوالهم في سجوني حيث كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا
ولذلك لم يقل لاسجننك انتهى ابو السعود رحمه الله

قال فرعون عاجزا عن الجواب لمن حوله اي لاشراف قومه وكانوا خمسمائة رجل عليهم الاساور الا تستمعون
قوله فقال قوم فرعون ما تقول يا موسى انكارا لقوله رب العالمين فاكده موسى عليه السلام و قال ربكم ورب اباءكم
الاولين عمم اولا بذكر السموات والارض وما بينهما ثم خصص من العام للبيان انفسهم واباءهم لان اقرب
المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه فعلم فرعون انه مغلوب فنسب موسى عليه السلام الى الجنون
قال اي فرعون لجلسائه ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون و قال موسى عليه السلام مؤكدا ثانيا رب المشرق و
المغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون اي اصحاب عقول تستدلون بالنظر فيما اقول لكم فتعرفون ربكم
وهذا الجواب لزيادة بيان وتدريج في الاستدلال اذ الطلوع والغروب على تقدير مستقيم في فصول السنة
من اظهر ما يستدل به العاقل على توحيده تعالى وهي معارضة في مقابلة قوله ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون
قال فرعون لموسى عليه السلام لازدياد تحيره مائلا الى العقوبة كالجبابرة لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك
من المسجونين وهو ابلغ من لاسجننك وان كان اخصر لان معناه لاجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم
في سجوني ففيه زيادة تهديد اذ كان سجنه اشد من القتل انتهى العيون

قال اولو جئتك بشيء مبين اي اتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين اي موضح لصدق دعواك * يريد به المعجزة فانها جامعة
بين الدلالة على صدق دعوى من ظهرت على يده * والتعبير عنها بالشيء للتهويل قالوا الواو في اولو جئتك للحال
دخلت عليها همزة الاستفهام اي جائيا بشيء مبين * وقد سلف منا مرارا انها للعطف * وان كلمة لو ليست لانتفاء
الشيء في الزمن الماضي لانتفاء غيره فيه * فلا يلاحظ لها جواب قد حذف تعويلا على دلالة ما قبلها عليه ملاحظة
قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الفنية بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام
السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها
منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال
بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى * ولذلك لا يذكر معه
شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر العاطف للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال
المغايرة لها عند تعددها ليظهر ما ذكر من تحقق الحكم على جميع الاحوال * فانك اذا قلت فلان جواد يعطي
ولو كان فقيرا تريد بيان تحقق الاعطاء منه على كل حال من احواله المفروضة فتعلق الحكم بابعدها منه ليظهر
بتحققه معه تحققه مع ما عداه من الاحوال التي لا منافاة بينها وبين الحكم بطريق الاولوية الفتحية
للاكتفاء بذكر العاطف عن تفصيلها كانك قلت فلان جواد يعطي لو لم يكن فقيرا ولو كان فقيرا اي يعطي
حال كونه غنيا وحال كونه فقيرا فالحال في الحقيقة كلتا الجملتين المتعاطفتين لا المذكورة على ان الواو
للحال وتقدير المجيء بما ذكر بكلمة لو دون ان ليس لبيان استبعاده في نفسه بل بالنسبة الى فرعون
والمعنى اتفعل بي ذلك حال عدم مجيئي بشيء مبين وحال مجيئي به قال فأت به ان كنت من الصادقين اي فيما يدل
عليه كلامك من انك تاتي بشيء مبين موضح لصدق دعواك او في دعوى الرسالة وجواب الشرط محذوف
لدلالة ما قبله عليه فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين اي ظاهر ثعبانيته لا انه شيء يشبهه * واشتقاق
الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اي فجرته فانفجر * وقد مر بيان كيفية الحال في سورة الاعراف وسورة طه
ونزع يده من جيبه فاذا هي بيضاء للناظرين قيل لما رأى فرعون الاية الاولى قال فهل لك غيرها فاخرج يده
فقال ما هذه قال فرعون يدك فما فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد
الافق قال للملأ حوله اي مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال ان هذا لساحر عليم فائق في فن السحر
يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون بهره سلطان المعجزة وحيره حتى حطه عن ذروة
ادعاء الربوبية الى حضيض الخضوع لعبيده في زعمه والامتثال بامرهم او الى مقام مؤامرتهم ومشاورتهم
بعد ما كان مستقلا في الرأي والتدبير واظهر استشعار الخوف من استيلائه على ملكه ونسبة
الاخراج والارض اليهم لتنفيرهم عن موسى عليه السلام قالوا ارجه واخاه اخر امرهما وقيل احبسهما
وابعث في المدائن حاشرين اي شرطا يحشرون السحرة يأتوك اي الحاشرون بكل سحار عليم فائق في
فن السحر وقرئ بكل ساحر فجمع السحرة لميقات يوم معلوم هو ما عينه موسى عليه السلام بقوله موعدكم
يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى   انتهى ابو السعود

قال موسى عليه السلام اولو جئتك بشيء مبين اي اتفعل ذلك ولو جئتك بالمعجزة والواو للحال اي جائيا بشيء مبين
اي برهان واضح يستبين لك امري به قال فرعون فأت به اي اظهره ان كنت من الصادقين في دعواك اتيت به
فحذف الجزاء بدلالة ما قبله من الامر فالقى موسى عليه السلام عصاه من يده فاذا هي ثعبان مبين اي حية عظيمة ظاهر
الثعبانية لا انها شيء يشبه الثعبان صورة بالسحر او بغيره فقصدت الى فرعون روي انها ارتفعت في السماء
قدر ميل فقال بالذي ارسلك الا اخذتها فعادت عصا فقال فرعون هل غيرها ونزع يده اي اخرجها
من جيبه فاذا هي بيضاء اي ذات نور للناظرين يكاد يغشي نورها الابصار ويسد الافق قال فرعون
للملأ حوله اي للاشراف كائنين حوله ظرف لغو عامله المقدر فيه وحال محلا العامل فيه قال ان هذا لساحر عليم
اي حاذق في سحره وهو قول من بهت وغلب يريد ان يخرجكم من ارضكم اي ارض مصر بسحره فماذا تأمرون اي كلمة
من المؤامرة وهي المشاورة ومحل ماذا نصب مفعول به لتأمرون قالوا ارجه واخاه اي اخرهما عنك واحبسهما
وابعث في المدائن اي مدائنك حاشرين اي جماعة يحشرون السحرة لك يأتوك بكل سحار عليم   مدا

قال اولو جئتك الواو للحال دخلت عليها همزة الاستفهام
اي اتفعل ذلك ولو جئتك بشيء مبين اي جائيا بالمعجزة
قال فأت به بالذي يبين صدقك ان كنت من الصادقين
ان لك بينة وجواب الشرط مقدر اي فاحضره فالقى
عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر الثعبانية لا شيء
يشبه الثعبان كما يكون الاشياء المزورة بالشعوذة
والسحر وروي انها ارتفعت في السماء قدر ميل ثم
انحطت مقبلة على فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني
بما شئت فيقول فرعون اسألك بالذي ارسلك
الا اخذتها فاخذها فعادت عصا ونزع يده فاذا هي
بيضاء للناظرين فيه دليل على ان بياضها نوري روي ان فرعون
لما ابصر الاية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده فقال
لفرعون ما هذه فقال فرعون يدك فادخلها في ابطه ثم
نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق
قال فرعون للملأ حوله هو منصوب نصبين نصب
في اللفظ والعامل فيه ما يقدر في الظرف ونصب في
المحل وهو النصب على الحال من الملأ اي كائنين حوله
والعامل فيه قال ان هذا لساحر عليم بالسحر ثم اغرى
قومه على موسى بقوله يريد ان يخرجكم من ارضكم
بسحره فماذا منصوب لانه مفعول به من قولك امرتك
الخير تأمرون تشيرون في امري من حبس او قتل من
المؤامرة وهي المشاورة او من الامر الذي هو ضد النهي
لما تحير فرعون برؤية الايتين وزل عنه ذكر دعوى
الالوهية وحط من منكبيه كبرياء الربوبية و
ارتعدت فرائصه خوفا طفق يؤامر قومه الذين هم
بزعمه عبيده وهو الههم او جعلهم آمرين نفسه
مأمورا قالوا ارجه واخاه اي اخر امرهما ولا تباغت
قتلهما خوفا من الفتنة وابعث في المدائن حاشرين
شرطا يحشرون السحرة وعارضوا قوله ان هذا لساحر عليم
بقولهم يأتوك بكل سحار عليم فجاؤوا بكلمة الاحاطة
وصيغة المبالغة ليسكنوا بعض قلقه فجمع السحرة لميقات
يوم معلوم اي يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لانه
الوقت الذي وقته لهم موسى عليه السلام من يوم الزينة
في قوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى و
الميقات ما وقت به اي حدد من زمان او مكان ومنه
مواقيت الاحرام   انتهى المدارك

قال اولو جئتك الواو للحال وهمزة الاستفهام انما دخلت على الفعل
المقدر والمعنى اتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين
صدق دعواي يعني المعجزة قال فأت به بالذي يبين صدقك
ان كنت من الصادقين في انك قادر على اتيانه ومعنى الكلام
بعجزه عن الدلالة على ان المعجزة لا ياتي بها الا الصادق فالقى عصاه
فاذا هي ثعبان مبين حية عظيمة يقال انثعب الماء اذا جرى
باتساع والمثعب المجرى الواسع ومنه الثعبان لانه يجري
باتساع لعظمه والجان ايضا هو العظيم من الحيات ذكره في
الفائق فلا تدافع بين هذا وبين قوله كانها جان على ان
المشابهة للجان في الاهتزاز لا ينافي الثعبانية على تقدير
المخالفة بينهما في القدر مبين من ابان عن نفسه انه ثعبان
حقيقة لا شيء يشبه الثعبان كما تكون الاشياء المزورة
بالشعوذة والسحر ونزع يده اي اخرجها من جيبه او كمه
والنزع اخراج الشيء مما كان متصلا به او ملابسا له فاذا هي
بيضاء لها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق وقوله
للناظرين دلالة على ان بياضها كان شيئا يجتمع النظارة
على النظر اليه لخروجه عن العادة قال للملأ اي للاشراف ليلبس عليهم حوله
حول منصوب نصبين نصب في اللفظ والعامل فيه ما يقدر
في الظرف ونصب في المحل وهو النصب على الحال من الملأ اي
كائنين حوله والعامل فيه قال ان هذا لساحر عليم اي حاذق في
السحر يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره بان يلقي العداوة
والفرقة بينكم ويستميل بعضكم ليحارب به بعضكم فيخرجكم
من بلادكم فماذا منصوب لانه مفعول به من قولك امرتك
الخير تأمرون تشيرون في امره من المؤامرة وهي المشاورة
قالوا ارجه واخاه اي اخر امرهما وانما اشاروا بذلك
لانهم رأوا ان الناس يفتتنون ان قتل او حبس وان
السحرة اذا اتوا ومنه زال ذلك الافتتان فكان له حجة عذر
في قتله او حبسه بحسب ما يراه وابعث في المدائن حاشرين
رجالا يحشرون والحشر السوق من جهات مختلفة الى مكان واحد
ثم انهم عارضوا قوله ان هذا لساحر عليم بقولهم يأتوك
بكل سحار عليم فجاؤوا بكلمة الاحاطة وصيغة المبالغة ليسكنوا
بعض قلقه فجمع السحرة اي النفر الحاشرين في المدائن وانهم
حشروا فجمع السحرة فالفاء فصيحة لميقات يوم معلوم يوم الزينة
وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذي وقته لهم موسى عليه السلام
في قوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى والميقات
ما وقت به اي حدد من زمان او مكان ومنه مواقيت الاحرام   انتهى
مثلا فجمع السحرة وهم اثنان وسبعون في رواية
وسبعون الفا في رواية اخرى لميقات يوم معلوم والمراد
بيوم معلوم يوم الزينة والميقات وقت الضحى لانه هو الوقت
الذي وعده موسى عليه السلام بقوله وان يحشر الناس ضحى انتهى العيون

وقيل للناس هل انتم مجتمعون اى اجتمعوا وهو استبطاء لهم
فى الاجتماع والمراد منه استعجالهم لعلنا نتبع السحرة اى فى
دينهم ان كانوا هم الغالبين ان غلبوا موسى وليس غرضهم
اتباع السحرة وانما الغرض ان لا يتبعوا موسى عم
فساقوا الكلام مساق الكناية او لغلبة الاستعلاء بالنوع
فلما جاء السحرة لفرعون ائن لنا لاجرا الاجر الجزاء على العمل
بالخير واذا كان بالشر يسمى عقابا ان كنا نحن الغالبين
قال نعم وانكم اذا لمن المقربين الذين لهم الاجر و
القربة عنده زيادة عليه ان غلبوا قال لهم موسى
القوا ما انتم ملقون لم يرد به امرهم بالسحر والتموية بل
الاذن فى تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به الى اظهار
الحق ولذلك قوله ما انتم ملقون فان قوله القوا كان كافيا
فى جوابهم حين قالوا اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين
فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا اى جاؤا بسحر عظيم وقالوا
قالوا وفصيحة بعزة فرعون انا لنحن الغالبون اقسموا بعزته
وهى من ايمان الجاهلية والعزة القوة التى يمتنع بها من
لحاق ضيم لعلو منزلته فالقى موسى عصاه الفاء فصيحة تنبئ
عن مقدر ذكره فى سورة الاعراف فاذا هى تلقف التلقف
تناول الشئ بالفم بسرعة ما يافكون ما يخيلونه منقلبا عن
وجهه بتمويهاتهم وتزويرهم او افكهم تسمية للمافوك به
مبالغة فالقى السحرة ساجدين لعلمهم بان لا يتاتى بالسحر
وعبر عن الخرور بالالقاء بطريق المشاكلة لانه ذكر مع
الالقاءات ولانهم لسرعة ما سجدوا كانهم القوا قالوا
امنا برب العالمين بدل من القى بدل اشتمال او استئناف و
رب موسى وهرون عطف بيان لرب العالمين لئلا يتوهم انهم
ارادوا به فرعون لانه حين حشر جنوده نادى فقال
انا ربكم الاعلى فى سورة النازعات انتهى ابو السعود

وقيل للناس هل انتم مجتمعون اى اجتمعوا وهو استبطاء لهم فى
الاجتماع والمراد منه استعجالهم لعلنا نتبع السحرة فى دينهم
ان كانوا هم الغالبين اى ان غلبوا موسى ولا نتبع موسى فى دينه
وليس غرضهم اتباع السحرة وانما الغرض الكلى ان لا يتبعوا موسى
فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا
متبعين لموسى عليه السلام فلما جاء السحرة قالوا لفرعون
ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وبكسر العين
علي وهما لغتان وانكم اذا لمن المقربين اى قال فرعون نعم لكم اجر
عندى وتكونون مع ذلك من المقربين عندى فى المرتبة
والجاه فتكونون اول من يدخل علي واخر من يخرج ولما كان
قوله ائن لنا لاجرا فى معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان
قوله وانكم اذا لمن المقربين معطوفا عليه دخلت اذا قارة
فى مكانها الذى تقتضيه من الجواب والجزاء قال لهم موسى
القوا ما انتم ملقون من السحر فسوف ترون عاقبته فالقوا
حبالهم سبعين الف حبل وعصيهم سبعين الف عصا وقيل كان
الحبال اثنين وسبعين وكذا العصى وقالوا بعزة فرعون
انا لنحن الغالبون واقسموا بعزته وقوته وهى من ايمان الجاهلية
فالقى موسى عصاه فاذا هى تلقف تبتلع ما يافكون ما يقلبونه
عن وجهه وحقيقته بسحرهم ويزورونه فيخيلون فى
حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى فالقى السحرة ساجدين
عبر عن الخرور بالالقاء بطريق المشاكلة لانه ذكر مع الالقاءات
ولانهم لسرعة ما سجدوا صاروا كانهم القوا قالوا امنا برب
العالمين عن عكرمة اصبحوا سحرة وامسوا شهداء رب
موسى وهرون عطف بيان لرب العالمين لان فرعون كان
يدعى الربوبية فارادوا ان يعزلوه وقيل ان فرعون
لما سمع منهم امنا برب العالمين قال اياى تعنيتم قالوا
رب موسى وهرون انتهى المدارك

وقيل للناس هل انتم مجتمعون قيل لهم ذلك استبطاء لهم فى الاجتماع وحثا لهم على المبادرة اليه لعلنا نتبع السحرة
ان كانوا هم الغالبين اى نتبعهم فى دينهم ان كانوا هم الغالبين لا موسى عليه السلام وليس مرادهم بذلك ان يتبعوا دينهم حقيقة
وانما هو ان لا يتبعوا موسى عليه السلام لكنهم ساقوا كلامهم مساق الكناية حملا لهم على الاهتمام والجد فى المغالبة فلما جاء
السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا اى اجرا عظيما ان كنا نحن الغالبين لا موسى عليه السلام قال نعم لكم ذلك وانكم
اذا لمن المقربين عندى قيل قال لهم تكونوا اول من يدخل علي واخر من يخرج عنى وقرئ نعم بكسر العين وهما لغتان قال
لهم موسى اى بعد ما قال له السحرة اما ان تلقى واما ان نكون اول من القى القوا ما انتم ملقون ولم يرد به الامر بالسحر
والتموية بل الاذن فى تقديم ما هم فاعلوه البتة توسلا به الى اظهار الحق وابطال الباطل فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا
اى وقت القائها عند الالقاء بعزة فرعون انا لنحن الغالبون قالوا ذلك لفرط اعتقادهم فى انفسهم واتيانهم باقصى ما يمكن
من السحر فالقى موسى عصاه فاذا هى تلقف اى تبتلع بسرعة وقرئ تلقف بحذف احدى التائين من تتلقف ما يافكون
اى ما يقلبونه عن وجهه وصورته بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى او افكهم تسمية
للمافوك به مبالغة فالقى السحرة ساجدين اى اثر ما شاهدوا ذلك من غير تلعثم وتردد غير متمالكين

كان ملقيا القاهر لعلمهم بان مثل ذلك خارج عن حدود السحر وانه امر الهى قد ظهر على يده عليه السلام
لتصديقه وفيه دليل على ان منتهى ما ينتهى اليه علم السحرة هو التمويه والتزوير وتخييل شئ لا حقيقة له
قالوا امنا برب العالمين بدل اشتمال من القى او حال باضمار قد وقوله رب موسى وهرون بدل من رب العالمين
لتوضيح ودفع توهم ارادة فرعون حيث كان قومه الجهلة يسمونه بذلك وللاشعار بان الموجب لايمانهم به ما
اجراه على يديهما من المعجزة القاهرة قال اى فرعون للسحرة الخ انتهى ابو السعود

وقيل للناس اى لاهل مصر هل انتم مجتمعون وهو حث للناس على الاجتماع بالاستعجال لعلنا نتبع لكى نقتدى السحرة فى
دينهم دون موسى فى دينه ان كانوا هم الغالبين لموسى عم فلما جاء السحرة الى الميقات قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا اى جعلا
ان كنا نحن الغالبين على موسى قال نعم لكم على جعل وانكم اذا اى اذا غلبتم على موسى لمن المقربين عندى فى المجلس
واول من يدخل علي واخر من يخرج مع ذلك قوله وانكم بجملته عطف على قوله نعم لانه فى معنى ان لكم اجرا قال لهم
موسى القوا اى اطرحوا ما انتم ملقون فالقوا اى السحرة حبالهم وعصيهم وقالوا حالفين بعزة فرعون
وهو طريق قسم اهل الجاهلية انا لنحن الغالبون اى يبتلع ما يزورون ان حبالهم وعصيهم حيات
بالتخييل والتمويه فالقى السحرة ساجدين لله قالوا اى قائلين امنا برب العالمين رب موسى وهرون
اى القاهر الله رب ايمانهم به فرب عطف بيان لرب العالمين ومعنى الاضافة اليهما انه الذى يدعو اليه هذان الرجلان
واجرى على ايديهما من المعجزة فكان الله رب القاهر بمارأوا من المعجزة الباهرة فاصبحوا سحرة وامسوا مؤمنين شهداء
انتهى العيون

قال اي فرعون للسحرة آمنتم له قبل ان آذن لكم اي بغير ان آذن لكم كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان الاذن منه ممكن او متوقع انه لكبيركم الذي علمكم السحر فتواطأتم على ما فعلتم او علمكم شيئا دون شيء فلذلك غلبكم اراد بذلك التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا انهم آمنوا على بصيرة وظهور حق وقرئ أأمنتم بهمزتين فلسوف تعلمون اي وبال ما فعلتم وقوله لأقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولأصلبنكم اجمعين بيان لما اوعدهم به قالوا اي السحرة لا ضير لا ضرر فيه علينا وقوله تعالى انا الى ربنا منقلبون تعليل لعدم الضير اي لا ضير في ذلك بل لنا فيه نفع عظيم لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله تعالى من تكفير الخطايا والثواب العظيم او لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل انه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من اسباب الموت والقتل اهونها وارجاها وقوله تعالى انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اي لان كنا اول المؤمنين اي من اتباع فرعون او من اهل المشهد تعليل ثان لنفي الضير اي لا ضير علينا في ذلك انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا لكوننا اول المؤمنين وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة قول المدل بامره كقول العامل لمستأجر اخر اجرته ان كنت عملت لك فوفني حقي واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي وذلك بعد بضع سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا الا عتوا وعنادا حسبما فصل في سورة الاعراف بقوله تعالى ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين الآيات وقرئ بكسر النون ووصل الالف من السرى وقرئ ان سر انكم متبعون تعليل للامر بالاسراء اي يتبعكم فرعون وجنوده مصبحين فاسر بهم حتى لا يدركوكم قبل الوصول الى البحر فيدخلوا مداخلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم فارسل فرعون حين اخبر بسيرهم في المدائن حاشرين جامعين للعساكر ليتبعوهم ان هؤلاء يريد بني اسرائيل لشرذمة قليلون استقلهم وهم ستمائة الف وسبعون الفا بالنسبة الى جنوده اذ روي انه ارسل في اثرهم الف الف وخمسمائة الف ملك مسور مع كل ملك الف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة الف رجل على حصان وعلى راسه بيضة وعن ابن عباس رضي الله عنهما خرج فرعون في الف الف حصان سوى الاناث انتهى ابو السعود

قال فرعون للسحرة آمنتم له قبل ان آذن لكم انه اي ان موسى لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون ماذا اصنع لكم لأقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولأصلبنكم اجمعين على شاطئ البحر قالوا لا ضير اي لا ضرر علينا بما تصنع بنا انا اي الى ربنا منقلبون اي راجعون فيثيبنا بايماننا به انا اي لانا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا من تقدم ان اي لان كنا اول المؤمنين من قوم موسى عليه السلام في زماننا واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي اي بني اسرائيل انكم متبعون اي يتبعكم فرعون وجنوده فارسل فرعون في المدائن حاشرين اي جامعين الناس لقتال موسى عليه السلام قائلا ان هؤلاء لشرذمة اي طائفة او عصبة قليلون منقطعة وكانوا ستمائة وسبعين الفا وعدد فرعون لا يحصى انتهى الجلالين

قال آمنتم له قبل ان آذن لكم بذلك انه لكبيركم الذي علمكم السحر فتواطأتم على امر ومكر فلسوف تعلمون وبال ما فعلتم ثم صرح فقال لأقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من اجل خلاف ظهر منكم ولأصلبنكم اجمعين كأنه اراد ترهيب العامة لئلا يتبعوهم في الايمان قالوا لا ضير لا ضرر وخبر لا محذوف اي في ذلك او علينا انا الى ربنا منقلبون انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا لان كنا اول المؤمنين من اهل المشهد او من رعية فرعون ارادوا لا ضرر علينا في ذلك بل لنا فيه اعظم النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا او لا ضير علينا فيما تتوعدنا به انه لا بد من الانقلاب الى ربنا بسبب من اسباب الموت والقتل اقوى اسبابه وارجاها او لا ضير علينا في قتلك انك ان قتلتنا انقلبنا الى ربنا انقلاب من يطمع في مغفرته ورحمته لما رزقنا من السبق الى الايمان واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي بني اسرائيل وسماهم عباده لايمانهم بنبيه اي سر بهم ليلا وهذا بعد سنين من ايمان السحرة انكم متبعون يتبعكم فرعون وقومه علل الامر بالاسراء باتباع فرعون وجنوده اياهم يعني اني بنيت تدبير امركم وامرهم على ان تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم من طريق البحر فاهلكهم وروي انه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروي ان الله تعالى اوحى الى موسى عم ان اجمع بني اسرائيل كل اربعة ابيات في بيت ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها على ابوابكم فاني سآمر الملائكة ان لا يدخلوا بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل ابكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسر بعبادي حتى تنتهي الى البحر فيأتيك امري فارسل فرعون في المدائن حاشرين جامعين الناس بعنف فلما اجتمعوا قال ان هؤلاء لشرذمة قليلون والشرذمة الطائفة القليلة ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذي هو للقلة او اراد بالقلة الذلة لا قلة العدد اي انهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وانما استقل قوم موسى وكانوا ستمائة الف وسبعين الفا لكثرة من معه فعن الضحاك كانوا سبعة آلاف الف

انتهى

قال آمنتم له اي لموسى قبل ان آذن لكم بذلك انه لكبيركم الذي علمكم السحر فعلمكم شيئا دون شيء فلذلك غلبكم او واعدكم ذلك وتواطأتم عليه وقد افصح عن هذا في سورة الاعراف واراد به التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا انهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق فلسوف تعلمون وبال ما فعلتم فالفاء فصيحة ومدخولها مرتبط لمحذوف وهو ما ذكر في سورة الاعراف ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها ثم صرح بما كني عنه فقال لأقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا وهذه الطريقة في السياسات على الحكمة فانه ح لا ييأس الجاني عن الحيوة والتعيش فيكون القتل بعده سياسة اخرى بخلاف ما اذا قطعا من شق واحد فانه ح يكون القتل راحة وازاحة للعذاب المحض ولأصلبنكم اجمعين اي لا اترك واحدا منكم لا يناله عقوبتي قالوا لا ضير لا ضرر وخبر لا محذوف اي في ذلك او علينا انا الى ربنا منقلبون قد تقدم تفسيره في سورة الاعراف انا نطمع الطمع طلب النفس للخير الذي تقدر فيه انه يكون ان يغفر لنا ربنا خطايانا اي ما فعلناه من السحر وغيره والخطيئة الزوال عن الاستقامة المؤدية الى الثواب ان كنا لان كنا اول المؤمنين من اتباع او من اهل المشهد والجملة في المعنى تعليل للعلة المتقدمة وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة المدل بامره المتحقق لصحته واوحينا الى موسى وكان بعد سنين من ايمان السحرة ان اسر بعبادي بني اسرائيل واضافتهم اليه للتشريف لانهم آمنوا به وصدقوا نبيه والاسراء السير في الليل وانما زيد قوله ليلا لان المراد السير في معظمه لا في اوائله او اواخره انكم متبعون يتبعكم عدوكم وهو علة الامر بالسير في الوقت المذكور فانهم لو ساروا في اول الليل لتنبه العدو في الحال فلا يحصل لهم التقدم وكذا لو ساروا في آخره فارسل فرعون اي ففعل موسى عليه السلام ذلك وخرجوا فاخبر بذلك فرعون فارسل فالفاء فصيحة في المدائن مدائن مصر وتعدية ارسل بفي دون الى للدلالة على الاستعجال منه وسرعة الامتثال من الرسل وعلى ان ملك مصر كان معمورا في عهده بحيث سار الرسل كالخارجين عنده في المدائن وفيه كثير استبعاد ما ذكره في كثرة جنده حاشرين العساكر ليتبعوهم ان هؤلاء لشرذمة قليلون على ارادة القول والشرذمة الجمع المحتقر ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم وصفهم بها واتى بصيغة الجمع باعتبار الاسباط واختار جمع السلامة الذي هو للقلة وانما استقلهم وكانوا ستمائة الف وسبعين الفا لكثرة من معه

انتهى

وانهم لنا لغائظون لفاعلون ما يغيظنا بخروجهم من مصر بلا اذن منا وذهابهم باموالنا التي استعاروها وانا لجميع حاذرون وقرئ حذرون فالحذر اليقظ والحاذر الذي يجدد حذره يعني نحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل المدائن لئلا يظن به العجز والفتور فاخرجناهم بان خلقنا فيهم الداعي الى الخروج من جنات وعيون وكنوز انما خصها لان اموالهم الظاهرة قد انطمست ومن غفل عن هذا كان تسميتها كنوزا لانهم لم ينفعوا منها في طاعة الله تعالى ومقام كريم ... كذلك يحتمل النصب على اخرجناهم مثل ذلك المقام الذي كان لهم والرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي الامر كذلك واورثناها بني اسرائيل عن الحسن لما عبروا النهر رجعوا واخذوا ديارهم واموالهم فاتبعوهم مشرقين يقال اتبع فلان فلانا وتبعه اذا اقتفى اثره وقال الزجاج شرقت الشمس اذا طلعت واشرقت اذا اضاءت فلما تراءى الجمعان اي تقابلا بحيث راى كل منهما الاخر قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا لن يدركوكم فان الله وعدكم الخلاص عنهم ان معي ربي اي وعده اي ولذلك قال معي دون معنا سيهدين طريق النجاة ويجوز ان يكون من قبيل التمثيل فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر بحر القلزم فانفلق اي فضرب فانفلق فصار اثني عشر فرقا على عدد الاسباط وفي حذف الفعل وترتيب الانفعال على الامر المذكور في الظاهر اشعار بان ذلك الامر الخارق انما هو بامره تعالى لا بضرب موسى عليه السلام فكان كل فرق كالطود العظيم كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب

انتهى ابو السعود

وانهم لنا لغائظون اي انهم يفعلون افعالا تغيظنا و تضيق صدورنا وهو خروجهم من مصرنا وحملهم حلينا و قتلهم ابكارنا وانا لجميع حاذرون شامي وكوفي وغيرهم حذرون فالحذر اليقظ والحاذر الذي يجدد حذره وقيل المؤدي في السلاح وانما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه يعني ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل المدائن لئلا يظن به العجز والفتور فاخرجناهم من جنات بساتين وعيون وانهار جارية وكنوز واموال ظاهرة من الذهب والفضة وسماها كنوزا لانهم لم ينفقوا منها في طاعة الله تعالى ومقام كريم ... وعن ابن عباس رضي الله عنهما المنابر كذلك يحتمل النصب على اخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفنا والرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي الامر كذلك واورثناها بني اسرائيل عن الحسن لما عبروا النهر رجعوا واخذوا ديارهم واموالهم فاتبعوهم فاعقبوهم فاتبعوهم مشرقين حال اي داخلين في وقت شروق الشمس وهو طلوعها اي ادرك قوم فرعون موسى وقومه وقت طلوع الشمس فلما تراءى الجمعان اي تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه والمراد بنو اسرائيل والقبط قال اصحاب موسى انا لمدركون اي قرب ان يلحقنا عدونا وامامنا البحر قال موسى ثقة بوعد الله تعالى اياه كلا ارتدعوا عن سوء الظن بالله فلن يدركوكم ان معي ربي حفص سيهدين طريق النجاة من ادراكهم واضرارهم سيهديني بالياء يعقوب فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر اي القلزم او النيل فانفلق اي فضرب فانفلق وانشق فصار اثني عشر فرقا على عدد الاسباط فكان كل فرق اي كل جزء تفرق منه كالطود العظيم كالجبل المنطاد في السماء اي كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط

وانهم لنا لغائظون اي لفاعلون ما يغيظنا وانا لجميع حاذرون يريد انهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى اطفاء نائرة فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرئ حذرون فالاول دال على التجدد والثاني على الثبات الحاذر المؤدي في السلاح وقرئ حادرون بالدال المهملة اي اقوياء واشداء وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك حدارة في اجسامهم فاخرجناهم بان خلقنا فيهم داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كانت لهم كذلك اما مصدر تشبيهي لاخرجنا اي مثل ذلك الاخراج العجيب اخرجناهم او صفة لمقام كريم اي من مقام كريم كائن كذلك او خبر محذوف اي الامر كذلك واورثناها بني اسرائيل اي ملكناها اياهم على طريقة تمليك مال المورث للوارث كانهم ملكوها حين خروج اربابها منها قبل ان يقبضوها ويتسلموها فاتبعوهم اي فلحقوهم وقرئ فاتبعوهم مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس اي طلوعها فلما تراءى الجمعان تقاربا بحيث راى كل واحد منهما الاخر وقرئ تراءت الفئتان قال اصحاب موسى انا لمدركون

قال اصحاب موسى انا لمدركون جاؤوا بالجملة الاسمية مؤكدة بحرفي التاكيد للدلالة على تحقيق الادراك واللحوق وتنجزهما وقرئ لمدركون بتشديد الدال من ادرك الشيء اذا تتابع ففني اي لمتتابعون في الهلاك على ايديهم قال كلا ارتدعوا عن ذلك فانهم لا يدركونكم ان معي ربي بالنصر والهداية سيهدين البتة الى طريق النجاة منهم بالكلية روي ان يوشع عليه السلام قال يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا قال عليه السلام ههنا فخاض يوشع عليه السلام الماء وضرب موسى عليه السلام بعصاه البحر فكان ما كان وروي ان مؤمنا من ال فرعون كان بين يدي موسى عليه السلام فقال اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك ال فرعون فقال امرت بالبحر ولعلي اومر بما اصنع فامر بما امر به وذلك قوله تعالى فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر القلزم او النيل فانفلق الفاء فصيحة اي فضرب فانفلق فصار اثني عشر فرقا بعدد الاسباط بينهن مسالك فكان كل فرق كالطود العظيم كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب منها

انتهى ابو السعود رحمه الله

وانهم لنا لغائظون اي غاضبون بشدة فيفعلون افعالا فاسدة تغيظنا ومن عادتنا الحذر والاسراع الى حسم فساد المفسدين والغيظ اشد الغضب وانا لجميع حاذرون بالالف وبغيرها اي المستعدون بالة الحرب اقوياء والحاذر الامل السمين القوي والحذر المستيقظ فاجتمع جمع كثير ليقاتلوا موسى عليه السلام وبني اسرائيل ويستاصلوهم فاخرجناهم اي فرعون وقومه من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم اي المنازل الحسنة والسرور في المجالس روي ان فرعون كان يجلس في سريره ويضع بين يديه ثلثمائة كرسي من ذهب يجلس عليها اشراف قومه كذلك اي مثل ذلك الاخراج اخرجناهم واورثناها اي الاموال والمنازل الحسنة بني اسرائيل لانهم ردوا بعد هلاك فرعون الى مصر فلما اسرى موسى عليه السلام ببني اسرائيل خرج فرعون وجنوده في طلبهم من مصر فاتبعوهم اي فلحقوا موسى واصحابه مشرقين اي داخلين في الشروق وهو وقت طلوع الشمس فلما تراءى الجمعان اي تقابل بنو اسرائيل والقبط قال اصحاب موسى انا لمدركون اي سيدرك كلنا بالهلاك في ايديهم قال موسى عليه السلام كلا اي ارتدعوا عن ظنكم فانهم لن يدركونا ان معي ربي بعلمه وحفظه اياي سيهدين الى طريق النجاة ولما وصل موسى عليه السلام الى البحر هاج بموج كالجبال فقال يوشع عليه السلام يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا قال ههنا فخاض يوشع عليه السلام الماء ولا يدري ما يصنع فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضرب بعصاه البحر فانفلق ماء البحر فرقا فكان كل فرق كالطود اي كالجبل العظيم المرتفع في السماء وهو بحر اساف وراء مصر وقيل بحر القلزم فدخلوا فقال موسى عليه السلام عند ذلك يا من قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء

انتهى العموكر

وازلفنا ثم حيث انفلق البحر الآخرين قوم فرعون اى قربناهم
من بني اسرائيل او من البحر وانجينا موسى ومن معه اجمعين
من الغرق ثم اغرقنا الآخرين فرعون وقومه وفيه ابطال
القول بتاثير الكواكب في الآجال وغيرها من الحوادث
فانهم اجتمعوا في الهلاك مع اختلاف طوالعهم وروي
ان جبرئيل عليه السلام كان بين بني اسرائيل وبين آل
فرعون فكان يقول لبني اسرائيل ليلحق آخركم
باولكم ويستقبل القبط فيقول رويدكم يلحق
آخركم فلما انتهى موسى الى البحر قال يوشع لموسى
عليهما السلام اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك
آل فرعون قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء وضرب
موسى بعصاه البحر فدخلوا وروي ان موسى عليه السلام
قال عند ذلك يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء
والكائن بعد كل شيء ان في ذلك اى فيما فعلنا بموسى وفرعون
لآية واي آية لعبرة عجيبة لا توصف وما كان اكثرهم اي
القبط مؤمنين فالعالم يؤمن منهم الا آسية وحزبيل
مؤمن آل فرعون ومريم التي دلت موسى على قبر
يوسف عليه السلام وان ربك لهو العزيز بالانتقام
من اعدائه الرحيم بالانعام من اوليائه واتل عليهم
اي على مشركي قريش نبا ابراهيم خبره اذ قال لابيه
وقومه قوم ابراهيم او قوم الاب ما تعبدون اي شيء
تعبدون وابراهيم عليه السلام يعلم انهم عبدة الاصنام
ولكنه سالهم ليريهم ان ما يعبدونه ليس بمستحق
العبادة قالوا نعبد اصناما وجواب ما تعبدون
اصناما كيسالونك ماذا ينفقون قل العفو ماذا
قال ربكم قالوا الحق لانه سوال عن المعبود لا عن
العبادة وانما زادوا نعبد في الجواب افتخارا ومباهاة
بعبادتها ولذا عطفوا على نعبد فنظل لها عاكفين
مقيمين على عبادتها طول النهار وانما قالوا فنظل لانهم
كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل او معناه الدوام
انتهى

وازلفنا وقربنا ثم حيث انفلق البحر الآخرين فرعون
وقومه حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم وانجينا موسى
ومن معه اجمعين بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان
عبروا وانما قال ومن معه ولم يقل قومه لينتظم
مؤمن آل فرعون فانه كان بين يدي موسى عليه السلام
ويدل على ان نجاتهم كانت ببركة مصاحبة موسى عليه
السلام ومتابعته ثم اغرقنا الآخرين باطباق البحر عليهم
وكلمة ثم دلالة على تاخر غرق الهالكين عن خروج الناجين
وذلك بحبس جبرئيل اولهم ليلحق به آخرهم حتى لا يشذ منهم
احد ان في ذلك اي فيما فعل بموسى عليه السلام وفرعون
لآية لعبرة عجيبة لا توصف وما كان اكثرهم مؤمنين
وما تنبيه على اكثرهم اذ لم يؤمن بها احد ممن بقي في مصر
من القبط وبنوا اسرائيل بعد ما نجوا سالوا بقرة
يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن حتى نرى الله جهرة
وان ربك لهو العزيز غير عاجز عن الانتقام من اعدائه
الرحيم بتأخير العذاب رحمة ليتوب منهم من تاب
واتل عليهم على مشركي العرب نبا ابراهيم خبره العجيب
الشان اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون اي شيء تعبدونه
سالهم ليريهم ان ما يعبدونه ليس بمستحق للعبادة
قالوا نعبد اصناما كان السوال عن المعبود لا عن العبادة
وانما زادوا نعبد في الجواب افتخارا او مباهاة
بعبادتها ولذا عطفوا على نعبد فنظل لها عاكفين فنقيم
على عبادتها طول النهار ويحتمل ان يكون نظل بمعنى ندوم
فلا يدل على اختصاص عبادتهم بالنهار انتهى

وازلفنا اي قربنا ثمة الآخرين اي فرعون وقومه حتى دخلوا
على اثرهم مداخلهم وانجينا موسى ومن معه اجمعين بحفظ
البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا الى البر ثم اغرقنا الآخرين
باطباقه عليهم ان في ذلك اي في جميع ما فصل مما صدر
عن موسى عليه السلام وظهر على يديه من المعجزات القاهرة
ومما فعل فرعون وقومه من الاقوال والافعال وما فعل بهم
من العذاب والنكال وما في اسم الاشارة من معنى البعد
لتهويل امر المشار اليه وتعظيمه كتنكير الآية في قوله تعالى
اي آية آية وآية عظيمة لا تكاد توصف موجبة لان يعتبر بها المعتبرون ويقيسوا شان النبي صلى الله عليه وسلم
بشان موسى عليه السلام وحال الفهم بحال اولئك المهلكين ويجتنبوا تعاطي ما كانوا يتعاطونه من الكفر والمعاصي
ومخالفة الرسول ويؤمنوا بالله تعالى ويطيعوا رسوله كيلا يحل بهم مثل ما حل باولئك او ان فيما فصل من القصة
من حيث حكايته عليه السلام اياها على ما هي عليه من غير ان يسمع من احد لآية عظيمة دالة على ان ذلك بطريق
الوحي الصادق موجبة للايمان بالله تعالى وحده وطاعة رسوله عليه السلام وما كان اكثرهم اي اكثر هؤلاء الذين
سمعوا قصتهم منه عليه السلام مؤمنين لا بان يقيسوا شان النبي بشان موسى عليهما الصلوة والسلام وحال الفهم

بحال اولئك المكذبين المهلكين ولا بان يتدبروا في حكايته عليه السلام لقصتهم من غير ان يسمع من احد من دون
كل من الطريقين مما يؤدي الى الايمان قطعا ومعنى ما كان اكثرهم مؤمنين وما اكثرهم مؤمنين على ان كان زائد
كما هو راي سيبويه فيكون كقوله تعالى وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وهو اخبار منه تعالى بما سيكون
من المشركين بعد ما سمعوا الآيات الناطقة بالقصة تقريرا لما مر من قوله تعالى ما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث
الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا الخ وايثار الجملة الاسمية للدلالة على استقرارهم على عدم الايمان واستمرارهم
عليه ويجوز ان يجعل كان بمعنى صار كما فعل ذلك في قوله تعالى وكان من الكافرين فالمعنى وما صار اكثرهم مؤمنين
مع ما سمعوا من الآية العظيمة الموجبة له بما ذكر من الطريقين فيكون الاخبار بعدم الصيرورة قبل الحدوث
للدلالة على كمال تحققه وتقرره كقوله تعالى اتى امر الله الآية وان ربك لهو العزيز الغالب على كل ما يريده من
الامور التي من جملتها الانتقام من المكذبين الرحيم البالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يعجل عقوبتهم بعدم ايمانهم بعد مشاهدة
هذه الآية العظيمة بطريق الوحي مع كمال استحقاقهم لذلك هذا هو الذي تقتضيه جزالة النظم الكريم من مطلع السورة الكريمة
الى آخر القصص السبع بل الى آخر السورة الكريمة اقتضاء بينا لا ريب فيه واما ما قيل من ان ضمير اكثرهم لاهل عصر فرعون
من القبط وغيرهم وان المعنى وما كان اكثر اهل مصر مؤمنين حيث لم يؤمن منهم الا آسية وحزقيل ومريم ابنة ياموشا التي
دلت على تابوت يوسف عليه السلام وبنوا اسرائيل بعد ما نجوا سالوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فبمعزل من التحقيق كيف لا ومساق كل قصة من القصص الواردة في
السورة الكريمة سوى قصة ابراهيم عليه السلام انما هو لبيان حال طائفة معينة قد عتوا عن امر ربهم وعصوا
رسله عليهم السلام كما يفصح عنه تصدير القصص بتكذيبهم المرسلين بعد ما شاهدوا بايديهم من الآيات
العظام ما يوجب عليهم الايمان ويزجرهم عن الكفر والعصيان واصروا على ما هم عليه من التكذيب فعاقبهم الله
تعالى لذلك بالعقوبة الدنيوية وقطع دابرهم بالكلية فكيف يمكن ان يخبر عنهم بعدم ايمان اكثرهم لا سيما بعد
الاخبار بهلاكهم وعد المؤمنين من جملتهم اولا واخراجهم منها آخرا مع عدم مشاركتهم لهم في شيء
مما حكي عنهم من الجنايات اصلا مما يجب تنزيه التنزيل عن امثاله فتدبر واتل عليهم عطف على المضمر العامل
عاملا في اذ نادى الخ اي اتل على المشركين نبا ابراهيم اي خبره العظيم الشان حسبما اوحي اليك لتقف على ما ذكر
من عدم ايمانهم بما ياتيهم من الآيات باحد الطريقين اذ قال منصوب اما على الظرفية للنبا اي نباه وقت
قوله لابيه وقومه او على المفعولية لاتل على انه بدل من نبا اي واتل عليهم وقت قوله لهم ما تعبدون على ان المسؤول عنه
ما قاله لهم في ذلك الوقت سالهم عليه السلام عن ذلك ليبني على جوابهم ان ما يعبدونه بمعزل من استحقاق
العبادة بالكلية قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين لم يقتصروا على الجواب الكافي بان يقولوا اصناما كما في
قوله تعالى ويسالونك ماذا ينفقون قل العفو وقوله تعالى ماذا انزل ربكم قالوا الحق ونظائرهما بل
اطنبوا فيه باظهار الفعل وعطف دوام عكوفهم على ابتهاجهم قصدا الى ابراز ما في نفوسهم من
الابتهاج والافتخار بذلك والمراد بالظلول الدوام وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل
وصلة العكوف كلمة على وايراد اللام لافادة معنى زائد كانهم قالوا فنظل لاجلها مقبلين على عبادتها
او مستديرين حولها وهذا ايضا من جملة اطنابهم انتهى ابو السعود

وازلفنا ثم اي قربنا الآخرين وهم القبط من بني اسرائيل او جمعناهم حيث انفلق البحر وادخلناهم فيه حتى لم ينج
منهم احد وانجينا موسى ومن معه من الغرق اجمعين ثم اغرقنا الآخرين اي القبط ان في ذلك اي في اهلاك
القبط وانجاء موسى عليه السلام ومن معه لآية اي لعبرة للمعتبرين فيما صنعنا وما كان اكثرهم مؤمنين قيل
لم يكن فيهم مؤمن الا ثلث انفس حزبيل آسية امراة فرعون ومريم بنت ناموسا وهي دلت موسى
على عظام يوسف عليه السلام في البحر وان ربك لهو العزيز اي المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه واتل عليهم
اي كفار مكة نبا اي خبر ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون سوال عن المعبود قالوا نعبد اصناما فنظل
ولم يكتفوا بذكرها بل زادوا في الجواب نعبد افتخارا بعبادتها ولذلك عطفوا على قولهم نعبد فنظل
عاكفين اي مقيمين وانما قالوا فنظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل انتهى

قال ابراهيم عليه السلام هل يسمعونكم هل يجيبونكم اذ تدعون
فان سمع بمعنى اجاب شايع ومنه سمع الله لمن دعى
ولو كانوا يسمعون على معناه الحقيقي لقيل يسمعونكم
تدعون او ينفعونكم ان عبدتموها او يضرون
ان تركتم عبادتها قالوا بل اضراب اى لا تسمع ولا تنفع
ولا تضر ولا نعبد لشئ من ذلك ولكن وجدنا اباءنا
كذلك يفعلون فقلدناهم قال افرايتم ما كنتم تعبدون
انتم واباؤكم الاقدمون فان التقدم لا يدل على الصحة
ولا ينقلب الحق باطلا والباطل حقا فانهم عدو لى
العدو والصديق يجيئان على معنى الوحدة والجماعة
يعني لو عبدتهم لكانوا اعداء لى يوم القيمة لقوله تعالى
سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقال الفراء
هو من المقلوب اى فانى عدو لهم وفي قوله لى
دون لكم زيادة نصح ليكون ادعى لهم الى القبول
الا رب العالمين استثناء منقطع او متصل على
الضمير لكل معبود عبدوه فيدخل فيه المعبود بحق
ولا حاجة الى ان يقال وكان من ابائهم من عبد الله
تعالى لانهم ايضا يعبدون الله تعالى الا انهم يشركون
الاصنام في العبادة دل على ذلك قوله تعالى
اذ نسويكم برب العالمين الذى خلقنى بالتكوين
في القران الكريم فهو يهدين الى اداب خلقه والفاء
للتسببية ان جعل الموصول مبتدا وللعطف
ان جعل صفة رب العالمين فيكون اختلاف النظم
لتقدم الخلق واستمرار الهداية والذى هو يطعمنى
ويسقين على الاول مبتدا محذوف الخبر لدلالة ما
قبله عليه وكذا اللذان بعده وتكرير الموصول على
الوجهين للدلالة على ان كل واحدة من الصلات
مستقلة باقتضاء الحكم اضاف الاطعام الى ولى
الانعام لان الركون على الاسباب عادة الانعام
واذا مرضت ولم يقل امرضنى لانه قصد الذكر بل ان
الشكر فلم يضف اليه ما يقتضى القهر فهو يشفين
ان شفيت لا غيره لانه يشفين لا محالة والذى
يميتني لم يقل اذا امت لانه الخروج من حبس البلاء ودار الفناء الى روض البقاء لوعد اللقاء فليس
ولما كانت الاماتة والبعث مما لا يمكن اسنادهما الى الله تعالى كالخلق لم يحتج الى توكيد بخلاف الاطعام والسقى
فانه مما يمكن اسنادهما الى غيره تعالى وانما اتى باداة التراخى في قوله ثم يحيين لانه اراد الاحياء
دون القبر وباداة النفى التعقيب في الهداية والشفاء لانهما يعقبان الخلق والمرض وباداة الجمع المطلق في
السقى وقد يتاخر عنه وقد يتقدم عليه انتهى ابو كمال
والذى يطعمنى ويسقين اى هو الذى يحيينى بطعامه
بشرابه واذا مرضت فهو يشفين من المرض وانما اضاف المرض اليه ولم يقل امرضنى تادبا مع ربه او لان كثيرا
من اسباب المرض يحدث بتفريط من الانسان في الطعام والشراب وغيرهما والذى يميتنى في الدنيا ثم يحيين في الاخرة

قال ابراهيم عليه السلام هل يسمعونكم هل يسمعون دعاءكم
على حذف المضاف لدلالة اذ تدعون عليه او ينفعونكم
ان عبدتموها او يضرون ان تركتم عبادتها قالوا بل اضراب
اى لا تسمع ولا تنفع ولا تضر ولا نعبدها لشئ من ذلك
ولكن وجدنا اباءنا كذلك يفعلون فقلدناهم قال
افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فانهم
اى الاصنام عدو لى العدو والصديق يجيئان على
معنى الوحدة والجماعة يعني لو عبدتهم لكانوا اعداء لى
يوم القيمة كقوله تعالى سيكفرون بعبادتهم ويكذبون
عليهم ضدا وقال الفراء هو من المقلوب اى فانى عدو
لهم وفي قوله عدو لى دون لكم زيادة نصح ليكون
ادعى لهم الى القبول ولو قال فانهم عدو لكم لم يكن
بتلك المثابة الا رب العالمين استثناء منقطع لانه
لم يدخل تحت الاعداء كانه قال لكن رب العالمين
الذى خلقنى بالتكوين في القران الكريم فهو يهدين
لمناهج الدنيا ومصالح الدين والاستقبال في يهدين
مع سبق العناية بالهداية لانه يحمل يهدينى للاكثر
الافضل والاتم الاكمل او والذى خلقنى لاسباب خلقه
فهو يهدينى الى اداب خلقه والذى هو يطعمنى اضاف
الاطعام الى ولى الانعام لان الركون الى الاسباب عادة
الانعام ويسقين قال ابن عطا هو الذى يحيينى بطعامه
ويروينى بشرابه واذا مرضت وانما لم يقل امرضنى لانه
قصد الذكر بل ان الشكر فلم يضف اليه ما يقتضى
ابن عطا اذا مرضت برؤية الخلق فهو يشفين بمشاهدة
الحق قال الصادق اذا مرضت برؤية الافعال فهو
يشفين بكشف منه الافضال والذى يميتنى ثم يحيين
ولم يقل اذا امت لان الخروج من حبس البلاء ودار الفناء
الى روض البقاء بوعد اللقاء وادخل ثم في الاحياء
لتراخيه عن الافناء وادخل الفاء في الهداية والشفاء
لانهما يعقبان الخلق والمرض لا معا انتهى

٤٠

قال استيناف مبنى على سؤال نشأ من تفصيل جوابهم هل يسمعونكم اي هل يسمعون دعاءكم على حذف المضاف او يسمعونكم
تدعون كقولك سمعت زيدا يقول كيت وكيت فحذف لدلالة قوله اذ تدعون عليه وقرئ هل يسمعونكم من الاسماع اى يسمعونكم شيئا
من الاشياء او الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك وصيغة المضارع مع اذ على حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها
كانه قيل لهم استحضروا الاحوال الماضية التى كنتم تدعونها فيها وا جيبوا هل سمعوا او اسمعوا قط او ينفعونكم بسبب عبادتكم لها
او يضرون اى يضرونكم بترككم لعبادتها اذ لا بد للعبادة لا سيما عند كونها على ما وصفتم من المبالغة فيها من جلب نفع
او دفع ضر قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون اعترفوا بانها بمعزل مما ذكر من السمع والمنفعة والمضرة بالمرة واضطروا
الى اظهار ان لا سند لهم سوى التقليد اى ما علمنا او ما راينا منهم ما ذكر من الامور بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون
اى مثل عبادتنا يعبدون فاقتدينا بهم قال افرايتم ما كنتم تعبدون اى انظرتم فابصرتم او تاملتم فعلمتم ما كنتم
تعبدونه انتم واباؤكم الاقدمون حق الابصار او حق العلم وقوله تعالى فانهم عدو لى بيان لحال ما يعبدونه بعد التنبيه
على عدم علمهم بذلك اى فاعلموا انهم اعداء لعابديهم الذين يحبونهم كحب الله تعالى لما انهم يتضررون من جهتهم فوق
ما يتضرر الرجل من جهة عدوه او لان من يغريهم على عبادتهم ويحملهم عليها الشيطان الذى هو اعدى عدو للانسان
لكنه عليه السلام صور الامر في نفسه تعريضا بهم فانه انفع في النصيحة من التصريح واشعارا بانها نصيحة بدأ بها نفسه
ليكون ادعى الى القبول والعدو والصديق يجيئان في معنى الواحد والجمع ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو شبها بالمصادر
للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل الا رب العالمين استثناء منقطع اى لكن رب العالمين ليس كذلك
بل هو وليى في الدنيا والاخرة لا يزال يتفضل علىّ بمنافعهما حسبما يعرب عنه ما وصفه تعالى به من احكام الولاية وقيل متصل
وهو قول الزجاج على ان الضمير لكل معبود وكان من ابائهم من عبد الله تعالى وقوله تعالى الذى خلقنى صفة لرب العالمين وجعله
مبتدا وما بعده خبرا غير حقيق بجزالة التنزيل وانما وصفه تعالى بذلك وبما عطف عليه مع اندراج الكل تحت ربوبيته تعالى
للعالمين تصريحا بالنعم الخاصة به عليه السلام وتفصيلا لها لكونها ادخل في اقتضاء تخصيص العبادة به تعالى وقصر الالتجاء في
جلب المنافع الدينية والدنيوية ودفع المضار العاجلة والاجلة عليه تعالى فهو يهدين اى هو يهدينى وحده الى كل ما يهمنى
ويصلحنى من امور الدين والدنيا هداية متصلة بحين الخلق ونفخ الروح متجددة على الاستمرار كما ينبئ عنه الفاء
وصيغة المضارع فانه تعالى يهدى كل ما خلقه لما خلق له من امور المعاش والمعاد هداية متدرجة من مبدا ايجاده
الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب منافعه ودفع مضاره اما طبعا واما اختيارا مبدؤها بالنسبة الى الانسان هداية
الجنين لامتصاص دم الطمث ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بنعيمها المقيم والذى هو يطعمنى ويسقين
عطف على الصفة الاولى وتكرير الموصول في المواقع الثلاثة مع كفاية عطف ما وقع في حيز الصلة من الجمل الست
على صلة الموصول للايذان بان كل واحدة من تلك الصفات نعت جليل له تعالى مستقل في استيجاب الحكم حقيق
بان تجرى عليه تعالى بحيالها ولا تجعل من روادف غيرها واذا مرضت فهو يشفين عطف على يطعمنى ويسقين
نظمهما في سلك الصلة لموصول واحد لما ان الصحة والمرض من متفرعات الاكل والشرب غالبا ونسبة المرض الى نفسه
والشفاء اليه تعالى مع انهما منه تعالى لمراعاة حسن الادب كما قال الخضر عليه السلام فاردت ان اعيبها وقال فاراد ربك
ان يبلغا اشدهما واما الاماتة فحيث كانت من معظم خصائصه تعالى كالاحياء بدأ واعادة وقد نيطت امور الاخرة
جميعا بها وبما بعدها من البعث نظمهما في سمط واحد في قوله تعالى والذى يميتنى ثم يحيين على ان الموت لكونه ذريعة الى نيله
عليه السلام للحيوة الابدية بمعزل من ان يكون غير مطبوع عنده عليه السلام انتهى ابو السعود
[ابراهيم] عليه السلام هل يسمعونكم اى يسمعون دعاءكم اذ تدعون او ينفعونكم ان عبدتموهم او يضرون ان تركتم عبادتهم
[...] جابوه بجواب المقلدين لعجزهم عن البرهان الصحيح قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون فقلدناهم قال
افرايتم اى اعلمتم بالاستفهام للتقرير ما كنتم تعبدون اى تعبدونهم من دون الله تعالى انتم واباؤكم الاقدمون
[فانهم] اى الاصنام التى تعبدونها انتم واباؤكم عدو لى على معنى فكرت في امرى فعلمت ان عبادتها عبادة للعدو
[فاجتنبتها] وقال عدو لى دون لكم لزيادة نصح لهم وتادب لانه نصحه به اولا نفسه وبنى عليه تدبير امره لينظروا
[و]يقولوا ما اراد لنا الا ما اراد لنفسه ليكون ادعى لهم الى القبول وابعث على الاستماع منه ليذعنوا اى هم اعداء لى
الا رب العالمين استثناء منقطع اى لكن رب العالمين هو الذى خلقنى فهو يهدين الى صلاح الدارين وجاء بالفاء
[لانه] كن... اى هو بعد خلقى للايذان بان هدايته تعالى وجدت عقيب خلقه ونفخ الروح فيه فهدى الى الاغتذاء اى الغذاء بدم الحيض في البطن
[و]امتصاصا ثم هداه الى معرفة الثدى عند الولادة وهداه لكيفية الارتضاع الى غير ذلك من المصالح الدينية والدنيوية حملا

والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ذكره عليه السلام هضما لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر
وطلب مغفرة لما يفرط منهم وتلافيا لما عسى يندر منه عليه السلام من الصغائر وتنبيها لابيه وقومه على ان يتأملوا
في امرهم فيقفوا على انهم من سوء الحال في درجة لا يقادر قدرها فان حاله عليه السلام مع كونه في طاعة الله تعالى وعبادته
في الغاية القاصية حيث كانت بتلك المثابة فما ظنك بحال اولئك المغمورين في الكفر وفنون المعاصي والخطايا وحمل الخطيئة
على كلماته الثلاث اني سقيم • بل فعله كبيرهم • وقوله لسارة هي اختي • مما لا سبيل اليه لانها مع كونها معاريض لا من
قبيل الخطايا المفتقرة الى الاستغفار انما صدرت عنه عليه السلام بعد هذه المقاولة الجارية بينه وبين قومه اما الثالثة
فظاهرة لوقوعها بعد مهاجرته عليه السلام الى الشام واما الاوليان فلانهما وقعتا مكتنفتين بكسر الاصنام ومن
البين ان جريان هذه المقالات فيما بينهم كان في مبادي الامر وتعليق مغفرة الخطيئة بيوم الدين مع انها انما تغفر
في الدنيا لان اثرها يومئذ يتبين ولان في ذلك تهويلا له واشارة الى وقوع الجزاء فيه ان لم تغفر رب هب لي حكما
بعد ما ذكر عليه السلام لهم فنون الالطاف الفائضة عليه من الله تعالى من مبدأ خلقه الى يوم بعثه حمله ذلك على مناجاته
تعالى ودعائه لربط العتيد وجلب المزيد • والحكم الحكمة التي هي الكمال في العلم والعمل بحيث يتمكن به من خلافة الحق
ورياسة الخلق والحقني بالصالحين ووفقني من العلوم والاعمال والملكات لما يرشحني للانتظام في زمرة
الكاملين الراسخين في الصلاح المنزهين عن كبائر الذنوب وصغائرها او اجمع بيني وبينهم في الجنة
ولقد اجابه تعالى حيث قال وانه في الآخرة لمن الصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين اي جاها وحسن صيت
في الدنيا بحيث يبقى اثره الى يوم الدين ولذلك لا ترى امة من الامم الا وهي محبة له ومثنية عليه او صادقا
من ذريتي يجدد اصل ديني ويدعو الناس الى ما كنت ادعوهم اليه من التوحيد وهو النبي صلى الله عليه وسلم
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انا دعوة ابي ابراهيم عليه السلام واجعلني في الآخرة من ورثة جنة النعيم وقد مر معنى الوراثة
في سورة مريم واغفر لابي بالهداية والتوفيق للايمان كما يلوح به تعليله بقوله انه كان من الضالين اي طريق الحق وقد مر
تحقيق المقام في تفسير سورة التوبة وسورة مريم بما لا مزيد عليه ولا تخزني بمعاتبتي على ما فرطت او بنقص رتبتي عن
بعض الوراث او بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا كل ذلك مبني على هضم النفس منه عليه السلام
او بتعذيب والدي او ببعثه في عداد الضالين بعدم توفيقه للايمان وهو من الخزي بمعنى الهوان او من الخزاية
بمعنى الحياء يوم يبعثون اي الناس كافة والاضمار قبل الذكر لما في عموم البعث من الشهرة الفاشية المغنية عنه
وتخصيصه بالضالين مما يخل بتهويل اليوم يوم لا ينفع مال ولا بنون بدل من يوم يبعثون جيء به تأكيدا للتهويل
وتمهيدا لما يعقبه من الاستثناء وهو من اعم المفاعيل اي لا ينفع مال وان كان مصروفا في الدنيا الى وجوه البر والخيرات
ولا بنون وان كانوا صلحاء مستأهلين للشفاعة احدا الا من اتى الله بقلب سليم اي عن مرض الكفر والنفاق ضرورة
اشتراط نفع كل منهما بالايمان وفيه تأكيد لكون استغفاره عليه السلام لابيه طلبا لهدايته الى الايمان لاستحالة طلب
مغفرته بعد موته كافرا مع علمه عليه السلام بعدم نفعه لانه من باب الشفاعة وقيل هو استثناء من فاعل ينفع
بتقدير المضاف اي الا مال من او بنو من اتى الله بقلب سليم • وقيل المضاف المحذوف ليس من جنس المستثنى منه
حقيقة بل بضرب من الاعتبار كما في قوله تحية بينهم ضرب وجيع اي الا حال من اتى الله بقلب سليم على انها
عبارة عن سلامة القلب كأنه قيل الا سلامة قلب من اتى الله تعالى بقلب سليم وقيل المضاف المحذوف ما دل عليه المال
والبنون من الغنى وهو المستثنى منه كأنه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله بقلب سليم في دينه لسلامته
وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لكن سلامة قلبه تنفعه انتهى ابو السعود رحمه الله
والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي وهي ما يندر منه من الصغائر يوم الدين اي يوم الجزاء وهي مكفرة له لكنه قال ذلك تواضعا
لله تعالى لان استغفار الانبياء تواضع لربهم وهضم لانفسهم وعلق المغفرة بيوم الدين وان وجدت هنا [?]
لان فائدتها تظهر ثم • وقيل المراد بالخطيئة قوله اني سقيم • وبل فعله كبيرهم للتعظيم • وهي اختي لسارة • وهذا [?]
وقيل هي الكلمات المذكورة من التعريض بهم وبآلهتهم لان الانبياء عليهم السلام معصومون من الخطايا رب هب لي حكما
اي الحكم بالحق بين الناس • وقيل نبوة لان النبي عليه السلام ذو حكم بين عباد الله تعالى والحقني بالصالحين ووفقني
الصالحين انتظم به في جملتهم او الحقني بآباء المرسلين واجعل لي لسان صدق اي ذكرا جميلا وثناء حسنا في الآخرين اي
بعده فكل الامم يتولاه ويحبه واجعلني وارثا من ورثة جنة النعيم واغفر لابي اي وفقه انه كان من الضالين عن طريق الهدى ولا تخزني
اي لا تفضحني يوم يبعثون اي يوم يبعث العباد من قبورهم لما علم انه مغفور صح

ويجوز ان يكون الضمير للضالين اي لا تخزني يوم يبعث الضالون وابي فيهم وقد استغفرت له
يوم لا ينفع مال بدل من يوم يبعثون ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم استثناء منقطع تقديره
لكن حال من اتى الله بقلب سليم تنفعه وهي سلامة القلب وليست من جنس الاول وانما وجب تقدير
المضاف ليتحصل به معنى الاستثناء وهو الحال او متصل فيحمل الكلام على المعنى بان يجعل المال و
البنون في معنى الغنى كأنه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل
في دينه بسلامة قلبه كما ان غناه في دنياه بماله وبنيه ويجوز ان يكون من مفعولا لينفع
اي لا ينفع مال ولا بنون الا رجلا اتى الله بقلب سليم بان يصرف المال في الطاعة وبان
يرشد البنين الى الصلاح فانه ينفع بهما سليم القلب والقلب السليم هو الفارغ عن آفات
المعاصي والكفر وفتنة المال والبنين
انتهى [?]

والذي أطمع طمع العبيد في الموالي بالافضال لا على سبيل الاستحقاق بالسؤال أن يغفر لي خطيئتي قيل هي قوله اني سقيم بل فعله كبيرهم هذا ربي للبازغ هي اختي لسارة وما هي الا معاريض جائزة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار واستغفار الانبياء تواضع منهم لربهم وهضم لأنفسهم وتعليم للامم في طلب المغفرة يوم الدين يوم الجزاء رب هب لي حكما حكمة او حكما بين الناس بالحق او نبوة لان النبي ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله تعالى والحقني بالصالحين اي الانبياء ولقد اجابه حيث قال وانه في الاخرة لمن الصالحين واجعلني لسان صدق في الآخرين اي ثناء حسنا وذكرا جميلا في الامم التي تجيء بعدي فاعطي ذلك فكل اهل دين يتولونه ويثنون عليه ووضع اللسان موضع القول لان القول يكون به واجعلني من يتعلق بمحذوف اي وارثا من ورثة جنة النعيم اي من الباقين فيها واغفر لابي اي اجعله اهلا للمغفرة باعطاء الاسلام وكان وعده بالاسلام يوم فارقه انه كان من الضالين الكافرين ولا تخزني الاخزاء من الخزي وهو الهوان او من الخزاية وهي الحياء وهذا نحو الاستغفار كما بينا يوم يبعثون الضمير فيه للعباد لانه معلوم او للضالين وان يجعل من جملة الاستغفار لابيه اي لا تخزني في يوم يبعث الضالون وابي فيهم يوم لا ينفع مال هو بدل من يوم الاول ولا بنون احد الا من اتى الله بقلب سليم عن الكفر والنفاق فقلب الكافر والمنافق مريض لقوله تعالى في قلوبهم مرض اي ان المال اذا صرف في وجوه البر وبنون صالحون فانه ينتفع به وبهم سليم القلب او جعل المال والبنون في معنى الغنى كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما ان غناه في دنياه بماله وبنيه وقد جعل من مفعولا لينفع اي لا ينفع مال ولا بنون الا رجلا سليما قلبه مع ماله حيث انفقه في طاعة الله تعالى ومع بنيه حيث ارشدهم الى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز على هذا الا من اتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين وقد صوب الخليل اكراما له ثم جعله صفة له في قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم وما احسن ما رتب عليه السلام كلامه مع المشركين حيث سألهم اولا عما يعبدونه سؤال مقرر لا مستفهم ثم اقبل على الهتهم فابطل امرها بانها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع وعلى تقليدهم اباءهم الاقدمين فاخرجه من ان يكون شبهة فضلا عن ان يكون حجة ثم صور المسألة في نفسه دونهم حتى تخلص منها الى ذكر الله تعالى فعظم شأنه وعدد نعمته من حين انشائه الى وقت وفاته مع ما يرجى في الاخرة من رحمته ثم اتبع ذلك ان دعاه بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال الاوابين ثم وصله بذكر يوم القيمة وثواب الله تعالى وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمني الكرة الى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا انتهى المدارك

والذي أطمع طمع العبيد في الموالي بالافضال لا على الاستحقاق بالسؤال أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين استغفار الانبياء عليهم السلام تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم وتعليم للامم في طلب المغفرة قدم الثناء على الله تعالى وذكره بالاوصاف الحسنة بين يدي طلبته ومسألته ثم سأله فقال رب هب لي حكما كمالا في العلم والعمل لانتظم في عداد الكاملين في صلاح الدين الذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيرة والحقني بالصالحين اي الانبياء عليهم السلام ولقد اجابه حيث قال وانه في الاخرة لمن الصالحين واجعل لي لسان صدق اي ثناء حسنا وذكرا جميلا وفي التعبير باللسان عن القول ما لا يخفى من البلاغة وانما اضافه الى الصدق اضافة الموصوف الى الصفة الدائمة للاختصاص به والعراقة فيه احترازا عن الاطراء في شأنه في الآخرين في الامم التي تجيء بعدي فاعطي ذلك فكل اهل دين يتولونه ويثنون عليه بلا اطراء واجعلني من يتعلق بمحذوف اي وارثا من ورثة جنة النعيم سأله ان يفعله من الالطاف ما يختار عنده الطاعات لان الجنة لا ينعم فيها الا بالاستحقاق وان كان الدخول فيها بمحض لطف الله تعالى فلذلك قال من ورثة فان الوارث يأخذ الميراث بلا كسب واغفر لابي طلب هدايته الى الايمان اقتضاء قضاء الحق الابوة ولهذا قال انه كان من الضالين اي استمر على الضلال في الازمنة الماضية قاله شفقا وتلهفا لا اخبارا واظهارا وكان ذلك الطلب منه عليه السلام قبل ان مات ابوه ولما مات على الكفر فتبين انه عدو لله تبرأ منه ولا تخزني الاخزاء من الخزي وهو الهوان او من الخزاية وهي الحياء يوم يبعثون الضمير للناس لانه معلوم اي لا تخزني على رؤوس الاشهاد بتعذيب الى يوم الحشر فهو من تتمة الاستغفار لابيه يوم لا ينفع مال بدل من اليوم الاول ولا بنون احدا كما ينفع في الدنيا يفديه عنه ماله ويذب عنه بنوه الا من مفعول لينفع اتى الله بقلب سليم من الكفر والنفاق فقلب الكافر والمنافق مريض لقوله تعالى في قلوبهم مرض اي ان المال اذا صرف في وجوه البر وبنوه صالحون فانه ينتفع به وبهم سليم القلب قد صوب الجليل استثناء الخليل اكراما له ثم جعله صفة له في قوله وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم

انتهى ابن كمال

وازلفت الجنة للمتقين اي قربت عطف جملة على جملة اي
تزلف من موقف السعداء فينظرون اليها ويتبجحون بحشرهم
اليها وبرزت الجحيم اي اظهرت فيرونها مكشوفة ويتحسرون
على انهم مسوقون اليها ● في اختلاف الفعلين دلالة على
ان الحشر قريبة من الجحيم للغاوين الغاوي العامل بما
يوجب الخيبة من الثواب واصل الغواية الخيبة
فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم
على الغي لائما وقيل لهم على وجه التوبيخ والتقريع
اينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم هل ينفعونكم
بنصرهم لكم او ينتصرون او هل ينفعون انفسهم بانتصارهم
وهذا لانهم والهتهم وقود النار كما قال فكبكبوا نكسوا
او طرح بعضهم على بعض فيها في جهنم هم اي الالهة والغاوون
وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم ● والكبكبة تكرير الكب في المعنى كأنه اذا
القي في جهنم ينكب مرة بعد اخرى حتى يستقر في قعرها وجنود
ابليس شياطينه او متبعوه من عصاة الانس والجن اجمعون
تاكيد للجنود ان جعل مبتدأ خبره ما بعده وان لم يجعل مبتدأ بل عطوف
عليهم يكون اجمعون تاكيدا للضمير الذي هو هم ولما عطف عليه
وهو الغاوون وجنود ابليس وهذان الاحتمالان قائمان
في الضمير المنفصل وما يعود عليه في قوله قالوا وهم فيها يختصمون
يجوز ان ينطق الله الاصنام حتى يصح التقاول والتخاصم
ويؤيده الخطاب في نسويكم تالله ان كنا لفي ضلال مبين
اذ نسويكم نعدلكم ايها الاصنام برب العالمين في استحقاق العبادة
وما اضلنا الا المجرمون اي رؤساؤهم الذين اضلوهم او ابليس
وجنوده ومن سن الشرك فما لنا من شافعين من
الالهة كما للمؤمنين من الانبياء والاولياء والملائكة
ولما اتى بصيغة الجمع لمصلحة الفاصلة تدورك حق المقام
بزيادة من التبعيضية ولا صديق حميم من الاقارب
كما نرى للمؤمنين اصدقاء قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدو الا المتقين والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام
وهو الذي يهمه ما يهمك او من الحامة بمعنى الخاصة وهو
الصديق الخالص

انتهى ابن كمال

وازلفت الجنة للمتقين اي قربت عطف جملة على جملة
اي تزلف من موقف السعداء فينظرون اليها وبرزت الجحيم
اي اظهرت حتى يكاد يأخذهم لهبها للغاوين للكافرين
وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم
او ينتصرون يوبخون على اشراكهم فيقال لهم اين الهتكم
هل ينفعونكم بنصرتهم لكم او هل ينفعون انفسهم بانتصارهم
لانهم والهتهم وقود النار فكبكبوا نكسوا او طرح بعضهم
على بعض فيها في الجحيم هم اي الالهة والغاوون وعبدتهم
الذين برزت لهم الجحيم ● والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير
في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى كأنه اذا القي في جهنم
ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها نعوذ بالله منها
وجنود ابليس اجمعون شياطينه او متبعوه من عصاة الجن
والانس قالوا وهم فيها يختصمون يجوز ان ينطق الله الاصنام
حتى يصح التقاول والتخاصم ويجوز ان يجري ذلك بين
العصاة والشياطين تالله ان كنا لفي ضلال مبين
اذ نسويكم نعدلكم ايها الاصنام برب العالمين في العبادة
وما اضلنا الا المجرمون اي رؤساؤهم الذين اضلوهم
او ابليس وجنوده ومن سن الشرك فما لنا من شافعين
كما للمؤمنين من الانبياء والاولياء والملائكة ولا صديق حميم
كما نرى لهم اصدقاء اذ لا يتصادق في الاخرة الا المؤمنون
واما اهل النار فبينهم التعادي الاخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا صديق
حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء واصدقاء لانهم كانوا
يعتقدون في اصنامهم انهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم
الاصدقاء من شياطين الانس ● والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام
وهو الذي يهمه ما يهمك او من الحامة بمعنى الخاصة وهو
الصديق الخاص ● وجمع الشافع ووحد الصديق لكثرة
الشفعاء في العادة ● واما الصديق وهو الصادق
في وداده الذي يهمه ما اهمك فقليل وسئل حكيم
عن الصديق فقال اسم لا معنى له وجاز ان يراد بالصديق الجمع

وازلفت الجنة للمتقين عطف على لا ينفع وصيغة الماضي فيه وفيما بعده من الجمل المنتظمة معه في سلك العطف للدلالة على تحقق الوقوع وتقرره كما ان صيغة المضارع في المعطوف عليه للدلالة على استمرار انتفاء النفع ودوامه حسبما يقتضيه مقام التهويل والتفظيع اي قربت الجنة للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بانهم المحشورون اليها وبرزت الجحيم للغاوين الضالين عن طريق الحق الذي هو التقوى اي جعلت بارزة لهم بحيث يرونها مع ما فيها من انواع الاحوال الهائلة ويوقنون بانهم مواقعوها ولا يجدون عنها مصرفا وقيل لهم اينما كنتم في الدنيا تعبدون من دون الله اي اين الهتكم الذين كنتم تزعمون في الدنيا انهم شفعاؤكم في هذا الموقف هل ينصرونكم برفع العذاب عنكم او ينتصرون برفعه عن انفسهم وهذا سؤال تقريع وتبكيت لا يتوقع له جواب ولذلك قيل فكبكبوا فيها اي القوا في الجحيم على وجوههم مرة بعد اخرى الى ان يستقروا في قعرها هم اي الهتهم والغاوون

الذين كانوا يعبدونهم وفي تأخير ذكرهم عن ذكر الهتهم رمز الى انهم يؤخرون عنها في الكبكبة ليشاهدوا سوء حالها فيزدادوا غما الى غمهم وجنود ابليس اي شياطينه الذين كانوا يغوونهم ويوسوسون اليهم ويسولون لهم ما هم عليه من عبادة الاصنام وسائر فنون الكفر والمعاصي ليجتمعوا في العذاب حسبما كانوا مجتمعين فيما يوجبه ● وقيل متبعوه من عصاة الثقلين والاول هو الوجه اجمعون تاكيد للضمير وما عطف عليه وقوله تعالى قالوا الخ استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حالهم كأنه قيل ماذا قالوا حين فعل بهم ما فعل فقيل قال العبدة وهم فيها يختصمون اي قالوا معترفين بخطائهم في انهماكهم في الضلالة متحسرين معيرين لانفسهم والحال انهم في الجحيم بصدد الاختصام مع من معهم من المذكورين مخاطبين لمعبوديهم على ان الله تعالى يجعل الاصنام صالحة للاختصام بان يعطيها القدرة على الفهم والنطق تالله ان كنا لفي ضلال مبين ان مخففة من الثقيلة قد حذف اسمها الذي هو ضمير الشأن واللام فارقة بينها وبين النافية اي ان الشأن كنا في ضلال واضح لا خفاء فيه ● ووصفهم له بالوضوح للاشباع في اظهار ندمهم وتحسرهم وبيان عظم خطائهم في رأيهم مع وضوح الحق كما ينبئ عنه تصدير قسمهم بحرف التاء المشعرة بالتعجب وقوله تعالى اذ نسويكم برب العالمين ظرف لكونهم في ضلال مبين وقيل لما دل عليه الكلام اي ضللنا وقيل للضلال المذكور وان كان فيه ضعف صناعي من حيث ان المصدر الموصوف لا يعمل بعد الوصف وقيل ظرف لمبين وصيغة المضارع لاستحضار الصورة الماضية اي تالله لقد كنا في غاية الضلال الفاحش وقت تسويتنا اياكم ايها الاصنام في استحقاق العبادة برب العالمين الذي انتم ادنى مخلوقاته واذلهم واعجزهم وقولهم وما اضلنا الا المجرمون بيان لسبب ضلالهم بعد اعترافهم بصدوره عنهم لكن لا على معنى قصر الاضلال على المجرمين دون من عداهم بل على معنى قصر ضلالهم على كونه بسبب اضلالهم من غير ان يستقلوا في تحققه او يكون بسبب اضلال الغير كأنه قيل وما صدر عنا ذلك الضلال الفاحش الا بسبب اضلالهم والمراد بالمجرمين الذين اضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كما في قوله تعالى ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا ● وعن السدي رحمه الله الاولون الذين اقتدوا بهم واياما كان ففيه اوفر نصيب من التعريض للذين قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون ● وعن ابن جريج ابليس وابن ادم القاتل لانه اول من سن القتل وانواع المعاصي فما لنا من شافعين كما للمؤمنين من الملائكة والانبياء عليهم الصلوة والسلام ولا صديق حميم كما نرى لهم اصدقاء او فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء واصدقاء على ان عدمهما كناية عن عدم نفعهما كما ان عدم المحبة في مثل قوله تعالى والله لا يحب الظالمين كناية عن البغض حسبما ينبئ عنه قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق على ان المراد بعدمهما عدم اثرهما ● وجمع الشافع لكثرة الشفعاء عادة كما ان افراد الصديق لقلته او لصحة اطلاقه على الجمع كالعدو تشبيها لهما بالمصادر كالحنين والقبول

انتهى ابو السعود

وازلفت الجنة اي قربت للمتقين لان الجنة تكون قريبة من موقف السعداء ينظرون اليها وبرزت الجحيم اي كشفت للغاوين اي للضالين عن السلام لان النار تكون بارزة للاشقياء بمرأى منهم يتحسرون على انهم يساقون اليها وقيل لهم اينما اي اين الذين كنتم تعبدون في الدنيا من دون الله هل ينصرونكم اي ينفعونكم بنصرهم لكم او ينتصرون اي هل ينفعون انفسهم بانتصارهم لان العابد والمعبود كلهم وقود النار فكبكبوا اي جمعوا فيها هم اي الالهة والغاوون اي العبدة يعني يلقون فيها منكبين على رؤسهم مرة بعد مرة حتى يستقروا في قعرها ويدل عليه تكرار الكب وهي الكبكبة وجنود ابليس اجمعون اي اتباعه العاصون من الناس او شياطينه من جنسه قالوا اي الداخلون فيها وهم فيها يختصمون اي يخاصم بعضهم بعضا ويقول العابدون للمعبودين تالله ان كنا لفي ضلال مبين اي بين قيل ان مخففة اي انا كنا في ضلالة بينة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا قوله اذ نسويكم برب العالمين ظرف لمبين اي اذ نجعلكم مثله في العبادة وما اضلنا الا المجرمون الذين اقتدينا بهم كابليس وقابيل القاتل لاخيه لانه اول من سن القتل وعمل بالمعاصي وسائر الشياطين فيومئذ يشفع الانبياء والملائكة عليهم السلام والمؤمنون في اصدقائهم فيقول المشركون تأسفا فما لنا من شافعين كما نرى للمؤمنين شفعاء من النبيين والملائكة ولا صديق حميم كما نرى لهم اصدقاء والصديق من يهمه ما اهمك بشرط الدين والحميم هو القريب الخاص وانما جمع الشافعين ووحد الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق ويجوز ان يراد بالصديق الجمع

انتهى العيون

إنّ في ذلك أي فيما ذكر من نبأ إبراهيم عليه السلام المشتمل على بيان بطلان ما كان عليه أهل مكة من عبادة الأصنام وتفصيل ما يؤول إليه أمر عبدتها يوم القيمة من اعترافهم بخطائهم الفاحش وندمهم وتحسّرهم على ما فاتهم من الإيمان وتمنيهم الرجعة إلى الدنيا ليكونوا مؤمنين عند مشاهدتهم لما أزلفت لهم الجنات النعيم وبرّزت لإغوائهم الجحيم وغشيهم ما غشيهم من ألوان العذاب وأنواع العقاب لآية أي آية عظيمة لا يقادر قدرها موجبة على عبدة الأصنام كافّة لا سيما على أهل مكة الذين يدعون أنهم على ملة إبراهيم عليه السلام أن يجتنبوا كل الاجتناب ما كانوا عليه من عبادتها خوفاً أن يحيق بهم مثل ما حاق بأولئك من العذاب بحكم الاشتراك فيما يوجبه أو أن في ذكر نبائه وتلاوته عليهم على ما هو عليه من غير أن تسمعه من أحد لآية عظيمة دالّة على أن ما تتلوه عليهم وحي صادق نازل من جهة الله تعالى موجبة للإيمان به قطعاً وما كان أكثرهم مؤمنين أي أكثر هؤلاء الذين تتلو عليهم النبأ مؤمنين بل هم مصرّون على ما كانوا عليه من الكفر والضلال • وأما أن أكثرهم لقوم إبراهيم عليه السلام كما توهموا فمما لا سبيل إليه أصلاً لظهور أنهم ما ازدادوا بما سمعوا منه عليه السلام إلا طغياناً وكفراً حتى اجترؤوا على تلك العظيمة التي فعلوها به عليه السلام فكيف يعبّر عنهم بعدم إيمان أكثرهم • وإنما آمن له لوط فنجاهما الله عز وجل إلى الشام وقد حرّر تقيّة الكلام في آخر قصة موسى عليه السلام وإن ربك لهو العزيز الرحيم أي هو القادر على تعجيل العقوبة لقومك ولكنه يمهلهم بحكم رحمته الواسعة ليؤمن بعض منهم أو من ذرياتهم كذبت قوم نوح المرسلين القوم مؤنث ولذلك يصغر على قويمة وقيل القوم بمعنى الأمة وتكذيبهم للمرسلين إما باعتبار اجماع الكل على التوحيد وأصول الشرائع التي لا تختلف باختلاف الأزمنة والأعصار وإما لأن المراد بالجمع الواحد كما يقال فلان يركب الدواب ويلبس البرود وما له إلا دابة وبرد وإذ في قوله تعالى إذ قال لهم ظرف للتكذيب على أنه عبارة عن زمان مديد وقع فيه ما وقع من الجانبين إلى تمام الأمر كما أن تكذيبهم عبارة عما صدر عنهم من حين ابتداء دعوته عليه السلام إلى انتهائها أخوهم أي نسيبهم نوح ألا تتقون الله حيث تعبدون غيره إني لكم رسول من جهته تعالى أمين مشهور بالأمانة فيما بينكم فاتقوا الله وأطيعون فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله تعالى وما أسألكم عليه أي على ما أنا متصدّ له من الدعاء والنصح من أجر إن أجري فيما أتولاه إلا على رب العالمين والفاء في قوله تعالى فاتقوا الله وأطيعون لترتيب ما بعدها على ما قبلها من تنزّهه عليه السلام من الطمع كما أن نظيرتها السابقة لترتيب ما بعدها على أمانته والتكرير للتأكيد والتنبيه على أن كلاً منهما مستقل في إيجاب التقوى والطاعة فكيف إذا اجتمعا وقرئ إن أجري بسكون الياء قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون أي الأقلّون جاهاً ومالاً جمع الأرذل على الصحة فإنه بالغلبة صار جارياً مجرى الاسم كالأكبر والأكابر • وقيل جمع تابع كشاهد وأشهاد أو جمع تبع كبطل وأبطال يعنون أنه لا عبرة باتباعهم في بادي الرأي كما ذكر في موضع آخر • وهذا من كمال سخافة عقولهم وقصرهم أنظارهم على حطام الدنيا وكون الأشرف عندهم من هو أكثر منها حظاً والأرذل من حرمها وجهلهم بأنها لا تزن عند الله تعالى جناح بعوضة وأن النعيم هو نعيم الآخرة والأشرف من فاز به والأرذل من حرمه

انتهى أبو السعود رحمه الله

فلو أن لنا كرة أي رجعة إلى الدنيا فنكون بالنصب على أن لو ههنا بمعنى التمني كأنه قيل فليت لنا كرة فنكون من المؤمنين أي فنؤمن فيشفع لنا إن في ذلك لآية أي لعبرة لعابدي غير الله تعالى حيث لا ينفعهم معبودهم بل يتبرأ منهم وما كان أكثرهم مؤمنين بأنبيائهم وإن ربك لهو العزيز لمن كفر الرحيم لمن آمن كذبت قوم نوح المرسلين أي نوحاً عليه السلام وإنما جمع لأن من كذب رسولاً واحداً فقد كذب جميع الرسل إذ قال لهم أخوهم نوح في النسب لا في الدين وإنما أنث كذبت لأن القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة ألا تتقون أي اتقوا وآمنوا إني لكم رسول أمين بينكم وبين ربكم فاتقوا الله وأطيعون فيما آمركم به وما أسألكم عليه أي على الإيمان من أجر أي من جعل إن أجري أي ما جعلي وثوابي إلا على رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون فكرّره لتأكيد التقوى والطاعة في نفسهم قالوا أنؤمن لك إنكاراً واتبعك الأرذلون من الرذالة وهي الخسّة والضعف والواو للحال وقد بعدها مضمرة وإنما سموهم بالأرذلين لاتضاع حرفتهم كالحجامة والحياكة وقلة مالهم وهذا لا يقدح في الإيمان

انتهى البغوي

فلو أن لنا كرة رجعة إلى الدنيا فنكون من المؤمنين وجواب لو محذوف وهو لفعلنا كيت وكيت أو لو في مثل هذا للتمني كأنه قيل فليت لنا كرة لما بين معنيي لو وليت من التلاقي إن في ذلك فيما ذكرنا من الأنباء لآية لعبرة لمن اعتبر وما كان أكثرهم مؤمنين فيه أن فريقاً منهم آمنوا وإن ربك لهو العزيز المنتقم ممن كذب إبراهيم بنار الجحيم الرحيم المسلّم كل ذي قلب سليم الجنة النعيم كذبت قوم نوح المرسلين القوم تذكر وتؤنث قيل ولد نوح في زمن آدم عليهما السلام ونظير قوله المرسلين والمراد نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وما له إلا دابة وبرد أو كانوا ينكرون بعث الرسل أصلاً فلذا جمع ولأن من كذب واحداً منهم فقد كذب الكل لأن كل رسول يدعو الناس إلى الإيمان بجميع الرسل وكذا جميع ما في هذه السورة إذ قال لهم أخوهم نسباً لا ديناً نوح ألا تتقون خالق الأنام فتتركوا عبادة الأصنام إني لكم رسول أمين كان مشهوراً بالأمانة فيهم كمحمد صلى الله عليه وسلم في قريش فاتقوا الله وأطيعون فيما آمركم به وأدعوكم إليه من الحق وما أسألكم عليه على هذا الأمر من أجر إن أجري بالفتح مدني وشامي وأبو عمرو وحفص إلا على رب العالمين فكذلك أريد فاتقوا الله وأطيعون كرر ليقرره في نفوسهم مع تعليق كل واحد منهما بعلة فعلة الأول كونه أميناً فيما بينهم وعلة الثاني حسم طمعه منهم كأنه قال إذا عرفتم رسالتي وأمانتي فاتقوا الله ثم إذا عرفتم احترازي عن الأجر فاتقوا وأطيعون قالوا أنؤمن لك واتبعك الواو للحال وقد مضمرة بعدها دليله قراءة يعقوب وأتباعك جمع تابع كشاهد وأشهاد أو تبع كبطل وأبطال الأرذلون السفلة والرذالة الخسة والدناءة • وإنما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من أهل الصناعات الدنية والصناعة لا تزري بالديانة فالغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى ولا يجوز أن يسمى المؤمن رذلاً وإن كان أفقر الناس وأوضعهم نسباً وما زالت أتباع الأنبياء كذلك

انتهى المدارك

فلو أن لنا كرة رجعة إلى الدنيا فنكون من المؤمنين وجواب لو محذوف وهو لفعلنا كيت وكيت أو لو في مثل هذا للتمني كأنه قيل فليت لنا كرة لما بين معنيي لو وليت من التلاقي إن في ذلك فيما ذكر من قصة إبراهيم عليه السلام لآية لحجة وعظة لمن أراد أن يستبصر بها ويعتبر على أنها ترتيب وأحسن تقرير يتفطن المتأمل فيه لغزارة علمه لما فيه من الإشارة إلى أصول العلم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالفته معهم وكمال إشفاقه عليهم وتصويره الأمر في نفسه وإطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضاً وإيقاظاً لهم ليكون أدعى لهم على الاستماع والقبول وما كان أكثرهم أكثر قومه مؤمنين مؤمنين به وإن ربك لهو العزيز القادر على تعجيل الانتقام الرحيم بالإمهال لكي يؤمنوا هم أو أحد من ذريتهم كذبت قوم نوح القوم مؤنثة ولذلك يصغر على قويمة المرسلين قد مر الكلام في تكذيبهم المرسلين إذ قال لهم أخوهم نوح لأنه كان منهم ألا تتقون خالق الأنام فتتركوا عبادة الأصنام إني لكم رسول أمين كان مشهوراً بالأمانة فيهم كمحمد عليه الصلوة والسلام في قريش فاتقوا الله وأطيعون فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله تعالى وما أسألكم عليه على ما أنا عليه من الدعاء والنصح من أجر الأجر عبارة عن المنفعة المستحقة فأما الذي لا يكون مستحقاً فذلك لا يسمى أجراً بل هبة إن أجري إلا على رب العالمين بحكم وعد وفيه دلالة على عظم ما أمر بتبليغه وهذا هو الموجب لطاعته فيما يدعوهم إليه فلذلك أعاد قوله فاتقوا الله وأطيعون وأما حسم الطمع المستفاد مما تقدم فظاهر عن إيجابها ثم إن في قوله رب العالمين إشارة إلى التزام الأجر في ذلك لمصلحة تربيتهم كالأجر يعود إليه من نفع أو دفع قالوا أنؤمن لك واتبعك الواو للحال وقد مضمرة بعدها دليله قراءة وأتباعك جمع تابع كشاهد وأشهاد أو تبع كبطل وأبطال الأرذلون جمع أرذل على الصحة والرذالة الخسة والدناءة وإنما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من أهل الصناعات الدنية وأشاروا بذلك إلى أن اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وإنما هو لتوقع مال ورفعة فلذلك قال وما علمي بما كانوا يعملون

الكلمة لو في قوله تعالى فلو أن لنا كرة للتمني كليت لما أن بين معنييهما تلاقياً في معنى الفرض والتقدير كأنه قيل فليت لنا كرة أي رجعة إلى الدنيا وقيل هي على أصلها من الشرط وجوابه محذوف كأنه قيل فلو أن لنا كرة لفعلنا من الخيرات كيت وكيت ويأباه قوله تعالى فنكون من المؤمنين لتحتم كونه جواباً للتمني مفيداً لترتب إيمانهم على وقوع الكرة البتة بلا تخلف كما هو مقتضى حالهم وعطفه على كرة على طريقة للبس عباءة وتقر عيني كما يستدعيه كونه لو على أصلها إنما يفيد تحقق مضمون الجواب على تقدير تحقق كرتهم وإيمانهم معاً من غير دلالة على استلزام الكرة للإيمان أصلاً مع أنه المقصود حتماً إن في ذلك

قال وما علمي وأي شيء علمي بما كانوا يعملون من الصناعات
إنما أطلب منهم الإيمان وقيل إنهم طعنوا مع استرذالهم في
إيمانهم وقالوا إن الذين آمنوا بك ليس في قلوبهم ما يظهرونه
فقال وما علي إلا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن
السرائر إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون أن الله تعالى
يحاسبهم وما أنا بطارد المؤمنين أي ليس من شأني أن
أتبع شهواتكم بطرد المؤمنين طمعا في إيمانكم إن أنا إلا نذير
مبين ما علي إلا أن أنذركم إنذارا بينا بالبرهان الصحيح
الذي يتميز به الحق من الباطل ثم أنتم أعلم بشأنكم قالوا
لئن لم تنته يا نوح عما تقول لتكونن من المرجومين
من المقتولين بالحجارة قال رب إن قومي كذبون
ليس هذا بإخبار بالتكذيب لعلمه أن عالم الغيب ولكنه
أراد أنهم كذبوني في وحيك ورسالتك فافتح بيني
وبينهم فتحا فاحكم بيني وبينهم حكما والفتاحة الحكومة
والفتاح الحاكم لأنه يفتح المستغلق كما سمي فيصلا لأنه
يفصل بين الخصومات ونجني ومن معي حفص من المؤ
من عذاب عملهم فأنجيناه ومن معه في الفلك السفينة
وجمعه فلك فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن أسد
المشحون المملوء ومنه شحنة البلد أي الذي يملؤه كفا
ثم أغرقنا بعد بعد إنجاء نوح عليه السلام ومن آمن به
الباقين أي من قومه إن في ذلك لآية وما كان أكثر
مؤمنين وإن ربك لهو العزيز المنتقم بإهانة من جحد وأصر
الرحيم المنعم بإعانة من وحد وأقر انتهى المدارك

كذبت عاد المرسلين هي قبيلة وفي الأصل اسم رجل
هو ابو القبيلة اذ قال لهم اخوهم نسبا هود الا تتقون ●
اني لكم رسول امين فاتقوا الله في تكذيب الرسول الامين
واطيعون ● وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري
الا على رب العالمين ● اتبنون بكل ريع مكان مرتفع
آية برج حمام او بناء يكون لارتفاعه كالعلامة
يسخرون لمن مر بهم تعبثون تلعبون وتتخذون
مصانع مآخذ الماء او قصورا مشيدة او حصونا
لعلكم تخلدون ترجون الخلود في الدنيا واذا بطشتم
اخذتم اخذ العقوبة بطشتم جبارين قتلا بالسيف
وضربا بالسوط والجبار الذي يقتل ويضرب على
الغضب فاتقوا الله في البطش واطيعون فيما ادعوكم
اليه واتقوا الذي امدكم بما تعلمون من النعم ثم عددها
عليهم فقال امدكم بانعام وبنين قرن البنين
بالانعام لانهم يعينونهم على حفظها والقيام عليها
وجنات وعيون اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم
ان عصيتموني قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن
من الواعظين اي لا نقبل كلامك ودعوتك وعظت
ام سكت ولم يقل اولم تعظ لرؤس الآي ان هذا
الا خلق الاولين ما هذا الذي نحن عليه من الحيوة
والموت واتخاذ الابنية الا عادة الاولين او دين الاولين
خلق الاولين مكي وبصري ويزيد وعلي اي ما جئت به
الا اختلاق الاولين وكذب المتنبئين قبلك كقولهم
اساطير الاولين او خلقنا كخلق الاولين نموت ونحيى و
ما نحن بمعذبين في الدنيا ولا بعث ولا حساب فكذبوه
اي هودا فاهلكناهم بريح صرصر عاتية ان في ذلك لآية و
ما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم انتهى المدارك

كذبت ثمود المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون
إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم
عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتتركون
إنكار لأن يتركوا مخلدين في نعيمهم لا يزالون عنه في ما ههنا
في الذي استقر في هذا المكان من النعيم آمنين من العذاب
والزوال والموت ثم فسره بقوله في جنات وعيون وهذا
أيضا إجمال ثم تفصيل وزروع ونخل وعطف نخل على جنات
مع أن الجنة تتناول النخل أول شيء تفضيلا للنخل على
سائر الشجر طلعها هو ما يخرج من النخلة كنصل السيف
هضيم لين نضيج كأنه قال ونخل قد أرطب ثمره
وتنحتون تنقبون من الجبال بيوتا فارهين
شامي وكوفي حاذقين حال وغيرهم فرهين أشرين
والفراهة الكيس والنشاط فاتقوا الله وأطيعون
ولا تطيعوا أمر المسرفين الكافرين أو التسعة الذين
عقروا الناقة جعل الأمر مطاعا على المجاز الحكمي والمراد
الآمر وهو كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضعه
في العقل لضرب من التأول كقولهم أنبت الربيع البقل
الذين يفسدون في الأرض بالظلم والكفر ولا يصلحون
بالإيمان والعدل والمعنى أن فسادهم فساد مصمت
ليس معه شيء من الصلاح كما يكون حال بعض المفسدين
مخلوطة ببعض الصلاح قالوا إنما أنت من المسحرين
المسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو
من السحر الرئة وأنه بشر ما أنت إلا بشر مثلنا
فأت بآية إن كنت من الصادقين في دعوى الرسالة

اسمى

قال هذه ناقة لها شرب نصيب من الماء فلا تزاحموها
فيه ولكم شرب يوم معلوم لا تزاحمكم فيه روي انهم قالوا
نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا
فقعد صالح يتفكر فقال له جبرئيل صلّ ركعتين وسل
ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة ونتجت سقبا مثلها
في العظم ومصدرها ستون ذراعا واذا كان يوم شربها
شربت ماءهم كله واذا كان يوم شربهم لا تشرب فيه
الماء وهذا دليل على جواز المهاياة لان قوله لها شرب و
لكم شرب يوم معلوم من المهاياة ولا تمسوها بسوء بضرب
او عقر او غير ذلك فيأخذكم عذاب يوم عظيم عظم اليوم
لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به ابلغ من وصف العذاب
لان الوقت اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم اشد
فعقروها عقرها قدار ولكنهم راضون به فاضيف اليهم
روي ان عاقرها قال لا اعقرها حتى ترضوا اجمعين
وكانوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون اترضين
فتقول نعم وكذلك صبيانهم فاصبحوا نادمين على عقرها
خوفا من نزول العذاب بهم لا ندم توبة او ندموا حين لا ينفع
الندم وذلك عند معاينة العذاب او على ترك الولد فاخذهم
العذاب المقدم ذكره ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم • كذبت قوم لوط المرسلين
اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا
الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر الا على رب
العالمين اراد بالعالمين الناس اي اتطؤن الذكران
من الناس مع كثرة الاناث او اتطؤن انتم من بين
من عداكم من العالمين الذكران اي انتم مختصون بهذه الفاحشة
والعالمين على هذا كل ما ينكح من الحيوان وتذرون ما
خلق لكم ربكم من ازواجكم من تبيين لما خلق او تبعيض
والمراد بما خلق العضو المباح منهن وكانوا يفعلون
مثل ذلك بنسائهم وفيه دليل على تحريم ادبار الزوجات
والمملوكات ومن اجازه فقد اخطأ خطأ عظيما بل انتم
قوم عادون العادي المتعدي في ظلمه المتجاوز فيه الحد
اي بل انتم قوم احقاء بان توصفوا بالعدوان حيث
ارتكبتم مثل هذه العظيمة انتهى قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ملعون من اتى امرأة في دبرها انتهى

قالوا لئن لم تنته يا لوط عن انكارك علينا وتقبيح امرنا
لتكونن من المخرجين من جملة من اخرجناه من بين اظهرنا
وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه
على اسوء حال قال اني لعملكم من القالين هو ابلغ من ان
يقول قال فقولك فلان من العلماء ابلغ من قولك
فلان عالم لانك تشهد بانه مساهم لهم في العلم والقلي
البغض الشديد كانه بغض يقلي الفؤاد والكبد
وفيه دليل عظيم على عظم المعصية من حيث الدين رب
نجني واهلي مما يعملون من عقوبة عملهم فنجيناه واهله
اجمعين يعني بناته ومن امن معه الا عجوزا هي امراة لوط
وكانت راضية بذلك الفعل القبيح والراضي بالمعصية في
حكم العاصي واستثناء الكافرة من الاهل وهم مومنون
للاشتراك في هذا الاسم اي اسم الاهل وان لم تشاركهم
في الايمان في الغابرين صفة لها اي في الباقين في العذاب
فلم تنج منه والغابر في اللغة الباقي كانه قيل الا عجوزا غابرة
اي مقدرا غبورها اذ الغبور لم يكن صفتها وقت تنجيتهم
ثم دمرنا الاخرين والمراد بتدميرهم الايتفاك بهم وامطرنا
عليهم مطرا عن قتادة امطر الله على شذاذ القوم حجارة
من السماء فاهلكهم وقيل لم يرض الله سبحانه وتعالى بالايتفاك
حتى اتبعه مطرا من حجارة فساء فاعله مطر المنذرين
والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم محذوف ولم يرد
بالمنذرين قوما باعيانهم بل المراد جنس الكافرين
ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم انتهى

الايكة الغيضة من الشجر الملتف
الغيضة الاجمة وهي مغيض ماء يجتمع فينبت فيه الشجر

كذب اصحاب الايكة بالهمز والجر هي غيضة تنبت
ناعم الشجر عن الخليل ليكة حجازي وشامي وكذا في ص
علم لبلد • قيل اصحاب الايكة هم اهل مدين يجيئون الى
غيضة اذا الح عليهم الوهج والاصح انهم غيرهم نزلوا
غيضة بعينها بالبادية واكثر شجرهم المقل بدليل انه
لم يقل هنا اخوهم شعيب لانه لم يكن من نسبهم بل كان
من نسب اهل مدين • ففي الحديث ان شعيبا اخا مدين
ارسل اليهم والى اصحاب الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب
الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين
اوفوا الكيل اتموه ولا تكونوا من المخسرين ولا تنقصوا
حقوقهم فالكيل وافٍ وهو مامور به وطفيف •
وهو منهي عنه وزائد وهو مسكوت عنه فتركه
دليل على انه ان فعله فقد احسن وان لم يفعله فلا عليه
وزنوا بالقسطاس المستقيم وبكسر القاف كوفي غير
ابي بكر وهو الميزان او القرسطون فان كان من القسط
وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس
والا فهو رباعي ولا تبخسوا الناس يقال بخسته حقه
اذا نقصته اياه اشياءهم دراهمهم ودنانيرهم
بقطع اطرافهما ولا تعثوا في الارض مفسدين ولا تبالغوا
فيها في الافساد وذلك نحو قطع الطريق والغارة و
اهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك فنهوا عنه
يقال عثا في الارض اذا افسد وعثي في الارض
لغة في عثا واتقوا الذي خلقكم والجبلة الخلق عطف
على كم اي واتقوا الذي خلقكم وخلق الجبلة الاولين الماضين

انتهى

قالوا إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا أدخال
الواو هنا ليفيد معنيين كلاهما مناف للرسالة عندهم
التسحير والبشرية وتركها في قصة ثمود ليفيد معنى
واحدا وهو كونه مسحرا • ثم قرر بكونه بشرا مثلهم وإن
نظنك لمن الكاذبين إن مخففة من الثقيلة واللام
دخلت للفرق بينها وبين النافية • وإنما تفرقتا دخلتا
على فعل الظن وثاني مفعوليه لأن أصلهما أن يتفرقا
على المبتدأ والخبر كقولك إن زيد لمنطلق فلما كان بابا كان
وظننت من جنس باب المبتدأ والخبر فعل ذلك في البابين
فقيل إن كان زيد لمنطلقا وإن ظننته لمنطلقا فأسقط
علينا كسفا كسفا حفص وهما جمعا كسفة وهي
وكسفة قطعة من السماء أي السحاب أو المظلة إن كنت من
الصادقين أي إن كنت صادقا أنك نبي فادع الله تعالى
أن يسقط علينا كسفا من السماء أي قطعة من السماء عقوبة
قال ربي بفتح الياء حجازي وأبو عمرو وبسكونها غيرهم أعلم بما
أي أن الله أعلم بأعمالكم وبما أنتم تستحقون عليها من العقاب
فإن أراد أن يعاقبكم بإسقاط كسف من السماء فعل ذلك
وإن أراد عقابا آخر فإليه الحكم والمشية فكذبوه فأخذهم
عذاب يوم الظلة يوم الظلة هي سحابة أظلتهم بعدما
حبس عنهم الريح وعذبوا بالحر سبعة أيام فاجتمعوا
تحتها مستجيرين بها مما نالهم من الحر فأمطرت عليهم نارا
فاحترقوا إنه كان عذاب يوم عظيم إن في ذلك لآية
وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم
وقد كرر في هذه السورة في أول كل قصة وآخرها ما كرر
تقريرا للمعاني في الصدور ليكون أبلغ في الوعظ والزجر
لأن كل قصة كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في
غيرها فكانت جديرة بأن تفتتح بما افتتحت به صاحبتها
وأن تختتم بما اختتمت به   انتهى

وانه يعني القرآن لتنزيل رب العالمين منزل منه نزل به
بتخفيف الفاعل الروح الامين اي جبرئيل لانه امين على الوحي
الذي فيه الحيوة حجازي وابو عمرو وزيد وحفص وغيرهم
بالتشديد ونصب الروح والفاعل هو الله تعالى اي جعل الله
الروح نازلا به والباء على القراءتين للتعدية على قلبك
اي حفظكه وفهمك اياه واثبته في قلبك اثبات
ما لا ينسى كقوله سنقرئك فلا تنسى لتكون من المنذرين
بلسان عربي بلغة قريش وجرهم مبين فصيح مصحح عما
صحفته العامة والباء اما ان تتعلق بالمنذرين
اي ليكون من الذين انذروا بهذا اللسان العربي الفصيح
وهم هود وصالح وشعيب واسمعيل عليهم السلام
او بنزل اي نزله بلسان عربي لتنذر به لانه لو نزله
بلسان اعجمي لتجافوا عنه اصلا ولقالوا ما نصنع بما
لا نفهمه فيتعذر الانذار به وفي هذا الوجه ان
تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك
تنزيل له على قلبك لانك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان
اعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لانك تسمع
اجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها اي لا تحفظها
وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات فاذا كلم بلغته
التي نشأ عليها لم يكن قلبه الا الى معاني الكلام
وان كلم بغيرها كان نظره اولا في الفاظها ثم في معانيها
وان كان ماهرا بمعرفتها فهذا تقرير انه نزل على قلبه
لنزوله بلسان عربي وانه اي القرآن لفي زبر الاولين
يعني ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية وقيل
ان معانيه فيها وفيه دليل على ان القرآن قرآن
اذا ترجم بغير العربية فيكون دليلا على جواز قراءة
القرآن بالفارسية في الصلوة انتهى

أولم يكن لهم آية شامي جعلت آيةٌ اسم كان وخبره أن يعلمه
اي القرآن لوجود ذكره في التورية • وقيل في تكن ضمير القصة
وآيةٌ خبرٌ مقدم • والمبتدا ان يعلمه • والجملة خبر كان • وقيل
كان تامة والفاعل آيةٌ وان يعلمه بدل منها • اوخبر مبتدا
محذوف اي اولم يحصل لهم آيةٌ وغيره لم يكن بالتذكير •
وآيةً بالنصب على انه خبره وان يعلمه هو الاسم • وتقديره
اولم يكن لهم علم علماء بني اسرائيل آيةً علماء بني اسرائيل
كعبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى وإذا يتلى عليهم اياتنا
قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين • وخط
في المصحف علمٰؤا بواو قبل الالف ولو نزلناه على بعض
الاعجمين جمع اعجم وهو الذي لا يفصح وكذلك الاعجمي الا ان
فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تاكيد • ولما كان من يتكلم
بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له اعجم واعجمي
شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين • والعجمي من جنس العجم
افصح اولم يفصح • وقرأ الحسن الاعجميين • وقيل الاعجمين
تخفيف الاعجميين كما قالوا الاشعرون اي الاشعريون بحذف
ياء النسبة ولولا هذا التقدير لم يجز ان يجمع جمع السلامة
لان مؤنثه عجماء فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين والمعنى
انا انزلنا هذا القرآن على رجل عربي بلسان عربي مبين
ففهموه وعرفوا فصاحته وانه معجز وانضم الى ذلك اتفاق
علماء اهل الكتب قبله على ان البشارة بانزاله وصفته
في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك انها من
عند الله وليست باساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به وسموه
شعرًا تارةً وسحرًا اخرى وقالوا هذا من افتراء محمد ولو
نزلناه على بعض الاعاجم الذي لا يحسن العربية فضلا ان
يقدر على نظم مثله فقرأه عليهم هكذا معجزًا لكفروا به
ولتمحلوا لجحودهم عذرًا ولسموه سحرًا انتهى المدارك

كذلك سلكناه اي ادخلنا التكذيب او الكفر وهو مدلول قوله ما كانوا به مؤمنين في قلوب المجرمين الكافرين الذين علمنا منهم اختيار الكفر والاصرار عليه يعني مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وقررناه فيها فكيف ما فعل بهم وعلى اي وجه دبر امرهم فلا سبيل الى ان يتغيروا عما هم عليه من الكفر به والتكذيب له كما قال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين وهو حجتنا على المعتزلة في خلق افعال العباد خيرها وشرها وموقع قوله لا يؤمنون به بالقرآن من قوله سلكناه في قلوب المجرمين موقع الموضح والملخص لانه مسوق لثباته مكذبا مجحودا في قلوبهم فاتبع ما يقرر هذا المعنى من انهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز ان يكون حالا اي سلكناه فيها غير مؤمن به حتى يروا العذاب الاليم والمراد معاينة العذاب عند الموت ويكون ذلك ايمان يأس فلا ينفعهم فيأتيهم بغتة فجاءة وهم لا يشعرون باتيانه فيقولوا هو وفيأتيهم معطوفان على يروا هل نحن منظرون يسألون النظرة والامهال طرفة عين فلا يجابون اليها افبعذابنا يستعجلون توبيخ لهم وانكار عليهم قولهم فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم قال يحيى بن معاذ اشد الناس غفلة من اغتر بحياته والتذ بمراداته وسكن الى مألوفاته والله يقول افرأيت ان متعناهم سنين قيل هي سنو مدة الدنيا ثم جاءهم ما كانوا يوعدون من العذاب ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون به في تلك السنين والمعنى ان استعجالهم بالعذاب انما كان لاعتقادهم انه غير كائن ولا لاحق بهم وانهم ممتعون باعمار طوال في سلامة وامن فقال الله تعالى افبعذابنا يستعجلون اشرا واستهزاء واتكالا على الامل الطويل ثم قال هب ان الامر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول اعمارهم وطيب معاشهم وعن ميمون بن مهران انه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظني فلم يزده على تلاوة هذه الآية وقال ميمون لقد وعظت فابلغت وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يقرؤها عند جلوسه للحكم انتهى المدارك

وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون رسل ينذرونهم
ولم تدخل الواو على الجملة بعد الا كما في وما اهلكنا من قرية
الا ولها كتاب معلوم لان الاصل عدم الواو اذ الجملة صفة
لقرية واذا زيدت فلتاكيد وصل الصفة بالموصوف
ذكرى منصوبة بمعنى تذكرة لان انذر وذكر متقاربان
فكانه قال مذكرون تذكرة او حال من الضمير في
منذرون اي ينذرونهم ذوي تذكرة او مفعول له
اي ينذرون لاجل التذكرة والموعظة او مرفوعة
على انها خبر مبتدا محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية
او صفة منذرون اي ذووا ذكرى او تكون ذكرى
متعلقة باهلكنا مفعولا له والمعنى وما اهلكنا من
اهل قرية ظالمين الا بعدما الزمناهم الحجة بارسال المنذرين
اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا
مثل عصيانهم وما كنا ظالمين فنهلك قوما غير ظالمين
ولما قال المشركون ان الشياطين تلقي القران على محمد
نزلت وما تنزلت به بالقران الشياطين وما ينبغي لهم
وما يستطيعون وما يتسهل لهم ولا يقدرون عليه
انهم عن السمع عن استراقه لمعزولون لممنوعون
بالشهب فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين
تهديد لغيره على التعريض وتحريك له على زيادة الاخلاص
وانذر عشيرتك الاقربين خصهم لنفي التهمة اذ الانسان
يساهل قرابته او ليعلموا انه لا يغني عنهم من الله شيئا
وان النجاة في اتباعه دون قربه ولما نزلت صعد الصفا
ونادى الاقرب فالاقرب وقال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم
يا بني عبد مناف يا عباس عم النبي يا صفية عمة رسول الله
اني لا املك من الله شيئا واخفض جناحك والن جانبك
وتواضع واصله ان الطائر اذا اراد ان ينحط للوقوع
كسر جناحه وخفضه واذا اراد ان ينهض للطيران
رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا
في التواضع ولين الجانب لمن اتبعك من المومنين
من عشيرتك وغيرهم اسمى للمدارك

فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون يعني انذر قومك
فان اتبعوك واطاعوك فاخفض لهم جناحك وان عصوك
ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن اعمالهم من الشرك بالله تعالى
وغيره وتوكل على العزيز الرحيم على الذي يقهر اعداءك
بعزته وينصرك عليهم برحمته يكفك شر من يعصيك
منهم ومن غيرهم • والتوكل تفويض الرجل امره الى من
يملك امره ويقدر على نفعه وضره وقالوا المتوكل من
اذا دهمه امر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية
الله تعالى وقال الجنيد التوكل ان تقبل بالكلية على
ربك وتعرض بالكلية عما دونه فان حاجتك اليه في
الدارين • فتوكل مدني وشامي عطفا على فقل او
فلا تدع الذي يراك حين تقوم متهجدا وتقلبك
اي ويرى تقلبك في الساجدين في المصلين اتبع كونه
رحيما على رسوله ما هو من اسباب الرحمة وهذا ذكر
ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه
في تصفح احوال المتهجدين من اصحابه ليطلع عليهم من حيث
لا يشعرون ليعلم انهم كيف يعبدون الله تعالى ويعملون
لآخرتهم وقيل معناه يراك حين تقوم للصلوة بالناس
جماعة جماعة وتقلبه في الساجدين تصرفه فيما بينهم
بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده اذا امهم وعن
مقاتل انه سأل ابا حنيفة هل تجد الصلوة بالجماعة
في القرآن فقال لا يحضرني فتلا هذه الآية انه هو السميع
لما تقوله العليم بما تنويه وتعمله هون عليه معاناة
مشاق العبادات حيث اخبر برؤيته له اذ لا مشقة
على من يعمل بمرأى مولاه وهو كقوله بعيني ما يتحمل
المتحملون من اجلي هل انبئكم هل اخبركم ايها المشركون
على من تنزل الشياطين ثم نبأ فقال تنزل على
كل افاك كذاب اثيم مرتكب للآثام وهم الكهنة و
المتنبئة كسطيح وطليحة ومسيلمة الكذاب • ومحمد يلعن
الافاكين ويذمهم فكيف تنزل الشياطين عليه اسهل المدارك

يلقون السمع هم الشياطين كانوا قبل ان حجبوا بالرجم
يسمعون الى الملا الاعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون به
مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به الى اوليائهم
ويلقون حال اي تنزل ملقين السمع او صفة لكل افاك
لانه في معنى الجمع فيكون في محل الجر او استيناف فلا يكون
له محل كانه قيل لم تنزل على الافاكين فقيل يفعلون كيت وكيت
واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم لانهم يسمعونهم ما لم يسمعوا
وقيل يلقون الى اوليائهم السمع اي المسموع من الملائكة وقيل
الافاكون يلقون السمع الى الشياطين ويتلقون وحيهم
اليهم او يلقون المسموع من الشياطين الى الناس واكثر
الافاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم
والافاك يكثر الافك ولا يدل ذلك على انهم لا ينطقون
الا بالافك فاراد ان هؤلاء الافاكين قل من يصدق منهم
فيما يحكي عن الجني واكثرهم مفتر عليه وعن الحسن وكلهم
وانما فرق بين وانه لتنزيل رب العالمين وما تنزلت به
الشياطين هل انبئكم على من تنزل الشياطين وهن
اخوات لانه اذا فرق بينهن بآيات ليست منهن ثم رجع
اليهن مرة بعد مرة دل ذلك على شدة العناية بهن كما اذا
حدثت بحديث وفي صدرك اهتمام بشئ فتعيد ذكره
ولا تنفك عن الرجوع اليه ونزل فيمن كان يقول الشعر
ويقول نحن نقول كما يقول محمد واتبعتهم غواة من قومهم
يستمعون اشعارهم والشعراء مبتدأ خبره يتبعهم الغاوون
اي لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وتمزيق الاعراض والقدح
في الانساب ومدح من لا يستحق المدح والهجاء ولا يستحسن
ذلك منهم الا الغاوون اي السفهاء او الراوون او
الشياطين او المشركون قال الزجاج اذا مدح او هجا
شاعر بما لا يكون واحب ذلك قوم وتابعوه فهم الغاوون
يتبعهم نافع الم تر انهم في كل واد من الكلام يهيمون
خبر ان اي في كل فن من الكذب يتحدثون او في كل لغو وباطل
يخوضون والهائم الذاهب على وجهه لا مقصد له وهو تمثيل
لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم حتى يفضلوا
اجبن الناس على عنترة واشحهم على حاتم وعن الفرزدق
ان سليمان بن عبد الملك سمع قوله فبتن بجانبي مصرعات
وبت افض اغلاق الختام فقال وجب عليك الحد
فقال قد درأ الله عني الحد بقوله وانهم يقولون ما
لا يفعلون حيث وصفهم بالكذب والخلف في الوعد ثم
استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين بقوله الا الذين امنوا

إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات كعبد الله بن رواحة
وحسان بن ثابت وكعب بن زهير وكعب بن مالك وذكروا
الله كثيرا أي كان ذكر الله وتلاوة القرآن أغلب عليهم من
الشعر وإذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله تعالى والثناء
عليه والحكمة والموعظة والزهد والأدب ومدح رسول الله
صلى الله عليه وسلم والصحابة وصلحاء الأمة ونحو ذلك
مما ليس فيه ذنب وقال أبو يزيد الذكر الكثير ليس بالعدد
والغفلة لكنه بالحضور وانتصروا وهجوا من بعد ما
ظلموا هجوا أي ردوا هجاء من هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمسلمين وأحق الخلق بالهجاء من كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهجاه وعن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبل وكان صلى الله عليه وسلم
يقول لحسان قل وروح القدس معك ختم السورة
بما يقطع أكباد المتدبرين وهو قوله وسيعلم وما فيه من
الوعيد البليغ وقوله الذين ظلموا وإطلاقه وقوله أي
منقلب ينقلبون وإبهامه وقد تلاها أبو بكر لعمر رضي
الله عنهما حين عهد إليه وكان السلف يتواعظون
بها قال ابن عطاء سيعلم المعرض عنا ما الذي فاته
منا وأي منصوب بينقلبون على المصدر لا بسيعلم
لأن أسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها أي ينقلبون أي
انقلاب والله أعلم
انتهى المدارك

سورة النمل ثلث وتسعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين اي وآيات كتاب مبين وتلك اشارة الى آيات السورة والكتاب المبين اللوح • وابانته انه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه ابانة • او القرآن وابانته انه يبين ما اودع فيه من العلوم والحكم • وعلى هذا عطفه على القرآن كعطف احدى الصفتين على الاخرى نحو هذا فعل السخي والجواد • ونكر الكتاب ليكون افخم له • وقيل انما نكر الكتاب هنا وعرفه في الحجر وعرف القرآن هنا ونكره ثم لان القرآن والكتاب اسمان علمان للمنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ووصفان له لانه يقرأ ويكتب فحيث جاء بلفظ التعريف فهو العلم وحيث جاء بلفظ التنكير فهو الوصف هدى وبشرى في محل النصب على الحال من آيات اي هادية ومبشرة والعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة • او الجر على انه بدل من كتاب او صفة له او الرفع على هي هدى وبشرى • وعلى البدل من آيات وعلى ان يكون خبرا بعد خبر لتلك اي تلك آيات وهادية من الضلالة ومبشرة بالجنة • وقيل هدى لجميع الخلق وبشرى للمؤمنين خاصة الذين يقيمون الصلوة يديمون على فرائضها وسننها ويؤتون الزكوة يؤدون زكوة اموالهم وهم بالآخرة هم يوقنون من جملة صلة الموصول ويحتمل ان تتم الصلة عنده وهو استئناف كانه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة هم الموقنون بالآخرة • ويدل عليه انه عقد جملة اسمية وكرر فيها المبتدأ الذي هو هم حتى صار معناها • وما يوقن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف الآخرة يحملهم على تحمل المشاق ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم بخلق الشهوة فيهم حتى رأوا ذلك حسنا كما قال افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فهم يعمهون يترددون في ضلالتهم كما يكون حال الضال عن الطريق

أولئك الذين لهم سوء العذاب القتل والأسر يوم بدر بما كان
منهم من سوء الأعمال وهم في الآخرة هم الأخسرون أشد
الناس خسرانا لأنهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع
الأمم فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله تع
وإنك لتلقى القرآن لتؤتاه وتلقنه من لدن حكيم
عليم من عند أي حكيم وأي عليم • وهذا معنى تنكيرهما
وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد أن يسوق بعدها
من الأقاصيص • وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه
إذ منصوب باذكر كأنه قال على أثر ذلك خذ من آثار
حكمته وعلمه قصة موسى قال لأهله لزوجته ومن معه
عند مسيره من مدين إلى مصر إني آنست أبصرت نارا
سآتيكم منها بخبر عن حال الطريق لأنه كان قد ضله
أو آتيكم بشهاب كوفي أي شعلة مضيئة قبس نار
مقبوسة بدل أو صفة • وغيرهم بشهاب على الإضافة
لأنه يكون قبسا وغير قبس ولا تدافع بين قوله سآتيكم
منها • ولعلي آتيكم في القصص مع أن أحدهما ترج و
الآخر تيقن لأن الراجي إذا قوي رجاؤه يقول
سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة ومجيئه
بسين التسويف عدة لأهله أنه يأتيهم به وإن
أبطأ • أو كانت المسافة بعيدة • وبأو لأنه بنى الرجاء
على أنه إن لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما
إما هداية الطريق • وإما اقتباس النار ولم يدر أنه ظافر
على النار بحاجتيه الكليتين • وهما عز الدنيا والآخرة
واختلاف الألفاظ في هاتين السورتين والقصة واحدة دليل
على جواز نقل الحديث بالمعنى • وجواز الصلاة بالفارسية
وجواز النكاح بغير لفظ النكاح والتزويج لعلكم تصطلون
تستدفئون بالنار من البرد الذي أصابكم والطاء بدل من
تاء افتعل لأجل الصاد فلما جاءها أي النار التي أبصرها نودي
موسى أن بورك مخففة من الثقيلة وتقديره نودي موسى
بأنه بورك والضمير ضمير الشأن وجاز ذلك من غير عوض وإن
منعه الزمخشري لأن قوله بورك دعاء والدعاء يخالف
غيره في أحكام كثيرة أو مفسرة لأن في النداء معنى القول
أي قيل له بورك أي قدس أو جعل فيه البركة والخير من في
النار ومن حولها أي بورك من في مكان النار وهم الملائكة
ومن حول مكانها أي موسى لحدوث أمر ديني فيها وهو تكليم الله
موسى واستنباؤه له وإظهار المعجزات عليه انتهى

وسبحان الله رب العالمين هو من جملة ما نودي
فقد نزه ذاته عما لا يليق به من التشبيه وغيره يا موسى
انه انا العزيز الحكيم الضمير في انه للشان وانا الله
مبتدا وخبر والعزيز الحكيم صفتان للخبر او يرجع الى ما
دل عليه ما قبله اي ان مكلمك انا والله بيان لانا
والعزيز والحكيم صفتان للمبين وهو تمهيد لما اراد
ان يظهر على يده من المعجزات والق عصاك لتعلم
معجزتك فتانس بها وهو عطف على بورك لان معنى
نودي ان بورك من في النار وان الق عصاك كلاهما
تفسير لنودي والمعنى قيل له بورك من في النار وقيل
الق عصاك ويدل عليه ما ذكر في سورة القصص وان
الق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني انا الله على تكرير حرف
التفسير فلما راها تهتز تتحرك حال من الهاء في راها
كانها جان حية صغيرة حال من الضمير في تهتز ولى موسى
مدبرا وجعلها تلي ظهره خوفا من وثوب الحية عليه
ولم يعقب لم يلتفت او لم يرجع يقال قد عقب فلان
اذا رجع يقاتل بعد ان ولى فنودي يا موسى لا تخف
اني لا يخاف لدي المرسلون اي لا يخاف عندي المرسلون
حال خطابي اياهم او لا يخاف لدي المرسلون من غيري
الا من ظلم لكن من ظلم من غيرهم لان الانبياء لا يظلمون
او لكن من ظلم منهم اي زل من المرسلين فجاء منه غير ما
اذنت له مما يجوز على الانبياء كما فرط من ادم ويونس
وداود وسليمان عليهم السلام ثم بدل حسنا اي اتبع
بعد سوء زلته فاني غفور رحيم انتهى وفي معالم التنزيل
قال بعض النحويين الا ههنا بمعنى ولا يعني ولا يخاف لدي
المرسلون ولا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء اي لا يخاف لدي
المرسلون ولا المذنبون التائبون يريد اذا امنتهم ... يخاف
اما الخوف الذي هو شرط الايمان فلا يفارقهم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا اخشاكم لله انتهى

وادخل يدك في جيبك جيب قميصك واخرجها تخرج
بيضاء نيّرة تغلب نور الشمس من غير سوء برص
وبيضاء ومن غير سوء حالان في تسع آيات كلام مستأنف
وفي تتعلق بمحذوف اي اذهب في تسع آيات او والق
عصاك وادخل يدك في جملة تسع آيات الى فرعون
وقومه الى تتعلق بمحذوف اي مرسلا الى فرعون وقومه
انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن امر الله تعالى كافرين
فلما جاءتهم آياتنا معجزاتنا مبصرة حال اي ظاهرة مبيّنة
جعل الابصار لها وهو في الحقيقة لمتأمليها للابستهم
اياها بالنظر والتفكر فيها او جعلت كأنها تبصر وتهدي
لان العمي لا تقدر على الاهتداء فضلا ان تهدي غيرها
ومنه قولهم كلمة عيناء وعوراء لان الكلمة الحسنة ترشد
والسيئة تغوي فقالوا هذا سحر مبين ظاهر لمن تامله
وقد قوبل بين المبصرة والمبين وجحدوا بها قيل الجحود لا يكون
الا من علم من الجاهل وهذا ليس بصحيح لان الجحود هو الانكار
وقد يكون الانكار للشيء للجهل به وقد يكون بعد المعرفة تعنتا
كذا في شرح التاويلات وذكر في الديوان تعالى جحد حقه
وبحقه بمعنى والواو في واستيقنتها للحال وقد بعدها
مضمرة والاستيقان ابلغ من الايقان انفسهم اي
جحدوها بالسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم
ظلما حال من الضمير في جحدوا واي ظلم افحش من ظلم من
استيقن انها آيات من عند الله تعالى ثم سماها سحرا بينا
وعلوا تكبرا وترفعا عن الايمان بما جاء به موسى فانظر كيف
كان عاقبة المفسدين وهو الاغراق هنا والاحراق ثم
ولقد آتينا اعطينا داود وسليمان علما طائفة من العلم او
علما سنيا عزيزا والمراد علم الدين والحكم وقالا الحمد لله
الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين والاية حجة على
المعتزلة في ترك الاصلح وهنا محذوف ليصح عطف الواو
عليه ولولا تقدير المحذوف لكان الوجه الفاء كقولك
اعطيته فشكر وتقديره آتيناهما علما فعملا به وعرفا
حق النعمة فيه وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير و
الكثير المفضل عليه من لم يؤت علما او من لم يؤت
مثل علمهما وفيه انهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير
وفي الاية دليل على شرف العلم وتقدم حملته واهله وان نعمة العلم من اجل النعم وان من اوتيه فقد اوتي فضلا على كثير من عباده
وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثة الانبياء الا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة لانهم القوام بما بعثوا من اجله وفيها
انه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة ان يحمدوا الله على ما اوتوه وان يعتقد العالم انه فضل على كثير فقد فضل عليهم مثلهم
وما احسن قول عمر رضي الله عنه كل الناس افقه من عمر حتى النساء في البيوت
انتهى المدارك

[illegible]

[illegible]

وورث سليمان داود ورث منه النبوة والملك دون سائر
بنيه وكانوا تسعة عشر قالوا اوتي النبوة مثل ابيه فكأنه
ورثه والا فالنبوة لا تورث وقال يا ايها الناس علمنا
منطق الطير تشهيرا لنعمة الله تعالى واعترافا بمكانها ودعاء
للناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير
والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد و
غير المفيد وكان سليمان عليه السلام يفهم عنها كما يفهم
بعضها عن بعض • وروي انه صاحت فاختة فاخبر انها تقول
ليت ذا الخلق لم يخلقوا • وصاح طاوس فقال يقول كما تدين
تدان • وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبين
وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه • وصاحت
رخمة فقال تقول سبحان ربي الاعلى ملء سماواته وارضه
وصاح قمري فاخبر انه يقول سبحان ربي الاعلى • وقال الحدأ
كل شيء هالك الا الله • والقطاة تقول من سكت سلم
والديك يقول اذكروا الله يا غافلون • والنسر يقول
يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت • والعقاب يقول
في البعد عن الناس انس • والضفدع يقول سبحان ربي
القدوس وأوتينا من كل شيء المراد به كثرة ما اوتي كما
تقول فلان يعلم كل شيء ومثله واوتيت من كل شيء ان هذا
لهو الفضل المبين قول وارد على سبيل الشكر كقوله صلى الله
عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر اي اقول هذا القول
شكرا ولا اقوله فخرا وحشر وجمع لسليمان جنوده من
الجن والانس والطير روي ان معسكره كان مائة فرسخ
في مائة فرسخ خمسة وعشرون للجن وعشرون للانس
فكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة
وسبعمائة سرية • وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب
وابريسم فرسخا في فرسخ • وكان يوضع منبره في وسطه
وهو من ذهب وفضة فيقعد عليه وحوله ستمائة الف كرسي
من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء
على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين
وتظله الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح
الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى انه كان يأمر
الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء تسيره فاوحى الله تعالى
اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك
لا يتكلم احد بشيء الا القته الريح في سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد اوتي آل داود ملكا عظيما فالقته الريح في اذنه
فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله خير مما
اوتي داود فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم اي يوقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي ليكونوا مجتمعين وذلك
للكثرة العظيمة والوزع المنع ومنه قول عثمان رضي الله عنه ما يزع السلطان اكثر مما يزع القرآن انتهى

حتى اذا اتوا على واد النمل اي ساروا حتى اذا بلغوا
وادي النمل وهو واد بالشام كثير النمل وعدى بعلى
لان اتيانهم كان من فوق فاتي بحرف الاستعلاء قالت
نملة عرجاء تسمى طاخية او منذرة عن قتادة
انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا
عما شئتم فساله ابو حنيفة وهو شاب عن نملة سليمان
اكانت ذكرا ام انثى فافحم فقال ابو حنيفة كانت
انثى فقيل له بم عرفت فقال بقوله قالت نملة
ولو كان ذكرا لقال قال نملة وذلك ان النملة مثل الحمامة
في وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو
قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهي يا ايها النمل
ادخلوا مساكنكم ولم تقل ادخلن لانه لما جعلها قائلة و
النمل مقولا لهم كما يكون في اولي العقل اجرى خطابهن مجرى
خطابهم لا يحطمنكم لا يكسرنكم والحطم الكسر وهو نهي مستانف
وهو في الظاهر نهي لسليمن عن الحطم وفي الحقيقة نهي لهن
عن البروز والوقوف على طريقه لا ارينكم هنا اي لا تحضر
هذا الموضع وقيل هو جواب للامر وهو ضعيف يدفعه
نون التاكيد لانه من ضرورات الشعر سليمان وجنوده
قيل ارادت لا يحطمنكم جنود سليمان فجاء بما هو ابلغ وهم
لا يشعرون لا يعلمون بمكانكم اي لو شعروا لم يفعلوا
قالت ذلك على وجه العذر واصفة سليمان و
جنوده بالعدل فسمع سليمان عليه السلام قولها من
ثلثة اميال فتبسم ضاحكا من قولها متعجبا من حذرها
واهتدائها لمصالحها ونصيحتها للنمل وفرحا لظهور عدله
وضاحكا حال مؤكدة لان تبسم بمعنى ضحك واكثر
ضحك الانبياء التبسم كذا قاله الزجاج وقال رب
اوزعني الهمني وحقيقته كفني عن الاشياء الا عن
شكر نعمتك ان اشكر نعمتك التي انعمت علي من النبوة
والملك والعلم وعلى والدي لان الانعام على الوالدين
انعام على الولد وان اعمل صالحا ترضيه في بقية عمري
وادخلني برحمتك اي وادخلني الجنة برحمتك لا بصالح
عملي اذ لا يدخل الجنة احد الا برحمته كما جاء في الحديث
في عبادك الصالحين اي في زمرة انبيائك المرسلين
او مع عبادك الصالحين روي ان النملة احست
بصوت الجنود ولا تعلم انهم في الهواء فامر سليمان الريح
فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا
بالدعوة
ان يخوفن
اسهاه

للكثرة العظيمة والوزع المنع ومنه قول عثمان رضي الله عنه ما يزع السلطان اكثر مما يزع القرآن الناس

وتفقد الطير فقال مالي مكي وعاصم وعلي وغيرهم
بسكون اليا والتفقد طلب ما غاب عنك لا ارى الهدهد
ام كان من الغائبين ام بمعنى بل والمعنى انه تعرف
الطير فلم يجد فيها الهدهد فقال مالي لا اراه على معنى
انه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره او غير ذلك
ثم لاح له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول بل هو
غائب وذكر ان سليمان عليه السلام لما حج خرج الى اليمن فوافى
صنعاء وقت الزوال فنزل ليصلي فلم يجدوا الماء وكان
الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى الماء
في الزجاجة فيستخرج الشياطين الماء فتفقده لذلك وذكر
انه وقعت نفحة من الشمس على راس سليمان فنظر فاذا موضع
الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه
فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به
فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله
فتركته فلما قرب من سليمان ارخى ذنبه وجناحيه يجرهما
على الارض وقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله
فارتعد سليمان وعفا عنه لاعذبنه عذابا شديدا
بنتف ريشه والقائه في الشمس او بالتفريق بينه وبين
الفه او بالزامه خدمة اقرانه او بالحبس مع اضداده
وعن بعضهم اضيق السجون معاشرة الاضداد او بايداعه
القفص او بطرحه بين يدي النمل ليأكله وحل له
تعذيب الهدهد لما رأى فيه من المصلحة كما حل ذبح البهائم
والطيور للاكل وغيره من المنافع واذا سخر له الطير
ولم يتم التسخير الا بالتأديب حل له التأديب والسياسة
او لاذبحنه او ليأتيني بالنون الثقيلة ليشاكل قوله
لاعذبنه وحذف نون العماد للتخفيف ليأتينني بنونين
مكي الاولى للتأكيد والثانية للعماد بسلطان مبين
بحجة له فيها عذر ظاهر على غيبته فمكث الهدهد بعد تفقد
سليمان اياه وبضم الكاف غير عاصم وسهل ويعقوب
وهما لغتان غير بعيد اي مكثا غير طويل او غير زمان بعيد
كقولك عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على
اسراعه خوفا من سليمان فلما رجع سأله عما لقي في غيبته
فقال احطت علمت شيئا من جميع جهاته بما لم تحط به الهم الله
الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام مع ما اوتي من فضل النبوة
والعلوم الجمة ابتلاء له في علمه وفيه دليل بطلان قول الرافضة
ان الامام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه اعلم منه

وجئتك من سبإ غير منصرف ابو عمرو وجعله اسماً
للقبيلة او المدينة وغيره بالتنوين جعله اسماً للحي
او للاب الاكبر بنبإ يقين والنبأ الخبر الذي له شأن
وقوله من سبإ بنبإ من محاسن الكلام ويسمى البديع
وقد حسن وبدع لفظاً ومعنى ههنا الا ترى انه لو وضع
مكان بنبإ بخبر لكان المعنى صحيحاً وهو كما جاء اصح
لما في النبإ من الزيادة التي يطابقها وصف الحال
اني وجدت امرأة هي بلقيس بنت شراحيل وكان ابوها
ملك ارض اليمن ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك
وكانت هي وقومها مجوساً يعبدون الشمس والضمير في
تملكهم راجع الى سبإ على تأويل القوم او اهل المدينة
واوتيت حال وقد مقدرة من كل شيء من اسباب الدنيا
ما يليق بحالها ولها عرش عظيم سرير كبير قيل كان ثمانين
ذراعاً في ثمانين ذراعاً وطوله في الهواء ثمانين ذراعاً
وكان من ذهب وفضة وكان مرصعاً بانواع الجواهر و
قوائمه من ياقوت احمر واخضر ودر وزمرد وعليه
سبعة ابيات وعلى كل بيت باب مغلق واستصغر
حالها لحاله بالنظر الى حال سليمان فاستعظم عرشها لذلك
وقد اخفى الله تعالى على سليمان ذلك لمصلحة رآها كما اخفى مكان
يوسف على يعقوب وجدتها وقومها يسجدون للشمس من
دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل
اي سبيل التوحيد فهم لا يهتدون الى الحق ولا يبعد
من الهدهد التهدي الى معرفة الله تعالى ووجوب السجود له
وحرمة السجود للشمس الهاماً من الله تعالى له كما الهمه وغيره
من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي
لا يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون اليها
الا يسجدوا بالتشديد اي فصدهم عن السبيل لئلا
يسجدوا فحذف الجار مع ان وادغمت النون في
اللام ويجوز ان يكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم
لا يهتدون الى ان يسجدوا وبالتخفيف يزيد وعلي
وتقديره الا يا هؤلاء اسجدوا فالا للتنبيه ويا حرف
النداء ومناداه محذوف فمن شدد لم يقف
الا على العرش العظيم ومن خفف وقف على فهم
لا يهتدون ثم ابتداء الا يا اسجدوا او وقف
على الا يا ثم ابتدا اسجدوا وسجدة التلاوة واجبة
في القراءتين جميعاً بخلاف ما يقوله الزجاج انه لا يجب السجود مع التشديد لان مواضع السجدة اما امر بها او مدح
للآتي بها او ذم لتاركها واحدى القراءتين امر والاخرى ذم للتارك لله الذي يخرج الخبء سمي المخبوء بالمصدر
في السموات والارض قتادة خبء السموات المطر وخبء الارض النبات ويعلم ما يخفون وما يعلنون وبالتاء فيهما علي
وحفص الخ

[illegible]

الله لا اله الا هو رب العرش العظيم وصف الهدهد عرش الله
بالعظم تعظيم له بالنسبة الى سائر ما خلق من السموات
والارض ووصفه عرش بلقيس تعظيم له بالاضافة الى
عروش ابناء جنسها من الملوك الى هنا كلام الهدهد
فلما فرغ من كلامه قال سليمان للهدهد سننظر من النظر
الذي هو التأمل أصدقت فيما أخبرت أم كنت من الكاذبين
وهذا ابلغ من أم كذبت لانه اذا كان معروفا بالانخراط
في سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة واذا كان كاذبا
اتهم بالكذب فيما أخبر به فلا يوثق به ثم كتب سليمان
كتابا صورته من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس
ملكة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من
اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا على وأتوني مسلمين
وطبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد اذهب
بكتابي هذا فألقه بسكون الهاء تخفيفا ابو عمرو
وعاصم وحمزة وبكسرها مختلسة ليدل الكسرة على الياء
المحذوفة يزيد وقالون ويعقوب فألقه باثباتها الياء غيرهم
اليهم الى بلقيس وقومها لانه ذكرهم معها في قوله وجدتها
وقومها في قوله وجدتها وقومها يسجدون للشمس وبنى الخطاب
في الكتاب على لفظ الجمع لذلك ثم تول عنهم تنح عنهم الى
مكان قريب بحيث تراهم ولا يرونك ليكون ما يقولونه
بمسمع منك فانظر ماذا يرجعون ما الذي يردونه من
الجواب فأخذ الهدهد الكتاب بمنقاره ودخل عليها
من كوة فطرح الكتاب على نحرها وهي راقدة وتوارى
في الكوة فانتبهت فزعة او اتاها والجنود حواليها
فرفرف ساعة فألقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة
فلما رأت الخاتم قالت لقومها خاضعة خائفة يا ايها الملأ
اني وبفتح الياء مدني ألقي الي كتاب كريم حسن مضمونه
وما فيه او مختوم قال صلى الله عليه وسلم كرم الكتاب
ختمه وقيل من كتب الى اخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف
او مصدر ببسم الله الرحمن الرحيم هو تبيين لما ألقي
اليها كأنها لما قالت اني ألقي الي كتاب كريم قيل لها من
وما هو فقالت انه من سليمان وانه كيت كيت وأن في
أن لا تعلوا لا ترفعوا علي ولا تتكبروا كما يفعل الملوك
مفسرة كقوله وانطلق الملأ منهم أن امشوا اي امشوا
وأتوني مسلمين مؤمنين منقادين وكتب الانبياء مبنية
على الايجاز والاختصار انتهى

قالت يا ايها الملا افتوني في امري اشيروا واجيلوا في الامر
الذي لي والفتوى الجواب في الحادثة اشتقت
على طريق الاستعارة من الفتاء في السن والمراد
الاشارة عليها بما عندهم من الراي وقصدها بالرجوع
الي استشارتهم تطييب نفوسهم ليمالئوها و
يقوموا معها ما كنت قاطعة امرا فاصلة وممضية
حكما حتى تشهدون بكسر النون والفتح لحن لان
النون انما تفتح في موضع الرفع وهنا موضع النصب
واصله تشهدونني فحذفت النون الاولى للنصب
والياء لدلالة الكسرة عليها وبالياء في الوصل و
الوقف يعقوب اي تحضروني او تشيروا علي
او تشهدوا انه صواب اي لا ابت امرا الا
بمحضركم • وقيل كان اهل مشورتها ثلثمائة و
ثلثة عشر رجلا مع كل واحد على عشرة آلاف
قالوا مجيبين لها نحن اولوا قوة واولوا باس شديد
ارادوا بالقوة قوة الاجساد والآلات وبالباس
النجدة والبلاد في الحرب والامر اليك فانظري ماذا
تامرين اي هو موكول اليك ونحن مطيعون لك
فمرينا بامرك نطعك ولا نخالفك كانهم اشاروا
عليها بالقتال • او ارادوا نحن من ابناء الحرب
لا من ابناء الراي والمشورة وانت ذات الراي
والتدبير فانظري ماذا ترين نتبع رايك
فلما احست منهم الميل الى المحاربة مالت الى المصالحة
ورتبت الجواب فزيفت اولا ما ذكروه واريتهم
الخطاء فيه حيث قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية
عنوة وقهرا افسدوها خربوها وجعلوا اعزة
اهلها اذلة اذلوا اعزتها واهانوا اشرافها و
قتلوا واسروا فذكرت لهم سوء مغبة الحرب
ثم قالت وكذلك يفعلون ارادت رهن عادتهم
المستمرة التي لا تتغير لانها كانت في بيت الملك
القديم فسمعت نحو ذلك ورات • ثم ذكرت بعد
ذلك حديث الهدية وما رات من الراي السديد
وقيل هو تصديق من الله لقولها • واحتج الساعي
في الارض بالفساد بهذه الآية • ومن استباح حراما
فقد كفر فاذا احتج له بالقرآن على وجه التحريف
فقد جمع بين كفرين انتهى

وانى مرسلة اليهم رسلا بهدية فناظرة فمنتظرة بم اى بما
ثم ان الالف تحذف مع حرف الجر فى ما الاستفهامية
يرجع المرسلون بقبولها ام بردها لانها عرفت عادة
الملوك وحسن مواقع الهدايا عندهم فان كان ملكا
قبلها وانصرف وان كان نبيا ردها ولم يرض منا الا
ان نتبعه على دينه فبعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب
الجوارى وحليهن راكبى خيل مغشاة بالديباج محلاة
اللجم والسرج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية
على رماك فى زى الغلمان والف لبنة من فضة وتاجا
مكللا بالدر والياقوت وحقا فيه درة عذراء
وجزعة معوجة الثقب وبعثت رسلا وامرت عليهم
المنذر بن عمرو بدليل قوله بم يرجع المرسلون وكتبت كتابا
فيه نسخة الهدايا وقالت فيه ان كنت نبيا فميز بين الوصفاء
والوصائف واخبر بما فى الحقة وانقب الدرة ثقبا مستويا
واسلك فى الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك
نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك منظره وان رايته
بشا لطيفا فهو نبى فاقبل الهدهد فاخبر سليمان كله
الخبر فامر سليمان الجن فضربوا لبنات الذهب والفضة
وفرشوها فى ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا
حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة وامر
باحسن الدواب فى البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان
ويساره على اللبنات وامر باولاد الجن وهم خلق كثير
فاقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسى
من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس
صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام
كذلك ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم سليمان بوجه طلق
فاعطوه كتاب الملكة فنظر فيه فقال اين الحق فامر الارضة
فاخذت شعرة ونفذت فى الدرة واخذت دودة بيضاء
الخيط بفيها ونفذت فيها ودعا بالماء وكانت الجارية تاخذ
الماء بيدها فتجعله فى الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام
كما ياخذ يضرب به وجهه فلما جاء رسولها المنذر بن عمرو
سليمان قال اتمدونن بمال بنونين وبياء فى الوصل
والوقف مكى وسهل وافق مدنى بلا ياء فيهما والخطاب للرسل
فما آتانى الله من النبوة والملك والنعمة وبفتح الياء مدنى وابو عمرو
وحفص خير مما آتاكم من زخارف الدنيا بل انتم بهديتكم تفرحون
الهدية اسم المهدى كما ان العطية اسم المعطى فتضاف الى
المهدى والمهدى له تقول هذه هدية فلان تريد هى التى
اهداها او المهدية اليه والمعنى

والمعنى ان ما عندى خير مما عندكم وذلك ان الله تعالى آتانى الدين فيه الحظ الوافر والغنى الاوسع وآتانى من الدنيا
ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلى بان يمد بمال بل انتم قوم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فلذلك تفرحون
بما تزادون ويهدى اليكم لان ذلك مبلغ همتكم وحالى خلاف حالكم وما ارضى منكم بشيء ولا افرح به الا بالايمان
وترك المجوسية والفرق بين قولك اتمدننى بمال وانا اغنى منك وبين ان تقوله بالفاء انى اذا قلته بالواو
جعلت مخاطبى عالما بزيادتى عليه فى الغنى وهو مع ذلك يمدنى بالمال واذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت
عليه حالى فانا اخبره الساعة بما لا احتاج معه الى امداده كانى اقول له انكر عليك ما فعلت فانى غنى عنه
وعليه ورد فما آتانى الله خير ووجه الاضراب انه لما انكر عليهم الامداد وعلل انكاره اضرب عن ذلك الى
بيان السبب الذى حملهم عليه وهو انهم لا يعرفون سبب رضى ولا فرح الا ان يهدى اليهم حظ من الدنيا التى
لا يعلمون غيرها انتهى المدارك

ارجع خطاب للرسول او للهدهد محملا كتابا آخر اليهم
الى بلقيس وقومها فلنأتينهم بجنود لا قبل لا طاقة لهم بها
وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة اي لا يقدرون ان
يقابلوهم ولنخرجنهم منها من سبا اذلة وهم صاغرون
الذل ان يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك والصغار
ان يقعوا في اسر واستعباد فلما رجع اليها رسولها بالهدايا
وقص عليها القصة قالت هو نبي وما لنا به طاقة ثم جعلت
عرشها في آخر سبعة ابيات وغلقت الابواب ووكلت
به حراسا يحفظونه وبعثت الى سليمان اني قادمة اليك
لانظر ما الذي تدعو اليه وشخصت اليه اثني عشر الف قيل
تحت كل قيل الوف فلما بلغت على راس فرسخ من سليمان
قال يا ايها الملأ ايكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين
اراد ان يريها بذلك بعض ما خصه الله به وعلى ما يشهد
لنبوة سليمان عليه السلام او اراد ان يأخذه قبل ان تسلم
لعلمه انها اذا اسلمت لم يحل له اخذ مالها وهذا بعيد عند اهل
التحقيق او اراد ان يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر أتثبته
ام تنكره اختبارا لعقلها قال عفريت من الجن وهو الخبيث
المارد واسمه ذكوان انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك
مجلس حكمك وقضائك واني عليه على حمله لقوي امين
آتي به كما هو لا اختزل منه شيئا ولا ابدله فقال سليمان
اريد اعجل من هذا قال الذي عنده علم من الكتاب
اي ملك بيده كتاب المقادير ارسله الله عند قول العفريت
او جبريل عليه السلام والكتاب على هذا اللوح المحفوظ
او الخضر عليه السلام • او آصف بن برخيا كاتب سليمان عليه السلام
وهو الاصح وعليه الجمهور وكان عنده اسم الله الاعظم الذي
اذا دعي به اجاب • وهو يا حي يا قيوم • او يا ذا الجلال والاكرام
او يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا اله الا انت • وقيل
كان له علم بمجاري الغيوب الهاما انا آتيك به بآتيك
وآتيك في الموضعين يجوز ان يكون فعلا او اسم فاعل
ومعنى قوله قبل ان يرتد اليك طرفك انك ترسل
طرفك الى شيء فقبل ان ترده ابصرت العرش بين
يديك ويروى ان آصف قال لسليمان مد عينيك
حتى ينتهي طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن فدعا
آصف فغار العرش في مكانه ثم نبع عند سليمان
بقدرة الله قبل ان يرتد طرفه انتهى

فلما رآه اى العرش **مستقرا عنده** ثابتا لديه غير مضطرب **قال هذا**
اى حصول مرادى وهو حضور العرش فى مدة ارتداد الطرف
من فضل ربى على واحسانه الى بلا استحقاق منى بل هو فضل خال
عن العوض صاف عن الغرض **ليبلونى** ليمتحننى **ءأشكر** انعامه
أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه يحط به عنها عبء الو
ويصونها عن سمة الكفران وتستجلب به المزيد وترتبط به النعمة
فالشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة وفى
كلام بعضهم ان كفران النعمة بوار وقلما اقشعت نافرة
فرجعت فى نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم
راهنها بكرم الجوار واعلم ان سبوغ ستر الله متقلص
عما قريب اذا انت لم ترج لله وقارا اى لم تشكر لله
نعمة **ومن كفر** بترك الشكر على النعمة **فان ربى غنى** عن الشكر
كريم بالانعام على من يكفر نعمته قال الواسطى ما كان منا من
الشكر فهو لنا وما كان منه من النعمة فهو الينا وله المنة والفضل
قال نكروا لها عرشها غيروا اى اجعلوا مقدمه مؤخره واعلاه
اسفله **ننظر** بالجزم على الجواب **أتهتدى** الى معرفة عرشها
او للجواب الصواب اذا سئلت عنه **أم تكون من الذين لا يهتدون**
فلما جاءت بلقيس **قيل أهكذا عرشك** ها للتنبيه والكاف
للتشبيه وذا اسم الاشارة ولم يقل أهذا عرشك ولكن أمثل
عرشك لئلا يكون تلقينا **قالت كأنه هو** فاجابت احسن جواب
فلم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع
فى المحتمل للامرين او لما شبهوا عليها بقولهم اهكذا عرشك شبهت
عليهم بقولها كأنه هو مع انها علمت عرشها **وأوتينا العلم من قبلها**
من كلام بلقيس اى واوتينا العلم بقدرة الله وبصحة نبوتك
بالآيات المتقدمة من امر الهدهد والرسل من قبل هذه المعجزة
اى احضار العرش او من قبل هذه الحالة **وكنا مسلمين** منقادين لك
مطيعين لامرك او من كلام سليمان وملائه عطفوا على كلامها قولهم
واوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها
او واوتينا العلم باسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها
وكنا مسلمين موحدين خاضعين **وصدها ما كانت تعبد من**
دون الله متصل بكلام سليمان اى وصدها عن العلم بما علمناه او عن
التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشوءها بين ظهرانى الكفرة
ثم بين نشأها بين الكفرة بقوله **انها كانت من قوم كافرين** او كلام
مبتدأ اى قال الله وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها
عن سواء السبيل او صدها الله او سليمان عما كانت تعبد
بتقدير حذف الجار وايصال الفعل انتهى

قيل لها ادخلي الصرح القصر او صحن الدار فلما رأته حسبته
لجة ماء عظيما وكشفت عن ساقيها بالهمز مكي
روي ان سليمان عليه السلام امر قبل قدومها فبني له على
طريقها قصر من زجاج ابيض واجري من تحته الماء و
القي فيه السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه
وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها
استعظاما لامره وتحققا لنبوته وقيل ان الجن كرهوا
ان يتزوجها فتفضي اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية
وقيل خافوا ان يولد له منها ولد تجتمع له فطنة الجن
والانس فيخرجون من ملك سليمان الى ملك هو اشد منه
فقالوا له ان في عقلها شيئا من الخفة وهي شعراء الساقين
ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ
الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فكشفت عنهما فاذا هي
احسن الناس ساقا وقدما الا انها شعراء فصرف بصره
ثم قال لها انه صرح ممرد مملس مستو ومنه الامرد
من قوارير من الزجاج واراد سليمان تزوجها فكره شعرها
فعملت له الشياطين النورة فازالته فنكحها سليمان واحبها
واقرها على ملكها وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها
ثلثة ايام وولدت له قالت رب اني ظلمت نفسي بعبادة الشمس
واسلمت مع سليمان لله رب العالمين قال المحققون لا يحتمل
ان يحتال سليمان لينظر الى ساقيها وهي اجنبية فلا يصح القول
بمثله فلما مات سليمان وتبينت الجن موت سليمان عليه السلام
اقبل رجل منهم حتى اذا كان في جوف الليل صرخ باعلى صوته يا معشر
الجن ان سليمان قد مات فارفعوا ايديكم فرفعوا وتفرقوا
وانقضى ملك بلقيس وسليمان عليه السلام ولقد ارسلنا
الى ثمود اخاهم في النسب صالحا بدل ان اعبدوا بكسر
النون في الوصل عاصم وحمزة وبصري وبضم النون
غيرهم اتباعا للباء والمعنى بان اعبدوا الله وحده فاذا
للمفاجأة هم مبتدأ فريقان خبر يختصمون صفة وهي
العامل في اذا والمعنى فاذا قوم صالح فريقان مؤمن به
وكافر به يختصمون فيقول كل فريق الحق معي وهو مبين
في قوله قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين
استضعفوا لمن آمن منهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه
قالوا انا بما ارسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذي
آمنتم به كافرون وقال الفريق الكافر يا صالح ائتنا بما
تعدنا ان كنت من المرسلين قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة بالعذاب الذي توعدون به قبل الحسنة قبل التوبة لولا
هلا تستغفرون الله تطلبون المغفرة من كفركم بالتوبة والايمان قبل نزول العذاب بكم لعلكم ترحمون بالاجابة
اسمى

قالوا اطيرنا بك تشاءمنا بك لانهم قحطوا عند مبعثه
لتكذيبهم فنسبوه الى مجيئه • والاصل تطيرنا وقرئ به
فادغمت التاء في الطاء وزيدت الالف لسكون الطاء
وبمن معك من المؤمنين قال طائركم عند الله اى سببكم الذي
يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته
او عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة
لكم وفتنة • ومنه وكل انسان الزمناه طائره في عنقه
واصله ان المسافر اذا مر بطائر فيزجره فان مر سانحا
تيمن وان مر بارحا تشاءم فلما نسبوا الخير والشر الى
الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله تعالى وقسمته
او من عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والنقمة بل انتم
قوم تفتنون تختبرون او تعذبون بذنبكم وكان في المدينة
مدينة ثمود وهي الحجر تسعة رهط هو جمع لا واحد له
فلذا جاز تمييز التسعة به فكانه قيل تسعة انفس وهو من
الثلثة الى العشرة عن ابن دريد واسمهم قدار بن سالف
وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا ابناء اشرافهم يفسدون
في الارض ولا يصلحون يعني ان شانهم الافساد البحت
الذي لا يخلط بشيء من الصلاح كما ترى بعض المفسدين
قد يندر منه الصلاح • وعن الحسن يظلمون الناس ولا يمنعون
الظالمين من الظلم • وعن ابن عطاء يتبعون معايب الناس
ولا يسترون عوراتهم قالوا تقاسموا بالله يحتمل الخبر
محل الحال باضمار قد اى قالوا متقاسمين او امر اى امر
بعضهم بعضا بالقسم لنبيتنه لنقتلنه بياتا اى ليلا
واهله ولده وتبعه ثم لنقولن لوليه اى لولي دمه
لتبيتنه بالتاء • وضم التاء الثانية ثم لتقولن بالتاء
وضم اللام حمزة وعلي ما شهدنا ما حضرنا مهلك اهله حفص
مهلك ابو بكر وحماد والمفضل فالاول من هلك موضع الهلاك
والثاني المصدر مهلك غيرهم من اهلك وهو الاهلاك او مكان
الاهلاك اى لم نتعرض لاهله فكيف تعرضنا له او ما حضرنا
موضع هلاكه فكيف توليناه وانا لصادقون ومكروا مكرا
ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون مكرهم ما اخفوه من تدبير الفتك
بصالح واهله ومكر الله اهلاكهم من حيث لا يشعرون • شبه
بمكر الماكر على سبيل الاستعارة روى انه كان لصالح مسجد
بالحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلث
فنحن نفرغ منه بالقتل قبل الثلث فخرجوا الى الشعب وقالوا
اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله
صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم
الشعب فلم يدر قومهم اين هم ولم يدروا ما فعل بهم بقومهم وعذب الله كلا منهم في مكانه
ونجي صالحا ومن معه اسى

فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم بفتح الالف كوفي
وسهل وبكسرها غيرهم على الاستيناف ومن فتحه رفعه على انه
بدل من العاقبة او خبر مبتدا محذوف تقديره هي تدميرهم
او نصبه على معنى لانا او على انه خبر كان اي كان عاقبة
امرهم الدمار وقومهم اجمعين بالصيحة فتلك بيوتهم
خاوية ساقطة منهدمة من خوى النجم اذا سقط
او خالية من الخواء وهي حال عمل فيها ما دل عليه تلك
بما ظلموا بظلمهم ان في ذلك فيما فعل بثمود لآية لقوم يعلمون
قدرتنا فيتعظون وانجينا الذين امنوا بصالح وكانوا
يتقون ترك اوامره وكانوا اربعة آلاف نجوا مع صالح
من العذاب لانهم كانوا متقين الكفر والمعاصي وروى ابو داود
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا عملت الخطيئة في الارض
من شهدها فكرهها كان كمن غاب عنها ومن غاب عنها
فرضيها كان كمن شهدها ولوطا اذ قال واذكر لوطا
واذ بدل من لوطا اي واذكر وقت قول لوط لقومه
أتأتون الفاحشة اي اتيان الذكور وانتم تبصرون
تعلمون انها فاحشة لم تسبقوا اليها من بصر القلب او
يرى ذلك بعضهم من بعض لانهم كانوا يرتكبونها في ناديهم
معالنين بها لا يتستر بعضهم من بعض مجانة وانهماكا
في المعصية او تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم
ثم صرح فقال أئنكم بهمزتين كوفي وشامي لتأتون الرجال
شهوة للشهوة من دون النساء اي ان الله تعالى انما خلق
الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للانثى
فهي مضادة الله تعالى في حكمته بل انتم قوم تجهلون
تفعلون فعل الجاهلين بانها فاحشة مع علمكم بذلك
او اريد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها
وقد اجتمع الخطاب والغيبة في قوله بل انتم قوم تجهلون
وبل انتم قوم تفتنون فغلب الخطاب على الغيبة
لانه اقوى اذ الاصل ان يكون الكلام بين الحاضرين اسمى

فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط اي لوطا
ومتبعيه فخبر كان جواب واسمه ان قالوا من قريتكم انهم
اناس يتطهرون يتنزهون عن القاذورات وينكرون
هذا العمل القذر ويغيظنا انكارهم وقيل هو استهزاء
كقوله انك لانت الحليم الرشيد فانجيناه فخلصناه من
العذاب الواقع بالقوم واهله الا امرأته قدرناها
بالتشديد سوى حماد وابي بكر اي قدرنا كونها من الغابرين
من الباقين في العذاب وامطرنا عليهم مطرا حجارة مكتوبا
عليها اسم صاحبها فساء مطر المنذرين الذين لم يقبلوا
الانذار قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى
امر رسوله صلى الله عليه وسلم بتحميده ثم بالسلام على
المصطفين من عباده توطئة لما يتلوه من الدلالة
على وحدانيته وقدرته على كل شيء وهو تعليم لكل مسلم
في كل امر ذي بال بان يتبرك بهما ويستظهر بمكانهما
او خطاب للوط عليه السلام ان يحمد الله على هلاك
كفار قومه ويسلم من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم
وعصمه من ذنوبهم آلله خير اما يشركون بالياء بصري
وعاصم ولا خير فيما اشركوه اصلا حتى يوازن بينه و
بين من هو خالق كل شيء وانما هو الزام لهم وتهكم بحالهم
وذلك انهم آثروا عبادة الاصنام على عبادة الله تعالى
ولا يؤثر عاقل شيئا على شيء الا لداع يدعوه الى ايثاره
من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بانه لا خير
فيما آثروه وانهم لم يؤثروه لزيادة الخير ولكن هوى
وعبثا لينبهوا على الخطأ المفرط والجهل المورط وليعلموا
ان الايثار يجب ان يكون للخير الزائد وكان صلى الله عليه وسلم
اذا قرأها قال بل الله خير وابقى واجل واكرم وفي الاية
تنبيه على ان جميع ما في الدنيا من الخير والشر والنفع والضر
يمضي الا ان الخير يبقى له في الآخرة اجر جزيل وفي الدنيا
ذكر جميل وان الله ينصر انبياءه ويعين اولياءه فالخير ابقى
وان طال الزمان والشر اخبث ما اوعيت من زاد
ثم عدد سبحانه دلائل الخيرات والمنافع اي صفات
التي هي آثار رحمته وفضله فقال امن خلق السموات
والارض والفرق بين ام وام في اما يشركون وامن خلق
ان تلك متصلة اذ المعنى ايهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة
ولما قال الله خير ام الالهة قال بل امن خلق السموات
والارض خير تقريرا لهم بان من قدر على خلق العالم خير
من جماد لا يقدر على شيء وانزل لكم من السماء ماء

وأنزل لكم من السماء ماء مطراً فأنبتنا صرف الكلام عن الغيبة
إلى التكلم تأكيداً لمعنى اختصاص الفعل بذاته وإيذاناً بأن إنبات
الحدائق المختلفة الأصناف والألوان والطعوم والأشكال مع
حسنها بماء واحد لا يقدر عليه إلا هو وحده به بالماء حدائق
بساتين والحديقة البستان وعليه حائط من الإحداق
وهو الإحاطة ذات ولم يقل ذوات لأن المعنى جماعة حدائق
كما تقول النساء ذهبت بهجة حسن لأن الناظر يبتهج به
ثم رشح معنى الاختصاص بقوله ما كان لكم أن تنبتوا
شجرها ومعنى الكينونة الانبغاء أراد أن تأتي ذلك
محال من غيره أإله مع الله أغيره يقرن به ويجعل شريكاً له
بل هم قوم يعدلون به غيره أو يعدلون عن الحق الذي
هو التوحيد بل هم بعد الخطاب أبلغ في تخطئة رأيهم
أمن جعل الأرض وما بعده بدل من أمن خلق فكان
حكمها حكمه قراراً دحيها وسويها للاستقرار عليها وجعل خلالها
ظرف أي وسطها وهو المفعول الثاني والأول أنهاراً
وبين البحرين مثله وجعل لها للأرض رواسي جبالاً
تمنعها عن الحركة وجعل بين البحرين العذب والمالح
حاجزاً مانعاً أن يختلطا أإله مع الله بل أكثرهم
لا يعلمون التوحيد فلا يؤمنون أمن يجيب المضطر
إذا دعاه الاضطرار افتعال من الضرورة وهي الحالة المحوجة
إلى اللجاء يقال اضطره إلى كذا والفاعل والمفعول مضطر
والمضطر الذي أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل
الدهر إلى اللجاء والتضرع إلى الله أو المذنب إذا استغفر
أو المظلوم إذا دعا أو من رفع يديه ولم ير لنفسه حسنة
غير التوحيد وهو منه على خطر ويكشف السوء الضر
أو الجور ويجعلكم خلفاء الأرض أي فيها وذلك توارثهم
سكناها والتصرف فيها قرناً بعد قرن أو أراد بالخلافة
الملك والتسلط أإله مع الله قليلاً ما تذكرون
وبالياء أبو عمرو وبالتخفيف حمزة وعلي وحفص و
ما مزيدة أي تذكرون تذكراً — اسى

أمّن يهديكم يرشدكم بالنجوم في ظلمات البر والبحر ليلا وبعلامات
في الأرض نهارا ومن يرسل الرياح الريح مكي وحمزة وعلي
بشرا من البشارة وقدّم بين يدي رحمته
قدام المطر أإله مع الله تعالى الله عما يشركون أمّن
يبدأ الخلق ينشئ الخلق ثم يعيده وانما قيل لهم ثم
يعيده وهم منكرون للاعادة لانه ازيحت علتهم بالتمكين
من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر في الانكار ومن يرزقكم
من السماء المطر والأرض اي ومن الارض النبات أإله مع
الله قل هاتوا برهانكم حجتكم على اشراككم ان كنتم صادقين
قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله من
فاعل يعلم والغيب وهو ما لم يقم عليه دليل ولا اطلع
عليه مخلوق مفعوله والله بدل من مَن والمعنى لا يعلم
احد الغيب الا الله ثم ان الله تعالى عن ان يكون
ممن في السموات والارض ولكنه جاء على لغة بني تميم
حيث يجرون الاستثناء المنقطع مجرى المتصل ويجيزون
النصب والبدل في المنقطع كما في المتصل ويقولون ما في الدار
احد الا حمار قالت عائشة رضي الله عنها من زعم انه يعلم
ما في غد فقد اعظم على الله الفرية اي الافتراء والله تعالى
يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله و
ما يشعرون وما يعلمون أيان متى يبعثون ينشرون
بل ادّارك مكي وبصري ويزيد والمفضل اي انتهى و
تكامل من ادركت الفاكهة تكاملت نضجا بل ادّارك
عن الاعشى افتعل بل ادّارك غيرهم اي استحكم واصله
تدارك فادغمت التاء في الدال وزيد الف الوصل ليمكن
التكلم بها علمهم في الآخرة اي في شان الآخرة ومعناها
والمعنى ان اسباب استحكام العلم وتكامله بان القيمة
كائنة قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون
جاهلون وذلك قوله بل هم في شك منها بل هم منها عمون
والاضرابات الثلث تنزيل لاحوالهم وتكرير لجهلهم
وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون
بان القيمة كائنة ثم بانهم يخبطون في شك ومرية
فلا يزيلونه والازالة مستطاعة ثم بما هو اسوء حالا
وهو العمى وقد جعل الآخرة مبدأ عماهم ومنشاءه فلذا
عدّاه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي
منعهم عن التدبر والتفكر ووجه ملاءمة مضمون هذه الآية
وهي وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام اسباب العلم
والتمكن من المعرفة بما قبله وهو اختصاصه تعالى بعلم الغيب وان
العباد لا علم لهم بشيء منه انه لما ذكر ان العباد لا يعلمون ○

الغيب كان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به أن عندهم عجزا أبلغ منه وهو انهم يقولون للكائن الذي
لا بد من كونه وهو وقت جزاء اعمالهم لا يكون مع ان عندهم اسباب معرفة كونه واستحكام العلم به وجاز أن يكون
وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكما بهم كما تقول لاجهل الناس ما اعلمك على سبيل الهزء وذلك حيث شكوا
وعموا عن اثباته الذي الطريق الى علمه مسلوك فضلا ان يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته ○ ويجوز
ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفنى من قولك ادركت الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسرها الحسن رحمه
باضمحل علمهم في الآخرة وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك انتهى المدارك

وقال الذين كفروا أإذا كنا ترابا وآباؤنا أإنا لمخرجون
من قبورنا احياء وتكرير حرف الاستفهام في اذا وان في
قراءة عاصم وحمزة وخلف انكار بعد انكار وجحود عقيب
جحود ودليل على كفر مؤكد مبالغ فيه والعامل في اذا
ما دل عليه لمخرجون وهو نخرج لان اسم الفاعل والمفعول
بعد همزة الاستفهام او ان او لام الابتداء لا يعمل فيما قبله
فكيف اذا اجتمعن والضمير في اننا لهم ولآبائهم لان كونهم
ترابا قد تناولهم وآباءهم لكنه غلبت الحكاية على الغايب
وآباؤنا عطف على الضمير في كنا لان المفعول جرى مجرى التوكيد
لقد وعدنا هذا اي البعث نحن وآباؤنا من قبل من قبل محمد
صلى الله عليه وسلم قدم هنا هذا على نحن وآباؤنا وفي المؤمنون
قدم نحن وآباؤنا على هذا ليدل على ان المقصود بالذكر
هو البعث هنا وثم المبعوث ان هذا الا اساطير الاولين
ما هذا الا احاديثهم واكاذيبهم قل سيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين اي آخر امر الكافرين
وفي ذكر الاجرام لطف بالمسلمين بترك الجرائم كقوله فدمدم
عليهم ربهم بذنبهم وقوله مما خطاياهم اغرقوا ولا تحزن
عليهم لاجل انهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا ولا تكن
في ضيق في حرج صدر مما يمكرون من مكرهم وكيدهم لك
فان الله يعصمك من الناس يقال ضاق الشيء ضيقا
بالفتح وهو قراءة غير ابن كثير وبالكسر وهو قراءته ويقولون
متى هذا الوعد اي وعد العذاب ان كنتم صادقين
ان العذاب نازل بالمكذب قل عسى ان يكون ردف
لكم بعض الذي تستعجلون استعجلوا العذاب الموعود
فقيل لهم عسى ان يكون ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر
فزيدت اللام للتاكيد كالباء في ولا تلقوا بايديكم
او ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وازف لكم
ومعناه تبعكم ولحقكم وعسى ولعل وسوف في وعد
الملوك ووعيدهم يدل على صدق الامر وجده
فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده وان ربك
لذو فضل اي افضال على الناس بترك المعاجلة بالعذاب
ولكن اكثرهم لا يشكرون اي اكثرهم لا يعرفون حق النعمة
فيه ولا يشكرونه فيستعجلون العذاب بجهلهم انتهى

وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون
يظهرونه من القول فليس تاخير العذاب عنهم لخفاء حالهم
ولكن له وقت مقدر او انه يعلم ما يخفونه وما يعلنون
من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكايدهم وهو
معاقبهم على ذلك بما يستحقونه وقرئ تكن يقال كننت
الشيء واكننته اذا سترته واخفيته وما من غائبة
في السماء والارض الا في كتاب مبين سمي الشيء الذي يغيب
ويخفى غائبة وخافية والتاء فيهما كالتاء في العافية
العاقبة ونظائرهما الرمية والذبيحة والنطيحة في
اسماء غير صفات ويجوز ان تكونا صفتين وتاوهما للمبالغة
كالراوية كانه قال وما من شيء شديد الغيبوبة الا وقد
علمه الله واحاط به واثبته في اللوح المحفوظ والمبين
الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة ان هذا القران
يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون اي يبين لهم
فانهم اختلفوا في المسيح فتحزبوا فيه احزابا ووقع بينهم
التناكر في اشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل
القران ببيان ما اختلفوا فيه ولو انصفوا واخذوا به
واسلموا يريد اليهود والنصارى وانه وان القران لهدى
ورحمة للمؤمنين لمن انصف منهم وامن اي من بني اسرائيل
او منهم ومن غيرهم ان ربك يقضي بينهم بين من امن
بالقران ومن كفر به بحكمه بعدله لانه لا يقضي الا بالعدل
فسمي المحكوم به حكما او بحكمته ويدل عليه قراءة من قرا
بحكمه جمع حكمة وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم
بمن يقضي له وبمن يقضي او العزيز في انتقامه من
المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين فتوكل على الله
امره بالتوكل عليه وقلة المبالاة باعدائه انك
على الحق المبين وعلل التوكل بانه على الحق الابلج وهو
الدين الواضح الذي لا يتعلق به شك وفيه بيان ان
صاحب الحق حقيق بالوثوق على الله وبنصرته فالعاقبة
لك بالنصر على الكفار انتهى

انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا
مدبرين وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم لما كانوا
لا يعون ما يسمعون ولا به ينتفعون شبهوا بالموتى
وهم احياء صحاح الحواس • وبالصم الذين ينعق بهم
فلا يسمعون • وبالعمي حيث يضلون الطريق ولا يقدر
احد ان ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء
الا الله تعالى • ثم اكد حال الاصم بقوله اذا ولوا مدبرين
لانه اذا تباعد عن الداعي بان تولى عنه مدبرا كان ابعد
عن ادراك صوته ولا يسمع الصم مكي وكذا في الروم •
وما انت تهدي العمي وكذا في الروم حمزة ان تسمع الا
من يؤمن باياتنا اي ما يجدي اسماعك الا على الذين
علم الله انهم يؤمنون باياته اي يصدقون بها فهم مسلمون
مخلصون من قوله بلى من اسلم وجهه لله يعني جعله سالما
لله تعالى خالصا له واذا وقع القول عليهم سمي معنى القول
ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا من قيام الساعة و
العذاب ووقوعه حصوله والمراد مشارفة الساعة
وظهور اشراطها وحين لا تنفع التوبة اخرجنا لهم دابة
من الارض تكلمهم هي الجساسة في الحديث طولها
ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب
ولها اربع قوائم • وزغب وريش • وجناحان •
وقيل لها راس ثور • وعين خنزير • واذن فيل • و
قرن ايل • وعنق نعامة • وصدر اسد • ولون نمر
وخاصرة هر • وذنب كبش • وخف بعير • وما
بين المفصلين اثنا عشر ذراعا تخرج من الصفاء
فتكلمهم بالعربية فتقول ان الناس كانوا باياتنا
لا يوقنون اي لا يوقنون بخروجي لان خروجها من الايات
وتقول الا لعنة الله على الظالمين او تكلمهم ببطلان الاديان
كلها سوى دين الاسلام او بان هذا مؤمن وهذا كافر
وفتح ان كوفي على حذف الجار اي تكلمهم بان وغيرهم
كسر لان الكلام بمعنى القول او باضمار القول اي تقول
الدابة ذلك ويكون المعنى بايات ربنا او هي حكاية لقول الله

عند ذلك [illegible]

ثم ذكر قيام الساعة فقال **ويوم نحشر من كل امة فوجا** من للتبعيض اي واذكر يوم نجمع من كل امة من الامم زمرة **ممن يكذب** من للتبيين **بآياتنا** المنزلة على انبيائنا **فهم يوزعون** يحبس اولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون الى موضع الحساب وهذه عبارة عن كثرة العدد وكذا الفوج عبارة عن الجماعة الكثيرة **حتى اذا جاؤا** حضروا موقف الحساب والسؤال **قال** لهم تهديدا **اكذبتم بآياتي** المنزلة على رسلي **ولم تحيطوا بها علما** الواو للحال كانه قال اكذبتم بآياتي بادي الراي من غير فكر ولا نظر يؤدي الى احاطة العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او بالتكذيب **اماذا كنتم تعملون** حيث لم تتفكروا فيها فانكم لم تخلقوا عبثا **ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون** اي يغشاهم العذاب الموعود بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله يوم لا ينطقون **الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا** حال جعل الابصار للنهار وهو لاهله والتقابل مراعى من حيث المعنى لان معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب من المكاسب **ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون** يصدقون فيعتبرون فيه دليل على صحة البعث لان معناه الم يعلموا انا جعلنا الليل والنهار قواما لمعاشهم في الدنيا ليعلموا ان ذلك لم يجعل عبثا بل محنة وابتلاء ولا بد عند ذلك من ثواب وعقاب فاذا لم يكونا في هذه الدار فلا بد من دار اخرى لهما **ويوم ينفخ في الصور** اي واذكر يوم ينفخ في الصور هو قرن او جمع صورة والنافخ اسرافيل **ففزع من في السموات ومن في الارض** واختير فزع على يفزع للاشعار بتحقيق الفزع وثبوته وانه كائن لا محالة والمراد فزعهم عند النفخة الاولى حين يصعقون **الا من شاء الله** الا من ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم جبرائيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل الشهداء وقيل الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر منهم موسى عم لانه صعق مرة ومثله ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله **وكل اتوه** حمزة وحفص وخلف واتوه غيرهم واصله آتيوه **داخرين** حال اي صاغرين ومعنى الاتيان حضورهم الموقف او رجوعهم الى امره وانقيادهم له

انتهى المدارك

قال محيي السنة في تفسيره المعالم في قوله **الا من شاء الله** اختلفوا في هذا الاستثناء روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جبرئيل عليه السلام من قوله الا من شاء الله قال هم الشهداء متقلدون اسيافهم حول العرش لانهم احياء عند ربهم لا يصل الفزع اليهم وقال الكلبي ومقاتل يعني جبرائيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت فلا يبقى بعد النفخة الا هؤلاء الاربعة ثم يقبض الله روح اسرافيل ثم روح ملك الموت ثم روح جبرئيل فيكون آخرهم موتا جبرئيل عليهم السلام ويروى ان الله يقول لملك الموت خذ نفس اسرافيل ثم يقول من بقي يا ملك الموت فيقول سبحانك ربي وتعاليت ذا الجلال والاكرام بقي جبرئيل وميكائيل وملك الموت فيقول خذ نفس ميكائيل فيأخذ نفسه فيقع كالطود العظيم فيقول من بقي فيقول الاول بقي جبرئيل وملك الموت فيقول مت يا ملك الموت فيموت فيقول يا جبرئيل من بقي فيقول تباركت وتعاليت ذا الجلال والاكرام وجهك الدائم الباقي وجبرئيل الميت الثاني قال يا جبرئيل لا بد من موتك فيقع ساجدا يخفق بجناحيه فروي ان فضله على فضل ميكائيل كالطود العظيم على الظرب من الظراب ويروى انه يبقى مع هؤلاء الاربعة حملة العرش فيقبض روح جبرئيل وميكائيل ثم ارواح حملة العرش ثم روح اسرافيل ثم روح ملك الموت عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم ينفخ فيه اخرى فاكون اول من رفع رأسه فاذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا ادري اكان ممن استثنى الله ام رفع رأسه قبلي ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب وقال الضحاك هم رضوان والحور ومالك والزبانية وقيل عقارب النار وحياتها انتهى المعالم

وترى الجبال تحسبها بفتح السين شامي وحمزة ويزيد وعاصم
وبكسرها غيرهم حال من المخاطب جامدة واقفة ممسكة عن الحركة
من جمد في مكانه اذا لم يبرح وهي تمر حال من الضمير المنصوب
في تحسبها مر السحاب اي تمر مثل مر السحاب والمعنى انك اذا
رايت الجبال وقت النفخة ظننتها ثابتة في مكان واحد
لعظمها وهي تسير سيرا سريعا كالسحاب اذا ضربته الريح و
هكذا الاجرام العظام المتكاثرة العدد اذا تحركت لا تكاد
تتبين حركتها كما قال النابغة في صفة جيش بارعن مثل
الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج صنع الله
مصدر عمل فيه ما دل عليه تمر لان مرورها كمر السحاب
من صنع الله فكانه قيل صنع الله ذلك صنعا وذكر اسم الله
لانه لم يذكر قبل الذي اتقن كل شيء اي احكم خلقه انه خبير
بما يفعلون مكي وبصري غير سهل وابو بكر غير يحيى وغيرهم
بالتاء اي انه عالم بما يفعل العباد فيكافيهم على حسب ذلك
ثم لخص ذلك بقوله من جاء بالحسنة اي بقول لا اله الا الله
عند الجمهور فله خير منها اي فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة
وعلى هذا لا يكون خير بمعنى افضل ويكون منها في موضع رفع
صفة لخير اي بسببها وهم من فزع كوفي اي من فزع شديد
لمفرط الشدة وهو خوف النار او من فزع ما وان قل
وبغير تنوين غيرهم يومئذ كوفي ومدني وبكسر الميم غيرهم
والمراد يوم القيامة آمنون امن يعدى بالجار وبنفسه
كقوله افامنوا مكر الله ومن جاء بالسيئة بالشرك
فكبت القيت وجوههم في النار يقال كببت الرجل القيته
على وجهه اي القوا على رؤوسهم في النار او عبر عن الجملة بالوجه
كما يعبر بالراس والرقبة عنها اي القوا في النار ويقال لهم
تبكيتا عند الكب هل تجزون الا ما كنتم تعملون في الدنيا
من الشرك والمعاصي اسى

انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة مكة **الذي حرمها**
جعلها حرما آمنا يأمن فيها اللاجى اليها ولا يختلى خلاها
ولا يعضد شوكها ولا ينفر صيدها **وله كل شيء** مع هذه البلدة
فهو مالك الدنيا والاخرة **وامرت ان اكون من المسلمين**
المنقادين له **وان اتلو القرآن** من التلاوة او من التلو
كقوله واتبع ما يوحى اليك من ربك امر رسوله بان يقول
امرت ان اخص الله وحده بالعبادة ولا اتخذ له شريكا
كما فعلت قريش وان اكون من الحنفاء الثابتين على ملة الاسلام
وان اتلو القرآن لاعرف الحلال والحرام وما يقتضيه الاسلام
وخص مكة من بين سائر البلاد باضافة اسمه اليها لانها
احب بلاده اليه واعظمها عنده واشار اليها بقوله هذه
اشارة تعظيم لها وتقريب دالا على انها موطن نبيه ومهبط
وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها
وجعل دخول كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها
تحتهما **فمن اهتدى** باتباعه اياى فيما انا بصدده من توحيده
ونفى الشركاء عنه والدخول في الملة الحنفية واتباع ما
انزل علي من الوحي **فانما يهتدي لنفسه** فمنفعة اهتدائه
راجعة اليه لا الي **ومن ضل فقل انما انا من المنذرين**
اى ومن ضل ولم يتبعني فلا علي وما انا الا رسول منذر
وما على الرسول الا البلاغ المبين **وقل الحمد لله سيريكم**
آياته فتعرفونها ثم امره ان يحمد الله على ما خوله من نعمة النبوة
التي لا تقادر بها نعمة وان يهدد اعداءه بما سيريهم الله تعالى
من آياته في الآخرة فيستيقنون بها وقيل هو انشقاق القمر
والدخان وما حل من نقمات الله في الدنيا **وما ربك بغافل**
عما تعملون بالتاء مدني وحفص ويعقوب خطابا لاهل مكة
وبالياء غيرهم اى كل عمل يعملونه فالله عالم به غير غافل عنه
فالغفلة والسهو لا يجوزان عليه فلا تحسبوا ان تأخير العذاب
لغفلته عن افعالكم وانما الاجل المصلحة اسمى

سورة القصص مكية وهي ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين
يقال بان الشيء وابان بمعنى واحد ويقال ابنته فابان
لازم ومتعد اي مبين خيره وبركته او مبين للحلال والحرام
والوعد والوعيد والاخلاص والتوحيد نتلو عليك نقرأ
عليك اي يقرأه جبرئيل بامرنا ومفعول نتلو من نبإ موسى
وفرعون اي نتلو عليك بعض خبرهما بالحق حال اي محقين
لقوم يؤمنون لمن سبق في علمنا انه يؤمن لان التلاوة
انما تنفع هؤلاء المؤمنين دون غيرهم ان فرعون جملة
مستأنفة كالتفسير للمجمل كان قائلا قال وكيف كان نبؤهما
فقال ان فرعون علا طغى وجاوز الحد في الظلم او
استكبر وانتفخ بنفسه ونسي العبودية في الارض ارض
مملكته يعني مصر وجعل اهلها شيعا فرقا يشيعونه على
ما يريد ويطيعونه لا يملك احدهم ان تلوي عنقه او
فرقا مختلفة يكرم طائفة ويهين اخرى فاكرم القبطي
واهان اسرائيلي يستضعف طائفة منهم هم بنو اسرائيل
يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم اي يترك البنات
احياء للخدمة وسبب ذبح الابناء ان كاهنا قال له
يولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يديه
وفيه دليل على حمق فرعون فانه ان صدق الكاهن لم ينفعه
القتل وان كذب فلا معنى للقتل ويستضعف حال
من الضمير في وجعل او صفة لشيعا او كلام مستأنف
ويذبح بدل من يستضعف انه كان من المفسدين
فيه ان القتل ظلما انما هو فعل المفسدين اذ لا طائل تحته
صدق الكاهن او كذب انتهى

ونريد ان نمن نتفضل وهو دليل لنا في مسئلة الاصلح
وهذه الجملة معطوفة على ان فرعون علا في الارض لانها نظيرة
تلك في وقوعها تفسيرا للنبأ موسى وفرعون واقتصاصا له
او حال من يستضعف اي يستضعفهم فرعون ونحن نريد
ان نمن عليهم وارادة الله كائنة فجعلت كالمقارنة
لاستضعافهم على الذين استضعفوا في الارض
ونجعلهم ائمة اي قادة يقتدي بهم في الخير او دعاة الى
الخير او ولاة وملوكا ونجعلهم الوارثين اي يرثون
فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم ونمكن مكن له اذا
جعل له مكانا يقعد عليه او يرقد ومعنى التمكين لهم في
الارض ارض مصر والشام ان نجعلها بحيث لا تنبو بهم
ونسلطهم وننفذ امرهم ونري فرعون وهامان
وجنودهما بضم النون ونصب فرعون وما بعده وبالياء
ورفع فرعون على حمزة اي يرون منهم ما حذروه من
ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم ويرى نصب
عطف على المنصوب قبله كقراءة النون او رفع على
الاستيناف منهم من بني اسرائيل ويتعلق بنري دون
يحذرون لان الصلة لا تتقدم على الموصول ما كانوا
يحذرون لحذرا النوقي من القدر اعلم ان مراد الله
لا يتخلف اذ لو تخلف لزم العجز تعالى عن ذلك علوا كبيرا
واوحينا الى ام موسى بالالهام او بالرؤيا او باخبار ملك
كما كانت لمريم وليس هذا وحي رسالة فلا يكون هي رسولا ان
ارضعيه ان بمعنى اي او مصدرية فاذا خفت عليه من القتل
بان يسمع الجيران صوته فينموا عليه فالقيه في اليم في البحر
قيل هي نيل مصر ولا تخافي من الغرق والضياع ولا تحزني
بفراقه انا رادوه اليك بوجه لطيف لتربيه وجاعلوه
من المرسلين فلما الح فرعون في طلب الولدان اوحي اليها بالقائه
في اليم فالقته في اليم بعد ان ارضعته ثلثة اشهر فالتقطه ال

وأصبح وصار فؤاد أم موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها
من فرط الجزع لما سمعت بوقوعه في يد فرعون إن كادت لتبدي
لتظهر به والضمير لموسى والمراد بأمره وقصته وأنه ولدها
قيل لما رأت الأمواج تلعب بالتابوت كادت تصيح وتقول
يا ابناه وقيل لما سمعت أن فرعون أخذ التابوت لم تشك
أنه يقتله فكادت تقول وا ابناه شفقة عليه وإن مخففة
من الثقيلة أي إنها كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها
لولا ربطنا على قلبها والربط على القلب تقويته بإلهام الصبر
لتكون من المؤمنين من المصدقين بوعدنا وهو أنا رادوه إليك
وجواب لولا محذوف أي لأبدته أي لأظهرته أو فارغا من الهم حين سمعت
أنه تبناه إن كادت لتبدي بأنه ولدها لأنها لم تملك نفسها فرحا
وسرورا بما سمعت لولا أنا طامنا قلبها وسكنا قلقها الذي
حدث به من شدة الفرح لتكون من المؤمنين الواثقين
بوعد الله لا بتبني فرعون قال يوسف بن الحسن أمرت أم موسى
بشيئين ونهيت عن شيئين وبشرت ببشارتين فلم ينفعها الكل
حتى تولى الله حياطتها فربط على قلبها وقالت لأخته مريم
قصيه اتبعي أثره لتعلمي خبره فبصرت به أبصرته عن جنب عن بعد
حال من الضمير في به أو من الضمير في بصرت وهم لا يشعرون أنها أخته
وحرمنا عليه المراضع تحريم منع لا تحريم شرع أي منعناه
أن يرضع ثديا غير ثدي أمه وكان لا يقبل ثدي مرضع
حتى أهمهم ذلك والمراضع جمع مرضع وهي المرأة التي
ترضع أو جمع مرضع وهو موضع الرضاع يعني الثدي
أو الرضاع من قبل أثره أو من قبل أن نرده على أمه فقالت
أخته وقد دخلت دار فرعون بين المراضع ورأته لا يقبل ثديا
هل أدلكم أرشدكم على أهل بيت يكفلونه لكم أي موسى لكم وهم له
ناصحون النصح إخلاص العمل من شائب الفساد روي أنها
لما قالت وهم له ناصحون قال هامان إنها لتعرفه وتعرف أهله فخذوها
حتى تخبر بقصة هذا الغلام فقالت إنما أردت وهم للملك ناصحون
فانطلقت إلى أمها بأمرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون يعلله
شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استأنس
والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن أنت منه فقد أبى كل ثدي
إلا ثديك فقالت إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أوتى
بصبي إلا قبلني فدفعه إليها وأجرى عليها وذهبت به إلى بيتها
وأنجز الله وعده في الرد فعند ذلك ثبت واستقر في علمها أن
سيكون نبيا وذلك قوله فرددناه إلى أمه كي تقر عينها
بالمقام معه ولا تحزن بفراقه ولتعلم أن وعد الله حق وليثبت علمها مشاهدة كما علمت خبرا قوله ولا تحزن معطوف على تقر وإنما حل
لها ما تأخذه من الدنيا كل يوم كما قال السدي لأنه مال حربي لا أنها أجرة على إرضاع ولدها ولكن أكثرهم لا يعلمون هو داخل تحت علمها
أي لتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنه حق فيرتابون ويشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت

[illegible]

ولما بلغ أشده بلغ موسى نهاية القوة وتمام العقل وهو جمع
شدة كنعمة وأنعم عند سيبويه واستوى واعتدل وتم
استحكامه وهو أربعون سنة ويروى أنه لم يبعث نبي
إلا على رأس أربعين سنة آتيناه حكما نبوة وعلما فقها
او علما بمصالح الدين وكذلك نجزي المحسنين اي كما فعلنا
بموسى وأمه نفعل بالمؤمنين قال الزجاج جعل الله تعالى
إيتاء العلم والحكمة مجازاة على الإحسان لأنهما يؤديان
الى الجنة التي هي جزاء المحسنين والعالم الحكيم من يعمل بعلمه
لأنه تعالى قال ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون
فجعلهم جهالا إذ لم يعملوا بالعلم ودخل المدينة على حين
غفلة من أهلها حال من الفاعل اي مختفيا وهو ما بين العشائين
او وقت القائلة يعني انتصاف النهار وقيل لما شب وعقل
أخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فأخافوه فلا يدخل المدينة
إلا على تغفل فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته
ممن شايعه على دينه من بني إسرائيل وقيل هو السامري
وهذا من عدوه من مخالفيه من القبط وهو فاتون وقيل
فيهما هذا وهذا وإن كانا غائبين على جهة الحكاية اي اذا
نظر اليهما الناظر قال هذا من شيعته وهذا من عدوه
فاستغاثه فاستنصره الذي من شيعته على الذي من
عدوه فوكزه موسى ضربه بجمع كفه او بأطراف أصابعه
فقضى عليه فقتله قال هذا إشارة الى القتل الحاصل بغير
قصد من عمل الشيطان وإنما جعل قتل الكافر من عمل الشيطان
وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه لأنه كان مستأمنا فيهم
فلا يحل له قتل الكافر الحربي او لأنه قتله قبل أن يؤذن له في
القتل وعن ابن جريج ليس لبني إسرائيل أن يقتلوا ما لم يؤمروا
إنه عدو مضل مبين ظاهر العداوة قال رب يا رب إني
ظلمت نفسي بفعل صار قتلا فاغفر لي زلتي فغفر له زلته
إنه هو الغفور الرحيم بإزالة الخجل قال رب بما أنعمت علي
فلن أكون ظهيرا معينا للمجرمين للكافرين وبما أنعمت علي قسم
جوابه محذوف تقديره أقسم بإنعامك علي بالمغفرة لأتوبن
فلن أكون ظهيرا للمجرمين او استعطاف كأنه قال رب
اعصمني بحق ما أنعمت علي من المغفرة فلن أكون إن عصمتني
ظهيرا للمجرمين وأراد بمظاهرة المجرمين صحبة فرعون
وانتظامه في جملته وتكثير سواده حيث كان يركب بركوبه
كالولد مع الوالد انتهى المدارك

فأصبح في المدينة خائفا على نفسه من قتله القبطي أن يؤخذ به
يترقب حال اي يتوقع المكروه وهو الاستقادة منه او
الاخبار او ما يقال فيه وقال ابن عطاء خائفا على نفسه
يترقب نصرة ربه وفيه دليل على انه لا بأس بالخوف من دون الله
بخلاف ما يقوله بعض الناس انه لا يصح الخوف من دون الله
فاذا الذي اذا للمفاجاة وما بعدها مبتدا استنصره اي موسى
بالامس يستصرخه يستغيثه والمعنى ان الاسرائيلي الذي
خلصه موسى استغاث به ثانيا من قبطي آخر قال له موسى
اي للاسرائيلي انك لغوي مبين اي ضال عن الرشد ظاهر الغي
فقد قاتلت رجلا بالامس فقتلته بسببك والرشيد في التدبير
لا يفعل فعلا يفضي الى البلاء على نفسه وعلى من يريد نصرته
فلما ان اراد موسى ان يبطش بالذي بالقبطي الذي هو عدو
لموسى والاسرائيلي لانه ليس على دينهما ولان القبط كانوا اعداء
بني اسرائيل قال الاسرائيلي لموسى وقد توهم انه اراد اخذه
لا اخذ القبطي اذ قال انك لغوي مبين يا موسى اتريد ان
تقتلني كما قتلت نفسا يعني القبطي بالامس ان تريد ما تريد
الا ان تكون جبارا قتالا بالغضب في الارض ارض مصر وما تريد
ان تكون من المصلحين في كظم الغيظ وكان قتل القبطي شاع
ولكن خفي قاتله فلما افشى على موسى علم القبطي ان قاتله موسى
فاخبر فرعون فهموا بقتله وجاء رجل من اقصى المدينة هو
مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون يسعى صفة لرجل
او حال من رجل لانه وصف بقوله من اقصى المدينة قال يا موسى
ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك اي يأمر بعضهم بعضا
بقتلك او يتشاورون بسببك والايتمار التشاور
يقال الرجلان يتأمران ويأتمران لان كل واحد منهما يأمر
صاحبه بشيء او يشير عليه بأمر فاخرج من المدينة اني
لك من الناصحين لك بيان وليس بصلة الناصحين لان
الصلة لا تتقدم على الموصول كانه قال اني من الناصحين
ثم اراد ان يبين فقال لك كما يقال سقيا لك ومرحبا بك

فخرج موسى منها من المدينة خائفا يترقب ينتظر الطلب
والتعرض له في الطريق او ان يلحقه من يقتله قال رب نجني
من القوم الظالمين اي قوم فرعون ولما توجه تلقاء
مدين نحوها والتوجه الاقبال على الشيء ومدين قرية شعيب
عليه السلام سميت بمدين بن ابراهيم ولم تكن في سلطان
فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمانية ايام قال ابن عباس
رضي الله عنهما خرج ولم يكن له علم بالطريق الا حسن الظن
بربه قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل اي
وسطه ومعظم نهجه فجاءه ملك فانطلق به الى مدين
ولما ورد وصل ماء مدين ماء هم الذين يسقون
منه وكان بئرا وجد عليه على جانب البئر امة جماعة
كثيرة من الناس من اناس مختلفين يسقون مواشيهم
ووجد من دونهم في مكان اسفل من مكانهم امرأتين
تذودان تطردان غنمهما عن الماء لان على الماء من هو
اقوى منهما فلا يتمكنان من السقي او لئلا يختلط اغنامهما
باغنامهم والذود الطرد والدفع قال ما خطبكما
ما شانكما وحقيقته ما مخطوبكما من الذياد فسمي
المخطوب خطبا قالتا لا نسقي غنمنا حتى يصدر الرعاء
مواشيهم يصدر شامي ويزيد وابو عمرو اي
يرجع والرعاء جمع راع كقائم وقيام وابونا شيخ كبير
في حاله او في السن لا يقدر على رعي الغنم ابدا فا
اليه عندهما في توليهما السقي بانفسهما فسقى لهما فسقى
غنمهما لاجلهما رغبة في المعروف واغاثة للملهوف
روي انه نحى القوم عن راس البئر وسألهم دلوا
فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكانت لا ينزع عليها
الا اربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة
وترك المفعول في يسقون وتذودان ولا نسقي وفسقى
لان الغرض هو الفعل لا المفعول الا ترى انه انما رحمهما لانهما
كانتا على الذياد وهم على السقي ولم يرحمهما لان تذودهما
غنم ومسقيهم ابل مثلا وكذا في لا نسقي وفسقى فالمقصود
هو السقي لا المسقي ووجه مطابقة جوابهما سؤاله
انه سألهما عن سبب الذود فقالتا السبب في ذلك انا امرأتان مستورتان ضعيفتان لا نقدر على مزاحمة الرجال
ونستحيي من الاختلاط بهم فلا بد لنا من تاخير السقي الى ان يفرغوا وانما رضي شعيب عليه السلام لابنتيه بسقي الماشية
لان الامر في نفسه ليس بمحظور فالدين لا يأباه واما المروءة فعادات الناس في ذلك متباينة واحوال العرب فيه خلاف العجم
ومذهب اهل البدو فيه غير مذهب اهل الحضر خصوصا اذا كانت الحالة حالة ضرورة ثم تولى الى الظل اي ظل سمرة وفيه
دليل جواز الاستراحة في الدنيا بخلاف ما يقوله بعض المتقشفة ولما طال البلاء عليه انس بالشكوى اذ لا نقص
في الشكوى الى المولى فقال رب اني لما انزلت الي من خير قليل او كثير غث او سمين فقير محتاج وعدي فقير باللام
لانه ضمن معنى سائل وطالب قيل كان لم يذق طعاما سبعة ايام وقد لصق بظهره بطنه ٥

فجاءته احديهما تمشي على استحياء قالت ان ابي يدعوك
ليجزيك اجر ما سقيت لنا على استحياء في موضع الحال
اي مستحيية وهذا دليل كمال ايمانها وشرف عنصرها لانها كانت
تدعوه الى ضيافتها ولم تعلم ايجيبها ام لا فاتته مستحيية
قد استترت بكم درعها وما في ما سقيت مصدرية اي
جزاء سقيك روي انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس
واغنامهما حفّل قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا
رحمنا فسقى لنا فقال لاحديهما اذهبي فادعيه لي
فتبعها موسى فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته
فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق فلما جاءه وقص
عليه القصص اي قصته واحواله مع فرعون والقصص
مصدر كالعلل سمي به المقصوص قال له لا تخف نجوت
من القوم الظالمين اي لا سلطان لفرعون بارضنا
وفيه دليل جواز العمل بخبر الواحد ولو عبدا او انثى
والمشي مع الاجنبية مع ذلك الاحتياط والتورع واما
اخذ الاجر على البر والمعروف فقيل انه لا باس به عند الحاجة
كما كان لموسى عليه السلام على انه روي انها لما قالت ليجزيك
كره ذلك وانما اجابها لئلا يخيب قصدها لان للقاصد حرمة
ولما وضع شعيب الطعام بين يديه امتنع فقال شعيب
الست جائعا قال بلى ولكن اخاف ان يكون عوضا مما سقيت
وانا اهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا ولا ناخذ على المعروف
ثمنا فقال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا فاكل
قالت احديهما يا ابت استاجره اتخذه اجيرا لرعي الغنم
روي ان كبراهما كانت تسمى صفراء والصغرى صفيراء
وهي التي ذهبت به وطلبت الى ابيها ان يستاجره وهي
التي تزوجها ان خير من استاجرت القوي الامين
فقال ما علمك بقوته وامانته فذكرت نزع الدلو وامرها
بالمشي خلفه وورود الفعل بلفظ الماضي للدلالة على
ان امانته وقوته امران متحققان وقولها ان خير من
استاجرت القوي الامين كلام جامع لانه اذا اجتمعت هاتان
الخصلتان الكفاية والامانة في القائم بامرك فقد فرغ بالك
وتم مرادك وقيل القوي في دينه الامين في جوارحه وقد
استغنت بهذا الكلام الجاري مجرى المثل عن ان تقول استاجره
لقوته وامانته وعن ابن مسعود رضي الله عنه افرس الناس
ثلثة بنت شعيب وصاحب يوسف في قوله عسى ان ينفعنا
وابو بكر في عمر رضي الله عنهما انتهى المدارك

[illegible]

قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين
قوله هاتين يدل على أنه كانت غيرهما وهذه مواعدة منه
ولم يكن ذلك عقد نكاح إذ لو كان نكاحا لقال قد أنكحتك
على أن تأجرني تكون أجيرا لي من أجرته إذا كنت له أجيرا
ثماني حجج ظرفه والحجة السنة وجمعها حجج والتزوج على
رعي الغنم جائز بالإجماع لأنه من باب القيام بأمور الزوجية
فلا مناقضة بخلاف التزوج على الخدمة فإن أتممت عشرا
أي عمل عشر حجج فمن عندك أي فذلك تفضل منك ليس
بواجب عليك أو فإتمامه من عندك ولا أحتمه عليك
ولكنك إن فعلته فهو منك تفضل وتبرع وما أريد
أن أشق عليك بإلزام أتم الأجلين وحقيقة قولهم
شققت عليه وشق عليه الأمر أن الأمر إذا تعاظمك
فكأنه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة أطيقه
وطورا لا أطيقه ستجدني إن شاء الله من الصالحين
في حسن المعاملة والوفاء بالعهد ويجوز أن يراد الصلاح
على العموم وتدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراط
مشيئة الله تعالى فيما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه
ومعونته لا أنه شاء فعل وإن شاء لم يفعل ذلك قال
موسى ذلك مبتدأ وهو إشارة إلى ما عاهده عليه شعيب
والخبر بيني وبينك يعني ذلك الذي قلته وعاهدتني
فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه
لا أنا عما شرطت علي ولا أنت عما شرطت على نفسك
ثم قال أيما الأجلين قضيت أي أي أجل قضيت من
الأجلين يعني العشر أو الثماني وأي نصب بقضيت
وما زائدة مؤكدة لإبهام أي وهي شرطية وجوابها و
جوابها فلا عدوان علي أي لا يعتدى علي في طلب الزيادة
عليه قال المبرد وقد علم أنه لا عدوان عليه في أتمهما ولكن
جمعهما ليجعل الأقل كالأتم في الوفاء وكما أن طلب الزيادة
على الأتم عدوان فكذا طلب الزيادة على الأقل والله على ما
نقول وكيل هو من وكل إليه الأمر وعدي بعلى لأنه استعمل
في موضع الشاهد والمقيت انتهى المدارك

فلما قضى موسى الأجل قال صلى الله عليه وسلم قضى أوفاهما وتزوج
صغراهما وهذا خلاف الرواية التي مرت وسار بأهله بامرأته
نحو مصر قال ابن عطاء لما تم أجل المحنة ودنا أيام الزلفة
وظهر أنوار النبوة سار بأهله ليشترك معه في لطائف
صنع ربه آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا
إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر عن الطريق لأنه قد ضل
الطريق أو جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما أتاها
نودي من شاطئ الواد الأيمن بالنسبة إلى موسى في
البقعة المباركة بتكليم الله تعالى فيها من الشجرة العناب
أو العوسج أن يا موسى أن مفسرة أو مخففة من الثقيلة
إني أنا الله رب العالمين قال جعفر أبصر نارا دلته على الأنوار
لأنه رأى النور على هيئة النار فلما دنا منها شملته أنوار
القدس وأحاطت به جلابيب الأنس فخاطب بألطف
خطاب واستدعى منه أحسن جواب فصار بذلك مكلما
شريفا أعطي ما سأل وأمن مما خاف • الجذوة باللغات
الثلث وقرئ بهن فعاصم بفتح الجيم وحمزة وخلف بضمها
وغيرهم بكسرها العود الغليظ كانت في رأسه نار أو
لم تكن ومن الأولى والثانية لابتداء الغاية أي أتاه
النداء من شاطئ الوادي من قبل الشجرة ومن الشجرة
بدل من شاطئ الوادي بدل الاشتمال لأن الشجرة كانت
نابتة على الشاطئ أي الجانب وأن ألق عصاك ونودي وأن
ألق عصاك فألقاها فقلبها الله تعالى ثعبانا فلما رآها تهتز
تتحرك كأنها جان حية في سعيها وهي ثعبان في جثتها ولى
مدبرا ولم يعقب ولم يرجع فقيل له يا موسى أقبل ولا تخف
إنك من الآمنين أي أمنت من أن ينالك مكروه من الحية
اسلك أدخل يدك في جيبك جيب قميصك تخرج بيضاء
لها شعاع كشعاع الشمس من غير سوء برص واضمم إليك
جناحك من الرهب حجازي بصري • الرهب حفص • الرهب غيرهم
ومعنى الكل الخوف • والمعنى واضمم يدك إلى صدرك يذهب
ما بك من فرق أي لأجل الحية • عن ابن عباس رضي الله عنهما
كل خائف إذا وضع يده على صدره زال خوفه • وقيل معنى ضم الجناح
أن الله تعالى لما قلب العصا حية فزع موسى عليه السلام واتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له إن اتقاءك بيدك فيه غضاضة
عند الأعداء فإذا ألقيتها فكما تنقلب حية فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم أخرجها بيضاء ليحصل الأمران
اجتناب ما هو غضاضة عليك وإظهار معجزة أخرى • والمراد بالجناح اليد لأن يدي الإنسان بمنزلة جناحي الطائر
وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضده اليسرى فقد ضم جناحه إليه أو أريد بضم جناحه إليه تجلده وضبطه نفسه
عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب • استعارة من فعل الطائر لأنه إذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما
وإلا فجناحاه مضمومان مستمران ومعنى من الرهب من أجل الرهب أي إذا أصابك الرهب عند الحية فاضمم إليك جناحك
جعل الرهب الذي كان يصيبه سببا وعلة فيما أمر به • من ضم جناحه إليه • ومعنى واضمم إليك جناحك واسلك يدك
في جيبك على أحد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين لاختلاف الغرضين •

يعني العصا واليد البيضاء

فذانك مخففا مثنى ذاك ومشددا مكي وأبو عمرو مثنى
ذلك فأحد النونين عوض من اللام المحذوفة والمراد اليد و
العصا برهانان حجتان نيرتان بينتان وسميت الحجة
برهانا لإنارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهرهة من
ربك إلى فرعون وملئه أي أرسلناك إلى فرعون وملئه
بهاتين الآيتين إنهم كانوا قوما فاسقين قال رب إني
قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون به وبالياء يعقوب
وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي حفص
ردءا حالا أي عونا يقال ردأته أعنته وبلا همز مدني
يصدقني عاصم وحمزة صفة أي ردءا مصدقا وغيرهما بالجزم
جواب لأرسله • ومعنى تصديقه موسى إعانته إياه
بزيادة البيان في مظان الجدال إن احتاج إليه ليثبت
دعواه لا أن يقول له صدقت ألا ترى إلى قوله هو أفصح
مني لسانا وفضل الفصاحة إنما يحتاج إليه لتقرير
البرهان لا لقوله صدقت فسحبان وباقل فيه يستويان
إني أخاف أن يكذبون يكذبوني في الحالين يعقوب
قال سنشد عضدك بأخيك سنقويك به إذ
اليد تشتد بشدة العضد لأنه قوام اليد والجملة تقوى
بشدة اليد على مزاولة الأمور ونجعل لكما سلطانا
غلبة وسطوة وتسلطا وهيبة في قلوب الأعداء
فلا يصلون إليكما بآياتنا الباء تتعلق بيصلون
أي لا يصلون إليكما بسبب آياتنا وتم الكلام أو بنجعل
لكما سلطانا أي نسلطكما بآياتنا أو بمحذوف أي اذهبا
بآياتنا • أو هو بيان للغالبون لا صلة • أو قسم جوابه
لا يصلون مقدما عليه أنتما ومن اتبعكما الغالبون
فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات واضحات قالوا ما
هذا إلا سحر مفترى أي سحر تعمله أنت ثم تفتريه
على الله أو سحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر
وليس بمعجزة من الله تعالى وما سمعنا بهذا في آبائنا
الأولين في أيامنا حال منصوبة عن هذا أي كائنا
في زمانهم يعني ما حدثنا بكونه فيهم وقال موسى
ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده • ومن تكون
له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون أي ربي
أعلم منكم بحال من أهله الله تعالى بالفلاح الأعظم
حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى
يعني نفسه ولو كان كما تزعمون ساحرا مفتريا لما أهله الله تعالى لذلك لأنه غني حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبئ السحرة
ولا يفلح عنده الظالمون وعاقبة الدار هي العاقبة المحمودة لقوله تعالى أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن والمراد بالدار الدنيا
وعاقبتها أن يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقي الملائكة بالبشرى والغفران •

وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري
قصد بنفي علمه باله غيره نفي وجوده اي ما لكم من اله غيري
او هو على ظاهره وان الها غيره غير معلوم عنده فاوقد لي
يا هامان على الطين اي اطبخ لي الآجر واتخذه وانما لم يقل
مكان الطين هذا لانه اول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة
بهذه العبارة ولانه افصح واشبه بكلام الجبابرة وامر
هامان وهو وزيره بالايقاد على الطين منادى باسمه في
وسط كلامه دليل التعظيم والتجبر فاجعل لي صرحا
قصرا عاليا لعلي اطلع اي اصعد فالطلوع والاطلاع
الصعود الى اله موسى حسب انه في مكان كما كان هو في مكان
واني لاظنه اي موسى من الكاذبين في دعواه ان له الها
وانه ارسله الينا رسولا وقد تناقض المخذول فانه قال
ما علمت لكم من اله غيري ثم اظهر حاجته الى هامان
واثبت لموسى الها واخبر انه غير متيقن بكذبه وكانه
تحصن من عصا موسى عليه السلام فلبس وقال لعلي
اطلع الى اله موسى روي ان هامان جمع خمسين الف بناء
وبنى صرحا لم يبلغه بناء احد من الخلق فضرب الصرح جبريل
عليه السلام بجناحه فقطعه ثلث قطع ووقعت قطعة على
عسكر فرعون فقتلت الف الف رجل وقطعة في البحر وقطعة
في المغرب ولم يبق احد من عماله الا هلك واستكبر تعظم هو
وجنوده في الارض ارض مصر بغير الحق اي بالباطل
فالاستكبار بالحق لله تعالى وهو المتكبر على الحقيقة اي
المبالغ في كبرياء الشأن كما حكى رسولنا عن ربه الكبرياء
ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته
في النار وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق وظنوا
انهم الينا لا يرجعون يرجعون نافع وحمزة وعلي وخلف
ويعقوب فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم من الكلام الفخم
الذي دل به على عظمة شأنه تعالى شبههم استقلالا لعددهم
وان كانوا الجم الغفير بحصيات اخذهن آخذ بكفه
فطرحهن في البحر فانظر كيف كان عاقبة الظالمين
وحذر قومك فانك منصور عليهم انتهى المدارك

قال الامام البغوي في تفسيره المعالم اراد الله تعالى ان يفتنهم فيه
فلما فرغوا من بناء الصرح ارتقى فرعون فوقه فامر بنشابة فرمى
بها نحو السماء فردت اليه وهي ملطخة دما فقال قد قتلت
اله موسى وكان فرعون يصعد على البراذين فبعث الله
جبريل جنح غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلث قطع

النشابة بضم النون وتشديد الشين المعجمة وهي السهم ، براذين جمع برذون

بالعبودية   قال العارفون بالله في قوله تعالى

ما علمت لكم من اله غيري يشير الى ان استعداد فطرة الانسان الذي خلق في احسن تقويم اذا فسد تصير معرفته نكرة
واقراره بالربوبية تبدل بادعائه بالالوهية ويسعى بعد اثبات الاله في نفيه حتى يقول لو زينه وهو ما الشيطان
كما قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين فاوقد لي يا هامان بنفخ الوساوس والغرور على الطين
اي طين البشرية فاجعل لي صرحا من الشبهات المخيلة الموهومة لعلي اطلع الى اله موسى هل له وجود ام لا واني
لاظنه اي مع اني ايقنت انه من الكاذبين في ادعاء اله غيري واستكبر هو وجنوده اي فرعون النفس وصفاتها
في الارض ارض الانسانية بغير الحق بغير امره وظنوا انهم الينا لا يرجعون طائعين او كارهين كسائر الموجودات
ولم يعلموا ان الرجوع الى الحضرة من خصوصية الانسان طوعا او كرها قال الله تعالى وان الى ربك الرجعى وقال ارجعي الى ربك
فاخذناه وجنوده اي النفس وصفاتها فنبذناهم في اليم وهو بحر الدنيا وما فيها من الغفلات والشهوات فانظر كيف كان
عاقبة الظالمين اذا غرقوا في ماء الغفلات والشهوات كيف دخلوا نار الحسرات والقطيعة ملخص من مجالس الشيخ محمد

ولقد آتينا موسى الكتاب التورية من بعد ما اهلكنا
القرون الاولى قوم نوح وهود وصالح ولوط
عليهم السلام بصائر للناس حال من الكتاب والبصيرة
نور القلب الذي يتبصر به الرشد والسعادة كما ان البصر
نور العين الذي تبصر به يريد آتيناه التورية انوارا
للقلوب لانها كانت عمياء لا تستبصر ولا تعرف حقا من
باطل وهدى وارشادا لانهم كانوا يخبطون في ضلال
ورحمة لمن اتبعها لانهم اذا عملوا بها وصلوا الى نيل الرحمة
لعلهم يتذكرون يتعظون وما كنت يا محمد بجانب الجبل
الغربي وهو المكان الواقع في شق الغرب وهو الذي
وقع ميقات موسى اذ قضينا الى موسى الامر اى كلمناه و
قربناه نجيا وما كنت من الشاهدين من جملة الشاهدين
للوحي اليه حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من امر
موسى في ميقاته ولكنا انشانا بعد موسى قرونا فتطاول
عليهم العمر اي طالت اعمارهم وفترت النبوة وكادت
الاخبار تخفى واندرست العلوم ووقع التحريف في كثير
منها فارسلناك مجددا لتلك الاخبار مبينا ما وقع فيه
التحريف واعطيناك العلم بقصص الانبياء وقصة موسى
كانه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا
اوحينا اليك فذكر سبب الوحي الذي هو اطالة الفترة
ودل به على المسبب اختصارا فاذا هذا الاستدراك شبيه
بالاستدراكين بعده وما كنت ثاويا مقيما في اهل
مدين وهم شعيب والمؤمنون به تتلو عليهم آياتنا
تقرؤها عليهم تعلما منهم يريد الآيات التي فيها قصة شعيب
وقومه وتتلو في موضع نصب خبر ثانٍ او حال من الضمير
في ثاويا ولكنا مرسلين ولكنا ارسلناك واخبرناك بها وعلمناها

اسمى

وما كنت بجانب الطور اذ نادينا موسى ان خذ الكتاب بقوة
ولكن علمناك وارسلناك رحمة للرحمة من ربك لتنذر
قوما ما اتيهم من نذير من قبلك في زمان الفترة بينك
وبين عيسى وهو خمسمائة وخمسون سنة لعلهم يتذكرون
يتعظون ولولا ان تصيبهم مصيبة عقوبة بما قدمت ايديهم
من الكفر والظلم ولما كان اكثر الاعمال تزاول بالايدي نسبت
الاعمال الى الايدي وان كانت من اعمال القلوب تغليبا للاكثر
على الاقل فيقولوا عند العذاب ربنا لولا ارسلت الينا
رسولا فنتبع اياتك ونكون من المؤمنين لولا الاولى امتناعية
وجوابها محذوف والثانية تحضيضية والفاء الاولى للعطف
والثانية جواب لولا لكونها في حكم الامر اذ الامر باعث على الفعل
والباعث والمحضض من واد واحد والفاء تدخل في جواب
الامر والمعنى ولولا انهم قائلون اذا عوقبوا بما قدموا من
الشرك والمعاصي هلا ارسلت الينا محتجين علينا بذلك
لما ارسلنا اليهم يعني ان ارسال الرسول اليهم انما هو ليلزموا
الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة
بعد الرسل فان قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت
العقوبة هي السبب في الارسال لا القول لدخول لولا الامتناعية
عليها دونه قلت القول هو المقصود بان يكون سببا
للارسال ولكن العقوبة لما كانت سببا للقول وكان
وجوده بوجودها جعلت العقوبة كانها سبب الارسال
فادخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء
المعطية معنى السببية ويؤول معناه الى قولك ولولا قولهم
هذا اذا اصابتهم مصيبة لما ارسلنا فلما جاءهم الحق
من عندنا اي القران او الرسول المصدق بالكتاب المعجز قالوا
كفار مكة لولا اوتي هلا اعطي مثل ما اوتي موسى من الكتاب
المنزل جملة واحدة اولم يكفروا يعني ابناء جنسهم ومن
مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة في زمان موسى
بما اوتي موسى من قبل من قبل القران قالوا في موسى وهرون
ساحران تظاهرا تعاونا سحران كوفي اي ذوا سحر
او جعلوهما سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر وقالوا انا بكل
بكل واحد منهما كافرون وقيل ان اهل مكة لما كفروا بمحمد
صلى الله عليه وسلم وبالقران فقد كفروا بموسى والتورية وقالوا
في موسى ومحمد ساحران تظاهرا او في التورية والقران سحران
تظاهرا وذلك حين بعثوا الرهط الى رؤساء اليهود بالمدينة
يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فاخبروهم انه في كتابهم
فرجع الرهط الى قريش فاخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك
ساحران تظاهرا انتهى المدارك

قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما مما انزل
على موسى ومما انزل على اتبعه جواب فأتوا ان كنتم صادقين
في انهما ساحران فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون
اهواءهم فان لم يستجيبوا دعاءك الى الاتيان بالكتاب
الاهدى فاعلم انهم قد الزموا ولم يبق لهم حجة الا اتباع
الهوى ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله
اي لا احد اضل ممن اتبع في الدين هواه وبغير هدى
حال اي مخذولا مخلا بينه وبين هواه ان الله لا يهدي
القوم الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بالانهماك في
اتباع الهوى او القوم الكافرين فان اكبر الظلم هو الكفر
ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون التوصيل
تكثير الوصل وتكريره يعني ان القران اتاهم متتابعا متواصلا
وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ليتذكروا فيفلحوا
الذين اتيناهم الكتاب من قبله من قبل القران وخبر الذين
هم به بالقران يؤمنون نزلت في مؤمني اهل الكتاب
واذا يتلى القران عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا انا
كنا من قبله من قبل نزول القران مسلمين كائنين على دين الاسلام
مؤمنين بمحمد عليه السلام وقوله انه تعليل للايمان به
لان كونه حقا من الله حقيق بان يؤمن به وقوله انا
بيان لقوله امنا لانه يحتمل ان يكون ايمانا قريب العهد
وبعيده فاخبروا بان ايمانهم به متقادم اولئك
يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا بصبرهم على الايمان
بالتورية والايمان بالقران او بصبرهم على الايمان بالقران
قبل نزوله وبعد نزوله او بصبرهم على اذى المشركين
واهل الكتاب ويدرؤن بالحسنة السيئة يدفعون
بالطاعة المعصية او بالحلم الاذى ومما رزقناهم
ينفقون يزكون انتهى المدارك
اي يتصدقون

وإذا سمعوا اللغو الباطل او الشتم من المشركين
أعرضوا عنه وقالوا للاغين لنا أعمالنا ولكم أعمالكم
سلام عليكم أمان منا لكم بأن نقابل لغوكم بمثله
لا نبتغي الجاهلين لا نريد مخالطتهم وصحبتهم إنك
لا تهدي من أحببت لا تقدر أن تدخل في الإسلام
كل من أحببت أن يدخل فيه من قومك وغيرهم ولكن الله
يهدي من يشاء يخلق فعل الاهتداء فيمن يشاء
وهو أعلم بالمهتدين بمن يختار الهداية ويقبلها
ويتعظ بالآيات والدلائل قال الزجاج أجمع المفسرون
على أنها نزلت في أبي طالب وذلك أنه قال عند موته
يا معشر بني هاشم صدقوا محمدا تفلحوا فقال صلى الله
عليه وسلم يا عم تأمرهم بالنصيحة لأنفسهم وتدعها لنفسك
قال فما تريد يا ابن أخي قال أريد منك أن تقول
لا إله إلا الله أشهد لك بها عند الله تعالى قال يا ابن أخي
قد علمت أنك صادق ولكني أكره أن يقال جزع عند الموت
وإن كانت الصيغة عامة والآية حجة على المعتزلة
لأنهم يقولون الهدى هو البيان وقد هدى الناس أجمع جميعا
ولكنهم لم يهتدوا بسوء اختيارهم فدل أن وراء البيان
ما يسمى هداية وهو خلق الاهتداء وإعطاء التوفيق
والقدرة وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا
أولم نمكن لهم حرما آمنا قالت قريش نحن نعلم أنك على الحق
ولكنا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب بذلك أن
يتخطفونا من أرضنا فألقمهم الله الحجر بأنه مكن لهم في
الحرم الذي آمنه بحرمة البيت وآمن قطانه بحرمته
والثمرات تجبى إليه من كل أوب وهم كفرة فأنى يستقيم
أن يعرضهم للتخطف ويسلبهم الأمن إذا ضموا إلى حرمة
البيت حرمة الإسلام وإسناد الأمن إلى أهل الحرم
حقيقة وإلى الحرم مجاز يجبى إليه وبالتاء مدني ويعقوب
وسهل أي تجلب وتجمع ثمرات كل شيء معنى الكلية الكثرة
كقوله وأوتيت من كل شيء رزقا من لدنا هو مصدر
لأن معنى يجبى إليه يرزق أو مفعول له أو حال من الثمرات
إن كان بمعنى مرزوق لتخصصها بالإضافة كما تنتصب عن النكرة
المتخصصة بالصفة ولكن أكثرهم لا يعلمون متعلق بمن لدنا
أي قليل منهم يقرون بأن ذلك رزق من عند الله والكثير
جهلة لا يعلمون ذلك ولو علموا أنه من عند الله لعلموا أن
الخوف والأمن من عنده ولما خافوا التخطف إذا آمنوا

انتهى المدارك

وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها هذا تخويف لاهل مكة
من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم بانعام الله تعالى عليهم
فلم يشكروا النعمة وقابلوها بالبطر فاهلكوا وكم نصب
باهلكنا ومعيشتها بحذف الجار وايصال الفعل اي في معيشتها
والبطر سوء احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله تعالى فيه
فتلك مساكنهم منازلهم باقية الاثار يشاهدونها في الاسفار
كبلاد ثمود وقوم شعيب وغيرهم **لم تسكن** حال والعامل فيها
الاشارة **من بعدهم الا قليلا** من السكنى اي لم يسكنها الا المسافر
ومار الطريق يوما او ساعة **وكنا نحن الوارثين** لتلك
المساكن من ساكنيها اي لا يملك التصرف فيها غيرنا **وما كان
ربك مهلك القرى** في كل وقت **حتى يبعث في امها** وبكسر
الهمزة حمزة وعلي اي في القرية التي هي امها اي اصلها ومعظمها
رسولا لالزام الحجة وقطع المعذرة او وما كان في حكم الله
تعالى وسابق قضائه ان يهلك القرى في الارض حتى يبعث
في ام القرى يعني مكة لان الارض دحيت من تحتها رسولا
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم **يتلو عليهم اياتنا** اي القران
وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون اي وما اهلكناهم
للانتقام الا واهلها مستحقون للعذاب بظلمهم واصرارهم على
كفرهم وعنادهم ومكابرتهم بعد الاعذار اليهم وما كان في
حكم الله وسابق قضائه ان يهلك في الارض حتى يبعث
في ام القرى يعني مكة رسولا وهو محمد صلى الله عليه وسلم
خاتم الانبياء وهذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم
حيث اخبر بانه لا يهلكهم الا اذا استحقوا الاهلاك بظلمهم
ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين الا بعد تاكيد الحجة والالزام
ببعثة الرسول ولا يجعل علمه تعالى باحوالهم حجة عليهم
ونزه ذاته تعالى ان يهلكهم وهم غير ظالمين كما قال تعالى
وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون

وما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها واي شيء اصبتموه
من اسباب الدنيا فما هو الا تمتع وزينة اياما قلائل وهي
مدة الحيوة الدنيا الفانية وما عند الله وهو ثوابه خير في
نفسه من ذلك وابقى لانه دائم افلا تعقلون ان الباقي خير
من الفاني وخير ابو عمرو بين الياء والتاء والباقون
بالتاء لا غير وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى خلق
الدنيا وجعل اهلها ثلثة اصناف المؤمن والمنافق والكافر
فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع ثم قرأ
هذه الآية بقوله افمن وعدناه وعدا حسنا اي الجنة فلا شيء
احسن منها لانها دائمة ولذا سميت الجنة بالحسنى فهو لاقيه اي
رائيه ومدركه ومصيبه كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم
هو يوم القيمة من المحضرين من الذين احضروا النار ونحوه فكذبوه
فانهم لمحضرون نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي جهل
لعنه الله او في علي وحمزة وابي جهل او في المؤمن والكافر
ومعنى الفاء الاولى انه لما ذكر التفاوت بين متاع الحيوة الدنيا
وما عند الله تعالى عقبه بقوله افمن وعدناه اي ابعد هذا
التفاوت الجلي يسوى بين ابناء الدنيا وابناء الآخرة
والفاء الثانية للتسبيب لان لقاء الموعود مسبب عن الوعد
وثم لتراخي حال الاحضار عن حال التمتيع ثم هو علي كما قيل
عضد في عضد شبه المنفصل بالمتصل ويوم يناديهم ينادي الله
الكفار نداء توبيخ وهو عطف على يوم القيمة او منصوب
باذكر فيقول اين شركائي بناء على زعمهم الذين كنتم تزعمون
ومفعولا تزعمون محذوفان تقديره كنتم تزعمونهم شركائي
ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت ولا يجوز الاقتصار على
احدهما

وقال الذين حق عليهم القول اي الشياطين او ائمة الكفر
ومعنى حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وثبت
وهو قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين
ربنا هؤلاء مبتدأ الذين اغوينا اي دعوناهم الى الشرك
وسولناه لهم صفته والراجع الى الموصول محذوف
والخبر اغويناهم والكاف في كما غوينا صفة مصدر محذوف
تقديره اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا يعنون
انا لم نغو الا باختيارنا فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم
لان اغواءنا لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا فلا فرق
اذن بين غينا وغيهم وان كان تسويلنا داعيا لهم الى
الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم الى الايمان
بما وضع فيهم من ادلة العقل وما بعث اليهم من الرسل
وانزل عليهم من الكتب وهو كقوله وقال الشيطان
لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق الى قوله تعالى
ولوموا انفسكم تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر
ما كانوا ايانا يعبدون بل يعبدون اهواءهم ويطيعون
شهواتهم واخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين
لمعنى الجملة الاولى وقيل للمشركين ادعوا شركاءكم اي
الاصنام لتخلصكم من العذاب فدعوهم فلم يستجيبوا لهم
فلم يجيبوهم ورأوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون
وجواب لو محذوف اي لما رأوا العذاب كانوا يهتدون
ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين الذين
ارسلوا اليكم حكى اولا ما يوبخهم به من اتخاذهم
له شركاء ثم ما يقوله الشياطين او ائمة الكفر عند
توبيخهم لانهم اذا وبخوا بعبادة الآلهة اعتذروا
بان الشياطين هم الذين استغووهم ثم ما يشبه
الشماتة بهم من استغاثتهم آلهتهم وعجزهم
عن نصرتهم ثم ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم
بارسال الرسل وازاحة العلل فعميت عليهم الانباء
يومئذ خفيت عليهم الحجج او الاخبار وقيل خفي
عليهم الجواب فلم يدروا ماذا يجيبون اذ لم يكن
عندهم جواب فهم لا يتساءلون اي لا يسأل بعضهم
بعضا عن العذر والحجة رجاء ان يكون عنده عذر
وحجة لانهم يتساوون في العجز عن الجواب

فاما من تاب من الشرك وآمن بربه وبما جاء من عنده
وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين اى فعسى أن يفلح
عند الله تعالى وعسى من الكرام تحقيق وفيه بشارة
للمسلمين على الاسلام وترغيب للكافرين على الايمان ونزلت
جوابا لقول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل
من القريتين عظيم يعني نفسه وابا مسعود وربك يخلق
ما يشاء وفيه دلالة خلق الافعال ويوقف على يختار اى
وربك يخلق ما يشاء وربك يختار ما يشاء ما كان لهم الخيرة
اى ليس لهم أن يختاروا على الله شيئا ما وله الخيرة عليهم
ولم يدخل العاطف في ما كان لهم الخيرة لانه بيان لقوله ويختار
اذ المعنى ان الخيرة لله وهو اعلم بوجوه الحكمة في افعاله
فليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ومن وصل على
معنى ويختار الذي لهم فيه الخيرة فقد ابعد
بل ما لنفي اختيار الخلق تقريرا لاختيار الحق
ومن قال معناه ويختار للعباد ما هو خير لهم واصلح
فهو مائل الى الاعتزال والخيرة من التخير يستعمل بمعنى
المصدر وهو التخير وبمعنى المتخير كقولهم محمد خيرة الله
من خلقه سبحان الله وتعالى عما يشركون اى الله تعالى
بريء عن اشراكهم وهو منزه عن ان يكون لاحد عليه
اختيار وربك يعلم ما تكن تضمر صدورهم من عداوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسده وما يعلنون
من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير عليه غيره في النبوة
وفي المعالم للامام البغوي في قوله تعالى وربك
يخلق ما يشاء ويختار نزلت جوابا للمشركين حين قالوا
لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني الوليد
بن المغيرة او عروة بن مسعود الثقفي اخبر الله انه
لا يبعث الرسل باختيارهم ما كان لهم الخيرة قيل ما للاثبات
معناه ويختار الله ما كان لهم الخيرة اى يختار ما هو الاصلح
وقال العلامة القاضي ظاهره نفي الاختيار عنهم
رأسا والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار العباد مخلوق
باختيار الله منوط بدواع لا اختيار لهم فيها وقيل
المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك
خلا عن العاطف ويؤيده ما روى انه نزل في حق قولهم لولا نزل
هذا القرآن الخ وقيل ما موصول مفعول ليختار والراجع اليه
محذوف والمعنى ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة اى الخير والصلاح
قال الفاضل المحشي ليس المراد نفي الاختيار عنهم رأسا
بل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه شيئا من الامور

وهو الله وهو المستأثر بالالهية المختص بها
لا اله الا هو تقرير لذلك كقولك الكعبة القبلة لا قبلة الا هي
له الحمد في الاولى والاخرة هو قولهم الحمد لله
الذي اذهب عنا الحزن • الحمد لله الذي صدقنا
وعده • وقيل الحمد لله رب العالمين • والتحميد ثمة على
وجه اللذة لا الكلفة وله الحكم القضاء بين عباده
واليه ترجعون بالبعث والنشور وبفتح التاء وكسر
الجيم يعقوب قال ابن عباس رضي الله عنهما حكم لاهل
طاعته بالمغفرة ولاهل المعصية بالشقاء قل ارايتم
ارايتم بحذف الهمزة علي ان جعل الله عليكم الليل سرمدا
وهو مفعول ثان لجعل اي دائما من السرد وهو المتابعة
ومنه قولهم في الاشهر الحرم ثلثة سرد وواحد فرد
والميم مزيدة ووزنه فعمل الى يوم القيمة من اله غير الله
يأتيكم بضياء افلا تسمعون والمعنى اخبروني من يقدر
على هذا قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا
الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون
فيه افلا تبصرون ولم يقل بنهار تتصرفون فيه كما
قال بليل تسكنون فيه بل ذكر الضياء وهو ضوء
الشمس لان المنافع التي تتعلق به متكاثرة ليس التصرف
في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثمه
قرن بالضياء افلا تسمعون لان السمع يدرك ما لا يدركه
البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل
افلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره
انت من السكون ونحوه ومن رحمته جعل لكم الليل و
النهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله اي لتسكنوا
في الليل ولتبتغوا من فضل الله تعالى في النهار فيكون من
باب اللف والنشر ولعلكم تشكرون الله تعالى على نعمه
وقال الزجاج يجوز ان يكون لتسكنوا فيهما ولتبتغوا
من فضل الله تعالى فيهما ويكون المعنى جعل لكم الزمان ليلا
ونهارا لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فيه اسرای

ويوم يناديهم فيقول اين شركاءي الذين كنتم تزعمون
كرر التوبيخ باتخاذ الشركاء ليؤذن ان لا شيء اجلب
لغضب الله تعالى من الاشراك به كما لا شيء ادخل في مرضاته
من توحيده ونزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا
يعني نبيهم لان الانبياء للامم شهداء عليهم يشهدون
بما كانوا عليه فقلنا للامم هاتوا برهانكم فيما كنتم عليه من
الشرك ومخالفة الرسول فعلموا حينئذ ان الحق التوحيد
لله وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع ما كانوا
يفترون من الوهية غير الله تعالى والشفاعة لهم ان قارون
لا ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان فاعولا من قرنت الشيء
لانصرف كان من قوم موسى كان اسرائيليا ابن عم موسى
فهو قارون بن يصهر بن ثابت بن لاوي بن يعقوب
وموسى بن عمران بن قاهث وكان يسمى المنور لحسن صورته
وكان اقرأ بني اسرائيل للتوراة ولكنه نافق السامري
فبغى عليهم من البغي الكبر تكبر عليهم بكثرة ماله كما نافق ح
وولده او زاد عليهم في الثياب شبرا وآتيناه من الكنوز
ما ان مفاتحه ما بمعنى الذي في موضع نصب بآتينا
وان واسمها وخبرها صلة الذي ولهذا كسرت ان
والمفاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به او مفتح بالفتح
وهو الخزانة والاصوب انها المقاليد لتنوء بالعصبة
لتثقل العصبة فالباء للتعدية يقال ناء به الحمل
اذا اثقله حتى اماله والعصبة الجماعة الكثيرة
وكان يحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح
ولا يزيد المفتاح على اصبع وكانت من جلود اولي
القوة الشدة اذ قال له قومه اي المؤمنون وقيل القائل
موسى عليه السلام ومحل اذ نصب بتنوء لا تفرح
لا تبطر بكثرة المال كقوله تعالى ولا تفرحوا بما آتيكم ولا يفرح
بالدنيا الا من رضي بها واطمأن واما من قلبه الى الآخرة
ويعلم انه يتركها عن قريب فلا يفرح بها ان الله لا يحب الفرحين
البطرين بالمال
اسرك

وابتغ فيما اتاك الله من الغنى والثروة الدار الآخرة
الجنة بان تتصدق على الفقراء وتصل الرحم وتصرف
الى ابواب الخير ولا تنس نصيبك من الدنيا وهو
ان تأخذ ما يكفيك ويصلحك وقيل معناه واطلب
بدنياك آخرتك فان ذلك حظ المؤمن منها واحسن
الى عباد الله كما احسن الله اليك واحسن بشكرك
وطاعتك لخالق الانام كما احسن اليك بالانعام ولا تبغ
الفساد في الارض بالظلم والبغي ان الله لا يحب
المفسدين قال في المعالم وكل من عصى الله تعالى فقد طلب الفساد في الارض
قال انما اوتيته انتهى اى المال على علم عندى اى على استحقاق انتهى
لما في من العلم الذي فضلت به الناس وهو علم التورية او علم
الكيمياء وكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلها ذهبا او
العلم بوجوه المكاسب من التجارات والزراعة وعندى
صفة لعلم قال سهل ما نظر احد الى نفسه فافلح
والسعيد من صرف بصره عن افعاله واقواله وفتح له سبيل
رؤية منة الله تعالى عليه في جميع الافعال والاقوال والشقي
من زين في عينيه افعاله واقواله واحواله ولا فتح له
سبيل رؤية منة الله تعالى فافتخر بها وادعاها لنفسه
فشؤمه يهلكه يوما كما خسف بقارون لما ادعى لنفسه
فضلا اولم يعلم قارون ان الله قد اهلك من قبله من
القرون من هو اشد منه قوة هو اثبات لعلمه بان الله
قد اهلك من القرون قبله من هو اقوى منه واغنى لانه
قد قرأه في التورية كانه قيل اولم يعلم في جملة ما عنده
من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته او نفي
لعلمه بذلك لانه لما قال اوتيته على علم عندى قيل
أعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه ورأى نفسه به
مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقي
به نفسه مصارع الهالكين واكثر جمعا للمال او اكثر
جماعة وعددا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون لعلمه
بهم بل يدخلون النار بغير حساب او يعذبون بها
بغير سؤال او يعرفون بسيماهم فلا يسألون او
لا يسألون ليعلم من جهتهم بل يسألون سؤال
توبيخ او لا يسأل عن ذنوب الماضين المجرمين من هذه الامة
انتهى

فخرج على قوله في ذبيحه

... الله وعد
من الكتب التي فيها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد عثمان الصدور بار علي
١١٧٠ وقفي عبده